

أبي القاسم

تصنيف

أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف بن يحيى بن يوسف بن حيان

الغزنوي الأندلسي

٧٤٥/٦٥٤ هـ

حقوق هذا الجزء

ساهر حموش

الجزء العاشر

دار الرسالة العالمية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



دار الرسالة العالمية

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذه الكتاب أو أي جزء منه بجميع طرق
الطبع والتطوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي
والمسموع والحاسوب وغيرها إلا بموافقة خطية من

شركة الرسالة العالمية م.م.

Al-Risalah Al-Globalia co.
Publishers

جميع الحقوق محفوظة للناسِ الطبعة الأولى

٢٠١٥م / ١٤٣٦هـ

الإدارة العامة Head Office

دمشق - الحجاز

شارع مسلم البارودي

بناية خولي وصلاحي

2625

(963) 11-2212773

(963) 11-2234305

الجمهورية العربية السورية
Syrian Arab Republic

info@resalahonline.com
http://www.resalahonline.com

فرع بيروت

BEIRUT/LEBANON
TELEFAX: 815112- 319039- 818615
P.O. BOX: 117460



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الأعراف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ الْمَصِّ كَتَبُ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِئَسْذَرَ بِهِ وَذَكَرَى
 لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ زَبُورٍ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ
 ﴿٣﴾ وَكَمْ مِنْ قَرِيْبٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأَسْنَا بَيْتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ
 بِأَسْنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْتَفِزَّ الَّذِينَ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَكْفُرَ الْمُرْسَلِينَ
 ﴿٦﴾ فَلَنَقْضَنَّ عَلَيْهِمْ بِعَاقِبَةٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْوَزْنَ بِوَمِيزِ الْحَقِّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ يَمَا كَانُوا يَئَاتِينَا
 يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ
 خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ
 السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ
 ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ
 يُعْتَدُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ
 لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ
 اخْرُجْ مِنْهَا مَذْهُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ يَمَعَكَ مِنْهُمْ لِأَمَلَانَ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَتَقَادَمَ أَنْتَ وَرُوحُكَ
 الْجَنَّةَ فَكَلَّا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسَّوَسَ لِمَا الشَّيْطَانُ
 يُلْبِسِي لِمَا مَا وُورِي عَنْهُمَا مِنْ سَوَاءٍ لِهَٰمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةَ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً

أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢١﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٢﴾ فَذَلَّهُمَا بِعُرْوَةٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ
 بَدَتَا لَمَّا سَوَّاهُمَا وَطُفِقَا يَتَخَصَّمَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ رِزْقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا
 الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٣﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَنَا تَعَفُّرٌ لَنَا
 وَتَرَحَّمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَيْرِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ أَهبطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ
 وَمَتَعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٦﴾ يَبْنَئِي عَادَمٌ قَدْ أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ
 لِبَاسًا يُؤَرِّى سَوَاءَ لَكُم وَرِدْسًا وَلِبَاسَ الْقَوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾
 يَبْنَئِي عَادَمٌ لَا يَفْنَى لَكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا
 سَوَاءَهُمَا إِنَّهُ يَرَئِكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 ﴿٢٨﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ
 أَنْقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾

المفردات

«كم» اسمٌ بسيطٌ، لا مرگبٌ من كافِ التشبيه و«ما» الاستفهامية حُذِفَ أَلْفُهَا
 لدخول حرفِ الجرِّ عليها وسكنت - كما قالوا: لِمَ، ثم^(١) قالوا: لِمَ - تركيباً
 لا ينفكُ، كما رُكِبَتْ في «كأين» مع «أي». وتأتي استفهاميةً وخبريةً، وكثيراً
 ما جاءت الخبرية في القرآن، ولم يأت تمييزها في القرآن إلاً مجروراً بـ «من».
 وأحكامها في نوعيها المذكورة في كتب النحو.

القبيلة: نومٌ نصفِ النهار، وهي: القائلة، قاله الليث. وقال الأزهرى^(٢):
 الاستراحة في نصف النهار إذا اشتدَّ الحرُّ وإن لم يكن نومٌ.

وقال الفراء: قَالَ يَقْبَلُ قَبِيلَةٌ وَقَبِيلاً وَقَائِلَةٌ وَمَقِيلاً: استراح وسط النهار.

العيش: الحياة، عاش يعيشُ عيشاً ومَعاشاً وَعِيشَةً وَمَعِيشَةً وَمَعِيشاً؛ قال رؤبة:

إِلَيْكَ أَشْكُو شِدَّةَ الْمَعِيشِ وَجَهْدَ أَعْوَامٍ نَتَفَنَ رِيشِي^(٣)

عَوَى يَعْوِي عَيْاً وَعَوَايَةً: فَسَدَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ، وَفَسَدَ هُوَ فِي نَفْسِهِ، وَمِنْهُ عَوَى

(١) قوله: قالوا لم ثم، ساقط من المطبوع، ووقع في النسخ عدا (به): بم، بدل: ثم، والمثبت

من (به)، وهو المناسب للسياق. ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف ٢١١/١.

(٢) في تهذيب اللغة ٣٠٦/٩، وقول الليث منقول منه.

(٣) ديوان رؤبة ص ٧٨-٧٩، والرواية فيه: أشكو إليك.

لَصْرٌ تَخَّرَّ مِنْ شُرْبِ لَبَنِ أُمِّهِ حَتَّى فَسَدَ جَوْفُهُ وَأَشْرَفَ عَلَى الْهَلَاكِ. وقيل: أصله **لَهْلَكٌ** ومن: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مریم: ٥٩].

لَشْتَرٌ: جمع شمال، وهو جمعُ تكثير^(١)، وجَمَعُهُ فِي الْقِلَّةِ عَلَى أَشْمَلٍ؛ قال الشاعر:

بَأَنِي لَهَا مِنْ أَيْمُنٍ وَأَشْمَلٍ^(٢)

وشمال يُطْلَقُ عَلَى الْيَدِ الْيَسْرَى وَعَلَى نَاحِيَّتِهَا. والشمائلُ أيضاً جمع شمال، وهي التريح. والشمائلُ أيضاً: الأخلاق، يقال: هو حَسَنُ الشَّمَائِلِ.

ذَأَمَهُ: عَابَهُ، يَذَأِمُهُ ذَأَمًا بسكون الهمزة، ويجوز إبدالها ألفاً، قال الشاعر:

صَحْبَتُكَ إِذْ عَيْنِي عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ فَلَمَّا أَنْجَلْتُ قَطَعْتُ نَفْسِي أَذِيمُهَا^(٣)

وفي المثل: لَنْ تَعْدَمَ الْحَسَنَاءُ ذَأَمًا^(٤). وقيل: أَرَذْتُ أَنْ تَذِيَمَهُ فَمَدَّهَتْهُ^(٥). وقال الليث: ذَأَمْتُهُ: حَقَرْتُهُ^(٦). وقال ابنُ قتيبةَ وابنُ الأنباريُّ: ذَأَمَهُ: ذَمَّهُ^(٧).

دَحَرَهُ: أَبْعَدَهُ وَأَقْصَاهُ، دُحُورًا، قال الشاعر:

دَحَرْتُ بَنِي الْحَصِيبِ إِلَى قَدِيدٍ وَقَدْ كَانُوا ذَوِي أَشْرٍ وَقَشْرٍ^(٨)

(١) قوله: تكثير، تحرف في المطبوع إلى: تكسير.

(٢) الرجز لأبي النجم العجلي، وهو في ديوانه ص ٣٤٩، والكتاب ٣/٢٩٠ و٦٠٧، وبعده: وهي حيال الفرقدين تعتلي.

(٣) البيت للحرث بن خالد بن العاص المخزومي، وهو في مجاز القرآن ٣١/١، والزاهر لابن الأنباري ٣/٢، وتفسير الطبري ٢٧١/١ و١٠٢/١٠، واللسان (غشا)، وورد في بعض المصادر برواية: ألومها، وعليه أكثر الرواة كما قال الطبري.

(٤) جمهرة الأمثال ٣٩٨/٢، والزاهر ٣/٢، والمستقصى ٢/٢٥٦، ومجمع الأمثال ٢/٢١٣، واللسان (ذيم). وجاء في أكثر المصادر: لا تعدم. وأول من قاله: حُبِّي بنت مالك بن عمرو العدوانية، وتنظر قصتها في المصادر المذكورة.

(٥) قالها المنذر أو النعمان لرجل ذكر رجلاً عنده. وجاء في (ح) والمطبوع: فمدحته، وهي رواية. ويروى أيضاً: تذمّه. بدل: تذيمه. ينظر أمالي القالي ٢/٩٧، وسر صناعة الإعراب ٢/٦١٠، والمحمر الوجيز ٢/٣٨١، واللسان والتاج (قري).

(٦) ينظر العين ٨/٢٠٣.

(٧) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٦٦، والزاهر ٣/٢.

(٨) المحمر الوجيز ٢/٣٨١.

وَسَوَسَ: تَكَلَّمَ كَلَامًا خَفِيًّا يَكْرُرُهُ، وَالْوَسَوَسَ: صَوْتُ الْحَلِيِّ شَبَّهَ الْهَمْسَ بِهِ، وَهُوَ فِعْلٌ لَا يَتَعَدَّى إِلَى مَنْصُوبٍ نَحْوُ: وَلَوَلَّتْ وَوَعَوَعٌ^(١). قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: رَجُلٌ مُوسَوِسٌ بِكَسْرِ الْوَاوِ، وَلَا يُقَالُ: مُوسَوِسٌ بِفَتْحِهَا^(٢). وَقَالَ غَيْرُهُ: يُقَالُ: مُوسَوِسٌ لَهُ وَمُوسَوِسٌ إِلَيْهِ^(٣). وَقَالَ زُرَّابَةُ يَصِفُ صَيَّادًا:

وَسَوَسَ يَدْعُو مُخْلِصًا رَبَّ الْفَلَقِ لَمَّا دَنَا الصَّيْدُ دَنَا مِنَ الْوَهْقِ^(٤)

يَقُولُ: لَمَّا أَحَسَّ بِالصَّيْدِ وَأَرَادَ رَمِيَهُ وَسَوَسَ فِي نَفْسِهِ: أَيُخْطِئُ أَمْ يُصِيبُ؟ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: وَسَوَسَ وَوَزَوَرَ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ^(٥).

نَصَحَ: بَدَّلَ الْمَجْهُودَ فِي تَبْيِينِ الْخَيْرِ، وَهُوَ ضِدُّ غَشَّ، وَيَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ وَبِاللَّامِ: نَصَحْتُ زَيْدًا وَنَصَحْتُ لَزِيدًا، وَيَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ يَتَعَدَّى لِوَاحِدٍ بِنَفْسِهِ وَلَاخَرَ بِحَرْفِ الْجَرِّ، وَأَصْلُهُ: نَصَحْتُ لَزِيدَ الرَّأْيِ^(٦)، مِنْ قَوْلِهِمْ: نَصَحْتُ لَزِيدَ الثَّوْبِ، بِمَعْنَى: خِطَّتُهُ، خِلَافًا لِمَنْ ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ.

ذَاقَ الشَّيْءَ يَذُوقُهُ ذَوْقًا: مَسَّهُ بِلِسَانِهِ أَوْ بِفَمِهِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْأَكْلِ.

طَفَّقَ بِكَسْرِ الْفَاءِ وَفَتْحِهَا، وَيُقَالُ: طَبَّقَ بِالْبَاءِ، وَهِيَ بِمَعْنَى «أَخَذَ» مِنْ أَفْعَالِ الْمَقَارِبَةِ.

خَصَفَ النَّعْلَ: وَضَعَ جِلْدًا عَلَى جِلْدٍ، وَجَمَعَ بَيْنَهُمَا بَسِيرًا، وَالْخَصْفُ: الْخَرَزُ.

(١) وَعَوَعٌ: عَوَى وَصَوَّتَ، وَالْوَعُوعَةُ مِنْ أَصْوَاتِ الْكِلَابِ وَبَنَاتِ آوَى. اللَّسَانُ (وَع). وَيَنْظُرُ الْكَشَافُ ٧٢/٢.

(٢) تَهْذِيبُ اللَّغَةِ ١٣٦/١٣.

(٣) الْكَشَافُ ٧٢/٢.

(٤) الْأَوَّلُ فِي دِيْوَانِ رُوْبَةِ ص ١٠٨، وَتَهْذِيبُ اللَّغَةِ ١٣٦/١٣، وَلَمْ نَقِفْ عَلَى الثَّانِي، وَجَاءَ بَدْلُهُ فِي الدِّيْوَانِ: سَرًّا وَقَدْ أَوَّنَ تَأْوِينَ الْعُقُقِ.

(٥) فِي (ب) وَوَزْنَ، وَفِي (ج): وَزَّرَ، وَالمَثْبُتُ مِنْ بَاقِي النِّسْخِ، وَهُوَ المَوْافِقُ لِمَا فِي الدَّرِ المِصْنُونِ ٢٧٦/٥، وَلَمْ نَقِفْ عَلَيْهِ عِنْدَ غَيْرِهِ.

(٦) قَوْلُهُ: الرَّأْيِ، مِنْ (يَه)، وَسَقَطَ مِنْ بَاقِي النِّسْخِ. وَيَنْظُرُ الدَّرِ المِصْنُونِ ٢٨٠/٥.

الرَّيشُ معروفٌ، وهو للطائر، ويُستعمل في معانٍ يأتي ذكرها في تفسير المرگبات. واشتقوا منه؛ قالوا: رَاشَهُ يَرِيشُهُ. وقيل: الرَّيشُ مصدرٌ رَاشَ.

النَّزْعُ: الإزالة والجذب بقوة.

* * *

﴿الْمَصَّ﴾ كِتَابٌ أُزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِئُنذِرَ بِهِ، وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ هذه السورة مكيةٌ كلها؛ قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد والضحاك وغيرهم. وقال مقاتل: إلا قوله: ﴿وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ إلى قوله: ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الآيات: ١٦٣-١٧٢] فإن ذلك مدنيٌّ. وروى هذا أيضاً عن ابن عباس^(١). وقيل: إلى قوله: ﴿وَإِذْ نَنْفَخْنَا﴾ [الآية: ١٧١].

واغترلق هذه السورة بما قبلها هو أنه لما ذكر تعالى قوله: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٥] واستطرد منه لِمَا بعده وإلى قوله آخر السورة: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وذكر ابتلاءهم فيما آتاهم، وذلك لا يكون إلا بالتكاليف الشرعية، ذكر ما تكون به التكاليف، وهو الكتاب الإلهي، وذكر الأمر باتباعه كما أمر في قوله: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾.

وتقدّم الكلام على هذه الحروف المقطّعة أوائل السورة في أول "البقرة"، وذكّر ما حدّسه الناس فيها، ولم يبق دليلٌ على شيءٍ من تفسيرهم يُعَيَّنُ ما قالوا، وزادوا هنا لأجل الصاد أنّ معناه: أنا الله أعلم وأفصل؛ رواه أبو الضحى عن ابن عباس^(٢). أو: المصوّر؛ قاله السدي^(٣). أو: الله الملك النصير؛ قاله بعضهم. أو: أنا الله المصير إليّ؛ حكاه الماوردي^(٤). أو: المصير كتابٌ، فحذف الياء

(١) ينظر المحرر الوجيز ٣٧٢/٢، وزاد المسير ١٦٤/٣، والكلام منه. وقول ابن عباس الأول أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن ص ٣٣، والنحاس في الناسخ والمنسوخ ٣٥٨/٢، والبيهقي في الدلائل ١٤٤/٧.

(٢) أخرجه الطبري ٥٢/١٠، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٦٧) بلفظ: أنا الله أفضل.

(٣) أخرجه الطبري ٥٢/١٠ بلفظ: «المص» هي هجاء: المصوّر.

(٤) ينظر النكت والعيون ١٩٩/٢، وفيه: ويحتمل عندي أن يكون المراد: المصير إلى كتاب

والراء ترخيماً، وعبر عن المصير بـ«المص»؛ قاله التبريزي. وقيل عنه: أنا الله الصادق.

وقيل: معناه: «ألم نشرح لك صدرك»؛ قاله الكرمانى، قال: واكتفى ببعض الكلام.

وهذه الأقوال في الحروف المقطعة لولا أن المفسرين شحنوا بها كتبهم خلفاً عن سلفٍ لضربنا عن ذكرها صفحاً، فإن ذكرها يدل على ما لا ينبغي ذكره من تأويلات الباطنية وأصحاب الألغاز والرموز.

ونهيته تعالى أن يكون في صدره حرج منه - أي: من سببه - لما تضمنه من أعباء الرسالة وتبليغها لمن لم يؤمن بكتاب ولا اعتقد صحة رسالة، وتكليف الناس أحكامها، وهذه أمور صعبة، ومعانيها^(١) يشق عليه ذلك.

وأسند النهي إلى الحرج، ومعناه نهى المخاطب عن التعرض للحرج، وكان أبلغ من نهى المخاطب لما فيه من أن الحرج لو كان ممّا يُنهى لهيناه عنك، فأنته أنت عنه بعدم التعرض له، ولأن فيه تنزيه نبيه ﷺ بأن ينهاه فيأتي التركيب: فلا تخرج منه؛ لأن ما أنزله الله تعالى إليه يناسب أن يسر به وينشرح لما فيه من تخصيصه بذلك وتشريفه، حيث أهله لإنزال كتابه عليه، وجعله سفيراً بينه وبين خلقه، فلهذه الفوائد عدل عن أن ينهاه ونهى الحرج.

وفسر الحرج هنا بالشك، وهو تفسير قلق، وسمي الشك حرجاً لأن الشاك ضيق الصدر كما أن المتيقن منشرح الصدر، وإن صح هذا عن ابن عباس^(٢)، فيكون ممّا توجه فيه الخطاب إليه لفظاً وهو لأتمته معنى، أي: فلا تشكوا أنه من عند الله.

وقال الحسن: الحرج هنا: الضيق^(٣)، أي: لا يضيق صدرك من تبليغ ما أرسلت به خوفاً من أن لا تقوم بحقه.

= أنزل إليك من ربك، فحذف باقي الكلمة ترخيماً وعبر عنه بحروف الهجاء لأنها تذهب بالسامع كل مذهب. اه. وهو قريب مما سيرد بعده.

(١) قوله: ومعانيها، تحرف في المطبوع إلى: ومعانيها.

(٢) ولم يصح، فقد أخرجه الطبري ١٠/٥٤ عنه بإسناد ضعيف جداً.

(٣) النكت والعيون ٢/١٩٩، وزاد المسير ٣/١٦٥.

وقال الفراء: معناه: لا يضيق صدرك بأن يكذبوك، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كَذَبْتُمْ أَنَّكُمْ لَمَنِائِدٌ وَأَنْتُمْ بِالْآيَاتِ لَأْتِيَنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آيَاتُنَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الكهف: ٦] (١).

وقيل: الحرج هنا الخوف، أي: لا تخف منهم وإن كذبوك وتمالؤوا عليك.
قالوا: ويحتمل أن يكون الخطاب له ولأمته.

والظاهر أن الضمير في «منه» عائد على الكتاب، وقيل: على التبليغ الذي تضمنه المعنى. وقيل: على التكذيب الذي دل عليه المعنى. وقيل: على الإنزال.
وقيل: على الإنذار.

قال ابن عطية: وهذا التخصيص كله لا وجه له؛ إذ اللفظ يعم جميع الجهات التي هي من سبب الكتاب ولأجله، وذلك يستغرق التبليغ، والإنذار، وتعرض المشركين، وتكذيب المكذبين، وغير ذلك، و«فلا يكن في صدرك حرج منه» اعتراض في أثناء الكلام، ولذلك قال بعض الناس: إن فيه تقدماً وتأخيراً. و«لتندر» متعلق ب«أنزل». انتهى (٢).

وكذا قال الحوفي والزمخشري أن اللام متعلقة بقوله: «أنزل» (٣)، وقاله قبلهم الفراء (٤)، ولزم من قولهم أن يكون قوله: «فلا يكن في صدرك حرج» اعتراضاً بين العامل والمعمول.

وقال ابن الأنباري: التقدير: فلا يكن في صدرك حرج منه كي تنذر به، فجعله متعلقاً بما تعلق به «في صدرك»، وكذا علقه به صاحب «النظم» (٥)، فعلى هذا لا تكون الجملة معترضة.

(١) معاني القرآن للفراء ١/٣٧٠.

(٢) المحرر الوجيز ٢/٣٧٢.

(٣) الكشاف ٢/٦٦.

(٤) في معاني القرآن ١/٣٧٠.

(٥) كتاب النظم لأبي علي الحسن بن يحيى بن نصر، كما في تفسير الثعلبي ٦/٤٨٨، وكشف الظنون ٢/١٤٦٧، ووقع في تفسير البغوي ٤/٥٠٣، وزاد المسير ٩/١٦٤: الحسين، بدل الحسن. وقوله وقول ابن الأنباري في تفسير الرازي ١٤/١٦.

وجوّز الزمخشريُّ وأبو البقاء^(١) الوجهين، إلا أن الزمخشريَّ قال: فإن قلت: بمَ يتعلّق قوله: «لتنذر»؟ قلتُ: بـ«أنزل»، أي: أنزل إليك لإنذارك به، أو بالنهي لأنه إذا لم يخفهم أنذّرهم، وكذلك إذا أيقن أنه من عند الله شجّعه اليقين على الإنذار؛ لأنَّ صاحب اليقين جَسورٌ متوكِّلٌ على عصمته^(٢). انتهى.

فقوله: أو بالنهي، ظاهره أنه يتعلّق بالنهي، فيكون متعلّقاً بقوله: «فلا يكن»، و«كان» عندهم في تعليق الجارِّ والمجرور والعمل في الظرف فيه خلافٌ، ومبناه على أنه: هل تدلُّ «كان» الناقصة على الحدث أم لا؟ فَمَنْ قال: إنها تدلُّ على الحدث، جوّز فيها ذلك، ومَنْ قال: إنها لا تدلُّ عليه، لم يجوّز ذلك^(٣).

وأعربَ الفراءُ وغيره «المص» مبتدأ، و«كتاب» خبره، وأعربَ أيضاً «كتاب» خبرَ مبتدأ محذوف، أي: هذا كتابٌ^(٤).

و«ذكرى» هو مصدرٌ «ذَكَرَ» بتخفيف الكاف، وجوّزوا فيه أن يكون مرفوعاً عطفاً على «كتاب»، أو خبرَ مبتدأ محذوف، أي: وهو ذكرى. والنصب على المصدر على إضمارِ فعلٍ معطوفٍ على «لتنذر»، أي: وتُذَكِّرُ ذكرى، أو على موضع «لتنذر»؛ لأنَّ موضعه نصبٌ، فيكون إذ ذاك معطوفاً على المعنى كما عَطِفتِ الحالُّ على موضع المجرور في قوله: ﴿دَعَاكَ لِجَنِيهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ [يونس: ١٢]. ويكون مفعولاً من أجله، وكما تقول: جئتُك للإحسان وشوقاً إليك. والجرُّ على موضع «أن»^(٥) الناصبة لـ«تنذر» المنسبك منها ومن الفعل مصدرٌ، التقدير: لإنذارك به وذكرى. وقال قومٌ: هو معطوفٌ على

(١) الكشاف ٦٦/٢، والإملاء ١/٢٦٧.

(٢) الكشاف ٦٦/٢.

(٣) قال السمين في الدر المصون ٥/٢٤٣: ليس في عبارته (يعني الزمخشري) ما يدل على أنه تعلّق بـ«يكن»، بل قال: بالنهي، فقد يريد: بما تضمنه من المعنى، وعلى تقدير ذلك فالصحيح أن الأفعال الناقصة كلّها لها دلالةٌ على الحدث إلا «ليس».

(٤) معاني القرآن للفراء ١/٣٦٨-٣٦٩، والوجه الثاني نقله عن الكسائي ثم قال: وهو وجهٌ، وكأنه إذا أضمر «هذا» أو «ذلك» أضمر لحروف الهجاء ما يرفعها قبلها؛ لأنها لا تكون إلا ولها موضع.

(٥) قوله: أن، ليس في (أ) و(ح) و(د) و(ع) والمطبوع.

الضمير من «به»^(١)، وهو مذهبٌ كوفيٌّ.

وتقارير النصبِ والجرِّ هو على معنى: وتذكير، مصدر «ذَكَرَ» المشدَّد؛ لأنَّ «ذكرى» - كما قلنا - هو مصدرُ «ذَكَرَ»، لا مصدرُ «ذَكَرَ» المشدَّد^(٢).

وقال أبو عبد الله الرازي^(٣): النفوسُ قسمان: جاهلةٌ غريقةٌ في طلب اللذاتِ الجسمانية، وشريفةٌ مشرقةٌ بالأنوار الإلهية، مستشعرةٌ^(٤) بالحوادث الروحانية، فبعثت الأنبياء والرسل في حقِّ القسم الأول للإنذار والتخويف، [فإنهم] لما غرقوا في بحر الغفلة ورقدة الجهالة^(٥) احتاجوا إلى موقظٍ ومنبِّه، وفي حقِّ القسم الثاني لتذكيرٍ وتنبية؛ لأنَّ هذه النفوسَ بمقتضى جواهرها الأصلية مستشعرةٌ بالانجذاب^(٦) إلى عالمِ القدس، والاتصالِ بالحضرة الصَّمَدية، إلا أنه ربما غشيتها من غواشي عالمِ الحسِّ^(٧)، فيعرضُ [لها] نوعُ ذهولٍ، فإذا سمعت دعوة الأنبياء واتصلَ بها [أنوار] أرواح رُسلِ الله تذكَّرت مركزها، وأبصرت منشأها، واشتاقَت إلى ما حصل هناك من الرُّوح والرَّاحة والرَّيحان، فثبت أنه تعالى إنما أنزل الكتابَ على رسوله ليكون إنذاراً في حقِّ طائفةٍ وذكرى في حقِّ أخرى. انتهى.

وهو كلامٌ فلسفيٌّ خارجٌ عن كلام المتشرعين، وهكذا كلامُ هذا الرجل، أعاذنا الله منه.

﴿أَتَبِعُوا مَا أَنْزَلْ إِيَّاكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٣﴾ ﴿لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى أَنْ هَذَا الْكِتَابَ أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ أَمْرَ الْأُمَّةِ بِاتِّبَاعِهِ، وَ«مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ» يَشْمَلُ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَطِّقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤].

(١) التقدير: لتنذر به ويأن تذكَّر، وقد حسَّنه كونُ «ذكرى» في تقدير «أن» والفعل، ولو صرَّح بـ«أن» لحسُن معها حذف حرف الجر، فهو أحسن من: مررتُ بك وزيد. ينظر الدر المصون ٢٤٥/٥.

(٢) قوله: لأن ذكرى كما قلنا هو مصدر ذكر لا مصدر ذَكَر المشدَّد، من (ب) و(د) (٣د) و(به).

(٣) في مفاتيح الغيب ١٧/١٤، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٤) في تفسير الرازي: مستعدة.

(٥) في (أ) و(د) و(ع) والمطبوع: الجاهلية.

(٦) في تفسير الرازي: مستعدة للانجذاب.

(٧) في تفسير الرازي: ربما غشيتها غواشٍ من عالم الجسم.

ونهاهم عن ابتغاء أولياء من دون الله كالأصنام والرهبان والكهّان والأحبار والنار والكواكب وغير ذلك.

والظاهر أن الضمير في «من دونه» عائد على «ربكم»، وقيل: على «ما». وقيل: على الكتاب، فالمعنى: لا تُعَدِّلوا عنه إلى الكتب المنسوخة.

وقيل: أراد بالأولياء الشياطين، شياطين الجن والإنس، فإنهم الذين يَحْمِلُونَ على عبادة الأوثان والأهواء والبدع، وَيُضِلُّونَ عن دين الله.

وقرأ الجحدري: «ابتغوا»، من الابتغاء. وقرأ مجاهد ومالك بن دينار: «ولا تَبْتَغُوا» من الابتغاء أيضاً^(١).

والظاهر أن الخطاب هو لجميع الناس، وقال الطبري^(٢) وحكاه: التقدير: قل أتبعوا، فحذف القول لدلالة الإنذار المتقدم الذكر عليه.

وانتصب «قليلاً» على أنه نعت لمصدر محذوف، و«ما» زائدة، أي: تتذكرون تذكراً قليلاً، أي: حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره. وأجاز الحوفي أن يكون نعتاً لمصدر محذوف، والناصب له: «ولا تتبعوا»، أي: أتباعاً قليلاً^(٣).

وحكى ابن عطية عن الفارسي أن «ما» موصولة بالفعل، وهي مصدرية^(٤). انتهى، وتمم غيره هذا الإعراب بأن نصب «قليلاً» على أنه نعت لظرف محذوف، أي: زماناً قليلاً تذكركم، أخبر أنهم لا يدعون الذكر، إنما يعرض لهم في زمانٍ قليل، و«ما تذكرون» في موضع رفع على أنه مبتدأ، والظرف قبله في موضع الخبر. وأبعد من ذهب إلى أن «ما» نافية.

وقرأ حفص والأخوان: «تذكرون» بقاءً واحدةً وتخفيفِ الذال، وقرأ ابن عامر: «يتذكرون» بالياء والتاء وتخفيفِ الذال، وقرأ باقي السبعة بقاءً الخطاب وتشديدِ الذال^(٥).

(١) القراءتان في المحرر الوجيز ٣٧٣/٢، والثانية في القراءات الشاذة ص ٤٢.

(٢) في تفسيره ٥٦-٥٧/١٠، ونقله المصنف عنه بواسطة ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٧٣/٢.

(٣) قال الألوسي: ويضعفه أنه لا معنى حينئذٍ لقوله تعالى: «تذكرون». روح المعاني ١٤/٩.

(٤) المحرر الوجيز ٣٧٣/٢.

(٥) السبعة ص ٢٧٨، والتيسير ص ١٠٨-١٠٩. والأخوان هما حمزة والكسائي.

وقرأ أبو الدرداء وابن عباس وابن عامر في رواية بتاءين. وقرأ مجاهد بياءً وتشديد الذال^(١).

﴿وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَمَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ «كم» هنا خبرية، التقدير: وكثير من القرى أهلكتناها، وأعاد الضمير في «أهلكتناها» على معنى «كم»، وهي في موضع رفع بالابتداء، و«أهلكتناها» جملة في موضع الخبر. وأجازوا أن تكون في موضع نصب بإضمار فعل يفسره «أهلكتناها» تقديره: وكم من قرية أهلكتناها^(٢).

ولابد في الآية من تقدير محذوف مضاف؛ لقوله: «أو هم قائلون»، فمنهم من قدره: وكم من أهل قرية، ومنهم من قدره: أهلكتنا أهلها. وينبغي أن يقدر عند قوله: «فجاءها» - أي: فجاء أهلها - لمجيء الحال من «أهلها» بدليل: «أو هم قائلون»؛ لأنه يمكن إهلاك القرى بالخسف والهدم وغير ذلك، فلا ضرورة تدعو إلى حذف المضاف قبل قوله: «فجاءها».

وقرأ ابن أبي عبله: «وكم من قرية أهلكتناهم فجاءهم»^(٣) فيقدر المضاف: وكم من أهل قرية.

ولابد من تقدير صفة للقرية محذوفة، أي: من قرية عاصية.

وتعقّب مجيء البأس وقوع الإهلاك لا يتصور، فلا بد من تجويز: إمّا في الفعل بأن يراد به: أردنا إهلاكها - أو: حكمتنا بإهلاكها - فجاءها بأسنا بعد ذلك. وإمّا أن يختلف المدلولان بأن يكون المعنى: أهلكتناها بالخذلان وقلّة التوفيق فجاءها بأسنا بعد ذلك. وإمّا أن يكون التجويز في الفاء بأن تكون بمعنى الواو، وهو ضعيف، أو تكون لترتيب القول فقط، فكانه أخبر عن قرى كثيرة أنه أهلكتها، ثم قال: فكان من أمرها مجيء البأس.

(١) القراءات الشاذة ص ٤٢.

(٢) في (أ) و(١د) و(ع) والمطبوع: أهلكتنا، وسقطت من (ب) و(ج) و(د)، والمثبت من (ه)، وهو الموافق لما في الدر المصون ٢٤٨/٥.

(٣) المحرر الوجيز ٣٧٣/٢.

وقال الفرّاء: إِنَّ الإِهْلَاكَ هُوَ مَجِيءُ البَأْسِ، وَمَجِيءُ البَأْسِ هُوَ الإِهْلَاكَ، فَلَمَّا تَلَا زَمًا لَمْ يَبَالِ أَيُّهُمَا قَدَّمَ فِي الرِّتْبَةِ، كَمَا تَقُولُ: شَتَمَنِي فَأَسَاءُ، وَ: أَسَاءُ فَشَتَمَنِي؛ لِأَنَّ الإِسَاءَةَ وَالشَّتْمَ شَيْءٌ وَاحِدٌ^(١).

وقيل: الفاء ليست للتعقيب، وإنما هي للتفسير، كقولهم: تَوَضَّأَ فغَسَلَ كَذَا ثُمَّ كَذَا.

وانتصب «بياتاً» على الحال، وهو مصدرٌ، أي: فجاءها بأسنا بائتين أو قائلين.
و«أو» هنا للتنويع، أي: جاء مرّةً ليلاً كقوم لوط، ومرّةً وقتَ القيلولة كقوم شعيب، وهذا فيه نشرٌ لِمَا لُفَّ في قوله: «فجاءها».

وخصّ مجيء البأس بهذين الوقتين لأنهما وقتان للسكون والدعة والاستراحة، فمجيء العذاب فيهما أقطع وأشق، ولأنه يكون المجيء فيه على غفلة من المهلكين، فهو كالمجيء بغتة.

وقوله: «أو هم قائلون» جملة في موضع الحال، ونص أصحابنا أنه إذا دخل على جملة الحال وأو العطف، فإنه لا يجوز دخول أو الحال عليها، فلا يجوز: جاء زيدٌ ماشياً أو وهو راكبٌ.

وقال الزمخشري: فَإِنْ قُلْتَ: لا يُقَالُ: جاء زيدٌ هو فارسٌ، بغير أو، فما بال قوله تعالى: «أو هم قائلون»؟ قلت: قدّر بعض النحويين الواو محذوفة، وردّه الزجاج وقال: لو قلت: جاءني زيدٌ راجلاً أو هو فارسٌ، أو: جاءني زيدٌ هو فارسٌ، لم يُحتجّ فيه إلى أو؛ لأنّ الذكر قد عاد إلى الأول^(٢). والصحيح أنها إذا عطفّت على حالٍ قبلها حذفت الواو استثقلاً لاجتماع حرفي عطف؛ لأنّ أو الحال هي أو العطف استعيرت للوصل، فقولك: جاء زيدٌ راجلاً أو هو فارسٌ، كلامٌ فصيحٌ واردٌ على حدّه، وأمّا: جاءني زيدٌ هو فارسٌ، فخيث^(٣). انتهى.

(١) معاني القرآن للفرّاء ١/٣٧١ بنحوه، واللفظ دون المثال لابن عطية في المحرر الوجيز ٣٧٤/٢.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢/٣١٧.

(٣) الكشاف ٢/٦٧.

فأما بعض النحويين الذي اتهمه الزمخشريُّ فهو الفراء^(١).

وأما قولُ الزجَّاج في التمثيلين: لم يُحتَجَّ فيه إلى الواو لأنَّ الذكر قد عاد إلى الأول. ففيه إبهامٌ، وتعيينه: لم يَجْزْ دخولُها في المثال الأول، ويجوزُ أن تدخل في المثال الثاني، فانتفاء الاحتياج ليس على حدِّ سواء؛ لأنه في الأول لامتناع الدخول^(٢)، وفي الثاني لكثرة الدخول لا لامتناعه.

وأما قولُ الزمخشريِّ: والصحيحُ. إلى آخره، فتعليقه ليس بصحيح؛ لأنَّ واو الحال ليست حرفَ عطفٍ فيلزم من ذكرها اجتماع حرفي عطفٍ؛ لأنها لو كانت للعطف للزم أن يكون ما قبل الواو حالاً حتى تَعطِفَ حالاً على حالٍ، فمجيئها فيما لا يمكن أن يكون حالاً دليلٌ على أنها ليست واو عطفٍ، ولا لِحِظَ فيها معنى واو عطفٍ، تقول: جاء زيدٌ والشمسُ طالعةٌ، ف«جاء زيدٌ» ليس بحالٍ فتعطف عليه جملةٌ حاليةٌ، وإنما هذه الواو مغايرةٌ لواو العطف بكلِّ حالٍ، وهي قِسْمٌ من أقسام الواو، كما تأتي للقسم وليست فيه للعطف إذا قلت: والله ليخرجنَّ^(٣).

وأما قوله: فخبِيثٌ. فليس بخبِيثٍ، وذلك أنه بناه على أنَّ الجملة الاسمية إذا كان فيها ضميرُ ذي الحال فإنَّ حذفَ الواو منها شاذٌّ، وتَبِعَ في ذلك الفراءُ، وليس بشاذُّ بل هو كثيرٌ وقوعه في القرآن، وفي كلام العرب نثرها ونظُمها، وهو أكثر من

(١) في معاني القرآن ١/٣٧٢.

(٢) قوله: لأنه في الأول لامتناع الدخول، وكذلك قوله قبل ذلك: لم يجز دخولها في المثال الأول. قد تعقبه السمين في الدر ٥/٢٥٢ بأن المصنف قد نقل امتناع ذلك ولم يحك خلافاً في المسألة، لكن قد أجاز الفراء أن يقال: أو وهم قائلون، وأنه لو قيل ذلك لكان صواباً، وهذا مصرحٌ بالخلاف له. وينظر معاني القرآن للفراء ١/٣٧٢، وفيه: لكان جائزاً.

(٣) ينظر الدر المصون ٥/٢٥٢، فقد ذكر السمين أن الزمخشري قد سبقه في تسمية هذه الواو حرفَ عطف الفراء وأبو بكر ابن الأنباري، وذكر نصَّ كلاميهما ثم قال: فهذا تصريح من هذين الإمامين بما ذكره أبو القاسم (يعني الزمخشري)، وإنما ذكرت نصَّ هذين الإمامين لأُعْلِمَ اطلاعاً على أقوال الناس، وأنه لا يأتي بغير مصطلح أهل العلم كما يرميه (أي: المصنف) به غير مرة. اهـ. قلت: وكلام الفراء في معاني القرآن ١/٣٧٢، وقد صرح المصنف في الارتشاف ٣/١٦٠٤ بنسبة القول بأن أصلها العطف للمتأخرين، ممَّا يدل على أنه لم يطلع على كلام الفراء في هذه المسألة.

رملٍ يَبْرِين^(١) وَمَهَا^(٢) فلسطين، وقد ذكرنا كثرةً مجيء ذلك في «شرح التسهيل»^(٣)، وقد رجع عن هذا المذهب الزمخشري إلى مذهب الجماعة.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ قال ابن عباس: «دعواهم»: تَضَرُّعُهُمْ إِلَّا إقْرَارُهُمْ بالشرك^(٤).

وقيل: «دعواهم»: دعائهم؛ قال الخليل: تقول: اللهم أشركنا في صالح دَعْوَى المسلمين، ومنه: ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ﴾ [الأنبياء: ١٥]^(٥).

وقيل: ادْعَاؤُهُمْ، أي: ادْعُوا مَعَاذِيرَ تُحَسِّنُ حَالَهُمْ وتَقِيمُ حُجَّتَهُمْ في رَعِيهِمْ.

قال ابن عطية: وَتَحْتَمِلُ الآيَةُ أَنْ يَكُونَ المعنى: فما آلت دعوايهم التي كانت في حال كفرهم إلا^(٦) إلى اعتراف، ومنه قول الشاعر:

وقد شهدت قيس فما كان نَصْرُهَا قَتِيْبَةً إِلَّا عَضُّهَا بِالْأَبَاهِمِ^(٧)

وقال الزمخشري: ويجوز: فما كان استغاثتهم إلا قولهم هذا؛ لأنه لا مستغاث

(١) قرية كثيرة النخل والعيون العذبة بحذاء الأحساء من بني سعد، وهناك الرمل الموصوف بالكثرة. معجم البلدان ٧١/١ و٤٢٧/٥.

(٢) في (ب): ومهر، وفي (ح): ومنها. وجاء في تفسير القرطبي ٣٥٢/١٢: وتيهاء، وهو الأشبه.

(٣) لم يرد في القسم المطبوع منه، وينظر الارتشاف ١٦٠٦/٣. وينظر كذلك شرح المفصل لابن يعيش ٦٥-٦٦/٢، وقد رد في ابن يعيش أيضاً على الزمخشري قوله في المفصل بشذوذ خلوة الجملة الاسمية من الواو، وذكر (يعني ابن يعيش) أن اللازم في الجملة الاسمية الحالية أن يوتى فيها بما يعلقها بما قبلها لثلاثا يُتَوَهَّمُ أنها مستأنفة، وذلك يكون بأحد أمرين: إما الواو كقولك: جاء زيد والأمير ركب، وإما الضمير نحو: أقبل محمد يده على رأسه.

(٤) أي: كان في تضرعهم إقرار بالشرك. ينظر تفسير الرازي ٢١/١٤، وخير ابن عباس فيه بلفظ: فما كان تضرعهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا: «إنا كنا ظالمين» فأقروا على أنفسهم بالشرك.

(٥) المحرر الوجيز ٣٧٤/٢، وينظر الكتاب ٤٠/٤.

(٦) قوله: إلا، ساقط من (أ) و(ح) و(د) و(ع) والمطبوع.

(٧) المحرر الوجيز ٣٧٤/٢، وسلف البيت عند تفسير قوله تعالى: ﴿عَصُوا عَلَيْكُمْ الْأَنْبِيَاءَ مِنَ النَّبِيِّ﴾ [آل عمران: ١١٩].

من الله بغيره، من قولهم: دعواهم يا لكعب^(١).

قالوا: و«دعواهم» اسم «كان»، و«إلا أن قالوا» الخبر. وأجازوا العكس.

والأول هو الذي تقتضي نصوص المتأخرين أن لا يجوز إلا هو، فيكون «دعواهم» الاسم و«إلا أن قالوا» الخبر؛ لأنه إذا لم تكن قرينة لفظية ولا معنوية تبين الفاعل من المفعول وجب تقديم الفاعل وتأخير المفعول، نحو: ضرب موسى عيسى، و«كان» وأخواتها مشبهة في عملها بالفعل الذي يتعدى إلى واحد، فكما وجب ذلك فيه وجب ذلك في المشبه به وهو «كان»، و«دعواهم» و«إلا أن قالوا» لا يظهر فيهما لفظ يبين الاسم من الخبر ولا معنى، فوجب أن يكون السابق هو الاسم واللاحق الخبر.

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٦﴾﴾ أي: نسأل الأمم المرسل إليهم عن أعمالهم وعمّا بلغه إليهم الرسل، كقوله^(٢): ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥] ونسأل الرسل عمّا أجاب به من أرسلوا إليهم، كقوله: ﴿يَوْمَ يَجْعَلُ اللَّهُ أُرْسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ﴾ [المائدة: ١٠٩].

وسؤال الأمم تقرير وتوبيخ يُعقِبُ الكفار والعصاة عذاباً، وسؤال الرسل تأنيس يُعقِبُ الأنبياء ثواباً وكرامة. وقد جاء السؤال منفياً ومثبتاً بحسب المواطن أو بحسب الكيفيات، كسؤال التوبيخ والتأنيس، وسؤال الاستعلام بالبحث منفياً عن الله تعالى إذ أحاط بكل شيء علماً.

وقيل: المرسل إليهم الأنبياء والمرسلون الملائكة. وهذا بعيد.

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَنْهُمْ بَعْلَهُمْ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٦٧﴾﴾ أي: نسرّد عليهم أعمالهم قصة قصة بعلم منّا لذلك وإطلاع عليه، وما كنّا غائبين عن شيء منه، بل علمنا محيط بجميع أعمالهم ظاهرها وباطنهما.

وهذا من أعظم التوبيخ والتقريع، حيث يُفرون بالظلم، وتشهد عليهم أنبياءهم، ويقص الله عليهم أعمالهم، قال وهب: يقال للرجل منهم: أتذكّر يوم فعلت كذا؟

(١) الكشاف ٦٧/٢.

(٢) في المطبوع: لقوله، وهو تحريف.

أتذكُر حين قلتَ كذا؟ حتى يأتي على آخِر ما فعله وقاله في دنياه.

وفي قوله: «بِعِلْمٍ» دليلٌ على إثبات هذه الصفةِ لِلَّهِ تعالى، وإبطالٌ لقول مَنْ قال: لا عِلْمَ لِلَّهِ.

﴿وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾^(١) اختلفوا: هل ثَمَّ وزنٌ وميزانٌ حقيقةً، أم ذلك عبارةٌ عن إظهار العدلِ التامِّ والقضاءِ السَّويِّ والحسابِ المحرَّرِّ؟

فذهبت المعتزلةُ إلى إنكارِ الميزان، وتقدَّمهم إلى هذا مجاهدٌ والضحاك والأعمش وغيرهم^(١)، وعبرَ بالثقل عن كثرة الحسنات، وبالخفة عن قلتها.

وقال جمهورُ الأمةِ بالأول، وأنَّ الميزان له عمودٌ وكفتان ولسان، وهو الذي دلَّ عليه ظاهرُ القرآن والسنة، ينظر إليه الخلائقُ تأكيداً للحجة وإظهاراً للنصفة قطعاً للمعذرة، كما يسألهم عن أعمالهم فيعرفون بها بألسنتهم، وتشهدُ عليهم بها أيديهم وأرجلهم، وتشهدُ عليهم الأنبياءُ والملائكةُ والأشهاد، وأمَّا الثقلُ والخفةُ فمن صفات الأجسام. وقد ورد أنَّ الموزون هي الصحائفُ التي أثبتت فيها الأعمال، فيُحَدِّثُ اللهُ تعالى فيها ثقلاً وخفَّةً.

وما ورد في هيئته وطوله وأحواله لم يصحَّ إسناده.

وجُمعت الموازينُ باعتبارِ الموزوناتِ، والميزانُ واحدٌ؛ هذا قولُ الجمهور.

وقال الحسن: لكلِّ أحدٍ يومَ القيامةِ ميزانٌ على حِدَّةٍ^(٢). وقد يعبرُ عن الحسنات بالموازين، فيكون ذلك على حذف مضافٍ، أي: فمن ثَقُلَتْ كفةُ موازينه، أي: موزوناته، فيكون «موازين» جمعَ موزونٍ لا جمعَ ميزان، وكذلك: وَمَنْ خَفَّتْ كفةُ حسناته.

(١) ينظر قولهم في تفسير الرازي ٢٥/١٤، وتفسير القرطبي ١٥٦/٩. وأخرج الطبري ٦٨/١٠ عن مجاهد أن الوزن هو القضاء، والحق هو العدل.

(٢) المحرر الوجيز ٣٧٦/٢.

و«الوزن» مبتدأ، وخبره ظرفُ الزمان، والتنوين للعرض من الجملة، والتقدير: والوزنُ كائنٌ يوم أن نسألهم ونقصّ عليهم، وهو يومُ القيامة، و«الحقُّ» صفةٌ لـ«الوزن».

ويجوز أن يكون «يومئذ» ظرفاً للوزن معمولاً له، و«الحقُّ» خبرٌ.

ويتعلّق «بآياتنا» بقوله: «يظلمون»؛ لتضمّنه معنى: يكذبون، أو لأنها بمعنى: يجحدون، وَجَحَدٌ يُعَدَّى بالباء، قال: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾ [النمل: ١٤].

والظاهرُ أنّ هذا التقسيم هو بالنسبة للمؤمنين - من أطاع ومن عصى - وللكفار، فتوزنُ أعمالُ الكفار. وقال قوم: لا يُنصبُ لهم ميزانٌ ولا يحاسبون؛ لقوله: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] وإنما توزنُ أعمالُ المؤمنين طائِعهم وعاصيهم.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [١٠] تقدّم معنى «مكّنّاكم» في قوله في أول «الأنعام»: ﴿مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: ٦] والخطابُ راجعٌ للذين حُوطبوا بقوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وما بينهما أوردَ مؤرِدَ الاعتبارِ والاتعاظِ^(١) بذكر ما آل إليه أمرهم في الدنيا وما يؤول إليه في الآخرة.

والمعاش: جمعُ معيشة، ويحتمل أن يكون وزنها: مَفْعَلَةٌ ومَفْعَلَةٌ بكسر العين وضمّها، قالهما سيبويه^(٢) وقال الفراء: مَعِيشَةٌ بفتح عين الكلمة^(٣).

والمعيشة: ما يُعاشُ به من المطاعم والمشارب وغيرهما ممّا يُتوصّلُ به إلى ذلك، وهي في الأصل مصدرٌ تنزّلَ منزلة الآلات. وقيل: هو على حذفٍ مضافٍ، التقدير: أسبابُ معاشٍ، كالزُّرع والحصد والتجارة وما يجري مجرى ذلك، وسماها معاشٍ لأنها وصلةٌ إلى ما يُعاش به.

(١) قوله: والاتعاظ، تحرف في المطبوع إلى: والإيقاظ.

(٢) في الكتاب ٣٤٩/٤.

(٣) المحرر الوجيز ٣٧٧/٢، وينظر معاني القرآن للفراء ٣٧٣/١، وقد ضبطت في مطبوعه مفعلة بكسر العين.

وقيل: المعاش وجوه المنافع، وهي إمّا ما^(١) يُحَدِّثُهُ اللهُ ابتداءً كالشمار، أو ما يُحَدِّثُهُ بطريق اكتسابٍ من العبد، وكلاهما يوجبُ الشكر.

وقرأ الجمهور: «معاش» بالياء وهو القياس؛ لأن الياء في المفرد هي أصل، لا زائدة فتُهمَز، وإنما تُهمَزُ الزائدة نحو: صحائف، في صحيفة.

وقرأ الأعرجُ وزيد بنُ عليٍّ والأعمشُ، وخارجةٌ عن نافع، وابنُ عامرٍ في رواية: «معاش» بالهمز^(٢)، وليس بالقياس، لكنهم رَوَوْه وهم ثقاتٌ فوجبَ قبوله، وشدَّ هذا الهمزُ كما شدَّ في منائر جمع منارةٍ وأصلها منورة، وفي مصائب جمع مُصيبةٍ وأصلها مَصوبة، وكان القياس: مَنَاورٍ ومَصَوابٍ، وقد قالوا: مَصَوابٍ، على الأصل، كما قالوا في جمع مَقامةٍ: مَقَومٍ، ومَعونةٍ: مَعَاوِن.

وقال الزجاج: جميعُ نحاة البصرة تزعمُ أن هَمْزها خطأ، ولا أعلم لها وجهاً إلا التشبيهُ ب: صحيفةٍ وصحائف، ولا ينبغي التحويلُ على هذه القراءة^(٣).

وقال المازني^(٤): أصلُ أخذِ هذه القراءة عن نافع، ولم يكن يدري ما العربية، وكلامُ العربِ التصحيحُ في نحو هذا. انتهى.

ولسنا متعبدين بأقوال نحاة البصرة، وقال الفراء: ربما همزت العربُ هذا وشبَّهه، يَتَوَهَّمون أنها فَعيلةٌ فيشبهون مَفْعَلَةً بِفَعِيلَةٍ^(٥). انتهى.

فهذا نقلٌ من الفراء عن العرب أنهم ربما يهمزون هذا وشبَّهه، وجاء به نقلُ القراءِ الثقات: ابنُ عامرٍ وهو عربيٌّ صُراخٌ، وقد أخذ القرآن عن عثمان قبل ظهور اللحن، والأعرج وهو من كبار قرّاء التابعين، وزيد بن عليٍّ وهو من الفصاحة والعلم بالمكان الذي قلَّ أن يُدانيه في ذلك أحدٌ، والأعمش وهو من الضبط

(١) قوله: إمّا، ساقط من (أ) و(ح) و(د) و(ع) والمطبوع.

(٢) القراءات الشاذة ص ٤٢ عن الأعرج ونافع، والكشاف ٦٨/٢ عن نافع، وذكرها عن الأعمش ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٣٥٥ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لِكُلِّ فِيهَا مَعْيِشًا﴾ [الحجر: ٢٠].

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢/٣٢٠-٣٢١ بنحوه.

(٤) في كتابه «التصريف» كما في المنصف شرح التصريف لابن جني ١/٣٠٧.

(٥) معاني القرآن للفراء ١/٣٧٣-٣٧٤.

والإتقان والحفظ والثقة بمكان، ونافع وهو قد قرأ على سبعين من التابعين، وهم من الفصاحة والضبط والثقة بالمحل الذي لا يُجهل، فوجب قبول ما نقلوه إلينا، ولا مبالاة بمخالفة نحاة البصرة في مثل هذا.

وأما قول المازني: أصل أخذ هذه القراءة عن نافع. فليس بصحيح؛ لأنها نقلت عن ابن عامر وعن الأعرج وزيد بن علي والأعمش.

وأما قوله: إن نافعاً لم يكن يدري ما العربية. فشهادة على النفي، ولو فرضنا أنه لا يدري ما العربية - وهي هذه الصناعة التي يتوصل بها إلى التكلم بلسان العرب - فهو لا يلزمه ذلك؛ إذ هو فصيح متكلم بالعربية ناقل للقراءة عن العرب الفصحاء، وكثير من هؤلاء النحاة يسيئون الظن بالقراءة^(١)، ولا يجوز لهم ذلك.

وإعراب «قليلاً ما تشكرون» كإعراب «قليلاً ما تذكرون».

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٧﴾﴾ لَمَّا تَقَدَّمَ مَا يَدُلُّ عَلَى تَقْسِيمِ الْمَكْلُفِينَ إِلَى طَائِعٍ وَعَاصٍ، فَالطَّائِعُ مِمثِلٌ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مَجْتَنِبٌ مَا نَهَى عَنْهُ، وَالْعَاصِي بَضْءُهُ، أَخَذَ يَنْبَهُ عَلَى أَنَّ هَذَا التَّقْسِيمَ كَانَ فِي الْبَدءِ الْأَوَّلِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ لِلْمَلَائِكَةِ بِالسُّجُودِ، فَامْتَثَلَ مَنْ امْتَثَلَ وَامْتَنَعَ مَنْ امْتَنَعَ، وَأَنَّهُ أَمَرَ تَعَالَى آدَمَ وَنَهَى فَحَكَى عَنْهُ مَا يَأْتِي خَبْرُهُ، فَنبَهُ أَوْلَى عَلَى مَوْضِعِ الْإِعْتِبَارِ وَإِبْرَازِ الشَّيْءِ مِنَ الْعَدَمِ الصَّرْفِ إِلَى الْوُجُودِ، وَالتَّصْوِيرِ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ الْغَرِيبَةِ الشُّكْلِ الْمَتَمَكِّنَةِ^(٢) مِنْ بَدَائِعِ الصَّنَائِعِ.

والظاهر أن الخطاب عامٌ لجميع بني آدم، ويكون قوله^(٣): «ثم قلنا» إمَّا أن تكون فيه «ثم» بمعنى الواو فلم تُرتَّبْ، ويكون الترتيبُ بين الخلق والتصوير، أو تكون «ثم» في «ثم قلنا» للترتيب في الإخبار لا في الزمان، وهذا أسهلُ محمَلٍ في الآية، ومنهم من جعل «ثم» للترتيب في الزمان.

(١) في المطبوع: بالقراء.

(٢) في (ب): المتضمنة.

(٣) في (أ) و(ج) و(د) و(ع): ويكون على قوله.

واختلفوا في المخاطب:

ف قيل: المرادُ به آدمُ، وهو من إطلاق الجمع على الواحد.

وقيل: المراد به بنوه.

فعلى القول الأول يكونُ الخطابُ في الجملتين لآدم، لأنَّ العرب تخاطب العظيم الواحد بـ«الجمع»، وقيل: الخطابُ في الأولى لآدم وفي الثانية لذريَّته، فتحصلُ المهلةُ بينهما، و«ثم» الثالثة لترتيب الإخبار، ورَوَى هذا العوفيُّ عن ابن عباس^(١). وقيل: «خلقناكم» لآدم «ثم صوّرناكم» لبنيه -يعني في صُلبه عند أخذِ الميثاق- «ثم قلنا»، فيكون الترتيبُ واقعاً على بابه.

وعلى القول الثاني، وهو أنَّ الخطاب لـبني آدم، فقيل: الخطابُ على ظاهره وإن اختلف محلُّ الخلق والتصوير:

فروى الحارث عن ابن عباس: «خلقناكم» في ظهر آدم «ثم صوّرناكم» في الأرحام.^(٢)

وقال ابن جبير عنه: «خلقناكم» في أصلاب الرجال «ثم صوّرناكم» في أرحام النساء.^(٣) وقاله عكرمة وقتادة والضحاك والأعمش.^(٤)

وقال ابن السائب: «خلقناكم» نطفاً في أصلاب الرجال وترائب النساء «ثم صوّرناكم» عند اجتماع النطف في الأرحام.^(٥)

وقال مَعْمَرُ بن راشد حاكياً عن بعض أهل العلم: «خلقناكم» في بطون أمهاتكم، و«صوّرناكم» فيها بعد الخلق بشقِّ السَّمْع والبصر.^(٦)

(١) أخرجه الطبري ٧٥/١٠-٧٦، وأخرجه أيضاً من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) زاد المسير ١٧٢/٣، وفيه: عبد الله بن الحارث عن ابن عباس، وهو الصواب، وكذا أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار ٣١٩/٩.

(٣) المصدر السابق، وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار ٣١٩/٩، والحاكم ٣١٨/٢.

(٤) أخرجه عن عكرمة والأعمش الطبري ٧٧/١٠-٧٨، ولم نقف عليه عن قتادة والضحاك.

(٥) النكت والعيون ٢٠٢/٢، وزاد المسير ١٧٣/٣.

(٦) المصدران السابقان، وأخرجه بنحوه الطبري ٧٩/١٠.

و«ثم» على هذه الأقوال في قوله: «ثم قلنا» للترتيب في الإخبار.

وقيل: الخطاب لبني آدم، إلا أنه على حذف مضاف، التقدير: ولقد خلقنا أرواحكم ثم صورنا أجسامكم؛ حكاة القاضي أبو يعلى في «المعتمد»^(١). ويكون «ثم» في «ثم قلنا» للترتيب في الإخبار.

وقيل: التقدير: ولقد خلقنا أباكم ثم صورنا أباكم ثم قلنا، ف«ثم» على هذا للترتيب الزمني والمهلة، على أصل وضعها. وقيل: هو من تلوين الخطاب، يخاطب العين ويراد به الغير، فيكون الخطاب لبني آدم والمراد آدم، كقوله: ﴿وَإِذْ بَخَّيْنَاكُمْ مِن آءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة: ٤٩] ﴿فَأَخَذْنَاكُمْ الصَّيْعَةَ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِمَنْ كَانَ بِحَضْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْمَرَادُ أَسْلَافُهُمْ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

إذا افتخرت يوماً تميمً بقوسها وزادت على ما وطدت من مناقب
فأنتم بذئ قارٍ أمالت سيوفكم عروش الذين استرهنوا قوس حاجب^(٢)

وهذه الواقعة كانت لأبائهم.

وتقدم تفسير: «قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس» في سورة البقرة فأغنى عن إعادته.

وقوله: «لم يكن من الساجدين» جملة لا موضع لها من الإعراب، مؤكدة لمعنى ما أخرجه الاستثناء من نفي سجود إبليس كقوله: ﴿أَبْنِ وَأَسْكَبَر﴾ بعد قوله: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ في «البقرة»^(٣).

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ الظاهر أن «لا» زائدة تفيد التوكيد والتحقيق، كهي في قوله: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ﴾ [الحديد: ٢٩] أي: لأن يعلم، وكأنه قيل: ليتحقق علم أهل الكتاب، و: ما منعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك إذ أمرتك، ويدل على زيادتها قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ﴾ [ص: ٧٥] وسقوطها في هذا دليل على

(١) زاد المسير ١٧٣/٣.

(٢) البيتان لأبي تمام، وهما في ديوانه ٢٠٧/١-٢٠٨.

(٣) الآية (٣٤).

زيادتها في «ألا تسجد»، والمعنى أنه وبَّخه وقرَّعه على امتناعه من السجود وإن كان تعالى عالماً بما منَّعه من السجود، و«ما» استفهامية تدلُّ على التوبيخ كما قلنا. وأنشدوا على زيادة «لا» قول الشاعر:

أفَعَنكَ لا بَرَقُ كَأَنَّ وَمِيضَه غَابَ تَسَنَّمَه ضِرَامٌ مُثَقَّبٌ^(١)
وقول الآخر:

أبى جوده لا البخل واستعجَلت به نَعَم من فتى لا يمنع الجودَ قَاتِلَه^(٢)
وأقول: لا حُجَّة في البيت الأول؛ إذ يَحْتَمِلُ أن لا تكون فيه «لا» زائدة؛ لاحتمال أن تكون عاطفة وحُذِفَ المعطوف، والتقدير: أفعنك لا عن غيرك.

وأما البيت الثاني فقال الزجاج: «لا» مفعولة، و«البخل» بدلٌ منها، وقال أبو عمرو بن العلاء: الرواية فيه: لا البخل، بخفض اللام، جعلها مضافةً إلى البخل لأنَّ «لا» قد يُنطَقُ بها ولا تكون للبخل^(٣). انتهى.

وقد خرَّجته أنا تخريجاً آخر، وهو أن ينتصب «البخل» على أنه مفعولٌ من أجله و«لا» مفعولة^(٤).

وقال قوم: «لا» في «أن لا تسجد» ليست زائدة، واختلفوا:

ف قيل: يقدرُ محذوفٌ يصحُّ معه المعنى، وهو: ما منعك فأحوجك أن لا تسجد.

وقيل: يُحتملُ قوله: «ما منعك» معنَى يصحُّ معه النفي؛ ف قيل: معنى:

«ما منعك»: مَنْ أَمَرَكَ، وَمَنْ قال لك أن لا تسجد، وما ألجأك وما دعاك أن لا تسجد.

(١) البيت لساعدة بن جؤية الهذلي، وهو في ديوان الهذليين ١/١٧٢، والصاحبي لابن فارس ص ١٧١، وجاء في الديوان: غابَ تَسَنَّمَه، وهما روايتان كما في اللسان (شيم)، وتحرف قوله: تَسَنَّمَه، في (أ) و(ح) و(د) و(ع) إلى: تقسمة. والغاب: شجر. والضرام: النار في الحطب الدقيق الذي تضطرم فيه. وتشيمه: دخله. ومثقب: موقد. قاله شارح الديوان.

(٢) تفسير الطبري ١٠/٨٣، ومعاني القرآن للزجاج ٢/٣٢٣، والخصائص ٢/٣٥، وسلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿غَيْرَ الْمَنْصُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

(٣) ينظر معاني القرآن للزجاج ٢/٣٢٣، وتفسير الطبري ١٠/٨٣، والمححر الوجيز ٢/٣٧٨.

(٤) والتقدير: أبى جوده «لا» لأجل البخل، أي: كراهة البخل. الدر المصون ٥/٢٦٢.

﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (١١) هذا ليس بجوابٍ مطابقٍ للسؤال لكنه يتضمَّنُ الجواب؛ إذ معناه: مَنَعني فَضلي عليه لَشَرَفٍ عُضْري على عُضْرِهِ.

وهذا يقتضي عنده أن النار خيرٌ من الطين، وإذا كان كذلك فالناشيء من الأفضل لا يسجدُ للمفضول؛ قالوا: وذلك أن النار جسمٌ مُشْرِقٌ عُلوِّي لطيفٌ خفيفٌ حارٌّ يابسٌ مجاورٌ لجواهر السماوات ملاصقٌ لها، والطين مظلمٌ كثيفٌ ثقيلٌ باردٌ يابسٌ بعيدٌ عن مجاورة السماوات. والنارُ قويةُ التأثير والفعل، والطينُ ليس له إلا القبولُ والانفعالُ، والفعلُ أشرفُ من الانفعال. والنارُ مناسبةٌ للحرارة الغريزية وهي مادةُ الحياة، والطينُ ببرده وبسبه مناسبٌ للموت. وإذا تقرَّرَ هذا فالمخلوقُ من الأفضل أفضلُ، فلا يؤمَّرُ الأفضلُ بخدمة المفضول، ألا ترى أنه لو أمر مثلاً مالكٌ وأبو حنيفةٌ بخدمة مَنْ هو دونهما في العلم لكان ذلك قبيحاً في العقل^(١).

ثم قالوا: أخطأ إبليسُ من حيث فضَّل النارَ على الطين، وهما في درجةٍ واحدةٍ من حيث هما جمادٌ مخلوقٌ، والطينُ أفضلُ من النار من وجوه:

أحدها: أن من جوهر الطين الرِّزَانَةُ والسُّكُونُ والوَقَارُ والأناةُ والجِلْمُ والحياءُ والصَّبْرُ، وذلك هو الداعي لآدمَ عليه السلام -بعد السعادة التي سَبَقَتْ له- في^(٢) التوبة والتواضع والتضرُّع، فأوْرَثَهُ المغفرةَ والاجتباءَ والهدايةَ. ومن جوهر النارِ الخِفَّةُ والطيشُ والحِدَّةُ والارتفاعُ والاضطرابُ، وذلك هو الداعي لإبليس -بعد الشقاوة التي سبقت- إلى الاستكبار والإصرار، فأوْرَثَهُ الهلاكَ واللَّعْنَةَ والعذابَ؛ قاله القفال.

ثم ذكروا وجوهاً عشرةً يظهر بها فضلُ الترابِ على النار.

ثم قالوا: لا يدلُّ مَنْ كانت مادتهُ أفضلَ على أنه تكونُ صورتهُ أفضلَ؛ إذ

(١) تفسير الرازي ٣٢/١٤-٣٣.

(٢) كذا في النسخ والمطبوع، والذي في كتب التفسير: إلى. ينظر تفسير الطبري ٨٦/١٠-٨٧، وتفسير الثعلبي ٨/٣، وتفسير البغوي ١٥٠/٢، وتفسير القرطبي ١٦٥/٩. وعبارة الطبري: ... الداعي لآدم بعد السعادة التي كانت سبقت له من ربِّه في الكتاب السابق إلى التوبة...

الفضيلة عطية من الله تعالى، ألا تراه تعالى يُخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر، وأن الحبشي المؤمن خير من القرشي الكافر، وإذا كانت المقدمة غير مسلمة لم ينتج، والمقدمتان أن تقول: إبليس ناريُّ المادة، وكلُّ ناريُّ المادة أفضل من ترابيِّ المادة، فإبليس أفضل من ترابيِّ المادة، والمقدمة الثانية ممنوعة فلا تنتج.

وقال ابن عباس والحسن وابن سيرين: أول من قاس إبليس. قال ابن عباس: فأخطأ، فَمَن قاس الذين برأيه قرَّنه الله مع إبليس. وقالوا: وما عُبِدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس^(١).

وقال بعض العلماء: أخطأ قياسه، وذهب علمه^(٢) أن الروح الذي نُفخ في آدم ليس من طين.

واستدلَّ نفاة القياس على إبطاله بقصة إبليس، ولا حجة فيها؛ لأنه قياس في مورد النصِّ فهو فاسدٌ، فلا يدلُّ على بطلان القياس حيث لا نصٌّ.

واستدلَّ بقوله: «إذ أمرتُك» على أن مُطلق الأمر يدلُّ على الوجوب ويدل على الفور؛ لذم إبليس على امتناعه من السجود في الحال، ولو لم يدل على الوجوب ولا على الفور لم يستوجب الذم في الحال ولا مطلقاً.

﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ ﴿لَمَّا كَانَ امتناعه من السجود لسبب ظهور شفوفه^(٣) على آدم عند نفسه قابله الله بالهبوط المُشعرِ بالنزول من علوِّ إلى سفلى.

والضمير في «منها» لم يتقدَّم له مفسرٌ يعود عليه؛ فقليل: يعود على الجنة، وكان إبليس من سكانها

وقال ابن عباس: كانوا في جنة عدن لا في جنة الخلد، وحُلِق آدم من جنة عدن^(٤).

(١) تنظر أقوالهم في المصادر المذكورة في التعليق السابق.

(٢) كذا في النسخ والمطبوع: علمه، والذي في المحرر الوجيز ٣٧٩/٢ (والكلام منه): عليه، وهو الأشبه.

(٣) أي: فضله. ينظر اللسان (شفف)، وجاء في النهر على هامش البحر ٢٧٤/٤: شرفه.

(٤) ذكره بنحوه الرازي ٣٥/١٤.

وقال ابنُ عطية: أهبط أولاً وأُخرج من الجنة وصار في السماء؛ لأنَّ الأخبار تظاهرت أنه أَعْوَى آدمَ وحواءَ من خارج الجنة، ثم أمرَ أخيراً بالهبوط من السماء مع آدمَ وحواءَ والحيّة، وهذا كلُّه بحسب ألفاظ القصة، والله أعلم^(١). انتهى.

وقيل: يعودُ على السماء؛ قال الزمخشري: «فأهبطَ منها»: من السماء التي هي مكانُ المطيعين المتواضعين من الملائكة إلى الأرض التي هي مقرُّ العاصين المتكبرين من الثَّقَلَيْنِ^(٢).

وقيل: يعود على الأرض، فإنه^(٣) كان له ملكُها، أمره أن يهبط منها إلى جزائر البحار فسلطانه فيها، فلا يدخل الأرضَ إلا كهيئة السارق يخافُ فيها حتى يخرُجَ منها. وهذا يحتاجُ إلى صحة نقلٍ.

وقيل: يعود على صورته التي كان فيها؛ لأنه افتتخر أنه من النار فشوّت صورته بالإظلام وزوالِ إشراقه، قاله أبو روق^(٤).

وقيل: عائدٌ على المدينة التي كان فيها. ذكره الكرماني، ويحتاجُ إلى تصحيح نقلٍ.

وقيل: يعود على المنزلة والرتبة الشريفة التي كان فيها في محلِّ الاصطفاء والتقريب إلى محلِّ الطردِ والتعذيب.

ومعنى «فما يكون لك»: لا يصحُّ لك، أو: لا يتمُّ، أو: لا ينبغي.

والضميرُ في «فيها» يعود على ما عاد عليه «منها»، ولا مفهوم لهذا الظرف^(٥)، بل التكبرُ منهياً عنه في كلِّ موضعٍ.

وقيل: هو على حذف معطوفٍ دلَّ عليه المعنى، التقدير: فيها ولا في غيرها.

(١) المحرر الوجيز ٢/٣٧٩.

(٢) الكشاف ٢/٦٩.

(٣) في (أ): فإن، وفي المطبوع: فكأنه.

(٤) تفسير القرطبي ٩/١٦٩، وأبو روق اسمه: عطية بن الحارث الهمداني.

(٥) من قوله: والضمير في فيها، إلى هذا الموضع ساقط من (أ) و(ح) والمطبوع، والمثبت من (ب).

وقيل: المعنى: ما للمتكبر أن يكون فيها. وكرر معنى الهبوط بقوله: «فأخرج»؛ لأنَّ الهبوط منها خروج، ولكنه أخبر بصغاره وذلكه، وهو أنه^(١) جزء على تكبره قوبل بالضدِّ مما اتَّصف به، وهو الصَّغارُ الذي هو ضدُّ التكبر، والتكبرُ تَفَعُّلٌ منه، لا أنه^(٢) خلق كبيراً عظيماً، ولكنه هو الذي تَعَاطَى الكِبَرُ، ومن كلام عمر: وَمَنْ تَكَبَّرَ وَعَدَا طَوْرَهُ وَهَصَّه اللهُ إِلَى الأَرْضِ^(٣).

﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ ١٤ ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ ١٥ ﴿هَذَا يَدُلُّ عَلَى إِقْرَارِهِ بِالْبَعثِ وَعِلْمِهِ بِأَنَّ أَدَمَ سَيَكُونُ لَهُ ذُرِّيَّةٌ وَنَسْلٌ يَعْمرُونَ الأَرْضَ ثُمَّ يَمُوتُونَ، وَأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يُنظَرُ، فَيَكُونُ طَلْبُهُ الإِنظَارَ بِأَنْ يُغْوِيَهُمْ وَيُوسِسَ إِلَيْهِمْ، فَالضَّمِيرُ فِي «يُبْعَثُونَ» عَائِدٌ عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْمَعْنَى؛ إِذْ لَيْسَ فِي اللَّفْظِ مَا يَعُودُ عَلَيْهِ.

وحكمة استنظاره وإن كان ذلك سبباً للغواية والفتنة أن في ذلك ابتلاء العباد بمخالفته وطواعيته، وما يترتب على ذلك من إعظام الثواب بالمخالفة وإدامة العقاب بالطواعية. وأجابه تعالى بأنه من المنظرين، أي: من المؤخرين.

ولم يأت هنا بغاية للإنتظار^(٤)، وجاء معيياً في «الحجر» وفي «ص» بقوله: ﴿إِلَى يَوْمِ الأَوْقَاتِ المَعْلُومِ﴾ ﴿إِلَى يَوْمِ الأَوْقَاتِ المَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٨، وص: ٨١] ويأتي تفسيره في «الحجر» إن شاء الله.

ومعنى «من المنظرين»: من الطائفة التي تأخرت أعمارها كثيراً حتى جاءت آجالها على اختلاف أوقاتها، فقد شمل تلك الطائفة إنظاراً وإن لم يكونوا أحياء مدة الدهر. وقيل: «من المنظرين» جمع كثير مثل «قوم يونس».

﴿قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ المَسْتَقِيمَ﴾ ١٦ ﴿الظَّاهِرُ أَنَّ البَاءَ لِلقَسَمِ وَ«مَا» مُصَدَّرَةٌ، وَلِذَلِكَ تُلْقِيَتِ الأَلْيَةُ^(٥) بِقَوْلِهِ: «لأَقْعُدَنَّ». قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَإِنَّمَا أَقْسَمَ بِالإِغْوَاءِ لِأَنَّهُ كَانَ تَكْلِيفاً، [والتكليف] من أحسن أفعالِ اللهُ لكونه تعريضاً لسعادة

(١) في النسخ عدا (ح): وهوانه، والمثبت من (ح)، ومثله في النهر على هامش مطبوع البحر ٢٧٤/٤.

(٢) قوله: لا أنه، تحرف في (يه) والمطبوع إلى: لأنه.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٧١١٥).

(٤) تحرفت في المطبوع إلى: للانتظار.

(٥) الألية: اليمين. القاموس (ألي).

الأبد، فكان جديراً أن يُقسَمَ به^(١). انتهى.

وقيل: الباء للسبب، أي: بسبب إغوائك إياي. وعبر ابن عطية عنها بأن يراد بها معنى المجازاة، قال: كما تقول: فباكرامك لي يا زيد لأكرمك، قال: وهذا أليق بالقصة^(٢).

قال الزمخشري: فإن قلت: بم تعلقت الباء؟ فإن تعليقها بـ«لأقعدن» تصدُّ عنه لامُ القسم، لا تقول: والله بزيد لأمرن.

قلت: تعلقت بفعل القسم المحذوف، تقديره: فيما أغويتني أقسم بالله لأقعدن، أي: بسبب إغوائك أقسم^(٣). انتهى، وما ذكره من أن اللام تصدُّ عن تعلُّق الباء بـ«لأقعدن» ليس حكماً مُجمِعاً عليه، بل في ذلك خلاف.

وقيل: «ما» استفهامية، كأنه استَفْهَمَ عن السبب الذي أغواه، وقال: بأي شيء أغويتني؟ ثم ابتدأ مُقسِماً فقال: لأقعدن لهم. وضَعَفَ بإثبات الألف في «ما» الاستفهامية، وذلك شاذٌّ أو ضرورة، نحو قولهم: عمّا تسأل؟ فهذا شاذٌّ، والضرورة كقوله:

على ما قام يَشْتُمَنِي لئيم^(٤)

ومعنى «أغويتني»: أَضَلَّلْتَنِي؛ قاله ابن عباس والأكثر^(٥).

أو: لَعَنْتَنِي؛ قاله الحسن^(٦).

أو: أهلكتنِي؛ قاله ابن الأنباري^(٧).

أو: خيبتني؛ قاله بعضهم.

(١) الكشاف ٧٠/٢، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٢) المحرر الوجيز ٣٨٠/٢، وفيه: ... أليق المعاني بالقصة.

(٣) الكشاف ٧٠-٦٩/٢.

(٤) وعجزه: كخنزير تمرغ في رماد، والبيت لحسان، وهو في ديوانه ص ١٩٩.

(٥) أخرجه الطبري ٩١/١٠ عن ابن عباس وابن زيد.

(٦) المحرر الوجيز ٣٨٠/٢.

(٧) زاد المسير ١٧٥/٣.

وقيل: أَلْفَيْتَنِي غَاوِيًا.

وقيل: سَمَّيْتَنِي غَاوِيًا؛ لتكبري عن السجود لمن أنا خيرٌ منه.

وقيل: جَعَلْتَنِي فِي الْغَيِّ، وهو العذابُ.

وقيل: قَضَيْتَ عَلَيَّ مِنَ الْأَفْعَالِ الذَّمِيمَةَ.

وقيل: أَدْخَلْتَ عَلَيَّ دَاءَ الْكَبِيرِ.

وقال الزمخشري: فسبب إغوائك إياي لأقعدنَّ لهم، وهو تكليفه إياه ما وقع به في الغيِّ ولم يثبت^(١) كما ثبتت الملائكة مع كونهم أفضلَ منه ومن آدم نفساً ومناصبَ، وعن الأصم: أمرتني بالسجود فحملني الأنفُ على معصيتك، والمعنى: فسبب وقوعي في الغيِّ لأجتهدنَّ في إغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم^(٢). انتهى.

وهو والأصمُ فسراً على مذهب الاعتزال في نفي نسبة الإغواء حقيقة - وهو الإضلال - إلى الله، وكذلك من فسّر «أغويتني» بمعنى: ألفتني غاوياً، أو: سمّيتني غاوياً^(٣)، وهو فراغٌ من ذلك.

وقوله في الملائكة: إنهم أفضلُ من آدمَ نفساً ومناصبَ. هو مذهب المعتزلة.

وقال محمد بن كعب القرظي: قاتلَ الله القَدْرِيَةَ لِإِبْلِيسُ أَعْلَمُ بِاللَّهِ مِنْهُمْ^(٤). يريد في أنه عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يَهْدِي وَيُضِلُّ.

وجاء رجلٌ من كبار الفقهاء يُرْمَى بِالْقَدَرِ. فجلس إلى طاوس في المسجد الحرام، فقال له طاوس: تَقُومُ أَوْ تُقَامُ؟ فقام الرجل، فقيل له: أتقولُ هذا لرجلٍ فقيه؟ فقال: إبليسُ أفقهُ منه؛ قال: «ربِّ بما أغويتني»، وهذا يقول: أنا أغوي نفسي^(٥).

(١) قوله: ولم يثبت، من (ب) و(٣د) و(يه).

(٢) الكشف ٦٩/٢.

(٣) قوله: أو سمّيتني غاوياً، من (ب) و(٣د) و(يه).

(٤) أخرجه الطبري ٩٣/١٠.

(٥) أخرجه الثعلبي ٩/٢، وأورده الزمخشري في الكشف ٧٠/٢، والقرظي ١٧١/٩-١٧٢.

وَجَعَلَ الزَّمْخَشْرِيُّ هَذِهِ الْحِكَايَةَ مِنْ تَكَاذِيبِ الْمُجْبِرَةِ، وَذَكَرَهَا ثُمَّ قَالَ كَلَاماً قَبِيحاً يَوْقَفُ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ^(١).

وعَبَّرَ بِالْقَعُودِ عَنِ الثَّبُوتِ فِي الْمَكَانِ وَالثَّابِتِ فِيهِ، قَالُوا: وَانْتَصَبَ «صِرَاطُكَ» عَلَى إِسْقَاطِ «عَلَى»؛ قَالَهُ الزَّجَّاجُ وَشَبَّهَهُ بِقَوْلِ الْعَرَبِ: ضُرِبَ زَيْدٌ الظَّهْرَ وَالْبَطْنَ^(٢)، أَي: عَلَى الظَّهْرِ وَالْبَطْنِ. وَإِسْقَاطُ حَرْفِ الْجَرِّ لَا يَنْقَاسُ فِي مِثْلِ هَذَا، لَا يُقَالُ: قَعَدْتُ الخَشْبَةَ، تَرِيدُ: قَعَدْتُ عَلَى الخَشْبَةِ.

قَالُوا: أَوْ عَلَى الظَّرْفِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

فِيهِ كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ^(٣)

وهَذَا أَيْضاً تَخْرِيجٌ فِيهِ صَعْفٌ؛ لِأَنَّ «صِرَاطُكَ» ظَرْفٌ مَكَانٍ مُخْتَصِّصٌ، وَكَذَلِكَ «الطَّرِيقُ»، فَلَا يَتَعَدَّى إِلَيْهِ الْفِعْلُ إِلَّا بِوَسَاطَةِ «فِي»^(٤)، وَمَا جَاءَ خِلَافَ ذَلِكَ شَادُّ أَوْ ضَرُورَةٌ، وَعَلَى الضَّرُورَةِ أَنْشَدُوا:

كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ

(١) يَنْظُرُ الْكَشَافُ ٧٠/٢، وَيَنْظُرُ كَذَلِكَ بِهَامِشِهِ رَدُّ ابْنِ الْمُنَيَّرِ عَلَيْهِ فِي «الْإِنْتِصَافِ فِيمَا تَضَمَّنَهُ الْكَشَافُ مِنَ الْإِعْتِزَالِ».

(٢) مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلزَّجَّاجِ ٣٢٤/٢.

(٣) وَصَدْرُهُ: لَدُنَّ بِهِزُّ الْكَفِّ يَغْسِلُ مَتْنَهُ، وَالْبَيْتُ لِسَاعِدَةِ بِنِ جُوَيْتَةَ الْهَذَلِيِّ، وَهُوَ فِي دِيْوَانِ الْهَذَلِيِّينَ ١٩٠/١، وَالْكِتَابُ ٣٦/١، وَتَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ٩٦/١٠، وَالْكَشَافُ ٧٠/٢، وَالْمَحْرَرُ الْوَجِيزُ ٣٨٠/٢، وَتَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ ١٧٢/٩. قَالَ الْأَعْلَمُ فِي تَحْصِيلِ عَيْنِ الذَّهَبِ ص ٧٣: وَصَفَ فِي الْبَيْتِ رِمْحاً لَيْنَ الْهَزِّ، فَشَبَّهَ اضْطِرَابَهُ فِي نَفْسِهِ أَوْ فِي حَالِ هَزِّهِ بِعَسَلَانِ الثَّعْلَبِ فِي سِيرِهِ، وَالْعَسَلَانُ: سِيرٌ سَرِيعٌ فِي اضْطِرَابِ. وَاللَّدْنُ: النَّاعِمُ اللَّيِّنُ. وَيُرْوَى: لَدُّ (وَهِيَ رِوَايَةُ الدِّيْوَانِ) أَي: مُسْتَلَدٌّ عِنْدَ الْهَزِّ لِلْيَنِّهِ. وَقَوْلُهُ: يَعْسَلُ مَتْنَهُ فِيهِ، أَي: فِي كَفِّهِ.

(٤) الظَّرْفُ الْمُخْتَصِّصُ: هُوَ مَا لَهُ اسْمٌ مِنْ جِهَةِ نَفْسِهِ كَالدَّارِ وَالْمَسْجِدِ وَالْحَانُوتِ. وَقِيلَ: هُوَ مَا كَانَ لَفْظُهُ مُخْتَصِصاً بِبَعْضِ الْأَمَاكِنِ دُونَ بَعْضٍ. وَقِيلَ: مَا كَانَ لَهُ أَقْطَارٌ تَحْصِرُهُ وَنَهَايَاتٌ تَحِيطُ بِهِ. فَلَا يَتَعَدَّى إِلَيْهِ الْفِعْلُ إِلَّا بِوَسَاطَةِ «فِي» إِذَا أُريدَ مَعْنَى الظَّرْفِيَّةِ، ك: جَلَسْتُ فِي الدَّارِ، وَ: صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ، وَ: نَمْتُ فِي السُّوقِ، وَلَا تَقُولُ: صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ. وَاسْتُنْتِنِي مِنْهُ مَا كَانَ بَعْدَ دَخَلْتُ وَسَكَنْتُ وَنَزَلْتُ، نَحْوُ: دَخَلْتُ الدَّارَ، وَ: سَكَنْتُ الْغُرْفَةَ، وَ: نَزَلْتُ الْخَانَ، وَيَنْظُرُ تَفْصِيلُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِي شَرْحِ الْكَافِيَةِ لِلرَّضِيِّ ١٦/٢، وَالْإِرْتِشَافُ ١٤٣٥/٣، وَهَمْعُ الْهُوَامِغِ ١٥١/٢-١٥٢. وَوَقَعَ فِي (أ) وَالْمَطْبُوعِ: بِوَسَاطَةِ، بَدَلُ: بِوَسَاطَةِ.

وما ذهب إليه أبو الحسين بنُ الطَّراوة من أنَّ «الصُّراط» و«الطريق» ظرفٌ مبهمٌ لا مختصٌّ^(١) رَدَّه عليه أهلُ العربية.

والأولى أن يضمن «لأقعدن» معنى ما يتعدَّى بنفسه فينتصب «الصراط» على أنه مفعولٌ به، والتقدير: لألزمَنَّ بقعودي صراطك المستقيم.

وهذا الصراط هو دينُ الإسلام، وهو المُوصِلُ إلى الجنة - ويضعف ما روي عن ابن مسعود وعون بن عبد الله أنه طريقُ مكة^(٢)، خصوصاً على العقبة المعروفة بعقبة الشيطان يضلُّ الناسَ عن الحجِّ - ومعنى قعوده: أنه يعترضُ لهم على طريق الإسلام كما يعترض العدوُّ على الطريق ليقطعه على السابلة، وفي الحديث «إنَّ الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه نهاء عن الإسلام»^(٣)، وقال: أتركُ دينَ آبائك؟ فعصاه وأسلم، فنهاء عن الهجرة وقال: تدعُ أهلَكَ وبلدَكَ؟ فعصاه فهاجر، فنهاء عن الجهاد وقال: تُقتلُ وتتركُ ولدَكَ؟ فعصاه فجاهد، فله الجنة^(٤).

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾^(٥) الظاهرُ أنَّ إتيانه من هذه الجهات الأربع كناية عن وسوسته وإغوائه له، والجدُّ في إضلاله من كلِّ وجوِّ يُمكن، ولَمَّا كانت هذه الجهات يأتي منها العدوُّ غالباً ذكَّرها، لا أنه يأتي من الجهات الأربع حقيقةً.

وقال ابن عباس: «من بين أيديهم»: الآخرة أشكُّهم فيها، وأنه لا بعث، «ومن خلفهم»: الدنيا أرغَّبهم فيها وأزَيَّتها لهم. وعنه أيضاً وعن النخعي والحكم بن

(١) ينظر قوله في شرح التسهيل لابن مالك ١٦٩/٢، والارتشاف ١٤٣٨/٣، ومغني اللبيب ص ٧٥٠، والهمع ١٥٣/٢. والظرف المبهم هو ما كان صالحاً لكل بقعة ك: مكان، وناحية، وجهة، وجانب، وأمام، وخلف. المغني ص ٧٥٠.

(٢) أخرجه من طريق عون بن عبد الله عن ابن مسعود رضي الله عنه في أخبار مكة (٢٤٦٣)، وأخرجه من قول عون بن عبد الله الطبري ٩٤/١٠.

(٣) وقع من هذا الموضوع خرم في (ح) حتى آخر السورة.

(٤) أخرجه بنحوه أحمد (١٥٩٥٨)، والنسائي ٢١/٦، وابن جبان (٤٥٩٣) من حديث سيرة رضي الله عنه.

(٥) جاء في هامش (د) ما نصه: قال في التحرير: «ثم لآتينهم» قرأ الجمهور بالمد، وقرأ ابن محارب: «ثم لآتينهم» بغير مد، وهي لغة. انتهى.

والقراءة ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٤٢، وابن محارب هو مسلمة.

عتبية عكسُ هذا. وعنه: «وعن أيمانهم»: الحقُّ «وعن شمائلهم»: الباطل. وعنه أيضاً: «وعن أيمانهم»: الحسنات، «وعن شمائلهم»: السيئات.

وقال مجاهد: الأوَّلان حيث يُبصرون والآخِران حيث لا يُبصرون.

وقال أبو صالح: الأوَّلان الحقُّ والباطل، والآخِران الآخرة والدنيا^(١).

وقيل: الأوَّلان بفسحة الأمل وبنسيان الأجل، والآخِران فيما تيسرَ وفيما تعرَّسَ.

وقيل: الأوَّلان فيما بقي من أعمارهم فلا يطيعون، وفيما مضى منها فلا يندمون على معصية، والآخِران فيما ملكته أيمانهم فلا ينفقونه في معروف، ومن قِيل فقرهم فلا يمتنعون عن محذور^(٢).

وقال أبو عبد الله الرازي^(٣) حاكياً عمَّن سمَّاه هو حكماء الإسلام: «من بين أيديهم» القوة الخيالية، وهي تجمعُ مُثَلَّ المحسوسات وصورَها، وهي موضوعةٌ في البطن المقدم من الدماغ، «ومن خلفهم» القوة الوهمية، وهي تحكُّم في غير المحسوسات بالأحكام المناسبة للمحسوسات، وهي موضوعةٌ في البطن المؤخَّر من الدماغ، «وعن أيمانهم» قوة الشهوة، وهي موضوعةٌ في البطن الأيمن من القلب^(٤)، «وعن شمائلهم» قوة الغضب، وهي موضوعةٌ في البطن الأيسر من القلب، فهذه القوى الأربعة هي التي يتولَّد عنها أحوالٌ توجبُ زوالَ السعادة الروحانية، والشياطينُ الخارجةُ ما لم تشعر^(٥) بشيءٍ من هذه القوى الأربع لم تقدِرْ على إلقاء الوسوسة، فهذا هو السببُ في تعيين هذه الجهات الأربع، وهو وجهُ تحقيق^(٦). انتهى، وهو بعيدٌ من مناحي كلام العرب والمتشرِّعين.

(١) تنظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ٩٦/١٠-١٠٠، وزاد المسير ١٧٦/٣-١٧٧.

(٢) النكت والعيون ٢/٢٠٧، وزاد المسير ١٧٧/٣.

(٣) في تفسيره ٤١/١٤.

(٤) في تفسير الرازي: وهي موضوعة في الكبد، وهي من يمين البدن.

(٥) في تفسير الرازي: تستعن، وهو الأشبه.

(٦) في تفسير الرازي: وهو وجهٌ حقيقي شريف.

قال: وعلى هذا لم يحتج إلى ذكر العُلُوِّ والسُّفْلِ؛ لأنَّ هاتين الجهتين ليستا بمقرَّ شيءٍ من القُوَى المُفْسِدَةِ لمصالح السعادة الروحانية^(١). انتهى.

وقال ابن عباس: لم يقل: من فوقهم؛ لأن رحمة الله تنزلُ عليهم من فوقهم^(٢)، ولم يقل: من تحتهم؛ لأنَّ الإتيان من تحتهم فيه توحُّشٌ.

وقال الزمخشري^(٣): فإن قلت: كيف قيل: «من بين أيديهم ومن خلفهم» بحرف الابتداء، و«عن أيمانهم وعن شمائلهم» بحرف المجاوزة؟

قلت: المفعولُ فيه عدِّي إليه الفعلُ تعديته إلى المفعول به، فكما اختلفت حروفُ التعديّة في ذلك اختلفت في هذا، وكانت لغةً تُوَحِّدُ ولا تقاس، وإنما يفتشُ عن صحة موقعها فقط، فلَمَّا سمعناهم يقولون: جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله، قلنا: معنى «على يمينه» أنه تمكَّن من جهة اليمين تمكَّن المستعلي من المستعلَى عليه، ومعنى «عن يمينه» أنه جلس متجافياً عن صاحب اليمين منحرفاً عنه غير ملاصقٍ له، ثم كثر حتى استُعْمِلَ في المتجافي وغيره كما ذكرنا في تعال^(٤)، ونحوه من المفعول به قولهم: رميتُ عن القوس، وعلى القوس، ومن القوس، لأنَّ السهم يَبْعُدُ عنها وَيَسْتَعْلِيها إذا وُضِعَ على كبدها للرَّمي، وابتدئ الرمي منها. فكذلك قالوا: جلس بين يديه وخلفه، بمعنى «في»^(٥) لأنهما ظرفان للفعل، و: من بين يديه ومن خلفه، لأنَّ الفعل يقع في بعض الجهتين، كما تقول: جئتُه من الليل، تريد بعض الليل. انتهى، وهو كلامٌ لا بأسَ به.

(١) لم يرد بهذا السياق في تفسير الرازي، وإنما ورد فيه ٤٢/١٤ معناه دون لفظه.

(٢) أخرج هذه القطعة من الخبر دون ما بعدها الطبري ١٠١/١٠.

(٣) في الكشاف ٧١/٢.

(٤) قوله: تعال، تحرف في (أ) و(ب) و(د) و(ع) والمطبوع إلى: فعال. والمثبت من (د) و(ه)، وهو الموافق لما في الكشاف، وقد قال الزمخشري عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَكَّلُوا أَمْ أَنْتُمْ مَأْكُلُونَ مِمَّا كَرِهْتُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]: «تعال» من الخاص الذي صار عامًّا، وأصله أن يقوله من كان في مكان عالٍ لمن هو أسفل منه، ثم كثر وأتسع فيه حتى عمَّ.

(٥) في الكشاف: فيه.

وأقول: إنما خصَّ بين الأيدي والخلف بحرف الابتداء الذي هو أمكنُّ في الإتيان؛ لأنهما أغلبُ ما يجيءُ العدوُّ منهما فينالُ فرصته، وقدّم بين الأيدي على الخلف لأنها الجهة التي تدلُّ على إقدام العدوِّ وبسالته في مواجهة قرّنه غيرِ خائفٍ منه، والخلفُ جهة^(١) غَدْرٍ ومُخاتَلَةٍ وَجَهَالَةِ الْقَرْنِ بمن يغتاله ويتطلّبُ غرّته وغفلته.

وخصَّ الأيمان والشمائل بالحرف الذي يدلُّ على المجاوزة لأنهما ليستا بأغلبٍ ما يأتي منهما العدوُّ، وإنما يتجاوزُ إتيانه إلى الجهة التي هي أغلبُ في ذلك. وقدّمت الأيمان على الشمائل لأنها الجهة التي هي القويّة في ملاقاته العدوِّ، وبالأيمان البطشُ والدفعُ، فالقرن الذي يأتي من جهتها أيسلُّ وأشجعُ، إذ جاء من الجهة التي هي أقوى في الدّفع، والشمائلُ جهةٌ ليست في القوّة والدفع كالأيمان.

قال ابن عباس: «شاكرين» موحدين^(٢).

وعنه وعن غيره: مؤمنين؛ لأنَّ ابنَ آدم لا يشكرُ نعمة الله إلا بأنَّ يُؤمن^(٣).

وقال مقاتل: شاكرين لنعمتك^(٤).

وقال الحسن: ثابتين على طاعتك، ولا يشكركُ إلا القليلُ منهم.

وهذه الجملة المنفيّة يحتمل أن تكون داخلةً في حيز القسم معطوفةً على جوابه^(٥)، ويحتمل أن تكون استئناف إخبارٍ ليس مُقسماً عليه، أخبر أنَّ سعائته وإتيانه إياهم من جميع الوجوه يفعل ذلك.

وهل^(٦) هذا الإخبارُ منه كان على سبيل التظني؛ لقوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِيْلِسُ

ظَنَّهُ﴾ [سبأ: ٢٠] أو على سبيل العلم؟ قولان.

(١) في (أ) و(د) و(ع) والمطبوع: من جهة، والمثبت من (ب) و(د) و(ه)، وهو الموافق لما في الدر المصون ٢٦٩/٥ نقلًا عن المصنف.

(٢) أخرجه الطبري ١٠/١٠١.

(٣) المحرر الوجيز ٢/٣٨١.

(٤) زاد المسير ٣/١٧٧.

(٥) أي: «لأقعدن»، أقسم على جملتين مُثبتتين وأخرى منفية. الدر المصون ٥/٢٧٠.

(٦) قوله: وهل، تحرف في (أ) و(د) و(ع) والمطبوع إلى: وهو، وسقط من (ه) والمثبت من (ب) و(د) و(ه).

وسبيلُ العلم: إمَّا رُئيتهُ ذلك في اللوح المحفوظ، أو استفادتهُ من قوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبا: ١٣] أو من الملائكة بإخبارِ اللهِ لهم، أو بقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] أو بإغوائه آدمَ، وذريتهُ أضعفُ منه. أو يكونُ قُوى ابنِ آدمَ تسعةَ عَشَرَ قوَّةً، وهي: خمسُ حواسٍ ظاهرةً وخمسُ باطنةً، والشهوةُ، والغضبُ، وسبعُ سابقةٌ وهي: الجاذبةُ، والممسِكةُ، والهاضِمةُ، والدافِعةُ، والقاذِفةُ، والناميةُ، والمولدةُ، وكلُّها تدعو إلى عالمِ الجسم إلى اللذاتِ البدنية، والعقلُ قوَّةٌ واحدةٌ تدعو إلى عبادةِ الله، وتلك في أولِ الخلق، والعقلُ إذ ذاك ضعيفٌ^(١). أقوالٌ ستة.

﴿قَالَ أَخْرَجْنَا مِنْهَا مَذْمُومًا مَّنْحُورًا﴾ الجمهورُ على أنَّ الضميرَ عائِدٌ على الجنة، والخلافُ فيه كالخلافِ في «فاهبط منها». وهذه ثلاثُ أوامرٍ: أمرٌ بالهبوطِ مطلقاً، وأمرٌ بالخروجِ مُخْبِراً أنه ذو صغارٍ، وأمرٌ بالخروجِ مقيِّداً بالذمِّ والطرْدِ. وقال قتادة: «مذموماً»: لعيناً. وقال الكلبي: مَلُوماً. وقال مجاهد: مَنفياً. وقيل: ممقوتاً^(٢).

و«مدحوراً»: مبعداً من رحمةِ الله، أو: من الخير، أو: من الجنة، أو: من التوفيق، أو: من خواصِّ المؤمنين. أقوالٌ متقاربةٌ.

وقرأ الزهريُّ وأبو جعفر والأعمشُ: «مَذْمُومًا» بضمِ الذالِ من غيرِ همزٍ^(٣)، فَتَحْتَمِلُ هذه القراءةُ وجهين:

أحدهما وهو الأظهر: أن تكون من «ذام» المهموز، سهَّلَ الهمزةَ وحَدَفَهَا وَأَلْقَى حركتها على الذالِ.

(١) قوله: وتلك في أول الخلق... إلخ، جاء بدلاً منه في تفسير الرازي ٤٣/١٤ (والكلام فيه بنحوه): وتلك القوى التسعة عشر تكون في أول الخلقة قويةً، ويكون العقل ضعيفاً جداً، وهي بعد قوتها يَغْسُرُ جَعْلُهَا ضَعِيفَةً مَرْجُوحَةً، فلما كان الأمرُ كذلك لَزِمَ القَطْعُ بأنَّ أكثر الخلق يكونون طالبين لهذه اللذات الجسمانية، مُعْرِضِينَ عن معرفةِ الحقِّ ومحبَّتهِ، فلهذا السبب قال: «ولا تجد أكثرهم شاكرين».

(٢) تفسير الطبري ١٠٢/١٠-١٠٣، والنكت والعيون ٢/٢٠٨.

(٣) القراءات الشاذة ص ٤٢، والمحتسب ١/٢٤٣، والمحزر الوجيز ٢/٣٨١.

والثاني: أن يكون من «ذام» غير المهموز يذيم، ك: باع يبيع، فأبدل الواو بياء، كما قالوا في مكييل: مكول.

وانتصب «مدحوراً» على أنه حال ثانية على من جوز ذلك، أو حال من الضمير في «مذووماً»، أو صفة لقوله «مذووماً».

﴿لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٧١﴾ قرأ الجمهور: «لمن» بفتح اللام، والظاهر أنها اللام الموطئة للقسم، و«من» شرطية في موضع رفع على الابتداء، وجواب الشرط محذوف يدل عليه جواب القسم المحذوف قبل اللام الموطئة.

ويجوز أن تكون اللام لام الابتداء، و«من» موصولة، و«لأملأن» جواب قسم محذوف بعد «من تبعك»، وذلك القسم المحذوف وجوابه في موضع خبر «من» الموصولة.

وقرأ الجحدري، وعصمة عن أبي بكر عن عاصم: «لمن تبعك منهم» بكسر اللام^(١)، واختلفوا في تخريجها:

فقال ابن عطية^(٢): المعنى: لأجل من تبعك منهم لأملأن. انتهى، فظاهر هذا التقدير أن اللام تتعلق بـ«لأملأن»، ويمتنع ذلك على قول الجمهور أن ما بعد لام القسم لا يعمل فيما قبله.

وقال الزمخشري^(٣): بمعنى: لمن تبعك منهم الوعيد، وهو قوله: «لأملأن» جهنم منكم أجمعين» على أن «لأملأن» في محل الابتداء و«لمن تبعك» خبره. انتهى، فإن أراد ظاهر كلامه فهو خطأ على مذهب البصريين، لأن قوله: «لأملأن» جملة هي جواب قسم محذوف، فمن حيث كونها جملة فقط لا يجوز أن تكون مبتدأة، ومن حيث كونها جواباً للقسم المحذوف^(٤) يمتنع أيضاً؛ لأنها إذ ذاك من هذه الحثية لا موضع لها من الإعراب، ومن حيث كونها مبتدأة لها موضع من

(١) القراءات الشاذة ص ٤٢، والكشاف ٧١/٢، والمحرر الوجيز ٣٨٢/٢.

(٢) في المحرر ٣٨٢/٢.

(٣) في الكشاف ٧١/٢.

(٤) قوله: المحذوف، ساقط من المطبوع.

الإعراب، ولا يجوز أن تكون الجملة لها موضعٌ ولا موضعٌ لها بحالٍ؛ لأنه يلزم أن تكون في موضع رفع لا في موضع رفع، داخلاً عليها عاملٌ غير داخِلٍ عليها عاملٌ، وذلك لا يُتصوَرُ^(١).

وقال أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن الرازي: اللام متعلّقة من الذأم والدحر، ومعناه: اخرج بهاتين الصفتين لأجل أتباعك. ذكّر ذلك في كتاب «اللوامح في شواذّ القراءات».

ومعنى «منكم»: منك وممن تبعك، فغلب الخطاب على الغيبة، كما تقول: أنت وإخوتك أكرّمكم.

﴿وَيَتَادَمُ أَسْكَنُ أَنْتَ وَرَوْحِكَ الْجَنَّةَ فَكَلَّا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمْ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(١٩) أي: وقلنا: يا آدم، وتقدّم تفسير هذه الآية في «البقرة»، إلا أن هنا «فكلاً من حيث شئتما» وفي «البقرة»: ﴿وَكَلَّا مِنْهَا رَعْدًا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ [الآية: ٣٥] فالواو جاءت^(٢) على أحد محامليها، وهو أن يكون الثاني بعد الأول^(٣). وحذف «رعداً» هنا على سبيل الاختصار وأثبت هناك؛ لأنّ تلك مدنيّة وهذه مكية، فوُفّي المعنى هناك باللفظ.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾^(٢٠) أي: فعَلّ الوسوسة لأجلهما،

(١) تعقب هذا الكلام السمين في الدر ٢/٢٧٤-٢٧٥ بأنه بعد أن قال الزمخشري: بمعنى: لمن تبعك الوعيد، وهو «لأملأن». كيف يحسن أن يُتردّد بعد ذلك فيقال: إن أراد ظاهر كلامه؟! كيف يريد مع التصريح بتأويله هو بنفسه؟ وأما قول الزمخشري: على أن «لأملأن» في محل الابتداء. فإنما قاله لأنه دالٌّ على «الوعيد» الذي هو في محل الابتداء، فنسب إلى الدالّ ما يُنسب إلى المدلول من جهة المعنى.

وأيضاً قول أبي حيان: ومن حيث كونها جواباً للقسم المحذوف... إلخ، كلامٌ متحمّل على الزمخشري؛ لأنه إنما يريد الجملة القسمية برمتها، فاستغنى عنها بذكر الملفوظ به منها وهو «لأملأن»... وينظر تمة كلامه ثمة.

(٢) في (أ) و(١د) و(ع) والمطبوع: قالوا وجاءت، وهو تصحيف. وينظر التعليق الذي بعده.

(٣) أي: أن الفاء في قوله: «فكلاً» جاءت لبيان أنّ ما في البقرة من قوله: «وكلاً» كان جمعاً مع الترتيب؛ لأن الواو تفيد الجمع المطلق، بينما الفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب. ينظر تفسير الرازي ١٤/٤٥، وتفسير أبي السعود ٣/٢٢٠.

وأما قوله: ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ﴾ [طه: ١٢٠] فمعناه: ألقى الوسوسة إليه.

قال الحسن: وصلت وسوسته لهما في الجنة - وهو في الأرض - بالقوة التي خلقها الله له^(١). قال ابن عطية^(٢): وهذا قولٌ ضعيفٌ يرده لفظ القرآن.

وقيل: كان في السماء وكانا يخرجان إليه.

وقيل: من باب الجنة وهما فيها^(٣).

وقيل: كان يدخل إليهما في فم الحية.

وقال الكرمانى: ألهمهما. وقال ابن القشيري: أورد عليهما الخواطر المزيئة.

وهذان القولان يخالفان ظاهر القرآن؛ لأن ظاهره يدل على قولٍ ومحاورةٍ وقسمٍ.

والظاهر أن اللام لام «كي»، قصد إبداء سوءاتهما، وتحنط مرتبتهما بذلك، ويسوؤهما بكشف ما ينبغي ستره، ولا يجتنبان نهى الله، فيكون هو وهما سواء في المخالفة: هو أمر بالسجود فأبى، وهما نهياً فلم ينتهيا.

وقال قوم: إنها لام الصيرورة؛ لأنه لم يكن له علم بهذه العقوبة المخصوصة فيقصدها.

قال الزمخشري: وفيه دليل على أن كشف العورة من عظام الأمور، وأنه لم

يزل مستهجنًا في الطباع مستقبلاً في العقول^(٤). انتهى، وهو على مذهبه الاعتزالي في أن العقل يُقبح ويحسن.

والظاهر أنه يراد مدلول سوءاتهما نفسيهما وهما القرع والدُّبر؛ قيل: وكانا

لا يريانها قبل أكل الشجرة، فلما أكلا بدتا لهما.

وقيل: لم يكن كل واحد يرى سوءة صاحبه.

وقال قتادة: كنى بسوءاتهما عن جميع بدنهما، وذكر السوء لأنها أقبح ما يظهر

من بني آدم.

(١) تفسير الرازي ٤٦/١٤، وفيه: جعلها، بدل: خلقها.

(٢) في المحرر الوجيز ٣٨٤/٢، وقد ذكر قول الحسن بنحوه ودون نسبة.

(٣) في (أ) و(د) و(ع) والمطبوع: بها.

(٤) الكشاف ٧١/٢.

وقرأ الجمهور: «وُوري». وقرأ عبد الله: «أُوري» بإبدال الواو همزة^(١)، وهو بدلٌ جائزٌ. وقرأ ابنُ وثَّاب: «ما وُري» بواوٍ مضمومةٍ من غيرِ واوٍ بعدها^(٢)، على وزن: كُسي.

وقرأ مجاهد والحسن: «مِن سَوَّتهما» بالإفراد وتسهيلِ الهمزة بإبدالها واواً، وإدغامِ الواو فيها. وقرأ الحسن أيضاً، وأبو جعفر بنُ القَعْقَاع، وشيبةُ بنُ نِصَّاح: «من سَوَّاتهما» بتسهيلِ الهمزة وتشديدِ الواو. وقرئ: «من سَوَّاتهما» بواوٍ واحدةٍ وحذفِ الهمزة^(٣)، ووجهُه أنه حَذَفَهَا وألْقَى حَرَكَتَهَا على الواو.

فَمَنْ قرأ بالجمع فهو مِن وَضَعِ الجَمْعِ مَوْضِعَ التَّثْنِيَةِ كراهةً اجْتِمَاعَ تَثْنِيَتَيْنِ^(٤)، وَمَنْ قرأ بالإفراد فَمِنْ وَضَعِهِ مَوْضِعَ التَّثْنِيَةِ. ويحتملُ أن يكونَ الجَمْعُ على أصلِ وضعه باعتبارِ أنَّ كلَّ عورةٍ هي الدُّبْرُ والفَرْجُ، وذلك أربعةٌ، فهي جمعٌ.

و«إلا أن تكونا مَلَكين» استثناءٌ مفرَّغٌ من المفعول من أَجْلِهِ، أي: ما نهاكما رُبُّكما لشيءٍ إلا كراهةً أن تكونا مَلَكين، ويقدره الكوفيون: إلا أن لا^(٥) تكونا. وإضمارُ الاسمِ وهو «كراهة» أحسنُ من إضمارِ الحرفِ وهو «لا».

وقال الزمخشريُّ: وفيه دليلٌ على أنَّ الملائكةَ بالمنظرِ الأعلى، وأنَّ البشرية تَلْمَحُ مرتبتها^(٦). انتهى

وقال ابنُ فُورَك: لا حجةَ في هذه الآيةِ على أنَّ الملائكةَ أفضلُ من البشر؛ لأنه يحتملُ أن يريد: ملكين في أن لا يكون لهما شهوةٌ في طعام^(٧). انتهى.

(١) الكشاف ٧٢/٢.

(٢) القراءات الشاذة ص ٤٢، والمحرر الوجيز ٣٨٤/٢.

(٣) تنظر هذه القراءات في القراءات الشاذة ص ٤٢، والمحسب ٢٤٣/١، والمحرر الوجيز ٣٨٤/٢، والإملاء ٢٧٠/١.

(٤) في المطبوع: مثلين.

(٥) قوله: لا، ساقط من (ب) والمطبوع.

(٦) الكشاف ٧٢/٢، وجاء في مطبوعه: الملكية، بدل: الملائكة.

(٧) المحرر الوجيز ٣٨٥/٢.

وقرأ ابن عباس، والحسن بن علي، والضحاك، ويحيى بن أبي كثير،
والزُّهري، وابن حكيم عن ابن كثير: «مَلِكَيْن» بكسر اللام^(٢)، ويدلُّ لهذه القراءة:
﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ [طه: ١٢٠].

و«من الخالدين»: من الذين لا يموتون، ويَبْقُونَ في الجنة ساكنين.

﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ لم يَكْتَفِ إبليسُ بالوسوسة - وهو الإلقاء
في خفية سراراً^(٣) - ولا بالقول، حتى أَقْسَمَ على أنه ناصحٌ لهما. والمقاسمة مفاعلةٌ
تقتضي المشاركة في الفعل، فتُقْسِمُ لصاحبك وتُقْسِمُ لك، تقول: قَاسَمْتُ فلاناً:
حالفته، وتَقَاسَمَا: تَحَالَفَا. وأمَّا هنا فمعنى «وقاسمهما»: أقسم لهما؛ لأنَّ اليمين
لم يشاركاه فيها، وهو كقول الشاعر:

وقَاسَمَهَا بالله جَهْدًا لأنتم ألدُّ من السَّلْوَى إذا ما نَشُورُهَا^(٤)
وفاعلٌ قد يأتي بمعنى أفعل، نحو: باعدتُ الشيء وأبعدهتُه.

وقال ابن عطية: «وقاسمهما»، أي: حلف لهما، وهي مفاعلةٌ؛ إذ قبولُ
المحلوِّ له وإقباله على معنى اليمين كالتقسيم وتقريره، وإن كان بادي الرأي يُعْطِي
أنها من واحدٍ^(٥).

وقال الزمخشري: كأنه قال لهما: أقسم لكما إني لمن الناصحين، وقال له:
أنتقسيم بالله إنك لمن الناصحين، فجعل ذلك مقاسمةً بينهم، أو أقسم لهما بالنصيحة

(١) قوله: أبي، ساقط من المطبوع.

(٢) ينظر القراءات الشاذة ص ٤٢، والمححر الوجيز ٢/٣٨٥، وزاد المسير ٣/١٧٩. وقوله:
وابن حكيم عن ابن كثير، فيه نظر، فقد أخرجها الطبري ١٠٨/١٠ من طريق يعلى بن حكيم
عن يحيى بن أبي كثير، فحصل في كلام المصنف أيضاً تكرار، ولعل سببه اختلاف
المصدر، فقد ذكرها ابن عطية عن ابن عباس والضحاك ويحيى بن أبي كثير، ووقع في زاد
المسير: يعلى بن حكيم عن ابن كثير. وكلاهما من مصادر المصنف.

(٣) في (يه): مراراً، وفي المطبوع: سرا.

(٤) البيت لخالد بن زهير الهذلي ابن أخت أبي ذؤيب، وهو في ديوان الهذليين ١/١٥٨.
السلوى: العسل. ونشورها: نجتنيها.

(٥) المححر الوجيز ٢/٣٨٥. وقوله: يعطي، تحرف في المطبوع إلى: يعني.

وأقسما له بقبولها، أو أُخْرِجَ قَسْمُ إِبْلِيسَ عَلَى وَزْنِ الْمَفَاعَلَةِ لِأَنَّهُ اجْتَهَدَ فِيهَا اجْتِهَادَ الْمُقَاسِمِ^(١). انتهى

وقُرى: «وَقَاسَمَهُمَا بِاللَّهِ»^(٢).

و«لكما» متعلقٌ بمحذوفٍ تقديره: ناصحٌ لكما، أو: أعني، أو ب«الناصحين» على أن «أل» موصولةٌ، وتُسومحُ في الظرف والمجرور ما لا يُتسامحُ في غيرهما، أو على أن «أل» لتعريفِ الجنس لا موصولةٌ. أوجهٌ مقولةٌ^(٣).

﴿فَدَلَّلْنَاهُمَا بِعُرْوَةٍ﴾ أي: استنزَلَهُمَا إِلَى الْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ بِغُرُورِهِ، أي: بخداعه إياهما، وإظهارِ النَّصْحِ، وإِطْطَانِ الْغَشِّ، وإِطْمَاعِهِمَا أَنْ يَكُونَا مَلَكَينَ أَوْ خَالِدِينَ، وبإقسامه أنه ناصحٌ لهما، جُعِلَ مَنْ يَغْتَرُّ بِالْكَلَامِ حَتَّى يَصْدُقَ فَيَقَعُ فِي مَصِيبَةٍ كَالَّذِي^(٤) يَدُلُّ مِنْ عَلْوٍ إِلَى أَسْفَلٍ بِحَبْلِ ضَعِيفٍ فَيَنْقَطِعُ بِهِ فِيهِلِكَ.

وقال الأزهري: لهذه الكلمة أصلان:

أحدهما: أَنَّ الرَّجُلَ يُدْلِي دَلْوَهُ فِي الْبُئْرِ لِيَأْخُذَ الْمَاءَ فَلَا يَجِدُ فِيهَا مَاءً، وَضَعَتِ التَّدْلِيَةُ مَوْضِعَ الطَّمَعِ فِيمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ، فيقال: دَلَّاهُ، أي: أَطْمَعَهُ.

الثاني: جَرَّاهُمَا عَلَى أَكْلِ الشَّجَرَةِ، وَالْأَصْلُ فِيهِ: دَلَّلَهُمَا مِنَ الدَّالِّ وَالذَّالَّةِ وَهُمَا الْجَرَّاءُ^(٥). انتهى، فأبدل من المضاعفِ الأخيرِ حرفَ عِلَّةٍ، كما قالوا: تَطَنَّنْتُ، وأصله: تَطَنَّنْتُ.

ومن كلام بعض العلماء: خَدَعَ الشَّيْطَانُ آدَمَ فَانْخَدَعَ، وَنَحْنُ مَنْ خَدَعَنَا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْخَدَعْنَا لَهُ. وَرُوي نَحْوُهُ عَنْ قَتَادَةَ وَعَنْ ابْنِ عَمْرٍو^(٦).

﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾ أي: وَجَدَا طَعْمَهَا آكَلَيْنِ مِنْهَا، كما قال

(١) الكشاف ٧٣/٢.

(٢) المحرر الوجيز ٣٨٥/٢.

(٣) في (يه): مقبولة.

(٤) في النسخ والمطبوع: بالذي، والمثبت من النهر على هامش البحر ٢٧٩/٤.

(٥) تهذيب اللغة ١٧٢/١٤ بنحوه، وتفسير الرازي ٤٩/١٤، وعنه نقل المصنف.

(٦) أخرجه عن قتادة الطبري ١٠٩/١٠-١١٠، وعن ابن عمر ابن سعد في الطبقات ١٥٦/٤، وأبو نعيم في الحلية ٢٩٤/١، وينظر المحرر الوجيز ٣٨٥/٢، والكشاف ٧٣/٢.

تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾ [طه: ١٢١] وتطايرت عنهما ملابس الجنة فظهرت لهما عوراتهما، وتقدّم أنهما كانا قبل ذلك لا يريانها من أنفسهما، ولا أحدهما من الآخر.

وقال ابن عباس وقتادة وابن جبير: كان عليهما ظفر كاس، فلما أكلا تقلص^(١) عنهما فبدت سوءاتهما، وبقي منه على الأصابع قدر ما يتذكران به المخالفة فيجددان الندم^(٢).

وقال وهب بن منبه: كان عليهما نور يستر عورة كل واحد منهما، فانقشع بالأكل ذلك النور^(٣).

وقيل: كان عليهما نور فنقص وتجسّد منه شيء في أظفار اليدين والرجلين تذكراً لهما ليستغفرا في كل وقت وأبناؤهما بعدهما، كما جرى لأويس القرني^(٤) حين أذهب الله عنه البرص إلا لمعة أبقاها ليتذكر نعمه فيشكر.

وقال قوم: لم يقصد بالسوءة العورة، والمعنى: انكشف لهما معايشهما وما يسوؤهما. وهذا القول ينبو عنه دلالة اللفظ ويخالف قول الجمهور.

وقيل: أكلت حواء أول فلم يصبها شيء، ثم آدم فكان البُدؤ.

﴿وَطَافًا يَخِيفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ أي: جعلاً يلصقان عليهما من ورق الجنة^(٥)، أي: جعلاً يلصقان ورقة على ورقه ويلصقانها، بعدما كانت كسأهما حلل الجنة ظلاً يستتران بالورق، كما قيل:

(١) في (أ) و(د) و(ع) والمطبوع: تبلس، وفي (ب) و(د) و(ه): تقلس، والمثبت من المصدر على ما يأتي.

(٢) المحرر الوجيز ٢/٣٨٦ ولم يذكر ابن جبير، وينظر ما روي عن ابن عباس وقتادة في تفسير الطبري ١٠/١١١ و١١٣، وتفسير ابن أبي حاتم ٥/١٤٥٢ و١٤٥٩، وهي روايات واهية، وينظر الكلام عليها في حاشية تفسير الطبري (تحقيق أحمد شاكر) ١٢/٣٥٣ و٣٥٤، وحاشية القرطبي ٩/١٧٩.

(٣) أخرجه الطبري ١٠/١١٤.

(٤) أخرج حديثه مسلم (٢٥٤٢) عن عمر رضي الله عنه.

(٥) قوله: أي جعلاً يلصقان... من (د)، وليس في باقي النسخ.

لِلَّهِ دَرَهُمْ مِنْ فِتْيَةٍ بَكَرُوا مِثْلَ الْمَلُوكِ وَرَاحُوا كَالْمَسَاكِينِ^(١)

والأولى أن يعود الضمير في «عليهما» على عورتيهما، كأنه قيل: يخصفان على سوءاتهما من ورق الجنة، وعاد بضمير الاثنين لأن الجمع يراد به اثنان، ولا يجوز أن يعود الضمير على آدم وحواء لأنه تقرر في علم العربية أنه لا يتعدى فعل الظاهر والمضمَر المتصل إلى المضمَر المتصل المنصوب لفظاً أو محلاً في غير باب ظن وفقد وعلم ووجد، لا يجوز: زيد ضربته، ولا: ضربته زيد، ولا: زيد مر به، ولا: مر به^(٢) زيد، فلو جعلنا الضمير في «عليهما» عائداً على آدم وحواء للزم من ذلك تعدّي «يخصف» إلى الضمير المنصوب محلاً وقد رفع الضمير المتصل وهو الألف في «يخصفان»، فإن أخذ ذلك على حذف مضافٍ مرادٍ جاز ذلك، وتقديره: يخصفان على بدنيهما.

قال ابن عباس: الورق الذي خصفا منه ورق الزيتون^(٣).

وقيل: ورق شجر التين^(٤).

وقيل: ورق الموز.

ولم يثبت تعيينها لا في القرآن ولا في حديث صحيح.

وقرأ أبو السَّمَال: «وطفقاً» بفتح الفاء^(٥).

وقرأ الزهري: «يُخَصِّفَان» من أَخَصَفَ^(٦)، فيحتمل أن يكون أفعَلَ بمعنى فَعَلَ، ويحتمل أن تكون الهمزة للتعدية من خَصَفَ، أي: يَخَصِّفَان أنفسهما.

وقرأ الحسن والأعرج ومجاهد وابن وثاب: «يَخَصِّفَان» بفتح الياء وكسر الخاء

(١) سلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]

(٢) قوله: ولا مر به، ساقط من المطبوع.

(٣) لم نقف عليه.

(٤) أخرجه الطبري ١١٣/١٠ عن ابن عباس.

(٥) القراءات الشاذة ص ٤٢.

(٦) المحتسب ٢٤٥/١، والمحزر الوجيز ٣٨٦/٢، والكشاف ٧٣/٢. ووقع ضبطها في مطبوع

القراءات الشاذة ص ٤٢: «يَخَصِّفَان»، وسترده هكذا قريباً عن الحسن.

والصَادِ وشَدَّهَا. وقرأ الحسن فيما رَوَى عنه محبوبٌ كذلك إلا أنه فَتَحَ الخاءَ، ورُوِيَ عن ابنِ بُريدةٍ وعن يعقوب. وقرئ: «يُخَصِّفَان» بالتشديد من خَصَّفَ على وزن فَعَلَ^(١) وقرأ عبد الله بن يزيد: «يُخَصِّفَان» بضم الياء والحاء وتشديد الصَادِ وكَسَرِهَا. وتقريرُ هذه القراءات في علم العربية.

﴿وَنَادَيْتُمَا رَهْمًا أَرَأَيْتُمْ أَنَّى كُنْتُمَا عَنْ يَلْكُمَا الشَّجَرَةَ وَأَقَلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٢)
 لَمَّا كَانَ وَقْتُ الْهِنَاءِ شُرِّفَ بِالتَّصْرِيحِ بِاسْمِهِ فِي النِّدَاءِ فَقِيلَ: «وَيَا آدَمَ اسْكُنْ»، وَحِينَ كَانَ وَقْتُ الْعِتَابِ أَخْبِرَ أَنَّهُ نَادَاهُ وَلَمْ يَصْرَحْ بِاسْمِهِ. وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ تَعَالَى كَلِمَهُمَا بِلَا وَاسِطَةٍ، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ كَلَّمَ آدَمَ مَا فِي «تَارِيخِ ابْنِ أَبِي خَيْشَمَةَ»^(٣) أَنَّهُ ﷺ سُئِلَ عَنِ آدَمَ فَقَالَ: «نَبِيُّ مَكَلَّمٍ».

وقال الجمهور: إنَّ النِّدَاءَ كَانَ بِوِاسِطَةِ الْوَحْيِ. وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّ مُوسَى ﷺ هُوَ الَّذِي خُصَّ مِنْ بَيْنِ الْعَالَمِ بِالْكَلامِ، وَفِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ لَهُ: «أَنْتَ الَّذِي خَصَّكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ»^(٣).

وقد يقال: إنه خَصَّهُ بِكَلَامِهِ وَهُوَ فِي الْأَرْضِ، وَأَمَّا آدَمُ فَكَانَ ذَلِكَ لَهُ فِي الْجَنَّةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ لَنَا فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] أَنَّ مِنْهُمْ مُحَمَّدًا ﷺ كَلَّمَهُ اللَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وَلَمْ يَكَلِّمَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيَكُونُ مُوسَى ﷺ مَخْتَصًّا بِكَلَامِهِ فِي الْأَرْضِ.

وقيل: النِّدَاءُ لِآدَمَ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَلَمْ يُرَوْ قَطُّ أَنَّ اللَّهَ كَلَّمَ حَوَاءَ. وَالنِّدَاءُ هُوَ دَعَاءُ الشَّخْصِ بِاسْمِهِ الْعَلَمِ، أَوْ بِنَوْعِهِ، أَوْ بِوَضْفِهِ، وَلَمْ يَصْرَحْ هُنَا بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ. وَالْجُمْلَةُ مَعْمُولَةٌ لِقَوْلٍ مَحذُوفٍ، أَي: قَائِلًا: أَلَمْ أَنهَكُمَا، وَهُوَ اسْتِفْهَامٌ مَعْنَاهُ الْعِتَابُ عَلَى مَا صَدَرَ مِنْهُمَا وَالتَّنْبِيهُ عَلَى مَوْضِعِ الْغَفْلَةِ.

(١) المحرر الوجيز ٢/٣٨٦، والقراءة الأخيرة عزاها ابن عطية لعبد الله بن بريدة، وهي عنه في القراءات الشاذة ص ٤٢.

(٢) في الورقة الأولى منه، كما في المحرر الوجيز ٢/٣٨٦، وسلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وإسناده ضعيف جداً.

(٣) أخرجه بنحوه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وذكره بلفظ المصنف ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٣٨٦.

وفي قوله: «ألم أنهكما عن تلكما الشجرة» «ولا تقربا هذه الشجرة» إشارة لطيفة، حيث كان مباحاً له الأكل قاراً ساكناً أشير إلى الشجرة باللفظ الدال على القرب والتمكّن من الأشجار، فقيل: «ولا تقربا هذه الشجرة»، وحيث كان تعاطى مخالفة النهي وقرب إخراجها من الجنة واضطراب حاله فيها وفر على وجهه فيها، قيل: «ألم أنهكما عن تلكما» فأشير إلى الشجرة باللفظ الدال على البعد والإنذار بالخروج منها.

و«أقل لكما» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه: ١١٧] وهذا هو العهد الذي نسيه آدم على مذهب من يحول النسيان على بابه

قال ابن عباس: بين العداوة حيث أبى السجود وقال: «الأعدن لهم صراطك المستقيم»^(١).

رُوي أنه تعالى قال لآدم: ألم يكن لك فيما منحك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة. فقال: بلى وعزتك، ولكن ما ظننت أن أحداً من خلقك يحلف كاذباً. قال: فوعزتي لأهبطنك إلى الأرض ثم لا تنال إلا كذاً. فأهبط، وعلم صنعة الحديد، وأمر بالحرث، فحرث وسقى وحصد ودرس وذرى وعجن وخبز^(٢).

وقرأ أبي: «ألم تتهيا عن تلكما الشجرة وقيل لكما»^(٣).

﴿قَالَ رَبَّنَا طَلَعْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّز تَفْعِرَ لَنَا وَرَتَحَمْنَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ قال الزمخشري: وسماً ذنبهما - وإن كان صغيراً مغفوراً - ظلماً وقالوا: «لنكونن من الخاسرين» على عادة الأولياء والصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات^(٤).

(١) تفسير الرازي ٥٠/١٤.

(٢) قطعة من خبر طويل أخرجه الطبري ١١١/١٠-١١٢ عن ابن عباس رضي الله عنه موقوفاً، وفي إسناده الحسن بن عمار الكوفي، قال عنه أحمد: متروك، وقال ابن معين: ليس حديثه بشيء. وذهب ابن المديني إلى أنه كان يضع الحديث. ينظر الميزان ٤٦٩/١.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢٩٢/١، والمحرم الوجيز ٣٨٧/٢.

(٤) الكشاف ٧٣/٢.

وقال ابن عطية: اعتراف من آدم وحواء عليهما السلام، وطلب للتوبة والسُّتْرِ والتغْمُدِ بالرحمة، فطلب آدم هذا وطلب إبليس النَّظْرَةَ ولم يطلب التوبة فوُكِّلَ إلى رأيه، قال الضحاك: هذه الآية هي الكلمات التي تلقى آدم من ربه ^(١).

وقيل: سَعَدَ آدمُ بخمسة أشياء: اعترف بالمخالفة، وندم عليها، ولام نفسه، وسارع إلى التوبة، ولم يقنط من الرحمة. وشقي إبليس بخمسة أشياء: لم يقر بالذنب، ولم يندم، ولم يكلم نفسه، بل أضاف إلى ربه الغواية، وقنط من الرحمة.

«ولنكوننَّ» جواب قسم محذوف قبل «إن»، كقوله: «وإن لَذَّ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لِيَمْسَنَنَّ» [المائدة: ٧٣] التقدير: والله إن لم يغفر لنا، وأكثر ما تأتي «إن» هذه ولام التوطئة قبلها، كقوله: «لَئِنْ لَمْ يَنْدُكْ» ثم قال «لَنْغَرِيَنَّكَ بِهِمْ» [الأحزاب: ٦٠].

«قَالَ أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِنَّ حِينِ ﴿١٤﴾ تَقَدَّمَ تفسير مثل هذا في «البقرة» ^(٢).

«قَالَ فِيهَا حَيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنهَا تُخْرَجُونَ ﴿١٥﴾» هذا كالتفسير لقوله: «ولكم في الأرض مستقرٌّ ومتاعٌ إلى حين» أي: بالحياة إلى حين الموت، ولذلك جاء «قال» بغير واو العطف؛ إذ الأكثر في لسان العرب إذا لم تكن الجملة تفسيرية أو كالتفسيرية أن تُعطف على الجملة قبلها، فتقول: قال فلانٌ كذا وقال كذا، وتقول: زيدٌ قائمٌ وعمروٌ قاعدٌ، ويقلُّ في كلامهم: قال فلانٌ كذا قال كذا، وكذلك يقلُّ: زيدٌ قائمٌ وعمروٌ قاعدٌ، وهنا جاء «قال اهبطوا - الآية - قال فيها تحيون» لما كانت كالتفسير لما قبلها، وتمم هنا المقصود بالتنبيه على البعث والنشور بقوله: «ومنها تخرجون»، أي: إلى المُجازاة بالثواب والعقاب، وهذا كقوله: «مِنهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى» [طه: ٥٥].

وقرأ الأخوان وابنُ ذكوان: «تُخْرَجُونَ» مبنياً للفاعل هنا وفي «الجاثية» و«الزخرف» وأول «الروم»، وعن ابن ذكوان في أول «الروم» خلافٌ، وقرأ باقي السبعة مبنياً للمفعول ^(٣).

(١) المحرر الوجيز ٣٨٧/٢.

(٢) الآية (٣٦). وكلمة «مثل» من (ب)، وليست في باقي النسخ والمطبوع.

(٣) ينظر السبعة ص ٢٧٩ و ٥٨٥، والتيسير ص ١٠٩ و ١٧٥. والأخوان هما حمزة والكسائي.

﴿بَنِيَّ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُوْرِي سَوْءَ تَكْمٌ وَرِيثًا وَلِبَاسُ الْقَوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنه تعالى لما ذكر قصة آدم وفيها سترُ السَّوءات، وجعلَ له في الأرض مستقرًا ومتاعاً إلى حين^(١)، ذكر ما امتنَّ به على بنيهِ وما أنعم به عليهم من اللباس الذي يوارى السَّوءات والرياش الذي يمكن به استقرارهم في الأرض واستمتاعهم بما حوَّلهم.

وقال مجاهد: نزلت هذه الآية والثلاث بعدها فيمن كان من العرب يتعرَّى في طوافه بالبيت^(٢).

وذكر النقَّاشُ أنها كانت عادةً ثقيف، وخُزاعة، وبني عامر بنِ صَعَصعة، وبني مُدْلِج، والحارثِ وعامرِ ابني عبدِ مَناةَ نساءهم ورجالهم^(٣).

و«أنزلنا» قيل: على حقيقته من الانحطاط من عُلوِّ إلى سفلي، فأنزل مع آدم وحواء شيئاً من اللباس مثلاً لغيره، ثم توسَّع بنوهما في الصنعة استنباطاً من ذلك المثال. أو أنزل من السماء أصل كلِّ شيءٍ عند إهباطهما. أو أنزل معه الحديد فأتخذ منه آلات الصنائع. أو أنزل الملكَ فعلم آدم النَّسج. أربعة أقوال.

وقيل: الإنزال مجازٌ من إطلاق السَّبب على مُسبِّبه، فأنزل المطر وهو سبب ما يتهيأ منه اللباس. أو بمعنى: خَلَق، كقوله: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمِينَةَ آزَوِجٍ﴾ [الزمر: ٦]. أو بمعنى ألهم.

وقال الزمخشري: جعلَ ما في الأرض مُنزَلاً من السماء لأنه قُضِيَ ثَمَّ وَكُتِبَ، ومنه: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمِينَةَ آزَوِجٍ﴾^(٤).

وقال ابنُ عطية^(٥): «أنزلنا» يحتملُ أن يريدَ التدرِيج، أي: لما أنزل المطر فكان عنه جميعُ ما يُلبَس قال عن اللباس: «أنزلنا»، وهذا نحو قولِ الشاعر يصف مطراً:

(١) قوله: إلى حين، من (ب).

(٢) أخرجه الطبري ١٠/١٢٠.

(٣) المحرر الوجيز ٢/٣٨٨، وكلمة: مَناة، تحرفت في مطبوعه إلى: مناف.

(٤) الكشاف ٢/٧٤.

(٥) في المحرر الوجيز ٢/٣٨٨.

أقبل في المستن من سحابه أسنمة الأبالي في ربابه^(١)

أي: بالمال، ويحتمل أن يريد: خلّقنا، فجاءت العبارة بـ«أنزلنا»، كقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥] وقوله: ﴿وَأَنْزَلْ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ﴾ وأيضاً فخلق الله وأفعاله إنما هي من علو في القدر والمنزلة. انتهى.

واللباس يعم جميع ما يُلبس ويستتر، والريش عبارة عن سعة الرزق ورفاهية العيش ووجود اللبس والتمتع.

وأكثر أهل اللغة على أن الريش ما يستتر من لباس أو معيشة، وقال قوم: الأثاث^(٢).

وقال ابن عباس والسدي ومجاهد: المال. وقال ابن زيد: الجمال^(٣).

وقال الزمخشري^(٤): لباس الزينة؛ استعير من ريش الطائر لأنه لباسه وزينته، أي: أنزلنا عليكم لباسين: لباساً يوارى سوءاتكم، ولباساً يزينكم؛ لأنّ الزينة غرض صحيح، كما قال تعالى: ﴿لِتَرْكُوبَهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: ٨] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ [النحل: ٦] انتهى، وعطف الريش على «لباساً» يقتضي المغايرة وأنه قسيم للباس لا قسيم منه.

وقرأ عثمان وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسلمي وعلي بن الحسين وابنه زيد وأبو رجاء وزر بن حبيش، وعاصم في رواية، وأبو عمرو في رواية «وريشاً»^(٥)، فقليل: هما مصدران بمعنى واحد؛ رآه الله يريشه ريشاً وریشاً: أنعم عليه.

(١) كذا وقعت رواية الرجز في المحرر الوجيز، وجاء في الكامل للمبرد ٩٩٤/٢، والفائق للزمخشري ٢٧٩/٢ بالعكس، أي: ذكّر الرباب في الأول والسحاب في الثاني. قال المبرد: أراد أن ذلك السحاب ينبت ما تأكله الإبل فيصير شحوماً في أسنمتها، والرباب: سحاب دوين المعظم من السحاب.

(٢) قوله: الأثاث، تحرف في (ب) والمطبوع إلى: الإثاث، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في المصادر. ينظر أحكام القرآن للجصاص ٣٠/٣، والمحرر الوجيز ٣٨٩/٢.

(٣) ينظر تفسير الطبري ١٠/١٢٣-١٢٥، وتفسير ابن أبي حاتم ١٤٥٧/٥، والمحرر الوجيز ٣٨٩/٢.

(٤) في الكشف ٧٤/٢.

(٥) تنظر هذه القراءة في إعراب القرآن للنحاس ١٢٠/٢، والقراءات الشاذة ص ٤٣، والمحتسب ٢٤٦/١، والمحرر الوجيز ٣٨٩/٢. وهي خلاف المشهور عن عاصم وأبي عمرو.

وقال الزمخشري: جمع ريش، كشيبي وشعاب^(١). وقال الزجاج: هما اللباس. وقال الفراء: هما ما يستر من ثياب ومال، كما يقال: لبس ولياس^(٢). وقال معبد الجهني: الرياش: المعاش^(٣). وقال ابن الأعرابي: الريش: الأكل والشرب، والرياش: المال المستفاد. وقيل: الريش: ما بطن، والرياش: ما ظهر.

وقرأ الصحابان والكسائي: «ولباس التقوى» بالنصب^(٤) عطفًا على المنصوب قبله. وقرأ باقي السبعة بالرفع، وقرأ بعض النحاة: «ولبوس» بالواو ورفع السين^(٥)، فقيل: هو على إضمار مبتدأ محذوف، أي: وهو لباس التقوى؛ قاله الزجاج^(٦)، و«ذلك خير» على هذا مبتدأ وخبر.

وأجاز أبو البقاء أن يكون «ولباس» مبتدأ، وخبره محذوف، تقديره: ولباس التقوى ساتر عوراتكم^(٧). وهذا ليس بشيء.

والظاهر أنه مبتدأ ثانٍ و«خير» خبره، والجملة خبر عن «ولباس التقوى»، والرابط اسم الإشارة، وهو أحد الروابط الخمس المتفق عليها في ربط الجملة الواقعة خبراً للمبتدأ إذا لم يكن إياه.

وقيل: «ذلك» بدل من «لباس». وقيل: عطف بيان. وقيل: صفة، وخبر «ولباس» هو «خير».

وقال: الحوفي: وأنا أرى أن لا يكون «ذلك» نعتاً لـ«لباس التقوى»؛ لأن الأسماء المبهمة أعرف مما فيه الألف واللام وما أضيف إلى الألف واللام، وسيل

(١) الكشاف ٢/٧٤.

(٢) ينظر معاني القرآن للزجاج ٢/٣٢٨، ولفراء ١/٣٧٥.

(٣) أخرجه أبو الليث السمرقندي في تفسيره ١/٥٣٦.

(٤) السبعة ص ٢٨٠، والتيسير ص ١٠٩. والصحابان هما نافع وابن عامر.

(٥) قوله: وقرأ بعض النحاة... إلى هنا، من (ب) و(د) و(ه).

(٦) أجازة في معاني القرآن ٢/٣٢٨-٣٢٩، وأجاز أيضاً أن يكون «ذلك» صفة «لباس»، و«خير» خبره، وسيرد قريباً.

(٧) الإملاء ١/٢٧١.

النعته أن يكون مُساوياً للمنعوت أو أقلّ منه تعريفاً، فإن كان قد تقدّم قولٌ أحدهُ به فهو سهوٌ.

وأجاز الحوفي أن يكون «ذلك» فضلاً لا موضع له من الإعراب، ويكون «خيراً» خبراً لقوله: «ولباس التقوى». فجعل اسم الإشارة فصلاً كالمضمّر، ولا أعلم أحداً قال بهذا.

وأما قوله: فإن كان تقدّم قولٌ أحدهُ به فهو سهوٌ، فقد ذكره ابن عطية، وقال: هو أنبلُ الأقوال، ذكره أبو عليّ في «الحجّة»^(١). انتهى، وأجازه أيضاً أبو البقاء^(٢)، وما ذكره الحوفي هو الصوابُ على أشهر الأقوال في ترتيب المعارف.

وقرأ عبد الله وأبيّ: «ولباسُ التقوى خيراً» بإسقاط «ذلك»^(٣)، فهو مبتدأ وخبرٌ. والظاهرُ حملُه على اللباس حقيقةً؛ فقال ابن زيد: هو سترُ العورة. وهذا فيه تكرارٌ؛ لأنه قد قال: «لباساً يوارى سواتكم».

وقال زيد بن عليّ: الدرع والمغفرُ والساعدان؛ لأنه يُتقى بها في الحرب.

وقيل: الصوف ولبس الخشن، وروي: اخشوشنوا وكُلوا الطعامَ الخشِن^(٤).

وقيل: ما بقي من الحرِّ والبرد.

وقال عثمان بن عطاء: لباس المتقين في الآخرة.

وقيل: «لباسُ التقوى» مجازٌ؛ فقال ابن عباس: العملُ الصالح. وقال أيضاً:

العقَّة.

(١) المحرر الوجيز ٢/٣٨٩، والحجّة ٤/١٢. وأجازه الزجاج أيضاً كما ذكرنا قبل تعليقي.

(٢) في الإملاء ١/٢٧١.

(٣) معاني القرآن للفراء ١/٣٧٥، والقراءات الشاذة ص ٤٣.

(٤) لم نقف عليه بهذا اللفظ، وأخرج الطحاوي في شرح مشكل الآثار ٥/٣٣٩ عن عمر رضي الله عنه أنه قال: اخشوشنوا واخشوشبوا واخلولقوا وتمعدوا كأنكم معدّ...، وله روايات أخرى، كما في مصنف عبد الرزاق (١٩٩٤)، ومسنّد أحمد (٣٠١)، وصحيح ابن حبان (٥٤٥٤). ومعنى اخشوشنوا: البسوا الخشن. واخشوشبوا: كلوا الغليظ من الطعام. ينظر غريب الحديث للحربي ٢/٥٤٥-٥٤٦.

وقال عثمان بن عفان وابن عباس أيضاً: السمُّ الحسن في الوجه.

وقال معبدُ الجهنيُّ: الحياء.

وقال الحسن: الورعُ والسمُّ الحسن.

وقال عروةُ بن الزبير: خشية الله.

وقال ابن جريج: الإيمان.

وقيل: ما يَظْهَرُ من السَّكِينَةِ والإخبات.

وقال يحيى بن يحيى: الخشوع^(١).

والأحسنُ أن يُجْعَلَ عامًّا، فكلُّ ما يَحْضُلُ به الاتِّقَاءُ المشروَعُ فهو من لباس التقوى.

والإشارة بقوله: «ذلك من آيات الله» إلى ما تقدّم من إنزال اللباس والرياش ولباس التقوى، والمعنى: من آيات الله الدالّة على فضله ورحمته على عباده، وقيل: من مُوجِبِ آيات الله.

وقيل: الإشارة إلى «لباس التقوى»، أي: هو في العبر آيةٌ - أي: علامةٌ وأمانةٌ - من الله أنه قد رضي عنه ورَجَمَهُ، لعلهم يذكرون هذه النعم فيشكرون الله عليها.

﴿يَنْبِيءَ آدَمَ لَا يَفْنَنَكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا﴾ أي: لا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ وَيَغْلِبْ عَلَيْكُمْ، وهو نهْيٌ للشيطان، والمعنى نَهْيُهُمْ أَنفُسَهُمْ عَنِ الإِصْغَاءِ إِلَيْهِ وَالطَّوَاعِيَةِ لِأَمْرِهِ، كما قالوا: لا أُرِيَنَّكَ هُنَا، ومعناه النهي عن الإقامة بحيث يراه. و«كما» في موضع نصب، أي: فتنةٌ مثل فتنة إخراج أبويكم، ويجوز أن يكون المعنى: لا يخرجنكم عن الدّين بفتنته إخراجاً مثل إخراج أبيكم.

(١) تنظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ١٠/١٢٥-١٢٨، والنكت والعيون ٢/٢١٤، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب ٤/٢٣٣، والمحرر الوجيز ٢/٣٨٩، وتفسير البغوي ٢/١٥٥، وزاد الميسر ٣/١٨٣، وتفسير القرطبي ٩/١٨٦.

وقرأ يحيى وإبراهيم: «لَا يُفْتِنَنَّكُمْ» بضم الياء من «أَفْتَنَ»^(١). وقرأ زيد بن علي: «لَا يُفْتِنَنَّكُمْ» بغير نونٍ توكيدٍ.

والظاهرُ أنَّ «لباسهما» هو الذي كان عليهما في الجنة، وقال مجاهد: هو لباسُ التقوى^(٢). و«سواتهما» هو ما يسوؤهما من المعصية، و«ينزع» حالٌّ من الضمير في «أَخْرَجَ» أو من «أبويكم»؛ لأنَّ الجملة فيها ضميرُ «الشيطان» وضميرُ الأبوين، فلو كان بدلَ «ينزع»: نازعاً، تعيَّن الأول؛ لأنه إذ ذاك لو جوّز الثاني لكان وصفاً جرى على غيرِ مَنْ هو له، فكان يجبُ إبرازُ الضمير، وذلك على مذهب البصريين^(٣).

و«ينزع» حكايةٌ أمرٍ قد وقع؛ لأنَّ نزع اللباس عنهما كان قبل الإخراج، ونَسَبَ التَّنَزَعَ إلى الشيطان لما كان متسبباً فيه.

﴿إِنَّهُ يَرْنِكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرُونَهُمْ﴾ أي: إنَّ الشيطان -وهو إبليس- يُبْصِرُكُمْ هو وجنوده ونوعه وذريته من الجهة التي لا تُبْصِرُونَهُ منها، وهم أجسامٌ لطيفةٌ معلومٌ من هذه الشريعة وجودهم، كما أنَّ الملائكة أيضاً معلومٌ وجودهم من هذه الشريعة، ولا يُسْتَنْكَرُ وجودُ أجسامٍ لطيفةٍ جداً لا نراها نحن، ألا ترى أنَّ الهواء جسمٌ لطيفٌ لاندركه نحن وقد قام البرهانُ العقليُّ القاطعُ على وجوده. وقد صحَّ تصوُّرهم في الأجسام الكثيفة، ورؤيةُ بني آدمَ لهم في تلك الأجسام، كالشيطان الذي رآه أبو هريرة حين جَعَلَ يحفظُ تمرَ الصدقة^(٤)، والعفريت الذي رآه الرسولُ وقال فيه: «لولا دعوةُ أخي سليمان لربطته إلى ساريةٍ من سوارى المسجد» الحديث^(٥) وكحديث خالد بن الوليد حين سُيِّرَ لكسْرِ ذي الخُلصة^(٦)، وكحديث

(١) القراءات الشاذة ص ٤٣.

(٢) أخرجه الطبري ١٠/١٣٤.

(٣) ينظر تفصيل هذه المسألة في الدر المصون ٤/٣٩.

(٤) أخرجه البخاري (٢٣١١).

(٥) أخرجه البخاري (٤٦١)، ومسلم (٥٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه مسلم (٥٤٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٦) كذا ذكر، والصواب أن القصة ليست في كسر ذي الخلصة، وإنما هي في هدم العزى، وقد أخرجه النسائي في الكبرى (١١٤٨٣)، وأبو يعلى (٩٠٢).

سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ مَعَ رَجِيَّةٍ مِنَ الْجِنِّ^(١)، إِلَّا أَنَّ رُؤْيَتَهُمْ فِي الصُّورِ نَادِرَةٌ كَمَا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَبْدُو فِي صُورٍ كَحَدِيثِ جِبْرِيلَ^(٢)، وَحَدِيثِ الْمَلِكِ الَّذِي أَتَى الْأَعْمَى وَالْأَقْرَعَ وَالْأَبْرَصَ^(٣)، وَهَذَا أَمْرٌ قَدْ اسْتَفَاضَ فِي الشَّرِيعَةِ فَلَا يُمْكِنُ رُدُّهُ، أَعْنِي تَصَوُّرَهُمْ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ فِي الصُّورِ الْكَثِيفَةِ.

وقال الزمخشري: وفيه دليلٌ بيِّنٌ على أن الجنَّ لا يُرَوْنَ ولا يَظْهَرُونَ لِلْإِنْسِ، وَأَنَّ إِظْهَارَهُمْ أَنْفُسَهُمْ لَيْسَ فِي اسْتِطَاعَتِهِمْ، وَأَنَّ زَعْمَ مَنْ يَدَّعِي رُؤْيَتَهُمْ زُورٌ وَمُخْرَقَةٌ^(٤). انتهى.

ولا دليلٌ في الآية على ما ذَكَرَ؛ لأنه تعالى أثبت أنهم يَرَوْنَنا من جهةٍ لا نراهم نحن فيها، وهي الجهة التي يكونون فيها على أصل خلقتهم من الأجسام اللطيفة، ولو أراد نفي رؤيتنا على العموم لم يتقيد بهذه الحيثية، وكان يكون التركيب: إنه يراكم هو وقيبله وأنتم لا ترونهم.

وأيضاً فلو فرضنا أن في الآية دلالةً لكان من العامِّ المخصوص بالحديث النبويِّ المستفيض، فيكونون مرَّتين في بعض الصور لبعض الناس في بعض الأحيان.

وفي كتاب «التحريم»^(٥) أنكر جماعةٌ من الحكماء تكررَ^(٦) الجنِّ والشياطين وتصوُّرهم على أيِّ جهةٍ شاؤوا.

(١) أخرج قصته أبو يعلى في معجم شيوخه (٣٢٩)، والحاكم في المستدرک ٣/٦٠٨-٦١٠. وأصل القصة في صحيح البخاري (٣٨٦٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما دون تسمية صاحب القصة. وينظر تاريخ الإسلام للذهبي ١/٥٩٠-٥٩٤، والإصابة ٤/٢٩٣-٢٩٥.

(٢) هو الحديث المشهور في الإيمان والإسلام والإحسان، أخرجه البخاري (٤٧٧٧)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجه مسلم (٨) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) الكشف ٢/٧٤-٧٥.

(٥) هو كتاب «التحريم والتجسير لأقوال أئمة التفسير» لشيخ المصنف محمد بن سليمان المقدسي المعروف بابن النقيب.

(٦) في (٣) و(يه): تطور.

وقوله: «إِنَّه يراكم» تعليلٌ للنهي وتحذيرٌ من فتنته، بأنه^(١) بمنزلة العدوِّ المُدْاجي يَكِيدُكُمْ ويغتالُكُمْ من حيث لا تَشْعرون، وفي الحديث: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ»^(٢) إشارة إلى أنه لا يفارقه، وأنه يَرُصِدُ غفلاته فيتسلطُ عليه.

والظاهر أَنَّ الضمير في «إِنَّه» عائِدٌ على «الشَّيْطَانَ»، وقال الزمخشريُّ: والضمير في «إِنَّه» ضميرُ الشَّأن والحديث^(٣). انتهى، ولا ضرورةً تدعو إلى هذا.

و«قبيلُه» معطوفٌ على الضمير المستكنِّ في «يراكم»، ويجوز أن يكون مبتدأً محذوفٌ الخبر، أو معطوفاً على موضع اسم «إِنَّ» على مذهبٍ مَنْ يجيز ذلك.

وقرأ اليزيديُّ: «وقبيلُه» بنصب اللام^(٤) عطفاً على اسم «إِنَّ» إن كان الضمير يعود على «الشَّيْطَانَ» وقيل^(٥): مفعول معه، أي: مع قبيلِه.

وقرئ شاذاً: «من حيث لا ترونه» بإفراد الضمير، فيحتمل أن يكون عائداً على الشَّيْطَانَ وقبيلِه إجراءً له مجرى اسم الإشارة، فيكون كقوله:

فيها خطوطٌ من سوادٍ وبَلَقٌ كأنه في الجلدِ تَوَلَّيعَ البَهَقِ^(٦)

أي: كأنَّ ذلك. ويحتمل أن يكون عاد الضمير على «الشَّيْطَانَ» وحده لكونه رأسهم وكبيرهم وهم له تبعٌ، وهو المفردُ بالنهي أولاً.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٧) أي: صيَّرنا الشَّيَاطِينَ ناصريهم وعاضديهم في الباطل. وقال الزجاج: سلطناهم عليهم يزيدون في غيهم، فيتابعونهم على ذلك، فصاروا أولياءهم^(٧).

(١) في (أ) و(د) و(ع) والمطبوع: فإنه، والمثبت من (ب) و(د) و(ه)، وينظر الكشاف ٧٤/٢.

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٣٥)، ومسلم (٢١٧٥) من حديث صفية رضي الله عنها. وأخرجه مسلم (٢١٧٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) الكشاف ٧٥/٢.

(٤) القراءات الشاذة ص ٤٣.

(٥) قوله: وقيل، تحرف في المطبوع إلى: وقبيلِه.

(٦) الرجز لرؤبة، وهو في ديوانه ص ١٠٤. قال صاحب الخزانة ٨٨/١: البَلَقُ: سوادٌ وبياضٌ. والتوليع: استطالة البلق. والبهق: بياضٌ مخالٍ للون الجسد وليس بيرص.

(٧) معاني القرآن للزجاج ٣٢٩/٢-٣٣٠ بنحوه.

وقيل: جعلناهم قُرَنَاءَ لَهُمْ.

وحكى الزهراويُّ أَنَّ «جَعَلَ» هنا بمعنى «وَصَفَّ»، وهي نزغةٌ اعتزالية^(١).

وقال الزمخشري: خَلَيْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ، لم نَكْفَهُمْ عَنْهُمْ، حتى تَوَلَّوْهُم وَأَطَاعُوهُمْ فيما سَوَّلُوا لَهُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وهذا تحذيرٌ آخَرُ أبلغُ من الأول^(٢). انتهى، وهو على طريقة الاعتزال.

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ أي: إذا فعلوا ما تفاحش من الذنوب اعتذروا، والتقدير: وطلبوا بحجة^(٣) على ارتكابها قالوا: آباؤنا كانوا يفعلونها فنحن نفتدي بهم، «والله أمرنا بها» كانوا يقولون: لو كره الله منا ما نفعله لنقلنا عنه. والإخبارُ الأولُ يتضمَّنُ التقليدَ لآبائهم، والتقليدُ باطلٌ إذ ليس طريقاً للعلم، والإخبارُ الثاني افتراءٌ على الله تعالى.

قال ابن عطية: والفاحشةُ وإن كان اللفظُ عامًّا هي كشفُ العورة في الطواف، فقد روي عن الزُّهريِّ أنه قال: في ذلك نزلت هذه الآيات. وقاله ابن عباس ومجاهد^(٤). انتهى، وبه قال زيد بن أسلم والسدي^(٥).

وقال الحسن وعطاء والزجاج: الفاحشة هنا الشرك^(٦).

وقيل: البَحِيرَةُ والسائبةُ والوصيلةُ والحامي.

وقيل: الكبائر. والظاهرُ من قوله: «وإذا فعلوا فاحشةً» أنه إخبارٌ مستأنفٌ عن هؤلاء الكفار بما كانوا يقولون إذا ارتكبوا الفواحش، وقال ابن عطية^(٧): «وإذا فعلوا» وما بعده داخلٌ في صلة «الذين لا يؤمنون» ليقع التوبيخُ بصفة قومٍ قد جعلوا

(١) المحرر الوجيز ٢/٣٩١، وقع في (أ): نزعة، وهو موافق لما في مطبوع المحرر.

(٢) الكشاف ٢/٧٥.

(٣) في (ب): الحجة.

(٤) المحرر الوجيز ٢/٣٩١، وأخرجه عنهم الطبري ١٠/١٣٧-١٣٨.

(٥) زاد المسير ٣/١٨٤، وأخرجه عن السدي الطبري ١٠/١٣٨.

(٦) زاد المسير ٣/١٨٥ عن الحسن وعطاء. والذي في معاني القرآن للزجاج ٢/٣٣٠: معنى.

الفاحشة: ما يشتد قبحه من الذنوب.

(٧) في المحرر الوجيز ٢/٣٩١.

أمثالاً للمؤمنين^(١) إذ أشبهه فَعْلُهُمْ فِعْلَ الممَثَّلِ بهم.

وقال الزمخشري: وعن الحسن: إنَّ الله تعالى بَعَثَ محمداً ﷺ إلى العرب وهم قَدْرِيَّةٌ مُجْبِرَةٌ يحملون ذنوبهم على الله تعالى، وتصديقه قولُ الله عز وجل: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً﴾^(٢) انتهت حكايته عن الحسن، ولعلها لا تصحُّ عن الحسن. وانظر إلى دسيسة الزمخشري في قوله: وهم قدرية. فإنَّ أهل السنَّة يجعلون المعتزلة هم القدرية، فعكس هو عليهم وجعلهم هم القدرية، حتى إنَّ ما جاء من الذمِّ للقَدْرِيَّة يكون لهم، وهذه النسبة من حيث العربية هي أَلْيَقُ بَمَنْ أثبت القَدَرَ لا بمن نفاه، وقولُ أهل السنَّة في المعتزلة: إنهم قدرية، معناه أنهم ينفون القَدَرَ ويزعمون أنَّ الأمر أُنْف^(٣)، وذلك شبيه بما يقول بعضهم في داود الظاهري: إنه القياسي. ومعناه: نافي القياس.

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ أي: بفعل الفحشاء، وإنما لم يرُدَّ التقليد لظهور بطلانه لكلِّ أحد؛ للزومه الأخذ بالمتناقضات. وأبطل تعالى دعواهم أنَّ الله أمر بها؛ إذ مُدرك ذلك إنما هو الوحيُّ على لسان الرسل والأنبياء، ولم يقع ذلك.

وقال الزمخشري: لأنَّ فعل القبيح مستحيلٌ عليه لِعُذْمِ الدَّاعي ووجود الصَّارِف، فكيف يأمر بفعله؟ ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤) إنكارٌ لإضافتهم القبيح إليه، وشهادة على أنَّ مَبْنَى أمرهم على الجهل المُفْرِط^(٤). انتهى، وهو على طريقة المعتزلة.

وقال ابن عطية: وبَّخهم على كذبهم، ووقَّهم على ما لا علم لهم به ولا رواية لهم فيه، بل هي دعوى واختلاق^(٥).



(١) في المحرر: جعلوا مثلاً للمؤمنين.

(٢) الكشاف ٧٥/٢.

(٣) بضم الهمزة والنون، أي: مستأنف لم يسبق به قدرٌ ولا علم من الله تعالى، وأنه يعلمه بعد وقوعه. شرح مسلم للنووي ١٥٦/١.

(٤) الكشاف ٧٥/٢.

(٥) المحرر الوجيز ٣٩١/٢.

﴿قُلْ أَسْرَىٰ رَبِّيٰٓ أَفْسَيْطٌ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَنًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَأْجِرُونَ ﴿٣٤﴾ بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ رَسُولٌ لِّمَنَّكُمْ يَفْضَلُ عَلَيْكُمْ ءَابِيئَ فَمَن تَقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفَرَّىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمُ نَصِيبُهُم مِّنَ الْعَذَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَهُمْ مَا كَفَرُوا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ادْخُلُوا فِي أَسْرٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آدَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرِبُهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَفَاعِلِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرِبُهُمْ فَمَا كَانُوا لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْعَلُ لَهُمْ أَعْيُنُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَرَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلِيٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَن هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَبَّنَا بِالْحَقِّ وَوَدُّوَا أَن تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا جَبَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادَىٰ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلِّمُوا عَلَيَّكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهْلُولَاءِ الَّذِينَ أَفْسَمْتُمْ لَّا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ

وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ كَمَا نَسَفْنَا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ الَّذِينَ سَأَلُوا مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْنِي أَيْلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حِينًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٦﴾

المفردات

بدأ الشيء: أنشأه واخترعه.

الجَمَل: الحيوان المعروف، وجمعه: جمالٌ وأَجْمَلٌ، ولا يُسمَى جملاً حتى يبلغ أربع سنين. والجَمَل: حَبْلُ السفينة. ولغائه تأتي في المركبات.

سَمَّ الخِيَاط: ثَقْبُهُ، وتضمُّ سينُ «سم» وتُفتح وتُكسر، وكلُّ ثقبٍ في أنفٍ أو أذنٍ أو غير ذلك فالعربُ تسميه سَمًا. والخِيَاط: المِخِيْط، وهما آتان ك: إزار ومِثْر، ولحاف وملحف، وقناع ومِقْنَع.

الغَلَّ: الحقد والإحْنَةُ الخفيةُ في النفس، وجمعها: غِلال، ومنه الغُلُول: أخذٌ في خفاء.

نعم: حرفٌ يكون تصديقاً لإثباتٍ محض، أو لما تضمَّنه استفهامٌ، وكسُرُ عينها لغةٌ لقريش، وإبدالُ عينها بالحاء لغةٌ، ووقوعها جواباً بعد نفيٍ يراد به التقريرُ نادرٌ.

الأعراف: جمعُ عُرْفٍ، وهو المرتفعُ من الأرض، قال الشاعر:

كُلُّ كِنَازٍ لِحُمِّهِ نِيَابٍ

كالجبلِ المُوَفِّي على الأعرافِ^(١)

(١) الرجز في مجاز القرآن ١/٢١٥، وتفسير الطبري ١٠/٢٠٩، وتفسير الشعلي ٢/٤٢،

وقال الشَّمَاخ:

فظَلَّتْ بأعرافِ تعالَى^(١) كأنها رماخٌ نحاها وجهةَ الريحِ راكِبُ^(٢)

ومنه: عُرِفُ الفرسِ وعُرِفُ الديكِ، لعلَّوهُما.

السَّتَّة: رتبةٌ من العددِ معروفةٌ، وأصلُها: سِدْسَةٌ، فأبْدَلُوا من السينِ تاءً، ولزِمَ^(٣) الإبدالُ، ثم أَدغَمُوا الدالَّ في التاءِ بعد إبدالِ الدالِّ بالتاءِ، ولزِمَ الإدغامُ. وتصغيره: سُدَيْسٌ وسُدَيْسَةٌ.

الحِثُّ: الإعجالُ، حَثَّتْ فلاناً فاحْتَثَّ؛ قاله الليثُ، وقال: فهو حثيثٌ ومحثوثٌ^(٤).

* * *

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ قال ابن عباس: «القسط» هنا: لا إله إلا الله^(٥). لأنَّ أسبابَ الخيرِ كلُّها تنشأُ عنها. وقال عطاء والسدِّي: العدلُ، وما يَظْهَرُ في المعقولِ كونهُ حسناً صواباً^(٦). وقيل: الصدقُ والحقُّ.

= والمحرر الوجيز ٢/٤٠٤، وزاد المسير ٣/٢٠٥، واللسان (نوف). وروايته في المصادر عدا المحرر: كالعَلَم، بدل: كالجبل، وهما بمعنى. والكناز: المجتمعُ اللحمِ القويُّ. والنياف: الطويلُ في ارتفاع. اللسان (كنز) و(نوف).
(١) في (أ) و(١د) و(ع) والمطبوع: تعادى. وينظر التعليق الذي بعده.
(٢) ديوان الشماخ ص ٢٠١، ومجاز القرآن ١/٢١٥، ونفسير الطبري (تحقيق محمود شاكر) ١٢/٤٤٩، وتفسير الثعلبي ٢/٢٤، والمحرر الوجيز ٢/٤٠٤. وجاء في الطبري: تغالى، وفي الديوان والمجاز: تغالى. ورواية الديوان: وظلت تغالى باليفاع كأنها، فلا شاهد فيه. وتفالت الحمر: احتكَّتْ كأن بعضها يَفْلِي بعضاً. اللسان (فلا). والبيت في صفة حمر الوحش بعد أن عادت من رحلتها الطويلة في طلب الماء. وهو في الاختيارين للأخفش ص ٦، والأساس واللسان (سبب) برواية: مسببةٌ قُبُّ البطون كأنها...، يصف سَمَنها وجودتها، فَمَنْ نظر إليها سَبَّها وقال: قاتلها الله ما أجودها!

(٣) في (ب): ولزموا.

(٤) تفسير الرازي ١٤/١١٧.

(٥) تفسير البغوي ٢/١٥٦، وتفسير الرازي ١٤/٥٧.

(٦) تفسير الرازي ١٤/٥٧، وتحرفت كلمة المعقول في (أ) و(ب) و(١د) و(ع) إلى: القول.

وأخرجه عن السدي الطبري ١٠/١٣٩ مختصراً بلفظ: العدل.

﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ «وأقيموا» معطوفٌ على ما ينحلُّ إليه المصدر الذي هو «القسط»، أي: بأنْ أقيمتوا وأقيموا، وكما ينحلُّ المصدر لـ«أن» والفعل الماضي، نحو: عَجِبْتُ من قيام زيدٍ وَخَرَجَ، أي: من أن قام وَخَرَجَ، ولـ: «أن» والمضارع نحو:

لَلْبَسِ عِبَاءً وَتَقَرَّرْ عَيْنِي^(١)

أي: لَأَنْ ألبسَ عِبَاءً وَتَقَرَّرَ عَيْنِي كذلك ينحلُّ لـ«أن» وفعل الأمر، ألا ترى أنَّ «أن» توصلُ بفعل الأمر نحو: كَتَبْتُ إليه بأنْ قُمْ، كما توصلُ بالماضي والمضارع، بخلاف «ما» المصدرية فإنها لا توصلُ بفعل الأمر، وبخلاف «كي» إذا لم تكن حرف جرٍّ^(٢) وكانت مصدريةً فإنها توصلُ بالمضارع فقط.

ولمَّا أشكَلَ هذا التخريجُ جعل الزمخشريُّ «وأقيموا» على تقديرٍ: وقل، فقال: وَقُلْ أَقِيمُوا^(٣). فَيَحْتَمِلُ قَوْلُهُ: وَقُلْ أَقِيمُوا، أن يكون «أقيموا» معمولاً لهذا الفعل [غير]^(٤) الملفوظ به، وَيَحْتَمِلُ أن يكون قَوْلُهُ: «وأقيموا» معطوفاً على «أمر ربِّي بالقسط» فيكون معمولاً لـ«قل» الملفوظ بها أولاً، وَقَدَّرَهَا لِيَبَيِّنَ أنها معطوفةٌ عليها. وعلى ما خَرَّجناه نحن يكون في حَيْزٍ^(٥) معمولٍ «أمر».

وقيل: «وأقيموا» معطوفٌ على أمرٍ محذوفٍ تقديره: فأقبلوا وأقيموا.

وقال ابن عباس والضحاك واختاره ابن قتيبة: المعنى: إذا حضرت الصلاة فصلُّوا في كلِّ مسجدٍ، ولا يُقَلُّ أحدكم: أصلي في مسجدي^(٦).

(١) وعجزه: أحبُّ إليَّ من لبسِ الشُّفوف، والبيت لميسون بنت بحدل الكلبيّة، وسلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩].

(٢) في المطبوع: إذا لم تكن حرفاً.

(٣) الكشاف ٧٥/٢.

(٤) زيادة يقتضيها السياق، وينظر الدر المصون ٢٩٦/٥.

(٥) في (أ) و(١د) و(٣د) و(ع) والمطبوع: خبر، وسقط هذا الموضع من (ب). والمثبت من

(به)، وهو الموافق لما في الدر اللقيط على هامش البحر ٢٨٧/٤، وهو الصواب.

(٦) زاد الميسر ١٨٥/٣، وذكره عن الضحاك الثعلبي ١٦/٢. وقول ابن قتيبة في تفسير غريب

القرآن ص ١٦٧.

وقال مجاهد والسدي وابن زيد: معناه: توجَّهوا حيث كنتم في الصلاة إلى الكعبة^(١).

وقال الربيع: اجعلوا سجودكم خالصاً لله دون غيره^(٢).

وقيل: معناه: اقصدا المسجد في وقت كل صلاة، أمراً بالجماعة؛ ذكره الماوردي^(٣).

وقيل معناه: إذا كان في جواركم مسجد فأقيموا الجماعة فيه ولا تتجاوزوا إلى غيره، ذكره التبريزي.

وقيل: هو أمرٌ بإحضار النية لله في كل صلاة والقصد نحوه، كما تقول: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ الآية [الأنعام: ٧٩] قاله الربيع أيضاً^(٤).

وقيل: معناه إباحة الصلاة في كل موضع من الأرض، أي: حيثما كنتم فهو مسجد لكم يلزمكم عنده الصلاة وإقامة وجوهكم فيه لله، وفي الحديث: «جِعَلْتُ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَدْرَكْتَهُ الصَّلَاةُ فَلْيَصِلْ حَيْثُ كَانَ»^(٥).

وقال الزمخشري: أي: اقصدا عبادته مستقيمين إليه غير عادلين إلى غيرها، «عند كل مسجد» في وقت كل سجود وفي كل مكان سجود، وهو الصلاة^(٦).

«واذعوه مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» قيل: الدعاء على بابه أمر به مقروناً بالإخلاص لأنَّ دَعَاءَ مَنْ لَا يُخْلِصُ الدِّينَ لِلَّهِ لَا يَجَاب. وقيل: معناه: اعبدوه. وقيل: قولوا: لا إله إلا الله.

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (٢٩) ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة: هو إعلام بالبعث، أي: كما أوجدكم واخترعكم، كذلك

(١) تفسير الطبري ١٠/١٤٠-١٤١، وزاد الميسر ٣/١٨٥.

(٢) المصدران السابقان.

(٣) في النكت والعيون ٢/٢١٧.

(٤) المحرر الوجيز ٢/٣٩١.

(٥) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٦) الكشاف ٢/٧٥، وفيه: ... مستقيمين إليها غير عادلين ...

يُعِيدُكُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ^(١). ولم يذكر الزمخشريُّ غيرَ هذا القول؛ قال: كما أنشأكم ابتداءً يعيدكم، احتجَّ عليهم في إنكارهم الإعادةً بابتداءِ الخلق، والمعنى: إنه يعيدكم فيجازيكم على أعمالكم، فأخلصوا له العبادة^(٢). انتهى.

وهذا قولُ الزجاج، قال: كما أحياكم في الدنيا يحييكم في الآخرة، وليس بعثكم بأشدَّ من ابتداءِ إنشائكم، وهذا احتجاجٌ عليهم في إنكارهم البعث^(٣). انتهى.

وقال ابن عباس أيضاً، وجابر بن عبد الله، وأبو العالية، ومحمد بن كعب، وابن جبير، والسديُّ، ومجاهدٌ أيضاً، والفراء، ورؤي معناه عن الرسول: إنه إعلامٌ بأنَّ مَنْ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ وَالْكَفْرِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ، وَكَذَلِكَ مَنْ كُتِبَ لَهُ السَّعَادَةُ وَالْإِيمَانُ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ، لَا يَتَبَدَّلُ شَيْءٌ مِمَّا أَحْكَمَهُ وَدَبَّرَهُ تَعَالَى^(٤). ويؤيد هذا المعنى قراءةُ أبي: «تعودون فريقين فريقاً هدى وفريقاً حقَّ عليهم الضلالة»^(٥).

وعلى هذا المعنى يكون الوقفُ على «تعودون» غيرَ حسنٍ؛ لأنَّ «فريقاً» نصبٌ على الحال، و«فريقاً» عطفٌ عليه، والجملةُ من «هدى» ومن «حقَّ» في موضع الصفة لما قبله، وقد حُذِفَ الضمير من جملة الصفة، أي: هداهم. وجوز أبو البقاء أن يكون «فريقاً» مفعولٌ «هدى»، و«فريقاً» مفعولٌ «أضلَّ» مضمرةً، والجملةُ الفعليةُ حالٌ، و«هدى» على إضمارِ «قد»، أي: تعودون قد هدى فريقاً وأضلَّ فريقاً^(٦).

(١) أخرجه عنهم الطبري ١٠/١٤٥-١٤٦، والكلام من المحرر الوجيز ٢/٣٩٢.

(٢) الكشاف ٢/٧٥-٧٦.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢/٣٣١، وليس فيه سوى قوله: أي: فليس بعثكم بأشد من ابتداءكم.

(٤) المحرر الوجيز ٢/٣٩٢، وأخرجه عنهم الطبري ١٠/١٤٢-١٤٥. وقول الفراء في معاني القرآن ١/٣٧٦. والحديث الذي أشار إليه أخرجه مسلم (٢٨٧٨)، والطبري ١٠/١٤٤ من حديث جابر، ولفظه: «يُبْعَثُ كُلُّ عِبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ».

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/٧٦، والمحرر الوجيز ٢/٣٩٢.

(٦) الإملاء ١/٢٧١.

وعلى المعنى الأول يَحْسُنُ الوقْفُ على «تعودون»، ويكون «فريقاً» مفعولاً به «هدى»، ويكون «وفريقاً» منصوباً بإضمارِ فعلٍ يفسره قوله: «حَقَّ عليهم الضلالة»^(١).

وقال الزمخشري: «فريقاً هَدَى» وهم الذين أسلموا، أي: وفقهم للإيمان، «وفريقاً حَقَّ عليهم الضلالة»، أي: كلمة الضلالة، وَعَلِمَ اللهُ تعالى أنهم يَضِلُّون ولا يهتدون، وانتصابُ قوله تعالى: «وفريقاً» بفعلٍ يفسره ما بعده، كأنه قيل: وَخَذَلَ فريقاً حَقَّ عليهم الضلالة^(٢). انتهى، وهي تقاديرُ على مذهب الاعتزال.

وقيل: المعنى: تعودون لا ناصرَ لكم ولا مُعِينٍ؛ كقوله^(٣): ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَى﴾ [الأنعام: ٩٤].

وقال الحسن: كما بدأكم من التراب يُعيدكم إلى التراب^(٤).

وقيل: معناه: كما خلقكم عرأة تُبعثون عرأة.

ومعنى «حَقَّ عليهم الضلالة» أي: حَقَّ عليهم من الله، أو: حَقَّ عليهم عقوبة الضلالة، هكذا قَدَّرَهُ بعضهم.

وجاء إسنادُ الهُدَى إلى الله ولم يَجِئْ مَقَابِلَهُ: وفريقاً أضلَّ، لأنَّ المَسَاقَ مَسَاقٍ مَنْ نُهِيَ عن أن يفتنه الشيطانُ، وإخبارُ أنَّ الشياطينَ أولياءَ للذين لا يؤمنون، وأنَّ الله لا يأمر بالفحشاء، وأمرٌ بالقسط وإقامة الصلاة، فَنَاسَبَ هذا المساقُ أن لا يُسَنَدَ إليه تعالى الضلالُ وإن كان تعالى هو الهادي وفاعِلُ الضلالة، فلذلك^(٥) عَدَلَ إلى قوله: «حَقَّ عليهم الضلالة».

﴿إِنَّهُمْ أَخَذُوا الشَّيْطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(٦) أي: إِنَّ

(١) والجملتان الفعليتان على هذا مستأنفتان. ينظر الدر المصون ٢٩٩/٥.

(٢) الكشاف ٧٦/٢.

(٣) في (أ) و(د) و(ع) والمطبوع: لقوله.

(٤) لم نقف عليه عن الحسن، وأخرجه ابن أبي حاتم ١٤٦٣/٥-١٤٦٤ عن الربيع، وذكره الثعلبي ١٧/٣ عن قتادة.

(٥) في (أ) والمطبوع: فكذلك.

الفريق الضالَّ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ، أَي^(١): أنصاراً وأعواناً يتولَّونهم وينتصرون بهم، كقول بعضهم: اغلُّ هُبْلُ اغلُّ هُبْلُ.

والظاهرُ أنَّ المراد حقيقةً «الشَّيَاطِينَ»، فهم يعينونهم على كفرهم، والضالُّون يتولَّونهم بانقيادهم إلى وسوستهم.

وقيل: «الشَّيَاطِينَ» أبحارُهم وكبرائِهم.

قال الطبري: وهذه الآيةُ دليلٌ على خطأ قولٍ من زعم أنَّ الله تعالى لا يعذب أحداً على معصيةٍ ركبها أو ضلالةٍ اغتقدها إلا أن يأتيها على علمٍ منه بموضع الصواب^(٢). انتهى، ووجهُ الدلالة قولُه: «ويحسبون» والمَحْسَبَةُ الظنُّ لا العلم.

وقرأ العباس بن الفضل، وسهل بن شعيب، وعيسى بن عمر: «أنهم اتخذوا» بفتح الهمزة^(٣)، وهو تعليلٌ لحقِّ الضلالةِ عليهم، والكسرُ يَحْتَمِلُ الاستئنافَ وَيَحْتَمِلُ^(٤) التعليل من حيث المعنى.

وقال الزمخشري: أي: تولَّوهم بالطاعة فيما أمرهم به، وهذا دليلٌ على أنَّ عِلْمَ الله تعالى لا أثر له في ضلالهم، وأنهم هم الضالُّون باختيارهم وتولَّيهم الشَّيَاطِينَ دون الله تعالى^(٥). انتهى، وهو على طريقة الاعتزال.

﴿يَبْتِئُ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٦) كان أهلُ الجاهلية يطوفون بالبيتِ عرابةً، وكانوا لا يأكلون في أيام حجِّهم دسماً ولا ينالون من الطعام إلا قوتاً تعظيماً لحجِّهم، فنزلت^(٦).

وقيل: كان أحدهم يطوفُ عرياناً ويَدْعُ ثيابه وراء المسجد، وإن طاف وهي عليه ضُرب وانْتزَعَتْ منه، لأنهم قالوا: لا نعبد الله في ثيابٍ أذنبنا فيها. وقيل:

(١) قوله: أي، ليس في (أ) و(د) و(ع) والمطبوع.

(٢) تفسير الطبري ١٠/١٤٩، والمحرر الوجيز ٢/٣٩٢، وعنه نقل المصنف.

(٣) المحرر الوجيز ٢/٣٩٢.

(٤) قوله: الاستئناف ويحتمل، ليس في (أ) والمطبوع.

(٥) الكشاف ٢/٧٦.

(٦) أخرج نحوه الطبري ١٠/١٥٥ عن السُّدي، وينظر ما سيرد من أخبار في تفسير هذه الآية.

تفاؤلاً؛ ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب^(١).

والزينة: فِعْلَةٌ من التزِين، وهو اسمٌ ما يُتَجَمَّلُ به من ثيابٍ وغيرها، كقوله: ﴿وَأَزَيَّنْتَ﴾ [يونس: ٢٤] أي: بالنبات.

والزينة هنا المأمورُ بأخذها هو ما يستر العورة في الصلاة، قاله مجاهدٌ والسديُّ والزجاج^(٢).

وقال طاوس: الشَّمْلَةُ من الزينة.

وقال مجاهد: ما وارى عورتك ولو عباءة فهو زينة^(٣).

وقيل: ما يستر العورة في الطَّواف. وفي «صحيح مسلم» عن عروة: أن العرب كانت تطوف عراة إلا الحُمس وهم قريش، إلا أن تعطيهم الحمس ثياباً، فيُعطي الرجال الرجال والنساء النساء^(٤).

وفي غير «مسلم»: مَنْ لم يكن له صديق بمكة يُعيِّره ثوباً طاف عريانياً، أو في ثيابه، وألقاها بعدُ فلا يمسُّها أحدٌ وتُسمَّى اللَّقَى، وقال بعضهم:

كَفَى حَزْناً كَرِّيَ عَلَيْهِ كَأَنَّهُ لَقِيَ بَيْنَ أَيْدِي الطَّائِفِينَ حَرِيمُ
وكانت المرأة تُشَدُّ وهي تطوفُ عريانة:

اليومَ يبدو بعضُه أو كلُّه وما بدا منه فلا أُجِلُّه^(٥)

(١) الكشاف ٧٦/٢، ونسب القول الأول لطاوس. وقد وقع بعد قوله: يطوف عريانياً، حرم في

(د٣)، وينتهي عند قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٧٣].

(٢) في معاني القرآن ٣٣٢/٢، وذكره عنه وعن مجاهد الماوردي في النكت والعيون ٢١٨/٢، وابن الجوزي في زاد المسير ١٨٧/٣، وأخرجه عن السدي الطبري ١٥٣/١٠-١٥٤ بلفظ: ما يوارى العورة عند كل مسجد.

(٣) أخرج القولين الطبري ١٥٢/١٠ و١٥٣.

(٤) صحيح مسلم (١٢١٩): (١٥٢).

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ٢٠٢-٢٠٣، وأحكام القرآن لابن العربي ٧٦٧-٧٦٩، وتفسير القرطبي ١٩٢/٩-١٩٣. وأخرج مسلم (٣٠٢٨) عن ابن عباس ؓ: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة، فتقول: مَنْ يُعيرني تظوافاً؟ تجعله على فرجها. وتقول: اليوم يبدو... فنزلت هذه الآية ﴿حُدُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿يَبْنَیْ مَادَمَ خُدُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾
أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ الرَّسُولَ: أَلَّا لَا يَحُجُّ الْبَيْتَ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكًا، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ
عُرْيَانًا^(١). وَكَانَ النَّدَاءُ بِمَكَّةَ سَنَةً تَسْعَ.

وقال عطاءٌ وأبو رَوْقٌ: تَسْرِيحُ اللَّحَى وَتَنْوِيرُهَا بِالْمَشْطِ وَالتَّرْجِيلُ.

وقيل: التَّزْيِينُ بِأَجْمَلِ اللِّبَاسِ فِي الْجُمُعِ وَالْأَعْيَادِ؛ ذَكَرَهُ الْمَوَارِدِيُّ^(٢).

وقيل: رَفَعُ الْيَدَيْنِ فِي تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ وَالرُّكُوعِ وَالرَّفْعِ مِنْهُ.

وقيل: إِقَامَةُ الصَّلَاةِ فِي الْجَمَاعَةِ بِالْمَسَاجِدِ، وَكَانَ ذَلِكَ زِينَةً لَهُمْ لَمَّا فِي
الصَّلَاةِ مِنْ حُسْنِ الْهَيْئَةِ وَمَشَابَهَةِ صَفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَلَمَّا فِيهَا مِنْ إِظْهَارِ الْأَلْفَةِ
وَإِقَامَةِ شَعَائِرِ الدِّينِ.

وقيل: لِبَسِ النَّعَالِ فِي الصَّلَاةِ، وَفِيهِ حَدِيثٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ:
وَمَا أَحْسَبُهُ يَصِحُّ^(٣).

وقال أيضاً: الزينة هنا الثيابُ الساترة، ويدخل فيها ما كان من الطيب للجمعة،
والسَّوَاكُ، وبدلُ الثياب، وكلُّ ما وُجِدَ استحسانُهُ فِي الشَّرِيعَةِ وَلَمْ يُقْصَدْ بِهِ الْخِيَلَاءُ
و«عند كلِّ مسجدٍ» يريدُ: عند كلِّ موضعٍ سَجُودٍ. فهو^(٤) إشارةٌ إلى الصلواتِ وسِتْرِ
العورةِ فِيهَا، [هذا] هو مُهِمُّ الأَمْرِ، ويدخل مع^(٥) الصَّلَاةِ مَوَاطِنُ الْخَيْرِ كُلِّهَا، وَمَعَ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٦٩)، وَمُسْلِمٌ (١٣٤٧) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) فِي النَّكَتِ وَالْعَيْونِ ٢/٢١٨.

(٣) الْمَحْرُورُ الْوَجِيزُ ٢/٣٩٢، وَهُوَ كَمَا قَالَ، فَقَدْ أَخْرَجَهُ ابْنُ عَدِي فِي الْكَامِلِ ٥/١٨٢٩
و٦/٢١٧١ بِإِسْنَادَيْنِ: الْأَوَّلُ فِيهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي عَلِيٍّ الْقُرَشِيُّ، وَهُوَ مَجْهُولٌ وَمَنْكَرُ الْحَدِيثِ
كَمَا قَالَ ابْنُ عَدِي، وَالثَّانِي فِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ عَطِيَّةٍ، قَالَ عَنْهُ ابْنُ عَمِينَ كَمَا نَقَلَ ابْنُ
عَدِي: لَيْسَ بِشَيْءٍ وَلَا يَكْتَبُ حَدِيثَهُ. وَأَخْرَجَهُ أَيْضاً ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي الْمَوْضُوعَاتِ ٣/٧٩،
وَنَقَلَ عَنْ أَحْمَدَ قَوْلَهُ: مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ لَيْسَ بِشَيْءٍ، حَدِيثُهُ حَدِيثُ أَهْلِ الْكُذْبِ. وَقَالَ
أَبُو حَاتِمٍ عَنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ كَمَا فِي الْعِلَلِ لِابْنِهِ ١/١٤٩: هَذَا حَدِيثٌ مَنْكَرٌ. اهـ.

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ أَيْضاً فِي الْمَوْضُوعَاتِ ٣/٨٠ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ: لَا يَصِحُّ.

(٤) قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَبْنَیْ مَادَمَ خُدُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، وَجَاءَ فِي الْمَحْرُورِ: وَهِيَ، يَعْنِي الْآيَةَ.
فَالْمَقْصُودُ وَاحِدٌ فِي كِلَا اللَّفْظَيْنِ.

(٥) فِي (أ) وَالْمَطْبُوعِ: فِي، وَفِي (د) وَ(ع): مِنْ، وَكِلَاهُمَا تَصْحِيفٌ.

سترِ العورة ما ذكرنا من الطَّيب للجمعة^(١). انتهى.

وقال الزمخشري: «خذوا زينتكم» أي: ريشكم ولباس زينتكم، «عند كلِّ مسجدٍ» كلِّما صليْتُمْ، وكانوا يطوفون عِراةً^(٢). انتهى.

والذي يظهرُ أنَّ الزينة هو ما يُتَجَمَّلُ به ويُتَزَيَّنُ عند الصلاة، ولا يدخل فيه ما يستر العورة؛ لأنَّ ذلك مأمورٌ به مطلقاً، ولا يختصُّ بأن يكون ذلك عند كلِّ مسجدٍ. ولفظة «كلِّ مسجدٍ» تأتي^(٣) أن يكون أيضاً ما يستر العورة في الطواف؛ لعمومه، والطواف إنما هو لخاصٍّ وهو المسجدُ الحرام، وليس بظاهرِ حَمَلِ العموم على كلِّ بقعةٍ منه. وأيضاً فـ«يا بني آدم» عامٌّ، وتقييدُ الأمر بما يستر العورة في الطواف مُفَضِّ إلى تخصيصه بمن يطوفُ بالبيت.

وقال أبو بكر الرازي^(٤): في الآية دليلٌ على فرضِ سترِ العورة في الصلاة، وهو قولُ [أبي حنيفة وأبي يوسف وزُفَرٍ ومحمدٍ والحسن بن زياد والشافعي]؛ لقوله: «عند كلِّ مسجدٍ»، علَّق الأمرَ به فدلَّ على أنه الستر للصلاة. وقال مالكٌ والليث: كشفُ العورة حرامٌ^(٥)، ويُوجِبُان الإعادةَ في الوقت استحباباً إنْ صلَّى مكشوفاً.

وقال الأبهري: هي فرضٌ في الجملة، وعلى الإنسان أن يسترها في الصلاة وغيرها، وهو الصحيح؛ لقوله ﷺ للمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ: «أرجع إلى قومك ولا تمشوا عِراةً» أخرجه مسلم^(٦).

«وكلوا واشربوا» قال الكلبي: معناه: كلوا من اللَّحْمِ والدَّسْمِ واشربوا من الألبان، وكانوا يحرمون جميع ذلك في الإحرام^(٧).

(١) المحرر الوجيز ٢/٣٩٢، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٢) الكشاف ٢/٧٦.

(٣) في (أ) والمطبوع: تأتي، وهي ساقطة من (ب)، والمثبت هو الصواب.

(٤) في أحكام القرآن ٣/٣١، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٥) في أحكام القرآن: وقال مالك والليث: الصلاة مُجْزِئَةٌ مع كشف العورة.

(٦) برقم (٣٤١)، والكلام منقول من تفسير القرطبي ٩/١٩٣، ولفظ الخبر في المصدرين:

«أرجع إلى ثوبك فخذ، ولا تمشوا عِراةً».

(٧) ينظر تفسير الثعلبي ٢/١٨، وأسباب النزول للواحيدي ص ٢٢٢، وتفسير البغوي ٢/١٥٧.

وقال السُّدِّي: كلوا من البحيرة وأخواتها.

والظاهر أنه أمرٌ بإباحة الأكل والشربِ من كلِّ ما يمكن أن يؤكَّلَ أو يُشْرَبَ مما لم^(١) يُحظر أكله وشربه في الشريعة، وإن كان النزولُ على سببٍ خاصٍّ، كما ذكروا من امتناع المشركين من أكل اللحم والدَّسَم أيامَ إحرامهم، أو بني عامرٍ دون سائرِ العرب من ذلك، وقولِ المسلمين بذلك^(٢).

والنهيُّ عن الإسراف يدلُّ على التحريم؛ لقوله: «إنه لا يحبُّ المفسرفين». قال ابن عباس: الإسراف: الخروجُ عن حدِّ الاستواء. وقال أيضاً: لا تسرفوا في تحريم ما أجلَّ لكم^(٣). وقال أيضاً: كُلُّ ما شئتَ والبَسَ ما شئتَ ما أخطأَتْكَ خصلتان: سَرْفٌ ومَخِيلَةٌ^(٤).

وقال ابن زيد: الإسرافُ: أكلُ الحرام^(٥).

وقال الزجاج: الإسرافُ: الأكلُ من الحلال فوق الحاجة^(٦).

وقال مقاتل: الإسراف: الإشراك^(٧).

وقيل: الإسراف: مخالفةُ أمرِ الله في طوافهم عرابةً يصفقون ويصفرون.

وقال ابنُ عباس أيضاً: ليس في الحلال سَرْفٌ، إنما السَّرْفُ في ارتكاب

= وهذا منقول عن الكلبي بالمعنى، وسأورد قريباً نص كلامه نقلاً عن المصادر المذكورة.
(١) قوله: لم، ساقط من (أ) و(د) و(ع) والمطبوع.

(٢) يشير إلى ما أورده الثعلبي والواحدي والبغوي - وسلف تخريجه قريباً - عن الكلبي قال: كانت بنو عامر لا يأكلون من الطعام إلا قوتاً، ولا يأكلون دسماً في أيام حجِّهم، يعظِّمون بذلك حجِّهم، فقال المسلمون: يا رسول الله نحن أحقُّ أن نفعل ذلك. فأنزل الله تعالى: ﴿وَكُلُوا﴾ يعني اللحم والدسم ﴿وَأَشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾.

(٣) لم نقف عليهما عن ابن عباس، وأخرج الثاني الطبري ١٥٥/١٠ عن السدي.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٣٧٥)، وأورده البخاري تعليقاً في كتاب اللباس من صحيحه قبل الحديث (٥٧٨٣)

(٥) أخرجه الطبري ١٥٦/١٠.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٢/٣٣٣.

(٧) زاد المسير ١٠/١٨٨.

المعاصي. قال ابن عطية^(١): يريد في الحلال القصد، واللفظة تقتضي النهي عن السرف مطلقاً، فمن تلبس بفعل حرام فتأول تلبسه به حصل من المسرفين وتوجه النهي عليه، ومن تلبس بفعل مباح، فإن مشى فيه على القصد وأوساط الأمور فحسن، وإن أفرط حتى دخل الضرر حصل أيضاً من المسرفين وتوجه النهي عليه، مثال ذلك: أن يفرط في شراء ثياب أو نحوها ويستنفد في ذلك جل ماله، أو يعطي ماله أجمع ويكابد بعياله الفقر بعد ذلك، أو نحوه، فالله عز وجل لا يحب شيئاً من هذا، وقد نهت الشريعة عنه. انتهى.

وحكى المفسرون هنا أن نصرانياً طيباً للرشد أنكر أن يكون في القرآن أو في حديث الرسول ﷺ شيء من الطب، فأجيب بقوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾^(٢) وبقوله: «المعدة بيت الداء، والحمية رأس كل دواء، وأعط كل بدن ما عودته» فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا^(٣).

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ زينة الله: ما حسنته الشريعة وقررتة مما يتجمل به من الثياب وغيرها، وأضيفت إلى الله لأنه هو الذي أباحها. و«الطيبات»: هي المستلذات من المأكول والمشروب بطريقه وهو الحِلُّ. وقيل: «الطيبات»: المحللات.

ومعنى الاستفهام إنكار تحريم هذه الأشياء، وتوبيخ محرميها، وقد كانوا يحرمون أشياء من لحوم الطيبات وألبانها، والاستفهام إذا تضمن الإنكار لا جواب له، وتوهم مكّي هنا أن له جواباً هنا وهو قوله: «قل هي» توهم فاسد^(٣).

(١) في المحرر الوجيز ٢/٣٩٣، وعنه نقل المصنف قول ابن عباس.

(٢) ذكر القصة الزمخشري في الكشاف ٢/٧٦، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/١٨٨ وقال: هكذا نقلت هذه الحكاية، إلا أن الحديث المذكور فيها عن النبي ﷺ لا يثبت. وقال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ص ٦٤ عن القصة: لم أجد لها إسناداً. وعن الحديث: لم أجده. وقال السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٣٨٩: لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ، بل هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب، أو غيره. اهـ. وجالينوس فيلسوف يوناني له كتب في صناعة الطب وغيرها، وكان-كما ذكر المسعودي- بعد المسيح بنحو مئتي سنة، وبعد بقراط بنحو ست مئة سنة. أخبار العلماء للقفطي ص ٨٦.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٢/٣٩٣.

ومعنى أخرج: أبرزها وأظهرها. وقيل: فصل حلالها من حرامها.

﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قرأ قتادة: «قل هي لمن آمن»^(١)، وقرأ نافع: «خالصة» بالرفع، وقرأ باقي السبعة بالنصب^(٢).

فأما النصب فعلى الحال، والتقدير: قل هي مستقرّة للذين آمنوا في حال خلوصها لهم يوم القيامة، وهي حالّ من الضمير المتسكّن في الجارّ والمجرور الواقع خبراً لـ«هي»، وفي الحياة متعلّق بـ«آمنوا»^(٣).

وأما الرفع فجوّزوا فيه أن يكون خبراً لـ«هي»، و«الذين آمنوا» متعلّق بـ«خالصة»، و«في الحياة الدنيا» متعلّق بـ«آمنوا» ويصير المعنى: قل هي خالصة يوم القيامة لمن آمن في الدنيا، ولا يُعنى بـ«يوم القيامة» وقت الحساب. وخلصها كونهم لا يعاقبون عليها، وإلى هذا المعنى يشير تفسير ابن جبير^(٤).

وجوّزوا فيه أن يكون خبراً بعد خبر، والخبر الأول هو «الذين آمنوا»، و«في الحياة الدنيا» متعلّق بما تعلق به «للذين» وهو الكون المطلق، أي: قل هي كائنة في الحياة الدنيا للمؤمنين وإن كان يشركهم فيها في الحياة الدنيا الكفار، وخالصة لهم يوم القيامة^(٥)، ويراد بـ«يوم القيامة» استمرار الكون في الجنة، وهذا المعنى من أنها لهم ولغيرهم في الدنيا خالصة لهم يوم القيامة هو قول ابن عباس والضحاك وقاتدة والحسن وابن جريج وابن زيد^(٦)، وعلى هذا المعنى فسّر الزمخشري^(٧).

فإن قلت: إذا كان معنى الآية أنها لهم في الدنيا على الشركة بينهم وبين الكفار، فكيف جاء «قل هي للذين آمنوا»؟

(١) المحرر الوجيز ٣٩٣/٢ عن قتادة والكسائي.

(٢) السبعة ص ٢٨٠، والتيسير ص ١٠٩.

(٣) ويجوز أيضاً تعلّقه بالاستقرار المتعلق به «للذين». ينظر الدر المصون ٣٠٢/٥.

(٤) فإنه قال: ينتفعون بها في الدنيا، ولا يتبعهم إثمها. تفسير الطبري ١٦١/١٠-١٦٢،

والمحرر الوجيز ٣٩٣/٢.

(٥) ويجوز تعلّق «في الحياة» بـ«آمنوا» على هذا الوجه أيضاً. ينظر الدر المصون ٣٠٢/٥.

(٦) تفسير الطبري ١٥٩/١٠-١٦١، والمحرر ٣٩٣/٢.

(٧) في الكشاف ٧٦/٢، وهذا المعنى يصلح أيضاً على الوجه الأول من وجوه القراءة بالرفع.

ينظر الدر المصون ٣٠١/٢-٣٠٢.

فالجواب من وجوه:

أحدها: أن في الكلام حذفاً، تقديره: قل هي للمؤمنين والكافرين في الدنيا خالصة للمؤمنين في القيامة لا يشاركون فيها؛ قاله الكرّماني.

الثاني: أن ما تعلق به «للذين آمنوا» ليس كوناً مطلقاً بل كوناً مقيداً يدل على حذفه مقابلته وهو «خالصة»، تقديره: قل هي غير خالصة للذين آمنوا؛ قاله الزمخشري، قال: قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا غير خالصة لهم لأن المشركين شركاؤهم فيها، خالصة يوم القيامة لا يشاركهم فيها أحد^(١).

ثم قال الزمخشري: فإن قلت: هلاً قيل: للذين آمنوا ولغيرهم؟ قلت: النية^(٢) على أنها خلقت للذين آمنوا على طريقة الأصالة، وأن الكفرة تبع لهم، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾ [البقرة: ١٢٦] انتهى.

وجواب الزمخشري هو للتبريزي رحمه الله؛ قال التبريزي: معنى الآية أنها خالصة للمؤمنين في الآخرة لا يشاركهم الكفار فيها، هذا وإن كان مفهومه الشركة بين الذين آمنوا والذين أشركوا، وهو كذلك لأن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر، إلا أنه أضاف إلى المؤمنين ولم يذكر الشركة بينهم وبين الذين أشركوا في الدنيا تنبيهاً على أنه إنما خلقها للذين آمنوا بطريق الأصالة والكفار تبع لهم فيها في الدنيا، ولذلك خاطب الله المؤمنين بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]. انتهى.

وقال أبو علي في «الحجة»: ويصح أن يعلق قوله: «في الحياة الدنيا» بقوله: «حرّم»، ولا يصح أن يتعلق بـ«زينة» لأنها مصدر قد وُصف، ويصح أن يتعلق بقوله: «أخرج لعباده»، ويجوز ذلك وإن فصل بين الصلة والموصول بقوله: «هي للذين آمنوا» لأن ذلك كلام يشدّ القصة وليس بأجنبي منها جداً، كما جاء ذلك في قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِنِهَايَةٍ وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٧] فقوله: «وتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ» معطوف على «كسبوا» داخل في الصلة، والتعلق بـ«أخرج» هو قول

(١) الكشاف ٧٦/٢.

(٢) كذا في النسخ، والذي في الكشاف: لينه.

الأخفش، ويصح أن يتعلَّق بقوله: «والطيبات»، ويصح أن يتعلَّق بقوله: «مِن الرزق»^(١). انتهى.

وتقاديِرُ أبي عليٍّ والأخفش فيها تفكيكٌ للكلام وسلوكٌ به غيرَ ماتقتضيه الفصاحةُ، وهي تقاديِرُ أعجميةٌ بعيدةٌ عن البلاغة لا تُناسبُ في كتاب الله، بل لو قدَّرتُ في شعر الشَّنْفَرَى ما ناسبَت، والنحاةُ الصرْفُ غيرُ الأدباءِ بمعزِلٍ عن إدراك الفصاحة.

وأما تشبيهُه ذلك بقوله: «والذين كسبوا» فليس ما قاله بمتعيِّن فيه، بل ولا ظاهر، بل قوله: «جزاء سيئةٍ بمثلها» هو خبرٌ عن «الذين»^(٢)، أي: جزاءُ سيئةٍ منهم بمثلها، وحذف «منهم» لدلالة المعنى عليه، كما حذف من قولهم: السَّمْنُ مَنَوَانٍ بدرهم، أي: منوان منه، وقوله: «وترهقهم ذلةٌ معطوفٌ على «جزاء سيئةٍ بمثلها»، وسيأتي توضيحُ هذا بأكثر في موضعه إن شاء الله تعالى.

﴿كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْمُونَ﴾^(٣) أي: مثلُ تفصيلنا وتقسيمنا السابقِ نقسِّمُ في المستقبلِ لقوم لهم علمٌ وإدراكٌ؛ لأنه لا ينتفع بذلك إلا مَنْ عِلِمَ؛ لقوله^(٣): ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾^(٤) قال الكلبي: لَمَّا لَبَسَ المسلمون الثيابَ وطافوا بالبيتِ غيرهم المشركون بذلك، وقالوا: استحلُّوا الحرام، فنزلت^(٤).

وتقدَّم تفسير الفواحش ما ظهر منها وما بطن في أواخر «الأنعام»، وزيدٌ هنا أقوال:

أحدها: «ما ظهر منها»: طوافُ الرجلِ بالنهار عرياناً، و«ما بطن»: طوافُها بالليل عاريةً؛ قاله التبريزي.

(١) الحجة ٤/١٤، والمحرر الوجيز ٢/٣٩٤، وما سلف بين حاصرتين منهما، وكلام أبي علي منقول بواسطة ابن عطية.

(٢) قوله: الذين، تحرف في (أ) و(د) و(ع) إلى: النهي.

(٣) في (ب) و(يه): كقوله.

(٤) تفسير القرطبي ٩/٢١٠.

وقال مجاهد: «ما ظهر»: طوافُ الجاهلية عراً، و«ما بطن»: الزنى^(١).

وقيل: «ما ظهر»: الظلم، و«ما بطن»: السرقة.

وقال ابن عباس ومجاهد في رواية: «ما ظهر»: ما كانت تفعله الجاهلية من نكاح الأبناء نساء الآباء، والجمع بين الأختين، وأن تُنكح المرأة على عمتها وخالتها، و«ما بطن»: الزنى^(٢).

و«الإثم» عامٌ يشملُ الأقوال والأفعال التي يترتبُ عليها الإثم، هذا قولُ الجمهور.

وقيل: هو صغارُ الذنوب.

وقيل: الخمر. وهذا قولٌ لا يصحُّ هنا؛ لأن السورة مكية ولم تحرم الخمر إلا بالمدينة بعد أحد، وجماعةٌ من الصحابة اصطحبوها يومَ أحدٍ وماتوا شهداءً وهي في أجوافهم^(٣).

وأما تسميةُ الخمر إثمًا فقيل: هو من قول الشاعر:

شربتُ الإثمَ حتى زلَّ عقلي^(٤)

وهو بيتٌ مصنوعٌ مختلقٌ، وإن صح فهو على حذفٍ مضافٍ، أي: موجبُ الإثم. ولا يدلُّ قولُ ابن عباسٍ والحسن: الإثم الخمر^(٥)، على أنه اسمٌ من أسمائها؛ إذ يكون ذلك من إطلاقِ المسبَّب على السبب، وأنكر أبو العباس أن يكون الإثم من أسماء الخمر^(٦).

(١) أخرجه الطبري ١٠/١٦٣.

(٢) زاد المسير ٣/١٩٠ عن ابن عباس، وأخرجه عن مجاهد الطبري ٩/٦٦١.

(٣) أخرجه البخاري (٢٨١٥) و(٤٦١٨) من حديث جابر رضي الله عنه دون قوله: وهي في أجوافهم. وينظر المحرر الوجيز ٢/٣٩٥، والكلام منه.

(٤) وعجزه: كذلك الإثم تذهب بالعقول، وسلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْفُدُورِ﴾ [البقرة: ٨٥]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٩].

(٥) تفسير البغوي ٢/١٥٨ عن الحسن، وزاد المسير ٣/١٩١ عن الحسن وعطاء، ولم نقف عليه عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٦) زاد المسير ٣/١٩١، وأبو العباس هو المبرد.

وقال الفضل: الإثم: الخمر، وأنشد:

نهانا رسولُ الله أن نَقْرَبَ الحَنَّا وأن نشربَ الإثمَ الذي يُوجِبُ الوزرَ^(١)

وأنشد الأصمعي أيضاً:

ورحْتُ حزيناً ذاهلاً العقلَ بعدَهُم كَأَنِّي شربتُ الإثمَ أو مسَّني حَبَلٌ^(٢)

قال: وقد تُسمَّى الخمرُ إثمًا، وأنشد:

شربتُ الإثمَ حتى زَلَّ عقلي

وقال ابن عباس والفرّاء: البغي: الاستطالة^(٣).

وقال الحسن: السُّكْرُ من كلِّ شرابٍ.

وقال ثعلب: تكلمُ الرجل في الرجل بغير الحقِّ، إلا أن ينتصر منه بحقٍّ.

وقيل: الظلم والكبر؛ قاله الزمخشري، وقال: وأفرده بالذكر كما قال تعالى:

﴿وَبَتَّحَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠] ^(٤).

وقال ابن عطية: البغي: التعدي وتجاوز الحدِّ مبتدئاً كان أو منتصراً، وقوله:

«بغير الحق» زيادة بيان، وليس يُتصوَرُ بغيٌّ بحقٍّ؛ لأن ما كان بحقٍّ لا يسمَّى بغيًّا^(٥).

وتقدّم تفسير «ما لم ينزل به سلطاناً» في «الأنعام»^(٦).

وقال الزمخشري: فيه تهكُّم؛ لأنه لا يجوز أن ينزل برهاناً بأن يُشركَ به

غيره^(٧). «ما لا تعلمون» من تحريم البحائر وغيرها، وقال ابن عباس: أراد بذلك

أنَّ الملائكة بناتُ الله^(٨).

(١) أورده الطبرسي في مجمع البيان ٤٩/٨.

(٢) لم نقف عليه.

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٣٧٨/١، ولم نقف عليه عن ابن عباس.

(٤) الكشاف ٧٧/٢.

(٥) المحرر الوجيز ٣٩٥/٢.

(٦) عند تفسير الآية (٨١)، وينظر كذلك ما سلف عند تفسير الآية (١٥١) من آل عمران.

(٧) الكشاف ٧٧/٢.

(٨) لم أقف عليه.

وقيل: قولهم: إنه حُرِّمَ عليهم مآكلٌ وملابسٌ ومشاربٌ في الإحرامِ مِن قِبَلِ أنفسهم.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ هذا وعيدٌ لأهل مكة بالعذاب النازل في أَجَلٍ معلوم عند الله كما نزل بالأمم، أي: أَجَلٍ مُؤَقَّتٍ لمجيء العذاب إذا^(١) خالفوا أمر ربهم، فأنتم أيتها الأمة كذلك.

وقيل: الأَجَلُ هنا: أَجَلُ الدنيا، التقدير: للأمم كلها أَجَلٌ، أي: يَقْدَمُونَ فيه على ما قَدَّمُوا من عملٍ.

وقيل: الأَجَلُ: مدةُ العمر، والتقدير: ولكلِّ واحدٍ من الأمة عمرٌ ينتهي إليه بقاؤه في الدنيا فإذا مات عَلِمَ ما كان عليه من حقٍّ أو باطلٍ.

وقال ابن عطية: أي: فرقةٌ وجماعةٌ، وهي لفظةٌ تُستعمل في الكثير من الناس^(٢).

وقال غيره: والأمة: الجماعة قُلُّوا أو كَثُرُوا، وقد يُطلق على الواحد كقوله في قسِّ بن ساعدة: «يبعث يوم القيامة أمةً وحده»^(٣).

وأفرد الأَجَلُ لأنه اسمُ جنسٍ، أو لتقارُبِ أعمالِ أهل كلِّ عصرٍ، أو لكون التقدير: لكلِّ واحدٍ من أمة.

وقرأ الحسن وابن سيرين: «فإذا جاء آجالهم» بالجمع^(٤).

وقال: «ساعة» لأنها أقلُّ الأوقات في استعمال الناس، يقول المستعجلُ لصاحبه: في ساعة، يريد: في أقصر وقت وأقربه؛ قاله الزمخشري^(٥).

(١) في (أ) و(ع): إذ.

(٢) المحرر الوجيز ٣٩٥/٢.

(٣) أخرجه أحمد (١٦٤٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفي إسناده المسعودي، قال الذهبي في السير ١٢٩/١: المسعودي ليس بحجة.

(٤) المحتسب ٢٤٦/١، والمحرر الوجيز ٣٩٥/٢.

(٥) الكشاف ٧٧/٢.

وقال ابن عطية: لفظُ عُنِيَ به الجزءُ القليلُ من الزمان، والمراد جميع أجزائه^(١). انتهى.

والمضارع المنفيُّ بـ«لا» إذا وقع في الظاهر جواباً لـ«إذا» يجوز أن يُتلقى بفاء الجزاء ويجوز أن لا يُتلقى بها، وينبغي أن يُعتقد أن بين الفاء والفعل مبتدأً محذوفاً، وتكون الجملةُ إذ ذاك اسميةً، والجملةُ الاسميةُ إذا وقعت جواباً لـ«إذا» فلا بد فيها من الفاء أو «إذا» الفجائية.

قال بعضهم: ودخلت الفاء على «إذا» حيث وقع إلا في «يونس»^(٢) لأنها عَطَفَتْ جملةً على جملةٍ بينهما اتِّصَالٌ وتعقيب، فكان الموضعُ موضعَ الفاء، وما في «يونس» يأتي في موضعه إن شاء الله. انتهى

وقال الحوفي: «ولا يستقدمون» معطوفٌ على «لا يستأخرون». انتهى.

وهذا لا يمكن لأن «إذا» شرطيةٌ فالذي يترتب عليها إنما هو مستقبلٌ، ولا يترتب على مجيء الأجل في المستقبل إلا مستقبلٌ؛ وذلك يُتصوَّر في انتفاء الاستنخار لا في انتفاء الاستقدام؛ لأن الاستقدامَ سابقٌ على مجيء الأجل في الاستقبال، فيصير نظير قولك: إذا قمتَ في المستقبل لم يتقدَّم قيامك في الماضي، ومعلومٌ أنه إذا قام في المستقبل لم يتقدم قيامه هذا في الماضي^(٣)، وهذا شبيهٌ بقول زهير:

بدا لي أنني لستُ مُدْرِكٌ ما مضى ولا سابقاً شيئاً إذا كان جائياً^(٤)
ومعلومٌ أن الشيء إذا كان جائياً إليه لا يسبقه.

والذي تُخرِجُ عليه الآيةُ أن قولهُ: «ولا يستقدمون» منقطعٌ من الجواب على

(١) المحرر الوجيز ٢/٣٩٦.

(٢) الآية (٣٤)، وهي: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ﴾.

(٣) يعني أنه من باب الإخبار بالضروريات التي لا يجهل أحد معناها. الدر المصون ٥/٣٠٨.

(٤) ديوان زهير بشرح الأعلام ص ١٦٩، والكتاب ١/١٦٥، والحلل للبطلوسي ص ١١٠، وهو

في الديوان بشرح ثعلب ص ٢٨٧ برواية: ولا سابقي شيء، وأشار المحقق في الحاشية إلى

رواية: ولا سابق شيئاً. قال البطلوسي: يجوز في «سابق» النصب بالعطف على «مدرك»،

والرفع على إضمار مبتدأ، والخفض على توهم الباء في «مدرك».

سبيل استثناء إخبار، أي: وهم لا يستقدمون الأجل، أي: لا يسبقونه، وصار معنى الآية: إنهم لا يسبقون الأجل ولا يتأخرون^(١) عنه.

﴿يَبْنَىءَ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ هذا الخطابُ لبني آدم؛ قيل: هو في الأزل، وقيل: هو مراعى به وقت الإنزال، وجاء بصورة الاستقبال لتقوى الإشارة بصحة النبوة إلى محمد ﷺ.

و«ما» في «إمّا» تأكيدٌ، قال ابن عطية: وإذا لم يكن «ما» لم يَجُزْ دخولُ النون الثقيلة^(٢). انتهى.

وبعضُ النحويين يُجيز ذلك.

وجوابُ الشرط «فمن اتقى»، فيحتمل أن تكون «مَن» شرطيةً وجوابه «فلا خوفٌ» وتكونُ هذه الجملةُ الشرطيةُ مستقلةً بجواب الشرط الأول من جهة اللفظ، ويحتمل أن تكون «مَن» موصولةً، فتكون هذه الجملةُ والتي بعدها من قوله: «والذين كذبوا» مجموعها هو جوابُ الشرط، وكأنه قُصِدَ بالكلام التقسيم، وجُعِلَ القسمان جواباً للشرط، أي: إمّا يأتينكم فالمتقون لا خوفٌ عليهم والمكذبون أصحابُ النار، فثمرةُ إتيان الرسل وفائدتهُ هذا.

وتضمَّن قوله: «فمن اتقى وأصلح» سبقَ الإيمان إذ التقوى والإصلاح هما ناشتان عنه، وجاء في قسمه^(٣): «والذين كذبوا» والتكذيبُ هو بدءُ الشقاوة، إذ لا ينشأ عنه إلا الانهماكُ والإفساد، وقابل الإصلاح بالاستكبار لأنَّ إصلاح العمل من نتيجة التقوى، والاستكبار من نتيجة التكذيب، وهو التعاضُّم، فلم يكونوا ليتبعوا الرسل فيما جاؤوا به، ولا يقتدوا بما أمروا به؛ لأنَّ مَن كذَّبَ بالشيء نأى بنفسه عن أتباعه.

وقال ابن عطية: هذه حالتان تعمُّ جميعَ مَن يصدُّ عن رسالة الرسول، إمّا أن

(١) في (أ) و(ع): يستأخرون.

(٢) المحرر الوجيز ٢/٣٩٦.

(٣) في (ب) و(د) و(المطبوع): قسمه، وهو تحريف.

يكذب بحسب اعتقاده أنه كذب، وإمّا أن يستكبر فيكذب وإن كان غير مصمّم في اعتقاده على التكذيب، وهذا نحو الكفر عناداً^(١). انتهى.

وتضمنت الجملتان حذفَ رابط، وتقديره: فمن اتقى وأصلح منكم، والذين كذبوا منكم.

وتقدم تفسير «فلا خوف» و«أولئك أصحاب النار» الجملتان^(٢).

وقرأ أبيّ والأعرج: «إما تأتينكم» بالياء على تأنيث الجماعة^(٣)، و«يقصّون» محمولٌ على المعنى إذ ذاك، إذ لو حُمِل على اللفظ لكان: تقصّ.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ لَمَّا ذَكَرَ الْمَكْذِبِينَ ذَكَرَ أَسْوَأَ حَالًا مِنْهُمْ، وَهُوَ مَنْ يَفْتَرِي الْكُذْبَ عَلَى اللَّهِ، وَذَكَرَ أَيْضًا مَنْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ.

﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكُذْبِ﴾ قال ابن عباس وابن جبیر ومجاهد: ما كُتِب لهم من السعادة والشقاوة. ولا يناسبُ هذا التفسيرُ الجملةَ التي بعد هذا.

وقال الحسن: ما كُتِب لهم من العذاب.

وقال الربيع ومحمد بن كعب وابن زيد: ما سبق لهم في أم الكتاب.

وقال ابن عباس أيضاً ومجاهد أيضاً وقتادة: ما كُتِبَ الحَفَظَةُ في صحائف الناس من الخير والشر، فينال هؤلاء^(٤) نصيبهم من ذلك، وهو الكفر والمعاصي.

وقال الحكم وأبو صالح: ما كُتِب لهم من الأرزاق والأعمار والخير والشر في الدنيا^(٥).

(١) المحرر الوجيز ٢/٣٩٦.

(٢) عند تفسير الآيتين (٣٨) و(٣٩) من سورة البقرة.

(٣) المحتسب ١/٢٤٧.

(٤) قوله: فينال هؤلاء، تحرف في (أ) و(د) و(ع) والمطبوع إلى: فيقال هذا، والمثبت موافق لما في المحرر الوجيز ٢/٣٩٧، والكلام منه.

(٥) لم أقف عليه عن الحكم وأبي صالح، وأخرج الطبري ١٠/١٧٥ نحوه عن محمد بن كعب وابن زيد، ولفظه: «أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب»: من الأعمال والأرزاق والأعمار. وأخرج الطبري أيضاً ١٠/١٧٣ عن ابن عباس: من الخير والشر.

وقال الضحاك: ما كُتِبَ لهم من الثواب والعقاب^(١).

وقال ابن عباس أيضاً والضحاك أيضاً ومجاهد: ما كُتِبَ لهم من الكفر والمعاصي^(٢).

وقال الحسن أيضاً: ما كُتِبَ لهم من الضلالة والهدى^(٣).

وقال ابن عباس أيضاً: ما كُتِبَ لهم من الأعمال^(٤).

وقال ابن عباس ومجاهد والضحاك: «من الكتاب» يراد به: من القرآن، وحظهم فيه سوادٌ وجوههم يومَ القيامة^(٥).

وقيل: ما أُوجِبَ من حِفْظِ عهودهم إذا أعطوا الجزية.

وقال الحسن والسدي وأبو صالح: من المقرّر في اللوح المحفوظ، وقد تقرّر في الشرع أن حظهم فيه العذاب والسخط^(٦).

والذي يظهر أن الذي كُتِبَ لهم في الدنيا من رزق وأجل وغيرهما ينالهم فيها، ولذلك جاءت التغية بعد هذا بـ«حتى»، والى هذا المعنى نحا الزمخشري؛ قال: أي: ما كُتِبَ لهم من الأرزاق والأعمال^(٧).

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَنَّىٰ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا صَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَيْنَا أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾ تقدم الكلام على «حتى إذا» في أوائل «الأنعام»^(٨)، ووقع في «التحرير»: «حتى» هنا ليس بغاية بل هي ابتداءٌ وجر^(٩).

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وأخرج عنه الطبري ١٧٤/١٠: ما وُعدوا من خيرٍ أو شرٍّ.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) زاد المسير ١٩٣/٣.

(٤) أخرجه الطبري ١٧٠/١٠.

(٥) المحرر الوجيز ٣٩٧/٢، وأخرجه بنحوه الطبري ١٧٤/١٠ عن ابن عباس.

(٦) المحرر الوجيز ٣٩٧/٢.

(٧) الكشاف ٧٧/٢.

(٨) عند تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَوكَ يُجَادِلُونَكَ﴾ الآية (٢٥).

(٩) في (به): وخبر، وكذا وقع في الدر المصون ٣١٠/٥ نقلاً عن البحر، وعليه شرح السمين،

وهذا وهم، بل معناها هنا الغاية، والخلاف فيها إذا كانت حرف ابتداء: أهي حرف جرّ والجملة بعدها في موضع جرّ وتتعلّق بما قبلها كما تتعلّق حروف الجرّ، أم ليست حرف جرّ ولا تتعلّق بما قبلها تتعلّق حروف الجرّ من حيث المعنى لا من حيث الإعراب؟ قولان؛ الأول لابن دُرستويه والزجاج والثاني للجمهور، وإذا كانت حرف ابتداء فهي للغاية، ألا تراها في قول الشاعر:

سَرَيْتُ بِهِمْ حَتَّى تَكِلَ مَطِيَّهُمْ وَحَتَّى الْجِيَادُ مَا يُقَدِّنَ بِأَرْسَانِ^(١)
وقول الآخر:

فَمَا زَالَتِ الْقَتْلَى تَمِجُّ دَمَاءَهَا بِدِجْلَةٍ حَتَّى مَاءِ دِجْلَةٍ أَشْكَلُ^(٢)
تفيد الغاية؛ لأن المعنى أنه مدّ بهم في السير إلى كلال المطيّ والجياد، ومجّت الدماء إلى تغير ماء دجلة.

قال الزمخشري: وهي «حتى» التي يُبتدأ بعدها الكلام^(٣). انتهى.

وقال الحوفي: و«حتى» غاية متعلّقة بـ«ينالهم» فيَحْتَمِلُ قَوْلُهُ أَنْ يَرِيدَ التَّعْلُقَ الصَّنَاعِيَّ وَأَنْ يَرِيدَ التَّعْلُقَ الْمَعْنَوِيَّ.

والمعنى: أنهم ينالهم حظهم ممّا كُتِبَ لهم إلى أن تأتيهم رسلُ الموت يقبضون أرواحهم، فيسألونهم سؤالَ توبيخٍ وتقديرٍ: أين معبوداتكم من دون الله؟ فيجيبون بأنهم حادّوا عنّا وأخذوا طريقاً غيرَ طريقنا، أو «ضلُّوا عنّا»: هلكوا واضمحَلُّوا.

والرسل: مَلَكَ الموت وأعوانه، و«يتوفونهم» في موضع الحال، وكُتبت «أينما» متّصلةً، وكان قياسُ كتابتها الانفصال^(٤)؛ لأن «ما» موصولةٌ كهي في ﴿إِنَّ مَا

= والمثبت من باقي النسخ، وهو الأنسب بالسياق. ووقع بعدها في المطبوع: والجملة بعدها في موضع جر. وليست في النسخ. ولم ترد أيضاً في الدر المصون.

(١) البيت لامرئ القيس. وهو في ديوانه ص ٩٣ برواية: مَطَّوْتُ بِهِمْ...

(٢) البيت لجرير. وهو في ديوانه ١/١٤٣، والكشاف ١/٥٠١، ورواية الديوان: وما زالت القتلى تمور دماؤها... قال الشارح: تمور: تجري، والأشكل: الذي تخالطه حمرة. وتمج معناه: تلقى.

(٣) الكشاف ٢/٧٧.

(٤) في (أ) و(د) و(ع): وكان قياسه كتابتها بالانفصال.

تُوعَدُونَ لَأَنْتُمْ ﴿[الأنعام: ١٣٤] إذ التقدير: أين الآلهة التي كنتم تعبدون.

وقيل: معنى «تَدْعُونَ»، أي: تستغيثونهم لقضاء حوائجكم، وما ذكرناه من أن هذه المحاوراة بين الملائكة وهؤلاء تكون وقت الموت. وأن التوفّي هو بقبض الأرواح هو قول أكثر المفسرين، وقالت فرقة منهم الحسن: الرسل ملائكة العذاب يوم القيامة، والمحاوراة في ذلك اليوم، ومعنى «يتوفونهم»: يستوفونهم عدداً في السّوق إلى جهنم^(١)، ونيل النصيب على هذا إنما هو في الآخرة؛ إذ لو كان في الدنيا لَمَا تحققت الغاية؛ لانقطاع الثّل قبلها بمدد كثيرة.

ويحتمل «وشهدوا» أن يكون معطوفاً^(٢) على «قالوا» فيكون من جملة جواب السؤال، ويحتمل أن يكون استئناف إخبار من الله تعالى بإقرارهم على أنفسهم بالكفر، ولا تعارض بين هذا وبين قوله: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] لاحتمال ذلك من طوائف مختلفة أو في أوقات مختلفة.

وجواب سؤالهم ليس مطابقاً من جهة اللفظ؛ لأنه سؤال عن مكان، وأجيب بفعل وهو مطابق من جهة المعنى؛ إذ تقدير السؤال: ما فعل معبودكم من دون الله معكم؟ قالوا: ضلّوا عنا.

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾ أي: يقول الله لهم، أي: لكفار العرب، وهم المفترون الكذب والمكذبون بالآيات، وذلك يوم القيامة، وعبر بالماضي لتحقق وقوعه، وقوله ذلك على لسان الملائكة.

ويتعلّق «في أمم» في الظاهر ب«ادخلوا»، والمعنى: في جملة أمم، ويحتمل أن يتعلّق بمحذوف فيكون في موضع الحال.

و«قد خلت من قبلكم»، أي: تقدّمتم في الحياة الدنيا، أو تقدّمتم، أي: تقدّم دخولها في النار، وقدّم الجن لأنهم الأصل في الإغواء والإضلال، ودل ذلك على أن عصاة الجن يدخلون النار.

(١) ذكره بهذا اللفظ ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٩٨/٢ عن فرقة ولم ينسبه، وذكره عن الحسن بنحو الرازي ٧١/١٤-٧٢، والطبرسي في مجمع البيان ٥٢/٨.

(٢) في (أ) و(د) و(ع): مقطوعاً.

و«في النار» متعلّقٌ بـ«خلت» على أنّ المعنى: تقدّم دخولها، أو بمحذوفٍ هو صفةٌ لـ«أمم»، أي: في أممٍ سابقةٍ في الزمان كائنةً من الجنّ والإنس كائنةً في النار، أو بـ«ادخلوا» على تقديرٍ أن تكون «في» بمعنى «مع»، وقد قاله بعضُ المفسرين، فاختلفَ مدلولُ «في» إذ الأولى تفيّدُ الصحبةَ والثانية تفيّدُ الظرفيةَ، وإذا اختلفَ مدلولُ الحرفِ جاز أن يتعلّقَ اللفظانِ بفعلٍ واحدٍ، ويكون إذ ذاك «ادخلوا» قد تعدّى إلى الظرفِ المختصّ بـ«في» وهو الأصل، وإن كان قد تعدّى في موضعٍ آخر بنفسه لا بواسطة «في» كقوله: ﴿وَقِيلَ ادْخُلُوا النَّارَ﴾ [التحریم: ١٠] ﴿ادْخُلُوا أَنْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ [الزمر: ٧٢].

ويجوز أن تكون «في» باقيةً على مدلولها من الظرفية و«في النار» كذلك، ويتعلقان بلفظ «ادخلوا» وذلك على أن يكون «في النار» بدلَ اشتمالٍ، كقوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَنْدَادِ﴾ [البروج: ٤-٥] ويجوز أن يتعدّى الفعلُ إلى حرفي جرٍّ بمعنى واحدٍ على طريقة البدل.

﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ «كلما» للتكرار، ولا يستوي ذلك في الأمة الأولى، فاللاحقة تلعنُ السابقة، أو يلعنُ بعضُ الأمة الداخلة بعضها، ومعنى «أختها»، أي: في الدّين، والمعنى: كلما دخلت أمةٌ من اليهود والنصارى وعبدة الأوثان وغيرهم من الكفار. وقال الزمخشري: «أختها»: التي ضلّت بالافتداء بها^(١). انتهى.

والمعنى: أن أهل النار يلعنُ بعضهم بعضاً، ويعادي بعضهم بعضاً، ويكفُرُ بعضهم ببعض، كما جاء في آياتٍ أُخر.

﴿حَتَّىٰ إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرِهِنَّ لِأُولِهِنَّ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصَلُّونَا فَتَأْتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾ «حتى» غايةٌ لما قبلها، والمعنى أنهم يدخلون فوجاً ففوجاً لا عناء بعضهم بعضاً إلى انتهاء تداركهم وتلاحقهم في النار واجتماعهم فيها.

وأصل «آذَرَكَوا»: تَدَارَكَوا، أدغمت التاء في الدال فاجتلبت همزةً الوصل.

قال ابن عطية: وقرأ أبو عمرو: «إدَّارَكُوا» بقطع ألفِ الوَصل، قال أبو الفتح: هذا مُشْكِلٌ، ولا يَسُوغُ أن يَفْطَعَهَا ارتجالاً، فذلك إنما يَجِيءُ شاذاً في ضرورة الشعر في الاسم أيضاً، لكنه وَقَفَ مِثْلَ وَقْفَةِ المِسْتَنَكِرِ^(١) ثم ابتداءً فقطع. وقرأ مجاهدٌ بَقَطْعِ الألفِ وسكونِ الدالِ وفتحِ الراءِ بمعنى: أَدْرَكَ بَعْضُهُم بَعْضاً، وقرأ حُميدٌ: «أَدْرَكُوا» بضمِ الهمزة وكسرِ الراءِ، أي: أَدْخَلُوا فِي أَدْرَاكِهَا، وقال مكِّيُّ في قراءة مجاهد: إنها «أَدْرَكُوا» بشدِّ الدالِ المفتوحة وفتحِ الراءِ، قال: وأصلُها: ادْتَرَكُوا، وزنُّها افتعلوا. وقرأ ابن مسعود والأعمش: «تَدَارَكُوا»، ورُويت عن أبي عمرو^(٢). انتهى.

وقال أبو البقاء: وقرئ «إذا ادَّارَكُوا» بألفٍ واحدةٍ ساكنةٍ والدالُ بعدها مشددةٌ، وهو جمعٌ بين ساكنين، وجاز في المنفصل كما جاز في المتَّصل، وقد قال بعضهم: اثنا عشر، بإثباتِ الألفِ وسكونِ العين^(٣). انتهى.

ويعني بقوله: كما جاز في المتَّصل، نحو «الضالِّين» و«جانٌّ».

و«أخراهم»: الأمةُ الأخيرةُ في الزمانِ التي وَجَدَتْ ضلالاتٍ مقرَّرةً مستعملةً لأُولاهم التي شرَّعتْ ذلك وافترتْ وسلكتْ سبيلَ الضلالِ ابتداءً، أو: أخراهم في الدُخولِ إلى النارِ وهم الأتباعُ لأُولاهم دخولاً وهم القادةُ. أقوالٌ آخِرها لمقاتلٍ^(٤).

وقال ابن عباس: آخِرُ أمةٍ لأوَّلِ أمةٍ^(٥).

و«أخرى» هنا بمعنى آخِرة مؤنَّث «آخِر» مقابلِ أول، لا مؤنَّث «آخِر» بمعنى «غير»، كقوله: ﴿وَزَرَّ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤] واللام في «لأُولاهم» لامُ السببِ، أي: لأجلِ أولاهم؛ لأنَّ خطابهم مع الله لا معهم.

(١) كذا في النسخ، والصواب: المستذكر، كما في المحرر والمحتسب.

(٢) المحرر الوجيز ٣٩٩/٢، وكلام ابن جني في المحتسب ٢٤٧/١-٢٤٨، والقراءة الأخيرة مذكورة فيه.

(٣) الإملاء ٢٧٣/١، والقراءة ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٤٣ عن أبي عمرو، وذكرها ابن جني في المحتسب ٣٤٧/١ عن مجاهد وحמיד ويحيى وإبراهيم.

(٤) تفسير البغوي ١٥٩/٢، وزاد المسير ١٩٥/٣.

(٥) المصدران السابقان.

«أضَلُّونَا» شَرَعُوا لَنَا الضَّلَالَ، أو: جعلونا نَضِلُّ وحملونا عليه ضعفاً زائداً على عذابنا؛ إذ هم كافرون ومسيَّبوا كُفِّرْنَا.

﴿قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢٨) أي: لكل من الأخرى والأولى عذاب متضاعفٌ زائدٌ إلى غير نهاية، وذلك أن العذاب مؤبَّد، فكلُّ ألمٍ يَعْقِبُهُ آخَرٌ.

وقرأ الجمهورُ بالتاء على الخطاب للسائلين، أي: لا تعلمون ما لكل فريقٍ من العذاب، أو: لا تعلمون المقاديرَ وصورَ العذاب، قيل: أو خطابٌ لأهل الدنيا، أي: ولكن يا أهل الدنيا لا تعلمون مقدارَ ذلك.

وقرأ أبو بكر والمفضلُّ عن عاصم بالياء^(١)، فيحتمل أن يكون إخباراً عن الأمة، ويكون الضميرُ في «لا يعلمون» عائداً على الأمة الأخيرة التي طلبت أن يُضَعَّفَ العذابُ على أولاهم، ويحتمل أن يكون خبراً عن الطائفتين، أي: لا يعلم كلُّ فريقٍ قَدْرَ ما أُعِدَّ له من العذاب، أو قَدْرَ ما أُعِدَّ للفريق الآخر من العذاب.

وروي عن ابن مسعود أن الضعف هنا الأفاعي والحيات. وهذه الجملة ردٌّ على أولئك السائلين وعدمُ إسعافٍ لما طلبوا.

﴿وَقَالَتْ أُولَئِهِنَّ لِأَخْرَجْنَهُنَّ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ (٢٩) أي: قالت الطائفة المتبوعة للطائفة المتبِعة، واللام في «أخراهم» لامُ التبليغ، نحو: قلت لك اصنع كذا؛ لأنَّ الخطاب هو مع أخراهم، بخلاف اللام في «أولاهم» فإنها كما ذكرنا لامُ السبب؛ لأنَّ الخطاب هناك هو مع الله تعالى.

والمعنى: أنتم لا فضلَ لكم علينا، ولم تزدجروا حين جاءتكم الرسلُ والنُّذُرُ، بل دُمتم في كفركم وتركتم النظرَ فاستوتَّ حالنا وحالكم، قال الزمخشريُّ: أي: قد ثَبِتَ أن لا فضلَ لكم علينا وأنا متساوون في استحقاق الضعف^(٢).

وقال مجاهد: معنى «من فضل»: من التخفيف؛ لَمَّا قال الله: «لكلِّ ضعف»

(١) السبعة ص ٢٨٠، والتيسير ص ١١٠ عن أبي بكر، وزاد المسير ٣/١٩٥ عن أبي بكر والمفضل.

(٢) الكشاف ٢/٧٨.

قالت الأولى للأخرى: لم تبلغوا أملاً بأن عذابكم أخف من عذابنا، ولا فضلتم بالإسعاف^(١). انتهى.

والفاء في «فما» قال الزمخشري: عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة: «لكل ضعف»^(٢).

والذي يظهر أن المعنى انتفاء كون فضل عليهم من السفلة في الدنيا بسبب اتباعهم إياهم وموافقتهم لهم في الكفر، أي: أتباعكم إيانا وعدم أتباعكم سواء؛ لأنكم كنتم في الدنيا أقل عندنا من أن يكون لكم علينا فضل باتباعكم، بل كفرتم اختياراً، لا أننا حملناكم على ذلك إجباراً. وأن قوله: «فما كان» جملة معطوفة على جملة محذوفة بعد القول دلّ عليها ما سبق من الكلام، والتقدير: قالت أولاهم لأخراهم: ما دعاؤكم الله بأننا أضللناكم وسؤالكم ما سألتكم فما كان لكم علينا من فضل بضلالكم. وأن قوله: «فذوقوا العذاب» من كلام الأولى خطاباً للأخرى على سبيل التثني منهم. وأن ذوق العذاب هو بما كسبتم من الآثام لا بسبب دعاؤكم أننا أضللناكم.

وقيل: «فذوقوا» من خطاب الله لجميعهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ قال ابن عباس: لا تفتح لأعمالهم ولا لدعائهم، ولا لما يريدون به طاعة الله تعالى^(٣)، أي: لا يصعد لهم عمل صالح فتنفتح أبواب السماء له، وهذا منتزع من قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] ومن قوله: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبِيَاءِ لَفِي عَذَابٍ﴾ [المطففين: ١٨].

وقال السدي وغيره: لا تفتح لأرواحهم^(٤).

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٠٠، وقوله: لما قال الله لكل ضعف... هو من كلام ابن عطية شرحاً لقول مجاهد.

(٢) الكشف ٢/٧٨.

(٣) تفسير الرازي ١٤/٧٦، وأخرجه الطبري ١٠/١٨٣ من رواية عطاء عن ابن عباس بلفظ: لا يصعد لهم قول ولا عمل.

(٤) تفسير الرازي ١٤/٧٦، وأخرجه بنحوه مطولاً الطبري ١٠/١٨٣، وأخرجه الطبري أيضاً عن ابن عباس من رواية الضحاك باللفظ المذكور أعلاه.

وذكروا في صعود الروحين وفتح السماء لروح المؤمن وردّ روح الكافر أحاديث، وذلك عند موتهما^(١).

وقيل: المعنى: لا تفتح لهم أبواب السماء في القيامة ليدخلوا منها إلى الجنة، أي: لا يؤذن لهم في الصعود إلى السماء.

وقيل: لا تُنزّل عليهم البركة ولا يغاثون.

وقرأ أبو عمرو: «لا تُفْتَحُ» بقاء التأنيث والتخفيف، وقرأ الأخوان بالياء والتخفيف، وقرأ باقي السبعة بالتاء من أعلى والتشديد^(٢).

وقرأ أبو حيوة وأبو البرهسم بالتاء من أعلى مفتوحةً والتشديد^(٣).

﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ هذا نفيٌ مُعَيَّنٌ بمستحيل، والولوج: التقمُّم في الشيء، وذكر «الجمال» لأنه أعظمُ الحيوان المزاوِل للإنسان جنةً، فلا يَلِجُ إلا في بابٍ واسع، كما قال:

لقد عَظُمَ البعيرُ بغيرِ لُبِّ^(٤)

وقال:

جسْمُ الجِمالِ وأحلامُ العِصافيرِ^(٥)

(١) ينظر حديث أبي هريرة وحديث البراء بن عازب رضي الله عنهما عند أحمد (٨٧٦٩) و(١٨٥٣٤).

(٢) السبعة ص ٢٨٠، والتيسير ص ١١٠.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٢/٤٠٠، وجاء في مطبوعه: وقرأ أبو حيوة وأبو إبراهيم: «يَفْتَحُ» بالياء وفتح الفاء وشد التاء.

(٤) وعجزه: فلم يستغن بالِعِظْمِ البعيرِ، والبيت عزاه أبو تمام للعباس بن مرداس السلمي رضي الله عنه، كما في الحماسة بشرح المرزوقي ٣/١١٥٥، والتبريزي ٣/٨٩-٩٠، ونُسب لمعاوية بن مالك الكلابي كما نقل التبريزي عن أبي رياش. قال البكري في سمط اللآلي ١/١٩٠: اختلف في عزو هذا الشعر... والصحيح أنه لمعُود الحكماء، وهو معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب. وقد ورد البيت دون نسبة في جمهرة الأمثال ١/٤٢٩، والمستقصى ١/١٠٢، ومجمع الأمثال ١/٢٥٤.

(٥) وصدرة: لا بأس بالقوم من طولٍ ومن عِظْمٍ، والبيت لحسان رضي الله عنه، وهو في ديوانه ص ٢٧٠، والكتاب ٢/٧٤، والحيوان ٥/٢٢٩، وجمهرة الأمثال ١/٤٢٩، ومجمع الأمثال =

وذكر «سم الخياط» لأنه يُضرب به المثلُ في ضيق المسلك؛ يقال: أضيقتُ من حَرَّتِ الإبرة، وقيل للدليل: حَرَّيتُ؛ لاهتدائه في المضائق تشبيهاً بأخترات الإبرة، والمعنى: أنهم لا يدخلون الجنة أبداً.

وقرأ ابن عباس فيما روى عنه شهر بن حوشب، ومجاهدُ وابنُ يَعْمَرَ وأبو مِجَلَزٍ والشعبيُّ ومالك بن الشَّخِير وأبو رجاء وأبو رَزِينِ وابنُ مُحَيِّصِْنِ وأبان عن عاصم: «الجُمَّلُ» بضمِّ الجيمِ وفتح الميمِ مشددة^(١)، وفَسَّرَ بالقَلْسِ الغليظ وهو حَبْلُ السفينة؛ تُجْمَعُ حبالٌ وتُفْتَلُ وتُصَيَّرُ حبالاً واحداً.

وقيل: هو الحبلُ الغليظُ من القَتَبِ.

وقيل: الحبلُ الذي يُضَعَدُ به في النخل^(٢).

وروي عن ابن عباس -ولعله لا يصح-: إنَّ الله أحسنُ تشبيهاً من أن يشبَّه بالجَمَلِ^(٣). يعني أنه لا يناسبُ، والحبلُ يناسبُ الخيظ الذي يُسَلَكُ به في حَرَمِ الإبرة.

وعن الكسائي: أنَّ الذي رَوَى «الجُمَّلُ» عن ابن عباسٍ كان أعجمياً، فشَدَّد الميمَ لِعُجْمَتِهِ^(٤).

قال ابن عطية: وهذا ضعيفٌ؛ لكثرة أصحاب ابن عباس على القراءة المذكورة. انتهى، ولكثرة القراء بها غير ابن عباس.

وقرأ ابن عباس أيضاً في رواية مجاهد، وابنُ جُبَيْرِ وقتادةُ وسالمُ الأفتُسُ بضم الجيمِ وفتح الميمِ مخففةً.

= ٢٥٤/١ برواية: جسم البغال...، وما ذكره المصنف هو رواية الزمخشري للبيت في الكشاف ٧٨/٢، والمستقصى ١٠٣/١.

(١) القراءات الشاذة ص ٤٣، والمحتسب ٢٤٩/١، والمحزر الوجيز ٤٠٠/٢، وزاد المسير ١٩٧/٣، وأخرجها الطبري ١٩٢/١٠ من طريق مجاهد عن ابن عباس.

(٢) هو تفسير عكرمة كما أخرج الطبري ١٩٣/١٠.

(٣) أورده الزمخشري في الكشاف ٧٨/٢.

(٤) تفسير الطبري ١٩٤/١٠، والمحزر الوجيز ٤٠٠/٢، وما سيرد منه.

وقرأ ابن عباس في رواية عطاء، والضحاك والجحدريُّ بضم الجيم والميم مخففةً.

وقرأ عكرمة وابنُ جبير في رواية بضم الجيم وسكون الميم.

وقرأ أبو المتوكل وأبو الجوزاء بفتح الجيم وسكون الميم^(١).

ومعناه في هذه القراءات: القَلْسُ الغليظ، وهو حبلُ السفينة، وقراءةُ الجمهور «الجمَل» بفتح الجيم والميم أوقع؛ لأن سَمَّ الإبرة يُضربُ بها المثلُ في الضيق، والجمَلُ وهو هذا الحيوانُ المعروفُ يُضربُ به المثلُ في عِظَمِ الجنة كما ذكرناه.

وسئل ابنُ مسعود عن الجمَل فقال: زوجُ الناقة^(٢). وذلك منه استجهالٌ للسائل، ومنع منه أن يُتكلَّفَ له معنى آخر.

وقرأ عبد الله وقتادة وأبو رزين وابنُ مصرف^(٣) وطلحةُ بضم سين «سم».

وقرأ أبو عمران الجَوْنِي وأبو نَهَيْك، والأصمعيُّ عن نافعٍ بكسر السين^(٤).

وقرأ عبدُ الله وأبو رَزِينِ وأبو مجلز: «المِخِيطُ» بكسر الميم وسكون الخاء وفتح الياء^(٥)، وقرأ طلحة بفتح الميم^(٦).

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: مثلَ ذلك الجزاء نجزي أهلَ الجرائم، وقال الزمخشريُّ: لِيُؤذَنَ أَنَّ الإِجْرَامَ هُوَ السَّبَبُ الْمَوْصِلُ إِلَى الْعِقَابِ، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ أَجْرَمَ عُوقِبَ، ثُمَّ كَرَّرَهُ تَعَالَى فَقَالَ: «وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ» لِأَنَّ كُلَّ مُجْرِمٍ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ^(٧). انتهى وفيه دسيئةُ الاعتزال.

(١) تنظر هذه القراءات في القراءات الشاذة ص ٤٣، والمحتسب ٢٤٩/١، والمححر الوجيز ٤٠٠/٢، وزاد المسير ١٩٧/٣-١٩٨.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٩٤٨- تفسير)، والطبري ١٠/١٨٨.

(٣) كذا في النسخ، والصواب: وابن محيصن، كما في زاد المسير ٣/١٩٨، وعنه نقل المصنف، والقراءة ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٤٣ عن أبي السَّمَال.

(٤) زاد المسير ٣/١٩٨، وهي في القراءات الشاذة ص ٤٣ عن أبي السمال أيضاً.

(٥) زاد المسير ٣/١٩٨، وهي في القراءات الشاذة ص ٤٣ عن ابن مسعود.

(٦) المححر الوجيز ٢/٤٠٠.

(٧) الكشف ٢/٧٩.

﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (١) هذه استعارة لما يحيط بهم من النار من كل جانب، كما قال: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦].

والغواشي: جمع غاشية، قال ابن عباس والقرظي وابن زيد: هي اللُّحْفُ (١).

وقال عكرمة: ما يغشاهم من فوقهم من الدخان (٢).

وقال الزجاج: غاشية من النار (٣).

وقال الضحاك: المهاد: الفُرش، والغواشي: اللُّحْفُ (٤).

والتنوين في «غواش» تنوين صرف أو تنوين عَوْضٍ؛ قولان. وتنوين عَوْضٍ من الياء أو من الحركة؛ قولان. كلُّ ذلك مقررٌ في علم النحو.

وقرئ: «غواش» بالرفع كقراءة عبد الله: «وله الجوارُ المنشآت» (٥).

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٦) لَمَّا أَخْبَرَ بِوَعِيدِ الْكُفَّارِ أَخْبَرَ بِوَعْدِ الْمُؤْمِنِينَ، وَخَبَرَ «وَالَّذِينَ» الْجُمْلَةَ مِنْ «لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا»، أَي: مِنْهُمْ، أَوِ الْجُمْلَةَ مِنْ «أُولَئِكَ» وَمَا بَعْدَهُ، وَتَكُونُ جُمْلَةً «لَا نُكَلِّفُ» اعْتِرَاضاً بَيْنَ الْمَبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ، وَفَائِدَتُهُ أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ قَوْلَهُ: «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» نَبَّهَ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْعَمَلَ وَسُعُهُمْ وَغَيْرُ خَارِجٍ عَنْ قَدْرَتِهِمْ، وَفِيهِ تَنْبِيهُ لِلْكَفَّارِ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ مَعَ عَظَمِ مَحَلِّهَا يُؤَصَّلُ إِلَيْهَا بِالْعَمَلِ السَّهْلِ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ.

وقال القاضي أبو بكر بن الطيب: لم يكلف أحداً في نفقات الزوجات إلا ما وجد وتمكّن منه، دون ما لا تناله يده، ولم يرد إثبات الاستطاعة قبل الفعل، ونظيره: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَانَهَا﴾ [الطلاق: ٧] (٦). انتهى، وليس السياق يقتضي ما ذكره.

(١) زاد المسير ٣/١٩٩، وأخرجها الطبري ١٠/١٩٦-١٩٧ عن القرظي والضحاك والسدي.

(٢) زاد المسير ٣/١٩٩.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢/٣٣٨، وزاد المسير ٣/١٩٩، وفيهما: غاشية فوق غاشية من النار.

(٤) أخرجه الطبري ١٠/١٩٧.

(٥) القراءات الشاذة ص ٤٣ و ١٤٩.

(٦) تفسير القرظي ٩/٢٢١.

وقال الزمخشري^(١): جملة معترضة بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتنئها وصف الواصف من النعيم الخالد مع العظيم^(٢) بما هو من الوسع وهو الإمكان الواسع غير الضيق من الإيمان والعمل الصالح. انتهى، وفيه دسيسة الاعتزال.

وقرأ الأعمش: «لا تكلف نفس»^(٣).

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ أي: أذهبنا في الجنة ما انطوت عليه صدورهم من الحقود.

وقيل: نزع الغل في الجنة أن لا يحسد بعضهم بعضاً في تفاضل منازلهم.

وقال الحسن: غل الجاهلية^(٤).

وقال سهل بن عبد الله: الأهواء والبدع.

وروي عن علي كرم الله وجهه: فينا والله أهل بدر نزلت.

وعنه: إنني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قيل فيهم: «ونزعنا» الآية^(٥).

والذي يظهر أن النزاع للغل كناية عن خلقهم في الآخرة سالمى القلوب طاهريها، متواذنين متعاطفين، كما قال: ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

و«تجري» حال، قاله الحوفي، قال: والعامل فيه «نزعنا».

وقال أبو البقاء: حال والعامل فيها معنى الإضافة^(٦).

وكلا القولين لا يصح؛ لأن «تجري» ليس من صفات الفاعل الذي هو ضمير «نزعنا»، ولا من صفات المفعول الذي هو «ما في صدورهم»، ولأن معنى الإضافة

(١) في الكشاف ٧٩/٢.

(٢) في مطبوع الكشاف: مع التعظيم.

(٣) المصدر السابق.

(٤) النكت والعيون ٢٢٤/٢.

(٥) أخرج الروائين عبد الرزاق ٢٢٩/١، والطبري ١٩٨/١٠-١٩٩.

(٦) الإملاء: ٢٧٤/١.

لا يعمل إلا إذا كانت إضافةً يَمَكِّنُ للمضاف أن يعمل إذا جَرَّد من الإضافة رفعاً أو نصباً فيما بعده. والظاهرُ أنه خبرٌ مستأنفٌ عن صفة حالهم.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ أي: وَقَفْنَا لتحصيل هذا النعيم الذي صِرْنَا إليه بالإيمان والعمل الصالح؛ إذ هو نعمةٌ عظيمةٌ يجب عليهم بها حمدُه والشأنُ عليه تعالى. وقيل: الهدايةُ هنا هو الإرشادُ إلى طرق الجنة ومنازلهم فيها، وفي الحديث أن أحدهم أهدى إلى منزله في الجنة من منزله في الدنيا^(١).

وقيل: الإشارةُ بـ«هذا» إلى العمل الصالح الذي هذا جزاؤه.

وقيل: إلى الإيمان الذي تأهلوا به لهذا النعيم المقيم.

وقال الزمخشري^(٢): أي: وَقَفْنَا لِمُوجِبِ^(٣) هذا الفوز العظيم، وهو الإيمان والعمل الصالح. انتهى. وفي لفظة واجب والعمل الصالح دسيئة الاعتزال.

وقال أبو عبد الله الرازي: معنى هداانا الله: أعطانا القدرةَ وضَمَّ إليها الداعيةَ الجازمةَ وصيَّرَ مجموعهما مُوجِباً لحصول تلك الفضيلة، وقالت المعتزلة: التحميدُ إنما وقع على أنه تعالى خَلَقَ العقل ووضع الدلائلَ وأزال الموانع^(٤). انتهى.

وفي «صحيح مسلم»: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ نَادَى مَنَادٌ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا، فَلذَلِكَ قَالُوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾»^(٥).

﴿وَمَا كَأَنَّ لِهَيْدَى لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ أي: وما كانت تُوجَدُ مِنَّا أنفسنا وخذها

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) في الكشاف ٧٩/٢.

(٣) في (ب) و(به): لواجب، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في الكشاف.

(٤) تفسير الرازي ٨٠/١٤-٨١.

(٥) صحيح مسلم (٢٨٣٧) من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما، وفيه بعد قوله:

«فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا»: فذلِكَ قوله عز وجل: ﴿وَوُودُوا أَنْ يُلَاقُوا أُمَّتَهُمْ أَوْ رِشْتَهُمْ يَمَّا كُنْتُمْ تَمْلُؤُونَ﴾، ولم نقف على رواية المصنف.

الهداية لولا أن الله هدانا، وهذه الجملة توضّح أن الله خالق الهداية فيهم وأنهم لو خُلّوا وأنفسهم لم تكن منهم هداية.

وقال الزمخشري: وما كان يستقيم أن نكون مهتدين لولا هداية الله تعالى وتوفيقه^(١).

وقال أبو البقاء: «وما كنا» الواو للحال، ويجوز أن تكون مستأنفة^(٢). انتهى، والثاني أظهر.

وقرأ ابن عامر: «ما كنا» بغير واو، وكذا هي في مصاحف أهل الشام^(٣)، وهي على هذا جملة موضحة للأولى، ومن أجاز فيها الحال مع الواو ينبغي أن يُجيزها دونها.

والذي تقتضيه أصول العربية أن جواب «لولا» محذوف لدلالة ما قبله عليه، أي: لولا أن هدانا الله ما كنا لنهتدي، أو: لضللنا، لأن «لولا» للتعليق^(٤) فهي في ذلك كأدوات الشرط، على أن بعض الناس خرّج قوله: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٢٤] على أن جوابه تقدّم، وهو قوله: ﴿وَهُمْ بِهَا﴾ وسيأتي ذلك إن شاء الله تعالى، وهذا على مذهب جمهور البصريين في منع تقديم جواب الشرط.

﴿لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَّبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ أي: بالموعود الذي وعدنا في الدنيا، قَضُوا بِأَنَّ ذلك حقّ قضاءً مشاهدَةً بالحسّ، وكانوا في الدنيا يَقْضُونَ بذلك بالاستدلال.

وقال الكرماني: وقع الموعودُ به على ما سبق به الوعدُ.

وقال الزمخشري: فكان لنا لطفاً وتنبهاً على الاهتداء فاهتدينا، يقولون ذلك سروراً واغتراباً بما نالوا، وتلذّذاً بالتكلّم به، لا تقرّباً وتعبدّاً، كما ترى من رُزقَ خيراً في الدنيا يتكلّم بنحو ذلك ولا يتمالك أن لا يقوله للفرح لا للقربة.

(١) الكشاف ٧٩/٢.

(٢) الإملاء ٢٧٤/١.

(٣) السبعة ص ٢٨٠، والتيسير ص ١١٠.

(٤) أي: تعليق حصول مضمون جملة بحصول مضمون جملة أخرى.

﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١) يحتمل أن يكون النداء من الله وهو أسرُّ لقلوبهم وأرفعُ لقدريهم، ويحتملُ أن يكون من الملائكة. و«أن» يحتمل أن تكون المخففة من الثقيلة، أي: ونودوا بأنه تلکم الجنة، واسمها ضميرُ الشأن يحذف إذا خُفِّت، ويحتمل أن تكون «أن» مفسرةً لوجود شرطيتها، وهما أن يكون قبلها جملةٌ في معنى القول، وبعدها جملةٌ، وكأنه قيل: تلکم الجنة

قال ابن عطية: «تلکم» إشارةٌ إلى غائبة^(١)، فإمّا لأنهم كانوا وعدوا بها في الدنيا فالإشارةُ إلى تلك، أي: تلکم هذه الجنة، وحُذفت «هذه»، وإما قبل أن يدخلوها، وإمّا بعد الدخول وهم مجتمعون في موضعٍ منها، فكلُّ غائبٍ عن منزله. انتهى.

وفي كتاب «التحرير»: «وتلکم» إشارةٌ إلى غائبٍ، وإنما قال هنا: «تلکم» لأنهم وعدوا بها في الدنيا، فلأجل الوعد جرى الخطابُ بكلمةِ العهد، ومنه قوله ﷺ للصدِّيق في الاستخبار عن عائشة: «كيف تیکم»^(٢) للعهد السابق. انتهى.

و«الجنة» جوّزوا فيها أن تكون خبراً لـ «تلکم» و«أورثتموها» حال، كقوله: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ حَاوِيَةً﴾ [النمل: ٥٢]؛ قال أبو البقاء: حالٌ من «الجنة»، والعاملُ فيها ما في «تلك» من معنى الإشارة، ولا يجوز أن تكون حالاً من «تلك»؛ للفصل بينهما بالخبر، ولكون المبتدأ لا يعمل في الحال^(٣). انتهى، وفي العامل في الحال في مثل: هذا زيدٌ قائماً، خلافٌ مذکورٌ في النحو.

وأن تكون نعتاً وبدلاً، و«أورثتموها» الخبر.

وأدغم النحويّان وحمزةٌ وهشامٌ الشاءَ في التاء، وأظهرها باقي السبعة^(٤).

(١) في المحرر ٤٠٢/٢: إشارة فيها غيبة، والمعنى واحد، ونقلها السمين في الدر المصون ٣٢٤/٥ كما ذكرها المصنف، ثم قال: فيها مسامحةٌ؛ لأن الإشارة لا تكون إلا لحاضر، ولكن العلماء تطلق على البعيد غائباً مجازاً.

(٢) قطعة من حديث الإفك الطويل، أخرجه البخاري (٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠) عن عائشة ؓ.

(٣) الإملاء ١/٢٧٤.

(٤) السبعة ص ٢٨١، والتيسير ص ٤٤، والنحويان هما أبو عمرو والكسائي. ولم يذكر صاحب

السبعة هشاماً فيمن قرأ بالإدغام.

ومعنى «أورثتموها»: صيرت لكم كالإرث، وأبعد من ذهب إلى أن المعنى: أورثتموها عن آبائكم؛ لأنها كانت منازلهم لو آمنوا فحرموها بكفرهم، وبُعده أن ذلك عامٌ في جميع المؤمنين، ولم تكن آباؤهم كلهم كفاراً.

والباء في «بما» للسبب المجازي، والأعمالُ أمارَةٌ من الله ودليلٌ على قوة الرجاء، ودخولُ الجنة إنما هو بمجردِ رحمة الله، والقسمُ فيها على قدرِ العمل، ولفظُ «أورثتموها» مشيرٌ إلى الأقسام، وليس ذلك واجباً على الله تعالى.

وقال الزمخشري: «أورثتموها بما كنتم تعملون»: بسبب أعمالكم لا بالتفضل كما تقول المُبطلَةُ^(١). انتهى، وهذا مذهب المعتزلة، وفي «صحيح مسلم»: «لن يدخل أحدُ الجنة بعمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمةٍ منه وفضلٍ»^(٢).

﴿وَأَدَّيْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ النَّارِ أَنْ قَدَّ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾ عبّر بالماضي عن المستقبل لتحقق وقوعه، وهذا النداء فيه تفرغ وتوبيخ، وتوقيفٌ على مآل الفريقين، وزيادة في كرب أهل النار بأن يُشرفوا^(٣) عليهم وبخلق إدراك أهل النار لذلك النداء في أسماعهم.

قال الزمخشري: وإنما قالوا لهم ذلك اغتباطاً بحالهم، وشماتةً بأهل النار، وزيادة في غمهم، ولتكون حكايته لطفاً لمن سمعها، وكذلك قول المؤذن بينهم: «أن لعنة الله على الظالمين»، وهو ملكٌ يأمره الله تعالى فينادي بينهم يُسمع أهل الجنة وأهل النار^(٤).

وأتى في إخبار أهل الجنة: «ما وعدنا» بذكر المفعول، وفي قصة أهل النار: «ما وعد» ولم يُذكر مفعول «وعد»؛ لأن أهل الجنة مستبشرون بحصول موعودهم، فذكروا ما وعدهم الله مضافاً إليهم، ولم يذكروا حين سألوا أهل الجنة^(٥) متعلق

(١) الكشاف ٢/٨٠.

(٢) صحيح مسلم (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في (أ) و(د) و(ع): شرفوا، والمثبت من (ب) و(يه)، وهو الموافق لما في المحرر الوجيز ٢/٤٠٣، والكلام منه. وجاء في النهر على هامش مطبوع البحر ٤/٣٠٠: بأن يشرف عليهم أهل الجنة.

(٤) الكشاف ٢/٨٠.

(٥) كذا في البحر والنهر، والصواب: أهل النار.

«وعد» باسم الخطاب فيقولوا: ما وعدكم، لِيَشْمَلَ كُلَّ مَوْعِدٍ من عذاب أهل النار ونعيم أهل الجنة، وتكون إجابتهُم بـ«نعم» تصديقاً لجميع ما وَعَدَ اللهُ بوقوعه في الآخرة للصّنفين، ويكون ذلك اعترافاً منهم بحصول موعود المؤمنين؛ ليتحسروا على ما فاتهم من نعيمهم إذ نعيم أهل الجنة ممّا يَحْزَنُهُمْ^(١) ويزيدُ في عذابهم. ويحتمل أن يكون حُذِفَ المفعولُ الذي للخطاب لدلالة ما قبله عليه، وتقديره: فهل وجدتم ما وعدكم ربّكم.

وقرأ ابن وثاب والأعمش والكسائي: «نعم» بكسر العين^(٢).

و«أن» يحتمل أن تكون تفسيرية وأن تكون مصدرية مخففة من «أن» الثقيلة، وإذا وليّ المخففة فعلٌ متصرفٌ غيرُ دعاءٍ فُصِّلَ بينهما بـ«قد» في الأجود، كقوله: «أن قد وجدنا».

﴿فَأَذَّنُ مُؤَذَّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٤٤) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ أي: فأعلم مُعلِّمٌ؛ قيل: هو إسرافيل صاحب الصور. وقيل: جبريل يُسْمِعُ الفريقين تفريحاً وتبريحاً. وقيل: ملكٌ غيرُ معيّن.

ودخل طاوسٌ على هشام بن عبد الملك فقال له: أخذز يوم الأذان. فقال: وما يوم الأذان؟ قال: يوم «فأذن مؤذن» الآية، فصعق هشام، فقال طاوس: هذا ذلُّ الصفة فكيف ذلُّ المعاينة^(٣).

و«بينهم» يحتمل أن يكون معمولاً لـ«أذن»، ويحتمل أن يكون صفةً لـ«مؤذن» فالعاملُ فيه محذوفٌ.

وقرأ الأخوان وابنُ عامر والبرّقي: «أن لعنة الله» بتثقيل «أن» ونصب «لعنة»^(٤)، وعصمة عن الأعمش «إن» بكسر الهمزة والتثقيل ونصب «لعنة» على إضمار

(١) في (أ) و(د) و(ع): يخزيهم.

(٢) السبعة ص ٢٨١، والتيسير ص ١١٠ عن الكسائي، والمحرر الوجيز ٤٠٣/٢ عن ابن وثاب والأعمش.

(٣) تفسير القرطبي ٩/٢٢٥.

(٤) السبعة ص ٢٨١، والتيسير ص ١١٠، والأخوان هما حمزة والكسائي.

القول^(١)، أو إجراء «أذّن» مجرى «قال»، وقرأ باقي السبعة «أن» بفتح الهمزة خفيفة النون ورفع «لعنة» على الابتداء، و«أن» مخففة من الثقيلة أو مفسرة.

و«يصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً» تقدّم تفسيرٌ مثله، وهذا الوصفُ بالموصول هو حكايةٌ عن حالهم السابقة، والمعنى: الذين كانوا يصدّون عن سبيل الله؛ لأنهم وقت الأذان لم يكونوا متّصّفين بهذا الوصف.

والمعنيّ بـ«الظالمين» الكفار، ويُدْفَع قولٌ مَنْ قال: إنه عامٌّ في الكافر والفاسق، قوله أحياناً: «وهم بالآخرة كافرون» لأن الفاسق ليس كافراً بالآخرة بل مؤمناً مصدّق بها.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ أي: بين الفريقين؛ لأنهم المحدث عنهم، وهو الظاهر.

وقيل: بين الجنة والنار، وبهذا بدأ الزمخشري وابن عطية، وفسّر الحجاب بأنه المعنيّ بقوله: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بُسُورًا﴾ [الحديد: ١٣]^(٢) وقاله ابن عباس^(٣).

ويقوي أنه بين الفريقين لفظ «بينهم» إذ هو ضميرُ العقلاء، ولا يُحيل ضربُ السور بُعد ما بين الجنة والنار، وإن كانت تلك في السماء والنار أسفل السافلين.

﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ﴾ أي: وعلى أعراف الحجاب - وهو السور المضروب - رجالٌ يعرفون كلّاً من فريقَي الجنة والنار بعلامتهم التي ميّزهم^(٤) الله بها من ابيضاض وجوه واسوداد وجوه، أو بغير ذلك من العلامات، أو بعلامتهم التي يُلهمهم الله معرفتها.

والأعرافُ تلُّ بين الجنة والنار؛ قاله ابن عباس^(٥).

وقال مجاهد: حجابٌ بين الجنة والنار^(٦).

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٠٣.

(٢) الكشاف ٢/٨١، والمحرر الوجيز ٢/٤٠٣-٤٠٤.

(٣) المحرر الوجيز ٢/٤٠٤، وينظر تفسير الطبري ١٠/٢١١.

(٤) في (ب) و(يه): ميزهما.

(٥) أخرجه الطبري ١٠/٢١٠-٢١١.

(٦) أخرجه الطبري ١٠/٢٠٨ و٢١٠ و٢١١.

• وقيل: هو أحدٌ يُمثَلُ بين الجنة والنار، رُوي هذا في حديث^(١)، وفي آخر: أنَّ أحدًا على ركنٍ من أركان الجنة^(٢).

وقيل: أعالي السور الذي ضرب بين الجنة والنار؛ قاله الزمخشري^(٣).

والرجال: قومٌ تساوت حسناتهم وسيئاتهم وقفوا هنالك ما شاء الله، لم تبلغ حسناتهم بهم دخول الجنة، ولا سيئاتهم دخول النار.

وروي في «مسند» ابن أبي خيثمة^(٤) عن جابر عن رسول الله ﷺ حديث فيه: قيل: يارسول الله، فَمَنْ استوت حسناته وسيئاته؟ قال: «أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون»^(٥)، وقاله ابن مسعود وابن عباس وحذيفة وأبو هريرة^(٦). وقال حذيفة بن اليمان أيضاً: هم قومٌ أبطأت بهم صغائرهم إلى آخر الناس^(٧).

(١) ذكره الزهراوي كما قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٠٤/٢، وأورده أيضاً ابن أبي زمنين في تفسيره ١٢٥/٢ من طريق إسحاق بن عبد الله بن الحارث عن النبي ﷺ مرسلًا.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ ابن شبة في تاريخ المدينة ٨٣/١ من طريق داود بن الحصين عن النبي ﷺ، وهو مع انقطاعه في إسناده عبد العزيز بن عمران، قال عنه البخاري: لا يكتب حديثه، وقال النسائي وغيره: متروك. الميزان ٥٥٢/٢، وفيه أيضاً إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة، وهو ضعيف كما في التقريب.

وأخرجه أبو يعلى (٧٥١٦)، والطبراني في الكبير (٥٨١٣) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه بلفظ: «أحد ركن من أركان الجنة»، وفي إسناده عبد الله بن جعفر والد علي بن المديني، وهو متفق على ضعفه، وقال يحيى: ليس بشيء، وقال النسائي: متروك الحديث. الميزان ٣٦٢/٢.

(٣) في الكشاف ٨١/٢.

(٤) كذا في النسخ، والصواب: خيثمة بن سليمان، كما في المحرر الوجيز ٤٠٤/٢ (والكلام منه)، وتفسير القرطبي ٢٢٧/٩ نقلاً عن المحرر، وخيثمة بن سليمان القرشي هو محدث الشام، ومصنف: فضائل الصحابة، توفي سنة (٣٤٣هـ) السير ٤١٢/١٥.

(٥) المحرر الوجيز ٤٠٤/٢، وأخرجه أيضاً ابن مردويه كما ذكر ابن كثير عند تفسير هذه الآية، وأورده بإسناده ثم قال: وهذا حديث غريب من هذا الوجه. اهـ.

(٦) أخرجه الطبري ٢١٢/١٠-٢١٧ عن حذيفة وابن مسعود وابن عباس، وأورده عن أبي هريرة رضي الله عنه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٨٥/٥.

(٧) النكت والعيون ٢٢٦/٢.

وقيل: غزاةٌ جاهَدُوا من غيرِ إِذْنِ وإلديهم فقتلوا في المعركة، وهذا مروى عن الرسول أنهم حُبسوا عن الجنة بمعصية آبائهم، وأعتقهم الله من النار لأنهم قُتلوا في سبيله^(١).

وقيل: قومٌ رضي عنهم آبائهم دون أمهاتهم، أو بالعكس.

وقيل: هم أولاد الزنى.

وقيل: أولاد المشركين.

وقيل: الذين كانوا في الفترة^(٢) ولم يبدلوا دينهم.

وقيل: علماء شكوا في أرزاقهم.

وقال الزمخشري: رجالٌ من المسلمين من آخروهم دخولاً في الجنة لقصور أعمالهم، كأنهم المُرجَوْنَ لأمر الله، يُحسبون بين الجنة والنار إلى أن يأذن الله لهم في دخول الجنة^(٣).

وقال ابن عطية: واللازم من الآية أن على أعراف ذلك السور أو على مواضع مرتفعة عن الفريقين حيث شاء الله رجالاً من أهل الجنة يتأخر دخولهم ويقع لهم

(١) أخرجه سعيد بن منصور (٩٥٤- تفسير)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (١١٢٣)، وابن الأنباري في الأضداد ص ٣٦٩، والطبري ٢١٨/١٠، وابن أبي حاتم ١٤٨٤/٥ من حديث عبد الرحمن المزني رضي الله عنه، وفي إسناده أبو معشر، وهو ضعيف، وقد اضطرب فيه كما ذكر ابن حجر في الإصابة ٦/٣٣٠. وأخرجه الطبري أيضاً ٢١٨/١٠ بإسناد آخر، وهو ضعيف جداً لتسلسله بالمبهمين. وينظر كلام الشيخ أحمد شاكر على الحديث في طبعته من تفسير الطبري ٤٥٨/١٢.

وأخرجه الطبراني الأوسط (٣٠٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٢٣: رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه محمد بن مخلد الرعيني، وهو ضعيف. اهـ. قلت: وفي إسناده أيضاً عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف أيضاً كما في التقريب.

(٢) في (أ) و(د) و(ع): الأسر، وهو تحريف، والمثبت من (ب) و(هـ)، وهو الموافق لما في تفسير البغوي ٢/١٦٣، وزاد المسير ٣/٢٠٦، وفيهما: الذين ماتوا في الفترة...

(٣) الكشاف ٢/٨١.

ما وُصِفَ من الاعتبار في الفريقين، وَيَعْرِفُونَ كَلًّا بعلامتهم، وهي بياضُ الوجوه وحُسْنُهَا في أهل الجنة، وسوادُهَا وقُبْحُهَا في أهل النار^(١). انتهى.

والأقوالُ السابقةُ تُحْتَاجُ إلى دليلٍ واضحٍ في التخصيص، والجيدُ منها هو الأوَّلُ؛ لحديث جابر، ولتفسيرِ جماعةٍ من الصحابة.

وهذه الأقوالُ هي على قولٍ مَن قال: إِنَّ الأعرافَ هو بين الجنة والنار، وفي شعر أمية بن أبي الصَّلْتِ:

وَأَخْرُونَ عَلَى الأعرافِ قَدْ طَمِعُوا فِي جَنَّةِ حَقِّهَا الرِّمَّانُ وَالخُضْرُ^(٢)
وقال قوم: إنه الصراط.

وقيل: موضعٌ على الصراط.

وقال قوم: هو جبلٌ في وسط الجنة أو أعلاها.

واختلف هؤلاء في تفسير «رجال»؛ فقال أبو مجلز: هم ملائكةٌ في صورِ رجالٍ ذكور^(٣)، وَسُمُّوا رِجَالاً لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾.

وقال مجاهد والحسن: هم فضلاءُ المؤمنين وعلمائهم^(٤).

وقيل: هم الشهداء، وقاله الكرمانى، واختاره النحاس وقال: هو أحسنُ ما قيل فيه^(٥).

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٠٥.

(٢) ديوان أمية ص ٨٠، والنكت والعيون ٢/٢٢٥. قال الماوردي: وهذا وإن كان شعراً جاهلياً، وحال الأعراف منقول عن خبر يروى، فيحتمل أمرين: أحدهما: أن يكون أمية قد وصل إلى علمه من الصحف الشرعية. والثاني: أن الله تعالى قد أنطق به أمية إلهاماً لتصديق ما جاء به القرآن.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سنته (٩٥٨- تفسير)، والطبري ١٠/٢١٩-٢٢١.

(٤) النكت والعيون ٢/٢٢٥، وأخرجه عن مجاهد هناد في الزهد (٢٠٣)، والطبري ١٠/٢١٩.

(٥) الذي اختاره واستحسنه النحاس في إعراب القرآن ٢/١٢٧ هو القول بأن أصحاب الأعراف هم عدول القيامة، وهم الشهداء من كل أمة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم. وهو محتمل على قول الكرمانى.

وقيل: حمزة والعباس وعليّ وجعفر الطيار^(١). ورؤي هذا عن ابن عباس^(٢).

وقيل: هم الأنبياء.

﴿وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ لَمَّا دَخَلُوا مِنْهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَهُ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ الظاهر أن الضمير في «ونادوا» إلى آخر الآية عائد على الرجال الذين على الأعراف، وعلى هذا لا يمكن أن تكون تلك الضمائر^(٣) للأنبياء، ولا لشيء مما فسّر به أنهم على جبل في وسط الجنة أو أعلى الجنة، وفي غاية البعد ما تؤول من ذلك ليصح شيء من تلك الأقوال، أنهم أجلسوا على تلك الأماكن المرتفعة ليشاهدوا أحوال الفريقين فيلحقهم السرور بتلك الأحوال، ثم إذا استقرّ الفريقان نُقلوا إلى أمكنتهم التي أُعدّت لهم في الجنة، فمعنى «لم يدخلوها»: لم يدخلوا منازلهم المعدة لهم فيها، ومعنى «وهم يطمعون»: يتيقنون ما أعدّ الله لهم من الزلفى، وقد جاء الطمع بمعنى اليقين، قال: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: ٨٢] وطمع إبراهيم عليه السلام يقين^(٤)، وقال الشاعر:

وإنني لأطمع أن الإله قديرٌ بحسنٍ يقيني يقيني^(٥)

وأما قول من قال: إن الأعراف جبلٌ بين الجنة والنار، فقد طعن فيه القاضي والجبائي^(٦) وقالوا: هو فاسد؛ لأنّ قوله: ﴿وَنَادُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية ٤٣] يدلُّ على أنّ كلّ من دخل الجنة لا بدّ أن يكون مستحقاً لدخولها،

(١) ذكره الطبرسي في مجمع البيان ٦٥/٨.

(٢) تفسير الثعلبي ٢٥/٣، ومجمع البيان ٦٥/٨، وتفسير القرطبي ٢٢٨/٩، وأورده الذهبي في الميزان ٣٢٠/٢، وهو من طريق عاصم بن سليمان، عن جويبر عن الضحاك، عن ابن عباس. وجويبر متروك، والضحاك لم يسمع من ابن عباس، وعاصم بن سليمان قال عنه النسائي: متروك، وقال الدارقطني: كذاب، وقال ابن عدي: يعدُّ ممن يضع الحديث، وعدّ الذهبي هذا الخبر من بلاياه.

(٣) في (ب) و(يه): أن يكون ذلك الضمير.

(٤) نقل هذا التأويل الرازي في تفسيره ٨٨/١٤.

(٥) لم نقف عليه.

(٦) كما في تفسير الرازي ٨٨-٨٩/٤، والقاضي هو عبد الجبار المعتزلي.

وذلك يمنع من القول بوجود أقوام لا يَسْتَحِقُّونَ الجنةَ ولا النار، ثم يُدْخَلُونَ الجنةَ بمحض الفضل لا بسبب الاستحقاق، ولأنَّ كونهم من أهل الأعراف يدلُّ على ميزهم^(١) من جميع أهل القيامة، فإنَّ إجلاسهم على الأماكن المرتفعة العالية على أهل الجنة والنار تشریفٌ عظيم لا يليق إلا بالأشراف، ومَنْ تساوت حسناته وسيئاته درجته قاصِرةٌ لا يليقُ بهم ذلك التشریف.

وأجيبَ بأنه يحتمل أن يكون «ونودوا» خطابٌ مع أقوام معيَّنين، فلا يُلزَمُ أن يكون أهل^(٢) الجنة كذلك، وعن الثاني: أجلسهم لا للتشریف، بل لأنها كالمرتبة المتوسطة بين الجنة والنار.

و«أنَّ سلام» يحتمل «أنَّ» أن تكون تفسيريةً ومخففة من الثقيلة، و«لم يدخلوها» حالٌ من المفعول، أي: نادوهم وهم في هذه الحال، يعني أهل الجنة، «وهم يطمعون» جملةٌ خبريةٌ لا موضع لها من الإعراب، أي: نادوا أهل الجنة غير داخلها^(٣)، ثم أخبر أنهم طامعون في دخولها؛ قال معناه أبو البقاء^(٤).

وقيل: المعنى: ونادى أصحاب الأعراف أصحاب الجنة بالسلام وهم قد دخلوا الجنة وأهل الأعراف لم يدخلوها، فيكون قوله: «لم يدخلوها» حالاً من ضمير «ونادوا» العائد على أهل الأعراف فقط، وهذا تأويلُ ابن مسعود وقتادة والسدي وغيرهم^(٥)، وقال ابن مسعود^(٦): والله ما جعلَ الله ذلك الطمع في قلوبهم إلا لخير أراد بهم. وهذا هو الأظهر والأليق بمساق الآية.

وقال ابن مسعود أيضاً: إنما طمع أصحاب الأعراف لأنَّ النور الذي كان في

(١) في تفسير الرازي: على أنه تعالى ميزهم.

(٢) في تفسير الرازي: أن يكون لكل أهل.

(٣) أي: نادى أصحاب الأعراف أصحاب الجنة حال كونهم -أي: أصحاب الجنة- غير داخلين بعد.

(٤) في الإملاء ١/٢٧٥.

(٥) تفسير الطبري ١٠/٢٢٦، والمحمر الوجيز ٢/٤٠٥ عن ابن مسعود وقتادة والسدي والحسن.

(٦) كذا ذكر، والصواب أنه قول الحسن. ينظر تفسير عبد الرزاق ١/٢٣٠، وتفسير الطبري ١٠/٢٢٦، وتفسير ابن أبي حاتم ٥/١٤٨٨، والمحمر الوجيز ٢/٤٠٥.

أيديهم لم يُظَفَأ حين تُفَوِّع نورٌ ما بأيدي المنافقين^(١).

وقيل: «وهم يطمعون» حالٌ من ضمير الفاعل في «يدخلوها»^(٢)، والمعنى: لم يدخلوها في حال طمعٍ لها، بل كانوا في حالٍ يأسٍ وخوفٍ، لكنَّ عَمَّهم عفوُ الله.

وقال الرمخشريُّ: فإن قلتَ: ما محلُّ قوله: «لم يدخلوها وهم يطمعون»؟ قلتُ: لا محلٌّ له لأنه استئنافٌ، كأن سائلاً سأل عن أصحاب الأعراف، ف قيل له: «لم يدخلوها وهم يطمعون» يعني: إن دخولهم الجنة استأخر عن دخول أهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين، وهم يطمعون لم يياسوا، ويجوز أن يكون له محلٌّ بأن يقع صفةٌ لـ «رجال»^(٣). انتهى، وهذا الوجهُ ضعيفٌ؛ للفصل بين الموصوف ووصفته بجملةٍ، «ونادوا»، وليست جملةً اعتراضيةً.

وقرأ ابن [رقيش] ^(٤) النحويُّ: «وهم طامعون»، وقرأ إياد بن لقيط: «وهم ساخطون»^(٥)، وقرأ الأعمش: «وإذا قُلبتْ أبصارُهم»^(٦).

والضمير في «أبصارهم» عائِدٌ على رجال الأعراف، يُسَلَّمون على أهل الجنة وإذا نظروا إلى أهل النار دعوا الله في التخلُّص منها؛ قاله ابن عباسٍ وجماعةٌ^(٧).

وقال أبو مجلز: الضمير لأهل الجنة، وهم لم يدخلوها بعد^(٨).

وفي قوله: «صُرِفَتْ» دليلٌ على أن أكثر أحوالهم النظرُ إلى تلقاء أصحاب الجنة، وأنَّ نظرهم إلى أصحاب النار هو بكونهم صُرِفَتْ أبصارُهم تلقاءهم، فليس

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٠٥، وأخرجه الطبري بنحوه مطولاً ١٠/٢١٤.

(٢) وهذا على الوجهين من كون «لم يدخلوها» حالاً من الفاعل في «ونادوا»، أو من المفعول الذي هو «أصحاب الجنة». ينظر الدر المصون ٥/٣٢٩.

(٣) الكشاف ٢/٨١-٨٢.

(٤) ما بين معقوفين وقع مكانه في النسخ بياض، والمثبت من المحرر الوجيز ٢/٤٠٥، وفيه: أبو رقيش.

(٥) المحرر الوجيز ٢/٤٠٥.

(٦) الكشاف ٢/٨١.

(٧) المحرر الوجيز ٢/٤٠٥، وينظر تفسير الطبري ١٠/٢٢٨.

(٨) المحرر الوجيز ٢/٤٠٥.

الصرف من قبلهم، بل هم محمولون عليه مفعولٌ بهم ذلك؛ لأن ذلك المظَّلَع مَخُوفٌ من سماعه فضلاً عن رؤيته فضلاً عن التلبُّس به، والمعنى: أنهم إذا حُمِلوا على صَرْفِ أَبْصَارِهِمْ ورَأَوْا ما هم عليه من العذاب استغاثوا برَبِّهِمْ من أن يجعلهم معهم، ولفظة «ربنا» مشعرةٌ بوصفه تعالى بأنه مصلحهم وسيدهم وهم عبيده، فبالدعاء به طلبُ رحمته واستعطافُ كرمه.

﴿وَنَادَى أَصْحَابَ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ يَحْتَمِلُ أن يكون هذا النداء وأولئك الرجال في النار، ومعرفتهم إياهم في الدنيا بعلاماتٍ، وَيَحْتَمِلُ أن يكون وهم يُحْمَلُونَ إلى النار وسيماهم تسويدُ الوجوه وتشويهُ الخلق.

وقال أبو مجلز: الملائكة تنادي رجالاً في النار^(١). وهذا على تفسيره أن أهل الأعراف هم ملائكة، والجمهورُ على أنهم آدميون.

ولفظ «رجالاً» يدل على أنهم غيرُ معيَّنِينَ، وقال ابن القشيري: ينادي أصحابُ الأعراف رؤساءَ المشركين قَبْلَ امْتِحَانِهِمْ صورهم بالنار: يا وليد بن المغيرة، يا أبا جهل بن هشام، يا عاصي بن وائل، يا عقبه بن أبي معيط، يا أمية بن خلف، يا أبي بن خلف، يا سائر رؤساء الكفار، ما أغنى عنكم جمعكم في الدنيا المال والولد والأجناد والحجَّاب والجوش، وما كنتم تستكبرون عن الإيمان^(٢). انتهى.

و«ما أغنى» استفهامٌ توبيخٌ وتقريع، وقيل: نافية، و«ما» في و«ما كنتم» مصدرية، أي: وكونكم تستكبرون. وقرأت فرقة: «تستكثرون» بالشاء مثلثة من الكثرة^(٣).

﴿أَهْوَلَاءَ الَّذِينَ أَتَمَّمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ الظاهرُ أنَّ هذا من جملةِ مَقُولِ أَهْلِ الْأَعْرَافِ، وتكونُ الإشارةُ إلى أهل الجنة، أي: يقول أهلُ الأعراف مشيرين إلى أهل الجنة الذين كان الرؤساءُ

(١) أخرجه الطبري ١٠/٢٣٠ و٢٣٤.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣/٢٠٧ من طريق أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) المحرر الوجيز ٢/٤٠٥.

يستهيون بهم ويَحْقِرُونَهُمْ لِفَقْرِهِمْ وَقَلَّةِ حِظْوَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَكَانُوا يُقْسِمُونَ بِاللَّهِ تَعَالَى لَا يُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ؛ قَالَ الزَّمْخَشَرِيُّ^(١)، وَذَكَرَهُ ابْنُ عَطِيَّةٍ عَنْ بَعْضِ الْمَتَأَوِّلِينَ؛ قَالَ الْإِشَارَةُ بِ«هُؤُلَاءِ» إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَالْمَخَاطِبُونَ هُمْ أَهْلُ الْأَعْرَافِ، وَالَّذِينَ حُوِّطُوا أَهْلُ النَّارِ، وَالْمَعْنَى: أَهْؤُلَاءِ الضَّعْفَاءُ فِي الدُّنْيَا الَّذِينَ حَلَفْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْبَأُ بِهِمْ قِيلَ لَهُمْ: «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ».

وقال ابن عباس: «أهؤلاء» من كلام مَلَكٍ بِأَمْرِ اللَّهِ، إِشَارَةً إِلَى أَهْلِ الْأَعْرَافِ وَمَخَاطَبَةً لِأَهْلِ النَّارِ.

قال النَّقَّاشُ: لَمَّا وَبَّخُوهُمْ بِقَوْلِهِمْ: «مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ» أَقْسَمَ أَهْلُ النَّارِ إِنَّ أَهْلَ الْأَعْرَافِ دَاخِلُونَ النَّارَ مَعَهُمْ، فَنَادَتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ: «أَهْؤُلَاءِ»، ثُمَّ نَادَتْ أَهْلَ الْأَعْرَافِ: «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ»^(٢).

وقيل: الْإِشَارَةُ بِ«هُؤُلَاءِ» إِلَى أَهْلِ الْأَعْرَافِ، وَالْقَائِلُونَ هُمْ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى مَخَاطَبَةِ أَنْفُسِهِمْ فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ». قَالَ الْحَسَنُ^(٣).

وقيل: الْإِشَارَةُ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ كَانَ الْكُفَّارُ يَحْلِفُونَ إِنَّهُمْ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَالْقَائِلُ إِمَّا اللَّهُ وَإِمَّا الْمَلَائِكَةَ.

وقيل: الْمَشَارُ بِ«هُؤُلَاءِ» أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ، وَالْقَائِلُ مَالِكُ خَازِنُ النَّارِ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

وقال أبو مجلز: أَهْلُ الْأَعْرَافِ هُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَهُمُ الْقَائِلُونَ: «أَهْؤُلَاءِ» إِشَارَةً إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ. وَكَذَلِكَ يَجِيءُ قَوْلُ مَنْ قَالَ: أَهْلُ الْأَعْرَافِ أَنْبِيَاءُ وَشُهَدَاءُ^(٤).

وقرأ الحسنُ وابنُ هُرْمُزٍ: «أَدْخِلُوا» مِنْ أَدْخَلَ، أَي: أَدْخِلُوا أَنْفُسَكُمْ، أَوْ يَكُونُ خُطَاباً لِلْمَلَائِكَةِ ثُمَّ خَاطَبَ بَعْدَ الْبَشَرِ^(٥).

(١) في الكشاف ٢/٨١، وفيه: ... يقسمون إن الله ...

(٢) المحرر الوجيز ٢/٤٠٦.

(٣) لم نقف عليه.

(٤) المحرر الوجيز ٢/٤٠٦.

(٥) المصدر السابق، والقراءة ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٤٤ دون نسبة.

وقرأ عكرمة: «دَخَلُوا» إخباراً بفعل ماضٍ، وقرأ طلحة وابنُ وثَّابٍ والنخعي: «أَدْخَلُوا» خبراً مبنياً للمفعول^(١)، وعلى هاتين القراءتين يكون قوله: «لا خوف عليكم» على تقدير: مقولاً لهم: لا خوفٌ عليكم.

قال الزمخشري: يقال لأهل الأعراف: «ادخلوا الجنة» بعد أن يُحَبَسُوا على الأعراف، وَيَنْظَرُوا إلى الفريقين، وَيَعْرِفُوهُمْ بسماهم، ويقولوا ما يقولون، وفائدة ذلك بيانُ أَنَّ الجزاءَ على قَدْرِ الأعمال، وَأَنَّ التَّقْدِيمَ والتأخُّرَ على حَسَبِهَا، وَأَنَّ أَحَدًا لا يَسْبِقُ عند الله تعالى إلا بِسَبْقِهِ من العمل، ولا يتخلفُ إلا بتخلفه، وَلِيَرَعَبَ السامعون في حال السابقين، وَيَحْرِصُوا على إحرازِ قصبهم، وَأَنَّ كَلًّا يُعْرَفُ ذلك اليومَ بسماها التي استوجِبَ أن يُوسَمَ بها من أهل الخير والشر، فيرتدعُ المسيءُ عن إساءته، ويزيدُ المحسنُ في إحسانه، وليُعلمَ أن العصاةَ يوبَّخهم كلُّ أحدٍ حتى أقصرُ الناس عملاً^(٢). انتهى.

وهو كثيرٌ من باب الخطابة لا طائلَ تحته، وفيه دسيئةُ الاعتزال.

وعن حذيفة: أَنَّ أهل الأعراف يرغبون في الشفاعة، فيأتون آدم فيدفعُهم إلى نوح، ثم يتدافعُهم الأنبياء حتى يأتوا محمداً ﷺ، فيُشفَعُ، فيدخلون الجنة فيلقون في نهر الحياة فيبييضون، ويُسمَّون: مساكينَ الجنة. قال سالمٌ مولى أبي حذيفة: ليت أني من أهل الأعراف^(٣).

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ هذا يقتضي سماع كلِّ من الفريقين كلام الآخر، وهذا جائزٌ عقلاً على بُعد المسافة بينهما من العلوِّ والسفل، وجائزٌ أن يكون ذلك مع رؤية وإطلاع من الله، وذلك أخزى وأنكى للكفار، وجائزٌ أن يكون ذلك وبينهم الحجابُ والسورُ.

(١) القراءتان في المحتسب ٢٤٩/١، والمحرر الوجيز ٤٠٦/٢، والكشاف ٨١/٢، وقراءة عكرمة في القراءات الشاذة ص ٤٤.

(٢) الكشاف ٨١/٢.

(٣) المحرر الوجيز ٤٠٦/٢، وخبر حذيفة أخرجه الطبري بنحوه مطولاً ٢٣٢/١٠-٢٣٣، وخبر سالم أخرجه أحمد في الزهد ص ٢٤٩، وابن أبي الدنيا في كتاب المتمنين ص ٣١.

وعن ابن عباس أنه لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة طمَع أهل النار في الفرج بعد اليأس، فقالوا: يا رب، لنا قراباتٌ من أهل الجنة فأذن لنا حتى نراهم ونكلّمهم، فيَنظُرُون إليهم وإلى ما هم فيه من النعيم فعرفوهم، ونظر أهل الجنة إلى قراباتهم من أهل جهنم فلم يعرفوهم، قد اسودّت وجوههم وصاروا خُلُقاً آخَرَ، فنَادَى أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم وأخبروهم بقراباتهم، فينادي الرجل أخوه فيقول: يا أخي، قد احترقتُ فأغثنِي، فيقول: إنَّ الله حرّمهما على الكافرين^(١).

ويحتمل «أن» أن تكونَ مصدريةً ومفسّرةً.

وكلامُ ابن عباس يدلُّ على أنَّ هذا النداء كان عن رجاء وطمع حصول ذلك.

وقال القاضي^(٢): هو مع اليأس؛ لأنهم قد علموا دوام عقابهم، وأنهم لا يفتنّ عنهم، ولكنَّ اليأس من الشيء قد يطلُّبه، كما يقال في المثل: الغريق يتعلّق بالزبد وإن علم أنه لا يُغنيه. انتهى.

و«أفيضوا» أمكنُ من: اسقونا؛ لأنها تقتضي التوسعة، كما يقال: أفاض الله عليه نِعْمه، أي: وسّعها. وسؤالهم الماء لشدةّ التهابهم واحتراقهم، ولأنَّ من عادته إطفاء النار، «أو مما رزقكم الله» لأنَّ البنية البشرية لا تستغني عن الطعام إذ هو مقوُّ لها، أو لرجائهم الرحمةَ بأكل طعام الجنة^(٣)، و«أو» على بابها من كونهم سألوا أحد الشيتين، وأتى «أو مما رزقكم الله» عامّاً، والعطفُ بـ«أو» يدلُّ على أن الأول لا يندرج في العموم.

وقيل: «أو» بمعنى الواو؛ لقولهم «إنَّ الله حرّمهما».

وقيل: المعنى: حرّم كلّاً منهما، فـ«أو» على بابها و«ما رزقكم الله» عامٌّ، فيدخلُ فيه الطعامُ والفاكهةُ والأشربةُ غير الماء.

(١) تفسير البيهقي ١٦٣/٢، وزاد المسير ٢٠٨/٣، وتفسير الرازي ٩٢/١٤. وأخرجه بنحوه مختصراً الطبري ٢٣٦/١٠.

(٢) عبد الجبار شيخ المعتزلة، وكلامه في تفسير الرازي ٩٢/١٤.

(٣) كلمة: الجنة، ساقطة من المطبوع، وجاء في النهر على هامش البحر ٣٠٤/٢: أهل الجنة.

وتخصيُّه بالثمرة أو بالطعام أو غيرِ الماء من الأشربة أقوالاً ثانيها للسدي^(١)، وثالثها للزمخشري، قال: «أو مما رزقكم الله» من غيره من الأشربة؛ لدخوله في حكم الإفاضة.

قال: ويجوز أن يُراد: أو ألقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة، كقوله:

عَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا^(٢)

وإنما يطلبون ذلك مع بأسهم من الإجابة إليه حيرةً في أمرهم، كما يفعله المضطرُّ الممتحن^(٣). انتهى وقوله: وإنما يطلبون. . إلى آخره هو كلامُ القاضي، وقد قدّمناه.

وقوله: ويجوز أن يراد: وألقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة، يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون «أفيضوا» ضمَّن معنى ألقوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله، فيصحُّ العطف.

ويَحْتَمِلُ -وهو الظاهرُ من كلامه- أن يكون أضمر فعلاً بعد «أو» يصلُّ إلى «مما رزقكم» وهو: ألقوا.

وهما مذهبان للنحاة فيما عطف على شيء بحرف عطفٍ والفعل لا يصلُّ إليه، والصحيحُ منهما التضمينُ لا الإضمار، على ما قرَّناه في علم العربية.

ومعنى التحريم هنا: المنع، كما قال:

حَرَامٌ عَلَيَّ أَنْ تَطْعَمَا الْكَرَى^(٤)

وإخبارهم بذلك هو عن أمر الله.

(١) أخرجه عنه الطبري ١٠/٢٣٥.

(٢) سلف عند تفسير الآية (٧) من سورة البقرة، والآية (٣) من سورة النساء.

(٣) الكشاف ٨٢/٢.

(٤) أورده الزمخشري في الكشاف ٨٢/٢، وعجزه كما في شرح شواهد الكشاف للأستاذ محب الدين أفندي في آخر الكشاف ٤/٣٧٢: وأن ترقاً حتى ألقىك يا هند.

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ تقدم تفسير مثل هذا في «الأنعام»^(١).

﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾^(٥١)
هذا إخبارٌ من الله عما يُفعل بهم، قال ابن عباس وجماعة: يتركهم في العذاب كما تركوا النظر للقاء هذا اليوم^(٢).

وقال قتادة: نُسوا من الخير ولم يُنسوا من الشر^(٣).

وقال الزمخشري: نَفَعَلُ بهم فَعَلُ الناسين الذين ينسون عبيدهم من الخير لا يذكرونهم به، «كما نسوا لقاء يومهم هذا» كما فعلوا بلقائه فَعَلُ الناسين فلم يُخْطِروه ببالهم ولم يهتموا به^(٤).

وقال الحسن والسدي أيضاً والأكثر: نتركهم في عذابهم كما تركوا العمل للقاء يومهم^(٥). انتهى.

وإن قَدَّرَ النسيانُ بمعنى الذهول من الكفرة، فهو في جهة الله بتسمية العقوبة باسم الذنب.

«وما كانوا» معطوفٌ على «ما نسوا»، و«ما» فيهما مصدرية، ويظهر أن الكاف في «كما» للتعليل.

﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٥٢) الضمير في «ولقد جئناهم» عائِدٌ على مَنْ تقدَّم ذكره، ويكون الكتاب على هذا جنساً، أي: بكتاب إلهي؛ إذ الضمير عامٌّ في الكفار، وقال يحيى بن سلام: الضمير لمكذَّبي محمدٍ ﷺ، وهو ابتداءٌ كلام، وتم الكلام عند قوله: «يجحدون»^(٦).

(١) عند تفسير الآية (٧٠) منها.

(٢) المحرر الوجيز ٢/٤٠٧، وأخرجه الطبري ١٠/٢٣٨ عن ابن عباس ومجاهد بلفظ: نتركهم كما تركوا لقاء يومهم هذا.

(٣) المحرر الوجيز ٢/٤٠٧، وأخرجه الطبري ١٠/٢٣٩ عن ابن عباس.

(٤) الكشاف ٢/٨٢.

(٥) تفسير الرازي ١٤/٩٣.

(٦) المحرر الوجيز ٢/٤٠٧.

والكتاب هو القرآن، وفصلناه عالمين بكيفية تفصيله من أحكام ومواظ وقصص وسائر معانيه.

وقيل: فصلناه ببيضاح الحق من الباطل.

وقيل: نزلناه في فصولٍ مختلفةٍ.

وقرأ ابن مُحَيصِن والجحدريُّ: «فصلناه» بالضاد المنقوطة^(١)، والمعنى: فصلناه على جميع الكتب عالمين بأنه أهلٌ للتفضيل عليها.

وفي «التحرير» أنه فُضِّلَ على سائر الكتب المنزلة بثلاثين خصلةً لم تكن في غيره. و«فصلناه» صفةٌ لـ«كتاب» و«على علم» الظاهر أنه حالٌ من فاعل «فصلناه»، وقيل: التقدير: مشتملاً على علم، فيكون حالاً من المفعول.

وانتصب «هدىً ورحمةً» على الحال، وقيل: مفعولٌ من أجله، وقرئ بالرفع، أي: هو هدىً ورحمةً^(٢)، وقرأ زيد بن عليٍّ: «هدىً ورحمةً» بالخفض على البدل من «كتاب» أو النعت، وعلى النعت لـ«كتاب» خرَّجه الكسائيُّ والفراء رحمهما الله^(٣).

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ أي: مآل أمره وعاقبته، قاله قتادةٌ ومجاهدٌ وغيرهما.

وقال ابن عباس: مآله يوم القيامة.

وقال السديُّ: في الدنيا كوقعة بدر، ويوم القيامة أيضاً^(٤).

وقال الزمخشري: ما يؤوّلُ إليه من تبين صدقه، وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد^(٥).

(١) زاد المسير ١٦٩/٣، وهي في القراءات الشاذة ص ٤٤ عن ابن محيصة وحده.

(٢) الإملاء ٢٧٦/١.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٢٩/٢، وتفسير القرطبي ٢٣٥/٩، وقول الفراء في معاني القرآن له ٣٨٠/١.

(٤) تنظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ٢٤١-٢٤٢، والمحزر الوجيز ٤٠٧/٢-٤٠٨، وعنه نقل المصنف.

(٥) الكشف ٨٢/٢.

والتأويل مادته همزة وواو ولا م من آل يؤول، وقال الخطابي: أولت الشيء: ردذته إلى أوله، فاللفظة مأخوذة من الأول^(١). انتهى، وهو خطأ لاختلاف المادتين.

﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ، يَقُولُ الَّذِينَ سُوءُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا مِنَّا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ أي: تظهر عاقبة ما أخبر به من الوعد والوعيد، وذلك يوم القيامة يسأل تاركو اتباع الرسل: هل لنا من شفعاء؟ سؤالاً عن وجه الخلاص في وقت أن لا خلاص، وفي الكلام حذف، أي: لقد جاءت رسل ربنا بالحق ولم نصدقهم، أو: ولم نتبعهم، فهل لنا من شفعاء؟ والرسول هنا: الأنبياء، أخبروا يوم القيامة أن الذي جاءتهم به رسلهم هو الحق، وقيل: ملائكة العذاب عند المعاينة ما أذروا به.

وقرأ الجمهور: «أو نردُّ» برفع الدال «فنعمل» بنصب اللام، عطفت جملة فعلية على جملة اسمية وتقدمها استفهاماً فانتصب الجوابان، أي: هل شفعاء لنا فيشفعوا لنا في الخلاص من العذاب، أو هل نردُّ إلى الدنيا فنعمل عملاً صالحاً.

وقرأ الحسن فيما نقل الزمخشري بنصب الدال ورفع اللام^(٢). وقرأ الحسن فيما نقل ابن عطية وغيره برفعهما، عطفت «فنعمل» على «نردُّ»^(٣). وقرأ ابن أبي إسحاق وأبو حيوة بنصبهما^(٤)، فنصب «أو نردُّ» عطفاً على «فيشفعوا لنا» جواباً على جواب، فيكون الشفعاء في أحد أمرين: إمّا في الخلاص من العذاب، وإمّا في الردُّ إلى الدنيا لاستئناف العمل الصالح، وتكون الشفاعة قد انسحبت على الردُّ أو الخلاص، و«فنعمل» عطفت على «نردُّ».

ويحتمل أن يكون «أو نردُّ» من باب: لألزمك أو تقضييني حقّي، على تقدير من قدر ذلك: حتى تقضييني حقّي، أو: كي تقضييني حقّي، فجعل اللزوم معيماً بقضاء حقه أو معلولاً له لقضاء حقه، وتكون الشفاعة إذ ذاك في الردُّ فقط.

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٠٨.

(٢) الكشاف ٢/٨٢.

(٣) المحرر الوجيز ٢/٤٠٨، وهي في القراءات الشاذة ص ٤٤ عن الحسن وعمرو بن عبيد ويزيد النحوي.

(٤) المحتسب ١/٢٥١، والكشاف ٢/٨٢، والمحرر الوجيز ٢/٤٠٨.

وأما على تقدير سيبويه «إلا»، أي: لألْزَمَنَّكَ إِلَّا أَنْ تَقْضِيَنِي^(١)، فليس يظهر أن معنى «أو» معنى «إلا» هنا، إذ يصير المعنى: هل تشفع لنا شفعاؤ إلا أن نردَّ، وهذا استثناء غير ظاهر.

وقولهم هذا: هل هو مع الرجاء، أو مع اليأس؟ فيه الخلاف الذي في ندائهم: «أن أفيضوا».

قال القاضي^(٢): وهي تدلُّ على حُكْمين:

على أنهم كانوا قادرين على الإيمان والتوبة، ولذلك سألوا الردَّ^(٣).

الثاني: أن أهل الآخرة غيرُ مكلفين - خلافاً للمُجْبِرَةِ والنَّجَّارِ^(٤) - لأنها لو كانت كذلك ما سألوا الردَّ، بل كانوا يتوبون ويؤمنون.

﴿قَدْ خَيْرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْرُوتُ﴾ أي: خسروا في تجارة أنفسهم حيث ابتاعوا الخسيس الفاني من الدنيا بالنفيس الباقي من الآخرة، وبطل عنهم افتراؤهم على الله ما لم يقُلْه ولا أمرهم به، وكذبهم في اتِّخَاذِ آلِهَةٍ من دون الله.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾
لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَىٰ أَشْيَاءَ من مَبْدَأِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَأَمْرِ بَنِيهِ^(٥)، وانقسام^(٦) إلى مؤمن وكافر، وذكر معادهم وحشرهم إلى جنَّةٍ ونارٍ، ذَكَرَ مَبْدَأَ الْعَالَمِ وَاخْتِرَاعَهُ وَالتَّنْبِيَةَ عَلَى الدَّلَائِلِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّوْحِيدِ وَكَمَالِ الْقُدْرَةِ وَالْعِلْمِ وَالْقَضَاءِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ^(٧) إِلَى

(١) الكتاب ٤٧/٣.

(٢) القائل هو الجبائي كما في تفسير الرازي ٩٦/١٤، وليس القاضي كما ذكر المصنف.

(٣) أي: لو كانوا في الدنيا غير قادرين على الإيمان والتوبة كما يقوله المجبرة لم يكن لهم في الردَّ فائدة، ولا جاز لهم أن يسألوا الرد. ينظر تفسير الرازي ٩٦/١٤.

(٤) الحسين بن محمد النجار، رأس الفرقة النجارية، إحدى فرق الجبرية. ينظر الملل والنحل ٨٨/١.

(٥) في (ب) و(يه): نبيه، ولم تجود في (أ)، والمثبت من (١د) و(ع)، وهو الصواب.

(٦) في النهر على هامش مطبوع البحر ٣٠٧/٤: وانقسامهم.

(٧) قوله: ذلك، من (يه)، وليس في باقي النسخ، ولم يرد أيضاً في النهر.

النبوة والرسالة؛ إذ مدارُ القرآن على تقرير المسائل الأربع: التوحيد، والقدرة، والمعاد، والنبوة.

و«ربكم» خطابٌ عامٌّ للمؤمن والكافر، وروى بكار بن [السُّقَيْر] ^(١): «إنَّ ربَّكم الله» بنصب الهاء عطف بيانٍ.

والظاهرُ أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وعلى هذا الظاهرِ فسَّرَ معظمُ الناس، وبدأ بالخلق يومَ الأحد، وفي «صحيح» مسلم عن أبي هريرة قال: أخذ بيدي رسولُ الله ﷺ فقال: «خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ الْجِبَالَ فِيهَا يَوْمَ الْأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ النَّوْرَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ آخِرَ الْخَلْقِ، فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ» ^(٢)، وقال عديُّ بنُ زيدٍ العبَّاديُّ:

قَضَى لِسِتَّةِ أَيَّامٍ خَلِيقَتَهُ وَكَانَ آخِرَ يَوْمِ صَوَّرَ الرَّجُلَ ^(٣)
وهو اختيارُ محمد بن إسحاق ^(٤)، قال ابن الأنباري: هذا إجماعُ أهل العلم.

وقال عبد الله بن سلام وكعبٌ والضَّحَّاك ومجاهدٌ، واختاره الطبري ^(٥): بدأ بالخلق يومَ الأحد. وبه يقول أهل التوراة.

وقيل: يومَ الإثْنَيْنِ وبه يقول أهلُ الإنجيل.

(١) ما بين حاصرتين وقع مكانه بياض في النسخ، وجاء في مطبوع المحرر الوجيز ٤٠٨/٢ والكلام منه: بكار بن الشقير، وهو تحريف. وسُقَيْر بضم السين وفتح القاف وسكون الياء تليها راء، وبكار بن سُقَيْر البصري المازني، سمع أباه والحسن، ويروي عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما. ينظر التاريخ الكبير ١٢٢/٢، وتوضيح المشتبه ١١٥/٥.

(٢) صحيح مسلم (٢٧٨٩)، وأخرجه أيضاً أحمد (٨٣٤١)، وينظر ثمة تنمة تخريجه وكلام العلماء في أن الأصح فيه أنه موقوف على كعب الأخبار.

(٣) البيت في كتاب الحيوان للجاحظ ١٩٨/٤، ورسالة الصاهل والشاحج للمعري ص ٢٢٤.

(٤) كما في زاد المسير ٣/٢١١، وعنه نقل المصنف ما سيرد من أقوال.

(٥) في تفسيره ١٠/٢٤٥، وفيه تخريج قول مجاهد.

قال ابن عباس وكعبٌ ومجاهدٌ والضحاك: مقدارُ كلِّ يومٍ من تلك الأيام ألفُ سنة.

ولا فَرْقٌ بين خَلْقِهِ تعالى ذلك في لحظةٍ واحدةٍ أو في مُدَدٍ متواليةٍ بالنسبة إلى قدرته تعالى، وإبداءٍ مَعَانٍ لذلك كما زعمه بعضُ المفسرين قولٌ بلا برهان، فلا نُسَوِّدُ كتابنا بذكره، وهو تعالى المنفردُ بعلم ذلك.

وذهب بعضُ المفسرين إلى أن التقدير في قوله: «في ستة أيام» في مقدار ستة أيام، فليست ستة الأيام أنفسها وَقَعَ فيها الخلقُ، وهذا كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [مريم: ٦٢] والمراد: مقدارَ البكرة والعشيِّ في الدنيا؛ لأنه لا ليلَ في الجنة ولا نهارَ، وإنما ذهب هذا الذهابُ إلى هذا لأنه إنما يمتازُ اليومُ عن الليلة بطلوع الشمس وغروبها، فقبلَ خَلْقِ الشمس والقمر كيف يُعقل خلقُ الأيام؟

والذي أقول: إنه متى أمكَنَ حملُ الشيءِ على ظاهره أو على قريبٍ من ظاهره كان أَوْلَى مِن حَمْلِهِ على ما لا يُسَلِّمُه^(١) العقلُ أو على ما يخالفُ الظاهرَ جملةً، وذلك بأن يُجعل قوله: «في ستة أيام» ظرفاً لخلقِ الأرض لا ظرفاً لخلقِ السماوات والأرض، فيكون «في ستة أيام» مَدَّةً لخلقِ الأرض بترتيبها وجبالها وشجرها ومكروها ونورها ودوابها وآدم عليه السلام، وهذا يطابق الحديثَ الثابتَ في الصحيح، وتبقى «ستة أيام» على ظاهرها من العَدَدية، ومن كونها أياماً باعتبارِ امتيازِ اليوم عن الليلة بطلوع الشمس وغروبها.

وأما استواؤه على العرشِ فَحَمَلَهُ على ظاهره من الاستقرار بذاته على العرشِ قومٌ، والجمهورُ من السلف: السفينان ومالكٌ والأوزاعيُّ والليثُ وابنُ المبارك وغيرهم في أحاديث الصفات على الإيمان بها وإمرارها على ما أراد الله تعالى من غيرِ تعيينٍ مرادٍ، وقومٌ تأوَّلوا ذلك على عِدَّةِ تأويلاتٍ، وقال سفيان الثوري: فَعَلَّ فِعْلاً في العرشِ سَمَّاهُ استواءً^(٢).

(١) تحرفت في (أ) و(د) و(ع): إلى: يشمله، والمثبت من (ب) و(ه).

(٢) المحرر الوجيز ٢/٤٠٨.

وعن أبي الفضل ابن النحوي^(١) أنه قال: العرشُ مصدرٌ: عَرَشَ يَعْرِشُ عَرْشًا، والمراد بالعرش في قوله: «ثم استوى على العرش» هذا.

وهذا ينبو عنه ما تقرّر في الشريعة من أنه جسمٌ مخلوقٌ معيّنٌ.

ومسألة الاستواء المذكورة في علم أصول الدين، وقد أمعن في تقرير ما يمكن تقريره فيها القفال وأبو عبد الله الرازي^(٢)، وذكر ذلك في «التحرير» فيطالع هناك.

ولفظه «العرش» مشتركة بين معاني كثيرة:

فالعرشُ سريرُ المَلِكِ، ومنه ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠] ﴿نَكِرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ [النمل: ٤١].

والعرش: السقفُ، وكلُّ ما علا وأظلل فهو عرشٌ.

والعرش: المُلْكُ والسلطان والعزُّ، وقال زهير:

تَدَارَكْتُمَا عَبْسًا وَقَدْ نُلَّ عَرْشُهَا وَذَبِيانَ إِذْ زَلَّتْ بِأَقْدَامِهَا النُّعْلُ^(٣)

وقال آخر:

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ نَلَّتْ عَرُوشَهُمْ بَعْتَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ^(٤)

والعرش: الخشب الذي تُطَوَى به البئر بعد أن يُطَوَى أسفلها بالحجارة.

والعرش: أربعة كواكبٍ صغارٍ أسفلَ من العواء^(٥)، يقال لها: عَجْرُ الأَسَدِ،

(١) يوسف بن محمد بن يوسف التُّوزَرِي الأصل التلمساني، له: القصيدة المنفرجة، مشهورة وعليها عدة شروح، توفي سنة (٥١٣هـ). ينظر بغية الوعاة ٣٦٢/٢، وهديّة العارفين ٥٥١/٢، والأعلام ٢٤٧/٨. ونقل المصنف كلامه عن المحرر الوجيز ٤٠٨/٢، وتحرف «الفضل» في مطبوعه إلى: الفضيل.

(٢) ينظر تفسيره ١٠١/١٤ وما بعدها.

(٣) ديوان زهير ص ١٠٩، والصحاح (عرش)، ورواية الديون:

تَدَارَكْتُمَا الْأَخْلَاقَ قَدْ نُلَّ عَرْشُهَا وَذَبِيانَ قَدْ زَلَّتْ

(٤) البيت لأبي ذؤاب الأسدي، وقد سلف عند شرح مفردات الآية (٢٥٩) من سورة البقرة.

(٥) العواء: منزل من منازل القمر، خمسة كواكب أو أربعة، ويقال لها: عَوَاءُ البُرْدِ، يزعمون أنها إذا طلعت أو سقطت أتت ببرد. الأزمنة والأمكنة للمرزوقي ١/١٨١.

ويسمى: عرش السماك^(١).

والعرش: ما يلاقي ظهر القدم وفيه الأصابع.

و«استوى» أيضاً يُستعمل بمعنى استقرّ، وبمعنى علا، وبمعنى قَصَدَ، وبمعنى

ساوى، وبمعنى تَسَاوى، وقيل: بمعنى استولى، وأشدوا:

هما استويا بفضلهما جميعاً على عرش الملوك بغير زور^(٢)

وقال ابن الأعرابي: لا نعرف «استوى» بمعنى «استولى»^(٣).

والضمير في قوله: «ثم استوى على العرش» يحتمل أن يعود على المصدر

الذي دلّ عليه «خلق»، أي: ثم استوى خَلَقَهُ على العرش، وكذلك في قوله:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] لا يتعيّن حملُ الضمير في قوله: «استوى» على

«الرحمن» إذ يحتمل أن يكون «الرحمن» خبيراً مبتدأ محذوف، والضمير في «استوى»

عائدٌ على الخَلْقِ المفهوم من قوله: ﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ [طه: ٤]

أي: هو الرحمن استوى خَلَقَهُ على العرش؛ لأنه تعالى لَمَّا ذَكَرَ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ ذَكَرَ خَلْقَ مَا هُوَ أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ وَأَوْسَعُ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

ومع الاحتمال في «العرش» وفي «استوى» وفي الضمير العائد لا يتعيّن حملُ

الآية على ظاهرها، هذا مع الدلائل العقلية التي أقاموها على استحالة ذلك.

وقال الحسن: استوى أمره^(٤).

وسأل مالك بن أنس رجلٌ عن هذه الآية فقال: كيف استوى؟ فأطرق رأسه

ملياً، وعلته الرُحْضَاءُ^(٥)، ثم قال: الاستواء معلومٌ، والكيف غيرُ معقولٍ، والإيمانُ

(١) السماك يقال لنجمين نيرين هما: الأعزل والرامح، وسمي رامحاً لكوكب صغير بين يديه

يقال له: راية السماك، والآخر سمي بالأعزل لأنه لا شيء بين يديه كأنه لا سلاح معه،

والقمر ينزل بالأعزل ولا ينزل بالرامح. الأزمنة والأمكنة ١/ ١٨١.

(٢) زاد المسير ٣/ ٢١٣.

(٣) تاريخ بغداد ٥/ ٨٣، وزاد المسير ٣/ ٢١٣.

(٤) سلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩].

(٥) عَرَقٌ يغسل الجلد كثرة. القاموس (رحض).

به واجبٌ، والسؤال عنه بدعةٌ، وما أظنك إلا ضالًّا. ثم أمر به فأخرج^(١).

﴿يُنشئ الليلَ النهارَ يطلبُهُ حِيثًا﴾ التغشبية: التغطية، والمعنى: أنه يُذهب الليلُ نورَ النهارِ لِيَتَمَّ قِوَامُ الحياةِ في الدنيا بمجيء الليل والنهار، فالليلُ للسكون والنهارُ للحركة، وفحوى الكلام يدل على أن النهارَ يُغشيه اللهُ الليلَ، وهما مفعولان، لأن التضعيف والهمزة مُعَدِّيَان.

وقرأ بالتضعيف الأخوان وأبو بكر، وبإسكان الغين باقي السبعة^(٢).

وبفتح الياء وسكون الغين وفتح الشين وضم اللام حميد بن قيس، كذا قال عنه أبو عمرو الداني، وقال أبو الفتح عثمان بن جني عن حميد بنصب «الليل» ورفع «النهار»، قال ابن عطية^(٣): وأبو الفتح أثبت. انتهى.

وهذا الذي قاله من أن أبا الفتح أثبت، كلامٌ لا يصح، إذ رتبة أبي عمرو الداني في القراءات ومعرفتها وضبط رواياتها واختصاصه بذلك بالمكان الذي لا يُدانيه أحدٌ من أئمة القراءات، فضلاً عن النُّحاة الذين ليسوا مُقَرِّين ولا رَوَا القرآن عن أحدٍ ولا رُوِيَ عنهم القرآن، هذا مع الديانة الزائدة والتثبُّت في النقل وعدم التجاسر ووفور الحظ من العربية، فقد رأيتُ له كتاباً في «كلاً» وكتاباً في إدغام أبي عمرو الكبير دلاً على اطلاعه على ما لا يكاد يطلُّ عليه أئمة النحاة ولا المقرئين، إلى سائر تصانيفه رحمه الله.

والذي نقله أبو عمرو الداني عن حميد أمكن من حيث المعنى؛ لأن ذلك موافقٌ لقراءة الجماعة؛ إذ «الليل» في قراءتهم وإن كان منصوباً، هو الفاعلُ من حيث المعنى؛ إذ همزة النقل أو التضعيفُ صيرته مفعولاً، ولا يجوز أن يكون مفعولاً ثانياً من حيث المعنى؛ لأن المنصوبين تعدى إليهما الفعلُ وأحدهما فاعلٌ من حيث المعنى، فيلزم أن يكون الأول منهما، كما لزم ذلك في: ملكْتُ زيداً عمراً، إذ رتبة التقديم هي الموضحةُ أنه الفاعلُ من حيث المعنى، كما لزم ذلك في: ضَرَبَ موسى عيسى.

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٨٦٧).

(٢) السبعة ص ٢٨٢، والتيسير ص ١١٠.

(٣) في المحرر الوجيز ٢/٤٠٩، وما قبله منه، وكلام ابن جني في المحتسب ١/٢٥٣.

والجملة من «يطلبه» حال من الفاعل من حيث المعنى وهو «الليل» إذ هو المحدث عنه قبل التعدي، وتقديره: حائماً، ويجوز أن يكون حالاً من النهار، وتقديره: محثوثاً، ويجوز أن يتنصب نعتاً لمصدرٍ محذوف، أي: طلباً حثيثاً، أي: حائماً أو محثوثاً^(١).

ونسبة الطلب إلى الليل مجازية، وهو عبارة عن تعاقبه اللازم، فكأنه طالب له لا يدرُّه، بل هو في أثره بحيث يكاد يُدرِّكه.

وقدم الليل هنا كما قدمه في ﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ﴾^(٢) وفي ﴿وَلَا آتِلُ سَائِقَ النَّهَارِ﴾ [يس: ٤٠] وفي: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].

وقال أبو عبد الله الرازي: وصفت هذه الحركة بالسرعة والشدة لأن تعاقب الليل والنهار يحصل بحركة الفلك الأعظم، وتلك الحركة أشد الحركات سرعةً وأكملها شدةً، حتى إن الباحثين عن أحوال الموجودات قالوا: الإنسان إذا كان في العدو الشديد الكامل قبل أن يرفع رجله ويضعها يتحرك الفلك الأعظم ثلاثة آلاف ميل، ولهذا قال: «يطلبه حثيثاً» ونظيره: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا﴾ الآية [يس: ٤٠] شبه ذلك المسير وتلك الحركة بالسباحة في الماء، والمقصود التنبيه على السرعة والسهولة وكمال الاتصال^(٣). انتهى وفيه بعض تلخيص.

﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّي﴾ انتصب «مسخرات» على الحال من المجموع، أي: وتخلق الشمس.

(١) في (أ): محثا، وفي (د): محيثاً، وسقطت الجملة من (ع)، والمثبت من (ب) و(يه). وكلام المصنف هنا فيه شيء من الغموض واللبس، وكلام السمين في الدر المصون ٣٤٢/٥ أوضح منه، ونصه: قوله: «يطلبه» حال من «الليل» لأنه هو المحدث عنه، أي: يغش النهار طلباً له، ويجوز أن يكون من «النهار»، أي: مطلوباً. و«حثيثاً» يحتمل أن يكون نعت مصدرٍ محذوف، أي: طلباً حثيثاً، وأن يكون حالاً من فاعل «يطلبه»، أي: حائماً، أو من مفعوله، أي: محثوثاً.

(٢) ورد ذلك في أربع آيات، وهي: الآية (٦١) من سورة الحج، والآية (٢٩) من سورة لقمان، والآية (١٣) من سورة فاطر، والآية (٦) من سورة الحديد.

(٣) تفسير الرازي ١١٨/١٤.

وقرأ ابن عامر بالرفع في الأربعة على الابتداء والخبر^(١)، وقرأ أبان بن تغلب برفع «والنجوم مسخرات» فقط على الابتداء والخبر^(٢).

ومعنى «بأمره»: بمشيئته وتصريفه، وهو متعلق بـ«مسخرات» أي: خلقهنَّ جارياتٍ بمقتضى حكمته وتديبره وكما يريد أن يُصرفها، سُمِّي ذلك أمراً على التشبيه كأنهنَّ مأموراتٌ بذلك.

وقال أبو عبد الله الرازي: الشمس لها نوعان من الحركة:

أحدهما: بحسب ذاتها، وذلك يتم في سنة كاملة، وبسبب ذلك تحصلُ السنة.

والثاني: حركتها بحسب حركة الفلك الأعظم، ويتم في اليوم بليلته.

فنقول: الليل والنهار لا يحصُلان بحركة الشمس، وإنما يحصُلان بحركة السماء الأقصى الذي يقال له: العرش، فلهذا السبب لَمَّا دَلَّ على العرش بقوله: «ثم استوى على العرش» رَبَطَهُ بقوله^(٣): «يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ» تنبيهاً على أنَّ حدوث الليل والنهار إنما يحصُلُ بحركة العرش، «والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره» تنبيهاً على أنَّ الفلك الأعظم وهو العرشُ يحركُ الأفلاك والكواكب على خلافِ طبعها من المشرق إلى المغرب، وأنه تعالى أودَعَ في جِزْمِ الشمسِ قوَّةَ قاهرةٍ باعتبارها قوِيَّتْ على قهر جميع الأفلاك والكواكب، وتحريكها على خلافِ مقتضى طبيعتها، فهذه أبحاثٌ معقولةٌ ولفظُ القرآن مُشعرٌ بها، والعلمُ عند الله^(٤). انتهى.

وتكلَّم في قوله: «مسخرات بأمره» كلاماً كثيراً هو من عِلْمِ الهيئة، وهو علمٌ لم ننظر فيه، قال أربابه: وهو علمٌ شريفٌ يُطلَعُ فيه على جزئياتٍ غريبةٍ من صنعة الله تعالى يزدادُ بها إيمانُ المؤمن؛ إذ المعرفةُ بجزئيات الأشياء وتفاصيلها ليست كالمعرفةٍ بجمليَّتها.

(١) السبعة ص ٢٨٢، والتيسير ص ١١٠.

(٢) المحرر الوجيز ٣٠٩/٢، وهي في القراءات الشاذة ص ٤٤ عن محمد بن الحنفية.

(٣) في المطبوع: وربط بقوله، وهو خطأ، وفي (أ) و(ب) و(د) و(ع): ربط بقوله، والمثبت من (ه)، وجاء في تفسير الرازي: ربط به قوله.

(٤) تفسير الرازي ١١٨/١٤ و ١٢٠.

وقيل: «بأمره»، أي: ينقاد بإرادته^(١)؛ إذ المقصودُ تبيينُ قدرته لقوله: ﴿إِنِّي أَنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١] وقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ﴾ الآية [النحل: ٤٠].

وقيل: الأمرُ هنا^(٢): الكلام.

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ لَمَّا تَقَدَّمَ ذِكْرُ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَأَمْرِهِ فِيهَا قَالَ ذَلِكَ، أي: له الإيجادُ والاختراعُ، وَجَرَى مَا خَلَقَ وَاخْتَرَعَ عَلَى مَا يَرِيدُهُ وَبِمَا يَأْمُرُ بِهِ، لا أَحَدٌ يَشْرِكُهُ فِي ذَلِكَ وَلا فِي شَيْءٍ مِنْهُ.

وقيل: «الخلق» بمعنى المخلوق و«الأمر» مصدرٌ من: أَمَرَ، أي: المخلوقاتُ كُلُّهَا له وملكته واختراعه، وعلى هذا قال النقاش وغيره: الآيةُ ردٌّ على القائلين بخلق القرآن؛ لأنه فُرق بين المخلوقات وبين الكلام؛ إذ «الأمر» كلامه^(٣). انتهى. وهو استدلالٌ ضعيفٌ إذ لا يتعيَّن حَمْلُ اللفظ على ما ذكر، بل الأظهرُ خلافه. وقال الشعبي: «الخلق» عبارةٌ عن الدنيا، و«الأمر» عبارةٌ عن الآخرة^(٤).

﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: علا وعَظَمَ، وَلَمَّا تَقَدَّمَ «إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ» صَدَرَ الآية، جاء آخرها: «فتبارك»^(٥) الله ربُّ العالمين» وجاء «العالمين» أعمٌ من: ربكم، لأنه ذكر خَلْقَ تلك الأشياءِ البديعة وهي عوالمٌ كثيرةٌ، فجاء «العالمين» جمعاً لجميع العوالم، واندرج فيه المخاطبون ب: ربكم وغيرهم.

﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ الظاهرُ أَنَّ الدعاء هو مناجاةُ الله بندائه لطلبِ أشياءٍ ولدفعِ أشياء، وقال الزجاج: المعنى: اعبدوا^(٦).

وانتصب «تضرُّعاً وخُفْيَةً» على الحال، أي: متضرِّعين ومُخْفِينَ، أو: ذوي تضرُّعٍ واختفاءٍ في دعائكم، وفي الحديث الصحيح: «إِنَّكُمْ لَسْتُمْ تَدْعُونَ أَصَمَّ

(١) في (أ) و(١د) و(ع): بنفاذ إرادته، والمثبت من (ب) و(يه).

(٢) في (أ) و(ب) و(١د) و(ع): هو، والمثبت من (يه).

(٣) المحرر الوجيز ٤٠٩/٢.

(٤) المصدر السابق.

(٥) كذا في النسخ، والآية هنا: تبارك، دون فاء، والتي بالفاء هي الآية (٦٤) من سورة غافر.

(٦) ينظر معاني القرآن للزجاج ٣٤٤/٢.

ولا غائباً، إنكم تَدْعُونَ سَمِيعاً قَرِيباً»^(١) وكان الصحابة حين أخبرهم الرسول بذلك قد جَهَرُوا بِالذِّكْرِ.

أَمَرَ تَعَالَى بِالِدَعَاءِ مَقْرُوناً بِالتَّذَلُّلِ وَالاِسْتِكَانَةِ وَالاِخْتِفَاءِ، إِذْ ذَاكَ أَدْعَى لِلْإِجَابَةِ وَأَبْعَدُ عَنِ الرِّيَاءِ، وَالدُّعَاءُ خُفْيَةً أَفْضَلُ مِنَ الْجَهْرِ، وَلِذَلِكَ أَثْنَى اللَّهُ عَلَى زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣]، وَفِي الْحَدِيثِ: «خَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِيُّ»^(٢)، وَقَوَاعِدُ الشَّرِيعَةِ مَقْرُورَةٌ أَنَّ السَّرَّ فِيمَا لَمْ يُفْتَرَضْ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ أَعْظَمُ أَجْراً مِنَ الْجَهْرِ.

قال الحسن: أدركنا أقواماً ما كان على الأرض عملٌ يقدرُونَ أن يكون سراً فيكون جهراً أبداً، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ولا يُسمع لهم صوتٌ، إنْ هو إلا الهمسُ بينهم وبين ربِّهم^(٣). انتهى.

ولو عاش الحسنُ إلى هذا الزمانِ العجيبِ الذي ظَهَرَ فِيهِ نَاسٌ يَتَسَمَّوْنَ بِالْمَشَايخِ، يَلْبَسُونَ ثِيَابَ شَهْرَةَ عِنْدَ الْعَامَّةِ بِالصَّلَاحِ وَيَتْرَكُونَ الْاِكْتِسَابَ، وَيَرْتَبُونَ لَهُمْ أَذْكَاراً لَمْ تَرِدْ فِي الشَّرِيعَةِ يَجْهَرُونَ بِهَا فِي الْمَسَاجِدِ، وَيَجْمَعُونَ لَهُمْ خُدَّاماً يَجْلِبُونَ النَّاسَ إِلَيْهِمْ لِاسْتِخْدَامِهِمْ وَنَتَشِ أَمْوَالَهُمْ، وَيُذَيَعُونَ عَنْهُمْ كِرَامَاتٍ، وَيَرَوْنَ لَهُمْ مَنَامَاتٍ يَدُوْنُونَهَا فِي أَسْفَارٍ، وَيَحْضُونَ عَلَى تَرْكِ الْعِلْمِ وَالاِسْتِغَالِ بِالسَّنَةِ، وَيَرَوْنَ الْوُصُولَ إِلَى اللَّهِ بِأُمُورٍ يَقَرَّرُونَهَا مِنْ خُلُوتٍ وَأَذْكَارٍ لَمْ يَأْتِ بِهَا كِتَابٌ مُنْزَلٌ وَلَا نَبِيٌّ مَرْسَلٌ، وَيَتَعَاظَمُونَ عَلَى النَّاسِ بِالْاِنْفِرَادِ عَلَى سَجَّادَةٍ، وَنَصَبِ أَيْدِيهِمْ لِلتَّقْبِيلِ، وَقَلَّةِ الْكَلَامِ، وَإِطْرَاقِ الرَّؤُوسِ، وَتَعْيِينِ خَادِمٍ يَقُولُ: الشَّيْخُ مَشْغُولٌ فِي الْخُلُوتِ، رَسَمَ الشَّيْخُ، قَالَ الشَّيْخُ، رَأَى الشَّيْخُ، الشَّيْخُ لَهُ نَظْرٌ إِلَيْكَ، الشَّيْخُ كَانَ الْبَارِحَةَ يَذْكُرُكَ، إِلَى نَحْوٍ مِنْ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ الَّتِي يَخْيِشُونَ^(٤) بِهَا عَلَى الْعَامَّةِ،

- (١) أخرجه البخاري (٦٣٨٤)، ومسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري عَلَيْهِ السَّلَامُ.
 (٢) قطعة من حديث أخرجه أحمد (١٤٧٧)، وابن حبان (٨٠٩) من طريق محمد بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة عن سعد بن أبي وقاص عَلَيْهِ السَّلَامُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال محققو المسند: إسناده ضعيف، محمد بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة ضعيف، ثم هو لم يدرك سعداً.
 (٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٤٠)، والطبري ١٠/٢٤٧-٢٤٨.
 (٤) أي: يدخلون، في اللسان (خوش): خاش الرجل: دخل في عُمار الناس.

وَيَجْلِبُونَ بِهَا عَقُولَ الْجَهْلَةِ، هذا إن سَلِمَ الشَّيْخُ وخادمه من الاعتقاد الذي غَلَبَ الآن على متصوِّفة هذا الزمان من القول بالحلول، أو القول بالوحدة، فإذا ذلك يكون منسليخاً عن شريعة الإسلام بالكلية، والعَجَبُ لمثل هؤلاء كيف تُرْتَبُ لهم الرواتبُ، وتُبْنَى لهم الرُّبُطُ، وتُوقَفُ عليهم الأوقافُ، ويخدمهم الناسُ في عُروِّهم عن سائر الفضائل، ولكنَّ الناسَ أقربُ إلى أشباههم منهم إلى غيرِ أشباههم، وقد أَطَّلْنَا في هذا رجاءً أن يقف عليه مسلمٌ فينتفع به.

وقرأ أبو بكر بكسر ضمة الخاء^(١)، وهما لغتان. وقيل: «خِيفَةُ» بكسر الخاء بمعنى الخوف والرَّهبة، ويظَهَرُ ذلك من كلام أبي علي^(٢)، ولا يتأتَّى إلا على ادِّعاء القَلْبِ^(٣)، وهو خلافُ الأصل، ونقل ابن سِينَةَ في «المحكم» أن فرقة قرأت: «وخييفة» من الخوف، أي: ادَّعَوْه باستكانةٍ وخوفٍ، وقال أبو حاتم: قرأها الأعمش فيما زعموا^(٤).

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُتَعَدِّينَ﴾ ﴿٥٥﴾ قرأ ابنُ أبي عبيدة: «إنَّ الله»، جعل مكانَ الْمُضْمَرِ الْمُظْهَرِ^(٥).

وهذا اللفظُ عامٌّ يدخل فيه أولاً الدعاءُ على غير هذين الوجهين من عدم التضرُّع وعدم الخفية، بأن يدعُوهُ وهو مُلتبسٌ بالكِبَرِ والزَّهْوِ، أو أنَّ ذلك دأبه في المواعيد والمدارس فصار ذلك له صنعةٌ وعادةٌ فلا يلحقه تضرُّعٌ ولا تدلُّلٌ، وبأن يدعُوهُ بالجهر البليغ والصياح، كدعاء الناس عند الاجتماع في المشاهدِ والمزارات.

وقال العلماء: الاعتداءُ في الدعاء على وجوه، منها: الجهرُ الكثير والصياح،

(١) السبعة ص ٤٨٣، والتيسير ص ١٠٣.

(٢) في الحجة ٣٠/٤، ونقله المصنف عنه بواسطة ابن عطية في المحرر ٤١٠/٢. وجاء في مطبوع الحجة: الخِيفَةُ، بدل: الخِيفَةُ، وهو خطأ، والصواب الموافق لما نقله المصنف عن ابن عطية: الخِيفَةُ، كما جاء في إحدى نسخ الحجة في حواشيه.

(٣) أي: أن يُعتقَد تقدم اللام على العين، أي: أن الأصل: خِيفَةُ، فتقدمت الفاء على الياء فأصبحت: خِيفَةُ. ينظر الدر المصون ٣٤٤/٥.

(٤) المحرر الوجيز ٤١٠/٢.

(٥) المصدر السابق.

وَأَنْ يَدْعُوا أَنْ يَكُونَ لَهُ مَنزِلَةٌ نَبِيٍّ، وَأَنْ يَدْعُوا بِمُحَالٍ وَنَحْوِهِ مِنَ الشَّطَطِ، وَأَنْ يَدْعُوا طَالِباً مَعْصِيَةً.

وقال ابن جُرَيْجٍ والكلبيُّ: الاعتداءُ رَفْعُ الصَّوْتِ بالدعاء^(١). وعنه^(٢): الصياحُ في الدعاء مَكْرُوهٌ وَبَدْعَةٌ.

وقيل: هو الإسهابُ في الدعاء؛ قال القرطبي وقد ذكر وجوهاً من الاعتداء في الدعاء، قال: ومنها أن يدعوا بما ليس في الكتاب العزيز ولا في السنّة، فيتخيرَ ألفاظاً مُقْفَأَةً وكلماتٍ مُسَجَّعةً، قد وجدها في كراريس لهؤلاء -يعني المشائخ- لا معولَ عليها، فيجعلها شعاره ويترك ما دعا به رسولُ الله ﷺ وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء^(٣).

وقال ابن جُبَيْرٍ: الاعتداءُ في الدعاء أن يدعو على المؤمنين بالخزي والشرك واللعنة^(٤).

وفي «سنن» ابن ماجه: أَنَّ عبد الله بن مَعْقِلٍ سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها، فقال: أَيُّ بُنْي سَلِ اللهُ الجنةَ وَعُدَّ به من النار، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «سيكون قومٌ يعتدون في الدعاء»^(٥).

زاد ابن عطية والزمخشري في هذا الحديث: «وَحَسْبُ المراء أن يقول: اللهم إني أسألك الجنةَ وما قَرَّبَ إليها من قولٍ وعملٍ، وأعوذُ بك من النار وما قَرَّبَ إليها من قولٍ وعملٍ» ثم قرأ: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمَعْتَدِينَ﴾^(٦).

(١) تفسير الرازي ١٤/١٣٢، وذكره الزمخشري في الكشاف ٢/٨٣ عن ابن جريج وحده.
(٢) أي: عن ابن جريج كما في الكشاف ٢/٨٣، وعنه نقل المصنف، وأخرجه بنحوه الطبري ١٠/٢٤٩.

(٣) تفسير القرطبي ٩/٢٤٨.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/١٥٠٠، وفيه: بالشر، مكان: بالشرك، وهو الصواب، فإن الدعاء على المؤمنين بالشرك كفرٌ والعياذ بالله.

(٥) سنن ابن ماجه (٣٨٦٤)، وأخرجه أيضاً أحمد (١٦٨٠١)، وأبو داود (٩٦)، وعندهما: ... في الدعاء والظهور.

(٦) المحرر الوجيز ٢/٤١٠، والكشاف ٢/٨٣، وهذه قطعة من حديث آخر أخرجه أحمد (١٤٨٣) في قصة جرت بين سعد بن أبي وقاص ﷺ وابنه، شبيهة بقصة عبد الله بن مغفل ﷺ مع ابنه.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ هذا نهْيٌ عن إيقاع الفساد في الأرض وإدخال ما هيته في الوجود، فيتعلّق بجميع أنواعه من إفساد النفوس والأنساب والأموال والعقول والأديان، ومعنى «بعد إصلاحها»: بعد أن أصلح الله خلقها على الوجه الملائم لمنافع الخلق ومصالح المكلفين، وما روي عن المفسرين من تعيين نوع الإفساد والإصلاح ينبغي أن يُحمَلَ ذلك على التمثيل؛ إذ ادّعاء تخصيص شيء من ذلك لا دليل عليه، كالظلم بعد العدل، أو الكفر بعد الإيمان، أو المعصية بعد الطاعة، أو بالمعصية فيمسيك الله المطر ويهلك الحرث بعد إصلاحها بالمطر والخضب، أو بقتل المؤمن بعد بقاءه، أو بتكذيب الرسل بعد الوحي^(١)، أو بتغوير الماء المعين وقطع الشجر والتمر ضراراً، أو بقطع الدنانير والدراهم، أو بتجارة الحكام، أو بالإشراك بالله بعد بعثة الرسل وتقرير الشرائع وإيضاح الملة^(٢).

﴿وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ لما كان الدعاء من الله بمكانٍ كرّره، فقال أولاً: «ادعوا ربكم تضرعاً وخفية»، وهاتان الحالتان من الأوصاف الظاهرة؛ لأن الخشوع والاستكانة وإخفاء الصوت ليست من الأفعال القلبية، ثم كرّر الأمر بالدعاء خوفاً وطمعاً، وهما من الأفعال القلبية، أي: وَجِلِينَ مُشْفِقِينَ وَرَاجِينَ مُؤْمِلِينَ، فبدأ أولاً بأفعال الجوارح ثم ثانياً بأفعال القلوب.

وانتصب «خوفاً وطمعاً» على أنهما مَصْدَرَانِ في موضع الحال، أو انتصاب المفعول له.

وعظف أحدهما على الآخر يقتضي أن يكون الخوف والرجاء متساويين فيكونان للإنسان كالجناحين للطائر يحملانه في طريق استقامة، فإن انفرد أحدهما هلك الإنسان، وقد قال كثير من العلماء: ينبغي أن يغلب الخوف الرجاء طول الحياة، فإذا جاء الموت غلب الرجاء، ورأى كثير من العلماء أن يكون الخوف أغلب، ومنه تمنى الحسن البصري أن يكون الرجل الذي هو آخر من يدخل

(١) هذه ستة أقوال في الآية ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ٣/٢١٥-٢١٦.

(٢) هذه الأقوال ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٤١٠، والأول عن الضحاك، ولفظه: لا تغوروا الماء المعين، ولا تقطعوا الشجر المثمر ضراراً. ونقله عنه القرطبي ٩/٢٤٩، وفي مطبوعه: لا تغوروا...، وتعوير عيون المياه: دنفها وسدّها. ينظر اللسان (عور).

الجنة، وتمنى سالم مولى أبي حذيفة أن يكون من أصحاب الأعراف؛ لأن مذهبهم مُذنبون^(١). وسالم هذا من رتبة الذين والفضل بحيث قال فيه عمر بن الخطاب كلاماً معناه: لو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لوليتُه الخلافة^(٢).

وَأَبْعَدَ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْمَعْنَى: خَوْفًا مِنَ الرَّدِّ وَطَمَعًا فِي الْإِجَابَةِ.

﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال الزمخشري: كقوله: ﴿وَأِنِّي لَفَقَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [طه: ٨٢]^(٣). انتهى، يعني أن الرحمة مختصة بالمُحْسِنِينَ، وهو مَنْ تَابَ وَأَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا، وهذا كله حمل للقرآن دائماً^(٤) على مذهبه من الاعتزال.

والرحمة مؤنثة، فقياسها أن يُخْبَرَ عنها إخبارَ المؤنث فيقال: قريبة.

ف قيل: ذَكَرَ عَلَى الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ الرَّحْمَةَ بِمَعْنَى الرَّحْمِ وَالتَّرْحِمِ.

وقيل: ذَكَرَ لِأَنَّ الرَّحْمَةَ بِمَعْنَى الْغَفْرَانِ وَالْعَفْوِ، قَالَ التَّنْضُرُ بْنُ شَمِيلٍ، وَاخْتَارَهُ الزَّجَّاجُ^(٥).

وقيل: بِمَعْنَى الْمَطْرِ؛ قَالَ الْأَخْفَشُ^(٦)، أَوْ الثَّوَابِ قَالَ ابْنُ جَبْرِ^(٧).

فَالرَّحْمَةُ فِي هَذِهِ الْأَقْوَالِ بَدَلٌ عَنِ الْمَذْكَرِ.

وقيل: التذكير على طريق النَّسَبِ، أَي: ذَاتُ قُرْبٍ.

وقيل: «قريب» نعتٌ لِمَذْكَرٍ مَحذُوفٍ، أَي: شَيْءٌ قَرِيبٌ.

وقيل: «قريب» مشبّهٌ بِفَعِيلٍ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، نَحْوُ: خَضَيْبٌ وَجَرِيحٌ،

(١) نقل المصنف هذه الأقوال عن المحرر الوجيز ٤١١/٢، وخبر تمنى سالم مولى أبي حذيفة أن يكون من أصحاب الأعراف سلف عند تفسير الآية (٤٩) من هذه السورة.

(٢) أخرجه الطبري في التاريخ ٤/٢٢٧.

(٣) الكشاف ٨٣/٢.

(٤) تحرفت في (أ) و(١د) و(ع) والمطبوع إلى: وإنما، ولم تجود في (ب)، والمثبت من (به).

(٥) في معاني القرآن ٢/٣٤٤.

(٦) في معاني القرآن ٢/٥١٩.

(٧) تفسير البغوي ٢/١٦٦.

كما شبه فعليل به فقبل شيئاً من أحكامه، فقبل في جمعه: فُعلاء كأسيرٍ وأسراء، وقتيلٍ وقتلاء، كما قالوا: رحيم ورُحماء وعليم وعلماء.

وقيل: هو مصدر جاء على فعليل، كالضغيث وهو صوت الأرنب، والنقيق، وإذا كان مصدراً صحَّ أن يُخبرَ به عن المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والمجموع بلفظ المصدر.

وقيل: لأن تأنث الرحمة غير حقيقي؛ قاله الجوهري^(١)، وهذا ليس بجيدٍ إلا مع تقدم الفعل، أمّا إذا تأخر فلا يجوزُ إلا التأنيث، تقول: الشمس طالعةٌ، ولا يجوز: طالعٌ إلا في ضرورة الشعر، بخلاف التقديم فيجوزُ: أطلعةُ الشمس، و: أطلعُ الشمس، كما يجوز: طلعت الشمس، و: طلع الشمس، ولا يجوز: الشمس طلع، إلا في الشعر.

وقيل: فعليلٌ هنا بمعنى المفعول، أي: مقربةٌ، فيصير من باب: كَفَّ خَضِيبٌ، و: عينٌ كَحِيلٌ؛ قاله الكرماني، وليس بجيدٍ؛ لأن ما ورد من ذلك إنما هو من الثلاثي غير المزداد، وهذا بمعنى: مقربةٌ، فهو من الثلاثي المزداد، ومع ذلك فهو لا ينقاس.

وقال الفراء: إذا استعمل في النسب والقراية فهو مع المؤنث بتاءٍ ولا بد، تقول: هذه قريبةُ فلان، وإذا استعملت في قرب المسافة أو الزمن فقد تجيء مع المؤنث بتاءٍ وقد تجيء بغير تاءٍ، تقول: دارك مني قريبٌ، وفلانة منّا قريبٌ، ومنه هذا، وقولُ الشاعر:

عَشِيَّةً لا عفراءً منك قريبةً فتدنو ولا عفراءً منك بعيداً^(٢)

(١) في الصحاح (قرب).

(٢) معاني القرآن للفراء ١/٣٨٠-٣٨١، وتهذيب اللغة ٢/٢٤٥ (بعد)، والمحرم الوجيز ٢/٤١١، وزاد المسير ٣/٢١٦، واللسان (بعد)، وجميعهم نقلوه عن الفراء، وعزاه الفراء لعروة، وهو ابن حزام كما سيرد. وذكره الأزهرى أيضاً في تهذيب اللغة ٩/١٢٥ (قرب)، وصاحب اللسان (قرب) برواية:

ليالي لا عفراءً منك بعيدة فتسلو ولا عفراءً منك قريب
وكذا ورد البيت عن عروة في الأغاني ٢٤/١٥٥ ضمن قصيدة على زويِّ الباء، وفيه: عشية
لا عفراء...

فَجَمَعَ فِي هَذَا الْبَيْتِ بَيْنَ الْوَجْهَيْنِ .

قال ابن عطية: هذا قولُ الفراء في كتابه، وقد مرَّ في كتب بعض المفسرين مغيراً^(١). انتهى.

وردَّ الزَّجَّاجُ هَذَا عَلَى الْفَرَّاءِ وَقَالَ: هَذَا خَطَأٌ؛ لِأَنَّ سَبِيلَ الْمَذْكَرِ وَالْمَوْثُتِ أَنْ يَجْرِيَ عَلَى أَفْعَالِهِمَا^(٢).

وقال مَنْ احتجَّ له: كذا^(٣) كلام العرب، قال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣] وقال الشاعر:

له الويلُ إنَّ أمسى ولا أمَّ هاشمٍ قَريبٌ ولا البَسْبَاسَةُ ابنةُ يَشْكُراً^(٤)
وقال أبو عبيدة: «قريب» في الآية ليس بصفةٍ للرحمة، وإنما هو ظرفٌ لها وموضعٌ، فتجيء هكذا في المَوْثُتِ والاثْنَيْنِ والجمعِ، وكذلك بعيدٌ، فإذا جعلوها صفةً بمعنى مقتربة قالوا: قَريبَةٌ وقَريبتان وقَريبات^(٥).

قال علي بن سليمان: وهذا خطأ، ولو كان كما قال لكان «قريب» منصوباً، كما تقول: إن زيدا قريبا منك^(٦). انتهى.

وليس بخطأ؛ لأنه يكون قد اتَّسَعَ في الظرف فاستعمله غيرَ ظرفٍ، كما تقول: هُنْدٌ خَلْفُكَ، و: فَاطِمَةُ أَمَامُكَ، بِالرَّفْعِ إِذَا اتَّسَعَتْ فِي الْخَلْفِ وَالْأَمَامِ، وَإِنَّمَا يَلْزَمُ النَّصْبُ إِذَا بَقِيَ تَا عَلَى الظرفية ولم يُتَّسَعِ فِيهِمَا، وَقَدْ أَجَازُوا: إِنَّ قَرِيباً مِنْكَ زَيْدٌ، عَلَى أَنْ يَكُونَ «قَرِيباً» اسْمٌ «إِنَّ» و«زَيْدٌ» الْخَبَرُ، فَاتَّسَعِ فِي «قَرِيبٍ» وَاسْتَعْمَلَ اسْمًا لَا مَنْصُوبًا عَلَى الظرف.

(١) المحرر الوجيز ٤١١/٢، ووقع في مطبوعه: مقيداً، مكان: مغيراً.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢٤٥/٢ بنحوه، واللفظ من إعراب القرآن للنحاس ١٣٢/٢، وتفسير القرطبي ٢٥١/٩.

(٣) في (١د) والمطبوع: هذا، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في إعراب القرآن للنحاس وتفسير القرطبي.

(٤) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ٦٨.

(٥) مجاز القرآن ٢١٦-٢١٧، والمحرر الوجيز ٤١١/٢، والكلام منه.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ١٣٢/٢، وتفسير القرطبي ٢٥١/٩. وعلي بن سليمان هو أبو الحسن المعروف بالأخفش الأصغر.

والظاهر عدم تقييد قُرب الرحمة من المُحسين بزمان، بل هي قريبٌ منه مطلقاً، وذكر الطبري أنه وقت مفارقة الأرواح للأجساد تنالهم الرحمة^(١).



﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا نَفَاةً سَقِنْتَهُ لِيَنزِلَ مِثْرًا فَنَزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتُومَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًّا كَذَلِكَ نَصْرَفُ الْأَيَّاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادًا لِلَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُوا لَيْسَ بِي ضَالُّةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْعَيْبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخْبَتْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ وَإِلَىٰ عَادِ آخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُوا لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْعَيْبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَأَذْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأِنَّا بِمَا نَعْبُدُهُمْ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصَبٌ أُنزِلَ لِيُنزِلَ فِي آسْمَاءٍ سَبَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَاَنْظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَخْبَتْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَايِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ آخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَدِيَاهُ نَاقَةٌ لِلَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ آيَةٍ ﴿٧٣﴾ وَأَذْكُرُوا إِذْ

(١) تفسير الطبري ١٠/٢٥٠.

جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَخَذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا
 وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٦﴾ قَالَ الْمَلَأُ
 الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَقْتُلُونَ أَمْ صَالِحًا
 فَتُرْسَلُ مِنْ رَبِّهِمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا
 بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَرُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحُ
 آثِنًا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ
 ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّكُمْ وَإِن لَكُنَّ لَا تَحْسِبُونَ
 النَّاصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلَوْ طَآءَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفِتْنَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ
 ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْبَنَاتِ أَلَيْسَ لِقَوْمٍ مُسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا
 كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ ﴿٨٢﴾
 فَأَجَبْنَاهُ وَأَهْلَاهُ إِلَّا أَمْرًا تَهُ كَانَتْ مِنَ الْعَرَبِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُ كَيْفَ
 كَانَتْ عَقِيبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَى مَدِينَةِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا
 لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ
 وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَمْثَلَهُمْ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ
 لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ
 سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا نَكَرْتُمْ
 وَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَقِيبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي
 أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾

أقل الشيء: حمّله ورفعته من غير مشقة، ومنه: إقلال البطن عن الفخذ في المفردات
 الركوع والسجود، ومنه: القلة؛ لأن البعير يحملها من غير مشقة، وأصله من القلة
 فكان المقل يري ما يرفعه قليلاً، واستقل به: أقله.

السُّوق: حمل الشيء بعنف.

التكيد: العيسر القليل^(١)؛ قال الشاعر:

(١) في (ب) و(به): العسر الأخلاق، والكلام من المحرر الوجيز ٤١٤/٢، وفيه: العيسر القليل. وهو قريب مما قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢١٧/١، قال: «تكيداً»، أي: قليلاً عسيراً في شدة.

لَا تُنَجِّزُ الْوَعْدَ إِنْ وَعَدْتَ وَإِنْ أَعْظَيْتَ أَعْظَيْتَ تَأْفَهُاً نَكِدًا^(١)

ونكّد الرجل: سئل إلحافاً وأخجل؛ قال الشاعر:

وَأَعْطِ مَا أَعْظَيْتَهُ طَيْباً لَا خَيْرَ فِي الْمُنْكَودِ وَالنَّاكِدِ^(٢)

الآلاء: النعم، واحدها: إلى ك: معى؛ أنشد الزّجاج:

أَبْيَضُ لَا يَرْهَبُ الْهُزَالَ وَلَا يَقْطَعُ رُحْمَى وَلَا يَخُونُ إِلَيَّ^(٣)

وإلى: إنى بمعنى الوقت^(٤)، أو ألى ك: قفاً، أو إلى ك: حسي، أو ألو كجرو^(٥).

«وقع» قال النَّضْرُ بْنُ شَمَيْلٍ: فَرَعَ وَصَدَعَ كَوَقُوعِ الْمَيْقَعَةِ، وَقَالَ غَيْرُهُ: نَزَلَ، وَالْوَاقِعَةُ: النَّازِلَةُ مِنَ الشَّدَائِدِ، وَالْوَقَائِعُ: الْحُرُوبُ، وَالْمَيْقَعَةُ: الْمِطْرَقَةُ؛ قَالَ بَعْضُ أَدْبَائِنَا:

ذُو الْفَضْلِ كَالْتَّبْرِ طَوْرًا تَحْتَ مَيْقَعَةٍ وَتَارَةً فِي ذُرَى تَاجٍ عَلَى مَلِكٍ^(٦)

«ثمود» اسمُ قَبِيلَةٍ سَمِيَّتْ بِاسْمِ أَبِيهَا، وَيَأْتِي ذِكْرُهُ فِي التَّفْسِيرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

النَّاقَةُ: الْأُنْثَى مِنَ الْجَمَالِ، وَأَلْفُهَا مَنْقَلِبَةٌ عَنِ الْوَاوِ، وَجَمْعُهَا فِي الْقَلَّةِ: أَنْوُقٌ

(١) البيت دون نسبة في مجاز القرآن ٢١٧/١، وتفسير الطبري ٢٥٧/١٠، والمحور الوجيز ٤١٤/٢، وزاد المسير ٢٢٠/٣.

(٢) أورده صاحب الأغاني ٤٨/٦ ضمن قصيدة طويلة لأعشى همدان قالها في عبد الرحمن بن الأشعث، وهو دون نسبة في العين ٣٣١/٥، وتفسير الطبري ٢٥٧/١٠، والنكت والعيون ٢٣٢/٢، والمحور الوجيز ٤١٤/٢، وأساس البلاغة واللسان والتاج (نكد).

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣٤٨/٢، والبيت للأعشى ميمون بن قيس، وهو في ديوانه ص ٢٨٥، وجاء في المصدرين: رحماً، بدل: رُحْمَى.

(٤) أي: «إلى» مثل «إنى» في تصاريف المفرد والجمع. ينظر الدر المصون ٣٦٠/٥. وقد سقطت كلمة «إلى» من بعض النسخ، وكلمة «إنى» من بعضها الآخر، ووردتا مجموعتين في (ب) وحدها.

(٥) هذه كلها مفرد الآلاء: إلى وألى وإلى وألو، وزاد في القاموس: ألى، وفي الدر المصون ٣٦٠/٥: ألى، ك: قُفْل.

(٦) البيت لابن حزم، كما في الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ١٧٤/١، ومعجم الأدباء ٢٤٥/١٢، وسير أعلام النبلاء ٢٠٨/١٨.

وَأَيُّقُ، وفيه القلبُ والإبدال، وفي الكثرة: نِيَاقٌ وَنُوقٌ، واستنوّقَ الجمَلُ: إذا صار يُشَبِّهُ الناقَةَ.

السَّهْلُ: ما لان من الأرض وانخفض، وهو ضدُّ الحَزْنِ.

القَصْرُ: الدار التي قُصِرَت على بقعةٍ من الأرض مخصوصة، بخلاف بيوت العمود، سُمِّي بذلك لقصور الناس عن ارتقائه، أو لقصورِ عامَّتْهم عن بنائه.

النَّحْتُ: النَّجْرُ والنشر في الشيء الصلب كالحجر والخشب، قال الشاعر:

أَمَّا النَّهَارُ فَنَفِي قَيْدٍ وَسَلْسَلَةٍ وَاللَّيْلُ فِي بَطْنٍ مَنحَوْتٍ مِنَ السَّاحِجِ^(١)

عَقَرْتُ الناقَةَ: قتلتها، فهي معقورةٌ وعقيرٌ، ومنه: «مَنْ عَقَرَ جواده» قاله ابن قتيبة^(٢).

وقال الأزهري^(٣): العَقْرُ عند العرب: كَسَفٌ^(٤) عُرقوب البعير، ولمَّا كان سبباً للنحر أطلق العَقْرُ على النحر إطلاقاتاً لاسم السَّببِ على المُسَبَّبِ وإن لم يكن هناك قطعٌ للعرقوب، قال امرؤ لقيس:

وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِعِذارِي مَطِيَّتِي^(٥)

(١) البيت دون نسبة في الجمل للخليل ص ٤٣، والكتاب ١/١٦٠، والمقتضب ٤/٣٣١، ونسبه الجاحظ في الحيوان ٧/١٥٨، والسيرافي في شرح أبيات سيويه ١/٢٣٦ للجرنفَس بن عبدة الطائي، وجاء الاسم في الحيوان: الجرنفَس بالسين المهملة، وكذا ذكره ابن دريد في الاشتقاق ص ٣٩٠، وبالسين المعجمة جاء في المؤلف والمختلف ص ٩٩، والتاج (عبد). ومعنى اللفظ في الحالتين: الضخم، أو الشديد من الرجال، والسين والشين لغتان فيه. ينظر التاج (جرفس) و(جرنفس).

(٢) تفسير غريب القرآن ص ٤٣٣، وقوله: «من عقر جواده» قطعة من حديث أخرجه أحمد (١٩٤٣٥) وابن ماجه (٢٧٩٤) عن عمرو بن عَبَسَةَ رضي الله عنه، وفيه: فقلت: أيُّ الجهاد أفضل؟ قال: «مَنْ عَقَرَ جواده، وأهريق دمه».

(٣) في تهذيب اللغة ١/٢١٥، ونقله المصنف عنه بواسطة الرازي في تفسيره ١٤/١٦٥.

(٤) في النسخ عدا (ب): كشف، وكذا وقع في مطبوع تفسير الرازي، والمثبت من (ب) وتهذيب اللغة، وهو الصواب، قال صاحب القاموس (كسف): كسفه يكسفه: قطعه، وعُرقوبه: عرقبه.

(٥) وعجزه: فيا عجباً من رحلها المتحمَّل، وهو في ديوانه ص ١١. ووقع في المطبوع: فيا عجباً

وقال غيره: والعقرُ بمعنى الجرح، قال:

تقولُ وقد مال الغبيطُ بنا معاً عَقَرْتَ بعيري يا امرأ القيسِ فانزِلِ^(١)
عَتَا يعتو عَتَوًا: استكبر.

الرَّجْفَةُ: الطامة التي يَرْجُفُ لها الإنسان، أي: يتزعزعُ ويضطربُ ويرتعدُ،
ومنه: تَرْجُفُ بواذره، وأصلُ الرَّجْفِ: الاضطراب، رَجَفَتِ الأرضُ، والبحرُ
رَجَافًا لاضطرابه، وأرْجَفَ الناسَ بالشر: خاضوا فيه واضطربوا، ومنه:
الأراجيف، ورَجَفَ بهم الجمل: اضطرب؛ قال الشاعر:
ولمَّا رأيتُ الحجَّ قد حان وقتُه وظلَّتْ جمالُ القومِ بالحيِّ تَرْجُفُ^(٢)
الجُثْمُ: اللصوق بالأرض على الصّدر مع قبضِ الساقين كما يَرْقُدُ الأرنب
والطير.

عَبَّرَ: بَقِيَ، قال أبو ذؤيب:

فَعَبَّرْتُ بَعْدَهُمْ بعيشٍ ناصِبٍ وإخالُ أني لاجِقٌ مُسْتَشْبِعُ^(٣)
هذا المشهورُ في اللغة، ومنه: عَبَّرَ الحيض، قال أبو كبير الهذلي:
ومبراً من كلِّ عَبَّرٍ حِيضَةٌ وفسادِ مُرْضِعَةٍ وداءِ مُغْضِلِ^(٤)
وعَبَّرُ اللبنُ في الصُّرْع: بقيته، وحكى أهلُ اللغة: عَبَّرَ، بمعنى: مضى، قال
الأعشى:

= من كورها المتحمل، وليس في النسخ. ومعنى البيت: أنه عَجِبَ لِمَا فعل مِن عَقَرِ ناقته حتى
رحلها على أخرى، كأنه سَفَهُ نفسه لذلك. قاله شارح الديوان.

(١) ديوان امرئ القيس ص ١١. الغبيط: ما يوضع على ظهر البعير لتركب المرأة فيه، كالرَّحْل
للرَّجُل. المعجم الوسيط (غبط).

(٢) عزاء السمين في الدر ٣٦٨/٥ لابن أبي ربيعة، وليس في ديوانه، وأورده الثعلبي في تفسيره
٤٠/٣، والقرطبي ٢٧٢/٩، وفيهما: بالقوم، بدل: بالحي.

(٣) ديوان الهذليين ٢/١.

(٤) ديوان الهذليين ٩٣/٢، وجاء في المطبوع: وداءِ مُغْضِل، وهي رواية ذكرها ابن قتيبة في
المعاني الكبير ٥١٩/١.

ضَّ بِمَا أَبْقَى الْمَوَاسِي لَهُ مِنْ أُمَّه فِي الزَّمَنِ الْغَائِبِ^(١)
 وبمعنى: غاب، ومنه: عَبَّرَ عَنَّا زَمَانًا، أي: غاب؛ قاله الزَّجَّاجُ^(٢).
 وقال أبو عبيدة: عَبَّرَ: عُمِّرَ دَهْرًا طَوِيلًا حَتَّى هَرِمَ^(٣).
 المطر معروف، وقال أبو عبيدة: يقال في الرحمة: مَطَرَ، وفي العذاب:
 مَطَرَ^(٤).

وهذا معارَضٌ بقوله: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّطْرَانًا﴾ [الأحقاف: ٢٤] فإنهم لم يريدوا إلا
 الرحمة، وكلاهما متعدّد، يقال: مَطَرْتَهُمُ السَّمَاءُ وَأَمَطَرْتَهُمْ.
 شعيب: اسْمُ نَبِيِّ وَسَيَّاتِي ذَكَرُ نَسَبِهِ فِي التَّفْسِيرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

* * *

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى الدَّلَائِلَ عَلَى التَّفْسِيرِ
 كمال إلهيته وقدرته وعلمه من العالم العلويّ أتبعهما بالدلائل من أحوال العالم
 السفليّ، وهي محصورة في آثار العالم العلوي، ومنها الرِّيحُ والسحابُ والمطر،
 وفي المعدن والنبات والحيوان، ويترتّب على نزول المطر أحوالُ النبات، وذلك هو
 المذكور في الآية، وانجرّ مع ذلك الدلالة على صحة الحشر والنشر والبعث
 والقيامة.

وانتظمت هاتان الآيتان محصلتين المبدأ والمعاد، وجعل الخبر موصولاً في
 «إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي» وفي «وهو الذي» دلالة على كون ذلك معهوداً عند السامع
 مفروغاً من تحقّق النسبة فيه والعلم به، ولم يأت التركيب: إِنَّ رَبَّكُمْ خَلَقَ، ولا:
 وهو يرسل الرياح.

وقرأ: «الرياح نُشْرًا» جمعين، وبضم الشين جمع ناشيرٍ على التَّسْبِ، أي: ذات

(١) ديوان الأعشى ص ١٩٥.

(٢) في معاني القرآن ٣٥٣/٢.

(٣) ينظر مجاز القرآن ٢٧١/١ و٨٩/٢ و١١٥.

(٤) مجاز القرآن ٢٤٥/١.

نَشْرٍ مِنَ الطَّيِّ، ك: لَابِنٍ وَتَامِرٍ، وَقَالُوا: بَاذِلٌ وَبُزْلٌ، وَشَارِفٌ وَشُرْفٌ، وَهُوَ جَمْعٌ نَادِرٌ فِي فَاعِلٍ، أَوْ: نُشُورٌ مِنَ الْحَيَاةِ^(١)، أَوْ جَمْعُ نُشُورٍ ك: صَبُورٌ وَصُبْرٌ، وَهُوَ جَمْعٌ مَقْيَسٌ، لَا جَمْعُ نُشُورٍ بِمَعْنَى مَنُشُورٍ خِلَافاً لِمَنْ أَجَازَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ فَعُولاً - ك: رَكُوبٌ بِمَعْنَى مَرَكُوبٍ - لَا يَنْقَاسُ، وَمَع كُونِهِ لَا يَنْقَاسُ لَا يُجْمَعُ عَلَى فُعُلٍ = الْحَسَنُ وَالسَّلْمِيُّ وَأَبُو رَجَاءٍ، وَاخْتَلَفَ عَنْهُمْ، وَالْأَعْرَجُ وَأَبُو جَعْفَرٍ وَشَيْبَةُ وَعَيْسَى بْنُ عَمْرِ، وَأَبُو يَحْيَى وَأَبُو نُوْفَلٍ الْأَعْرَابِيَانِ، وَنَافِعٌ وَأَبُو عَمْرٍو^(٢).

وَقَرَأَ كَذَلِكَ جَمْعاً إِلَّا أَنَّهُمْ سَكَّنُوا الشَّيْنَ تَخْفِيفاً مِنَ الضَّمِّ ك: رُسُلٌ، عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَزُرُّ وَابْنُ وَثَابٍ وَالنَّخَعِيُّ وَطَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ وَالْأَعْمَشُ وَمَسْرُوقٌ وَابْنُ عَامِرٍ^(٣).

وَقَرَأَ: «نَشْرَاءٌ» بِفَتْحِ النُّونِ وَالشَّيْنِ مَسْرُوقٌ فِيمَا حَكَى عَنْهُ أَبُو الْفَتْحِ^(٤)، وَهُوَ اسْمٌ جَمْعٌ ك: غَيْبٌ وَنَشَأٌ، فِي: غَائِبَةٌ وَنَاشِئَةٌ.

وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ: «الرَّيْحُ» مَفْرُداً «نُشْرَاءٌ» بِالنُّونِ وَضَمِّهَا وَضَمِّ الشَّيْنِ^(٥)، فَاحْتَمَلَ «نُشْرَاءٌ» أَنْ يَكُونَ جَمْعاً حَالاً مِنَ الْمَفْرَدِ، لِأَنَّهُ أُرِيدَ بِهِ الْجِنْسُ، كَقَوْلِهِمْ: الدَّرْهَمُ^(٦) الْبَيْضُ، وَاحْتَمَلَ أَنْ يَكُونَ مَفْرُداً ك: نَاقَةٌ سُرْحٌ.

وَقَرَأَ حَمْزَةً وَالْكَسَائِي: «نَشْرَاءٌ» بِفَتْحِ النُّونِ وَسُكُونِ الشَّيْنِ^(٧) مَصْدَراً ل: نَشَرَ خِلَافَ طَوَى، أَوْ ل: نَشَرَ بِمَعْنَى حَيَّيْ، مِنْ قَوْلِهِمْ: أَنْشَرَ اللَّهُ الْمَوْتَى فَنَشَرُوا، أَي: حَيَّوْا، قَالَ الشَّاعِرُ:

(١) قوله: أو نشور... معطوف على ما سلف من قوله: ذات نشر...، أي: ذات نشر من الطي أو نشور من الحياة، أي: أن المعنى إذا كان على النسب فهو إما إلى النشر ضد الطي، وإما إلى النشور بمعنى الإحياء. ينظر المحرر الوجيز ٤١٢/٢، والدر المصون ٣٤٧/٢.

(٢) القراءة عن نافع وأبي عمرو في السبعة ص ٨٣، والتيسير ص ٧٨ و ١١٠، وعن أبي جعفر في النشر ٢/٢٧٠، وعزوها إلى من ذكر من الأئمة منقول من المحرر الوجيز ٤١١/٢-٤١٢.

(٣) المحرر الوجيز ٤١٢/٢، وهي عن ابن عامر في السبعة ص ٢٨٣، والتيسير ص ١١٠.

(٤) في المحتسب ٢٥٥/١، وهي في القراءات الشاذة ص ٤٤.

(٥) السبعة ص ٢٨٣، والتيسير ص ٧٨ و ١١٠.

(٦) قوله: الدرهم، تحرف في (أ) و(د) و(ع) والمطبوع إلى: العرب هم.

(٧) السبعة ص ٢٨٣، والتيسير ص ١١٠.

حتى يقول الناس مَّأ رَأَوْا يَا عَجَباً لَلْمِيتِ النَّاشِرِ^(١)

وقرأ: «الرياح» جمعاً ابن عباس والسُّلَمِيُّ وابنُ أبي عُبَيْلَةَ «بُشْرًا» بضم الباء والشين، وَرُوِيَ عَنْ عَاصِمِ^(٢)، وهو جمع بَشِيرَةٍ ك: نَذِيرَةٌ وَنُذْرٌ.

وقرأ عاصمٌ كذلك إلا أنه سَكَّنَ الشين تخفيفاً من الضم^(٣).

وقرأ السُّلَمِيُّ أيضاً «بَشْرًا» بفتح الباء وسكون الشين، وهو مصدر بَشَّرَ الْمُخَفَّفُ، وَرُوِيَ عَنْ عَاصِمِ^(٤).

وقرأ ابن السميع وابن قطيب: «بشري» بألفٍ مقصورة^(٥) ك: رُجَعِي - وَرُوِيَ عَنْ أَبِي نُوفَلٍ وَأَبِي يَحْيَى الْأَعْرَابِيِّ^(٦) - وهو مصدرٌ.

فهذه ثمانى قراءاتٍ: أربعة في النون وأربعة في الباء:

فَمَنْ قرأ بالباء جمعاً، أو مصدرأ بألف التانيث، ففي موضع الحال من المفعول، أو مصدرأ بغيرِ أَلِفِ التانيث فيَحْتَمِلُ ذلك وَيَحْتَمِلُ أن يكون حالاً من الفاعل.

وَمَنْ قرأ بالنون جمعاً أو اسم جمع فحالٌ من المفعول، أو مصدرأ فيَحْتَمِلُ أن يكون حالاً من الفاعل، وأن يكون حالاً من المفعول، أو مصدرأ لـ«يرسل» من المعنى؛ لأن إرسالها هو إطلاقها، وهو بمعنى النَّشْرِ، فكأنه قيل: يَنْشُرُ الرِّيحُ نَشْرًا، ووصفُ الرِّيحِ بِالنَّشْرِ بأحد معنيين: بخلاف الطَّيِّ، وبالحياة، قال أبو عبيدة في النَّشْرِ: إنها المتفرقة في الوجوه^(٧)، وقال الشاعر في وصف الرِّيحِ بالإحياء والموت:

(١) البيت للأعشى، وهو في ديوانه ص ١٩١.

(٢) المحتسب ٢٥٥/١، والمحزر الوجيز ٤١٢/٢.

(٣) وهي المشهورة عن عاصم، وهي في السبعة ص ٢٨٣، والتيسير ص ١١٠.

(٤) المحزر الوجيز ٤١٢/٢، وهي عن السلمي في المحتسب ٢٥٥/١، وعن عاصم من رواية عصمة في القراءات الشاذة ص ٤٤.

(٥) القراءات الشاذة ص ٤٤، والمحتسب ٢٥٥/١، والمحزر الوجيز ٤١٢/٢.

(٦) قوله: ورويت... من (ب) و(ز) و(يه)، وهو منقول من المحزر ٤١٢/٢.

(٧) مجاز القرآن ٢١٧/١ وفيه: «نُشْرًا»، أي: متفرقة من كل مهبٍّ وجانبٍ وناحية.

وَهَبَتْ لَهُ رِيحُ الْجَنُوبِ وَأُحْيِيَتْ لَهُ زَيْدَةٌ يُحْيِي الْمَيَاةَ نَسِيمَهَا^(١)
والزَّيْدَةُ والزَّيْدَانَةُ: الريح، وقال الآخر:

إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَمُوتَ الرِّيحُ فَأَقْعُدُ السَّيُومَ وَأَسْتَرِيحُ^(٢)

ومعنى «بين يدي رحمته»: أمام نعمته، وهو المطرُ الذي هو من أجلِّ النعم وأحسنها أثراً، والتعبير^(٣) عن أمام الرحمة بقوله: «بين يدي» من مجاز الاستعارة؛ إذ الحقيقة هو ما بين يدي الإنسان من الأجرام.

وقال الكرمانى: قال هنا: «يرسل» لأن قبل ذلك: «وادعوه خوفاً وطمعاً» فهما في المستقبل فناسبه المستقبل، وفي «الفرقان» و«فاطر»: ﴿أَرْسَلْ﴾ ﴿أَرْسَلْ﴾ [الفرقان: ٤٨ و فاطر: ٩] لأن قبله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِنْ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظَّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] وبعده: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَّ﴾ [الفرقان: ٥٣] وكذا في «الروم»: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ﴾ [الآية: ٤٦] ليوافق ما قبله من المستقبل، وفي «فاطر» قبله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنِحَةٍ﴾ [فاطر: ١] وذلك ماضٍ فناسبه الماضي. انتهى ملخصاً.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا نِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ هذه غاية لإرسال الرياح، والمعنى: أنه تعالى يُرسل الرياح مبشرات أو مُنْشِرات إلى سَوَاقِ السحاب وقت إقلاله إلى بلدٍ مَيِّتٍ، والسحابُ اسمُ جنسٍ بينه وبين مُفْرَدِه تاءُ التانيث، فيذكرُ كقوله: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ﴾ [البقرة: ١٦٤] وقوله: ﴿يُرْسِلِ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ [النور: ٤٣] ويؤنث، ويوصفُ ويخبرُ عنه بالجمع كقوله: ﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد: ١٢] وكقوله: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ [ق: ١٠] وثقله بالماء الذي فيه.

ونُسب السَّوْقُ إليه تعالى بنونِ العظمة التفتاتاً لما فيه من عظيمِ المنَّةِ وجليلِ النعمة، وذكر الضمير في «سقناه» رعيّاً للفظ، كما قلنا إنه يذكر.

(١) البيت للمرَّار الفَقَّسي كما في المخصص لابن سيده ٩١/٩، وزاد الميسر ٢١٧/٣، وهو دون نسبة في اللسان (ريد)، ورواية المخصص واللسان: يُحْيِي الممات نَسِيمَهَا.
(٢) المخصص ٩١/٩، وزاد الميسر ٢١٧/٣، واللسان والتاج (موت) و(نشر).
(٣) في (أ) و(د) و(ع): والتعيين، وهو تحريف.

وقال السدي: يرسل تعالى الرياح فتأتي بالسحاب من بين الخافقين طرف السماء والأرض حيث يلتقيان، فتخرجه من ثم، ثم ينتشر ويسطه في السماء، وتفتح أبواب السماء ويسيل الماء على السحاب، ثم يمطر السحاب بعد ذلك. قال^(١): وهذا التفصيل لم يثبت عن النبي ﷺ. انتهى.

ومذهب أهل الحق أن الله تعالى هو الذي يسخر الرياح ويصرفها حيث أراد بمشيئته وتقديره لا مشارك له في ذلك، وللفلاسفة كيفية في حصول الرياح ذكرها أبو عبد الله الرازي، وأبطلها من وجوه أربعة يوقف عليها في كلامه.

وللمنجمين أيضاً كلام في ذلك أبطله، وقال في آخره: ثبت بهذا البرهان أن محرك الرياح هو الله تعالى، وثبت بالدليل العقلي صحة قوله: «وهو الذي يرسل الرياح»^(٢).

وعن ابن عمر^(٣): الرياح ثمان؛ أربع منها عذاب، وهي: القاصف والعاصف والصرصر والعقيم، وأربع منها رحمة: الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات.

واللام في «بلد» عندي لأم التبليغ، كقولك: قلت لك، وقال الزمخشري: لأجل بلد^(٤)، فجعل اللام لأم العلة ولا يظهر، وفرق بين قولك: سقت لك مالا، وسقت لأجلك مالا، فإن الأول معناه: أوصلته لك وأبلغتكَه، والثاني لا يلزم منه وصوله إليه، بل قد يكون الذي وصل له المال غير الذي علل به السوق، ألا ترى إلى صحة قول القائل: لأجل زيد سقت لك مالك.

(١) أي: ابن عطية في المحرر ٤١٣/٢، وما قبله من قول السدي منقول منه، وما بعده هو من كلامه لا من كلام السدي.

(٢) تفسير الرازي ١٤/١٣٩-١٤٠.

(٣) كذا في النسخ وتفسير الرازي ١٤١/٤، والصواب: ابن عمرو، وأخرجه عنه ابن أبي حاتم كما ذكر ابن كثير عند تفسير الآية (٥١) من سورة الروم، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٦٤ إلى أبي عبيد، وابن أبي الدنيا في كتاب المطر، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في العظمة.

(٤) الكشاف ٢/٨٤.

وَوَصَّفُ الْبِلْدَ بِالْمَوْتِ اسْتِعَارَةً حَسَنَةً لَجَدْبِهِ وَعَدَمِ نَبَاتِهِ، كَأَنَّهُ مِنْ حَيْثُ عَدِمَ الْإِنْتِفَاعَ بِهِ كَالْجَسَدِ الَّذِي لَا رُوحَ فِيهِ، وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ مَوْضِعَ قُرْبِ رَحْمَةِ اللَّهِ وَإِظْهَارِ إِحْسَانِهِ ذَكَرَ أَحْصَى مِنْ^(١) الْأَرْضِ وَهُوَ الْبَلَدُ، حَيْثُ مُجْتَمَعُ النَّاسِ وَمَكَانُ اسْتِقْرَارِهِمْ، وَلَمَّا كَانَ فِي سُورَةِ يَسِ الْمَقْصَدُ إِظْهَارَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْبَعْثِ جَاءَ التَّرْكِيبُ بِاللَّفْظِ الْعَامِّ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَأَيَّاهُ لَمَّمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةَ﴾ [الآية: ٣٣] وبعده: ﴿وَأَيَّاهُ لَمَّمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ [الآية: ٣٧] ﴿وَأَيَّاهُ لَمَّمْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الآية: ٤١].

وَسَكَّنَ يَاءَ «الْمَيْتِ» عَاصِمٌ وَأَبُو عَمْرٍو وَالْأَعْمَشُ^(٢).

﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ﴾ الظَّاهِرُ أَنَّ الْبَاءَ ظَرْفِيَّةٌ وَالضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَى «بَلَدِ مَيْتِ»، أَي: فَأَنْزَلْنَا فِيهِ الْمَاءَ، وَهُوَ أَقْرَبُ مَذْكَورٍ، وَيَحْسُنُ^(٣) عَوْدُهُ إِلَيْهِ فَلَا يُجْعَلُ لِأَبْعَدِ مَذْكَورٍ.

وَقِيلَ: الْبَاءُ سَبَبِيَّةٌ وَالضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَى السَّحَابِ.

وَقِيلَ: عَائِدٌ عَلَى الْمَصْدَرِ الْمَفْهُومِ مِنْ «سَقْنَاهُ»، فَالتَّقْدِيرُ: بِالسَّحَابِ أَوْ بِالسُّوقِ.

وَالثَّلَاثُ ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّهُ عَائِدٌ عَلَى غَيْرِ مَذْكَورٍ مَعَ وُجُودِ الْمَذْكَورِ وَصِلَاحِيَّتِهِ لِلْعَوْدِ عَلَيْهِ.

وَقِيلَ: عَائِدٌ عَلَى السَّحَابِ، وَالْبَاءُ بِمَعْنَى «مِنْ»، أَي: فَأَنْزَلْنَا مِنْهُ الْمَاءَ، كَقَوْلِهِ: ﴿يَتَرَبَّصُّ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦] أَي: مِنْهَا. وَهَذَا لَيْسَ بِجَيِّدٍ؛ لِأَنَّهُ تَضْمِينٌ فِي الْحُرُوفِ. ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ الْخِلَافُ فِي «بِهِ» هُنَا كَالْخِلَافِ السَّابِقِ فِي «بِهِ».

وَقِيلَ: الْأَوَّلُ عَائِدٌ عَلَى السَّحَابِ وَالثَّانِي عَلَى الْبَلَدِ، عَدَلَ عَنْ كُنَايَةِ إِلَى كُنَايَةِ مِنْ غَيْرِ فَاصِلٍ، كَقَوْلِهِ: ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥] وَفَاعِلُ «أَمَلَى» اللَّهُ تَعَالَى.

(١) قوله: من، من (ب) و(ز) و(يه).

(٢) المحرر الوجيز ٤١٣/٢، وهي في السبعة ص ٢٠٣، والتيسير ص ٨٧ عن ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٣) في (يه): وبحسن، وجاء في النهر على هامش مطبوع البحر ٣١٧/٤: فحسن.

﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٥٧) أي: مثلَ هذا الإخراج نُخْرِجُ الموتى من قبورهم أحياء إلى الحشر لعلكم تذكرون بإخراج الثمرات وإنشائها خروجكم للبعث؛ إذ الإخراجان سواء، فهذا الإخراج المشاهد نظيرُ الإخراج الموعود به.

خرَجَ البيهقي وغيره عن [أبي] رزِينِ العُقَيْلي قال: قلت: يا رسول الله، كيف يعيد الله الخلق، وما آية ذلك في خلقه؟ قال: «أما مرتت بوادي قومك جَدْباً ثم مرتت به يهتزُّ خَضِرًا؟» قال: نعم، قال: «فتلك آيةُ الله في خلقه»^(١). انتهى.

وهل التشبيه في مطلق الإخراج ودلالة إخراج الثمرات على القدرة في إخراج الأموات، أم في كيفية الإخراج، وأنه ينزل مطرٌ عليهم فيحيون كما ينزل المطرُ على البلد الميت فيحيا نباته؟ احتمالان.

وقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه يُمَطَّرُ عليهم من ماءٍ تحت العرش يقال له ماء الحيوان أربعين سنةً، فينبُتون كما ينبُتُ الزرعُ، فإذا كملت أجسامهم نُفِخَ فيها الروحُ، ثم يُلقَى عليهم نومةٌ فينامون، فإذا نُفِخَ في الصور الثانية قاموا وهم يجدون طعم النوم، فيقولون: ﴿قَالُوا يَا بُولَلَتْنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ فيناديهم المنادي: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ (٥٧)^(٢).

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا تَكْدًا﴾ «الطَّيِّبُ»: الجيدُ الترابِ الكريمُ الأرض، و«الذي خَبُثَ»: المكانُ السَّبُخُ الذي لا يُنبُتُ ما يُنتَفَعُ به، وهو الرديء من الأرض، ولَمَّا قال: «فأخرجنا به من كلِّ الثمرات» تمم هذا المعنى بكيفية ما يخرج من النبات من الأرض الكريمة والأرض السبخة، وتلك عادةُ الله في إنبات الأرضين.

(١) الاعتقاد للبيهقي ص ١٤٥، والأسماء والصفات (١٠٦٩) و(١٠٧٠)، وأخرجه أيضاً أحمد (١٦١٩٣)، والحاكم ٤/٥٦٠. والكلام من تفسير القرطبي ٩/٢٥٥، وما بين حاصرتين من المصادر، وأبو رزِينِ اسمه لقيط بن عامر.

(٢) ذكره الطبري ١٠/٢٥٥-٢٥٦ دون إسناد، وموضع الشاهد منه وهو نباتهم بنزول المطر، أخرجه مسلم (٢٩٥٥)، ولفظه: «ثم يُنزل الله من السماء ماءً فينبون كما ينبت البقل».

وفي الكلام حالٌ محذوفةٌ، أي: يَخْرُجُ نباتُهُ وافيًا حسنًا، وحُذفت لِفَهْمِ المعنى، ولدلالة «والبلدُ الطيبُ» عليها، ولمقابلتها بقوله: «إِلَّا نَكِدًا»، ولدلالة «بإذن ربّه» لأنّ ما أذنَ الله في إخراجِه لا يكون إلّا على أحسن حالٍ. و«بإذن ربّه» في موضع الحال.

وحَصَّ خروجَ نبات الطيبِ بقوله: «بإذن ربّه» على سبيل المدح له والتشريف، ونسبة الأشياء^(١) الشريفة الطيبة إليه تعالى، وإن كان كِلَا النباتين يخرج بإذنه تعالى. ومعنى «بإذن ربّه»: بتيسيره، وحُذف من الجملة الثانية الموصوفُ أيضاً، والتقدير: والبلد الذي حُبَّتْ، لدلالة «والبلد الطيب» عليه، فكلٌّ من الجملتين فيه حذفٌ.

وغيرَ بين الموصولين فصاحةً وتفنُّناً، ففي الأولى قال: «الطيب»، وفي الثانية قال: «الذي حُبَّتْ»، وكان إبرازُ الصلة هنا فعلاً بخلاف الأول ليعادِلَ في اللفظ بكون ذلك كلمتين الكلمتين في قوله: «والبلدُ الطيب»، والطيبُ والخبيثُ متقابلان في القرآن كثيراً: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ [المائدة: ١٠٠] ﴿وَيُحَدِّثُ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾ [البقرة: ٢٦٧] إلى غير ذلك.

والفاعل في «لا يَخْرُجُ» عائد على «الذي حُبَّتْ»، وقد قلنا: إنه صفةٌ لموصوفٍ محذوفٍ. والبلدُ لا يخرج، فيكون على حذفٍ مضافٍ إمّا من الأول، أي: ونباتُ الذي حُبَّتْ، أو من الثاني، أي: لا يخرج نباته، فلَمَّا حُذِفَ استكنَّ الضمير الذي كان مجروراً لأنه فاعلٌ.

وقيل: هاتان الجملتان قُصِدَ بهما التمثيل، فقال ابن عباس وقتادة: مثالٌ لروح المؤمن يرجع إلى جسده سهلاً طيباً كما خرج إذ^(٢) مات، ولروح الكافر لا يرجع إلا بالنكد كما خرج إذ مات^(٣). انتهى.

(١) في النسخ والمطبوع: الإسناد، والمثبت من النهر على هامش مطبوع البحر ٣١٨/٤.

(٢) في المطبوع: إذا.

(٣) لم أقف عليه بهذا المعنى، إلا أن كونه تمثيلاً للمؤمن والكافر أخرجه عنهما الطبري.

فيكون هذا راجعاً من حيث المعنى إلى قوله: «كذلك نُخْرِجُ الموتى» أي: على هذين الوصفين.

وقال السدّي: مثلاً للقلوب لَمَّا نزل القرآنُ كنزول المطر على الأرض، فقلْبُ المؤمن كالأرض الطيبة قَبِلَت الماءَ وانتَفَعَ بما تُخْرِجُ، وقلْبُ الكافر كالسَّبْخَةِ لا يَنْتَفِعُ بما يقبل من الماء^(١).

وقال النحاس: هو مثالٌ للفهم والبليد^(٢).

وقال الزمخشري: وهذا مَثَلٌ لمن يَنْجَعُ فيه الوعظُ والتنبيه من المكلفين ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك، وعن مجاهد: ذرية آدمَ خبيثٌ وطيبٌ، وهذا التمثيلُ واقعٌ على أثر ذكر المطر وإنزاله بالبلد الميت وإخراج الثمرات به على طريق الاستطراد^(٣). انتهى.

والأظهر ما قدّمناه من أنّ المقصود التعريفُ بعبادة الله تعالى في إخراج النبات في الأرض الطيبة والأرض الخبيثة، دون قصدٍ إلى التمثيل بشيء مما ذكروا.

وقرأ ابنُ أبي عبلة وأبو حَيوةَ وعيسى بنُ عمر: «يُخْرِجُ نباته» مبنياً للمفعول^(٤).

وقرأ ابن القعقاع «نَكْدًا» بفتح الكاف، قال الزجاج: وهي قراءة أهل المدينة.

وقرأ ابنُ مصرفٍ بسكونها^(٥)، وهما مصدران: أي: ذا نكدي.

وكونُ نباتِ الذي حَبِثَ محصوراً خروجُه على حالة النكد مبالغَةٌ شديدةٌ في

(١) أخرجه بنحوه مطولاً الطبري ٢٥٩/١٠.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ١٣٤/٢ بنحوه، والمحمر الوجيز ٤١٤/٢، وعنه نقل المصنف. وجاء في (ب) و(ز) و(يه): للفهم، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في المحمر.

(٣) الكشف ٨٤/٢، وخبر مجاهد أخرجه الطبري ٢٥٨-٢٥٩/١٠.

(٤) ذكرها عنهم ابن عطية في المحمر الوجيز ٤١٤/٢، إلا أنه قيدها بضم الياء وكسر الراء ونصب التاء، أي: «يُخْرِجُ نباته»، وكذا ضبطت في القراءات الشاذة ص ٤٤ عن عيسى بن عمر.

(٥) تنظر القراءتان في القراءات الشاذة ص ٤٤، والمحمر الوجيز ٤١٤/٢، والكلام منه. وقول الزجاج في معاني القرآن ٣٤٦/٢.

كونه لا يكون إلا هكذا، ولا يمكن أن يوجد إلا نكداً، وهي إشارة إلى أن من استقرَّ فيه وصف الحُبث يَبْعُدُ عنه النزوعُ إلى الخير.

﴿كَذَلِكَ نَصْرَفُ الْأَيْتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ (٥٨) أي: مثل هذا التصريف والترديد والتنوع ننوعُ الآيات ونرددها، وهي الحججُ الدالة على الوحداية والقدرة الباهرة التامة والفعل بالاختيار.

ولمَّا كان ما سَبَقَ ذِكْرُهُ من إرسال الرياح منتشرات^(١) ومبشرات سبباً لإيجاد النبات الذي هو سببُ وجود الحياة وديمومتها، كان ذلك أكبرَ نعمةٍ على الخلق فقال: «لقوم يشكرون» أي: هذه النعمة التي لا تكاد توازيها^(٢) نعمةٌ، وخصَّ الشاكرين لأنهم هم المنتفعون بهذه النعم على ما ينبغي، وهم الذين ينتفعون بالآيات وتصرفها؛ لأن مَنْ لا يفكر في النعم لا يشكر ولا ينتفع بالآيات. وقرئ: «يصرف» بالياء^(٣) مراعاةً للغيبة في قوله: «بإذن ربِّه».

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٥٩) لمَّا ذكر في هذه السورة مبدأ الخلق الإنساني وهو آدم ﷺ، وقصَّ من أخباره ما قصَّ، واستطرد من ذلك إلى المعاد ومصير أهل السعادة إلى الجنة وأهل الشقاوة إلى النار، وأمره تعالى بترك الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً، وكان من بُعث إليهم رسولُ الله ﷺ أولاً غير مستجيبين له ولا مصدِّقين لما جاء به عن الله، قصَّ تعالى عليه أحوال الرسل الذين كانوا قبل، وأحوال مَنْ بُعثوا إليه على سبيل التسلية له ﷺ والتأسي بهم، فبدأ بنوح إذ هو آدم الأصغر، وأول رسولٍ بُعث إلى مَنْ في الأرض، وأُمَّتُه أَدْوَمُ تكديماً له وأقلُّ استجابةً.

وتقدَّم رَفُعُ نَسَبِهِ إلى آدم^(٤)، وكان نجاراً بعثه الله إلى قومه وهو ابنُ أربعين

(١) في (ب) و(يه): منشرات.

(٢) في (أ) و(١د) و(ع): توازنها.

(٣) القراءات الشاذة ص ٤٤ عن يحيى وإبراهيم.

(٤) عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا﴾ الآية: [آل عمران: ٣٣].

سنة؛ قاله ابن عباس^(١). وقيل: ابن خمسين. وقال مقاتل: ابن مئة. وقيل: ابن مئتين وخمسين. وقيل: ابن ثلاث مئة. وقال عون بن [أبي] شداد: ابن ثلاث مئة وخمسين^(٢).

وقال وهب: ابن أربع مئة^(٣).

وهذا اضطرابٌ كثيرٌ من أربعين إلى أربع مئة فما بينهما.

وروي أنَّ الطوفان كان سنة ألفٍ وست مئة من عمره^(٤).

وهو أولُ الرسل بعد آدم بتحريم البنات والأخوات والعمات والخالات، وجميعُ الخلق الآن من ذرية نوح عليه السلام.

وعن الزهري أنَّ العربَ وفارساً والرومَ وأهلَ الشام واليمن من ذرية سام بن نوح، والهنْدَ والسُّنْدَ والزُّنْجَ والحبشةَ والرُّطَّ والثُّبَةَ وكلَّ جلدٍ أسودٍ من ولد حام بن نوح، والترُّكَ والبربرِ ووراء الصينِ ويأجوجَ ومأجوجَ والصَّقَالِبَةَ من ولد يافث بن نوح^(٥).

«لقد أرسلنا» استئنافُ كلامٍ دونِ واوٍ، وفي «هود» و«المؤمنين» ﴿وَلَقَدْ﴾ [هود: ٢٥، والمؤمنون: ٢٣] بواو العطف، قال الكرمانى: لَمَّا تَقَدَّمَ ذِكْرُ الرَّسُولِ مَرَّاتٍ فِي «هُودٍ»، وَتَقَدَّمَ ذِكْرُ نُوحٍ ضَمْنًا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾ [المؤمنون: ٢٢] لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ صَنَعَهَا، عَطَفَ فِي السُّورَتَيْنِ. انْتَهَى.

واللامُ جوابٌ قسمٍ محذوفٍ، أكَّدَ تعالى هذا الإخبارَ بالقَسَمِ، قال الزمخشري: فَإِنَّ قَلْتَ: مَا لَهُمْ لَا يَكَادُونَ يَنْطِقُونَ بِهَذِهِ اللَّامِ إِلَّا مَعَ «قَدْ»، وَقَلَّ عَنْهُمْ [نحو] قَوْلِهِ:

(١) قطعة من خير أخرجه ابن أبي شيبة (٣٤٦١٩) عن ابن عباس موقوفاً، وأخرجه الحاكم ٥٤٥/٢-٥٤٦ عنه مرفوعاً.

(٢) أخرجه الطبري ٣٧٠/١٨، وما بين حاصرتين منه، وهو عون بن أبي شداد العقيلي ويقال: العبيدي، أبو معمر البصري، روى عن أنس رضي الله عنه، وأبي عثمان النهدي، ومطرف بن عبد الله بن الشخير، وغيرهم. تهذيب التهذيب ٣/٣٣٨.

(٣) المحرر الوجيز ٢/٤١٦، وعنه نقل المصنف أكثر هذه الأقوال.

(٤) المصدر السابق.

(٥) تفسير القرطبي ٩/٢٥٩.

حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ حَلْفَةً فَاجِرٍ لَنَامُوا (١)

قلت: إنما كان ذلك لأن الجملة القَسَمِيَّة لا تُسَاقُ إِلَّا تَأْكِيداً لِلجُمْلَةِ المَقْسَمِ عليها التي هي جوابُها، فكانت مظنةً لمعنى التوقُّع الذي هو معنى «قد» عند استماع المخاطب كلمة القسم (٢). انتهى.

وبعضُ أصحابنا يقول: إذا أقسَم على جملةٍ مصدريةٍ بماضٍ مثبتٍ متصرفٍ، وكان قريباً من زمان الحال، أثبت مع اللام بـ «قد» الدالة على التقريب من زمن الحال، ولم يأت بـ «قد» بل باللام وحدها إن لم يُرِدِ التقريب.

قال ابن عباس: «أرسلنا»: بعثنا. وقال غيره: حَمَلْنَاهُ رِسَالَةً يُؤَدِّيْهَا. فعلى هذا تكون الرسالة متضمنةً للبعث (٣).

وهنا: «فقال» بفاء العطف، وكذا في «المؤمنين»، وفي قصة عادٍ وصالح وشعيبٍ هنا «قال» بغير فاءٍ، والأصلُ الفاءُ وحُذفت في القصتين (٤) توسعاً واكتفاءً بالربط المعنويِّ. وفي قصة نوح في «هود»: ﴿إِنِّي لَكُمْ﴾ [الآية: ٢٥] على إضمار القول، أي: فقال: إنِّي.

وفي ندائه قومَه تنبيهٌ لهم لما يُلقِيه إليهم، واستعطافٌ وتذكيرٌ بأنهم قومُه، فالمناسبُ أن لا يُخالَفوه، ومعمولُ القول جملةُ الأمر بعبادة الله وحده ورَفُض آلِهِم المسمَّاة ودًا وسُواعاً وَيَعُوْثٌ وَيَعُوْقٌ وَنَسْرًا وغيرها، والجملةُ المنبِّهة على الوصف الداعي إلى عبادة الله وهو انفرادُه بالألوهية المرجوُّ إحسانه المحذوْر انتقامُه دون آلِهِم، ولم تأت بحرفٍ عطفٍ لأنها بيانٌ وتفسيرٌ لعلَّة اختصاصه تعالى بأن يُعبَد.

(١) وتامه: ... لناموا فما إن من حديثٍ ولا صالٍ، والبيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ٣٢. الفاجر هنا: الكاذب. والصالي: الذي يصطلي بالنار. يقول: لَمَّا خَوَّفْتَنِي مِنْ

السُّمَارِ أَقْسَمْتُ لَهَا كَاذِبًا أَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا نَائِمًا. قاله شارح الديوان.

(٢) الكشف ٨٤/٢، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٣) تفسير الرازي ١٤/١٤٨.

(٤) لعله أراد: في القصص، فهي ثلاث قصص وليست قصتين.

وقرأ ابنُ وثَّابٍ والأعمشُ وأبو جعفر والكسائيُّ: «غيره» بالجر^(١) على لفظ «إله» بدلاً أو نعتاً، وقرأ باقي السبعة: «غيره» بالرفع عطفاً على موضع «من إله» - لأنَّ «من» زائدة - بدلاً أو نعتاً.

وقرأ عيسى بن عمر: «غيره» بالنصب^(٢) على الاستثناء، والجرُّ والرفعُ أفصحُ. و«من إله» مبتدأ و«لكم» في موضع الخبر. وقيل: الخبر محذوف، أي: في الوجود، و«لكم» تبيينٌ وتخصيصٌ.

و«أخاف» قيل: بمعنى أتيقن وأجزم؛ لأنه عالمٌ أنَّ العذاب ينزل بهم إن لم يؤمنوا. وقيل: الخوفُ على بابه بمعنى الحذر؛ لأنه جَوَّز أن يؤمنوا وأن يستمروا على كفرهم. و«يوم عظيم» هو يومُ القيامة، أو يومُ حلولِ العذاب بهم في الدنيا وهو الطوفان. وفي هذه الجملة إظهارُ الشفقة والحنوِّ عليهم.

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي صَلِّئِ مُبِينٍ﴾ قال ابن عطية: قرأ ابنُ عامرٍ: «المَلُؤُ» بالواو، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام^(٣). انتهى، وليس مشهوراً عن ابن عامرٍ، بل قراءته كقراءة باقي السبعة بهمزة.

ولم يُجِبْهُ من قومه إلا أشرافهم وسادتهم، وهم الذين يتعاصون على الرسل لانغمارِ عقولهم بالدنيا، وطلبِ الرئاسة والعلوِّ فيها.

و«نراك» الأظهرُ أنها من رؤية القلب، وقيل: من رؤية العين، ومعنى «في ضلال مبين»، أي: في ذهابٍ عن طريق الصواب، وجهالةٍ بما تسلك بيئته واضحة، وجاءت جملةُ الجواب مؤكدةً بـ «إنَّ» وباللام، و«في» للوعاء، فكأنَّ الضلال صار ظرفاً له وهو فيه، ولم يأت: ضالاً، ولا: ذا ضلالٍ.

﴿قَالَ يَنْفَوْرٍ لَيْسَ بِي صَلِّئَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أبلغكم رسالتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ لم يردِ النفي منه على لفظ ما قالوه،

(١) السبعة ص ٢٨٤، والتيسير ص ١١٠ عن الكسائي، والنشر ٢/٢٧٠ عن أبي جعفر، والكلام من المحرر الوجيز ٢/٤١٥.

(٢) المحرر الوجيز ٢/٤١٥، وهي في القراءات الشاذة ص ٤٤ دون نسبة.

(٣) المحرر الوجيز ٢/٤١٥.

فلم يأت التركيب: لستُ في ضلالٍ مبين، بل جاء في غاية الحسن من نفي أن يَلْتَبَسَ به ويختلط ضلالةٌ مَّا واحدة، فأنتى يكون في ضلال، فهذا أبلغ في^(١) الانتفاء من الضلال؛ إذ لم يَعْتَلِقْ به ولا ضلالةٌ واحدة.

وفي ندائه لهم ثانياً والإعراض عن جفائهم ما يدلُّ على سعة صدره والتلطف بهم. ولَمَّا نفى عنه التباسَ ضلالةٍ مَّا به دلٌّ على أنه على الصراط المستقيم، فصَحَّ أن يستدرِك، كما تقول: ما زيدٌ بضالٌّ لكنه مهتدٍ، ف: «لكنَّ» واقعةٌ بين نقيضين؛ لأن الإنسان لا يخلو من أحد الشيئين: الضلال والهدى، ولا تُجامع الضلالة الرسالة. وفي قوله: «من ربِّ العالمين» تنبيهٌ على أنه ربُّهم لأنهم من جملة العالم، أي: من ربِّكم المالكِ لأموركم الناظرِ لكم بالمصلحة حيث وجَّه إليكم رسولا يدعوكم إلى إفراذه بالعبادة.

و«أبلغكم» استئنافٌ على سبيل البيان بكونه رسولا، أو جملةٌ في موضع الصفة لـ«رسول» ملحوظاً فيه كونه خبيراً لضمير متكلِّم، كما تقول: أنا رجلٌ أمرُ بالمعروف، فثراعي لفظُ «أنا»، ويجوز: يأمر بالمعروف، فثراعي لفظُ «رجل»، والأكثر مراعاةُ ضمير المتكلِّم والمخاطب، فيعودُ الضميرُ ضميرَ متكلِّم أو مخاطب، قال تعالى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل: ٤٧] بالتاء، ولو قرئ بالياء لكان عربياً مراعاةً للفظ «قوم» لأنه غائبٌ.

وقرأ أبو عمرو: «أُبْلِغُكُمْ» هنا في الموضعين وفي «الأحقاف» بالتخفيف، وباقي السبعة بالتشديد^(٢)، والهمزة والتضعيفُ للتعدية فيه.

وجمع «رسالات» باعتبار ما أوحى إليه في الأزمان المتطاولة، أو باعتبار المعاني المختلفة من الأمر والنهي، والزجر والوعظ، والتبشير والإنذار، أو باعتبار ما أوحى إليه وإلى من قبله؛ قيل: في صحف إدريس وهي ثلاثون صحيفةً، وفي صحف شيث وهي خمسون صحيفةً^(٣).

(١) في (أ) و(د) و(ع) والمطبوع: من، والمثبت من باقي النسخ وهو الصواب.

(٢) السبعة ص ٢٨٤، والتيسير ص ١١١، وآية الأحقاف: ﴿وَأَنْفَكُمْ مَّا أَرْسَلْتُ بِهِ﴾ [الآية: ٢٣].

(٣) الكشاف ٢/٨٥-٨٦.

وتقدّم الكلام في «نَصَح» وتعديتها، وقال الزمخشري: وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على إِمْحَاضِ النصيحة، وأنها وقعت للمنصوح له مقصوداً به جانبُه^(١) لا غير، فربّ نصيحةٍ يَنْتَفِعُ بها الناصحُ فيقصد النفعين جميعاً، ولا نصيحة أنفع من نصيحة الله تعالى ورسله.

وقال الفرّاء: لا تكاد العرب تقول: نصحتك، إنما: نصحتُ لك، وقال

النابغة:

نصحتُ بنبي عوفٍ فلم يتقبَّلوا^(٢)

وفي قوله: «ما لا تعلمون» إيهامٌ عليهم، وهو عامٌّ ولكن ساق ذلك مساق المعلومات التي تُخافُ عليهم، ولم يسمعوا^(٣) قطُّ بأمةٍ عُذِّبت، فتضمَّن التهديد والوعيد، فيحتمل أن يريد: ما لا تعلمون من صفات الله وقدرته وشدة بطشه على مَنْ اتَّخَذَ إلهاً معه، أو يريد: ما لا تعلمون مما أوحى إليّ.

قال ابن عطية: ولا بد أن نوحاً عليه السلام وكلّ نبيٍّ مبعوثٍ إلى الخلق كانت له معجزةٌ بخرق العادة، فمنهم مَنْ عرَّفنا بمعجزته ومنهم مَنْ لم يعرف^(٤).

وما أحسن سياق هذه الأفعال! قال أولاً: «أبلغكم رسالات ربي»، وهذا مبدأ أمره معهم وهو التبليغ، كما قال: ﴿إِن عَلَيْنَا إِلَّا الْأَبْلَغُ﴾ [الشورى: ٤٨]، ثم قال: «وأنصح لكم»، أي: أخلص لكم في تبيين الرشد والسلامة في العاقبة إذا عبدتم الله وحده، ثم قال: «وأعلم من الله ما لا تعلمون» من بطشه بكم، وهو مألٌ أمركم إذا لم تُفردوه بالعبادة، فنَبّه على مبدأ أمره ومنتهاه معهم.

﴿أَوْعِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٥)
تضمَّن قولهم: «إنَّا لنراك في ضلالٍ مبين» استبعادهم واستمحالهم ما أخبرهم به من

(١) في الكشاف: وأنها وقعت خالصة للمنصوح له مقصوداً بها جانبه.

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٩٢/١ عند شرح قوله تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِي﴾ [البقرة: ١٥٢]. والبيت

في ديوان النابغة ص ٩٣، وعجزه: وصاتي ولم تنجح لديهم وسائلي.

(٣) في المحرر الوجيز ٤١٥/٢: المعلومات المخوفات عليهم لا سيما وهم لم يسمعوا...،

وهو أوضح.

(٤) في (زا): يعرفه، وفي (ب) و(به): نعرفه.

خوف العذاب عليهم، وأنه بعثه الله إليهم بعبادته وحده ورفض آلهتهم، وتعجبوا من ذلك، وقد ذكر^(١) أبو عبد الله الرازي سبب استبعادهم إرسال نوح^(٢)، والهمزة للإنكار والتوبيخ، أي: هذا مما لا يُعجبُ منه، إذ له تعالى التصرفُ التامُّ بإرسال مَنْ يشاء لمن يشاء.

قال الزمخشري: الواو للعطف، والمعطوف [عليه] محذوف، كأنه قيل: أكذبتهم وعجبتهم أن جاءكم^(٣). انتهى، وهو كلامٌ مخالفتُ لكلام سيبويه والنحاة؛ لأنهم يقولون: إن الواو لعطف ما بعدها على ما قبلها من الكلام ولا حذف هناك، وكأنَّ الأصل: وأعجبتهم، لكنه اغتني بهمزة الاستفهام فقدّمت على حرف العطف؛ لأنَّ الاستفهام له صدرُ الكلام، وقد تقدّم الكلامُ معه في نظير هذه المسألة، وقد رجع هو عن هذا إلى قول الجماعة^(٤).

والذُكر: الوعظ، أو الوحي، أو المُعجِز، أو كتابٌ معجز، أو البيان. أقوالٌ. والأولى أن يكون قوله: «على رجل» فيه إضمارٌ، أي: على لسان رجلٍ، كما قال: ﴿مَا وَعَدْنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]، وقيل: «على» بمعنى «مع». وقيل: لا حذف ولا تضمين في الحرف، بل قوله: «على رجل» هو على ظاهره؛ لأنَّ «جاءكم» بمعنى: نزل إليكم، كانوا يتعجبون من نبوة نوح ويقولون: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٤] يعنون إرسال البشر ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً﴾^(٥) وذكر علة المجيء، وهو الإعلامُ بالمخوف، والتحذيرُ من سوء عاقبة

(١) في (أ) و(د) و(ع): وقال، بدل: وقد ذكر، وهو خطأ.

(٢) تفسير الرازي ١٤/١٥٢.

(٣) الكشاف ٨٦/٢، وما بين حاصرتين منه.

(٤) ينظر ما سلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَلِمًا عَهْدًا وَعَهْدًا﴾ [البقرة: ١٠٠]، وقوله تعالى: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَدَّ إِلَيْنِكُمْ فذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، وغيرها كثير.

(٥) هذه الآية (١٤) من سورة فصلت، وقد تابع المصنفُ بذكرها الزمخشريُّ في الكشاف ٨٦/٢، والكلام منه، والصواب هنا ذكر قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً﴾ الذي ورد في سورة المؤمنون قبل قوله تعالى: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾^(٦) فهو الذي ورد في قصة نوح، أما آية فصلت فهي في عاد وثمود.

الكفر، ووجود التقوى منهم، ورجاء الرحمة لهم، وكأنها علل مترتبة [أي: (١)] فجاءكم الذكر للإنذار بالمخوف، والإنذار بالمخوف لأجل وجود التقوى منهم، ووجود التقوى لرجاء الرحمة وحصولها، فعلل المجيء بجميع هذه العلل المترتبة؛ لأن المترتب على السبب سبب.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَجْبَنَهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ (١٦) أخبر تعالى أنهم كذبوه، هذا مع حُسن مُلاطفتِهِ لهم ومُراجعتِهِ لهم وشفقتِهِ عليهم، فلم يكن نتيجة هذا كله إلا التَّكْذِيبُ له فيما جاء به عن الله.

«والذين معه في الفلك» هم مَنْ آمَنَ به وصدَّقه، وكانوا أربعين رجلاً، وقيل: ثمانون: أربعون رجلاً وأربعون امرأة؛ قاله الكلبي (٢). وإليهم تُنسب القرية التي يُنسب إليها الثمانيني (٣)، وهي بالموصل.

وقيل: عشرة فيهم أولاده الثلاثة (٤).

وقيل: تسعة منهم بنوه الثلاثة (٥).

وفي قوله: «وأغرقتنا الذين كذبوا» إعلامٌ بعلّة الغرق وهو التَّكْذِيبُ، و«بآياتنا» يقتضي أنّ نوحاً كانت له آياتٌ ومعجزاتٌ تدلُّ على إرساله، ويتعلّق «في الفلك» بما تعلّق به الظرف الواقع صلةً، أي: والذين استقرُّوا معه في الفلك، ويحتمل أن يتعلّق بـ«أنجيناه»، أي: أنجيناهم في السفينة من الطوفان، وعلى هذا يحتمل أن تكون «في» سببيةً، أي: بالفلك، كقوله: «دخلت النار في هرة» (٦) أي: بسبب هرة.

(١) ما بين حاصرتين من النهر على هامش مطبوع البحر ٤/٣٢٢.

(٢) تفسير الثعلبي ٣/٣٣.

(٣) عمر بن ثابت، أبو القاسم الضرير النحوي، أخذ النحو عن ابن جني، وشرح كتاب «اللمع» له شرحاً تاماً حسناً أجاد فيه، وله أيضاً: كتاب المفيد في النحو، وشرح التصريف المُلوكي، توفي سنة (٤٤٤٢هـ). معجم الأدباء ١٦/٥٧، ووفيات الأعيان ٣/٤٤٣.

(٤) المحر الوجيز ٢/٤١٦، وتحرف في مطبوعه: فيهم، إلى: فهم.

(٥) تفسير الثعلبي ٣/٣٣، والكشاف ٢/٨٦.

(٦) قطعة من حديث ابن عمر عند البخاري (٣٣١٨)، ومسلم (٥٨٥٣).

و«عَمِينَ» من عَمَى القلب، أي: غير مستبصرين، ويدلُّ على ثبوت هذا الوصف كونه جاء على وزن فَعِيلٍ، ولو قُصد الحدوث^(١) لجاء على فاعِلٍ، كما جاء ضائقٌ في ضيِّقٍ وثاقِلٌ في ثَقِيلٍ إذا قُصد به حدوثُ الضيِّقِ والثَّقَلِ.

قال ابن عباس: عَمِيَتْ قلوبُهُم عن معرفة التوحيدِ والنبوةِ والمعاد^(٢).

وقال [أبو] معاذ النحوي^(٣): رجلٌ عَمٍ في أمره: لا يبصره، وأعمى في البصر،

قال:

ولكنني عن علم ما في غدٍ عم^(٤)

وقد يكون العمي والأعمى كالخضير والأخضر.

وقال الليث: رجلٌ عمٍ: إذا كان أعمى القلب^(٥).

﴿وَالَّذِينَ عَادُوا آلَهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَغْبَدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾

«عاد»: اسمُ الحيِّ ولذلك صرّفه، وبعضهم جعله اسماً للقبيلة فمنعه الصرف، قال الشاعر:

لو شَهِدَ عَادَ فِي زَمَانِ عَادٍ لِابْتِرَّهَا مَبَارِكُ الْجِلَادِ^(٦)

سمّيت القبيلةُ باسمِ أبيهم، وهو عاد بن عَوْص بن إرَم بن سام بن نوح عليه السلام^(٧).

(١) قوله: الحدوث، تحرف في (أ) و(د) و(ع) والمطبوع إلى: الحذف.

(٢) تفسير الرازي ١٤/١٥٣.

(٣) كما في تهذيب اللغة ٣/٢٤٥، وما بين حاصرتين منه، وأبو معاذ النحوي هو الفضل بن خالد المرزوي مولى باهلة، توفي سنة (٢١١هـ). الثقات ٥/٩، وبغية الوعاة ٢/٢٤٥.

(٤) صدره: وأعلم ما في اليوم والأمس قبله، والبيت لزهير، وهو في ديوانه ص ٢٩.

(٥) ينظر العين ٢/٢٦٦، وتهذيب اللغة ٣/٢٤٥.

(٦) الرجز في الكتاب ٣/٢٥١، والإنصاف لابن الأنباري ٢/٥٠٤. قوله: شَهِدَ، أراد: شَهِدَ، فسكَّن الهمزة تخفيفاً، وأراد بمبارك الجِلَاد: وسطَ الحربِ ومعظمها، يقول: لو شهد هذا الممدوحُ في الحربِ عاداً على قوتها وعزَّتْها لظهرَ عليها وفازَ بمعظمِ الحربِ دونها، ومعنى «ابتَرَّها»: سلبها. ينظر شرح شواهد الكتاب للأعلم ص ٤٦٢.

(٧) أخرجه الطبري ١٠/٢٦٨ عن ابن إسحاق، وينظر المعجَّب ص ٣٨٤، والمنتظم ١/٢٥٢.

و«هود» قال شيخنا أبو الحسن الأُبَديُّ النحوي المعروف^(١): «إِنَّ هوداً عربيٌّ، والذي يظهر من كلام سيبويه^(٢) لَمَّا عدَّه مع نوحٍ ولوطٍ - وهما عجميان - أنه عجميٌّ عنده. انتهى.

وذكر الشَّريف النَّسابة أبو البركات الجَوَّاني^(٣) أن يَعْرُبَ بن قحطان بن هود هو الذي زعمت يَمَنُ أنه أولُ مَنْ تكلم بالعربية ونزل أرضَ اليمن، فهو أبو اليمن كلَّها، وأنَّ العرب إنما سُمِّيت عرباً به. انتهى، فعلى هذا لا يكون هودُ عربياً.

وهودُ هو عابر^(٤) بن شالغ بن أَرْقُحْشَد بن سام بن نوح، و«أخاهم» معطوفٌ على «نوحاً» ومعناه: واحداً منهم، وليس هودُ من بني عاد كما ذكرنا، وهذا كما تقول: يا أخا العرب، للواحد منهم.

وقيل: هو من عاد، وهو هود بنُ عبد الله بن رباح ابن الجلود^(٥) بن عاد بن عَوْص بن إرم بن سام بن نوح، فعلى هذا يكون من عاد.

واسمُ أمِّه مرجانة، وكان رجلاً تاجراً أشبه خلق الله بآدم ﷺ.

روي أنَّ عاداً كانت ثلاثَ عَشْرَةَ قبيلةً ينزلون رمالَ عالج، وهي عادُ الأولى، وكانوا أصحابَ بساتين وزروع وعمارَة، وبلاذهم أخصبُ بلادٍ، فسَخَطَ الله عليهم فجعلها مفاوِزَ، وكانت بنواحي عُمان إلى حضرموت إلى اليمن، وكانوا يعبدون الأصنام، ولمَّا هلكوا لحق هودٌ ومَنْ آمَنَ معه بمكة، فلم يزالوا بها حتى ماتوا.

(١) علي بن محمد بن محمد الخشني، من أهل المعرفة بكتاب سيبويه والواقفين على غوامضه، قال أبو حيان في النَّضار: كان أحفظ مَنْ رأيناه بعلم العربية، توفي سنة (٦٨٠هـ). بغية الوعاة ١٩٩/٢. وأبذة كُفَّرة: بليدة بالأندلس، وبعضهم يذكره بالبدال المهملة. ينظر اللباب في تهذيب الأنساب ٢٣/١، والتاج (أبذ).

(٢) في الكتاب ٢٣٥/٣.

(٣) النَّسابة هو ابنه أبو علي محمد بن أسعد نقيب الأشراف، أما أبو البركات فهو نحوي، وقد سلف الكلام عليهما عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البقرة: ٥١].

(٤) في المطبوع: ابن عابر، وهو خطأ. ينظر الإتيان للسيوطي ١٠٦٦/٢.

(٥) في تاريخ الطبري ٢١٦/١، وعرائس المجالس للشعلبي ص ٦٣، والمنتظم ٢٥٢/١: الخلود، بضم الخاء واللام كما ذكر في المنتظم، وقال: كذلك رأيتُه...، ويقال: بالميم المكسورة واللام المفتوحة. اهـ.

ولم يأت: فقال، بالفاء لأنه كأنه جواب سؤالٍ مقدر، أي: فما قال لهم؟ [فقيل: (١)] قال: يا قوم، وكذا «قال الملاء». وفي قوله: «أفلا تتقون» استعطافٌ وتحضيضٌ على تحصيل التقوى.

ولمَّا كان ما حلَّ بقوم نوحٍ من أمر الطوفان واقعةً لم يظهر في العالمٍ مثلها قال: «إني أخافُ عليكم عذابَ يومٍ عظيمٍ»، وواقعةُ هود كانت مسبوقَةً بواقعة نوح، وعهْدُ الناس قريبٌ بها، اكتفى هودٌ بقوله: «أفلا تتقون»، والمعنى: تعرّفون أن قوم نوحٍ لمَّا لم يتّقوا الله وعبدوا غيره حلَّ بهم ذلك العذابُ الذي اشتهر خبره في الدنيا، فقوله: «أفلا تتقون» إشارةٌ إلى التخويف بتلك الواقعة المشهورة.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (١١٦) أتى بوصف «الملاء» بالذين كفروا ولم يأت بهذا الوصف في قوم نوح؛ لأن قوم هود كان في أشرفهم من آمن به، منهم مؤد بن سعد بن عفير، ولم يكن في أشرف قوم نوح مؤمن، ألا ترى إلى قولهم: ﴿وَمَا زِلْنَاكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ كَفُرُوا﴾ [هود: ٢٧] وقولهم: ﴿أَنْزَمْنَا لَكَ وَأَتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ (١١١) [الشعراء: ١١١] ويحتمل أن يكون وصفاً جاء للذم لم يقصد به الفرق.

والنراك» يحتمل أن يكون من رؤية العين، ومن رؤية القلب، كما تقدم القول في قصة نوح. و«في سفاهة»، أي: في خفةٍ حلمٍ وسخافةٍ عقلٍ حيث تترك دينَ قومك إلى دينٍ غيره. و«في سفاهة» يقتضي أنه فيها قد احتوت عليه كالظرف المحتوي على الشيء، ولمَّا كان كلامُ نوح لقومه أشدَّ من كلام هود لقومه (٢)؛ لقوله: «إني أخاف عليكم عذابَ يومٍ عظيمٍ» كان جوابهم أغلظ، وهو «إنا لنراك في ضلالٍ مبين»، وكان كلامُ هودٍ ألطفَ لقوله: «أفلا تتقون»، كان جوابهم له ألطف من جواب قوم نوح لنوح بقولهم: «إنا لنراك في سفاهة»، ثم أتبعوا ذلك بقولهم: «وإنا لنظنُّك من الكاذبين» فدلَّ ذلك على أنه أخبرهم بما يحلُّ بهم من العذاب إن لم يتّقوا الله، أو علّقوا الظنَّ بقوله لهم: «ما لكم من إلهٍ غيره»، أي: إن لنا آلهةً فحضرها في واحدٍ كذب.

(١) زيادة من الكشاف ٨٧/٢، والكلام منه.

(٢) قوله: لقومه، تحرف في (أ) و(د) و(ع) إلى: تقوية.

وهل الظنُّ هنا بمعنى اليقين، أو بمعنى ترجيح أحدِ الجائزين؟ قولان للمفسرين، والثاني للحسن والزجاج^(١). وقال الكرمانى: خَوْفَ نوحِ الكفار بالطوفانِ العامِّ واشتغل بعمل السفينة، فقالوا: «إنا لنراك في ضلالٍ مبين» حيث تُتعبُ نفسك في إصلاح سفينةٍ كبيرةٍ في مفازةٍ ليس فيها ماءٌ ولم يظهر ما يدل على ذلك، وهوذُ زَيْفُ عبادة الأوثان ونسب قومه إلى السفاهة فقابلوه بمثل ذلك^(٢).

﴿قَالَ يَقُولُ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ أُتِلْفُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾﴾ تقدّمت كيفية هذا النفي في قوله: «ليس بي ضلالة»، وهناك جاء: «وأنصح لكم»، وهنا جاء: «وأنا لكم ناصح أمين» لمّا كان آخرُ جوابهم جملةً اسميةً جاء قوله كذلك، فقالوا هم: «وإنّا لنظنك من الكاذبين» قال هو: «وأنا لكم ناصح أمين»، وجاء بوصف الأمانة وهي الوصفُ العظيم الذي حمّله الإنسان، ولا أمانة أعظم من أمانة الرسالة وإيصال أعبائها إلى المكلفين، والمعنى: إنّي عُرفت فيكم بالنصح فلا يحقُّ لكم أن تتهموني، وبالأمانة فيما أقول فلا ينبغي أن أكذب.

قال ابن عطية: وقوله: «أمين» يحتمل أن يريد: على الوحي والذِّكرِ النازلِ من قِبَلِ الله، ويحتمل أنه أمينٌ عليهم وعلى غيبهم وعلى إرداة الخير بهم، والعربُ تقول: فلانٌ لفلانٍ ناصحُ الجيبِ أمينُ الغيبِ، ويحتمل أن يريد به من الأمان، أي: جهتي ذاتُ أمينٍ لكم من الكذب والغش^(٣).

قال القشيري: شتان ما بين مَنْ دفع عنه ربه بقوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم: ٢]، ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢] ومَنْ دفع عن نفسه بقوله: «ليس بي ضلالة» «ليس بي سفاهة»^(٤).

قال الزمخشري^(٥): وفي إجابة الأنبياء ﷺ مَن نَسَبَهُم إلى الضلالة والسفاهة

(١) تفسير الرازي ١٤/١٥٦، وكلام الزجاج في معاني القرآن ٢/٣٤٧.

(٢) وقاله الرازي في تفسيره ٤/١٥٥-١٥٦.

(٣) المحرر الوجيز ٢/٤١٧.

(٤) لطائف الإشارات ١/٥٤٣ بنحوه.

(٥) في الكشف ٢/٨٧.

بما أجابوهم من الكلام الصادر عن الجلم والإغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم، مع علمهم بأنَّ خصومهم أضلُّ السِّفَاهِينِ وَأَسْفَهَهُمْ^(١)، أدبٌ حَسَنٌ وَخُلُقٌ عَظِيمٌ، وحكايةُ الله عز وجل عنهم ذلك تعليمٌ لعباده كيف يخاطبون السفهاء، وكيف يُغضون عنهم وَيُسَلِّبُونَ أَذْيَالَهُمْ على ما يكون منهم.

﴿أَوْعِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا﴾ أتى هنا بعلّةٍ واحدة وهي الإنذار، وهو التخويفُ بالعذاب، واختصر ما يترتّبُ على الإنذار من التقوى ورجاء الرحمة.

﴿إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءً مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَرَادَكُمْ﴾ أي: سَكَّانِ الْأَرْضِ بعدهم؛ قاله السديُّ وابن إسحاق^(٢). أو: جعلكم ملوكاً في الأرض استخلفكم فيها؛ قاله الزمخشريُّ^(٣). وتذكيرُ هود بذلك يدلُّ على قُرْبِ زمانهم من زمان نوح؛ لقوله: «من بعد قوم نوح».

و«إذ» ظرفٌ في قول الحوفي، فيكون مفعولُ «اذكروا» محذوفاً، أي: واذكروا آلاءَ الله عليكم وقتَ كذا، والعاملُ في «إذ» ما تضمَّنه النعم من الفعل^(٤)، وفي قول الزمخشري «إذ» مفعولٌ به، وهو منصوبٌ بـ«اذكروا» أي: اذكروا وقتَ جعلِكُمْ^(٥).

﴿فِي الْخَلْقِ بَصَاطَةً﴾ ظاهرُ التواريخ أن البساطة: الامتدادُ والطولُ والجمالُ في الصُّورِ والأشكالِ، فيحتملُ إذ ذاك أن يكون الخلقُ بمعنى المخلوقين، ويحتملُ أن يكون مصدرًا، أي: وزادكم في خَلْقِكُمْ بسطةً، أي: مدَّ وطوَّلَ وحسَّنَ خَلْقِكُمْ. قيل: كان أقصرُّهم ستين ذراعاً وأطولُّهم مئة ذراع؛ قاله الكلبيُّ والسديُّ^(٦).

(١) تحرفت في (أ) و(ب) و(د) و(ع) إلى: وأسفهم، وفي المطبوع إلى: وأسفلهم. وعبارة الكشف: ... أضلُّ الناس وأسفهم.

(٢) أخرجه عنهما الطبري ٢٦٦/١٠.

(٣) الكشف ٨٧/٢، ولفظه: ... قد استخلفكم فيها بعدهم.

(٤) يعني بالنعم الآلاء المقدَّرة مفعولاً لـ«اذكروا»، والذي دل عليه قوله بعد ذلك: «فاذكروا آلاءَ الله»، وقدَّر المصنف المفعول في النهر على هامش مطبوع البحر ٣٢٤/٤: واذكروا إنعامه عليكم وقت جعلكم خلفاء.

(٥) الكشف ٨٧/٢، وفيه: وقت استخلافكم.

(٦) تفسير الثعلبي ٣٤/٣، وتفسير الرازي ١٥٧/١٤، وذكره أبو الليث السمرقندي في تفسيره

وقال أبو حمزة اليماني^(١): سبعون ذراعاً.

وقال ابن عباس: ثمانون ذراعاً.

وقال مقاتل: اثنا عشر ذراعاً.

وقال وهب: كان رأسُ أحدهم مثلَ القبة العظيمة، وعينه تفرخُ فيها الصُّباع، وكذلك منخره^(٢).

وإذا كان «الخلق» بمعنى المخلوقين في «الخلق» قومُ نوح، أو أهلُ زمانهم، أو الناس كلُّهم. أقوال.

وقيل: الزيادةُ في الأجرام، وهي قَدْرُ ما تصل إليه يد الإنسان إذا رفعها.

وقيل: الزيادةُ هي في القوَّة والجلادة لا في الأجرام.

وقيل: زيادةُ البسطة كونهم من قبيلةٍ واحدة، متشاركين في القوة متناصرين يحبُّ بعضهم بعضاً^(٣).

ويحتمل أن يكون المعنى: وزادكم بسطةً، أي: اقتداراً في المخلوقين وتسليطاً عليهم واستيلاء.

﴿فَاذْكُرُوا آيَاتَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٦﴾ ذكَّروهم أولاً بإنعامه عليهم حيث جعلهم خلفاءً وزادهم بسطةً، وذكَّروهم ثانياً بنعمه عليهم مطلقاً لا بتقييدِ زمانِ الجعلِ.

و«اذكروا» الظاهرُ أنه من الذِّكر، وهو أن لا يتناسوا نعمه، بل تكونُ نعمه على ذكركم منكم رجاءً أن تُفْلِحوا، وتعليقُ رجاء الفلاح على مجرد الذِّكر لا يظهر، فيحتاجُ إلى تقدير محذوفٍ يترتَّبُ عليه رجاءُ الفلاح، وتقديره والله أعلم: فاذكروا

= ٥٥٠/١، وابن الجوزي في زاد المسير ٢٢٢/٣، والقرطبي ٢٦٤/٩ عن ابن عباس. ولم أقف عليه عن السدي. وذكر أبو الليث عن الكلبي: أطولهم مئة وعشرون وأقصرهم ثمانون ذراعاً.

(١) كذا في النسخ، وهو تحريف، والصواب: الثمالي، وقوله في تفسير الثعلبي ٣٤/٣.

(٢) ذكر هذه الأقوال الثعلبي في التفسير ٣٤/٣.

(٣) تفسير الرازي ١٥٧/١٤-١٥٨.

آلاء الله وأفردوه^(١) بالعبادة، ألا ترى إلى قوله بعد ذلك: «أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ»، وفي ذِكْرِهِمْ آلاء الله ذَكَرُ الْمُتَنِمِّ عَلَيْهِمُ الْمُسْتَحِقُّ لِإِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ وَتَبْدُّ مَا سِوَاهُ.

وقيل: «اذكروا» هنا بمعنى: اشكروا.

﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأِنَّا بِمَا نَعْبُدُكَ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ الظاهر أنهم أنكروا أن يتركوا أصنامهم ويفردوا الله بالعبادة - مع اعترافهم بالله - حباً لما نشؤوا عليه، وتألفاً لما وجدوا آباءهم عليه. ويحتمل أن يكونوا منكرين لله، ويكون قولهم: «لنعبد الله وحده» أي: على قولك يا هود ودعواك؛ قاله ابن عطية، وقال: التأويل الأول أظهر فيهم وفي عبادة الأوثان، ولا يجحد ربوبية الله من الكفرة إلا من ادّعاها لنفسه كفرعون ونمرود^(٢). انتهى.

وكان في قول هود لقومه: «فاذكروا آلاء الله» دليل قاطع على أنه لا يُعْبَدُ إِلَّا الْمُتَنِمِّ، وَأَصْنَامُهُمْ جَمَادَاتٌ لَا قُدْرَةَ لَهَا عَلَى شَيْءٍ الْبَتَّةَ، وَالْعِبَادَةُ هِيَ نِهَائِيَّةُ التَّعْظِيمِ، فَلَا تَلِيْقُ إِلَّا بِمَنْ يَصْدُرُ عَنْهُ نِهَائِيَّةُ الْإِنْعَامِ.

وَلَمَّا نَبَّهَ عَلَى هَذِهِ الْحُجَّةِ، وَلَمْ يُمَكِّنْ^(٣) لَهُمْ أَنْ يُجِيبُوا^(٤) عَنْهَا، عَدَلُوا إِلَى التَّقْلِيدِ الْبَحْتِ فَقَالُوا: «أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ» وَالْمَجِيءُ هُنَا يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ حَقِيقَةً يَكُونُهُ كَانَ مُتَغَيِّبًا عَنْ قَوْمِهِ مُنْفَرِدًا بِعِبَادَةِ رَبِّهِ، ثُمَّ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ فَجَاءَهُمْ مِنْ مَكَانٍ مُتَعَبِّدَةٍ، وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُمْ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِهْزَاءِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُرْسَلُ إِلَّا الْمَلَائِكَةُ، فَكَأَنَّهُمْ قَالُوا: أَجِئْنَا مِنَ السَّمَاءِ كَمَا يَجِيءُ الْمَلِكُ، وَلَا يَرِيدُونَ حَقِيقَةَ الْمَجِيءِ، وَلَكِنْ التَّعَرُّضَ وَالْقَصْدَ، كَمَا يَقَالُ: ذَهَبَ يَشْتَمِنِي، لَا يَرِيدُونَ حَقِيقَةَ الذَّهَابِ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا: أَقْصَدْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَتَعَرَّضْتُ لَنَا بِتَكَالِيفِ ذَلِكَ.

(١) تحرفت في (أ) و(ع) والمطبوع إلى: وإفراده، وسقطت الجملة من (د).

(٢) المحرر الوجيز ٤١٩/٢.

(٣) في (ب) والمطبوع: يكن.

(٤) في (أ) و(د) و(ع): يجتّبوا.

وفي قولهم: «فأتنا بما تعدنا» دليل على أنه كان يعدهم بعذاب الله إن داموا على الكفر، وقولهم ذلك يدل على تصميم على تكذيبه، واحتقارهم لأمر النبوة، واستعجالاً للعقوبة، إذ هي عندهم لا تقع أصلاً وقد تقدّم قولهم له: «إنّا لنراك في سفاهة وإنّا لنظنك من الكاذبين» فلما كانوا يعتقدون كونه كاذباً قالوا: «فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين»، أي: في نبوتك وإرسالك، أو في أن العذاب نازل بنا .

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّيْسِكُمْ رِجْسٌ وَعَظْبٌ﴾ أي: حلّ بكم وتحتم عليكم، قال زيد بن أسلم والأشرون: الرّجس هنا العذاب^(١)، من الارتجاس وهو الاضطراب، وقال ابن عباس: السّخَطُ^(٢).

وقال أبو عبد الله الرازي: لا يكون العذاب؛ لأنه لم يكن حاصلًا في ذلك الوقت، وقال القفال: يجوز أن يكون الرّجس هو الازدیاد في الكفر بالرّين على القلوب، أي: لتماديكم على الكفر وقع عليكم من الله رين على قلوبكم كقوله: ﴿فَرَادَتْهُمُ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥]^(٣).

فإن كان الرّجس السّخَطُ أو الرّين، فقوله: «قد وقع» على حقيقته من المضي، وإن كان العذاب فيكون من جعل الماضي موضع المستقبل لتحقق وقوعه.

﴿أَتَجِدُلُونِي فِتْ أَسْمَاءٍ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ﴾ هذا إنكار منه لمخاصمتهم له فيما لا ينبغي فيه الخصام، وهو ذكر ألفاظ ليس تحتها مدلول يستحقّ العبادة، فصارت المنازعة باطلة بذلك، ومعنى «سَمِيَّتُوهَا»: سميتُ بها أنتم وأباؤكم، أي: أخذتُموها قريباً أنتم وأباؤكم، وهي: صمودٌ وصداءٌ والهباء، وقد ذكرها مرند بن سعد في شعره فقال:

عَصَتْ عَادٌ رَسُولَهُمْ فَأَضْحَوْا عِطَاشًا مَا تَبُلُّهُمُ السَّمَاءُ
لَهُمْ صَنَمٌ يُقَالُ لَهُ صَمُودٌ يَقَابِلُهُ صُدَاءٌ وَالْهَبَاءُ

(١) ذكره عن زيد بن أسلم الماوردي في النكت والعيون ٢/ ٢٣٤.

(٢) أخرجه الطبري ١٠/ ٢٨٠-٢٨١.

(٣) تفسير الرازي ١٤/ ١٥٩-١٦٠.

فَبَصَّرْنَا الرَّسُولَ سَبِيلَ رُشْدٍ فَأَبْصَرْنَا الْهَدَىٰ وَجَلَا الْعَمَاءَ
وإِنَّ إِلَهَهُ هُوَ إِلَهِي عَلَى اللَّهِ التَّوَكُّلُ وَالرَّجَاءُ^(١)
فالجِدَالُ إذ ذاك يَكُونُ فِي الْأَلْفَاظِ لَا مَدْلُولَاتِهَا .

ويحتمل أن يكون الجدال وقع في المسميات وهي الأصنام، فيكون أطلق الأسماء وأراد بها المسميات، أو كان ذلك على حذف مضاف، أي: أتجادلونني في ذوات أسماء، ويكون المعنى: سميتموها آلهة وعبدتموها من دون الله.

قيل: سموا كل صنم باسم، على ما اشتهاوا وزعموا أن بعضهم يسقيهم المطر، وبعضهم يشفيهم من المرض، وبعضهم يضحبهم في السفر، وبعضهم يأتيهم بالرزق.

﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ يَهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ والجملة من قوله: «ما نزل» في موضع الصفة، والمعنى: إنه ليس لكم بذلك حجة ولا برهان، وجاء هنا «نزل» وفي مكان غيره «أنزل»^(٢) وكلاهما فصيح، والتعدي بالتضعيف والهمزة سواء.

﴿فَانظُرُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾^(٦) وهذا غاية في التهديد والوعيد، أي: فانتظروا عاقبة أمركم في عبادة غير الله وفي تكذيب رسوله، وهذا غاية في الوثوق بما يحل بهم، وأنه كائن لا محالة.

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ يعني: من آمن معه برحمة سابقة لهم من الله وفضل عليهم، حيث جعلهم آمنوا فكان ذلك سبباً لنجاتهم مما أصاب قومهم من العذاب.

﴿وَقَطَمْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا﴾ كناية عن استئصالهم بالهلاك بالعذاب، وتقدم الكلام في «دابر» في قوله: ﴿فَقَطَعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنعام: ٤٥] وفي قوله: «الذين كذبوا» تنبيه على علة قطع دابريهم، وفي قوله: «بآياتنا» دليل على أنه كانت لهود معجزات ولكن لم تذكر لنا بتعيينها.

(١) وردت ضمن خبر طويل في قصة عاد، ذكره الطبري في التاريخ ١/٢١٩-٢٢٤، والبغوي في التفسير ٢/١٧١-١٧٢. ومرثد بن سعد كان ممن آمن بهود عليه السلام من قوم عاد.
(٢) وردت في الآية (٤٠) من سورة يوسف، والآية (٢٣) من سورة النجم.

﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٧٦﴾ جملة مؤكدة لقوله: «كذبوا بآياتنا»، ويحتمل أن يكون إخباراً من الله تعالى أنهم ممن علم الله تعالى أنهم لو بقوا لم يؤمنوا، أي: ما كانوا ممن يقبلُ إيماناً البتة، ولو علم الله تعالى أنهم يؤمنون لأبقاهم، وذلك أن المكذّب بالآيات قد يؤمن بها بعد ذلك ويحسنُ حاله، فأما من حتم الله عليه^(١) بالكفر فلا يؤمن أبداً.

وفي ذلك تعريضٌ بمن آمنَ منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود عليه السلام، كأنه قال: وقطعنا دابر القوم الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثلاً من آمنَ منهم؛ ليؤذَنَ أنَّ الهلاكَ حصَّ المكذِّبين ونجَّى الله المؤمنين؛ قاله الزمخشري^(٢).

وذكر المفسِّرون هنا قصةً هلاك عادٍ، وذكروا فيها أشياء لا تعلق لها بلفظ القرآن، ولا صحت عن الرسول، فضربتُ عن ذكرها صفحاً، وأما ما له تعلقٌ بلفظ القرآن فيأتي في مواضعه إن شاء الله تعالى.

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَنَا هُمْ صَالِحًا قَالَ يَفْقَرُوا أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾
«ثمود»: اسمُ القبيلة سُميت باسم أبيهم الأكبر، وهو ثمودُ أخو جديس، وهما ابنا جاثر بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وكانت مساكنهم الحجرَ بين الحجاز والشام، وإلى وادي القرى.

وقيل: سُميت ثمود لقلّة مائها، من الثمد^(٣) وهو الماء القليل، قال الشاعر:
أَحْكُمُ كَحُكْمِ فَتَاةِ الْحَيِّ إِذْ نَظَرْتُ إِلَى حَمَامِ شِرَاعٍ وَارِدِ الشَّمَدِ^(٤)
وكانت ثمودُ عرباً في سعةٍ من العيش، فخالَفُوا أمر الله وعَبَدُوا غيره وأفسدوا،

(١) في (يه): ختم الله له.

(٢) في الكشاف ٢/٨٨-٨٩.

(٣) بسكون الميم، ويحرك. القاموس (ثمد).

(٤) البيت للنابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص٣٤، والكتاب ١/١٦٨، والخزانة ١٠/٢٥٣.

قوله: احكم كحكم، أي: كن حكيماً كهذه الفتاة، وهي زرقاء اليمامة، والحكم هنا بمعنى الحكمة مثل: نعلم ونعمه. وشراع: التي شرعت في الماء، وروي: سراع، وهما جمع شارة وسريعة، والحمام اسم جنس، فيجوز أن يعتبر جمعاً ومفرداً، وهنا جمع وصفه تارة في كلمة «شراع»، وأفرد أخرى في «وارد». ينظر الخزانة ١٠/٢٥٤-٢٥٨.

فَبِعَثِ اللَّهُ لَهُمْ صَالِحًا نَبِيًّا مِنْ أَوْسَطِهِمْ نَسَبًا وَأَفْضَلِهِمْ حَسَبًا، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ حَتَّى شَمِطَ^(١)؛ وَلَا يَتَّبِعُهُ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلَ^(٢).

قال وهب: بعثه الله حين راهقَ الحلم، فلمَّا هلك قومه اذتَحَلَّ بمن معه إلى مكة، فأقاموا معه حتى ماتوا، فقبورهم بين دار الندوة والحجر^(٣).

وصالح هو: صالح بن آسف بن كماش بن أروم بن ثمود بن جاثر بن إرم بن سام بن نوح، هكذا نسبه الشريف النسابة الجَوَانِي، وهو المنتهى إليه في علم النَّسَب، ووقع في بعض التفاسير بين صالح وآسف زيادةُ أب وهو عبيد، فقالوا: صالح بن عبيد بن آسف، ونقص في الأجداد، وتصحيفُ: جاثر، بقولهم: عابر^(٤).

قال الشريف الجَوَانِي في «المقدمة الفاضلية»: والعقبُ من جاثر بن إرم بن سام بن نوح: ثمود وجديس، والعقب من ثمود بن جاثر: فالخ وهيلع وتَنُوق وأروم، من ولده صالح النبي ﷺ بن آسف بن كماش بن أروم بن ثمود.

وقرأ ابن وثَّاب والأعمش: «وإلى ثمودٍ» بكسر الدال والتنوين مصروفًا في

(١) الشَّمِط: بياض شعر الرأس يخالط سواده. اللسان (شمط).

(٢) عرائس المجالس للثعلبي ص ٦٨، وتفسير القرطبي ٢٦٦/٩، ورواه الطبري ٢٨٦/١٠ مطولاً عن ابن إسحاق.

(٣) المعارف لابن قتيبة ص ٢٩-٣٠، والمححر الوجيز ٤٢١/٢.

(٤) ينظر ما أشار إليه المصنف من زيادة أو نقص أو تصحيف في المححر الوجيز ٤٢٠/٢، والكشاف ٨٩/٢، وتفسير البغوي ١٧٣/٢-١٧٤، وتفسير القرطبي ٢٦٥/٩-٢٦٦. ورواية المصنف: جاثر، توافق ما ورد في طبقات ابن سعد ٤٣/١، وتاريخ الطبري ٢٢٦/١، والمحجر لابن حبيب ص ٣٨٤، والإكمال ١٠/٢، والقاموس والتاج (جثر). وقد جاء بدلاً منه عند القرطبي: عاد، وفي المححر: غاثن، وعند الزمخشري والبغوي: عابر، ولكن في إطلاق التصحيف هنا نظر، فقد قال ابن قتيبة في المعارف ص ٢٧: ومن ولد إرم بن سام بن نوح: ثمود بن عابر - ويقال: ثمود بن جاثر - بن إرم بن سام بن نوح. اهـ. وقد جاء في تفسير الطبري (تحقيق محمود شaker) ٥٢٤/١٢: غاثر، بالغين والفاء، وأشار محققه الشيخ محمود شaker إلى رواية التاريخ: جاثر، ثم قال: وكان الأول هو الأصل، وأن الآخر على القلب عن الغين، هذا إذا لم يكن خطأ. اهـ. أما زيادة عبيد في الآباء وعدم زيادته فهما قولان أيضاً ذكرهما الطبري في التاريخ ٢٢٦/١.

جميع القرآن^(١)، جَعَلَهُ اسْمَ الْحَيِّ، والجمهور مَنَعُوهُ الصَّرْفَ؛ جعلوه اسْمَ الْقَبِيلَةِ.

والأخوةُ هنا في القرابة؛ لأن نسبه ونسبهم راجعٌ إلى ثمود بن جاثر.

وكلُّ واحدٍ من هؤلاء الأنبياء: نوح وهود وصالح، تَوَارَدُوا عَلَى الْأَمْرِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ والتنبؤِ عَلَى أَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِذْ كَانَ قَوْمُهُمْ عَابِدِي أَصْنَامٍ وَمَتَّخِذِي آلِهَةٍ مَعَ اللَّهِ كما كانت قريشٌ والعربُ، ففي هذه القصص توبيخُهم وتهديدُهم أَن يَصِيبَهُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ أَوْلَئِكَ مِنَ الْهَلَاكِ الْمَسْتَأْصِلِ بِالْعَذَابِ^(٢).

وكانت قصة نوح مشهورةً طَبَّقَتْ الْأَفَاقَ، وقصة هودٍ وصالحٍ مشهورةٌ أيضاً عند العرب وغيرهم بحيث ذكرها قدماءُ الشعراء في الجاهلية، وشَبَّهُوا مَفْسِدِي^(٣) قَوْمِهِمْ بِمَفْسِدِي قَوْمِ هُودٍ وَصَالِحٍ، قال بعضُ قدمائهم في الجاهلية:

فِينَا مَعَاشِرٌ لَنْ يَبْنُوا لِقَوْمِهِمْ وَإِنْ بَنَى قَوْمُهُمْ مَا أَفْسَدُوا عَادُوا
أَضْحَوْا كَقَيْلِ بْنِ عَنْزٍ فِي عَشِيرَتِهِ إِذْ أَهْلَكَتْ بِالَّذِي سَدَى لَهَا عَادُ
أَوْ بَعْدَهُ كَقُدَارٍ حِينَ تَابَعَهُ عَلَى الْغَوَايَةِ أَقْوَامٌ فَقَدْ بَادُوا^(٤)

وقِيلُ بْنُ عَنْزٍ هُوَ مِنْ قَوْمِ هُودٍ، وسيأتي ذكرُ خبره عند ذكر إرسال الرِّيحِ عَلَى قَوْمِ هُودٍ إِذْ شَاءَ اللَّهُ. وَقُدَارٌ هُوَ ابْنُ سَالِفٍ عَاقِرٌ نَاقَةٌ صَالِحٍ، ويأتي خبره إِذْ شَاءَ اللَّهُ.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أَي: آيَةٌ ظَاهِرَةٌ جَلِيَّةٌ، وشَاهِدٌ عَلَى صِحَّةِ نَبَوْتِي، وكثير استعمالُ هذه الصفة استعمالَ الْأَسْمَاءِ فِي الْقُرْآنِ فَوَلِيَّتِ الْعَوَامِلِ، كقوله: حَتَّى جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ^(٥)، وقوله: ﴿يَا بَيِّنَتِي وَالزُّبُرِي﴾ [آل عمران: ١٨٤] والمعنى:

(١) القراءات الشاذة ص ٤٤، والمحزر الوجيز ٢/٤٢٠.

(٢) في (أ) و(د) و(ع) والمطبوع: من العذاب، وهو خطأ.

(٣) هنا ينتهي الخرم الذي في (د).

(٤) الأبيات من قصيدة للأفوه الأودي - واسمه صلاءة بن عمرو - كما في أمالي القالي ٢/٢٢٤، وفيه: ... لم يبنوا لقومهم، وتحرفت كلمة «ينبوا» في (أ) و(د) و(ع) والمطبوع إلى: يبغوا.

(٥) كذا ذكر، والصواب: ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١]، وفي سورة البينة أيضاً: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [الآية: ٤].

الآية البيّنة، و: بالآيات البيّنات، فقارَبَ أن تكون كالأَبْطَحِ والأَبْرِقِ^(١) إذ لا يكاد يصرِّح بالموصول معها.

وقوله: «قد جاءتكم بيّنةٌ من ربِّكم» كأنه جوابٌ لقولهم: ائتنا بيّنةً تدلُّ على صدقك وأنت مرسلٌ إلينا. و«من ربكم» متعلِّقٌ بـ«جاءتكم»، أو في موضع الصفة لـ«آية» على تقدير محذوفٍ، أي: من آيات ربِّكم.

﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ لَمَّا أَبْهَمَ فِي قَوْلِهِ: «قد جاءتكم بيّنةٌ من ربكم» بيّن ما الآية، فكانه قيل له: ما البيّنة؟ قال: «هذه ناقةُ الله»، وأضافها إلى الله تشريهاً وتخصيصاً، نحو: بيت الله، و: روح الله، ولكونه خلَّقها بغير واسطةٍ ذَكَرَ وأنشى، ولأنه لا مالك لها غيره، ولأنها حجةٌ على القوم، ولَمَّا أُودِعَ فيها من الآيات الآتي ذكَّرها في قصة قوم صالح.

و«لكم» بيانٌ لمن هي له آيةٌ موجبةٌ عليه الإيمان وهم ثمود لأنهم عاينوها، وسائرُ الناس أُخبروا عنها، كأنه قال: لكم خصوصاً. وانتصب «آية» على الحال، والعاملُ فيها «ها» بما فيها من معنى التنبيه، أو اسمُ الإشارة بما فيه من معنى الإشارة، أو فعلٌ مضمَّرٌ تدلُّ عليه الجملة، كأنه قيل: انظر إليها في حال كونها آيةً. أقوالٌ ثلاثةٌ ذُكرت في علم النحو.

وقال الحسن: هي ناقةٌ اعترضها من إبّلهم ولم تكن تُحلب^(٢).

وقال الزجاج: قيل: إنه أخذ ناقةً من سائر النوق، وجعل الله لها شرباً يوماً ولهم شربٌ يوم، وكانت الآية في شربها وحلبها^(٣).

قيل: وجاء بها من تلقاء نفسه.

وقال الجمهور: هي آيةٌ مقترحةٌ، لَمَّا حذَّروهم وأنذروهم سألوها آيةً، فقال: آيةٌ آيةٌ تريدون؟ قالوا: تخرُجُ معنا إلى عيدنا - في يومٍ معلوم لهم من السنة - فتدعو إلهك

(١) الأبطح: مسيلٌ واسع فيه دُقاق الحصى، والأبرق: غلظٌ فيه حجارةٌ ورملٌ وطينٌ مختلطة. القاموس (بطح) و(برق).

(٢) حكاه عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٤٢١ نقلاً عن النقاش.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢/٣٥٠ بنحوه، والمحرر الوجيز ٢/٤٢١، وعنه نقل المصنف.

وَنَدْعُو آلِهَتَنَا، فَإِنِ اسْتُجِيبَ لَكَ أَتَّبِعَنَّكَ، وَإِنِ اسْتُجِيبَ لَنَا أَتَّبِعَنَّا، قَالَ صَالِحٌ: نعم، فخرج معهم، فدَعَوْا أوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تُجِبهم، ثم قال سيدهم جُنْدَعُ بنُ عَمْرٍو بنِ جَوَّاسٍ - وأشار إلى صخرة منفردة من ناحية الجبل يقال لها: الكائبة -: أَخْرِجْ لَنَا مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ نَاقَةً مَخْرُجَةً جَوْفَاءَ وَبِرَاءَ عَشْرَاءَ. والمخرجة ما شاكلت البُحْت من الإبل. وأخذ صالحٌ ﷺ موثيقهم: لئن فعلت ذلك لتؤمننَّ ولتصدقنَّ، قالوا: نعم، فصلَّى ركعتين ودعا ربَّه، فتمحَّضت الصخرة تمخُّض النَّوْج بولدها، ثم تحرَّكت فانصدعت عن ناقةٍ كما وصفوا لا يَعْلَم ما بين جنبها إلا الله عِظْماً وهم ينظرون، ثم نتجت سَقْباً مثلها في العِظْم، فأَمَنَ به جُنْدَعٌ ورَهْطٌ من قومه، وأراد أشرافٌ ثمودَ أن يؤمنوا به فنهاهم دُؤَابُ بنُ عَمْرٍو بنِ لَبِيدٍ والحُبابُ صاحباً أوثانهم، وزيَّانُ ابنُ كاهنهم، وكانوا من أشرافِ ثمود^(١).

وهذه الناقةُ وسَقْبُها مشهورٌ قصتهما عند جاهلية العرب، وقد ذكروا السَّقْب في أشعارهم، قال بعضهم يصف ناساً قُتلوا بمعركة حرب بأجمعهم:

كَأَنَّهُمْ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ صَوَاعِقُهَا لَطِيرَهِنَّ دَبِيبٌ
رَغَا فَوْقَهُمْ سَقْبُ السَّمَاءِ فِدَاحِضٌ بِشِكَّتِهِ لَمْ يُسْتَلَبْ وَسَلِيبٌ^(٢)

(١) تنظر القصة مطولة في تفسير الطبري ٢٨٦/١٠، وعرائس المجالس للثعلبي ص ٦٨، وتفسير البغوي ١٧٥/٢، والبداية والنهاية ٣١٠/١، وتفسير ابن كثير ٤٤٠/٣. وقوله: ريان، جاء بدلاً منه في المصادر: رباب. والقصة عند الطبري من رواية ابن إسحاق، وهي عند المصنف حتى قوله: ورهط من قومه، منقولة من الكشاف ٨٩/٢.

(٢) البيتان لعلقمة الفحل، وهما في ديوانه (بشرح الأعلام) ص ٤٦، والمفضليات ص ٣٩٥، باختلاف في الترتيب. وهما من قصيدة في مدح الحارث بن جبلة الغساني، ومعنى البيت الأول: كأن ما أصاب أعداء هذا الممدوح ونزل بهم من القتل الذريع والاستئصال سحابة جاءت بصواعق فقتلت ما أصابت من الطير، وبقي ما أفلت منها يدبُّ لا يقدر على الطيران. وقوله: رغا فوقهم سقب السماء، يعني أنهم استؤصلوا وهلكوا كما هلكت ثمود. وقوله: فداحض، الدحض الزلل، أي: قد زل فسقط بالأرض، ويروى: فداحض (وهي رواية الديوان) أي: فاحص برجليه عند الموت مع شكته، وهي جملة السلاح. وقوله: لم يُسَلَب، أي: كان القتلى أكثر من أن يحاط بسلبهم، فمنهم من سلب ومنهم من لم يُسَلَب. قاله الأعلام شارح الديوان.

قال أبو موسى الأشعري: أتيت أرض ثمود فذرعت صدر الناقة فوجدته ستين ذراعاً^(١).

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ لَمَّا أَضَافَ النَّاقَةَ إِلَى اللَّهِ أَضَافَ مَحَلَّ رَعِيهَا إِلَى اللَّهِ؛ إِذِ الْأَرْضُ وَمَا أَنْبَتَ فِيهَا مَلِكُهُ تَعَالَى لَا مَلِكُكُمْ وَلَا إِبْنَاتُكُمْ، وَفِي هَذَا الْكَلَامِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ هَذِهِ النَّاقَةَ نِعْمَةٌ مِنْ اللَّهِ يُنَالُ خَيْرُهَا مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ تَكْلُفِ عِلْفٍ وَلَا طَعْمَةٍ، وَهُوَ شَأْنُ الْإِبِلِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: قَالَ: فَضَالَّةُ الْإِبِلِ؟ قَالَ: «مَا لَكَ وَلَهَا مَعَهَا سِقَاؤُهَا وَحِذَاؤُهَا تَرُدُّ الْمَاءَ وَتَأْكُلُ الشَّجَرَ حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا»^(٢).

و«تَأْكُلُ» جَزَمَ عَلَى جَوَابِ الْأَمْرِ، وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ فِي رِوَايَةٍ: «تَأْكُلُ» بِالرَّفْعِ^(٣)، وَمَوْضِعُهُ حَالٌ.

كانت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء ترد غباً، فإذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها، ثم تفجج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ أو انبهم، فيشربون ويدخرون^(٤).

﴿وَلَا تَمْسُوها بِأَدْنَى عَلَى الْأَعْلَى، إِذَا كَانَ قَدْ نَهَاها عَنْ مَسِّها بِسَوْءِ إِكْرَاماً لآيَةِ اللَّهِ، فَنَهَيْه عَنْ نَحْرِها وَعَقْرِها وَمَنْعِها مِنَ الْمَاءِ وَالْكَلا أَوْلَى وَأَحْرَى، وَالْمَسُّ وَالْأَخْذُ هُنَا اسْتِعَارَةٌ، وَهَذَا وَعَيْدٌ شَدِيدٌ لِمَنْ مَسَّها بِسَوْءٍ، وَالْعَذَابُ الْأَلِيمُ هُوَ مَا حَلَّ بِهِمْ إِذْ عَقَرُوهَا وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ.

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عِكاذٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَنْجِذُونَ مِنْ سُهُولِها فَصُورًا وَتَنْجِثُونَ الْجِبَالَ يَوْمًا فَأَذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَنْسُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(٥) ذَكَرَ صَالِحٌ قَوْمَهُ بِمَا ذَكَرَ بِهِ هُوَ قَوْمَهُ، فَذَكَرُوا أَوْلَى نِعْمًا خَاصَّةً وَهِيَ جَعْلُهُمْ خُلَفَاءَ بَعْدِ

(١) أخرجه الطبري ٢٩٧/١٠.

(٢) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٩١)، ومسلم (١٧٢٢) عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه.

(٣) الكشاف ٩٠/٢، وهي في القراءات الشاذة ص ٤٤ عن الكسائي وأبي معاذ.

(٤) الكشاف ٨٩/٢، وهذه قطعة من الخبر الذي سلف قريباً في قصة ثمود. وقوله: تَفَجَّجُ،

مضارع، وأصله: تَتَفَجَّجُ بتاءين، وكذا وقع في الكشاف بتاءين، ومعناه: تفرج ما بين

رجليها للحلب. ينظر حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ١٨٥/٤.

الأمّة التي سبقتهم، وذكر هودٌ لقومه ما اختصّوا به من زيادة البسطة في الخلق، وذكر صالح لقومه ما اختصّوا به من اتخاذ القصور من السهول، ونحت الجبال بيوتاً، ثم ذكراً نعماً عامةً بقولهما: «فاذكروا آلاء الله»، ومعنى: «وبوأكم في الأرض»: أنزلكم بها وأسكنكم إياها، والمبأة: المنزل في الأرض، وهو من باء، أي: رجع، وتقدم ذكره^(١)، و«الأرض» هنا: الحجر ما بين الحجاز والشام.

و«تتخذون» حال، أو تفسير لقوله: «وبوأكم في الأرض»، فلا موضع له من الإعراب، والظاهر أن بعض السهول اتخذوه قصوراً، أي: بنوا فيه قصوراً وأنشئوها فيه، إذ لم يستوعبوا جميع سهولها بالقصور.

وقال الزمخشري: «من سهولها قصوراً»، أي: تبنيها من سهولة الأرض بما تعملون منها الرهص واللبن والأجر^(٢). يعني أن القصور التي بنوها أجزاءها متخذة من لين الأرض كالجيار^(٣) والأجر والجص، كقوله: «وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا» [الأعراف: ١٤٨] يعني أن الصورة كانت مادتها من الحلبي كما أن القصور مادتها من سهول الأرض والأجزاء التي صنعت منها.

وظاهر الأتخاذ هنا: العمل، فيتعدى «تتخذون» إلى مفعول واحد، وقيل: يتعدى إلى اثنين، والمجورور هو الثاني.

وقرأ الحسن: «وتتحتون» بفتح الحاء، وزاد الزمخشري أنه قرأ: «وتتحتون» بإشباع الفتحة، قال: كقوله:

يَنْبَاعُ مِنْ ذِفْرَى أَسِيلِ حُرَّةٍ^(٤)

انتهى.

- (١) عند تفسير المفردات لقوله تعالى: ﴿وَيَا هُوَ بِفَسْخِرٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١].
- (٢) الكشاف ٩٠/٢. والرّهص (بالكسر): الطين الذي يبنى به. القاموس (رهص).
- (٣) الجيار: هو خليط الرماد مع التورة والجص. ينظر اللسان (جير).
- (٤) الكشاف ٩٠/٢، وهذا صدر بيت من معلقة عنتره، والمشهور من روايته: ينباع من ذفري غضوب جسرة، وقد سلف بهذه الرواية عند تفسير الآية (١٢٤) من سورة آل عمران، وعجزه: زيافة مثل الفنيق المُكْدَم، وهو في شرح المعلقات للنحاس ٢٤/٢، وللتبريزي ص ٢٣٠.

وقرأ ابن مصرّفٍ بالياء من أسفل وكسرِ الحاء، وقرأ أبو مالك بالياء من أسفل وفتح الحاء^(١)، ومَن قرأ بالياء فهو التفاتٌ.

وانتصَبَ «بيوتاً» على أنها حالٌ مقدّرة؛ إذ لم تكن الجبالُ وقتَ النَّحتِ بيوتاً، كقولك: ابر لي هذه اليراعةَ قلماً، و: خِط لي هذا قباءً، وقيل: مفعولٌ ثانٍ على تضمين «وتنحتون» معنى: وتتخذون.

وقيل مفعولٌ بـ«تنحتون». و«الجبال» نصبٌ على إسقاط «من»، أي: من الجبال. وقرأ الأعمش: «تِعْشُوا» بكسر التاء^(٢)؛ كقولهم: أنت تِعْلَم، وهي لغةٌ. و«مفسدين» حالٌ مؤكّدة.

قال ابن عباس: القصورُ لمصيفهم والبيوتُ في الجبالِ لمشتاهم^(٣).

وقيل: نحتوا الجبالَ لطولِ أعمارهم، كانت القصورُ تُخَرَّبُ قبل موتهم. قال وهب: كان الرجلُ يبني البنيانَ فتمرُّ عليه مئةُ سنة فيخَرَّبُ، ثم يجدُّه فتمرُّ عليه مئةُ سنة فيخَرَّبُ، ثم يجدُّه فتمرُّ عليه مئةُ سنة فيخَرَّبُ، فأضجَرهم ذلك فاتخذوا الجبالَ بيوتاً^(٤).

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَلَاحًا مُرْسَلًا مِّن رَّبِّي﴾ ﴿قرأ ابن عامر: «وقال الملاء» بواوٍ عطفي، والجمهورُ: «قال» بغير واوٍ^(٥)، و«الذين استكبروا» وصفٌ للملاء: إمّا للتخصيص؛ لأن من أشرفهم من آمنَ وهو^(٦) جُنْدَع بن عمرو، وإمّا للذمِّ.

و«استكبروا»: طلبوا الهيبة لأنفسهم، وهو من الكِبَر، فيكون اسْتُفْعِلَ للطلب وهو بابؤها، أو تكون اسْتُفْعِلَ بمعنى فَعَلَ، أي: كَبُرُوا بكثرة^(٧) المال والجاه، فيكون مثل: عَجِبَ واسْتَعْجَبَ.

(١) القراءتان في المحرر الوجيز ٤٢٣/٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٢٢٥/٣ بنحوه.

(٤) المصدر السابق.

(٥) السبعة ص ٢٨٤، والتيسير ص ١١١.

(٦) في (أ) و(د) و(ع): مثل، بدل: وهو.

(٧) في (أ) و(د) و(ع): لكثرة.

و«الذين استضعفوا»، أي: استضعفهم رؤساء الكفار واستذلّوهم، وهم العامة، وهم أتباع الرسل^(١). و«لمن آمن» بدل من «الذين استضعفوا»، والضمير في «منهم» إن عاد على المستضعفين كان بدل بعض من كل، ويكون «الذين استضعفوا» قسَمين: مؤمنين وكافرين، وإن عاد على قومه كان بدل كل من كل، وكان الاستضعاف مقصوراً على المؤمنين، وكان «الذين استضعفوا» قسماً واحداً ومن آمن مفسراً للمستضعفين من قومه، واللام في «للذين» للتبليغ، والجملة المقولة استفهاماً على جهة الاستهزاء والاستخفاف.

وفي قولهم: «من ربّه» اختصاصٌ بصالح، ولم يقولوا: من ربنا، ولا: من ربكم.

﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (٧٥) جوابٌ للمستضعفين، وعُدولهم عن قولهم: هو مرسل، إلى قولهم: «إنا بما أرسل به مؤمنون» في غاية الحُسن، إذ أمرُ رسالته معلومٌ واضحٌ مسلمٌ لا يدخله ريبٌ؛ لما أتى به من هذا المعجز الخارق العظيم، فلا يحتاج أن يُسأل عن رسالته، ولا أن يُستفهم عن العلم بإرساله، فأخبروا بأنهم مؤمنون بما أرسل به؛ لأنه لا يلزم بعد وضوح رسالته إلا التصديق بما جاء به، وتضمن كلامهم العلم بأنه مرسلٌ من الله تعالى.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (٧٦) «بالذي آمنتم به» هو من حيث المعنى: «بما أرسل به»، لكنه من حيث اللفظ أعظم، قصدوا الردّ لما جعله المؤمنون معلوماً وأخذوه مسلماً.

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ نُسبَ العقْر إلى الجميع وإن كان صادراً عن بعضهم لما كان عقرها عن تمالؤٍ واتفاقٍ، حتى روي أن قداراً لم يعقرها إلا عن مشاورة الرجال والنساء والصبيان، فأجمعوا على ذلك^(٢).

وسببُ عقرها أنها كانت إذا وقع الحرُّ تصيفت بظهر الوادي، فتهرب منها أنعامهم فتهبط إلى بطنه، وإذا وقع البردُ تشتت بطن الوادي، فتهرب مواشيهم إلى

(١) في (ز): للرسل.

(٢) المحرر الوجيز ٤٢٣/٢، وهو قطعة من خبر أخرجه عبد الرزاق ٢٣١/١، والطبري

٢٩٥-٢٩٦ عن قتادة.

ظهره، فشق ذلك عليهم، وكانت تستوفي ماءهم شرباً، ويحلبونها ما شاء الله حتى ملئتها ثمود وقالوا: ما نصنع باللبن، الماء أحب إلينا منه؟ وقال لهم صالح يوماً: إن هذا الشهر يُولد فيه مولودٌ يكون هلاككم على يديه، فولد لعشرة نفرٍ، فذبح التسعة أولادهم وبقي العاشر، وهو سالف أبو قدارٍ، وكان قدارٌ أحمرَ أزرقٍ قصيراً، ولذلك قال بعض شعراء الجاهلية:

فَتُنْتَجِ لَكُمْ غِلْمَانٌ أَشَامٌ كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرَضِّعُ فَتَفْطِمُ^(١)
قال الشَّراخ: غَلِظَ، وإنما هو أحمرُ ثمودَ وهو قدار^(٢).

وكان يشبُّ في اليوم شبابَ غيره في السنة، وكان التسعة إذا رأوه قالوا: لو عاش بنونا كانوا مثل هذا، فأحفظهم أن قتلوا أولادهم بكلام صالح، فأجمعوا على قتله، فكمنوا له في غارٍ لبيئته. ويأتي خبرُ التبييت وما جرى لهم في سورة النمل إن شاء الله.

وروي أن السبب في عقرها: أن امرأتين من ثمود من أعداء صالح، وهما: عُنيزة بنتُ غنم، أمٌ مجلزي زوجةٌ ذؤاب بن عمرو، وتكنى: أم غنم، عجوزٌ ذاتُ بناتٍ حسانٍ ومالٍ من إبلٍ وبقرٍ وغنم، وصدوف بنتُ المحيّا، جميلةٌ غنيةٌ ذاتُ مواشٍ كثيرة، فدعت عُنيزة إلى عقرها قداراً على أن تعطيه أي بناتها شاء، وكان عزيزاً منيعاً في قومه، ودعت صدوف رجلاً من ثمود يقال له الحُباب إلى ذلك وعرضت نفسها عليه إن فعل، فأبى، فدعت ابن عم لها يقال له: مُضدع بن مَهْرَج بن المحيّا لذلك، وجعلت له نفسها، فأجاب قدارٌ ومُضدعٌ واستغويا سبعة نفرٍ، فكانوا تسعةً

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى، وهو في ديوانه ص ٢٠. قوله: تنتج لكم، يعني الحرب. غلمان أشام... أي: غلمان شؤم وشرُّ كلهم في الشؤم كأحمر عاد. وقوله: فتفطم، يريد أنه يتم أمر الحرب، كالمراة إذا أرضعت ثم فطمت فقد تمت، قاله ثعلب شارح الديوان، وينظر التعليق الذي بعده.

(٢) ينظر الديوان بشرح ثعلب ص ٢٠، وبشرح الأعلام ص ٢٠، وشرح المعلقات للنحاس ١/١١٤. وقد ردَّ بعضهم - كما نقل الأعلام - فقال: لم يغلط، ولكنه جعل عاداً مكان ثمود اتساعاً ومجازاً؛ إذ قد عُرف المعنى، مع تقارب ما بين عاد وثمود في الزمن والأحلاق. وقال المبرد كما نقل النحاس: هذا ليس بغلط؛ لأن ثمود يقال لها: عاد الآخرة، ويقال لقوم هود: عاد الأولى، والدليل على هذا قوله عز وجل: وأنه أهلك عاداً الأولى.

رَهْطٍ، فرصدوا الناقة حين صَدَرَتْ عن الماء، وَكَمَنَّ قُدَارٌ فِي أَصْلِ صَخْرَةٍ وَمِصْدَعٍ فِي أَصْلِ أُخْرَى، فمرت على مِصْدَعٍ فرماها بسهم فانتظم به عَضَلَةً ساقها، وخرجت أم غُثْمٍ غُنِيْزَةً بابتها وكانت من أَحْسَنِ النِّسَاءِ فَسَفَّرَتْ لِقُدَارٍ، ثُمَّ مَرَّتِ النَّاقَةُ بِهِ فَشَدَّ عَلَيْهَا بِالسَّيْفِ فَكَسَفَ عُرْقُوبَهَا، فَخَرَّتْ وَرَعَّتْ رَغَاةً وَاحِدَةً، فَطَعَنَ فِي لَبَّتِهَا وَنَحَرَهَا، وَخَرَجَ أَهْلُ الْبَلَدَةِ فَاقْتَسَمُوا لِحْمَهَا وَطَبَخُوهُ. وَذَكَرُوا لِسَقْبِهَا حِكَايَةَ اللَّهِ أَعْلَمَ بِصَحَّتِهَا^(١).

وقيل: سببُ عقرها أن قداراً شرب الخمر، وطلبوا ماءً لمزاجها فلم يجده؛ لشرب الناقة، فعزموا على عقرها، وكمن لها فرماها بالحربة، ثم سقطت فعقرها^(٢).

وقال بعض شعراء العرب وقد ذكر قصة الناقة:

فَأَتَاهَا أَحْيِمِرٌ كَأَخِي السَّهْهِمِ بِعَضْبٍ فَقَالَ كَوْنِي عَقِيْرًا^(٣)
 ﴿وَعَتَوْنَا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي: استكبروا عن امتثال أمر ربهم، وهو ما أمر به تعالى على لسان صالح من قوله: «فَذُرُّوْهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ»، ومن اتَّبَعَ أمر الله وهو دينه وشرعه^(٤).

ويجوز أن يكون المعنى: صَدَرَ عَتَوْهُمْ عن أمر ربهم، كأن أمر ربهم بتركها كان هو السبب في عتوهم، ونحو «عن» هذه ما في قوله ﴿وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢].

﴿وَقَالُوا لِيَصْلِحْ أَتَيْنَا بِمَا نَعُدُّنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: من العذاب؛ لأنه كان قد سبق منه: «ولا تمسوها بسوءٍ فيأخذكم عذابٌ أليمٌ»، فاستعجلوه

(١) تنظر قصة الناقة وسقياها في تفسير الطبري ٢٨٤/١٠-٢٩٤، وتفسير الشعلي ٤٢/٣-٤٦، والكشاف ٨٩/٢، والمحزر ٤٢١/٢، وتفسير البغوي ١٧٦/٢. وهي عند الطبري بعضها من رواية السدي مطولاً، وبعضها الآخر من رواية ابن إسحاق مطولاً أيضاً.

(٢) قطعة من خبر السدي الذي ذكر في التعليق السابق.

(٣) البيت لأمية بن أبي الصلت، وهو في ديوانه ص ٧٦.

(٤) أشار المصنف هنا إلى قولين في الآية أجازهما الزمخشري، الأول أن يكون الأمر فيه واحد الأوامر، وهو ما أمر الله به على لسان صالح، والثاني أن يكون الأمر واحد الأمور، وهو دين الله وشرعه، وهو الذي أشار إليه المصنف بقوله: «ومن اتَّبَعَ أمر الله...» وقوله: «ومن، كذا وقع في النسخ، ولعل الأنسب بالسياق: أو عن...»

ما وعدهم به من ذلك؛ إذ كانوا مكذّبين له في الإخبار بذلك الوعيد وبغيره، ولذلك علّقوه بما هم به كافرون، وهو كونه من المرسلين.

وقرأ ورش والأعمش: «يا صالح أيتنا»، وأبو عمرو إذا أذرج بإبدال همزة فاء «أيتنا» واواً لضمّة حاء «صالح»^(١)، وقرأ باقي السبعة بإسكانها.

وفي كتاب ابن عطية: قال أبو حاتم: قرأ عيسى وعاصم: «أوتنا» بهمز وإشباع ضم^(٢). انتهى، فلعله عاصم الجحدري لا عاصم بن أبي النجود أحد قرّاء السبعة.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينًا﴾ ﴿٧٨﴾ رُوي أَنَّ السَّقْبَ لَمَّا عَقَرُوا الناقة رَعَا ثلاثاً، فقال صالح: لكلّ رغوّة أجلّ يوم، تمتعوا في داركم ثلاثة أيام. فقالوا هازئين به: متى ذلك، وما آية ذلك؟ فقال: تُصبحون غداً مؤنّسٍ مصفرةً وجوهكم، وغداً العروبة مُحَمَّرِيها، ويومَ شيار مسودّيها^(٣)، ثم يصبّحكم العذاب يومَ أوّل. وهو يومُ الأحد. فرامَ التسعة عاقرو الناقة قتله وبيّتوه، فدمغتهم^(٤) الملائكة بالحجارة، فقالوا له: أنت قتلتهم، وهُموا بقتله، فحمته عشيرته وقالوا: وَعَدَكُمْ أَنَّ الْعَذَابَ نازلٌ بكم بعد ثلاثٍ، فإن صدق لم تزيدوا ربكم عليكم إلا غضباً، وإن كذب فأنتم من وراء ما تريدون. فأصبحوا يومَ الخميس مصفريّ الوجوه كأنها طُليت بالخلوق، فطلبوه ليقتلوه فهرب إلى بطن من ثمود يقال له: بنو غنم، فنزل على سيدهم أبي هذب نفيّل، وهو مشرك، فغيبه ولم يقدروا عليه، فعذبوا أصحابَ صالح، فقال منهم مبدع^(٥) بن هرم: يا نبيّ الله، عدّبونا لندلّهم عليك، أفندلّهم؟ قال: نعم، فدلّهم عليه، فأتوا أبا هذب فقال لهم: عندي صالح ولا سبيل لكم عليه. فأعرّضوا عنه وشغلهم ما نزل بهم، فأصبحوا في الثاني

(١) ينظر السبعة ص ١٣١، والتيسير ص ٣٧.

(٢) المحرر الوجيز ٤٢٣/٢.

(٣) مؤنّس والعروبة وشيار هي بالترتيب: الخميس والجمعة والسبت، كذا كانت العرب تسميها في الجاهلية، والأحد عندهم: أوّل، والإثنين: أهون، والثلاثاء: جبار، والأربعاء: دُبار. الزاهر لابن الأنباري ٣٥٦/٢، وتفسير الطبري ٢٩٢/١٠-٢٩٣.

(٤) دَمَغَهُ: أصاب دماغه فقتله. اللسان (دمغ).

(٥) كذا في النسخ وعرائس المجالس ص ٧٢، وفي تفسير الطبري ٢٩٤/١٠: مبدع.

محمري الوجوه كأنها خُضبت بالدم، وفي الثالث مسودَّيها كأنها طُليت بالقار، وليلة الأحد خرج صالحٌ ومَن أسلم معه إلى أن نزل رملةً فلسطين من الشام، فأصبحوا متكفنين متحنطين مُلقين أنفسهم بالأرض يقلِّبون أبصارهم لا يدرون من أين يأتيهم العذاب، فلما اشتدَّ الضحى أخذتهم صيحةٌ من السماء فيها صوتٌ كلُّ صاعقة، وصوتٌ كلُّ شيءٍ له صوتٌ في الأرض، فقطعت قلوبهم وهلكوا كلُّهم إلا امرأةً مقعدةً كافرةً اسمها دريعة بنت سلف^(١) عندما عاينت العذاب خرجت أسرع ما يُرى، حتى أتت وادي القري، فأخبرت بما أصاب ثمود، واستسقت فشربت وماتت^(٢).

وقيل: خرج صالح بمن معه من قومه وهم أربعة آلاف إلى حضرموت، فلما دخلوها مات صالح فسمي ذلك المكان: حضرموت^(٣).

وقيل: مات بمكة ابن ثمانٍ وخمسين سنة، وأقام في قومه عشرين سنة^(٤).

قال مجاهدٌ والسدي: «الرجفة»: الصيحة^(٥). وقال أبو مسلم: الزلزلة الشديدة^(٦).

قال الزمخشري: «جاثمين»: هامدين لا يتحركون موتى، يقال: الناسُ جُثومٌ، أي: قعودٌ لا حراكَ بهم ولا يَنبسون نَبَسَةً، ومنه: المجثمة التي جاء النهي عنها، وهي البهيمة تُربط وتُجمع قوائمها لترمي^(٧). انتهى.

(١) اضطربت المصادر في اسمها، ينظر تفسير الطبري ٢٩٥/١٠، وعرائس المجالس ص ٧٣، وتفسير البغوي ١٧٨/٢، وتفسير ابن كثير عند هذه الآية، والبداية والنهاية ٣١٦/١، ورجح العلامة محمود شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري ٥٣٦/١٢ أن اسمها: الزريعة ابنة السلق. وينظر كلامه ثمة.

(٢) القصة من رواية ابن إسحاق كما في تفسير الطبري ٢٩٢-٢٩٥/١٠، وعرائس المجالس ص ٧٢-٧٣، وتفسير البغوي ١٧٧/٢-١٧٨.

(٣) تفسير البغوي ١٧٩/٢.

(٤) عرائس المجالس ص ٧٣.

(٥) أخرجه عنهما الطبري ٣٠٢-٣٠٣.

(٦) تفسير الرازي ١٦٦/١٤.

(٧) الكشف ٩١/٢.

وقيل: معناه: حُماً مُحْتَرِقِينَ كالرماد الجاثم، ذَهَبَ هذا القائلُ إلى أن الصيحة أَقْتَرَنَ بها صواعِقُ محرقةٌ.

قال الكرمانى: حيث ذَكَرَ الرَّجْفَةَ وهي الزلزلةُ وَحَدَّ الدارِ، وحيث ذَكَرَ الصيحةَ جَمَعَ، لأنَّ الصيحةَ كانت من السماء فبلوغُها أكثر وأبلغ من الزلزلة، فاتَّصل كلُّ واحد منهما بما هو لائقُ به^(١).

وقيل: «في دارهم»، أي: في بلدهم، كَنَى بالدار عن البلد.

وقيل: وَحَدَّ والمرادُ به الجنسُ.

والفاءُ في «فأخذتهم» للتعقيب، فيُمْكِنُ العطفُ بها على قولهم: «فأتينا بما تَعِدُّنَا» على تقديرِ قُرْبِ زمانِ الهلاكِ من زمانِ طلبِ الإتيانِ بالوعدِ، ولقرب ذلك كان العطفُ بالفاءِ، ويمكنُ أن يَقْدَرُ ما يَصْحُحُ العطفُ بالفاءِ عليه، أي: فَوَعَدَهُم العذابَ بعد ثلاثٍ فأنْقَضَتْ فأخَذَتْهُم الرَّجْفَةُ، ولا منافاةَ بين «فأخذتهم الرجفة» وبين «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ» [الحجر: ٨٣] وبين «فَأَهْلَكُوا بِالطَّاغِيَةِ» [الحاقة: ٥] كما ظنَّ قومٌ من الملاحدة؛ لأنَّ الرجفةَ ناشئةٌ عن الصيحة؛ صِيحَ بِهِمْ فَرَجَفُوا، فَنَاسَبَ أن يُسَنَدَ الأخذَ لكلِّ واحدٍ منهما، وأما «فَأَهْلَكُوا بِالطَّاغِيَةِ» فالباءُ فيه للسببية، أي: أَهْلَكُوا بِالْفِعْلَةِ الطَّاغِيَةِ، وهي الكفرُ أو عَقْرُ الناقةِ، و«الطاغية» من طَغَى: إذا تَجَاوَزَ الحَدَّ وَعَلَبَ، ومنه تسميةُ المَلِكِ العاتِيِ بالطاغيةِ، وقوله: ﴿إِنَّا لَنَّا طَغَا آلَمَاءُ﴾ [الحاقة: ١١] وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَيْهَا﴾ [١١] أي: بسبب طغيانها حَصَلَ تكذيبهم، ويمكنُ أن يراد بـ«الطاغية»: الرجفةُ أو الصيحةُ لتجاوزِ كلِّ منهما الحَدَّ.

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُورَ لَقَدْ أَبْلَغْتُمْ رِسَالَاتِي رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ التَّصْوِيعَ﴾ (٧٦) ظاهرُ العطفِ بالفاءِ أن هذا التولِّيَ كان بعد هلاكهم ومشاهدة ما جرى عليهم، فيكون الخطابُ على سبيل التفتُّحِ عليهم والتحسُّرِ لكونهم لم يؤمنوا فهلكوا، والاعتمادُ لهم، وليسمع ذلك مَنْ كان معه من المسلمين فيزدادوا إيماناً وانتفاءً عن معصية الله واقتفاءً لما جاء به نبيُّه عن الله، ويكونُ معنى قوله:

(١) أسرار التكرار في القرآن ص ٨٥.

«ولكن لا تحبُّون الناصحين»: ولكن كنتم لا تحبُّون الناصحين، فتكون حكاية حال ماضية، وقد خاطب رسول الله ﷺ أهل قليب بدر^(١).

ورُوي أنه خرج في مئة وعشرة من المسلمين وهو يبكي، فالتفت فرأى الدخان فعلم أنهم قد هلكوا، وكانوا ألفاً وخمسة مئة دارٍ، ورُوي أنه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم^(٢).

وقيل: كان توليهم عنهم وقت عقر الناقة وقولهم: «اتننا بما تعدُّنا»، وذلك قبل نزول العذاب، وهو الذي يقتضيه ظاهر مخاطبته لهم، وقوله: «ولكن لا تحبُّون الناصحين»، وهو الذي نُقل في قصصهم من أنه رحل عنهم ليلة أن أخذتهم الرجفة صبيحتهم وبعد ظهور أمارات^(٣) الهلاك التي وعد بها. قال الطبري: وقيل: لم تهلك أمة ونبيها فيها^(٤).

ورُوي أنه ارتحل بمن معه حتى جاء مكة، فأقام بها حتى مات^(٥).

ولفظة التولي تقتضي اليأس من خيرهم واليقين في هلاكهم، وخطابه هذا كخطاب نوح وهود ﷺ في قولهما: «أبلغكم رسالات ربي» وذكر النصح بعد ذلك^(٦)، لكنه لما كان قوله: «أبلغتكم» ماضياً عطف عليه ماضياً، فقال: «ونصحت».

وقوله: «لا تحبُّون الناصحين»، أي: من نصَّح لكم من رسولٍ أو غيره، أي: ديدنكم ذلك لغلبة شهواتكم على عقولكم، وجاء لفظ «الناصرين» عامًّا، أي: أي شخص نصَّح لكم لم تقبلوا في أي شيء نصَّح لكم! وذلك مبالغة في ذمهم.

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٠)، ومسلم (٩٣٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وأخرجه مسلم

(٢٨٧٣) و(٢٨٧٤) من حديث عمر وأنس رضي الله عنهما.

(٢) الكشف ٩٢/٢.

(٣) في (ب) و(د) (٣) و(يه): إشارات.

(٤) تفسير الطبري ٣٠٤/١٠، وفيه: ... ونبيها بين أظهرها.

(٥) عرائس المجالس ص ٧٣.

(٦) ينظر الآيتان (٦٢) و(٦٨) من هذه السورة.

وروي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ لَمَّا نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من مائها ولا يَسْتَقُوا منها، فقالوا: يا رسول الله، قد طبخنا وعجنَّا، فأمرهم أن يطرحو ذلك الطَّبِيخَ والعجينَ ويُهريقوا ذلك الماءَ، وأمرهم أن يَسْتَقُوا من الماء الذي كانت تَرُدُّه ناقةُ صالح^(١).

وإلى الأَخْذِ بهذا الحديثِ أخذ أبو محمدِ بنُ حزم في ذهابه إلى أنه لا يجوزُ الوضوءُ بماءِ أرضِ ثمودَ إلا إن كان من العين التي كانت تَرُدُّها الناقةُ^(٢).

وعن جابر أن رسول الله ﷺ لَمَّا مرَّ بالحجر في غزوة تبوك قال لأصحابه: «لا يدخل أحدٌ منكم القريةَ ولا تشربوا من مائها، ولا تدخلوا على هؤلاء المعدِّين إلا أن تكونوا باكين، أن يصيبكم ما أصابهم»^(٣).

وفي الحديث: أنه مرَّ بقبرٍ فقال: «أتعرفون ما هذا؟» قالوا: لا، قال: «هذا قبرُ أبي رِغَالِ الذي هو أبو ثقيف، كان من ثمودَ فأصابَ قومَه البلاءُ وهو بالحَرَمِ فسَلِمَ، فلمَّا خرج من الحرم أصابه ما أصابهم، فدفن هنا وجُعِلَ معه غصنٌ من ذهب» قال: فابتدر القومُ بأسيافهم فحفروا حتى أخرجوا الغصنَ^(٤).

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٣٣٧٨) و(٣٣٧٩)، ومسلم (٢٩٨١).

(٢) المحلى ٢١٩/١-٢٢٠.

(٣) أورده الثعلبي في التفسير ٤٦/٣، والعرائس ص ٧٣ من طريق أبي الزبير عن جابر، ولم نقف عليه مسنداً. وهو في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. ينظر صحيح البخاري (٣٣٧٨) و(٣٣٧٩) و(٣٣٨٠)، وصحيح مسلم (٢٩٨٠) و(٢٩٨١). وينظر أيضاً ما ذكر من الكلام عليه في حاشية روح المعاني ٢١٤/٩.

(٤) أخرجه بنحوه أبو داود (٣٠٨٨)، وابن حبان (٦١٩٨)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣٧٥٣)، والمزي في تهذيب الكمال ١١/٤ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، ولفظه من المحرر الوجيز ٤٢٢/٢. قال المزي: وهو حديث حسن عزيز. ونقل كلامه تلميذه ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية ثم قال: «قلت: تفرد بوصله بجبر بن أبي بجير، وهو شيخ لا يعرف إلا بهذا الحديث، قال يحيى بن معين: ولم أر أحداً روى عنه غير إسماعيل بن أمية، قلت: وعلى هذا فيخشى أن يكون وهم في رفع هذا الحديث، وإنما يكون من كلام عبد الله بن عمرو مما أخذه من الزاملتين، قال شيخنا أبو الحجاج [وهو المزي] بعد أن عرضت عليه ذلك: وهذا محتمل، والله اعلم» اهـ. قلت: وله شاهد دون قصة الغصن أخرجه أحمد (١٤١٦٠) من حديث جابر رضي الله عنه، وهو حديث قوي كما قال محققو المسند.

﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ هو لوط بن هاران أخي إبراهيم عليه السلام وناحور، وهم بنو تارح^(١) بن ناحور، وتقدم رفع نسبه^(٢)، وقومه هم أهل سدوم وسائر القرى المؤتفكة، بعثه الله تعالى إليهم، وقال ابن عطية: بعثه الله إلى أمة تسمى سدوم^(٣).

وانتصب «لوطاً» بإضمار: وأرسلنا، عطفاً على الأنبياء قبله، و«إذ» معمولةٌ ل«أرسلنا»، وجوز الزمخشري وابن عطية نصبه ب: واذكر مضمره^(٤)، زاد الزمخشري أن «إذ» بدلٌ من «لوط»، أي: واذكر وقت قال لقومه، وتقدم الكلام على كون «إذ» تكون مفعولاً بها صريحاً ل: اذكر، وأن ذلك تصرفٌ فيها^(٥).

والاستفهام هو على جهة الإنكار والتوبيخ والتشنيع والتوقيف على هذا الفعل القبيح، والفاحشة هنا إتيان ذُكران آدميين في الأدبار، ولما كان هذا الفعلُ معهوداً قبحه ومركزاً في العقول فحشه أتى معرفاً بالألف واللام، أو تكون «أل» فيه للجنس على سبيل المبالغة، كأنه لشدة قبحه جعل جميع الفواحش، ولبعد العرب عن ذلك البعد التام، وذلك بخلاف الزنا فإنه قال فيه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ [الإسراء: ٣٢] فأتى به منكرأ، أي: فاحشة من الفواحش، وكان كثير من العرب يفعله ولا يستنكرون فعله ولا ذكروه في أشعارهم.

والجملة المنفية تدل على أنهم هم أول من فعل هذه الفعل القبيحة، وأنهم مُبتكروها، والمبالغة في «من أحد» حيث زيدت لتأكيد نفي الجنس، وفي الإتيان بعموم «العالمين» جمعاً.

(١) في (٣د): تاريخ، والمثبت من باقي النسخ، واللفظان موجودان في المصادر، وهو أزر كما سلف عند تفسير الآية (٧٤) من سورة الأنعام. وجاء في تهذيب الأسماء واللغات ١٥٣/٢ بالمهملة.

(٢) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَبَتَ إِلَىٰ إِيزَجَرَ رَبِّهِ﴾ [البقرة: ١٢٤].

(٣) المحرر الوجيز ٤٢٤/٢.

(٤) الكشاف ٩٢/٢، والمحرر الوجيز ٤٢٤/٢.

(٥) ينظر ما سلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ﴾ [البقرة: ٣٠]، وقوله:

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنَ آلِ يَرْعُونَ﴾ [البقرة: ٤٩].

قال عمرو بن دينار: ما نزا^(١) ذَكَرٌ على ذَكَرٍ قبل قوم لوط.

رُوي أنهم كان يأتي بعضهم بعضاً، وقال الحسن: كانوا يأتون الغرباء^(٢)، كانت بلادهم الأردن تُؤتَى من كلِّ جانبٍ لِخُصْبِهَا، فقال لهم إبليس وهو في صورة غلام: إن أردتم دفع الغرباء فافعلوا بهم هكذا، فمكّنهم من نفسه تعليماً، ثم فشا واستحلوا ما استحلوا.

وأبعدَ مَنْ ذهب إلى أنّ المراد: من عالمي زمانهم، ومَنْ ذهب إلى أن المعنى: ما سبقكم إلى لزومها وتشهيرها.

وفي تسمية هذا الفعلِ بالفاحشة دليلٌ على أنه يجري مجرى الزنى، يُرجم مَنْ أَحْصَنَ ويُجلد مَنْ لم يُحْصَنَ، وفعله عبد الله بن الزبير، أتى بسبعةٍ منهم فرجم أربعةً أحصنوا وجلد ثلاثةً، وعنده ابن عمر وابن عباس ولم ينكروا^(٣)، وبه قال الشافعي^(٤).

وقال مالك: يرمم أحصن أو لم يُحْصَنَ، وكذا المفعولُ به إن كان محتملاً. وعنه: يُرجم المحصن، ويؤدب ويُحبسُ غيرُ المحصن، وهو مذهبُ عطاءِ وابنِ المسيّبِ والنخعي وغيرهم. وعن مالك أيضاً: يعزّر أحصن أو لم يُحْصَنَ، وهو مذهب أبي حنيفة^(٥).

وحرّق خالد بن الوليد رجلاً يقال له: الفجاءة، عمِلَ ذلك العملَ، وذلك برأي

(١) في النسخ عدا (زا): يرى، والمثبت من المصادر على ما يأتي، واللفظة في (زا) تحتل الوجهيّن، وجاءت فيها بالألف المقصورة. والخبر أخرجه الدارمي (تحقيق حسين الأسد) (١١٧٩)، والطبري ٣٠٥/١٠ و٣٨٨/١٨، وابن أبي حاتم ٣٠٥٤/٩، وأورده ابن الجوزي في زاد المسير ٢٢٧/٣.

(٢) المحرر الوجيز ٤٢٤/٢، وتفسير البغوي ١٧٩/٢، وما سيرد بعده ذكره الثعلبي ٤٧/٣ بنحوه من كلام الكلبي.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢٣٣/٨.

(٤) ينظر قوله في الإشراف لابن المنذر ٣٦/٢، والاستذكار لابن عبد البر ٧٨/٢٤، وأحكام القرآن لابن العربي ٧٧٦/٢.

(٥) تفسير القرطبي ٢٧٤/٩.

أبي بكر وعليّ، وأن أصحاب رسول الله ﷺ أجمع رأبهم عليه وفيهم عليّ بن أبي طالب^(١).

وروي أن ابن الزبير أحرقتهم في زمانه، وخالد القسريّ بالعراق، وهشام^(٢).

و«ما سبقكم» جملةٌ حاليةٌ من الفاعل أو من «الفاحشة»؛ لأن في «سبقكم بها» ضميرَهم وضميرَها.

وقال الزمخشري: هي جملةٌ مستأنفةٌ، أنكر عليهم أولاً بقوله: «أتأتون الفاحشة»، ثم وبّخهم عليها فقال: أنتم أول من عمّلها، أو على أنه جواب سؤالٍ مقدّرٍ، كأنهم قالوا: لم لا نأتيها؟ فقال: ما سبقكم بها أحدٌ فلا تفعلوا ما لم تُسبقوا به.

وقال الزمخشري: والباء للتعديّة من قولك: سبقته بالكرة: إذا ضربتها قبله، ومنه قوله ﷺ: «سبقك بها عكاشة»^(٣). انتهى.

ومعنى التعديّة هنا قلقٌ جدًّا؛ لأنّ الباء المعدّية في الفعل المتعدّي إلى واحدٍ هي بجعلِ المفعول الأول يفعلُ ذلك الفعل بما دخلت عليه الباء، فهي كالهزمة، وبيان ذلك: أنك إذا قلت: صككتُ الحجرَ بالحجرِ، فمعناه: أصككتُ الحجرَ الحجرَ: أي: جعلتُ الحجرَ يصكُّ الحجرَ، وكذلك: دفعتُ زيداً بعمرٍ عن خالد، معناه: أذفعتُ زيداً عمرأ عن خالد، أي: جعلتُ زيداً يدفَعُ عمرأ عن خالد، فللمفعول الأول تأثيرٌ في الثاني، ولا يتأتى هذا المعنى هنا إذ لا يصحُّ أن يقدّر: أسبقتُ زيداً الكرةَ، أي: جعلتُ زيداً يسبقُ الكرةَ، إلا بمجازٍ متكلّفٍ، وهو أن تجعلَ ضربَكَ للكرة أول جعل ضربه قد سبقها، أي: تقدّمها في الزمان فلم يجتمعا.

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢٣٢/٨، وابن حزم في المحلى ٣٨٠/١١-٣٨١.

(٢) المحلى ٣٨١/١١، وخالد القسري هو خالد بن عبد الله الدمشقي، أبو الهيثم، أمير العراقين

لهشام بن عبد الملك، توفي سنة (١٢٦هـ). السير ٤٢٥/٥.

(٣) الكشاف ٩٢/٢، والحديث أخرجه البخاري (٦٥٤١)، ومسلم (٢٢٠) مطولاً عن ابن

﴿إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ ﴿٨١﴾ هذا بيان لقوله: «أتأتون الفاحشة»، و«أتى» هنا من قولهم: أتى المرأة: غشيها، وهو استفهامٌ على جهة التوبيخ والإنكار.

وقرأ نافع وحفص: «إنكم»^(١) على الخبر المستأنف.

و«شهوة» مصدرٌ في موضع الحال، قاله الحوفي وابن عطية^(٢)، وجوزّه الزمخشري وأبو البقاء، أي: مشتَهين تابعين للشهوة غير ملتفتين لقبحها^(٣). أو مفعولٌ من أجله؛ قاله الزمخشري وبدأ به، وأبو البقاء^(٤)، أي: للاشتهاء، لا حاملَ لكم على ذلك إلا مجردُ الشهوة، ولا ذمَّ أعظمُ منه، لأنه وصفتُ لهم بالبهيمية، وأنهم لا داعيَ لهم من جهة العقل كطلب النسل ونحوه^(٥).

و«من دون النساء» في موضع الحال، أي: منفردين عن النساء، وقال الحوفي: «من دون النساء» متعلِّقٌ ب«شهوة».

و«بل» هنا للخروج من قصة إلى قصة تُنبئُ بأنهم متجاوزو الحدِّ في الاعتداء، وقيل: إضرابٌ عن تقريرهم وتوبيخهم والإنكار، أو عن الإخبار عنهم بهذه المعصية الشنيعة، إلى الحكم عليهم بالحال التي تنشأ عنها القبائح وتدعو إلى أتباع الشهوات، وهي الإسراف، وهو الزيادة المُفسِدة، لما كانت عادتُهم الإسراف أسرفوا حتى في باب قضاء الشهوة، وتجاوزوا المعتاد إلى غيره، ونحوه: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٦].

وقيل: إضرابٌ عن محذوف، تقديره: ما عدلتم بل أنتم.

(١) السبعة ص ٢٨٦، والتيسير ص ١١١.

(٢) في المحرر الوجيز ٢/٤٢٥.

(٣) الكشاف ٢/٩٢، والإملاء ١/٢٧٩. وهذا التقدير على أنها حال من الفاعل، وهو الضمير في «تأتون»، ويجوز -كما في النهر على هامش مطبوع البحر ٤/٣٣٤- أن تكون حالاً من المفعول وهو «الرجال»، أي: مشتَهين. ويجوز أيضاً أن تكون مصدرأً باقياً على مصدرته، ناصبُه: «أتأتون»؛ لأنه بمعنى: أتشتهون. الدر المصون ٥/٣٧٢.

(٤) الإملاء ١/٢٧٩.

(٥) الكشاف ٢/٩٢.

وقال الكرمانى: «بل» ردُّ لجوابٍ، زعموا أن يكون لهم عذرٌ، أي: لا عذرَ لكم ولا حجةً بل أنتم.

وجاء هنا «مسرفون» باسم الفاعل ليدلَّ على الثبوت، ولموافقة ما سبق من رؤوس الآي في ختمها بالأسماء، وجاء في «النمل»: ﴿تَجْهَلُونَ﴾ [الآية: ٥٥] بالمضارع لتجدد الجهل فيهم، ولموافقة ما سبق من رؤوس الآي في ختمها بالأفعال.

﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ الضمير في «أخرجوهم» عائذٌ على لوطٍ ومَنْ آمَنَ به، ولمَّا تأخَّر نزولُ هذه السورة عن سورة النمل أُضْمِر ما فسَّره الظاهر في «النمل» من قوله: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ [الآية: ٥٦] و«آل لوط» ابنتاه، وهما زَعوراء وريثا^(١)، ومَنْ تبعه من المؤمنين.

وقيل: لم يكن معه إلا ابنتاه، كما قال تعالى: ﴿فَمَا وَحَدَّا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٦].

وقال ابن عطية: والضميرُ عائذٌ على آل لوطٍ وأهله وإن كان لم يجزِ لهم ذكرٌ، فإن المعنى يقتضيه، وقرأ الحسن «جوابٌ» بالرفع^(٢). انتهى.

وهنا جاء العطفُ بالواو، والمرادُ بها أحدُ محاملها الثلاثِ من التعقيب المعين في «النمل» في قوله: ﴿تَجْهَلُونَ﴾ [٥٥-٥٦] وفي «العنكبوت»: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَكَاحِكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا﴾ [العنكبوت: ٢٩] وكان التعقيبُ مبالغةً في الردِّ حيث لم يُمهَلوا في الجوابِ زماناً، بل أعجلوه بالجوابِ سرعةً وعَدَمَ اكتراثٍ بما يجاوبون به، ولم يطابق الجوابُ قوله؛ لأنه لمَّا أنكر عليهم الفاحشةَ وعظَّم أمرها، ونسبهم إلى الإسراف، بادروا بشيءٍ لا تعلقُ له بكلامه،

(١) اضطرب رسم الاسم في النسخ، والمثبت من (زا)، وهو الموافق لما في تفسير أبي الليث ١٣٧/٢، وتفسير الثعلبي ٣/٣٣٥، وجاء في تاريخ الطبري: ريثا ورعزيا، وفي البداية والنهاية ٤١٦/١: أريثا ودغوثا.

(٢) المحرر الوجيز ٤٢٥/٢.

وهو الأمر بالإخراج، ونظيره جواب قوم إبراهيم بأن قالوا: ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلَ الْهَتَكُمُ﴾ [الأنبياء: ٦٨] حين قَبَّحَ عليهم بقوله: ﴿أَفَبِ لَكُمُ وَلِيمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٧] فأتوا بجواب لا يطابق كلامه.

والقرية هي سدوم، سُميت باسم سدوم بن باقيم الذي يُضرب به المثل في الحكومات، هاجر لوط مع عمه إبراهيم من أرض بابل فنزل إبراهيم أرض فلسطين وأنزل لوطاً الأردن.

﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ﴾ [٨٧] قال ابن عباس ومجاهد: يتقدرون عن إتيان أدبار الرجال والنساء^(١).

وقيل: يأتون النساء في الأطهار.

وقال ابن بحر: يرتقبون أطهار النساء فيجامعونهنَّ فيها.

وقيل: يتنزهون عن فعلنا، وهو معنى قول ابن عباس ومجاهد.

وقيل: يغتسلون من الجنابة، ويتطهرون بالماء، عيروهم بذلك، ويسمى هذا النوع في علم البيان: التعريض بما يؤهم الذم وهو مدح، كقوله:

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم بهنَّ فلوؤُ من قِرَاعِ الكَتَائِبِ^(٢)
ولذلك قال ابن عباس: عابوهم بما يُمدح به^(٣).

والظاهر أنَّ قوله: «إنهم» تعليلٌ للإخراج، أي: لأنهم لا يُوافقونا على ما نحن عليه، ومَن لم يُوافقنا وَجَبَ أن نُخرجه.

وقال الزمخشري^(٤): وقولهم: «إنهم أناسٌ يتطهرون» سخرية بهم وبتطهريهم من

(١) أخرجه عنهما الطبري ٣٠٦/١٠-٣٠٧.

(٢) البيت للناطقة الذياني، وهو في ديوانه ص ١١.

(٣) لم نقف عليه عن ابن عباس رضي الله عنه، وأخرجه عبد الرزاق ٨٣/٢، والطبري ٣٠٧/١٠ عن قتادة.

(٤) في الكشاف ٩٢/٢-٩٣.

الفواحش، وافتخارٌ بما كانوا فيه من القذارة، كما يقول الشيطان^(١) من الفسقة لبعض الصُّلحاء إذا وعظهم: أبعِدوا عنا هذا المتقشِّف، وأريحونا من هذا المترهِّد.

﴿فَأَجْبَتُهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أي: فأنجيناها وأهلها من العذاب الذي حلَّ بقومه، و«أهلها» هم المؤمنون معه، أو ابتناه، على الخلاف الذي سبق، واستثنيت من أهلها امرأته فلم تنج، واسمها: واهلة، كانت منافقة تُسرُّ الكفر، مواليةٌ لأهل سدُوم.

ومعنى «من الغابرين»: من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا، وعلى هذا يكون قوله: «كانت من الغابرين» تفسيراً وتوكيداً لما تضمَّنه الاستثناء من كونها لم يُنجها الله تعالى.

وقال أبو عبيدة: «إلا امرأته» اكتفى به في أنها لم تنج، ثم ابتداء وصفها بعد ذلك بصفة لا تتعلق بها النجاة ولا الهلكة، وهي أنها كانت ممن أسنَّ وبقي من عصره إلى عصرٍ غيره، فكانت غابرةً، أي: متقدِّمة في السن، كما قال: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٧١] إلى أن هلكت مع قومها^(٢). انتهى.

وجاء: «من الغابرين» تغليباً للذكور على الإناث^(٣).

وقال الزجاج: من الغائبين عن النجاة، فيكون توكيداً لما تضمَّنه الاستثناء^(٤). انتهى.

و«كانت» بمعنى: صارت، أو: كانت في علم الله، أو باقيةً على ظاهرها من تقييد غُبورها بالزمان الماضي. أقوال.

(١) كذا في النسخ، والذي في الكشاف: الشطار، ومثله في حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ١٨٦/٤، وروح المعاني ٢٢١/٩.

(٢) هذا الكلام الذي عزاه المصنف لأبي عبيدة بعضه له وبعضه من كلام ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٢٥/٢، فمن قوله: اكتفى به، إلى قوله: ولا الهلكة، هو من كلام ابن عطية، وكان ابن عطية قد ذكر قبله عن أبي عبيدة قوله: ذكرها الله بأنها كانت ممن أسن... إلخ كما أورده المصنف، وهو بنحوه في مجاز القرآن ٢١٨/١ و٨٩/٢ و١١٥.

(٣) وهذا أيضاً من كلام أبي عبيدة، وهو بنحوه في مجاز القرآن ٢١٩/١ و١١٥/٢.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣٥٣/٢، دون قوله: فيكون توكيداً لما تضمَّنه الاستثناء.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ ضَمَّن «أمطرنا» معنى: أرسلنا، فلذلك عدَّاه «على» كقوله: ﴿فَأَمْطَرْنَا عَلَيْكَ حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] والمطرُ هنا هي حجارةٌ، وقد ذُكرت في غير آية، خُسِفَ بهم وأَمْطَرَتْ عليهم الحجارة^(١).

قيل: كانت المؤتفكةُ خمسَ مدائنَ. وقيل: ستٌّ. وقيل: أربعٌ. اقتلعها جبريلُ بجناحه فرفعها حتى سَمِعَ أهلُ السماءِ نهيقَ الحميرِ وصياحَ الديكةِ، ثم عكَّسها فردَّ أعلاها أسفلها وأرسلها إلى الأرض، وتبعَتْهم الحجارةُ مع هذا، فأهلكت من كان منهم في سفرٍ أو خارجاً عن البقاع المرفوعة، وقالت امرأةٌ لوط حين سمعت الرجة: واقوماه! والتفتت فأصابها صخرةٌ فقتلتها^(٢).

والظاهرُ أنَّ الإمطارَ شملهم كلَّهم، وقيل: خُسِفَ بأهل المدن وأمطرت الحجارةُ على المسافرين منهم.

وسُئل مجاهدٌ: هل سَلِمَ منهم أحدٌ؟ قال: لا، إلا رجلاً كان بمكة تاجراً، وقف الحجرُ له أربعين يوماً حتى قضى تجارته وخرج من الحرم، فأصابه فمات^(٣). وكان عددهم مئة ألف.

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [٨٤] خطابٌ للرسول، أو للسامع قصَّتْهم، كيف كان مآلُ مَنْ أجرم، وفيه اتِّعَاطٌ وازدجارٌ أن تسلك هذه الأمةُ هذا المسلكَ، و«المجرمين» عامٌّ في قوم نوحٍ وهودٍ وصالحٍ ولوطٍ وغيرهم.

وهو من نظر التفكُّر، أو من نظر البصر فيمن بقيت له آثارُ منازلٍ ومساكنٍ كشمودٍ وقومٍ لوطٍ، كما قال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّنْ مَّسْكِنِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٣٨].

(١) ينظر الآية (٨٢) من سورة هود، والآية (٧٤) من سورة الحجر، والآية (٣٣) من سورة الذاريات.

(٢) المحرر الوجيز ٤٢٦/٢، وينظر ما ورد في هذه القصة من روايات في تفسير الطبري ٥١٥-٥١٦ عن سعيد بن جبيرة، و٥٣٣-٥٣٧ عن مجاهد وقتادة والسدي ومحمد بن كعب القرظي، وكلها روايات عن التابعين.

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف ٩٣/٢ دون نسبة.

﴿وَأِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ قال
الفرّاء: «مدین» اسمُ بلدٍ وقطیر، وأنشد:

رهبان مُدینَ لو رأوكِ تنزّلوا^(١)

فعلى هذا؛ التقديرُ: وإلى أهلِ مدین.

وقيل: اسم قبيلة سُمّيت باسم أبيها مدین بن إبراهيم، قاله مقاتلٌ وأبو سليمان
الدمشقي^(٢).

و«شعيب» قيل: هو ابن بنتِ لوط. وقيل: زوجُ بنته^(٣). وهذه مناسبةٌ بين قصته
وقصة لوط.

و«شعيبٌ» اسمٌ عربيٌّ تصغيرُ شَعْبٍ أو شَعْبٍ^(٤)، والجمهورُ على أن «مدین»
أعجميٌّ، فإن كان عربيًّا احتمل أن يكون فَعِيلًا من مَدَنَ بالمكان: أقام به، وهو بناءٌ
نادر، وقيل: مُهْمَلٌ. أو مَفْعَلًا من «دان» فتصحیحُه شاد^(٥)، ك: مَرِيمَ وَمَكْوَرَةَ
وَمَطْيَبَةَ^(٦). وهو ممنوعُ الصّرفِ على كلِّ حالٍ، سواءً كان اسمَ أرضٍ أو اسمَ قبيلةٍ،
أعجميًّا أم عربيًّا.

واختلفوا في نسب شعيبٍ؛ فقال عطاء وابنُ اسحاق وغيرهما: هو شعيب بن

(١) معاني القرآن للفرّاء ٢/٢٩٩، وهذا صدر بيت لجبر، وهو في ديوانه ٣٠٨/١، وعجزه:
والعُضْمُ من شعف العقول الفادر. العصم: الوعول، والفادر: المُسِنَّ منها، والعقول:
المتحرزة في شعف الجبال، وشعف كل شيء أعلاه. قاله محمد بن حبيب شارح
الديوان.

(٢) زاد المسير ٣/٢٢٨، وقول أبي سليمان فيه: «مدین» هو ابن مديان بن إبراهيم. وبعضهم
جعل مدین ومديان واحداً؛ قال الآلوسي في روح المعاني ٩/٢٣٢: ومدین-وسمع:
مديان- في الأصل عَلَم لابن إبراهيم الخليل عليه السلام.

(٣) القولان في المحرر الوجيز ٢/٤٢٦.

(٤) قال الآلوسي في روح المعاني ٩/٢٣٢: «الشَّعْب» بفتح فسكون: اسم جبل، و«شعيب»
بكسر فسكون: الطريق في الجبل، واختير أنه - أي: اسم شعيب - وضع مرتجلاً هكذا.

(٥) أي: قياسه الإعلال، ك: متاع ومقام. ينظر الدر المصون ٥/٣٧٦، وروح المعاني ٩/٢٣٢.

(٦) ينظر المنصف لابن جني ١/٢٩٦، وشرح الشافية للرضي ٣/١٠٤-١٠٥. ومكوزة: عَلَمٌ
لرجل.

ميكيل بن يسجن^(١) بن مدين بن إبراهيم، واسمه بالسُّريانية: بيروت^(٢).

وقال الشَّرْقِيُّ بن قُطامي^(٣): شعيب بن عَنَقَا بن ثويب^(٤) بن مدين بن إبراهيم.

وقال أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن عليّ الطَّلْحِيّ الأصبهاني في «كتاب الإيضاح في التفسير»^(٥) من تأليفه: هو شعيب بن ثويب بن مدين بن إبراهيم.

وقيل: شعيب بن جزي بن يسجن^(٦) بن اللام بن يعقوب، وكذا قال ابن سمعان، إلا أنه جعل مكان اللام: لاوي^(٧)، ولا يُعرف في أولاد يعقوب: اللام،

(١) في النسخ عدا (زا): سجن، والمثبت من (زا)، وهو موافق في الرسم لما في تفسير الطبري ٣١٠/١٠، والبداية والنهاية ٤٢٧/١، وفيهما: يشجن، وأشير في حاشية الطبري لنسخة توافق ما في نسخ البحر غير (زا)، وجاء في كثير من المصادر: يشجر. ينظر تفسير الطبري ٥٥٤/١٢ (تحقيق محمود شاكر)، وعرائس المجالس ص ١٦٧، وتفسير القرطبي ٢٨١/٩، وتفسير ابن كثير عند هذه الآية؛ والإتقان للسيوطي ١٠٦٦/٦، وروح المعاني ٢٣٢/٩؛ ونقله النووي في تهذيب الأسماء ص ١٧٧ عن العرائس: تسخر.

(٢) كذا في النسخ، ومثله في نسخ القرطبي كما في حواشيه، وجاء في تفسير الطبري ٥٥٤/١٢ (تحقيق محمود شاكر)، والكامل لابن الأثير ١٥٧/١، وتفسير ابن كثير: يثرون، وفي مطبوع العرائس: يثرون، وفي مطبوع البداية والنهاية: يثرون. وفي تفسير الثعلبي ٤٩/٣، وروح المعاني ٢٣٣/٩: يثروب.

(٣) هو الوليد بن الحصين، والشرقي لقبه، والقطامي لقب والده، كان عالماً بالنسب وافر الأدب، ضم المنصورُ إليه المهديَّ ليأخذ من أدبه. ميزان الاعتدال ٢/٢٤٨، والأعلام ٨/١٢٠. وكلامه نقله النحاس في معاني القرآن ١٠١/٥، والقرطبي ٢٨١/٩، والسيوطي في الدر المنثور ١٠٢/٣ (وعزاه لابن عساكر)، والآلوسي في روح المعاني ٢٣٢/٩.

(٤) قيده السيوطي ونقله عنه الآلوسي: يُوْبَّب، بمشناة تحتية أوله، وبعدها واو وموحدتين بوزن جعفر، وكذا جاء في تفسير القرطبي، وجاء في معاني القرآن للنحاس ١٠١/٥: فويب. واسم أبيه عندهم: عَنَقَا.

(٥) وله أيضاً: التفسير الكبير، سماه: الجامع، والموضح في التفسير، والترغيب والترهيب، وغيرها، ويلقب: قوام السُّنة، روى عنه ابن عساكر، وأبو سعد السمعاني، وأبو موسى المدني، وآخرون، توفي سنة (٥٣٥هـ). طبقات المفسرين للداودي ١/١١٢.

(٦) في النسخ عدا (زا): سجن، والمثبت من (زا)، وسلف الكلام فيه.

(٧) كما في معاني القرآن للنحاس ١٠١/٥، وتفسير القرطبي ٢٨١/٩. وابن سمعان هو

فلعله تصحيفٌ من لاوي.

وقيل: شعيب بن صفوان بن عنقا بن ثويب بن مدين بن إبراهيم.

وقال الشريف النسابة الجوّاني، وهو المُنْتَهَى إليه في هذا العلم: هو شعيب بن ثويب^(١) بن حُبَيْش بن وائل بن مالك بن حَرَام بن جُذَام، واسمُه عامرٌ أخو لَحْم، وهما ولدا الحارث بن مُرَّة بن أُدَد بن زيد بن يشجب بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلَان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر هودٍ عليه السلام، فبينه وبين هود في هذا النسب الأخير ثمانية عشر أباً، وبينهما في بعض النسب المذكور سبعة آباء؛ لأنه ذُكِر فيه أنه شعيب بن ثويب بن مدين بن إبراهيم، وإبراهيم هو ابن تارح بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر وهو هود عليه السلام.

وكان يقال لشعيب: خطيب الأنبياء؛ لِحُسْنِ مَرَاجَعَتِهِ قَوْمَهُ^(٢).

قال قتادة: أرسل مرتين: مرّة إلى مدين، ومرّة إلى أصحاب الأيكة^(٣).

وتعلّق «إلى مدين» وانتصّب «أخاهم» بـ«أرسلنا»، وهذا يقوّي قول مَنْ نصب «لوطاً» بـ«أرسلنا» وجعلَه معطوفاً على الأنبياء قبله.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ قرأ الحسن: «آية من ربكم»^(٤)، وهذا دليلٌ على أنه جاء بالمعجزة، إذ كلُّ نبيٍّ لا بدُّ له من معجزة تدلُّ على صدقه، لكنه لم يعيّن هنا ما المعجزة، ولا من أيِّ نوع هي، كما أنه لرسول الله صلى الله عليه وآله معجزاتٌ كثيرةٌ جدًّا لم تعيّن في القرآن.

= عبد الله بن زياد بن سليمان بن سمان، أبو عبد الرحمن المدني، كذبه مالك، وقال أحمد: متروك. تهذيب التهذيب ٣٣٦/٢.

(١) قومه: بن ثويب، ساقط من (أ) و(د) و(ع).

(٢) أخرجه الطبري ٣٢٣/١٠ من طريق ابن إسحاق، عن يعقوب بن أبي سلمة، عن النبي صلى الله عليه وآله مرسلًا، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ٤٢٩/١ من حديث ابن عباس، وفيه إسحاق بن بشر، وهو متروك.

(٣) نه أُفِّد عليه عن قتادة، ورواه إسحاق بن بشر عن السدي وعكرمة، كما ذكر ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَحْمَدُ نَيْكَةً الْمُرْسِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٦].

(٤) لمحرر: نوحيز ٤٢٦/٢.

وقال قوم: كان شعيب نبياً ولم تكن له معجزة^(١)، والبينة هنا الموعظة.
وأنكر الزجّاج هذا القول، وقال: لا تُقبل نبوةٌ بغير معجزة^(٢)، ومن معجزاته
أنه دفع إلى موسى عصاه، وتلك العصا صارت تيناً.

وقال الزمخشري: ومن معجزات شعيب ما روي من محاربة عصا موسى التين
حين دفع إليه غنمه، وولادة الغنم الدُرْعَ خاصةً حين وَعَدَه أن يكون له الدُرْعُ من
أولادها، ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع، وغير ذلك من الآيات؛ لأن
هذه كلّها كانت قبل أن يُسْتَنبأ موسى ﷺ، فكانت معجزات لشعيب^(٣).

وقال الزجّاج: وأيضاً قال لموسى ﷺ: هذه الأغنام تلد أولاداً فيها سوادٌ
وبياض، وقد وهبها لك.

فكان الأمر كما أخبر عنه، وهذه الأحوال كلّها كانت معجزة لشعيب ﷺ؛
لأن موسى ﷺ في ذلك الوقت ما ادّعى الرسالة^(٤). انتهى

وما قاله الزمخشري متبوعاً فيه الزجّاج هو قول المعتزلة، وذلك أن الإرهاص -
وهو ظهور المعجزة على يد من سيصير نبياً ورسولاً بعد ذلك - مختلفٌ في جوازه،
فالمعتزلة تقول: هو غير جائز، فلذلك جعلوا هذه المعجزات لشعيب، وأهل السنة
يقولون بجوازه، فهي إرهاصٌ لموسى بالنبوة قبل الوحي إليه^(٥). والحجج للمذهبين
مذكورة في أصول الدين.

(١) في (أ) و(د) و(ع) والمطبوع: بيعة، بدل: معجزة.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣٥٣/٢.

(٣) الكشاف ٩٣/٢. وقوله: الدُرْعُ (بضم الدال وسكون الراء) هو جمع: أذرع أو ذرعاء، وهو
ما اسودّ رأسه وبيض سائر من الغنم والخيول. حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير
البيضاوي ١٨٨/٤.

(٤) لم أف عليه في معاني القرآن للزجاج، وعزاه الرازي في تفسيره ١٧٣/١٤ لصاحب
الكشاف، ولم أف عليه فيه.

(٥) هذا الكلام هو قول الرازي في تفسيره ١٧٣/١٤، وتعبه الآلوسي في روح المعاني ٢٣٥/٩
بقوله: نَظَر فيه الطيبي بأن الزمخشري قال في «آل عمران» في تكليم الملائكة ﷺ لمريم:
إنه معجزةٌ لزكريا، أو إرهاصٌ لنبوة عيسى ﷺ. ينظر الكشاف ٤٢٩/١.

﴿تَأْوِفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ أمرهم أولاً بشيءٍ خاصٍّ وهو إيفاء الكيل والميزان، ثم نهاهم عن شيءٍ عام وهو قوله: «أشياءهم»، والكيلُ مصدرٌ كُنِيَ به عن الآلة التي يُكَال بها، كقوله في «هود»: ﴿الْمِكْيَالُ وَالْمِيزَانُ﴾ [الآية: ٨٤] فطابق قوله: «والميزان»، أو هو باقٍ على المصدرية وأريدَ بالميزان المصدر-كالميعاد- لا الآلة، فتطابقاً، أو أخذ «الميزان» على حذف مضاف، أي: ووزن الميزان، والكيل على إرادة: كيل^(١) المكيال، فتطابقاً.

والبخسُ تقدّم شرحه في قوله: ﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٢٨٢] و«أشياءهم» عامٌّ في كلِّ شيءٍ لهم، وقيل: أموالهم. وقال التبريزي: حقوقهم. وفي إضافة الأشياء إلى الناس دليلٌ على ملكهم إياها، خلافاً للإباحية الزنادقة. كانوا يبخسون الناس في مبيعاتهم، وكانوا مكّاسين لا يدعون شيئاً إلا مكّسوه، ومنه قيل للمكّس: البّخس.

وروي أنهم كانوا إذا دخل الغريب بلدهم أخذوا دراهمه الجياد وقالوا: هي زُيوفٌ، ففقطعوها قطعاً، ثم أخذوها بنقصانٍ ظاهر وأعطوه بدلها زيوفاً، وكانت هذه المعصية قد فشت فيهم في ذلك الزمان، مع كفرهم الذي نالتهم الرجفة بسببه.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ تقدّم تفسير هذه الجملة قريباً في هذه السورة^(٢).

﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٨٥) الإشارة إلى إيفاء الكيل والميزان، وترك البّخس والإفساد، و«خير» أفعُلُ التفضيل، أي: من التطفيف والبّخس والإفساد؛ لأن خيرية هذه لكم عاجلةٌ جدّاً منقضيةٌ عن قريبٍ منكم؛ إذ يقطع الناس معاملتكم ويحذرونكم، فإذا أوفيتُم وتركتم البّخس والإفساد جُمِلت سيرتكم وحسنت الأحداثُ عنكم، وقصدكم الناس بالتجارات والمكاسب، فيكون ذلك أ خيرٌ مما كنتم تفعلون؛ لديمومة التجارة والأرباح بالعدل في المعاملات والتحلي بالأمانات.

(١) قوله: كيل، ساقط من (أ) و(د) و(ع) والمطبوع.

(٢) عند تفسير الآية (٥٦) منها.

وقيل: «ذلكم» إشارة إلى الإيمان الذي تضمّنه قوله: «اعبدوا الله مالكم من إله غيره»، وإلى تركِ البُخسِ في الكيل والميزان.

وقيل: «خير» هنا ليست على بابها من التفضيل، ولذلك فسره ابن عطية بقوله: أي: ذاك نافع عند الله مُكسِبٌ فوزَه ورضوانه^(١).

وظاهر قوله: «إن كنتم مؤمنين» أنهم كانوا كافرين، وعلى ذلك يدلُّ صدرُ الآية وآخِرُ القصة، فمعنى ذلك أنه لا يكون ذلك لكم خيراً ونافعاً عند الله إلا بشرط الإيمان والتوحيد، وإلا فلا ينفع عملٌ دون إيمان.

وقال الزمخشري: «إن كنتم مؤمنين»: إن كنتم مصدِّقين لي في قولي: «ذلكم خير لكم»^(٢).

﴿وَلَا تَقْعُدُوا يَكُلِّ صِرَاطِ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ الظاهر النهي عن القعود بكلِّ طريقٍ لهم عمّا كانوا يفعلونه من إبعاد الناسِ وصدّهم عن طريق الدّين.

قال ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي: كانوا يقعدون على الطرقات المفضية إلى شعيب فيتوعّدون من أراد المجيء إليه وصدّونه، ويقولون: إنه كذّابٌ فلا تذهب إليه، على نحو ما كانت قريشٌ تفعله مع رسول الله ﷺ^(٣).

وقال السّدي: هذا نهْيٌ عن العشارين والمتقبلين ونحوه من أخذِ أموال الناسِ بالباطل^(٤).

وقال أبو هريرة: هو نهْيٌ عن السّلب وقطع الطريق، وكان ذلك من فعلهم. وروى عن النبي ﷺ قال: «رأيتُ ليلةً أسري بي خشبةً على الطريق لا يمرُّ بها ثوبٌ إلا شقّته، ولا شيءٌ إلا خرّفته، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ فقال: هذا مثلُ لقومٍ من

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٢٦.

(٢) الكشاف ٢/٩٤.

(٣) المحرر الوجيز ٢/٤٢٧، وأخرجه عنهم بنحوه الطبري ١٠/٣١٣-٣١٤.

(٤) المحرر الوجيز ٢/٤٢٦، وأخرجه الطبري ١٠/٣١٤ مختصراً بلفظ: «ولا تقعدوا بكلِّ صراطٍ تُوعِدُونَ» قال: العشارون. وذكره القرطبي ٩/٢٨٣ بلفظ: كانوا عشارين متقبلين.

أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه، ثم تلا: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾^(١).

وهذا القول والقول الذي قبله فيه مناسبة لقوله: «ولا تبخسوا الناس أشياءهم»، لكن لا تظهر مناسبة لهما بقوله: «وتصدون عن سبيل الله من آمن به» بل ذلك يناسب القول الأول.

قال القرطبي: قال علماؤنا: ومثلهم اليوم هؤلاء المكاسون الذين يأخذون من الناس ما لا يلزمهم شرعاً من الوظائف المالية بالقهر والجبر، وضمنوا ما لا يجوز ضمان أصله من الزكوات والموارث والملاهي، والمترتبون في الطرق، إلى غير ذلك مما قد كثر في الوجود وعُمِلَ به في سائر البلاد، وهو من أعظم الذنوب وأكبرها وأفحشها، فإنه غصب وظلم وعسفت على الناس، وإذاعة للمنكر وعمل به دواً عليه وإقرار له، وأعظمه تضمين الشرع والحكم للقضاء، فإننا لله وإننا إليه راجعون، لم يبق من الإسلام إلا رسمه، ولا من الدين إلا اسمه. انتهى كلامه.

وقد قرن رسول الله ﷺ الأموال والأعراض بالدماء في قوله في حجة الوداع: «ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام»^(٢)، وما أكثر ما تساهل الناس في أخذ الأموال وفي الغيبة. وقال رسول الله ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد»^(٣).

والعجب إطباق من يتظاهر بالصلاح والدين والعلم على عدم إنكار هذه المكوس والضمانات، وأدعاء بعضهم أنه له تصرف في الوجود ودلائل على الله

(١) المحرر الوجيز ٤٢٦/٢، وتفسير القرطبي ٢٨٣/٩. ولم يذكر ابن عطية لفظ الحديث، وأخرجه الطبري ٣١٤/١٠ من طريق أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي هريرة أو غيره - شك أبو جعفر الرازي - قال: أتى النبي ليلة أسري به على خشبة... وهو قطعة من حديث طويل جداً أخرجه الطبري ٤٢٤/١٤-٤٣٥ في أول سورة الإسراء، وأورده ابن كثير في الموضع نفسه بتمامه ثم قال: وأبو جعفر الرازي قال فيه الحافظ أبو زرعة الرازي: يهيم في الحديث كثيراً، وقد ضعفه غيره أيضاً، ووثقه بعضهم والظاهر أنه سيء الحفظ، ف فيما تفرّد به نظر...، وينظر باقي كلامه ثمة.

(٢) أخرجه البخاري (٦٧) ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكره ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٨٠)، ومسلم (١٤١) من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ.

تعالى بحيث إنه يدعو فيستجاب له فيما أراد، ويضمّن لمن كان من أصحابه وأتباعه الجنة، وهو مع ذلك يتردّد لأصحاب المكوس ويتذلّل إليهم في نزع شيء حقير وأخذ من المكس الذي حصلوه، وهذه وقاحة لا تصدّر ممن سمّ راحة الإيمان، ولا تعلق بشيء من الإسلام، وقال بعض الشعراء:

تساوى الكلّ منّا في المساوي فأفضلنا فتيلاً ما يساوي

وعلى الأقوال السابقة يكون القعود بكلّ صراط حقيقة، وحمل القعود والصراط الزمخشريّ على المجاز، فقال: ولا تقتدوا بالشیطان في قوله: «لأقعدنّ لهم صراطكّ المستقيم» فتقعدوا بكلّ صراط، أي: بكلّ منهاج من منهاج الدّين، والدليل على أنّ المراد بالصراط سبيل الحقّ قوله: «وتصدّون عن سبيل الله» فإن قلت: صراط الحقّ واحد: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣] فكيف قيل: «بكلّ صراط» قلت: صراط الحقّ واحد ولكنه يتشعب إلى معارف وحدود وأحكام كثيرة مختلفة، فكانوا إذا رأوا واحداً يشرع في شيء منها أو وعدوه وصدّوه^(١). انتهى.

ولا تظهر الدلالة على أنّ المراد بالصراط سبيل الحقّ من قوله: «وتصدّون عن سبيل الله» كما ذكر، بل الظاهر التغيّر؛ لعموم «كلّ صراط» وخصوص «سبيل الله»، فيكون «بكلّ صراط» حقيقة في الطرق، و«سبيل الله» مجاز^(٢) عن دين الله.

والباء في «بكلّ صراط» ظرفية، نحو: زيد بالبصرة، أي: في كلّ صراط، و: في البصرة، والجمل من قوله: «توعّدون وتصدّون وتبغونها» أحوال، أي: مؤعدين وصادّين وباغين.

والإيعاد: ذكر إنزال المضارّ بالمؤعد، ولم يذكّر المؤعد به لتذهب النفس فيه كلّ مذهب من الشر؛ لأن «أوعد» لا يكون إلا في الشر، وإذا ذكّر تعدّى الفعل إليه بالباء؛ قال أبو منصور الجواليقي^(٣): إذا أرادوا أن يذكروا ما تهّدوا به مع

(١) الكشاف ٩٤/٢. ووقع في (أ) و(د) و(ع) والمطبوع: منعه، بدل: أوعدوه.

(٢) كذا في النسخ، والجملة: مجازاً.

(٣) نقله عنه تلميذه ابن الجوزي في زاد المسير ٢٢٩/٣. والجواليقي هو موهوب بن أحمد بن

«أَوْعَدْتُ» جاؤوا بالباء، فقالوا: أَوْعَدْتُهُ بالضرب، ولا يقولون: أَوْعَدْتُهُ بالضرب.
والصدُّ يمكن أن يكون حقيقةً في عدم التمكين من الذهاب إلى الرسول لِيَسْمَعَ
كلامه، ويمكن أن يكون مجازاً عن الإيعاد من الصادِّ بوجهٍ مَّا، أو عن وعد
المصدود بالمنافع على تركه.

و«مَنْ آمَنَ» مفعولٌ بـ«تصدُّون» على إعمال الثاني، ومفعول «تُوْعِدُونَ» ضميرٌ
«مَنْ» محذوفٌ، والضميرُ في «به» الظاهرُ أنه عائدٌ على «سبيل الله»، وذَكَرَهُ لِأَنَّ
السبيلَ تَذَكَّرُ وتَوَنَّنَتْ، وقيل: عائد على «الله».

وقال الزمخشري: فإن قلت: إلامَ يرجع الضمير في «آمَنَ به»؟ قلت: إلى «كلِّ
صراطٍ»، تقديره: تُوْعِدُونَ مَنْ آمَنَ به وتصدُّون عنه، فوضع الظاهرُ الذي هو «سبيل الله»
موضعَ الضمير زيادةً في تقييح أمرهم، ودلالةً على عظم ما يصدُّون عنه^(١). انتهى.

وهذا تعسَّفٌ في الإعراب لا يليقُ بأن يُحمل القرآن عليه؛ لما فيه من التقديم
والتأخير ووضع الظاهر موضعَ المُضَمَّر من غير حاجةٍ إلى ذلك، وَعَوْدُ الضمير على
أبعدِ مذكورٍ مع إمكان عَوْدِهِ على أقربِ مذكورِ الإمكانِ السائغِ الحسنِ الراجحِ،
وجعلِ «مَنْ آمَنَ» منصوباً بـ«تُوْعِدُونَ» فيصيرُ من إعمال الأول وهو قليلٌ، وقد قال
النحاة: إنه لم يَرِدْ في القرآن لِقَائِهِ، ولو كان من إعمال الأول لَلَزِمَ ذَكَرُ الضمير في
الفعل الثاني، وكان يكون التركيب: وتصدُّونه، أو: وتصدونهم، إذ هذا الضميرُ
لا يجوز حذفه على قول الأكثرين إلا ضرورةً، وعلى قول بعض النحاة يُحذف في
قليلٍ من الكلام، ويدل على أن «مَنْ آمَنَ» منصوبٌ بـ«تصدُّون» الآيةُ الأخرى، وهي
قوله: ﴿قُلْ يَتَأَهَّلِ الْكُفْرُ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ﴾ [آل عمران: ٩٩]،
فنصبه بـ«تُوْعِدُونَ» بعيدٌ، هذا ولا يُحذف مثلُ هذا الضمير إلا في شعرٍ، وأجاز
بعضهم حذفه على قلةٍ، هذا مع التكلُّفات^(٢) المضافة إلى ذلك، فكان جديراً بالمنع
لما في ذلك من التعقيد البعيد عن الفصاحة.

= محمد اللغوي النحوي إمام الخليفة المقتفي، أُلْف في العروض، وشرح أدب الكاتب،
وعمل كتاب «المعرب» وغيره، توفي سنة (٥٤٠هـ). السير ٨٩/٢٠.

(١) الكشاف ٩٤/٢.

(٢) في (ب) و(٣د) و(به): مع هذه التكلُّفات، بدل: هذا مع التكلُّفات.

وأجاز ابن عطية أن يعود على «شعيب» في قول من رأى القعود على الطريق للرد عن شعيب^(١)، وهذا بعيد؛ لأن القائل: «ولا تقعدوا» هو شعيب، فكان يكون التركيب: من آمن بي، ولا يسوغ هنا أن يكون التفاتاً، لو قلت: يا هند، أنا أقول لك: لا تهيني من أكرمته، تريد: من أكرمني، لم يصح.

وتقدم تفسير مثل قوله: «وتبغونها عوجاً» في «آل عمران»^(٢).

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فكَثَرْتُمْ﴾ قال الزمخشري: «إذ» مفعولٌ به غيرُ ظرف، أي: واذكروا على جهة الشكر وقت كونهم قليلاً عددكم فكثركم الله ووفر عددكم^(٣). انتهى.

وذكر غيرُه أنه منصوبٌ على الظرف، فلا يمكن أن يعمل فيه «واذكروا»؛ لاستقبال «اذكروا» وكون «إذ» ظرفاً لما مضى.

والقلة والتكثير هنا بالنسبة إلى الأشخاص، أو إلى الفقر والغنى، أو إلى قصر الأعمار وطولها. أقوالٌ ثلاثة أظهرها الأول.

قيل: إن مدين بن إبراهيم تزوج بنت لوط، فولدت، فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا وفشوا.

وقال الزمخشري: أو: كنتم أقلّةً أدلّةً فأعزّكم بكثرة العدد والعدد^(٤). انتهى، ولا ضرورة تدعو إلى حذف صفة وهي: أدلة، ولا إلى تحميل قوله: «فكثركم» معنى: بالعدد، ألا ترى أن القلة لا تستلزم الذلة، ولا الكثرة تستلزم العزّ، وقال الشاعر:

تعيّرنا أنا قليلٌ عديدنا فقلتُ لها إن الكرام قليلٌ
وما ضرّنا أنا قليلٌ وجارنا عزيزٌ وجار الأكرمين ذليلٌ^(٥)

وقيل: المراد مجموع الأقوال الأربعة، فإنه تعالى كثّر عددهم وأرزاقهم وطول أعمارهم وأعزّهم بعد أن كانوا على مقابلاتها.

(١) المحرر الوجيز ٤٢٧/٢.

(٢) عند تفسير الآية (٩٩) منها.

(٣) الكشف ٩٤/٢.

(٤) المصدر السابق.

(٥) البيتان للسموأل، وهما في ديوانه (مع ديوان عروة بن الورد) ص ٩٠.

﴿وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٨٦) هذا تهديدٌ لهم وتذكيرٌ بعاقبة من أفسد قبلهم، وتمثيلٌ لهم بمن حلَّ به العذاب من قوم نوح وهود وصالح ولوط، وكانوا قريبي عهدٍ بما أصاب المؤتفكة.

﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِأَلَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، وَطَائِفَةٌ لَّر يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (٨٧) هذا الكلام من أحسن ما تلطَّف به في المحاورَّة، إذ أبرز المتحقِّق في صورة المشكوك فيه، وذلك أنه قد آمن به طائفةٌ بدليل قول المستكبرين عن الإيمان: «لنُخرجنَّك يا شعيب والذين آمنوا معك»، وهو أيضاً من بارع التقسيم؛ إذ لا يخلو قومه من القسمين.

والذي أرسل به هنا ما أمرهم به من أفراد الله تعالى بالعبادة وإيفاء الكيل والميزان، ونهاهم عنه من البخس والإفساد والقعود المذكور، ومتعلِّق «لم يؤمنوا» محذوفٌ دلٌّ عليه ما قبله، وتقديره: لم يؤمنوا به، والخطابُ بقوله: «منكم» لقومه.

وينبغي أن يكون قوله «فاصبروا» خطاباً لفريقي قومه: مَنْ آمَنَ، وَمَنْ لم يؤمن، و«بيننا»، أي: بين الجميع، فيكون ذلك وعداً للمؤمنين بالنصر الذي هو نتيجة الصبر: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا﴾ [الأنعام: ٣٤]، ووعيداً للكافرين بالعقوبة والحسارة.

وقال ابن عطية: المعنى: وإن كنتم يا قوم قد اختلفتم عليَّ وشعبتم بكفركم أمري فأمنت طائفةٌ وكفرت طائفةٌ، فاصبروا أيها الكفرة حتى يأتي حكمُ الله بيني وبينكم، ففي قوله: «فاصبروا» قوة التهديد والوعيد، هذا ظاهرُ الكلام، وأنَّ المخاطبة بجميع الآية للكفار، قال النقَّاش: وقال مقاتل بن سليمان: المعنى: فاصبروا يا معشر الكفار. قال: وهذا قولُ الجماعة^(١). انتهى.

وهذا القولُ بدأ به الزمخشريُّ، فقال: «فاصبروا»: فترَبَّصوا وانتظروا «حتى يحكم الله بيننا»، أي: بين الفريقين بأن ينصُرَ المحقِّين على المُبطلين ويُظهِرَهم عليهم، وهذا وعيدٌ للكافرين بانتقام الله تعالى منهم، كقوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢]^(٢) انتهى.

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٢٧.

(٢) الكشاف ٢/٩٥.

وقال ابن عطية^(١): وَحَكَى منذر بن سعيد عن أبي سعيد^(٢) أَنَّ الخُطَابَ بقوله: «فاصبروا» للمؤمنين على معنى الوَعْدِ لهم، وقاله مقاتل بن حيان. انتهى.

وثنى به الزمخشريُّ فقال: أو هو موعظةٌ للمؤمنين وحثٌّ على الصبر واحتمالٌ ما كان يُلْحَقُهُم من أذى المشركين إلى أن يَحْكُمَ اللهُ بينهم وينتقمَ لهم منهم^(٣). انتهى.

والذي قَدَّمناه أولاً من أنه خطابٌ للفريقين هو قولُ أبي عليٍّ، وأتى به الزمخشريُّ ثالثاً فقال: ويجوزُ أن يكون خطاباً للفريقين، أي: ليصبر المؤمنون على أذى الكفار، وليصبر الكفار على ما يسوءهم من إيمانٍ مَنْ آمَنَ منهم، حتى يحكم اللهُ فيمَيِّزَ الخبيث من الطيب^(٤). انتهى، وهو جارٍ على عادته من ذِكْرِ تجویزاتٍ في الكلام تُؤهِمُ أنها من قوله، وهي أقوالٌ للعلماء المتقدمين.

«وهو خيرُ الحاكمين» لأن حُكْمَهُ عدلٌ لا يُخشى أن يكون فيه حَيْفٌ وجَوْرٌ.



﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِيهَا فِي مِائَتَةِ أَلْفٍ أَوْ أَكْثَرَ هَٰؤُلَاءِ سَمِعُوا مَا يُنَادِيهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٨٨﴾ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّسْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذْتُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِيمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَنْتَوُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَنَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَامَسَ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ

(١) في المحرر ٤٢٧/٢.

(٢) كذا في النسخ، والذي في المحرر: عن ابن عباس.

(٣) الكشاف ٩٥/٢.

(٤) المصدر السابق.

وَالضَّرَاءَ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ
 ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءَ وَالسَّرَّاءَ فَأَخَذْنَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا
 لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾
 أَتَأْمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأْمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ
 بَأْسُنَا ضُحًىٰ وَهُمْ يَلْمُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يُأْمِنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْفَوْمُ
 الْحَسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُمْ
 بِذُنُوبِهِمْ وَنَطَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا
 وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ
 اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ
 لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ
 كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَنْفِرْعُونَ إِلَيَّ رُسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ
 عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي
 إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْفَىٰ
 عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظِيرِ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ
 فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِكَ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ
 وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَا تَوَكُّ بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ
 قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا
 يَمْوَسِيٰٓءُ إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ وَإِنَّمَا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا
 أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَهْوَاهُمْ وَجَاءَهُمْ سِحْرٌ عَظِيمٌ ﴿١١٦﴾

المفردات

«عاد»: رَجَعَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ، وَتَأْتِي بِمَعْنَى: صَارَ، قَالَ:

تُعِدُّ فِيكُمْ جَزْرَ الْجَزُورِ رَمَاحُنَا وَيَرْجِعُنَ بِالْأَسْيَافِ مُنْكَسِرَاتٍ^(١)«ضُحًى» ظَرْفٌ مُتَصَرِّفٌ إِنْ كَانَ نَكْرَةً، وَغَيْرُ مُتَصَرِّفٍ إِذَا كَانَ مِنْ يَوْمٍ بَعِينِهِ^(٢)،

(١) البيت لامرأة من بني عامر كما في ديوان الحماسة (بشرح المرزوقي) ٧٤٩/٢، وفيه: ويمسكن بالأكباد منكسرات.

(٢) ومثال المتصرف: ضحاك ضُحًى مبارك، ومثال غير المتصرف: أتيتك يوم الجمعة ضُحًى.

وهو وقتُ ارتفاع الشمس إذا طلعت، وهو مؤنَّث، وشذوا في تصغيره فقالوا: ضَحِيٌّ بغير تاء التانيث، وتقول: أتيتُه ضحِيٌّ وضَحَاءً، إذا فتحت الضاد مَدَدْتَ. «الثُّعْبَانُ»: ذَكَرُ الحَيَّاتِ العَظِيمِ، أخذ من ثَعَبْتُ المكان: فَجَّرْتَهُ بالماء، والمَثْعَبُ: موضعُ انفجار الماء؛ لأن الثعبان يجري كالماء عند الانفجار. الإرجاء: التأخير.

المدينة معروفة، مشتقة من مَدَنَ فهي فعيلة، ومَن ذهب إلى أنها مَفْعَلَةٌ من «دان» فقولُه ضعيف؛ لإجماع العرب على الهمز في جمعها، قالوا: مدائن بالهمز، ولا يُحفظ فيه: مداين بالياء، ولا ضرورة تدعو إلى أنها مَفْعَلَةٌ، وَيَقْطَعُ بأنها فعيلة جمعُهم لها على فُعْلٍ، قالوا: مُدُنٌ، كما قالوا: صُحُفٌ، في صحيفة.

* * *

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيِنًا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مَلِيَّتِنَا﴾ أي: الكفار الذين استكبروا عن الإيمان أقسموا على أحد الأمرين: إخراج شعيب وأتباعه، أو عودتهم في ملتهم، والقسم يكون على فعل المُقْسِمِ وفعلٍ غيره، سوَّوا بين نفيه ونفي أتباعه وبين العود في الملة، وهذا يدلُّ على صعوبة مُفارقة الوطن؛ إذ قرنوا ذلك بالعود إلى الكفر. وفي الإخراج والعود طباقٌ معنويٌّ.

التفسير

و«عاد» كما تقدَّم لها استعمالان: أحدهما أن تكون بمعنى: صار، والثاني بمعنى: رَجَعَ إلى ما كان عليه، فعلى الأول لا إشكال في قوله: «أو لتعودنَّ» إذ صار فعلاً مسنداً إلى شعيب وأتباعه، ولا يدلُّ على أن شعيباً كان في ملتهم، وعلى المعنى الثاني يُشكَلُ؛ لأنَّ شعيباً لم يكن في ملتهم قط لكن أتباعه كانوا فيها.

= وعَرَّفَ السمين في الدر المصون ٣٩١/٥ المتصرف بأنه: ما لم يَرُدَّ به وقته من يوم بعينه، قال: وهذه العبارة أحسن من عبارة الشيخ (يعني أبا حيان)؛ لأنها تُؤمُّم أنه متى كان معرفة بأي نوع كان من أنواع التعريف فإنه لا يتصرف، وليس الأمر كذلك، قال تعالى: «والضحى»، وقال: «والشمس وضحاها»، كلاهما استعمل مجروراً بحرف القسم، مع أن الأول معرف به «أل»، والثاني بالإضافة.

وأجيب عن هذا بوجوه:

أحدها: أن يراد بَعُودُ شَعِيبٍ فِي الْمَلَّةِ حَالُ سَكَوْتِهِ عَنْهُمْ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ لَا حَالَةَ الضَّلَالِ، فَإِنَّه كَانَ يُخْفِي دِينَهُ إِلَى أَنْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ.

الثاني: أن يكون من باب تغليب حُكْمِ الْجَمَاعَةِ عَلَى الْوَاحِدِ، لَمَّا عَطَفُوا أَتْبَاعَهُ عَلَى ضَمِيرِهِ فِي الْإِخْرَاجِ سَخَبُوا عَلَيْهِ حُكْمَهُمْ فِي الْعَوْدِ وَإِنْ كَانَ شَعِيبٌ بَرِيئاً مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ أَتْبَاعُهُ قَبْلَ الْإِيمَانِ.

الثالث: أن رؤساءهم قالوا ذلك على سبيل التلبس على العامة، والإيهام أنه كان منهم.

﴿قَالَ أَوْلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ أي: أيقع منكم أحد هذين الأمرين على كل حال حتى في حال كراهيتنا لذلك، والاستفهام للتوقيف على شناعة المعصية بما أقسموا عليه من الإخراج عن مواطنهم ظلماً أو الإقرار بالعود في ملتهم.

قال الزمخشري: الهمزة للاستفهام، والواو واو الحال، تقديره: أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا، أو: مع كوننا كارهين^(١). انتهى.

فجعل الاستفهام خاصاً بالعود في ملتهم، وليس كذلك، بل الاستفهام هو عن أحد الأمرين: الإخراج أو العود، وجعل الواو واو الحال وقدره: أتعيدوننا في حال كراهتنا، وليست واو الحال التي يعبر عنها النحويون بواو الحال، بل هي واو العطف، عطفت على حال محذوفة، كقوله: «ردوا السائل ولو بظلف محرق» ليس المعنى: ردوه في حال الصدقة عليه بظلف محرق، بل المعنى: ردوه مصحوباً بالصدقة ولو مصحوباً بظلف محرق، وتقدم لنا إشباع القول في نحو هذا^(٢).

﴿قَدْ افترينا على الله كذباً إن عدنا في وليكم بعد إذ بئنا الله مناه﴾ هذا إخبار مقيد من حيث المعنى بالشرط، وجواب الشرط محذوف من حيث الصناعة، وتقديره: إن عدنا في ملتكم فقد افترينا، وليس قوله: «قد افترينا على الله كذباً» هو جواب

(١) الكشاف ٩٦/٢.

(٢) ينظر ما سلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَفْتَدَى بِذِهِ﴾ [آل عمران: ٩١]، وقد سلف الحديث في الموضوعين.

الشرط إلا على مذهبٍ مَنْ يُجيز تقديم جواب الشرط على الشرط، فيمكن أن يخرج هذا عليه .

وجوّزوا في هذه الجملة وجهين :

أحدهما أن تكون إخباراً مستأنفاً، قال الزمخشري: فيه معنى التعجب، كأنهم قالوا: ما أكذبتنا على الله إن عدنا في الكفر بعد الإسلام؛ لأن المرتدّ أبلغ في الافتراء من الكافر - يعني الأصلي - لأن الكافر مفترٍ على الله الكذب حيث يزعم أن الله ندأ ولا ند له، والمرتدُّ مثله في ذلك وزائدٌ عليه حيث يزعم أنه قد بُيّن له ما خفي عليه من التمييز ما بين الحقّ والباطل^(١). وقال ابن عطية: الظاهر أنه خبر، أي: قد كنّا نواقعُ أمراً عظيماً في الرجوع إلى الكفر^(٢).

والوجه الثاني: أن يكون قسماً على تقدير حذف اللام، أي: والله لقد افترينا، ذكره الزمخشري^(٣)، وأورده ابن عطية احتمالاً، قال: ويَحْتَمِلُ أن يكون على جهة القسم الذي هو في صيغة الدعاء، مثل قول الشاعر:

بَقَيْتُ وَفَرِي وانحرفتُ عن العلا ولقيتُ أضيافي بوجه عبوس
وكما تقول: افتريتُ على الله إن كَلَّمْتُ فلاناً^(٤).

ولم ينشد ابنُ عطية البيتَ الذي يقيدُ قوله: «بَقَيْتُ» وما بعده بالشرط، وهو قوله:

إن لم أشنَّ على ابن هندی غارةً لم تخلُ يوماً من زهابِ نفوس^(٥)
ولمّا كان أمرُ الدّين هو الأعظم عند المؤمن والمؤثر على أمر الدنيا لم يلتفتوا إلى الإخراج وإن كان أحد الأمرين اللذين أقسم على وقوعه الكفار، فقالوا: «قد

(١) الكشاف ٩٧/٢.

(٢) المحرر الوجيز ٤٢٨/٢.

(٣) في الكشاف ٩٧/٢.

(٤) المحرر الوجيز ٤٢٨/٢، واكتفى ابن عطية من البيت بأول كلمتين منه ولم يكمله، وينظر التعليق الذي بعده.

(٥) البيتان للأشتر النخعي، كما في ديوان الحماسة (بشرح المرزوقي) ١/١٤٩، والزاهر لابن الأنباري ١/٤٨٨، وأمالى القالي ١/٨٥، وخزانة الأدب لابن حجة الحموي ص ١٤٥.

افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم»، وتقدّم تفسيرُ العَوْدِ بالـصيرورة، وتأويلُهُ إن كان في معنى الرجوع إلى ما كان الإنسان فيه بالنسبة إلى النبيِّ المعصوم من الكبائر والصغائر.

﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ أي: وما ينبغي ولا يتهيأ لنا أن نعود في ملتكم، إلا أن يشاء الله ربُّنا فنعود فيها، وهذا الاستثناء على سبيل عَذْقِ جميع الأمور بمشيئة الله وإرادته، وتجويزُ العود من المؤمنين إلى ملتهم دون شعيب؛ لعصمته بالنبوة، فجرى الاستثناء على سبيل تغليب حُكم الجمع على الواحد وإن لم يكن ذلك الواحدُ داخلاً في حكم الجمع.

وقال ابن عطية: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ اسْتِثْنَاءَ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَعَبَّدَ اللَّهُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِمَّا يَفْعَلُهُ الْكُفْرَةُ مِنَ الْقُرْبَاتِ، فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ: إِنَّا لَا نَعُودُ فِي مَلَّتْكُمْ، ثُمَّ خَشِيَ أَنْ يَتَعَبَّدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِ الْكُفْرَةِ، فَيُعَارِضُ مُلْحَدٌ بِذَلِكَ وَيَقُولُ: هَذِهِ عَوْدَةٌ إِلَى مَلَّتْنَا، اسْتِثْنَى مَشِيئَةَ اللَّهِ فِيمَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَعَبَّدَ بِهِ^(١). انتهى.

وهذا الاحتمال لا يصح؛ لأنَّ قوله: «بعد إذ نجَّانا الله منها» إنما يعني النجاة من الكفر والمعاصي لا من أعمال البرِّ.

وقال ابن عطية: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِذَلِكَ مَعْنَى الاسْتِثْنَاءِ، كَمَا تَقُولُ: لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى يَشِيبَ الْغُرَابُ، وَحَتَّى يَلْبَحَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ، وَقَدْ عَلِمَ امْتِنَاعُ ذَلِكَ، فَهِيَ إِحَالَةٌ عَلَى مُسْتَحِيلٍ، وَهَذَا تَأْوِيلٌ إِنَّمَا هُوَ لِلْمُعْتَزِلَةِ الَّذِينَ مَذْهَبُهُمْ أَنَّ الْكُفْرَ وَالْإِيمَانَ لَيْسَا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا تَأْوِيلٌ حَكَاهُ الْمَفْسَّرُونَ وَلَمْ يَشْعُرُوا بِمَا فِيهِ^(٢). انتهى.

وقال الزمخشري: فَإِنْ قُلْتَ: وَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ: «وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ»، وَاللَّهُ تَعَالَى مُتَعَالٍ أَنْ يَشَاءَ رِدَّةَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَوْدَهُمْ فِي الْكُفْرِ؟ قُلْتَ: مَعْنَاهُ: إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ خِذْلَانَا وَمَنْعَنَا الْأَلْطَافَ لِعِلْمِهِ تَعَالَى أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ فِينَا، وَيَكُونُ عِبْتًا، وَالْعِبْتُ قَبِيحٌ لَا يَفْعَلُهُ الْحَكِيمُ، وَالِدَلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: «وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٢٨.

(٢) المصدر السابق.

شيءٍ علماً» أي: هو عالمٌ بكلِّ شيءٍ ممَّا كان ويكون، وهو تعالى يعلمُ أحوالَ عباده كيف تتحوَّلُ قلوبُهُم، وكيف تتقلَّبُ، وكيف تقسو بعد الرقة، وتمرضُ بعد الصحة، وترجع إلى الكفر بعد الإيمان، ويجوزُ أن يكون قوله: «إلا أن يشاء الله» حسماً لطمعهم في العود؛ لأنَّ مشيئة الله تعالى لعودهم في الكفر محالٌّ خارجٌ عن الحكمة^(١). انتهى، وهذان التأويلان على مذهب المعتزلة.

وقيل: هذا الاستثناء إنما هو تسليمٌ وتأدُّبٌ؛ قال ابن عطية: ويقلِّقُ هذا التأويلُ من جهة استقبال الاستثناء، ولو كان الكلام: إن شاء، قَوِيَ هذا التأويلُ. انتهى.

وليس يَقْوَى هذا التأويلُ؛ لا فَرْقَ بين: «إلا أن يشاء»، وبين: «إلا إن شاء»، لأنَّ «إن» تخلَّصُ الماضي للاستقبال كما تخلَّصُ «أن» المضارع للاستقبال، فكِلَا الفعلين مستقبلٌ.

وأبعدَ مَنْ ذهب إلى أن الضمير في «فيها» يعود على القرية لا على الملة.

﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ تقدَّم تفسيرُ نظيرها في «الأنعام»^(٢) في قصة إبراهيم عليه السلام.

﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ في دفع ما توعدُّثموننا به، وفي حمايتنا من الضلال، وفي ذلك استسلامٌ لله وتمسُّكٌ بلطفه، وذلك يؤيِّد التأويل الأول في «إلا أن يشاء الله».

وقال الزمخشري: يثبُّنا على الإيمان ويوفِّقنا لزيادة الإيقان^(٣).

﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾^(٤) أي: احكم، والفتاح والفتاح: القاضي بلغة حمير، وقيل: بلغة مراد، وقال بعضهم:

ألا أبلغ بني عُضْمِ رسولاً فلإني عن فتاحكم غني^(٤)

(١) الكشاف ٩٦/٢.

(٢) الآية (٨٠) منها.

(٣) الكشاف ٩٦/٢.

(٤) اختلف في روايته وفي نسبه اختلافاً كثيراً، وهو في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٢٠/١، وإصلاح المنطق ص ١٢٦ (وفيه: بني عمرو)، وتفسير الطبري ١٥٠/٢ و ٣٢٠/١٠، والزاهر لابن الأنباري ٩٣/١ و ٤٨٧، وأمالي القالي ٢/٢٨١، والصحاح واللسان (رسل)، وفيهما:

وقال ابن عباس: ما كنتُ أعرفُ معنى هذه اللفظة حتى سمعتُ بنتَ ذي يزن تقول لزوجها: تعال أفاتحك^(١)، أي: أحاكمك.

وقال الفراء: أهلُ عُمانَ يسمُّونَ القاضي: الفاتح^(٢).

وقال السدي وابن بحر: احكم بيننا^(٣).

قال أبو إسحاق: وجائز أن يكون المعنى: أظهر أمرنا حتى يفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف ذلك، وذلك بأن يُنزل بعدوهم من العذاب ما يظهرُ به أن الحقَّ معهم^(٤).

قال ابن عباس: كان كثير الصلاة، فلمَّا طال تمادي قومه في كفرهم ويئس من صلاحهم دعا عليهم، فاستجاب دعاءه وأهلكهم بالرجفة^(٥).

= ألا أبلغ أبا عمرو...، وعزاه صاحب اللسان للأسعر الجعفي، وهو في اللسان والتاج (فتح) برواية: ألا من مبلِّغُ عمراً...، وذكره ابن دُرَيْد في الجمهرة ٤/٢، وصدده فيه: ألا أبلغ بني بكر بن عبد، وعزاه للأعشى، وليس في ديوانه. وقال السيرافي في شرح أبيات إصلاح المنطق ص ٢٨٢: وجدت هذا البيت للشويعر الجعفي -واسمه محمد بن حُمران- على خلاف ما رواه يعقوب، وهو:

أبلغ بني عُضْم فلإنَّـي عن فتاحتكم غني
لا أسرتي قللت ولا خالي لخالك مقتوي
قلت: والبيت الأول في الوحشيات (الحماسة الصغرى) لأبي تمام ص ٤٦ مطلع قصيدة لمحمد بن حمران برواية:

أبلغ بني حُمران أني عن عداوتكم غني

والشويعر الجعفي هو محمد بن حُمران بن أبي حمران، وهو ابن أخي الأسعر الجعفي، وممن سمي محمداً في الجاهلية، والأسعر اسمه: مرثد بن حمران بن أبي حمران. ينظر المؤلف والمختلف ص ٥٨ و ٢٠٨.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٦٦٠٠)، والطبري ١٠/٣٢٠-٣٢١.

(٢) معاني القرآن للفراء ١/٣٨٥، وزاد: والفتَّاح.

(٣) أخرجه عن السدي الطبري ١٠/٣٢١.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٢/٣٥٨.

(٥) عرائس المجالس ص ١٦٧-١٦٨، وتفسير القرطبي ٩/٢٨٦.

وقال الحسن: إن كلَّ نبيٍّ أراد الله تعالى هلاك قومه أمره بالدعاء عليهم، ثم استجاب له فأهلكهم^(١).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَيْرُونَ﴾^(٢) أي: قال بعضهم لبعض، أي: كُبرائهم لأتباعهم تثبيطاً عن الإيمان: لئن اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا فيما أمركم به ونهاكم عنه.

قال الزمخشري: فإن قلت: ما جواب القسم الذي وطأته اللام في «لئن اتبعتم»، وجواب الشرط؟ قلت: قوله: «إنكم إذا لخاسرون» ساد مسدَّ الجوابين^(٣). انتهى.

والذي يقول النحويون: إنَّ جوابَ الشرط محذوفٌ لدلالة جواب القسم عليه، ولذلك وَجَبَ مُضِيٌّ فعل الشرط، فإن عَنَى الزمخشريُّ بقوله: سادَّ مسدَّ الجوابين، أنه اجْتَزَى به عن ذكر جواب الشرط فهو قريبٌ، وإن عَنَى به أنه من حيث الصناعة النحوية فليس كما زعم؛ لأن الجملة يمتنع أن تكون لا موضع لها من الإعراب وأن يكون لها موضعٌ من الإعراب.

و«إذا» هنا معناها التوكيد، وهي الحرف الذي هو جوابٌ، ويكون معه الجزاء وقد لا يكون. وزعم بعضُ النحويين أنها في هذا الموضع ظرفٌ، العاملُ فيه «لخاسرون»، والنونُ عوضٌ من المحذوف، والتقدير: إنكم إذا اتَّبَعْتُمُوهُ لخاسرون، فلَمَّا حُذِفَ ما أُضِيفَ إليه عوضٌ من ذلك النونُ، فصَادَقَتِ الألفُ فالتقى ساكنان، فحذفت الألفُ لالتقائهما، والتعويضُ فيه مثلُ التعويض في «يومئذ» و«حينئذ» ونحوه. وما ذهب إليه هذا الزاعمُ ليس بشيء؛ لأنه لم يَثْبُتِ التعويضُ والحذفُ في «إذا» التي للاستقبال في موضعٍ فيُحْمَلُ هذا عليه^(٣).

«لخاسرون» قال ابن عباس: مغبونون. وقال عطاء: جاهلون. وقال الضحاك: عَجَزَةٌ^(٤).

(١) المحرر الوجيز ٤٢٩/٢.

(٢) الكشاف ٩٧/٢.

(٣) وللسمين هنا تعقب على المصنف رأيت عدم ذكره خوف الإطالة، فمن أراداه فليطلبه في الدر المصون ٣٨٤/٥.

(٤) تفسير الثعلبي ٥١/٣، وتفسير البغوي ١٨٢/٢، وتحرف: عجزة، في مطبوع الثعلبي إلى: فجرة. وتحرف: جاهلون، في مطبوع البغوي إلى: جاهدون.

وقال الزمخشري: «لخاسرون» لاستبدال الكم الضلالة بالهدى؛ كقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَشْرَوُا أَسْلَدَهُ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَّحَتْ بِمَحَرَّتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦] وقيل: تخسرون بأتباعه فوائد البُخس والتطفيف؛ لأنه ينهاكم عنها ويحملكم على الإيفاء والتسوية^(١). انتهى.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنُودًا﴾ (٩١) ﴿تَقَدَّمَ تَفْسِيرٌ مِثْلُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ﴾^(٢).

قال ابن عباس وغيره: لَمَّا دَعَا عَلَيْهِمْ فَتَحَ عَلَيْهِمْ بَابٌ مِنْ جَهَنَّمَ بِحَرِّ شَدِيدٍ أَخَذَ بِأَنْفُسِهِمْ، فَلَمْ يَنْفَعَهُمْ ظِلٌّ وَلَا مَاءٌ، فَإِذَا دَخَلُوا الْأَسْرَابَ لِيَتَبَرَّدُوا وَجَدُوهَا أَشَدَّ حَرًّا مِنَ الظَّاهِرِ، فَخَرَجُوا هَرَبًا إِلَى الْبَرِيَّةِ فَأَظْلَمَتْهُمْ سَحَابَةٌ فِيهَا رِيحٌ طَيِّبَةٌ، فَتَنَادُوا: عَلَيْكُمْ الظُّلَّةُ، فَاجْتَمَعُوا تَحْتَهَا كُلُّهُمْ، فَانطَبقت عليهم وألهبها الله ناراً ورجفت بهم الأرض، فاحترقوا كما يحترقُ الجرادُ المَقْلُوءُ، فصاروا رماداً^(٣).

وَرُوي أَنَّ الرِّيحَ حُبِسَتْ عَنْهُمْ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ سَلَطَ عَلَيْهِمُ الحَرَّ.

وقال يزيد الجُرَيْرِيُّ: سَلَطَ عَلَيْهِمُ الرِّيحُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ رُفِعَ لَهُمْ جَبَلٌ مِنْ بَعِيدٍ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ إِذَا تَحْتَهُ أَنْهَارٌ وَعِيُونٌ، فَاجْتَمَعُوا تَحْتَهُ كُلُّهُمْ، فَوَقَعَ ذَلِكَ الجَبَلُ عَلَيْهِمْ.

وقال قتادة: أُرْسِلَ شَعِيبٌ إِلَى أَصْحَابِ الْأَيْكَةِ فَأَهْلَكُوا بِالظُّلَّةِ، وَإِلَى أَصْحَابِ مَدِينٍ فَصَاحَ بِهِمْ جَبْرَيْلُ صَيِّحَةً فَهَلَكُوا جَمِيعاً^(٤).

وقال ابن عطية^(٥): وَيَحْتَمَلُ أَنَّ فِرْقَةً مِنْ قَوْمِ شَعِيبٍ هَلَكَتْ بِالرَّجْفَةِ وَفِرْقَةً هَلَكَتْ بِالظُّلَّةِ، قَالَ الطَّبْرِيُّ^(٦): بَلْغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: عَمْرُو بْنُ جَلْهَاءَ، لَمَّا رَأَى الظُّلَّةَ قَالَ:

(١) الكشف ٩٧/٢.

(٢) عند تفسير الآية (٧٨) من هذه السورة.

(٣) عرائس المجالس ص ١٦٨، وتفسير البغوي ١٨٢/٢. وأخرج نحوه الطبري ٣٢٤/١٠ عن ابن إسحاق.

(٤) ذكر هذه الأقوال البغوي ١٨٢/٢، والقرطبي ٧٥/١٦، وقول الجريري أخرجه الثعلبي في التفسير ٤٦٢/٤، وتحرف «يزيد» في مطبوعه إلى: برد، ولفظه عندهم جميعاً: سلط عليهم الحر، بدل: سلط عليهم الريح.

(٥) في المحرر الوجيز ٤٢٩/٢-٤٣٠.

(٦) في تفسيره ٣٢٣/١٠-٣٢٤، والكلام من المحرر.

يا قوم إنَّ شعيباً مرسلٌ فذرُوا
عنكم سُميراً وعِمْرانَ بنَ شدَّادٍ
إني أرى غيمَةً يا قوم قد طلعتُ
تدعو بصوتٍ على صَمَانَةِ الوادي
وإنه لن تَرَوْا فيها ضَحَاءَ غدٍ
إلا الرقيمَ يُمَثِّي بين أنجاد

سُمَيْرَةُ وَعِمْرَانُ: كَاهِنَاهُم، وَالرَّقِيمُ: كَلْبُهُمْ. وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ: أَبُو جَادٍ،
وَهُوَ زُرٌّ، وَحُطَيٌّ، وَكَلْمُنٌ وَسَعْفَصٌ، وَقُرِشَتْ، أَسْمَاءُ مَلُوكِ مَدِينٍ، وَكَانَ «كَلْمُنٌ»
مَلِكُهُمْ يَوْمَ نَزُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ زَمَانَ شُعَيْبٍ ﷺ، فَلَمَّا هَلَكَ قَالَتْ ابْنَتُهُ ^(١) تَبْكِيهِ:

كَلْمُنٌ قَدْ هَدَّ رُكْنِي
هُلْكُهُ وَسَطَ الْمَحَلَّةِ
سَيِّدُ الْقَوْمِ أَتَاهُ
حَثْفٌ نَارٍ وَسَطَ ظُلَّةِ
جَعَلْتُ نَارًا عَلَيْهِمْ
دَارَهُمْ كَالْمُضْمَحَلَّةِ

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْتَوْا فِيهَا﴾ أَي: كَأَن لَّمْ يُقِيمُوا نَاعِمِي الْبَالِ رَجِيئِي
الْعَيْشَ فِي دَارِهِمْ، وَفِيهَا قُوَّةُ الْإِخْبَارِ عَنْ هَلَاكِهِمْ وَحُلُولِ الْمَكْرُوهِ بِهِمْ، وَالتَّنْبِيهِ
عَلَى الْإِعْتِبَارِ بِهِمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَقْرَأْ بِالْأَمْنِيِّ﴾ [يونس:
٢٤] وَكَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

كَأَن لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجُّونِ إِلَى الصَّفَا
أَنْيَسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرٌ ^(٢)
وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ ^(٣): وَ: غَنِيْتُ فِي الْمَكَانِ، إِنَّمَا يُقَالُ فِي الْإِقَامَةِ الَّتِي هِيَ مَقْتَرَنَةٌ
بِتَنْعُمٍ وَعَيْشٍ رَضِيٍّ، هَذَا الَّذِي اسْتَقْرَيْتُ مِنَ الْأَشْعَارِ الَّتِي ذَكَرَتْ الْعَرَبُ فِيهَا هَذِهِ
الْلَفْظَةَ، وَأَنْشَدَ عَلَى ذَلِكَ عِدَّةَ آيَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: وَأَمَّا قَوْلُ الشَّاعِرِ:
عَنِينَا زَمَانًا بِالتَّصْعَلِكِ وَالغِنَى فَكَلًّا سَقَانَاهُ بِكَأْسِيهِمَا الدَّهْرُ ^(٤)

(١) كَذَا فِي النِّسْخِ، وَالَّذِي فِي الطَّبْرِيِّ وَالْمَحْرَرِ: أَخْتُهُ.

(٢) الْبَيْتُ لِمُضَاضِ بْنِ عَمْرٍو الْجَرَهْمِيِّ، وَهُوَ فِي جَمَهْرَةِ أَشْعَارِ الْعَرَبِ ٨٣/١، وَالْأَغَانِي ١٨/١٥،
وَمَعْجَمُ الْبِلْدَانِ ٢٢٥/٢، وَفِيهِ: الْحَجُّونُ: جَبَلٌ بِأَعْلَى مَكَّةَ عِنْدَهُ مَدَافِنُ أَهْلِهَا، وَالصَّفَا:
أَحَدُ الْجَبَلَيْنِ الْمَشْهُورَيْنِ، وَهُمَا الصَّفَا وَالْمَرْوَةُ بَيْنَ بَطْحَاءِ مَكَّةَ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.

(٣) فِي الْمَحْرَرِ الْوَجِيزِ ٤٣٠/٢.

(٤) الشَّعْرُ لِحَاتِمِ الطَّائِي، وَهُوَ فِي دِيْوَانِهِ ص ٥١ بِرَوَايَةٍ:

عَنِينَا زَمَانًا بِالتَّصْعَلِكِ وَالغِنَى
كَمَا الدَّهْرُ فِي أَيَّامِهِ الْعُسْرُ وَالْيُسْرُ
كَسِينَا صُرُوفَ الدَّهْرِ لِينًا وَغِلْظَةً
وَكَأَلَّا سَقَانَاهُ بِكَأْسِيهِمَا الدَّهْرُ

فمعناه: اسْتَغْنَيْنَا وَرَضِينَا، مع أَنَّ هذه اللفظة ليست مقترنةً بمكانٍ. انتهى.

قال ابن عباس: كَأَنَّ لم يعمروا^(١).

وقال قتادة: كَأَنَّ لم يَنعموا^(٢).

وقال الأخفش: كَأَنَّ لم يعيشوا^(٣).

وقال أيضاً قتادة وابن زيد ومقاتل: كَأَنَّ لم يكونوا^(٤).

وقال الزجاج: كَأَنَّ لم ينزلوا^(٥).

وقال ابن قتيبة: كَأَنَّ لم يُقيموا^(٦).

و«الذين» مبتدأ، والجملة التشبيهية خبره. قال الزمخشري^(٧): وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص، كأنه قيل: الذين كَذَّبوا شعيباً المخصوصون^(٨) بأنَّ أهلكوا واستؤصلوا كَأَنَّ لم يُقيموا في دارهم، لأنَّ الذين اتَّبَعوا شعيباً قد أنجاهم الله تعالى. انتهى.

وجوّز أبو البقاء أن يكون الخبر: «الذين كَذَّبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين»، و«كَأَنَّ لم يغنوا» حالٌّ من الضمير في «كَذَّبوا»، وجوّز أيضاً أن يكون «الذين كذبوا» صفةً لقوله: «الذين كفروا من قومه» وأن يكون بدلاً منه، وعلى هذين الوجهين يكون «كَأَنَّ» حالاً^(٩). انتهى.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٠٥٢/٦ من طريق الضحاك عنه. وأخرجه الطبري ٣٢٦/١٠ من

طريق علي بن أبي طلحة عنه بلفظ: كَأَنَّ لم يعيشوا فيها.

(٢) أخرجه عبد الرزاق ٢٣٣/١، والطبري ٣٢٦/١٠، وابن أبي حاتم ٢٠٥٣/٦.

(٣) النكت والعيون ٢/٢٤١، وزاد المسير ٣/٢٣٢، وهو قول ابن عباس من رواية علي بن أبي طلحة كما ذكرنا قريباً.

(٤) زاد المسير ٣/٢٣٢ عن ابن زيد ومقاتل، وأخرجه عنه ابن زيد الطبري ٣٢٦/١٠.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٢/٣٥٨، وزاد المسير ٣/٢٣٣.

(٦) تفسير غريب القرآن ص ١٧٠، والنكت والعيون ٢/٢٤١.

(٧) في الكشف ٢/٩٧.

(٨) في الكشف: هم المخصوصون، ومثله في الدر المصون ٥/٣٨٦، وهي أوضح من عبارة المصنف.

(٩) الإملاء ١/٢٨٠.

وهذه أوجهٌ متكلفَةٌ، والظاهرُ أنها جملٌ مستقلةٌ لا تعلقٌ لها بما قبلها من جهة الإعراب.

﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٩١) هذا أيضاً مبتدأٌ وخبرٌ، وقال الزمخشري^(١): وفيه معنى الاختصاص، أي: هم المخصوصون بالخسران العظيم دون أتباعه فإنهم هم الراحون، وفي هذا الاستئناف للابتداء^(٢) وهذا التكرير مبالغةٌ في ردِّ مقالة الملام لأشياعهم، وتسفيهٌ لرأيهم، واستهزاءٌ بنُصيحهم لقومهم، واستعظامٌ لما جرى عليهم. انتهى.

وهاتان الجملتان مُنبئتان عمّا فعلَ الله بهن في مقاتلتهن؛ قالوا: «لنخرجنك يا شعيب»، فجاء الإخبار بإخراجهم بالهلاك، وأيُّ إخراجٍ أعظمٌ من إخراجهم؟ وقالوا: «لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذا لخاسرون» فحكّم تعالى عليهم هم بالخسران.

وأجاز أبو البقاء في إعراب «الذين» هنا أن يكون بدلاً من الضمير في «يغنون»، أو منصوباً بإضمار أعني^(٣)، والابتداء الذي ذكرناه أقوى وأجزل.

﴿فَنَوَلُّوْا عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ تقدّم تفسير نظيره في قصة صالح عليه السلام.

﴿فَكَيْفَ ءَأَسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ (٩٢) أي: فكيف أحزنٌ على من لا يستحقُّ أن يُحزن عليه، ونبّه على العلة التي لا تبعثُ على الحزن وهي الكفر؛ إذ هو أعظم ما يعادى به المؤمن؛ إذ هما نقيضان كما جاء: «لا تتراءى ناراهما»^(٤).

وكانه وجد في نفسه رقةً عليهم حيث كان أمله فيهم أن يؤمنوا فلم يقدر، فسرى

(١) في الكشاف ٩٧/٢.

(٢) في (أ) و(د) و(ع): لهذا الابتداء. وفي الكشاف: والابتداء، ومثله في حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ١٩٣/٣ نقلاً عن الكشاف.

(٣) الإملاء ٢٨٠/١.

(٤) أخرجه أبو داود (٢٦٤٥)، والترمذي (١٦٠٤) من طريق قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله، عن النبي ﷺ، وأخرجه الترمذي (١٦٠٥)، والنسائي ٣٦/٨ من طريق قيس عن النبي ﷺ مرسلًا، وهو أصح كما قال الترمذي إثره، ونقل ذلك في العلل ٦٨٦/٢ عن البخاري.

ذلك عن نفسه باستحضار سبب التسلي عنهم والقسوة عليهم، فذكر أشنع ما ارتكبه معه من الوصف الذي هو الكفر بالله الباعث على تكذيب الرسل، وعلى المناوأة الشديدة حتى لا يساكنوه وتوعدوه بالإخراج وبأشد منه وهو عودهم إلى ملتهم. قال مكي: وسار شعيب بمن تبعه إلى مكة فسكنوها^(١).

وقرأ ابنُ وثَّاب وابنُ مصرِّف والأعمش: «إيسى» بكسر الهمزة، وهي لغة تقدّم ذكرها في «الفتاحة»^(٢).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾^(٣)
لما ذكر تعالى ما حلَّ بالأمم السالفة من بأسه وسطوته عليهم آخر أمرهم حين لا تُجدي فيهم موعظة، ذكر تعالى أنَّ تلك عادته في أتباع الأنبياء إذا أصرُّوا على تكذيبهم.

وجاء بعد «إلا» فعلٌ ماضٍ وهو «أخذنا»، ولا يليها فعلٌ ماضٍ إلا إن تقدّم فعلٌ أو أصحب بـ«قد»، فمثالٌ ما تقدّمه فعلٌ هذه الآية، ومثالٌ ما أصحب «قد» قولك: ما زيدٌ إلا قد قام.

والجملة من قوله: «أخذنا» حالية، أي: إلا آخذين أهلها، وهو استثناء مفرغٌ من الأحوال، وتقدّم تفسيرٌ نظيرٌ قوله: «إلا أخذنا» إلى آخره^(٣).

﴿ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ أي: مكان الحالة السيئة من البأساء والضراء الحال الحسنه من السراء والنعمة.

قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة: مكان الشدة الرخاء^(٤).

وقيل: مكان الشرِّ الخير^(٥).

(١) المحرر الوجيز ٤٣١/٢، ورُوي هذا عن وهب بن منبه كما في أخبار مكة للأزرقي ٧٣/١-٧٤، وتفسير القرطبي ٤٠١/٢، وفيه أنهم ماتوا هناك، وقبورهم في غربي الكعبة.

(٢) عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، والقراءة هنا ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٤٥، وابن عطية في المحرر ٤٣١/٢.

(٣) عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْتَهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢].

(٤) النكت والعيون ٢/٢٤٢، وأخرجه الطبري ٣٢٩/١٠-٣٣٠ عن ابن عباس وقتادة.

(٥) أخرجه الطبري ٣٢٩/١٠ عن مجاهد.

و«مكان» و«الحسنة» مفعولا «بَدَّلَ»، و«مكان» هو محلُّ الباء، أي: بمكان السيئة، وفي لفظ «مكان» إشعارٌ بتمكُّن البأساء منهم، كأنه صار للشدة عندهم مكانٌ. وأعرَب بعضهم «مكانَ» ظرفاً، أي: في مكان.

﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾ أي: كَثُرُوا وتناسلوا، وقال مجاهد: كَثُرَتْ أموالُهُم وأولادُهُم.

وقال ابن بحر: حتى أعرضوا، من: عفا عن ذنبه، أي: أعرَضَ عنه.

وقال الحسن: سَمِنُوا.

وقال قتادة: سُرُوا بكثرتهم^(١).

وذلك استدراجٌ منه لهم؛ لأنه أخذهم بالشدة لِيَتَعَطَّوا ويزدَجِرُوا فلم يفعلوا، ثم أخذهم بالرخاء ليشكروا.

﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّ وَالسَّرَّ﴾ أبطرتهم النعمة وأشروا، فقالوا: هذه عادةُ الدهر: ضراءٌ وسراءٌ، وقد أصاب آباءنا مثلُ ذلك، وليس ذلك بابتلاءٍ وقصدٍ بل ذلك بالاتفاق، لا على ما تُخْبِرُ الأنبياء، جعلوا أسلافهم وما أصابهم مثلاً لهم ولما يصيبهم، فلا ينبغي أن ننكِرَ هذه العادة من أفعال الدهر.

﴿فَأَخَذْنَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ تقدم الكلام على مثل هذه^(٢)، لَمَّا فَسَدُوا على التقديرين^(٣) أخذوا هذا الأخذ.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: لو كانوا ممن سَبَقَ في علم الله أن يتلبَّسوا بالإيمان بما جاءت به الأنبياء وبالطاعات التي هي ثمرةُ الإيمان لتيسرَ لهم من بركات السماء، ولكن كانوا ممن سَبَقَ في علمه أنهم يكذبون الأنبياء فيؤخذون باجترامهم،

(١) ينظر تفسير الطبري ١٠/٣٣٠-٣٣١، والنكت والعيون ٢/٢٤٢، وقول قتادة فيهما: حتى سروا، ليس فيه كلمة: بكثرتهم، لكن ذكر الطبري أنه لا يُعرف العفو بمعنى السرور في كلام العرب، إلا أن يكون (يعني قتادة) أراد: حتى سروا بكثرتهم وكثرة أموالهم، فيكون وجهاً وإن يُعَدَّ.

(٢) عند تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَهُم بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤].

(٣) التقدير الأول: أخذهم بالبأساء والضراء، والثاني: تبديل الحسنة بمكان السيئة.

وكلُّ من الإيمان والتكذيب والشوابِ والعقابِ سبق به القَدْرُ، وأضيف الإيمانُ والتكذيبُ إلى العبد كسباً، والموجِدُ لهما هو الله تعالى لا يُسألُ عمَّا يفعل .

وقال الزمخشري: اللام في «القرى» إشارة إلى القرى التي دلَّ عليها قوله تعالى: «وما أرسلنا في قرية من نبيٍّ»، كأنه قال: «ولو أنَّ أهلَ» تلك «القرى» الذين كذَّبوا وأهلكوا «آمنوا» بَدَلْ كفرهم، «واتَّقوا» المعاصيَ مكانَ ارتكابها، «لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماء والأرض» لآتيانهم بالخير من كلِّ وجهٍ، وقيل: أرادَ المطرَ والنبات، «ولكن كذَّبوا فأخذناهم» بسوء كَسْبِهِمْ، ويجوزُ أن تكون اللام في «القرى» للجنس^(١). انتهى.

وفي قوله: «واتَّقوا المعاصيَ، نزغة الاعتزال.

رَتَّبَ تعالى على الإيمان والتقوى فتحَ البركات، ورَتَّبَ على التكذيب وحده - وهو المقابلُ للإيمان - الهلاك، ولم يذكر مقابلَ التقوى لأن التكذيب لا ينفع معه الخيرُ، بخلاف الإيمان فإنه ينفع وإن لم يكن معه فعلُ الطاعات.

والظاهر أنَّ قوله: «بركات من السماء والأرض» لا يرادُ بها معيَّنٌ، ولذلك جاءت نكرةً.

وقيل: بركاتُ السماء المطر، وبركاتُ الأرض الثمار.

وقال السدِّي: المعنى: لفتحنا عليهم أبوابَ السماء والأرض بالرزق^(٢).

وقيل: بركات السماء إجابةُ الدعاء، وبركات الأرض تيسيرُ الحاجات.

وقيل: بركاتُ السماء المطر، وبركات الأرض المواشي والأنعام، وحصولُ السلامة والأمن.

وقيل: البركات النموُّ والزياداتُ، فمن السماء بجهةِ المطر والرياح والشمس، ومن الأرض بجهةِ النبات والحفِظِ لِمَا نَبَتَ - هذا الذي تدرُّهُ فِطْرُ البَشَرِ^(٣)، ولله

(١) الكشاف ٩٨/٢.

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٢٤٣/٢ مختصراً بلفظ: لرزقنا.

(٣) كذا في النسخ، وجاء في المحرر الوجيز ٤٣٢/٢ (وعنه نقل المصنف هذا القول): هذا الذي يدركه نظر البشر.

خَدَامٌ غَيْرُ ذَلِكَ لَا يُحْصَى عَدْدُهُمْ، وَمَا عَلِمَ اللَّهُ أَكْثَرَ - وَذَلِكَ أَنَّ السَّمَاءَ تَجْرِي
مَجْرَى الْأَبِّ وَالْأَرْضَ مَجْرَى الْأُمِّ، وَمِنْهُمَا تَحْصُلُ جَمِيعُ الْخَيْرَاتِ بِخَلْقِ اللَّهِ
وَتَدْبِيرِهِ.

وَالْأَخْذُ أَخْذُ إِهْلَاكِ بِالذَّنُوبِ.

وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَعِيسَى الثَّقَفِيُّ وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ: «لَفْتَحْنَا» بِتَشْدِيدِ التَّاءِ^(١).

وَمَعْنَى الْفَتْحِ هُنَا: التَّيْسِيرُ عَلَيْهِمْ كَمَا يُيسَّرُ عَلَى الْأَبْوَابِ^(٢) الْمَسْتَغْلَقَةَ بِفَتْحِهَا،
وَمِنْهُ: فَتَحْتُ عَلَى الْقَارِيءِ، إِذَا يَسَّرْتُ عَلَيْهِ بِتَلْقِينِكَ إِيَّاهُ مَا تَعَدَّرَ عَلَيْهِ حَفْظُهُ مِنَ
الْقُرْآنِ إِذَا أَرَادَ الْقِرَاءَةَ.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾^(٩٧) الهمزة دخلت على
«أمن» للاستفهام على جهة التوقيف والتوبيخ والإنكار والوعيد للكافرين المعاصرين
لِلرَّسُولِ ﷺ أَن يَنْزِلَ بِهِمْ مِثْلُ مَا نَزَلَ بِأَوْلِيائِكَ، وَالْفَاءُ لِعَطْفِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ عَلَى
مَا قَبْلُهَا.

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: فَإِنِ قُلْتَ مَا الْمَعْطُوفُ عَلَيْهِ، وَلَمْ تُعْطِفِ الْأُولَى بِالْفَاءِ وَالثَّانِيَةَ
بِالْوَاوِ؟ قُلْتَ: الْمَعْطُوفُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: «فَأَخَذْنَا هُمْ بِغَتَّةٍ»، وَقَوْلُهُ: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ»
إِلَى «يَكْسِبُونَ» وَقَعَ اعْتِرَاضًا بَيْنَ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا عُطِفَتْ بِالْفَاءِ
لَأَنَّ الْمَعْنَى: فَعَلُوا وَصَنَعُوا فَأَخَذْنَا هُمْ بِغَتَّةٍ، أَبْعَدَ ذَلِكَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ
بَأْسُنَا بَيِّنًا وَأَمِنُوا أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضَحَى^(٣). انْتَهَى.

وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ - مِنْ أَنَّ حَرْفَ الْعَطْفِ الَّذِي بَعْدَ هَمْزَةِ الْاسْتِفْهَامِ
هُوَ عَاطِفٌ مَا بَعْدَهَا عَلَى مَا قَبْلَ الْهَمْزَةِ مِنَ الْجُمْلِ - رَجُوعٌ إِلَى مَذْهَبِ الْجَمَاعَةِ فِي
ذَلِكَ، وَتَخْرِيجٌ لِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى خِلَافِ مَا قَرَّرَ هُوَ مِنْ مَذْهَبِهِ فِي غَيْرِ آيَةٍ أَنَّهُ يَقْدَرُ
مَحْذُوفٌ بَيْنَ الْهَمْزَةِ وَحَرْفِ الْعَطْفِ يَصْحَحُ بِتَقْدِيرِهِ عَطْفُ مَا بَعْدَ الْحَرْفِ عَلَيْهِ، وَأَنَّ

(١) المحرر الوجيز ٤٣٢/٢، وقراءة ابن عامر في السبعة ص ٢٨٦، والتيسير ص ١٠٣.

(٢) كذا في النسخ، وجاء في الكشاف ٩٨/٢ (والكلام منه): كما يُيسَّرُ أمر الأبواب، وهو
الأشبه.

(٣) الكشاف ٨٩/٢.

الهمزة وحرف العطف واقعان في موضعهما من غير اعتبار تقديم حرف العطف على الهمزة في التقدير، وأنه قدّم الاستفهام اعتناءً لأنه له صدر الكلام، وقد تقدّم كلامنا معه على هذه المسألة^(١).

و«بأسنا»: عذابنا، و«بياتاً»: ليلاً، وتقدّم تفسيره أول السورة^(٢)، ونصّبهُ على الظرف، أي: وقت مبيتهم، أو الحال، وذلك وقت الغفلة والنوم، فمجيء العذاب في ذلك الوقت - وهو وقت الراحة والاجتماع - في غاية الصعوبة؛ إذ أتى وقت المأمن.

﴿أَوْأَمِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾^(٣) أي: فسي حال الغفلة والإعراض والاشتغال بما لا يُجدي كأنهم يلعبون، و«ضحى» منصوبٌ على الظرف، أي: ضحوة، وتقيّد كلُّ ظرفٍ بما يناسبه من الحال، فتقيّد البياتٌ بالنوم وتقيّد الضحى باللعب.

وجاء «نائمون» باسم الفاعل لأنها حالة ثبوت واستقرارٍ للبائتين، وجاء «يلعبون» بالمضارع لأنهم مشغولون بأفعالٍ متجدّدة شيئاً فشيئاً في ذلك الوقت.

وقرأ نافع والابنان: «أَوْ أَمِنَ» بسكون الواو^(٤)، جعل «أو» عاطفةً ومعناها التنويع، لا أن معناها الإباحة أو التخييرُ خلافاً لمن ذهب إلى ذلك. وحذف ورشٌ همزة «أَمِنَ» ونقل حركتها إلى الواو الساكنة، والباقون بهمزة الاستفهام بعدها وأو العطف^(٤).

وتكرر لفظ «أهل القرى» لما في ذلك من التسميع والإبلاغ والتهديد والوعيد بالسامع ما لا يكون في الضمير لو جاء: أو أمنوا، فإنه متى قصد التفضيم والتعظيم والتهويلُ جيء بالاسم الظاهر.

(١) ينظر ما سلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَلِمَاتٍ عَهْدُوا عَهْدًا﴾ [البقرة: ١٠٠]، وقوله تعالى: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٦] وقوله تعالى: ﴿أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَ كُرٌّ ذِكْرًا﴾ [الأعراف: ٦٣].

(٢) عند قوله تعالى: ﴿فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا﴾ [الآية: ٤].

(٣) السبعة ص ٢٨٦، والتيسير ص ١١١.

(٤) المصدران السابقان.

﴿أَفَأَمِينُوا مَكَرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكَرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٩٩) ﴿جاء العطف بالفاء وإسناد الفعل إلى الضمير؛ لأن الجملة المعطوفة تكريرٌ لقوله: «أَفَأَمِينٌ أَهْلُ الْقُرَى» «أو أمين» وتأكيدٌ لمضمون ذلك، فناسب إعادة الجملة مصحوبةً بالفاء، و«مكر» مصدرٌ أضيف إلى الفاعل، وهو استعارةٌ لأخذه العبد من حيث لا يشعر.

قال ابن عطية: و«مكر الله» هي إضافة مخلوقٍ إلى الخالق، كما تقول: ناقة الله، و: بيت الله، والمراد فعلٌ يعاقبُ به مكرُ الكفرة، وأضيف إلى «الله» لما كان عقوبة الذنب، فإنَّ العرب تسمي العقوبة على أيِّ جهةٍ كانت باسم الذنب الذي وقعت عليه العقوبة، وهذا نصٌّ في قوله: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤] (١). انتهى.

وقال عطية العوفي: «مكر الله» عذابه وجزاؤه على مكرهم (٢).

وقيل: مكره: استدراجه بالنعمة والصحة، وأخذه على غرة (٣).

وكرر المكر مضافاً إلى الله تحقيقاً لوقوع جزاء المكر بهم.

﴿أَوْلَتْ يَهْدٍ لِلَّذِينَ يَرْتُوبَتِ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وابن زيد: «يهدي»: يبين (٤)، وهذا كقوله: ﴿وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ [فصلت: ١٧]، أي: بيننا لهم طريق الهدى، والفاعلُ بـ«يَهْدِي» يحتملُ وجوهاً:

أحدهما: أن يعود على الله، ويؤيده قراءةٌ من قرأ: «نهد» بالنون (٥).

والثاني: أن يكون ضميراً عائداً على ما يفهم من سياق الكلام السابق، أي: أو لم يَهْدِ ما جرى للأمم السالفة أهلِ القرى وغيرهم.

(١) المحرر الوجيز ٤٣٣/٢.

(٢) ذكره الثعلبي ٥٣/٣، والبغوي ١٨٤/٢ بلفظ: أخذه وعذابه، وذكره بلفظ المصنف لكن دون نسبة القرطبي ٢٩٠/٩.

(٣) في النسخ عدا (١د): غرته، والمثبت من (١د) والمطبوع.

(٤) أخرجه عنهم الطبري ٣٣٥/١٠.

(٥) تفسير الثعلبي ٥٤/٣، والكشاف ٩٩/٢، وتفسير البغوي ١٨٤/٢.

وعلى هذين الوجهين يكون «أن لو نشاء» وما بعده في موضع المفعول بـ«يَهْدِ»، أي: أو لم يبين الله - أو ما سبق من قصص القرى ومآل أمرهم - للوارثين إصابتنا إياهم بذنوبهم لو شئنا ذلك، أي: عَلَّمَهُمْ بِإِصَابَتِنَا - أو قدرتنا على إصابتنا - إياهم، والمعنى: إنكم مذنبون بهم، وقد علمتم ما حلَّ بهم، أفما تَحْذَرُونَ أن يحلَّ بكم ما حلَّ بهم، فذلك ليس بممتنع علينا لو شئنا.

والوجه الثالث: أن يكون الفاعلُ بـ«يَهْدِ» قوله: «أن لو نشاء» فَيَنْسَبُكَ المصدرُ من جواب «لو»، والتقدير: أو لم يُبَيِّنْ ويوضح للوارثين مآلهم وعاقبتهم إصابتنا إياهم بذنوبهم لو شئنا ذلك، أي: عَلَّمَهُمْ بِإِصَابَتِنَا - أو قدرتنا على إصابتنا - إياهم، على التقديرين^(١) إذا كانت «أن» مفعولةً.

و«أن» هنا هي المخففة من الثقيلة؛ لأنَّ الهداية فيها معنى العلم، واسمها ضميرُ الشأن محذوف، والخبرُ الجملةُ المصدرةُ بـ«لو»، و«نشاء» في معنى: شئنا؛ لأنَّ «لو» التي هي لما كان سيقع لوقوع غيره إذا جاء بعدها المضارعُ صرقتُ معناه إلى المُضَيِّ، ومفعولُ «نشاء» محذوفٌ دلَّ عليه جوابُ «لو»، والجوابُ: «أصبناهم»، ولم يأت باللام وإن كان الفعلُ مُثْبِتاً إذ حذفها جائرٌ فيصح، كقوله: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ [الواقعة: ٧٠]، والأكثر الإتيانُ باللام كقوله: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا﴾ [الواقعة: ٦٥] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٦].

و«الذين يرثون الأرض»، أي: يَخْلَفُونَ فيها من بعد هلاك أهلها، وظاهره التسميعُ لمن كان في عصر الرسول ﷺ من مشركي قريش وغيرهم، وقال ابن عباس: يريد أهل مكة.

﴿وَنَطْبُعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (١٠٠) الظاهرُ أنها جملةٌ مستأنفة، أي: ونحن نطبعُ على قلوبهم، والمعنى: أن من أوضح الله له سُبُلَ الهدى، وذكر له أمثالا ممن أهلَكَه تعالى بذنوبهم، وهو مع ذلك دائمٌ على غِيهِ لا يَزْعَوِي، يَطْبَعُ الله على قلبه فينبو سمعه عن سماع الحق.

(١) في (أ) و(د) و(ع) والمطبوع: والمعنى على التقديرين، وهو خطأ.

وقال ابن الأنباري^(١): يجوز أن يكون معطوفاً على «أصبنا» إذ كان بمعنى: نصيب، فوضع الماضي موضع المستقبل عند وضوح معنى الاستقبال، كما قال تعالى تبارك: ﴿الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾ [الفرقان: ١٠] أي: إن يشأ، يدلُّ عليه قوله: ﴿وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾ [الفرقان: ١٠] انتهى. فجعل «لو» شرطية بمعنى «إن»، ولم يجعلها التي هي لِمَا كان سيقع لوقوع غيره، ولذلك جعل «أصبنا» بمعنى: نصيب، ومثال وقوع «لو» موقع «إن» قول الشاعر:

لَا يُلْفِكُ الرَّاجِيكَ إِلَّا مُظْهِرًا خُلِقَ الْكِرَامُ وَلَوْ تَكُونُ عَدِيمًا^(٢)

وهذا الذي قاله ابن الأنباري ردّه الزمخشري من جهة المعنى، لكن بتقدير أن يكون «ونطبع» بمعنى: وطبعنا، فيكون قد عطف المضارع على الماضي لكونه بمعنى الماضي، وابن الأنباري جعل التأويل في «أصبنا» الذي هو جواب «لو» نشاءً، فجعله بمعنى: نصيب، فتأول المعطوف عليه وهو الجواب وردّه إلى المستقبل، والزمخشري تأول المعطوف وردّه إلى الماضي، وأنتج ردّ الزمخشري أن كلاً التقديرين لا يصح، قال الزمخشري^(٣): فإن قلت: هل يجوز أن يكون «ونطبع» بمعنى: وطبعنا، كما كان «لو نشاء» بمعنى: لو شئنا، ويُعطف على «أصبناهم»؟ قلت: لا يساعد على^(٤) المعنى؛ لأنّ القوم كانوا مطبوعاً على قلوبهم، موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والإصابة بها، وهذا التفسير يؤدّي إلى خلوّهم عن هذه الصفة، وأنّ الله تعالى لو شاء لا تُصنّفوا بها. انتهى.

وهذا الردُّ ظاهره الصحة، وملخصه: أنّ المعطوف على الجواب جوابٌ سواءً أتأولنا المعطوف عليه أم المعطوف، وجواب «لو» لم يقع بعد سواءً أكانت حرفاً لِمَا كان سيقع لوقوع غيره، أم بمعنى «إن» الشرطية، والإصابة لم تقع والطبع على القلوب واقع، فلا يصح أن يُعطف على الجواب، فإن تؤول ونطبع على معنى: ونستمر على الطبع على قلوبهم، أمكن التعاطف؛ لأنّ الاستمرار لم يقع بعد وإن كان الطبع قد وقع.

(١) كما في زاد المسير ٣/٢٣٥.

(٢) سلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٠].

(٣) في الكشف ٢/٩٩.

(٤) كذا في النسخ، وفي المطبوع: هذا، وجاء في الكشف: عليه، وهو الأنسب بالسياق.

وقال أبو عبد الله الرازي: تقريرُ صاحب الكشاف على أقوى الوجوه، هو ضعيفٌ؛ لأنَّ كونه مطبوعاً عليه في الكفر لم يكن منافياً لصحة العطف^(١).

وكان قد قرَّر أن المعنى: أو لم تُبَيَّن للذين نبيهم^(٢) في الأرض بعد إهلاكنا مَنْ كان قبلهم فيها أن نهلكهم بعدهم، وهو معنى قوله: «أن لو نشاء أصبناهم»، أي: بعقابِ ذنوبهم «ونطبع على قلوبهم»، أي: لم نهلكهم بالعذاب نطبعُ على قلوبهم، «فهم لا يسمعون»، أي: لا يقبلون ولا يتعظون ولا ينزجرون، وإنما قلنا: إنَّ المراد: إمَّا الإهلاك وإمَّا الطبع على القلب؛ لأن الإهلاك لا يجتمع مع الطبع على القلب، فإنه إذا أهلكه يستحيلُ أن يطبع على قلبه. انتهى.

والعطفُ في «ونطبع» بالواو يمنع ما ذكره؛ لأنَّه جَعَلَ المعنى على أنه إمَّا الإهلاك وإمَّا الطبع، وظاهرُ العطف بالواو ينبو عن الدلالة على هذا المعنى، فإنَّ جَعَلْتَ الواو بمعنى «أو» أمكَّن ذلك، وكذلك ينبو عن قوله: إن لم نهلكهم بالعذاب نطبع على قلوبهم، العطفُ بالواو.

وأورد أبو عبد الله الرازي من أقوال المفسرين ما يدلُّ على أنَّ كونه مطبوعاً عليه في الكفر لا ينافي صحة العطف، فقال: قال أبو علي - ويعني به والله أعلم الجبائيّ -: الطبعُ سمةٌ في القلب من نكتةٍ سوداء أنَّ صاحبها لا يُفْلِحُ. وقال الأصم: أي: يلزمهم ما هم عليه، فلا يتوبون إلا عند المعاينة، فلا تُقبل توبتهم. وقال أبو مسلم: الطبع الخذلان، أنه يَحْذُلُ الكافر فيرى الآيةَ ولا يؤمنُ بها، ويختارُ ما اعتاد وألَّف^(٣).

وهذه الأقوال لا يمكن معها العطفُ إلا على تأويلٍ أن تكون الواو بمعنى «أو».

(١) تفسير الرازي ١٨٧/١٤، وفيه: ... لأن كونه مطبوعاً عليه إنما يحصل حال استمراره وثباته عليه، فهو يكفر أولاً، ثم يصير مطبوعاً عليه في الكفر، فلم يكن هذا منافياً...

(٢) في مطبوع تفسير الرازي: نبعثهم.

(٣) لم ترد هذه الأقوال في تفسير الرازي، ولكنه ذكر عن الجبائي قوله: المراد من هذا الطبع أنه تعالى يسمُّ قلوب الكفار بسماتٍ وعلامات تعرف الملائكة بها أن أصحابها لا يؤمنون، وتلك العلامة غير مانعة من الإيمان.

وأجاز الزمخشريُّ في عطف «ونطبع» وجهين آخريين: أحدهما ضعيفٌ والآخَرُ خطأ؛ قال الزمخشري: فإن قلت: بَمَ يتعلَّق قوله تعالى: «ونطبع على قلوبهم»؟ قلتُ: فيه أوجهٌ: أن يكون معطوفاً على ما دلَّ عليه معنى «أو لم يَهْدِ لهم»، كأنه قيل: يغفلون عن الهداية ونطبعُ على قلوبهم، أو على «يرثون الأرض»^(١). انتهى.

فقوله: إنه معطوفٌ على مقدَّرٍ، وهو: يغفلون عن الهداية، ضعيفٌ؛ لأنه إضمارٌ لا يُحتاج إليه؛ إذ قد صحَّ أن يكون على الاستئناف من باب العطف في الجمل، فهو معطوفٌ على مجموع الجملة المصدرية بأداة الاستفهام، وقد قاله الزمخشريُّ وغيره.

وقوله: إنه معطوفٌ على «يرثون» خطأ؛ لأنه إذا كان معطوفاً على «يرثون» كان صلةً لـ«الذين»؛ لأنَّ المعطوف على الصلة صلةٌ، ويكونُ قد فُصِّل بين أبعاض الصلة بأجنبيٍّ من الصلة، وهو قوله: «أن لو نِشاء أَصْبَنَاهُمْ بذنوبهم» سواءً أقدَرنا «أن لو نِشاء» في موضع الفاعل لـ«يَهْدِ» أو في موضع المفعول، فهو معمولٌ لـ«يهد» لا تعلَّق له بشيءٍ من صلة «الذين»، وهو لا يجوز.

ومعنى قوله: «أصبناهم بذنوبهم»: بعقابِ ذنوبهم، أو يُضمَّن «أصبناهم» معنى: أهلكناهم، فهو من مجازِ الإضمار أو التضمين.

ونُفي السماعُ والمعنى نفيُ القبول والانتعاضِ المترتبِ على وجود السماع، جُعِلَ انتفاءُ فائدته انتفاءً له.

﴿تِلْكَ الْقَرْيُ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا﴾ الخطابُ للرسول ﷺ، و«القرى» هي بلادُ قوم نوح وهودٍ وصالحٍ وشعيبٍ بلا خلافٍ بين المفسرين، وجاءت الإشارة بـ«تلك» إشارةً إلى بُعْدِ هلاكها وتقادمه، وحَصَلَ الربطُ بين هذه وبين قوله: «ولو أن أهل القرى».

و«نقصُ» يُحتملُ بقیه^(٢) على حاله من الاستقبال، والمعنى: قد قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا ونحن نقصُّ عليك أيضاً منها مفرقاً في السور، ويجوز أن يكون عبرَ بالمضارع عن الماضي، أي: تلك القرى قَصَصْنَا.

(١) الكشاف ٩٩/٢.

(٢) في المطبوع: إبقاؤه.

والأنباء هنا: أخبارهم مع أنبيائهم ومآل عصيانهم.

و«تلك» مبتدأ، و«القرى» خبر، و«نقص» جملةٌ حاليةٌ نحو قوله: ﴿فَتِلْكَ يُؤْتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ [النمل: ٥٢]، وفي الإخبار بـ«القرى» معنى التعظيم لها ولمَهْلِكها^(١)، كما قيل في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ وفي قوله ﷺ: «أولئك الملاء من قريش»^(٢)، وكقول أمية:

تلك المكارم لا قعبان من لبين^(٣)

ولمَّا كان الخبرُ مقيِّداً بالحال أفاد، كالتيقيد بالصفة في قولك: هو الرجلُ الكريم.

وأجازوا أن يكون «نقص» خبراً بعد خبر، وأن يكون خبراً و«القرى» صفة.

ومعنى «من» التبعض، فدلَّ على أن لها أنباءً أخر لم تُقصَّ عليه، وإنما قصَّ ما فيه عظةٌ وازدجارٌ وادِّكارٌ بما جرى على من خالف الرسل ليتعظ بذلك السامع من هذه الأمة.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ قال

أبي بن كعب: «ليؤمنوا» اليوم «بما كذبوا» به «من قبل» يوم الميثاق^(٤).

وقال ابن عباس: ما كانوا ليخالفوا علم الله فيهم^(٥).

(١) في (أ) و(د) و(١د) و(ع) والمطبوع: معنى التعظيم لمهلكها، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في المحرر الوجيز ٤٣٤/٢ والكلام منه.

(٢) قطعة من خبر قول النبي ﷺ من بدر، رواه ابن إسحاق عن عاصم بن عمر ويزيد بن رومان كما في سيرة ابن هشام ٦٤٣-٦٤٤، وأخرجه البيهقي في الدلائل عن موسى بن عقبة في كتاب المغازي، وفيه أن المسلمين لما جاؤوا يهتنون النبي ﷺ بالنصر قال سلمة بن سلامة: ما قتلنا إلا عجايز صلعا! فقال النبي ﷺ: «أولئك يا ابن أخي الملاء».

(٣) ديوان أمية ص ١٧٩، وورد أيضاً في ديوان النابغة الجعدي ص ١١٢، ونُسب لأبي الصلت بن ربيعة الثقفي والد أمية في سيرة ابن هشام ٦٥/١، والشعر والشعراء ٤٦٢/١. وعجزه: شيباً بماء فعادا بعد أبو الال. القعب: قذح بمقدار ما يروي الرجل. شيب: خلط.

(٤) أخرجه بنحوه الطبري ٣٣٧/١٠، وابن أبي حاتم ١٥٣٠/٥، والحاكم ٣٢٤/٢، والضياء في المختارة (١١٥٩)، ولفظه: كان في علمه يوم أقروا بما أقروا به من يكذب به ومن يصدق به.

(٥) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وينظر تفسير الشعبي ٥٤/٣، وتفسير البغوي ١٨٤/٢، وزاد

وقال يمان بن رثاب: «بما كذبوا»، أي: أسلافهم من الأمم الخالية، كقوله: ﴿مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢]^(١). فالفعل في «ليؤمنوا» لقوم، وفي «بما كذبوا» لقوم آخرين.

وقيل: جاءتهم رسلهم بالمعجزات التي اقترحوها فما كانوا ليؤمنوا بعد المعجزات بما كذبوا به قبلها، كما قال: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ [المائدة: ١٠٢].

وقال الكرمانئي: «من قبل» يعود على الرسل، تقديره: من قبل مجيء الرسل لم يسلب عنهم اسم الكفر والتكذيب، بل بقوا كافرين مكذبين كما كانوا من قبل الرسل.

وقال الزمخشري: فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوه من آيات الله قبل مجيء الرسل، أو: فما كانوا ليؤمنوا إلى آخر أعمارهم بما كذبوا به أولاً حين جاءتهم الرسل، أي: استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل إليهم إلى أن ماتوا مصريين لا يرعون ولا تلين شكيمتهم في كفرهم وعنادهم مع تكرار المواعظ عليهم وتتابع الآيات^(٢).

وقال ابن عطية: يحتمل أربعة وجوه من التأويل:

أحدها: أن يريد أن الرسول جاء لكل فريق منهم فكذبوه لأول أمره، ثم استبان حجة وظهت الآيات الدالة على صدقه مع استمرار دعوته، فلجوا هم في كفرهم ولم يؤمنوا بما سبق به تكذيبهم من قبل، وكأنه وصفهم على هذا التأويل باللجاج في الكفر والصرامة عليه، ويؤيد هذا التأويل قوله: «كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين»، ويحتمل في هذا الوجه أن يكون المعنى: فما كانوا ليوثقهم الله إلى الإيمان بسبب أنهم كذبوا قبل فكان تكذيبهم سبباً لأن يؤمنوا بالإيمان بعد.

= المسير ٢٣٦/٣، فقد ذكروا عن ابن عباس رضي الله عنهما ما قد يوافق هذا المعنى، ولفظه: فما كانوا ليؤمنوا عند إرسال الرسل بما كذبوا به يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من صلب آدم فأمّنوا كرهاً حيث أقروا باللسن وأضرموا التكذيب.

(١) ذكره بنحوه الثعلبي ٥٤/٣، والبغوي ١٨٤/٢، وابن الجوزي ٢٣٦/٣.

(٢) الكشف ١٠٠/٢.

والثاني من الوجوه: أن يريد: فما كان آخِرُهُمْ في الزمن والعصر ليهتدي ويؤمن بما كَذَّبَ به أوَّلُهُمْ في الزمن والعصر، بل كَفَرَ كُلُّهُمْ ومشى بعضهم على سَنَنِ بعض في الكفر، أشار إلى هذا القول النَّقَّاش، فكأنَّ الضمير في قوله: «كانوا» يختصُّ بالآخرين، والضمير في قوله: «كذبوا» يختصُّ بالقدماء منهم

والثالث من الوجوه: يحتمل أن يريد: فما كان هؤلاء المذكورون بأجمعهم لو رُدُّوا إلى الدنيا ومُكِّنوا من العودة ليؤمنوا بما قد كذبوا به في حال حياتهم ودُعَاءِ الرسول لهم؛ قاله مجاهدٌ وقربه بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]^(١) وهذه أيضاً صفةٌ بليغةٌ في اللجاج والثبوت على الكفر، بل هي غايةٌ في ذلك.

والرابع من الوجوه: أنه يحتمل أن يريد وَصَفَهُمْ بأنهم لم يكونوا ليؤمنوا بما قد سَبَقَ في عِلْمِ الله تعالى أنهم مكذَّبون به، فحمل^(٢) سابق القدر عليهم بمثابة تكذيبهم بأنفسهم، لا سيما وقد خرج تكذبيهم إلى الوجود في وقت مجيء الرسل، وذكر هذا القول المفسرون، وقربوه^(٣) بأنَّ الله تعالى حَتَمَ عليهم التكذيب وقت أخذ الميثاق، وهو قولُ أبيِّ بنِ كعبٍ^(٤). انتهى كلام ابن عطية.

والذي يظهر أنَّ الضمير في «كانوا» وفي «ليؤمنوا» هو عائِدٌ على «أهل القرى»، وأنَّ الباء في «بما» ليست سببيةً، فالمعنى أنهم انتفت عنهم قابليةُ الإيمان وقت مجيء الرسل بالمعجزات بما كذبوا به قبل مجيء الرسل بالمعجزات، بل حالهم واحدٌ قبل ظهور المعجزات وبعد ظهورها، لم تُجدِ عندهم شيئاً.

وفي الإتيان بلام الجحود في «ليؤمنوا» مبالغةٌ في نفي القابلية والوقوع، وهو أبلغٌ من تسلُّط النفي على الفعل بغير لام.

و«ما» في «بما كذبوا» موصولةٌ، والعائدُ منصوبٌ محذوفٌ، أي: بما كذبوه، وجوز أن تكون مصدريةً.

(١) أخرجه الطبري ٣٣٨/١٠ مختصراً بذكر التشبيه بين الآيتين.

(٢) في مطبوع المحرر: فجعل، وهو الأنسب بالسياق.

(٣) في مطبوع المحرر: وقرنوه.

(٤) المحرر الوجيز ٤٣٤/٢، وخبر أبي سلف قريباً.

قال الكرمانى: وجاء هنا «بما كذبوا»، فحُذِفَ متعلقُ التكذيبِ لَمَّا حُذِفَ المتعلقُ في «ولو أن أهل القرى آمنوا» وقوله: «ولكن كذبوا»، وفي «يونس» أبرزه فقال: ﴿بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية: ٧٤] لَمَّا كَانَ قَدْ أُبْرِزَ فِي ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ﴾ [يونس: ٧٣] ثم: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [يونس: ٧٣]، فوافقَ الختمُ في كلِّ منهما بما يناسبُ ما قبله^(١). انتهى ملخصاً.

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ (١١٦) أي: مثل ذلك الطبع على قلوب أهل القرى حين انتفت عنهم قابلية الإيمان وتساوى أمرهم في الكفر قبل المعجزات وبعدها يطبعُ الله على قلوب الكافرين ممن أتى بعدهم.

قال الكرمانى: تقدّم ذكرُ الله بالصّريح وبالكناية، فجمع بينهما فقال: «ونطبعُ على قلوبهم»، وختم بالصّريح فقال: «كذلك يطبعُ الله»، وفي «يونس» بنى على ما قبله بنون العظمة في قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي أُلْقُوتِكُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ [يونس: ٧٣] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا﴾ [يونس: ٧٤] فَنَاسَبَ ﴿نَطْبَعُ﴾ [يونس: ٧٤] بالنون^(٢).

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾ أي: لأكثر الناس، أو أهل القرى، أو الأمم الماضية، احتمالات ثلاثة؛ قاله التبريزي.

والعهد هنا: هو الذي عاهدوا عليه في صلب آدم، قاله أبيّ وابن عباس^(٣)، أو: الإيمان؛ قاله ابن مسعود، ويدلُّ عليه: ﴿إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧] وهو: «لا إله إلا الله»^(٤)، فالمعنى: من إيفاءً بعهدٍ أو التزام عهدٍ.

وقيل: العهدُ هو وضعُ الأدلة على صحة التوحيد والنبوة؛ إذ ذلك عهدٌ في رقاب العقلاء كالعقود، فعبرَ عن صرف عقولهم إلى النظر في ذلك بانتفاء وجدان العهد.

و«من» في «من عهد» زائدة تدلُّ على الاستغراقِ لجنسِ العهد.

(١) أسرار التكرار في القرآن ص ٨٧.

(٢) أسرار التكرار في القرآن ص ٨٨.

(٣) تفسير الطبري ٣٤٠/١٠ عن أبيّ، وزاد المسير ٢٣٦/٣ وتفسير الرازي ١٤/١٨٨ عن ابن عباس.

(٤) تفسير الرازي ١٤/١٨٨.

﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَنَسِيقِينَ ﴿١٢١﴾﴾ «إِنْ» هنا هي المخففة من الثقيلة، ووجد بمعنى عَلِمَ، ومفعول «وجدنا» الأولى: «لأكثرهم»، ومفعول الثانية: «لفاسقين»، واللام للفرق بين «إِنْ» المخففة من الثقيلة و«إِنْ» النافية، وتقدم الكلام على ذلك في قوله: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ [البقرة: ١٤٣] ودعوى بعض الكوفيين أن «إِنْ» في نحو هذا التركيب هي النافية واللام بمعنى «إلا»^(١).

وقال الزمخشري: وإن الشأن والحديث وجدنا^(٢). انتهى.

ولا يُحتاج إلى هذا التقدير، وكان الزمخشري يزعم أن «إِنْ» إذا خُففت كان محذوفاً منها الاسم - وهو الشأن والحديث - إبقاء لها على الاختصاص بالدخول على الأسماء، وقد تقدم لنا تقدير نظير ذلك ورددنا عليه^(٣).

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ لَمَّا قَصَّ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ نَبِيِّهِ أَخْبَارَ نُوحٍ وَهُودٍ وَصَالِحٍ وَلُوطٍ وَشُعَيْبٍ، وَمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُ قَوْمِهِمْ، وَكَانَ هَؤُلَاءِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، أَتْبَعَ بِقِصَصِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ؛ إِذْ كَانَتْ مَعْجَزَاتُهُ مِنْ أَعْظَمِ الْمَعْجَزَاتِ، وَأُمَّتُهُ مِنْ أَكْثَرِ الْأُمَمِ تَكْذِيبًا وَتَعْتُنًا وَاقْتِرَاحًا وَجَهْلًا، وَكَانَ قَدْ بَقِيَ مِنْ أَتْبَاعِهِ عَالَمٌ وَهُمْ الْيَهُودُ، فَقَصَّ اللهُ عَلَيْنَا قِصَصَهُمْ لِنَعْتَبِرَ وَنَتَّعِظَ وَنَنْزَجِرَ عَنْ أَنْ نَتَّشِبَهُ بِهِمْ.

ومناسبة هذه الآية لِمَا قَبْلَهَا: أَنَّ بَيْنَ مُوسَىٰ وَشُعَيْبٍ ﴿١٢٢﴾ مِصَاهِرَةً كَمَا حَكَى اللهُ فِي كِتَابِهِ^(٤)، وَنَسَبَ لِكُونِهِمَا مِنْ نَسْلِ إِبْرَاهِيمَ، وَلَمَّا اسْتَفْتَحَ قِصَّةَ نُوحٍ بِ«أَرْسَلْنَا» بَنُونَ الْعِظْمَةِ أَتْبَعَ ذَلِكَ قِصَّةَ مُوسَىٰ فَقَالَ: «ثُمَّ بَعَثْنَا».

(١) ينظر ما سلف عند تفسير الآية المذكورة من سورة البقرة، وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَيْ صَلَكَ مِثِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

(٢) الكشف ١٠٠/٢. قال السمين في الدر المصون ٣٩٩/٥: ظاهر هذه العبارة أنها مُعْمَلَةٌ، وأن اسمها ضمير الأمر والشأن.

(٣) ينظر ما سلف عند تفسير الآية (١٦٤) من سورة آل عمران.

(٤) يشير إلى ما ورد من قصة موسى ﴿١٢٢﴾ في سورة القصص، لكن ليس ثم إجماع من المفسرين على أن المذكور في القصة هناك هو شعيب ﴿١٢٢﴾، وينظر ما سيرد عند تفسير الآية (٢٥) من سورة القصص.

والضميرُ في «من بعدهم» عائِدٌ على الرسل من قوله: «ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات»، أو الأمم السابقة. والآياتُ: الحُججُ التي آتاه الله على قومه، أو الآياتُ التسعُ، أو التوراةُ، أقوالٌ.

وتعديةُ «فظلموا» بالباءِ إمَّا على سبيلِ التضمينِ بمعنى: كفروا بها، ألا ترى إلى قوله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [١٣] [لقمان: ١٣] وإما أن تكون الباءُ سببيةً، أي: ظلموا أنفسهم بسببها، أو الناسَ حيث صدُّوهم عن الإيمان، أو الرسولَ فقالوا: سحرٌ وتمويهٌ، أقوالٌ.

وقال الأصم: ظلموا تلك النعم التي آتاهم الله بأن استعانوا بها على معصية الله تعالى، فانظر أيها السامعُ ما آل إليه أمرُ المفسدين الظالمين، جَعَلَهُمْ مثلاً توعَّد به كَفَرَةَ عصر الرسول ﷺ.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرِعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْمَلَكِينَ﴾ [١٤] حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [١٥] هذه محاورَةٌ من موسى ﷺ لفرعون، وخطابٌ له بأحسن ما يُدعى به وأحبُّها إليه؛ إذ كان من مَلَكٍ مصر يقال له: فرعون، كمنرود في يونان، وقيصَرَ في الروم، وكسرى في فارس، والنجاشي في الحبشة، وعلى هذا لا يكون فرعونُ وأمثاله عَلَمًا شخصيًا بل يكون عَلَمَ جنسٍ كإسامة وتُعالة.

ولمَّا كان فرعون قد ادَّعى الربوبيةَ فاتَّحَه موسى بقوله: «إني رسولٌ من ربِّ العالمين» لِيُنَبِّهَهُ على الوصف الذي ادَّعاه، وأنه فيه مُبْطَلٌ لا محقٌّ.

ولمَّا كان قوله: «حقيقٌ على أن لا أقول على الله إلا الحقُّ» دعوى، أردفها بما يدلُّ على صحتها وهو قوله: «قد جئتكم».

ولمَّا قرَّر رسالته فرَعَّ عليها تَبْلِيغَ الحُكْم وهو قوله: «فأرسل».

ولم يَنَازِعُه فرعونُ في هذه السورة في شيءٍ ممَّا ذكره موسى، إلا أنه طلب المعجزة، ودلَّ ذلك على موافقته لموسى، وأنَّ الرسالةَ ممكنةٌ لإمكانِ المعجزة؛ إذ لم يدفع إمكانها بل قال: «إن كنت جئت بآية»، ويأتي الكلام على هذا الطلب من فرعون للمعجزة.

وقرأ نافع: «عَلِيَّ أَنْ لَا أَقُولَ» بتشديد الياء^(١)، جَعَلَهَا^(٢) «عَلَى» داخلةً على ياء المتكلم، ومعنى «حقيق»: جَدِيرٌ وَخَلِيقٌ، وارتفاعةً على أنه صفةٌ لـ«رسول»، أو خبرٌ بعد خبرٍ، و«أَنْ لَا أَقُولَ» الأحسنُ فيه أن يكون فاعلاً بـ«حقيق»، كأنه قيل: يَحَقُّ عَلِيَّ كَذَا وَيَجِبُ، ويجوزُ أن يكون «أَنْ لَا أَقُولَ» مبتدأً و«حقيق» خبره.

وقال قوم: تمَّ الكلامُ عند قوله: «حقيق»، و«عَلِيَّ أَنْ لَا أَقُولَ» مبتدأً وخبر.

وقرأ باقي السبعة «عَلَى» بجرّها «أَنْ لَا أَقُولَ»، أي: حقيقٌ عَلَى قولِ الحق، فقال قوم: ضَمَّنَ «حقيقٌ» معنى: حريص. وقال أبو الحسن والفراء والفراسي: «عَلَى» بمعنى الباء كما أن الباء بمعنى «عَلَى» في قوله: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾ [الأعراف: ٨٦] أي: على كلِّ صراطٍ، فكأنه قيل: حقيقٌ بِأَنْ لَا أَقُولَ^(٣)، كما تقول: فلانٌ حقيقٌ بهذا الأمر وخليقٌ به، ويشهدُ لهذا التوجيه قراءةُ أبي: «بأنْ لَا أَقُولَ»^(٤) وَضَعَ مكان «عَلَى» الباء. قال الأخفش^(٥): وليس ذلك بالمطرده؛ لو قلت: ذهبْتُ على زيد، تريد: بزيد، لم يَجُزْ.

وقال الزمخشري^(٦): وفي المشهورة إشكالٌ، ولا يخلو من وجوه:

أحدها: أن يكون ممَّا يُقَلَّبُ من الكلام لأمن الإلباس، كقوله:

وَتَشَقَّى الرِّمَاحُ بِالصَّيَاطِرَةِ الحُمْرِ^(٧)

ومعناه: وتَشَقَّى الصَّيَاطِرَةُ بِالرِّمَاحِ. انتهى هذا الوجه، وأصحابنا يَخْصُون

(١) السبعة ص ٢٨٧، والتيسير ص ١١١.

(٢) في (١د) والمطبوع: جعل.

(٣) معاني القرآن للفراء ٣٨٦/١، وللأخفش ٥٢٨/٢-٥٢٩، والحجة للفراسي ٥٦/٤-٥٧.

(٤) القراءات الشاذة ٤٥، وذكرها الفراء في معاني القرآن ٣٨٦/١ عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٥) كما في الحجة للفراسي ٥٧/٤، ولم يرد في معاني القرآن له.

(٦) في الكشف ١٠٠/٢.

(٧) البيت لخداش بن زهير، وهو في ديوانه ص ٧٩. والصياطرة: جمع ضيطار، وهو الجبان العظيم الخلق الذي لا يُحسن حمل السلاح. معجم مقاييس اللغة ١٠٢/٢. والحمر كناية عن العَجَم؛ لغلبة الحمرة على ألوانهم، فلذا يستعملونه في الدم. حاشية الشهاب على البيضاوي ٢٠٠-٢٠١.

القلب بالشعر، ولا يُجيزونه في فصيح الكلام^(١)، فينبغي أن يُنزّه القرآن عنه، وعلى هذا يصيرُ معنى هذه القراءة معنى قراءة نافع^(٢).

قال الزمخشريُّ: والثاني: أن ما لَزِمَكَ لَزِمَتَهُ، فلمَّا كان قولُ الحقِّ حقيقاً عليه كان هو حقيقاً على قول الحق، أي: لازماً له.

قال الزمخشري: والثالث: أن يَضْمَنَ «حقيقاً» معنى: حريص، تضمينَ «هَيَّجَنِي» معنى: ذكَّرَنِي، في بيت الكتاب. انتهى.

يعني بالكتاب: كتاب سيبويه، والبيت:

إذا تَغَنَّى الحمامُ الوُزُقُ هَيَّجَنِي ولو تَسَلَّيْتُ عنها أُمَّ عَمَّارٍ^(٣)

قال الزمخشري: والرابع وهو الأوجه والأدخلُ في نُكْتِ القرآن: أن يُغْرِقَ موسى ﷺ في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام، لا سيما وقد رُوي أن عدوَّ الله فرعونَ قال لَمَّا قال: «إني رسولٌ من ربِّ العالمين»: كَذَّبْتُ، فيقول: أنا حقيقٌ على قول الحق، أي: واجبٌ عليَّ قولُ الحق أن أكون أنا قائله والقائم به، ولا يُرَضَى إلَّا بمثلي ناطقاً به. انتهى. ولا يتَّضَحُّ هذا الوجه إلَّا إن عَتَى أنه يكون «على أن لا أقول» صفةً، كما تقول: أنا على قول الحق، أي: طريقي وعادتي قولُ الحق.

وقال ابن مِقْسَمٍ^(٤): «حقيقٌ» من نعت الرسول، أي: رسولٌ حقيقٌ من ربِّ

(١) وللناس فيه - كما قال السمين في الدر ٤٠٢/٥ - ثلاثة مذاهب: الجواز مطلقاً، والمنع مطلقاً، والتفصيل بين أن يفيد معنىً بديعاً فيجوز، أو لا فيمتنع. اهـ. قالوا: والنكته في البيت المذكور هي: الإشارة إلى كثرة الطعن حتى شقيت الرماح بهم لتكسرها بسبب ذلك. ينظر روح المعاني ٢٧٧/٩.

(٢) أي: الأصل في قراءة الجمهور على هذا القول: حقيقٌ عليَّ أن لا أقول، وهي كقراءة نافع التي معناها: قولُ الحقِّ حقيقٌ عليَّ، فقلِّب اللفظ فصار: أنا حقيقٌ على قول الحق. ينظر الدر المصون ٤٠٢/٥.

(٣) الكتاب ٢٨٦/١، والبيت للنابغة، وهو في ديوانه ص ٥١، والرواية فيهما: ولو تَغَرَّبْتُ عنها... وهو من قصيدة عدّها صاحب جمهرة أشعار العرب ٣٠٣/١ من المعلقات، والرواية في الجمهرة: ...، ذكرني ولو تَغَرَّبْتُ...

(٤) محمد بن الحسن بن مقسم، أبو بكر البغدادي، صنّف في التفسير والمعاني، وأنكر عليه

العالمين أُرْسِلْتُ على أن لا أقولَ على الله إلا الحقَّ، وهذا معنى صحيح واضح، وقد غفل أكثرُ المفسرين من أرباب اللغة عن تعليق «على» بـ«رسول»، ولم يخطرَ لهم تعليقُه إلا بقوله: «حقيق». انتهى.

وكلامُه فيه تناقضٌ في الظاهر؛ لأنه قدَّر أولاً العاملَ في «على»: أُرْسِلْتُ، وقال أخيراً إنهم غفلوا عن تعليق «على» بـ«رسول»، فأما هذا الأخير فلا يجوز على مذهب البصريين؛ لأنَّ «رسولاً» قد وُصف قبل أن يأخذ معموله، وذلك لا يجوز، وأما التقدير الأول وهو إضمار: أُرْسِلْتُ، ويفسِّره لفظُ «رسول» فهو تقديرٌ سائغٌ ويُتأوَّلُ كلام ابن مقسيمٍ أخيراً في قوله: عن تعليق «على» بـ«رسول»، أي: بما دلَّ عليه «رسول».

وقرأ عبد الله والأعمش: «حقيقٌ أن لا أقول» بإسقاط «على»^(١)، فاحتمَل أن يكون على إضمارِ «على» كقراءةٍ من قرأ بها، واحتمَل أن يكون على إضمار الباء كقراءة أبيي، وعلى الاحتمالين يكون التعلُّق بـ«حقيق».

ولمَّا ذكَّر أنه رسولٌ من عند الله، وأنه لا يقولُ على الله إلا الحقَّ أخذ يذكُر المعجزةَ والخارقَ الذي يدلُّ على صدق رسالته، والخطابُ في «جنتكم» لفرعون وملئه الحاضرين معه، ومعنى «بيئته»: بآية بينة واضحة الدلالة على ما أذكَّره.

والبيئته؛ قيل: تسعُ الآياتِ المذكورةُ في قوله: ﴿فِي تَبَعِ آيَاتِ إِلَىٰ رِضْوَانٍ وَقَوِيَّةٍ﴾ [النمل: ١٢].

وقال بعض العلماء: وسياقُ الكلام^(٢) يقتضي أن البيئته هي العصا واليَدُ البيضاء، بدليل ما بعده من قوله: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ﴾ الآية.

وقال ابن عباس والأكثر: هي العصا^(٣).

= إقراؤه بحروف تخالف الإجماع، ثم استتيب بحضرة الفقهاء والقراء فتاب، من كتبه: الأنوار في علم القرآن، وكتاب اختياره في القراءات، توفي سنة (٣٥٤هـ). السير ١٦/١٠٥.

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٣٦، والكشاف ٢/١٠٠.

(٢) في (أ) و(د) و(ع): الآية.

(٣) زاد المسير ٣/٢٣٧.

وفي قوله: «من ربكم» تعريضاً أن فرعون ليس رباً لهم بل ربهم هو الذي جاء موسى بالبينة من عنده.

«فأرسل»، أي: فخل، والإرسال ضد الإمساك.

«معي بني إسرائيل»، أي: حتى يذهبوا إلى وطنهم ومولد آبائهم الأرض المقدسة، وذلك أن يوسف عليه السلام لما توفي وانقرض الأسباط غلب فرعون على نسلهم واستعبدهم في الأعمال الشاقة، وكانوا يؤثون إليه الجزاء، فاستنقذهم الله بموسى عليه السلام، وكان بين اليوم الذي دخل فيه يوسف مصر واليوم الذي دخل فيه موسى أربع مئة عام.

والظاهر أن موسى لم يطلب من فرعون في هذه الآية إلا إرسال بني إسرائيل معه، وفي غير هذه الآية دعاؤه وإياه إلى الإقرار بربوبية الله تعالى وتوحيده؛ قال تعالى: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكِبُ ۝١٨ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَخَشِيَ﴾ [النازعات: ١٨-١٩] وكلُّ نبيٍّ داعٍ إلى توحيد الله تعالى، وقال تعالى حكاية عن فرعون: ﴿أَتُؤْمِنُ لِشَرِّينَ مِثْلَنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَبِيدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٧] فهذا ونظائره دليل على أنه طلب منه الإيمان، خلافاً لمن قال: إن موسى لم يدعه إلى الإيمان ولا إلى التزام شرعه، وليس بنو إسرائيل من قوم فرعون والقبط، ألا ترى أن بقية القبط وهم الأكثر لم يرجع إليهم موسى.

﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ١١٦ ﴿لَمَّا عَرَضَ موسى عليه السلام رسالته على فرعون، وذكر الدليل على صدقه وهو مجيئه بالبينة والخارق المعجز، استدعى فرعون منه خرق العادة الدال على الصدق، وهذا الاستدعاء يحتمل أن يكون على سبيل الاختبار وتجويزه ذلك، ويحتمل أن يكون على سبيل التعجيز لما تقرّر في ذهن فرعون أن موسى لا يقدر على الإتيان ببينة، والمعنى: إن كنت جئت بآية من ربك فأحضرها عندي لتصح دعواك ويثبت صدقك.

﴿فَأَلْفَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ ١١٧ ﴿بدأ بالعصا دون سائر المعجزات لأنها معجزة تحتوي على معجزات كثيرة، قالوا: منها أنه ضرب بها باب فرعون ففرغ من قرعها فساب رأسه فحضب بالسواد، فهو أول من حضب، وانقلابها ثعباناً،

وانقلابُ خشبٍ لحماً ودماً قائماً به الحياةً من أعظم الإعجاز، ويحصل من انقلابها ثعباناً من التهويل ما لا يحصلُ في غيره، وضربُه بها الحجرَ فينفجر عيوناً، وضربُه بها فتُنبتُ؛ قاله ابن عباس^(١)، ومحاربتُه بها اللصوصَ والسباعِ القاصدةَ غنَمَهُ، واشتعالُها في الليل كاشتعالِ الشمعة، وصيرورتُها كالرُشاء^(٢) لينزح بها الماء من البئر العميقة، وتلقُّفُها لحبالِ السَّحرةِ وعصيَّهم، وإبطالُها لما صنعوه من كيدهم وسحرهم. والإلقاءُ حقيقةٌ هو في الأجرام، ومجازٌ في المعاني نحو: ألقى المسألة.

قال ابن عباس والسديُّ: صارت العصا حيةً عظيمةً شعراءً فاغرةً فاها، ما بين لحييها ثمانون ذراعاً - وقيل: أربعون، ذكره مكِّي عن فرقد^(٣) - واضعةً أحدَ لحييها بالأرض والآخر على سور القصر^(٤).

وذكروا من اضطراب فرعونَ وفرزه وهربه، ووَعْدِهِ موسى بالإيمان إن عادت إلى حالها، وكثرة مَنْ مات من قوم فرعون فزعاً، أشياء لم تتعرَّضَ إليها الآية، ولا بُتَّت في حديثٍ صحيح، فالله أعلم بها.

ومعنى «مبين» ظاهرٌ لا تخيل فيه، بل هو ثعبانٌ حقيقةً.

قال ابن عطية: و«إذا» ظرفٌ مكانٍ في هذا الموضع عند المبرِّد من حيث كانت خبراً عن جثة، والصحيحُ الذي عليه الناسُ أنها ظرفٌ زمانٍ في كلِّ موضع^(٥). انتهى.

والصحيحُ الذي عليه شيوخنا أنها ظرفٌ مكانٍ كما قاله المبرِّد، وهو المنسوبُ إلى سيبويه، وقوله: من حيث كانت خبراً عن جثة، ليست في هذا المكان خبراً عن

(١) تفسير الرازي ١٨٩/١٤.

(٢) الرُشاء: الحبل. القاموس (رشو).

(٣) هو فرقد بن يعقوب السَّبْخِي، أبو يعقوب البصري، وأخرج قوله الطبري ٣٤٥/١٠.

(٤) تفسير البغوي ١٨٥/٢-١٨٦، وأخرجه عنهما الطبري ٣٤٣/١٠-٣٤٤، دون قوله: ما بين لحييها ثمانون ذراعاً.

(٥) المحرر الوجيز ٤٣٦/٢. وينظر المقتضب ٧٨/٣، وفيه: فأما «إذا» التي تقع للمفاجأة فهي التي تسدُّ مسدَّ الخبر، والاسم بعدها مبتدأ، وذلك قولك: جثت فإذا أخوك، وكلمتك فإذا زيدٌ... إلخ.

جثة، بل خبرُ «هي» قوله: «ثعبان»، ولو قلت: فإذا هي، لم يكن كلاماً، وينبغي أن يُحمل كلامه: من حيث كانت خبراً عن جثة، على مثل: خرجتُ فإذا السَّبُعُ، على تأويلٍ من جعلها ظرفَ مكانٍ.

وما ذكره من أن الصحيح الذي عليه الناسُ أنها ظرفُ زمانٍ، هو مذهبُ الرِّيَاشِيِّ، ونسب أيضاً إلى سيبويه، ومذهبُ الكوفيين أن «إذا» الفجائية حرفٌ لا اسم.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءُ لِلنَّظَرِينَ﴾ (١٨) أي: جذب يده، قيل: من جيبه وهو الظاهر؛ لقوله: ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ﴾ [النمل: ١٢]. وقيل: من كُفِّهِ.

و«الناظرين»، أي: للنظارة، وفي ذكر ذلك تنبيهٌ على عظم بياضها؛ لأنه لا يَعْرِضُ العجبُ بها للنظارة^(١) إلا إذا كان بياضها عجيباً خارجاً عن العادة، يَجْتَمِعُ الناسُ إليه كما يجتمعُ النَّظَارَةُ للعجائب.

قال مجاهد: بياضٌ كاللَّبَنِ أو أشدُّ بياضاً^(٢).

وروي أنها كانت تظهر منيرةً شفافةً كالشمس، ثم يردُّها فترجعُ إلى لون موسى، وكان آدمٌ عليه السلام شديدَ الأذمةِ^(٣).

وقال ابن عباس: صارت نوراً ساطعاً يضي ما بين السماء والأرض، له لمعانٌ مثلُ لمعانِ البرق، فخرُّوا على وجوههم^(٤).

وقال الكلبي: بلغنا أن موسى عليه السلام قال: يا فرعون، ما هذه بيدي؟ قال: هي عصاً. فألقاها موسى فإذا هي ثعبانٌ.

(١) في (ب) و(د٣) و(هـ): لها النظارة، وفي (أ) و(د١) و(ع): لها للنظارة، والمثبت من (ز١)، وهو الموافق لما في النهر على هامش مطبوع البحر ٣٥٨/٤، وما بين حاصرتين منه، والكلام بنحوه في الكشاف ١٠٢/٢، والعبارة فيه: ولا تكون بياضاً للنظارة إلا إذا كان بياضها...

(٢) أخرجه الطبري ٣٤٧/١٠.

(٣) المحرر الوجيز ٤٣٦/٢.

(٤) زاد المسير ٢٣٨/٣، وتفسير الرازي ١٩٦/١٤ بنحوه.

ورُوي أن فرعون رأى يد موسى، فقال لفرعون: ما هذه؟ فقال: يدك، ثم أدخلها جيبه وعليه مدرعة صوفٍ ونزعها فإذا هي بيضاءً بياضاً نورانياً غلب شعاعها شعاع الشمس^(١).

وما أعجب أمر هذين الخارقين: أحدهما في نفسه وذلك اليد البيضاء، والآخر في غير نفسه وهي العصا، وجمع بدينك تبدل الذوات وتبدل الأعراف، فكانا دالين على جواز الأمرين وأنهما كلاهما ممكن الوقوع.

قال أبو محمد بن عطية: هاتان الآيتان عرَضهما موسى ﷺ للمعارضة، ودعا إلى الله بهما، وخرق العادة بهما، وتحدى الناس إلى الدين بهما، فإذا جعلنا التحدي الدعاء إلى الدين مطلقاً فهما تحدى، وإذا جعلنا التحدي الدعاء بعد العجز عن معارضة المعجزة وظهور ذلك فتنفرد حينئذ العصا بذلك؛ لأن المعارضة والعجز فيها وقعا، ويقال: التحدي هو الدعاء إلى الإتيان بمثل المعجزة، فهذا نحو ثالث، وعليه يكون تحدي موسى بالآيتين جميعاً؛ لأن الظاهر من أمره أنه عرَضهما معاً، وإن كان لم ينص على الدعاء إلى الإتيان بمثلهما^(٢). انتهى. وهو كلام فيه تشييح^(٣).

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ وفي «الشعراء»: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ [الآية: ٣٤]، والجمع بينهما: أن فرعون وهم قالوا هذا الكلام، فحكى هنا قولهم وهناك قوله، أو قاله ابتداءً فتلقفه منه الملأ فقالوه لأعقابهم، أو قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما تفعل الملوك؛ يرى الواحد منهم الرأي فيكلم به من يليه من الخاصة، ثم تبلغه الخاصة العامة، والدليل عليه أنهم أجابوه في قولهم: «أزجته».

وكان السحر إذ ذاك في أعلى المراتب، فلما رأوا انقلاب العصا ثعباناً والأدماء بيضاء، وأنكروا النبوة، ودافعوه عنها، قصدوا ذمه بوصفه بالسحر وحط

(١) الكشف ١٠٢/٢.

(٢) المحرر الوجيز ٤٣٦/٢.

(٣) التشييح: مصدر تشيح، ومعنى تشيح الكلام: لم يأت به على وجهه. أساس البلاغة (تبيح).

قَدْرِهِ إِذْ لَمْ يُمَكِّنْهُمْ فِي ظَهْوَرٍ مَا ظَهَرَ عَلَى يَدِهِ نَسْبَةٌ شَيْءٌ إِلَيْهِ غَيْرِ السَّحْرِ، وَبِالْغَوَا فِي وَصْفِهِ بِأَنْ قَالُوا: «عَلِيمٌ»، أَيْ: بِالْبَلْغِ الْغَايَةِ^(١) فِي عِلْمِ السَّحْرِ وَخُدْعِهِ وَخِيَالَاتِهِ وَفَتْوَنِهِ.

وأكثر استعمال لفظ «هذا» - إذا كان من كلام الكفار - في التنقُّص والاستغراب، كما قال: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ ءِالِهَتِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣٦] ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١] ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥] ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [المؤمنون: ٢٤] ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرُونَ﴾ [طه: ٦٣] ﴿إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنِّي عِنْدِكَ﴾ [الأنفال: ٣٢] يُعَدَّلُونَ عَنْ لَفْظِ اسْمِ ذَلِكَ الشَّيْءِ إِلَى لَفْظِ الْإِشَارَةِ، وَأَكَّدُوا نَسْبَةَ السَّحْرِ إِلَيْهِ بِدُخُولِ «إِنَّ» وَاللَّامِ.

﴿رِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَأَمَّا تَأْمُرُونَ﴾ ﴿استشعرت نفوسهم ما صار إليه أمرهم: من إخراجهم من أرضهم، وخلو مواطنهم منهم، وخراب بيوتهم، فبادروا إلى الإخبار بذلك، وكان الأمر كما استشعروا إذ أغرق الله فرعون وآله وأخلى منازلهم منهم^(٢)، ونبها على هذا الوصف الصعب الذي هو معادل لقتل الأنفس كما قال: ﴿وَلَوْ أَنَا كُنْبَنَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرَجُوا مِنِّي دِينَكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦] وإرادته إخراجهم - وذلك مبالغة في دفعه وعدم قبوله^(٣) - إما بكونه يحكم فيكم بإرسال خدمكم وعمار أرضكم معه حيث يسير، فيقضي ذلك إلى خراب دياركم، وإما بكونهم^(٤) خافوا منه أن يقاتلهم بمن يجتمع إليه من بني إسرائيل ويغلب على ملكهم.

قال النقَّاش: كانوا يأخذون من بني إسرائيل خُرْجاً كالجزية، فأرأوا أنَّ مُلْكَهُمْ يذهب بزوال ذلك^(٥).

(١) في (ب) و(ز) و(٣د) و(يه): الغلبة، والمثبت من باقي النسخ، وهو الأنسب بالسياق.
 (٢) في (ب) و(ز) و(١ا) و(يه): منه، ومثله في النهر على هامش مطبوع البحر ٣٥٨/٤، والمثبت من باقي النسخ، وهو الأنسب بالسياق.
 (٣) قوله وذلك مبالغة...، ليس في (أ) و(د) و(ع).
 (٤) في (ب) و(د) و(٣د) و(ز) و(١ا) و(يه): بكونه.
 (٥) المحرر الوجيز ٤٣٧/٢.

وجاء في سورة الشعراء: ﴿بِسِحْرِهِ﴾ [الآية: ٣٥] وهنا حُذفت لأن الآية الأولى هنا بُنيت على الاختصار فناسب الحذف، ولأن لفظ «ساحر» يدلُّ على السحر. و«فماذا تأمرون» من قول فرعون، أو من قول الملائكة: إما لفرعون وأصحابه، وإما له وحده كما يخاطبُ أفراد العظماء بلفظ الجمع، وهو من الأمر، وقال ابن عباس: معناه: تُشيرون به^(١).

قال الزمخشريُّ: من أَمَرْتُهُ فَأَمَرَنِي بكذا: إذا شَاوَرْتَهُ فَأشار عليك برأي^(٢).

وقرأ الجمهور: «تأمرون» بفتح النون هنا وفي «الشعراء»، وروى كردم عن نافع كَسَرَ النون فيهما^(٣).

و«ماذا» يحتمل أن تكون كلها استفهاماً، وتكون مفعولاً ثانياً لـ«تأمرون» على سبيل التوسُّع فيه بأن حُذِفَ منه حرفُ الجر، كما قال:

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ^(٤)

ويكون المفعولُ الأولُ محذوفاً لفَهْم المعنى، أي: أيُّ شيءٍ تأمرونني، وأصله: بأيِّ شيءٍ.

ويجوز أن تكون «ما» استفهاماً مبتدأ، و«ذا» بمعنى الذي خبرٌ عنه، و«تأمرون» صلةٌ «ذا»، ويكون قد حُذِفَ مفعولي «تأمرون»: الأول وهو ضمير المتكلم، والثاني وهو الضميرُ العائد على الموصول، والتقدير: فأَيُّ شيءٍ الذي تأمرونني، أي تأمرونني به.

(١) زاد المسير ٣/٢٣٨.

(٢) الكشاف ٢/١٠٢.

(٣) المحرر الوجيز ٢/٤٣٧. وكردم هو ابن خالد المغربي التونسي، أبو خالد، وقيل: ابن خليل، أبو خليل، قدم المدينة وعرض على نافع، وكان زاهداً عابداً فاضلاً. غاية النهاية ٢/٣٢.

(٤) قطعة من بيت عزاه سيبويه في الكتاب ١/٣٧ لعمرو بن معدي كرب، وذكر صاحب الخزانة خلافاً في نسبه، وتماهه:

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَاقْعَلْ مَا أَمَرْتُ بِهِ فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَسَبٍ

وَكَلَّا الإِعْرَابِينَ فِي «مَاذَا» جَائِزٌ فِي قِرَاءَةٍ مِّنْ كَسْرِ النُّونِ، إِلَّا أَنَّهُ حَذَفَ يَاءَ الْمُتَكَلِّمِ وَأَبْقَى الْكِسْرَةَ دَلَالَةً عَلَيْهَا.

وقدّر ابن عطية الضمير العائد على «ذا» إذا كانت موصولةً مقروناً بحرف الجرّ، فقال: وفي «تأمرون» ضميرٌ عائدٌ على الذي، تقديره: تأمرون به^(١). انتهى.

وهذا ليس بجديد؛ لفوات شرط جواز حذف الضمير إذا كان مجروراً بحرف جرّ، وذلك الشرط هو أن لا يكون الضمير في موضع رفع، وأن يجرّ ذلك الحرف الموصول أو الموصوف به أو المضاف إليه، ويتحد المتعلّق به الحرفان لفظاً ومعنى، ويتحد معنى الحرف أيضاً، والعذر لابن عطية أنه قدّره على الأصل ثم اتسع فيه فتعدّى إليه الفعل بغير واسطة الحرف، ثم حذف بعد الاتساع.

﴿قَالُوا أَرْجِمُوهُ وَأَخَاهُ﴾ أي: قال من حَصَرَ مناظرة موسى من عقلاء ملاء فرعون وأشرافه، قيل: ولم يكن يجالس فرعون ولد عيّّة، وإنما كانوا أشرافاً، ولذلك أشاروا عليه بالإرجاء ولم يشيروا بالقتل، وقالوا: إن قتلته دخلت على الناس شبهة، ولكن أغلبه بالحجة.

وقرئ بالهمز وغير همز^(٢)، فقيل: هما بمعنى واحد، والمعنى: أخره، وقيل: المعنى: أخبسه وقيل: «أرجه» بغير همز بمعنى: أظعمه، جعله من رجوت أدخل عليه همزة النقل، أي: أظعمه وأخاه لا تقتلها حتى يظهر كذبهما، فإنك إن قتلتهما ظنّ أنهما صدقا.

ولم يجرّ لهارون ذكر في صدر القصة، وقد تبين من غير آية أنهما ذهبا معاً وأرسلا إلى فرعون، ولما كان موافقاً له في دعواه وموازراً أشاروا بإرجائهما.

وقرأ ابن كثير وهشام: «أرجئوه» بالهمز وضمّ الهاء ووصلها بواو، وأبو عمرو كذلك إلا أنه لم يصل، ورؤي هذا عن هشام^(٣)، وعن يحيى عن أبي بكر.

(١) المحرر الوجيز ٤٣٧/٢.

(٢) وكلاهما في السبعة كما سيرد.

(٣) وهي التي ذكرها عنه ابن مجاهد في السبعة ص ٢٨٧، ولم يذكر عنه قراءة وصلها بواو، وفي التيسير ص ١١١ العكس، حيث ذكر عنه قراءة الوصل بالواو ولم يذكر عنه عدم الوصل، وينظر الروايات عنه بذلك في جامع البيان للداني ١٥٦/٢.

وقرأ ورش والكسائي: «أَرْجِيهِ» بغير همزٍ وبكسر الهاء ووصلها بياء.

وقرأ عاصمٌ وحمزةٌ بغير همزٍ وسكنا الهاء.

وقرأ قالون بغير همزٍ ويختلس كسرة الهاء^(١).

وقرأ ابن ذكوان في رواية كقراءة ورش والكسائي. وفي المشهور عنه: «أَرْجِيهِ»

بالحمز وكسر الهاء من غير صلة^(٢)، وقد قيل عنه: إنه يصلها بياء.

قال ابن عطية: وقرأ ابن عامر «أَرْجِيهِ» بكسر الهاء بهمزة قبلها، قال الفارسي:

وهذا غلط^(٣). انتهى.

ونسبته ابن عطية هذه القراءة إلى ابن عامرٍ ليس بجيد؛ لأن الذي روى ذلك

إنما هو ابنُ ذكوان لا هشامٌ، فكان ينبغي أن يقيّد فيقول: وقرأ ابن عامر في رواية

ابن ذكوان.

وقال بعضهم: قال أبو علي: ضمُّ الهاء مع الهمز لا يجوزُ غيره، قال: وروايةُ

ابن ذكوان عن ابن عامر غلطٌ^(٤).

وقال ابن مجاهد بعده: وهذا لا يجوز؛ لأنَّ الهاء لا تُكسر إلا إذا وقع قبلها

كسرةٌ أو ياءٌ ساكنة^(٥).

وقال الحوفي: ومن القراء مَنْ يكسر مع الهمز، وليس بجيد.

وقال أبو البقاء: ويُقرأ بكسر الهاء مع الهمز، وهو ضعيف؛ لأن الهمز حرفٌ

صحيح ساكنٌ فليس قبل الهاء ما يقتضي الكسر، ووجهه أنه أتبع الهاء كسرة الجيم،

والحاجزُ غيرُ حصين^(٦). انتهى.

(١) تنظر هذه القراءات في السبعة لابن مجاهد ص ٢٨٧-٢٨٩، والحجة للفارسي ٤/٥٧-٦٣،

والتيسير للداني ص ١١١، وجامع البيان للداني أيضاً ٢/١٥٦-١٥٨، وجميعها من المتواتر.

(٢) وهي المذكورة عنه في السبعة ص ٢٨٨، والتيسير ص ١١١.

(٣) المحرر الوجيز ٢/٤٣٧، وكلام أبي علي الفارسي في الحجة ٤/٦٢.

(٤) الحجة ٤/٦٠ و٦٢.

(٥) السبعة ص ٢٨٨.

(٦) الإملاء ١/٢٨١. وسبقه إلى هذا التخريج الداني في جامع البيان ٢/١٥٦.

ويخرَج أيضاً على توهُم إبدال الهمز ياءً، أو على أن الهمز لَمَّا كان كثيراً ما يُبدل بحرف العلة أُجْرِي مُجْرَى حرف العلة في كسر ما بعده.

وما ذهب إليه الفارسي وغيره من غلط هذه القراءة وأنها لا تجوز قولٌ فاسدٌ؛ لأنها قراءة ثابتة متواترة روتها الأكابر عن الأئمة، وتلقَّتها الأمة بالقبول، ولها توجيه في العربية، وليست الهمزة كغيرها من الحروف الصحيحة؛ لأنها قابلة للتغيير بالإبدال، والحذف بالنقل وغيره، فلا وجه لإنكار هذه القراءة.

﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١٦﴾ يَا تُوكَّ بِكُلِّ سَدْرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٥﴾﴾ «المدائن»: مدائن مصر وقراها، والحاشرون؛ قال ابن عباس: هم أصحاب الشرط^(١).

وقال محمد بن إسحاق^(٢): لَمَّا رأى فرعون من آيات الله عز وجل ما رأى، قال: لن نغالب موسى إلا بمن هو منه، فاتَّخذ غلماناً من بني إسرائيل فبعث بهم إلى قرية - قال البغوي: هي القَرمَا^(٣) - يعلمونهم السحر كما يعلمون الصبيان في المكتب، فعلموهم سحراً كثيراً، وواعد فرعون موسى موعداً ثم دعاهم وسألهم فقال: ماذا صنعتكم؟ قالوا: علمناهم من السحر ما لا يُقاومهم به أهل الأرض، إلا أن يكون أمراً من السماء فإنه لا طاقة لنا به.

وقرأ الأخوان: «بكلِّ سَحَارٍ» هنا وفي «يونس»، والباقون: «ساحر»^(٤)، وفي «الشعراء» أجمعوا على: «سَحَار». ويناسب «سَحَار»: «عليم» لكونهما من ألفاظ المبالغة، ولَمَّا كان قد تقدَّم: «إنَّ هذا لساحرٌ عليم» ناسب هنا أن يقابل بقوله: «بكلِّ ساحر عليم».

(١) أخرجه الطبري ٣٥١/١٠ دون كلمة: أصحاب.

(٢) كما في تفسير الثعلبي ٥٧/٣، والبغوي ١٨٦/٢، وزادا نسبه لابن عباس والسدي، وأخرجه عن ابن عباس الطبري ٣٥٣/١٠.

(٣) وقع في مطبوع تفسير البغوي: الغوصاء، وفي مطبوع الثعلبي: الفرقاء، والمثبت موافق لما في تفسير الطبري. والفرما: مدينة على الساحل بين العريش والفسطاط. ينظر معجم البلدان ٢٥٦/٤.

(٤) السبعة ص ٢٨٩، والتيسير ص ١١٢.

﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ رِعْوَةً قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ في الكلام حذفٌ يقتضيه المعنى، وتقديره: فأرسل حاشرين وجمعوا السحرة وأمرهم بالمجيء.

واضطرب الناقلون للأخبار في عددهم اضطراباً متناقضاً يَعَجِبُ العاقلُ من تسطيره في الكتب، فمن قائلٍ: تسع مئة ألفٍ ساحرٍ، وقائلٍ: سبعين ساحراً، فما بينهما من الأعداد المعيّنة المتناقضة.

وجاء «قالوا» بغير حرفٍ عطفٍ لأنه على تقدير جواب سائلٍ سأل: ما قالوه إذ جاء؟ قالوا^(١): إن لنا لأجراً، أي: جُعلاً.

وقال الحوفي: «قالوا» في موضع الحال من «السحرة» والعامل «جاء».

وقرأ الجرُميَّان وحفص: «إن»^(٢) على وجه الخبر واشتراطُ الأجر وإيجابه على تقدير الغلبة، ولا يريدون مطلقَ الأجر بل المعنى: لأجراً عظيماً، ولهذا قال الزمخشري: والتنكيرُ للتعظيم، كقول العرب: إنَّ له لإيلاً، و: إنَّ له لغنماً، يقصدون الكثرة^(٣).

وجوز أبو علي أن تكون «إن» استفهاماً حُذفت منه الهمزة^(٤) كقراءة الباقرين الذين أثبتوها، وهم الأخوان وابنُ عامرٍ وأبو بكرٍ وأبو عمرو، فمنهم من حَقَّقهما، ومنهم من سهَّل الثانية، ومنهم من أدخل بينهما ألفاً، والخلافُ في كتب القراءات^(٥).

وفي خطاب السحرة بذلك لفرعون دليلٌ على استطالتهم عليه باحتياجه إليهم، وبما يحصل للعالم بالشيء من الترفع على من يحتاج إليه وعلى من لا يعلم مثلاً علمه.

(١) كذا وقعت العبارة في النسخ، وجاء في الكشاف ١٠٢/٢ (والكلام منه): على تقدير سائل سأل: ما قالوا إذ جاؤوه؟ فأجيب بقوله: قالوا...

(٢) السبعة ص ٢٨٩، والتيسير ص ١١٢.

(٣) الكشاف ١٠٢/٢.

(٤) الحجة ٤/٦٥-٦٦، والمحرر الوجيز ٤٣٨/٢.

(٥) ينظر التيسير ص ٣١-٣٢، باب ذكر الهمزتين المتلاصقتين في كلمة.

و«نحن» إمّا تأكيد للضمير، وإمّا فصل، وجوابُ الشرط محذوفٌ، وقال الحوفي: جوابه ما تقدّم.

﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَيْنَ الْمُقْرَبِينَ﴾ (١١٤) أي: نعم إنَّ لكم لأجراً وإنكم، فعطف هذه الجملة على الجملة المحذوفة بعد «نعم» التي هي نائبةٌ عنها، والمعنى: لمن المقربين مني، أي: لا أقتصرُ لكم على الجعل والشواب على غلبة موسى، بل أزيدكم أن تكونوا من المقربين، فتحوزون إلى الأجر الكرامة والرفعة والجاه والمنزلة، والمثابُ إنما يتهنأ ويغتبط به^(١) إذا حاز إلى ذلك الإكرام.

وفي مبادرة فرعون لهم بالوعد والتقريب منه دليلٌ على شدة اضطرابه لهم، وأنهم كانوا عالمين بأنه عبدٌ عاجزٌ، ولذلك احتاج إلى السحرة في دفع موسى ﷺ.

﴿قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ خَائِبِينَ﴾ (١١٥) قال الزمخشري: تخييرهم إياه أدبٌ حسنٌ راعوه معه، كما يفعل أهلُ الصناعات إذا التقوا، كالمتناظرين قبل أن يتخاوضوا في الجدل، والمتصارعين قبل أن يأخذوا في الصراع^(٢). انتهى.

وقال القرطبي: تأدّبوا مع موسى ﷺ بقولهم: «إمّا أن تلقى» فكان ذلك سبب إيمانهم^(٣). انتهى.

والذي يظهر أن تخييرهم إياه ليس من باب الأدب، بل ذلك من باب الإدلال بما يعلمونه من السحر، وإيهام الغلبة والثقة بأنفسهم وعدم الاكتراث والاهتبال بأمر موسى، كما قال الفراء لسببويه حين جمع الرشيدُ بين سببويه والكسائي: أتسأل فأجيب، أم أبتدئ وتجب^(٤)؟ فهذا جاء التخييرُ فيه على سبيل الإدلال بنفسه

(١) في الكشاف ١٠٢/٢ (والكلام منه): إنما يتهنأ بما يصل إليه ويغتبط به.

(٢) الكشاف ١٠٢/٢-١٠٣.

(٣) تفسير القرطبي ٢٩٦/٩.

(٤) يشير إلى قصة المناظرة المشهورة بين سببويه والكسائي التي جرى فيها ما يعرف بالمسألة الزنبرية، وكان الفراء تلميذُ الكسائي حاضراً، ينظر تاريخ بغداد ١٢/١٠٤، والإنصاف في مسائل الخلاف ٧٠٣/٢، ومغني اللبيب ص ١٢٢، وفيها أن الذي قال ذلك لسببويه هو الكسائي، ولفظه أتسألني أم أسألك؟ وقد نقل صاحب نفع الطيب ٧٩/٤-٨٠ عن الأعلم =

والملاء بما عنده وعدم الاكتراث بمناظرته والوثوق بأنه هو الغالب.

قال الزمخشري: وقولهم «وإما أن نكون نحن المُلقين» فيه ما يدلُّ على رغبتهم في أن يُلقوا قبله: من تأكيد ضميرهم المتَّصل بالمنفصل وتعريف الخبر، [أو تعريف الخبر] وإقحام الفصل^(١). انتهى.

وأجازوا في «أن تلقى» وفي «أن نكون» النصب، أي: اختر أو افعل إمَّا إلقاءك وإمَّا إلقاءنا، والمعنى فيه البداءة، والرفع، أي: إمَّا إلقاءك مبدوءً به وإمَّا إلقاءنا، فيكون مبتدأ، أو: إمَّا أمرُك الإلقاء، أي: البداءة به، أو: إمَّا أمرنا الإلقاء، فيكون خبرَ مبتدأ محذوف، ودخلت «أن» لأنه لا يكون الفعل وحده مفعولاً ولا مبتدأ، بخلاف قوله: ﴿وَأَخْرَجُوا مُرَجَبَ لَأْمَرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَبُوءُ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٦] فالفعل بعد «إمَّا» هنا خبر ثانٍ لقوله: «وآخرون» أو صفة، فليس من مواضع «أن».

ومفعول «تلقى» محذوف، أي: إمَّا أن تلقى عصاك، وكذلك مفعول «الملقين»، أي: الملقين العصي والحبال.

﴿قَالَ أَلْقُوا﴾ أعطاهم موسى ﷺ التقدُّم وثوقاً بالحقِّ وعلماً أنه تعالى يُبطله، كما حكى الله عنه: ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِالسِّحْرِ إِلَّا أَنَّهُ سَيَبْطَلُهُ﴾ [يونس: ٨١].

قال الزمخشري: وقد سوَّغ لهم موسى ﷺ ما تراغبوا فيه ازدراءً لشأنهم، وثقةً بما كان بصدده من التأييد السماوي، وأن المعجزة لن يغلبها سحرٌ أبداً^(٢). انتهى.

والمعنى: ألقوا حبالكم وعصيكم، والظاهر أنه أمرٌ بالإلقاء، وقيل: هو تهديدٌ، أي: فسرتون ما يحلُّ بكم من الافتضاح.

= خلافاً في كون تلك المناظرة كانت بين الكسائي وسيبويه أو بين الفراء وسيبويه، وهل كان ذلك بحضرة الرشيد أو بحضرة وزيره يحيى بن خالد البرمكي.

(١) الكشف ١٠٣/٢، وما بين حاصرتين منه، وينظر كلام الطيبي في التفريق بين كون الضمير فصلاً وبين كونه توكيداً، في حاشية الشهاب ٢٠٤/٤، وروح المعاني ٢٨٩/٩، كلاهما عند تفسير هذه الآية.

(٢) الكشف ١٠٣/٢.

﴿فَلَمَّا أَلْقُوا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ ﴿١١٦﴾ أي: أروا العيون بالحيل والتخييلات ما لا حقيقة له، كما قال تعالى: ﴿يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَمَّا تَعَقَى﴾ [طه: ٦٦] وفي قوله: «سحروا أعين الناس» دلالة على أن السحر لا يقَلِبُ عيناً، وإنما هو من باب التخييل.

و«استرهبوهم» أي: أرهبوهم، واستفعل هنا بمعنى أفعل، ك: أبلّ واستبَلَّ^(١)، والرهبَةُ: الخوف والفرع.

وقال الزمخشري: «استرهبوهم»: وأرهبوهم إرهاباً شديداً، كأنهم استدعوا رهبَتَهُمْ^(٢). انتهى.

وقال ابن عطية: «استرهبوهم» بمعنى: وأرهبوهم، فكأن فعلهم اقتضى واستدعى الرهبَةَ من الناس^(٣). انتهى.

ولا يظهر ما قالوا؛ لأن الاستدعاء والطلب لا يلزمُ منه وقوع المستدعى والمطلوب، والظاهرُ هنا حصولُ الرهبَةِ، فلذلك قلنا: إن «استفعل» فيه موافقُ «أفعل»، وصرح أبو البقاء بأن معنى «استرهبوهم»: طلبوا منهم الرهبَةَ^(٤).

ووصفُ السحر بـ«عظيم» لقوة ما خيّل، أو لكثرة آياته من الحبال والعصي، روي أنهم جاؤوا بحبالٍ من آدم وأخشابٍ مجوّفة مملوءة زنبقاً، وأوقدوا في الوادي ناراً، فحميت بالنار من تحت الشمس من فوق، فتحرّكت وركب بعضها بعضاً، وهذا من باب الشّعبة والدك^(٥). وزوي غيرُ هذا من حيلهم.

وفي الكلام حذفُ تقديره: قال ألقوا فألقوا فلما ألقوا، والفاء عاطفة على هذا المحذوف، وقال الحوفي: الفاء جوابُ الأمر. انتهى، وهو لا يُعقل ما قال.

ونقول: وُصِفَ بـ«عظيم» لما ظهر من تأثيره في الأعضاء الظاهرة التي هي الأعين بما لحقها من تخيّلِ العِصِيِّ والحبالِ حيّاتٍ، وفي الأعضاء الباطنة التي هي

(١) أي: حسنت حاله بعد الهزال.

(٢) الكشاف ١٠٣/٢.

(٣) المحرر الوجيز ٤٣٩/٢.

(٤) الإملاء ٢٨٢/١.

(٥) ينظر ما سلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿يُمَلِّئُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

القلوب بما لحقها من الفزع والخوف، ولما كانت الرهبة ناشئة عن رؤية الأعين تأخرت الجملة الدالة عليها.



﴿وَأَرْحَبْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلِيَ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فغلبوا هُناك وَاغْلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْفَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا ءَأَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمْنُم بِهٖ قَبْلَ أَنْ ءَادَنَ لَكَ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكْرَتُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ نَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأَقْطِعَنَّ أَيَّدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ جَانِبِ ثَمِّ لَأَصْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَهُ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نَنبِئُكَ بِمَا ءَأَمَّا يَأْتِي رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْ تَنَّا رَبَّنَا أفرغ علينا صبرًا وَتَوَقَّنا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءِٰهْلِكَ قَالَ سَتَقْبَلُونَ أَنبَاءَهُمْ وَتَسْتَعِجُونَ بِسَاءَ لَهُمْ وَإِنَّا بِفَوْقَهُمْ فَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقِصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ سَبِئَتْهُ يُطَٰرِقُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ءَأَلَّا إِنَّمَا طَلَبْتَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهٖ مِنْ ءَأَيَّةٍ لِنَسْرَحَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَأَيَّتٍ مُفْضَلَتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يُمُوسَىٰ اذْعُ لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِيَلِينَ كَشَفَّتْ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجْلِ هُمْ بَلَغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٣٥﴾ فَالْتَقَمْنَا مِنْهُمُ فَاغْرَقْنَاهُمْ فِي الْبَحْرِ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِءَأَيِّنَا وَكَانُوا عَنَّا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمِغْرِبَهَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَوَعَدْتُكَ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَوْرَتَنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّارًا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَائِهِمْ قَالُوا يُمُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَأِلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مَّجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُمْ فِيهِ وَيَطْلُبُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغْيَرَ اللَّهُ آبِيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَخْبَرْنَاكُمْ مِنْ ءَأَلِ فِرْعَوْنَ بِسُوءِ مَقْصَدِهِمْ إِلَيْكُمْ بِسُوءِ الْعَدَابِ يُقْبَلُونَ أَنبَاءَهُمْ وَتَسْتَعِجُونَ بِسَاءَ لَهُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾

وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْتَهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِمَّقَتْ رَبِّهِ أَزْبَعَاتٍ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١١٧﴾

المفردات

لَقِفَ الشيءَ لَقْفًا وَلَقْفَانًا: أَخَذَهُ بِسُرْعَةٍ فَأَكَلَهُ أَوْ ابْتَلَعَهُ، وَرَجُلٌ ثَقِفٌ لَقِفٌ: سَرِيعُ الْأَخْذِ، وَثَقِيفٌ بَيْنُ الثَّقَافَةِ وَاللَّقَافَةِ، وَلَقِمٌ وَلِهْمٌ وَلَقِفٌ بِمَعْنَى، وَمِنْهُ التَّقْفُتُهُ وَتَلَقَّفْتُهُ، وَلَقْفَنِيهِ^(١) تَلَقَّفْتُهُ.

«مهما» اسمٌ، خلافًا للسهيلي إذ زعم أنها قد تأتي حرفاً، وهي أداة شرط، وَنَدَرَ الاستفهامُ بها في قوله:

مهما لي الليلة مهما لي^(٢) أودى بنعلتي وسربالبي^(٣)

وزعم بعضهم أنها إذا كانت اسمَ شرطٍ قد تأتي ظرفَ زمانٍ، وفي بساطتها وتركيبها من «ماما»^(٣) أو من «مه ما»^(٤) خلافٌ ذُكِرَ في النحو، وينبغي أن يُحْمَلَ قولُ الشاعر:

أماويّ مه من يستمع في صديقه أقاويل هذا الناس ماويّ يندم^(٥)

على أنه لا تركيبَ فيها، بل «مه» بمعنى: انكف، و«من» هي اسم الشرط.

«الجراد» معروف، واحده: جرادَةٌ بالتاء للذكر والأنثى، ويُميّز بينهما الوصفُ وذَكَرَ التصريفيون أنه مشتقٌّ من الجرد، قالوا: والاشتقاقُ في أسماء الأجناس قليلٌ جداً.

(١) في (أ) و(ع): ولقفتيه، وفي (د) و(د): ولقفته، والمثبت من (ب) و(ز) و(يه).

(٢) البيت لعمرو بن ملقَط الطائي، كما في نوادر أبي زيد ص ٦٢، ومعجم الشعراء للمرزباني ص ٥٧-٥٨، والخزانة ٢١/٩، وشرح أبيات مغني اللبيب للبغدادى ٣٦٣/٢، وهو دون نسبة في شرح المفصل لابن يعيش ٤٤/٧، ومغني اللبيب ص ١٤٦.

(٣) هي «ما» الشرطية كررت توكيداً، فاستثقل توالي لفظين، فأبدلت ألف الأولى هاء، وقيل: الأولى شرطية والثانية زائدة، زيدت على الأولى كما زيدت على «إن» الشرطية، ثم عمل العمل المذكور للثقل الحاصل. الدر المصون ٤٣١/٥.

(٤) «مه» اسم فعل بمعنى الزجر، و«ما» الشرطية، ثم رُجِبَ الكلمتان فصارتا شيئاً واحداً. الدر المصون ٤٣١/٥.

(٥) البيت في الزاهر لابن الأنباري ٢/٢٦٦، وشرح المفصل لابن يعيش ٨/٤، والخزانة ١٦/٩، قال البغدادي: الهمزة من قوله: «أماوي» للنداء، و«ماوي» مرخّم «ماويّة»، وهي من أسماء النساء، منها ماوية امرأة حاتم الطائي، وهذا البيت شبيه بشعره، ولكنني لم أقف عليه منسوباً إليه.

«الْقَمْلُ»، قال أبو عبيدة: هو الحَمْنان، واحدها: حَمْنانة، وهو ضربٌ من القِرْدان^(١)، وستأتي أقوال المفسرين فيه.

«الضَّفْذَعُ» هو الحيوان المعروف، وتُكْسَر دالُّه وتُفْتَح، وهو مؤنَّث، وشذَّ جمعُهم له بالألف والتاء؛ قالوا: ضِفْذَعات. النَّكْثُ: النَّقْضُ.

«الْيَمُّ»: البحر، قال ذو الرُّمَّة:

داوِيَّةٌ ودَجَى ليلٍ كأنهما يَمٌّ تَراطُنُ في حافاته الرُّومُ^(٢)

وتقدّمت هذه المادة في «فَتَيَّمُوا» [النساء: ٤٣، والمائدة ٦] إلا أن ابن قتيبة قال: «اليم»: البحر بالسُّريانية^(٣). وقيل: بالعبرانية.

التَّدْمِيرُ: الإهلاك وإخراب البناء.

التَّنْبِيرُ: الإهلاك، ومنه: التَّنْبُرُ؛ لتَهْلِكِ الناسِ عليه، وقال ابن عطية^(٤) والكرماني: التَّبِيرُ: الإهلاك وسوء العُقْبَى، وأصلُه: الكَسْرُ، ومنه: تَبَرُّ الذَّهَبِ لأنه كُسَّرَ.

* * *

﴿وَأَرْحَبَنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ إِذْ أَهَىٰ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾﴾ الظاهر أنه وحي إعلام كما روي أن جبريل عليه السلام أتاه وقال له: إنَّ الحقَّ يأمرُك أن تُلقِيَ عَصَاكَ، وكونه وحي إعلام فيه تهيئةٌ للجأش وتبشيرٌ بالنصر. وقال قوم: هو وحي إلهامٍ، ألقى ذلك في رُوعه.

(١) مجاز القرآن ١/٢٦٦.

(٢) ديوان ذي الرمة ١/٤١٠. الداوية: المفازة، يقول: اجتمعت مفازة وظلمة ليل، فصارا كأنهما بحرٌ فيه لَغَطٌ ودويٌّ يسمع بالليل. وتراطُنُ الروم: كلامهم، وحافاته: جوانبه. قاله شارح الديوان.

(٣) أدب الكاتب ص ٤٩٦.

(٤) في المحرر الوجيز ٢/٤٤٨.

و«أن» يحتمل أن تكون المفسرة، وأن تكون الناصبة، أي: بأن ألق، وفي الكلام حذف قبل الجملة الفجائية، أي: فألقاها فإذا هي تلقف، وتكون الجملة الفجائية إخباراً بما ترتب على الإلقاء، ولا يكون موحى بها في الذكر، ومن يذهب إلى أن الفاء في نحو: خرجت فإذا الأسد، زائدة، يحتمل على قوله أن تكون هذه الجملة موحى بها في الذكر، إلا أنه يقدر المحذوف بعدها، أي: فألقاها فلقفته.

وقرأ حفص: «تَلَقَّفُ» بسكون اللام من لَقِفَ، وقرأ باقي السبعة: «تَلَقَّفُ» مضارعٌ تَلَقَّفَ حُدِفَتْ إحدى تاءيه، إذ الأصل: تَتَلَقَّفُ^(١).

وقرأ البرزبي بإدغام تاء المضارعة في التاء في الوصل^(٢).

وقرأ ابن جبير: «تَلَقَّمُ» بالميم، أي: تَبَلَّغُ كاللقمة^(٣).

و«ما» موصولة، أي: ما يأفكونه، أي: يقلبونه عن الحق إلى الباطل ويزورونه. قالوا: أو مصدرية، أي: تلقف إفكهم، تسمية للمفعول بالمصدر.

روي أن موسى ﷺ لما كان يوم الجمع خرج متوكئاً على عصاه ويده في يد أخيه وقد صف له السحرة في عددٍ عظيم، فلما ألقوا واسترهبوا أوحى الله إليه فألقى فإذا هي ثعبانٌ عظم حتى كان كالجبل. وقيل: طال حتى جاز النيل. وقيل: طال حتى جاز بذنبه بحر القلزم^(٤).

وقيل: كان الجمع بإسكندرية، وطال حتى جاز مدينة البحيرة^(٥).

وروي أنهم جعلوا يرقون وحبالهم وعصيهم تعظم وعصا موسى تعظم حتى سدت الأفق وابتلعت الكل، ورجعت بعد عصاً، وأعدم الله العصي والحبال، ومد

(١) السبعة ص ٢٩٠، والتيسير ص ١١٢.

(٢) أي: «فإذا هي تَلَقَّفُ»، وهي في السبعة ص ٢٩٠، والتيسير ص ٨٣.

(٣) المحرر الوجيز ٤٣٩/٢.

(٤) هو البحر الأحمر. المعجم الوسيط (قلز). وقال ابن عطية في المحرر ٤٣٩/٢ (والكلام منه): وهذا قول بعيد عن الصواب مفرط الإغراق، لا ينبغي أن يلتفت إليه.

(٥) كورة من نواحي الإسكندرية تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. معجم البلدان ٣٥١/١. ووقع في (٣د): حتى جاز بذنبه البحيرة، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في المحرر الوجيز.

موسى يده إلى في الثعبان فعاد عصاً كما كان، فعلم السحرة حينئذٍ أن ذلك ليس من عند البشر، فخرُّوا سجّداً مؤمنين بالله ورسوله.

قال الزمخشري: أَعَدَمَ اللهُ بِقُدْرَتِهِ تِلْكَ الْأَجْرَامَ الْعَظِيمَةَ، أَوْ فَرَّقَهَا أَجْزَاءً لَطِيفَةً، وَقَالَتِ السَّحْرَةُ: لَوْ كَانَ هَذَا سِحْرًا لَبَقِيتِ حِبَالُنَا وَعَصِينَا^(١).

﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قال ابن عباس والحسن: ظهر واستبان^(٢).

وقال أرباب المعاني: الوقوعُ: ظهورُ الشيء بوجوده نازلاً إلى مستقرّه.

قال القاضي^(٣): «فوق الحق» يفيد قوة الظهور والثبوت بحيث لا يصح فيه البطلان، كما لا يصح في الواقع أن يصيرَ إلا واقعاً. ومع ثبوت الحق بطلت وزالت تلك الأعيان التي أفكوها وهي الحبالُ والعصي.

قال الزمخشري: وَمِنْ بَدَعِ التَّفَاسِيرِ: فَوْقَ فِي قُلُوبِهِمْ، أَي: فَأَثَّرَ فِيهَا، مِنْ قَوْلِهِمْ: فَأَسُّ وَقِيْعٌ، أَي: مَحْدَدٌ^(٤). انتهى.

و«ما كانوا يعملون» يعمُّ سحرَ السَّحْرَةِ وَسَعْيَ فِرْعَوْنَ وَشِيعَتِهِ.

﴿فَعَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ﴾ أي: غلب جميعهم في مكان اجتماعهم، أو: ذلك الوقت، وانقلبوا أذلاءً، وذلك أن الانقلاب إن كان قبل إيمان السحرة فهم شركاؤهم في ضمير «انقلبوا»، وإن كان بعد الإيمان فليسوا داخلين في الضمير، ولا لِحَقِّهِمْ صَغَارٌ يصفهم الله به؛ لأنهم آمنوا واستشهدوا، وهذا إذا كان الانقلاب حقيقةً، أمّا إذا لوحظ فيه معنى الصيرورة فالضميرُ في «وانقلبوا» شاملٌ للسحرة وغيرهم، ولذلك فسره الزمخشريُّ: بقوله: وصاروا أذلاءً مبهوتين^(٥).

(١) الكشاف ١٠٣/٢.

(٢) زاد المسير ٢٤٠/٣ عن ابن عباس بلفظ: استبان، وتفسير الرازي ٢٠٥/٤ عن الحسن بلفظ: ظهر، وبهذا اللفظ أخرجه الطبري ٣٦٠/١٠ عن مجاهد.

(٣) هو عبد الجبار المعتزلي، ونقل المصنف كلامه من تفسير الرازي ٢٠٥/١٤، وما قبله منه.

(٤) الكشاف ١٠٣/٢، وليس في مطبوعه: أي محدد.

(٥) المصدر السابق.

﴿وَأَلْفَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ﴾ ﴿١١٧﴾ لما كان الضمير قبل مشتركاً جُرد المؤمنون وأُفردوا بالذكر، والمعنى: خرُّوا سَجْدًا كأنما ألقاهم مُلقٍ لشدة خُرورهم.

وقيل: لم يتمالكوا ممَّا رأوا فكأنهم ألقوا.

وسجودهم كان لله تعالى لما رأوا من قدرة الله تعالى، فتيقنوا نبوة موسى ﷺ، واستعظموا هذا النوع من قدرة الله تعالى.

وقيل: ألقاهم الله سَجْدًا، سبب لهم من الهدى ما وقعوا به ساجدين.

وقيل: سجدوا موافقةً لموسى وهارون، فإنهما سَجدا لله شكرًا على وقوع الحق، فوافقوهما إذ عرفوا الحق فكأنما ألقياهم.

قال قتادة: كانوا أول النهار كفاراً سحرةً وفي آخره شهداء برةً.

وقال الحسن: تراه وُلد في الإسلام ونشأ بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا، وهؤلاء كفارٌ نشؤوا في الكفر بذلوا أنفسهم لله تعالى^(١).

﴿قَالُوا أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١١٨﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١١٩﴾ أي: ساجدين قائلين، ف«قالوا» في موضع الحال من الضمير في «ساجدين»، أو من «السحرة»، وعلى التقديرين فهم مُلتبسون بالسجود لله شكرًا على المعرفة والإيمان، وبالقول المُنبئ عن التصديق الذي محلُّه القلوب.

ولمَّا كان السجودُ أعظمَ القربِ - إذ أقربُ ما يكون العبدُ من ربه وهو ساجدٌ - بادروا به مُلتبسِينَ بالقول الذي لا بدَّ منه عند القادر عليه، إذ الدخولُ في الإيمان إنما يدلُّ عليه القولُ، وقالوا: «ربِّ العالمين» وفاقاً لقول موسى: «إني رسولٌ من ربِّ العالمين»، ولمَّا كان قد يُؤهِمُ هذا اللفظُ غيرَ الله تعالى كقول فرعون: «أنا ربكم الأعلى»، نصُّوا بالبدل على أنَّ ربَّ العالمين: ربُّ موسى وهارون، وأنهم فارَّقوا فرعون وكفروا بربوبيته.

والظاهرُ أن قائل ذلك جميعُ السحرة، وقيل: بل قاله رؤساؤهم، وسمَّى ابنُ

(١) القولان في الكشاف ٢/١٠٣-١٠٤، وقول قتادة أخرجه بنحوه الطبري ١٠/٣٦٤-٣٦٥.

إسحاق منهم الرؤساء، فقال: هم سابور وعازور وحطط ومُصَنَّفِي^(١). وحكاه ابن ماکولا أيضاً^(٢).

وقال مقاتل: أكبرهم شمعون^(٣).

وبدؤوا بموسى قبل هارون وإن كان هارون أكبر سنًا من موسى - قيل: بثلاث سنين - لأن موسى هو الذي ناظر فرعون، وظهرت المعجزتان في يده وعصاه، ولأن قوله: «وهارون» فاصلة، وجاء في «طه»: ﴿بَرِيَّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [الآية: ٧٠] لأن «موسى» فيها فاصلة، ويحتمل وقوع كل قولٍ منهما مرتبًا من طائفةٍ وطائفةٍ، فنُسِبَ فعلٌ بعضٍ إلى المجموع في سورة، وبعضٍ إلى المجموع في أخرى.

قال المتكلمون^(٤): وفي الآية دلالة على فضيلة العلم؛ لأنهم لما كانوا كاملين في علم السحر عَلِمُوا أن ما جاء به موسى حقٌّ خارجٌ عن جنس السحر، ولولا العلمُ لتوهَّموا أنه سحرٌ، وأنه أسحرُ منهم.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَادَنْ لَكَ﴾ قرأ حفص: «آمنتم» على الخبر في كل القرآن، أي: فعلتم هذا الفعل الشنيع، وبخهم بذلك وقرعهم، وقرأ العريبان ونافع والبرزيُّ بهمزة استفهام ومدَّة بعدها مطوَّلة في تقدير ألفين، إلا وزشًا فإنه يسهَّل الثانية، ولم يدخل أحدًا ألفًا بين المحققة والمليئة، وكذلك في «طه» و«الشعراء»، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر فيهنَّ بالاستفهام وحقَّقا الهمزة، وبعدهما ألفٌ، وقرأنا لقنبلٍ هنا بإبدال همزة الاستفهام أوًا لضمة نون «فرعون» وتحقيق الهمزة بعدها، أو تسهيلها، أو إبدالها، أو إسكانها، أربعة أوجه، وقرأ في «طه» مثل حفص، وفي «الشعراء» مثل البرزي^(٥).

(١) تاريخ الطبري ٤٠٨/١، وزاد المسير ٢٤١/٣، والاسمان الأولان فيهما: ساتور وعاذور، ومثله في توضيح المشتبه ٢٦٧/٥، وأما سابور وعازور، فقد حكاهما ابن الجوزي عن غير ابن إسحاق.

(٢) في الإكمال ٢٤٩/٤، وفيه أيضاً: ساتور وعاذور، والكلام من زاد المسير ٢٤١/٣.

(٣) زاد المسير ٢٤١/٣.

(٤) كما في تفسير الرازي ٢٠٥-٢٠٦.

(٥) ذكر هذه القراءات الداني في التيسير ص ١١٢، إلا أنه لم يذكر تسهيل الثانية لورش، كما أنه لم يذكر عن قنبل في هذه الآية سوى حالة واحدة، وهي أنه كان يبدل في حال الوصل من همزة الاستفهام أوًا مفتوحة، ومن بعدها مدة في تقدير ألفين. وينظر السبعة ص ٢٩٠-٢٩١.

وهذا الاستفهام معناه الإنكار والاستبعاد، والضميرُ في «به» عائِدُ على الله تعالى، لقولهم: «قالوا آمنا برب العالمين»، وقيل: يحتملُ أن يعود على «موسى»، وفي «طه» و«الشعراء» يعود في قوله: ﴿لَهُمْ﴾ [طه: ٧١، والشعراء: ٤٩] على موسى لقوله: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ﴾. وقيل: آمَنْتُ به، وآمَنْتُ له، واحدٌ.

وفي قوله: «قبلَ أن أَدِّنَ لكم» دليلٌ على وَهْنِ أمرِهِ؛ لأنه إنما جَعَلَ ذُنُوبَهُمْ بمفارقة الإذن ولم يجعله نفسَ الإيمان إلا بشرط.

﴿إِنَّ هَذَا لَكُرٌّ مَّكْرُومٌ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنهَا أَهْلَهَا﴾ أي: إنَّ صُنْعَكُمْ هذا لحيلةٌ اختَلُمْتُمُوهَا أنتم وموسى في مصر قبل أن تُخْرِجُوا منها إلى هذه الصحراء، وتواطأتم على ذلك لغرضٍ لكم، وهو أن تُخْرِجُوا منها القِبْطَ وتُسكنوا بني إسرائيل، قال هذا تمويهاً على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الإيمان.

رُوي عن ابن مسعود وابن عباس أن موسى عليه السلام اجتمع مع رئيس السحر شمعون، فقال له موسى: أرايت إن غلبتكم، أتؤمنون بي؟ فقال له: نعم، فعلم بذلك فرعونُ فقال ما قال^(١). انتهى.

ولمَّا خاف فرعونُ أن يكون إيمانُ السحرة حجةً قومه ألقى في الحال نوعين من الشُّبُهَةِ^(٢):

أحدهما: أن هذا تطاؤٌ منهم، لا أن ما جاء به حقٌّ.

والثاني: أن ذلك طلبٌ منهم للملِكِ.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديدٌ ووعيدٌ، ومفعولُ «تعلمون» محذوفٌ، أي: ما يحلُّ بكم، أبهَمَ في متعلِّقٍ «تعلمون» ثم عيَّن ما يفعلُه بهم فقال مُقْسِمًا:

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُسَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لَمَّا ظهرت الحجَّةُ عاد إلى عادة ملوكِ السوء إذا غلبوا من تعذيب مَنْ ناوَاهُمْ^(٣) وإن كان محقِّقًا، ومعنى «من

(١) أخرجه الطبري ٣٦٢/١٠.

(٢) في (ب) و(د) و(ز) و(ه): الشبهة.

(٣) في النسخ عدا (د): نافاه، والمثبت من (د) والمطبوع والنهر على هامش مطبوع البحر

خلاف»، أي: يد يمنى ورجل يسرى، والعكس، قيل: وهو أول من فَعَلَ هذا^(١).

وقيل: المعنى: من أجل الخلاف الذي ظهر منكم.

والصَّلْب: التعليقُ على الخشب.

وهذا التوعُّدُ الذي توَعَّدَه فرعونُ السحرةَ ليس في القرآن نصٌّ على أنه أنفَعَه وأوقَعَه بهم، ولكن رُوي في القصص أنه قطع بعضًا وصلَّب بعضًا، وتقدَّم قول قتادة^(٢)، وروي عن ابن عباس أنهم أصبحوا سحرةً وأمسوا شهداء^(٣).

وقرأ مجاهدٌ وحميدٌ المكيُّ وابنُ مُحَيِّصين: «لأَقْطَعَنَّ» مضارعُ قَطَعَ الثلاثي «ولأَصْلِبَنَّكُمْ» مضارعُ صَلَّبَ الثلاثي بضمِّ لام «لأصلبَنَّكم»، وروي بكسرها^(٤).

وجاء هنا «ثم لأصلبَنَّكم» وفي السورتين: ﴿وَأَصْلِبَنَّكُمْ﴾ ﴿وَأَصْلِبَنَّكُمْ﴾ [طه: ٧١، والشعراء: ٤٩] بالواو، فدلَّ على أنَّ الواو أريدَ بها معنى «ثم» من كون الصلب بعد القطع، والبَعْدِيَّةُ قد يكون معها مُهْلَةٌ وقد لا يكون.

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ هذا تسليمٌ وأتكالٌ على الله تعالى، وثقةٌ بما عنده، والمعنى: إِنَّا نَرْجِعُ إِلَى ثَوَابِ رَبِّنَا يَوْمَ الْجَزَاءِ عَلَى مَا نَلَقَاهُ مِنَ الشَّدَائِدِ، أَوْ: إِنَّا نَنْقَلِبُ إِلَى لِقَاءِ رَبِّنَا وَرَحْمَتِهِ وَخِلَاصِنَا مِنْكَ وَمِنْ لِقَائِكَ، أَوْ: إِنَّا مَيِّتُونَ مُنْقَلِبُونَ إِلَى اللَّهِ فَلَا نَبَالِي بِالْمَوْتِ، إِذْ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَفْعَلَ بِنَا إِلَّا مَا لَا بَدَّ لَنَا مِنْهُ. فالانقلابُ الأولُ يكون المرادُ به يومَ الجزاء، وهذان الانقلابان المرادُ بهما في الدنيا.

ويَبْعُدُ أن يراد بقوله: «وإنَّا» ضميرُ أنفسهم وفرعون، أي: نَنْقَلِبُ إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا فَيَحْكُمُ بَيْنَنَا؛ لقوله بعدُ: «وما تَنْقِمُ مِنَّا» فَإِنَّ هَذَا الضَّمِيرَ يَخْصُ مُؤْمِنِي السَّحَرَةِ، وَالأولى اتِّحَادُ الضَّمَاثِرِ، وَالَّذِي أَجَازَ هَذَا الْوَجْهَ هُوَ الزَّمْخَشَرِيُّ^(٥).

(١) أخرجه الطبري ٣٦٣/١٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) قريباً عند قوله تعالى: ﴿وَأَلْفَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿١٢٢﴾﴾.

(٣) أخرجه الطبري ٣٦٤/١٠.

(٤) المحرر الوجيز ٤٤٠/٢، وهي في القراءات الشاذة ص ٤٥ مضبوطة بكسر اللام.

(٥) في الكشف ١٠٤/٢، وأجاز الزمخشري الوجه الثلاثة الأولى أيضاً.

وفي قولهم: «إلى ربنا» تبرؤ من فرعون ومن ربوبيته، وفي «الشعراء»: ﴿لَا صَبْرَ﴾ [الآية: ٥٠] لأن هذه السورة اختصرت فيها القصة وأُشبعت في «الشعراء»؛ ذُكر فيها أحوال فرعون من أولها إلى آخرها، فبدأ بقوله: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِتْنًا وَلِيدًا﴾ [الآية: ١٨] وختم بقوله: ﴿ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ﴾ [الآية: ٦٦] فوقع فيها زوائد لم تقع في هذه السورة ولا في «طه»، قاله الكرمانى^(١).

﴿وَمَا نَقِمُ مِنْآ إِلَّا أَنْتَ ءَامَنَّا بِآيَاتِكَ رَبَّنَا لَمَّا جَاءَنَا﴾ قال الضحاك: وما تطعن علينا. وقال غيره: وما تكره منا^(٢).

وقال الزمخشري: وما تعيب منا^(٣).

وقال ابن عطية: وما تعدد علينا ذنباً وتواخدنا به^(٤).

وعلى هذه التأويلات يكون قوله: «إلا أن آمنّا» في موضع المفعول، ويكون من الاستثناء المفرغ من المفعول، وجاء هذا التركيب في القرآن كقوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنآ﴾ [المائدة: ٥٩]، ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ [البروج: ٨].

وهذا الفعل في لسان العرب يتعدى بـ«على»، تقول: نَقَمْتُ عَلَى الرَّجُلِ أَنْقَمُ: إِذَا عِبْتْ عَلَيْهِ فِعْلُهُ، والذي يظهر من تعديته بـ«من» أن المعنى: وما تنقم منا، أي: ما تنال منا، كقوله: ﴿فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنَهُ﴾ [المائدة: ٩٥] أي: يناله بمكروه، ويكون فَعَلَ وافتعل فيه بمعنى واحد ك: قَدَرَ وافتدّر، وعلى هذا يكون قوله: «إلا أن آمنّا» مفعولاً من أجله استثناءً مفرغاً، أي: ما تنال منا وتعذبنا لشيء من الأشياء إلا لأن آمنّا بآيات ربنا، وعلى هذا المعنى يدل تفسير عطاء؛ قال عطاء: أي: ما لنا عندك ذنبٌ تعذبنا عليه إلا أننا آمنّا^(٥).

والآيات: المعجزات التي أتى بها موسى عليه السلام، ومن جعل «لما» ظرفاً

(١) في أسرار التكرار في القرآن ص ٩١.

(٢) القولان في تفسير البغوي ١٨٩/٢.

(٣) الكشاف ١٠٤/٢.

(٤) المحرر الوجيز ٤٤١/٢.

(٥) تفسير البغوي ١٨٩/٢.

جَعَلَ العامل فيها «أَنْ آمَنَّا»، وَمَنْ جعلها حرفاً جَعَلَ جوابها محذوفاً لدلالة ما قبله عليه، أي: لَمَّا جاءتنا آمنا.

وفي كلامهم هذا تكذيبٌ لفرعون في ادّعائه الربوبية، وانسلاخٌ منهم عن اعتقادهم ذلك فيه، والإيمان بالله هو أصلُ المفاخرِ والمناقب، وهذا الاستثناء شبيهٌ بقوله: ولا عيبَ فيهم غيرَ أن سيوفهم بهنَّ فلولٌ من قراعِ الكتاب^(١) وقرأ الحسن وأبو حيوه وأبو اليسر هاشم^(٢) وابن أبي عبله: «وما تَنقَم» بفتح القاف مضارع نَقِمَ بكسرهما، وهما لغتان، والأفصحُ قراءةُ الجمهور.

﴿رَبَّنَا أفرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿١١٦﴾ لَمَّا أوعَدَهُم بالقطع والصَّلب سألوا الله تعالى أن يرزقهم الصبرَ على ما يحلُّ بهم إن حلَّ، وليس في هذا السؤال ما يدل على وقوع المُوعَدِ بهم، خلافاً لمن قال: يدلُّ على ذلك. ولا في قوله: «وتوفَّنَا مسلمين» دليلٌ على أنه لم يحلَّ بهم الموعودُ خلافاً لمن قال: يدلُّ على ذلك؛ لأنهم سألوا الله أن يكون توفِّيهم من جهته لا بهذا القطع والقتل، وتقدَّم الكلام على جملة «رَبَّنَا أفرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا»^(٣)، سألوا الموتَ على الإسلام، وهو الانقيادُ إلى دين الله وما أمر به.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ قال ابن عباس: لَمَّا آمنت السحرةُ أتبع موسى ستُّ مئة ألفٍ من بني إسرائيل^(٤). قال مقاتل: ومكث موسى بمصر بعد إيمان السحرة عامًا أو نحوَه يُريهم الآيات^(٥).

(١) البيت للناطقة الذبياني، وهو في ديوانه ص ١١.

(٢) كذا في النسخ: وأبو اليسر هاشم، وهو تحريف، والصواب: وأبو البرهسم، كما في المحرر الوجيز ٢/٤٣١، وكذا نسبها ابن عطية عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقُمُونَ مِنَّا﴾ [المائدة: ٥٩] لأبي البرهسم، ونقل ذلك عنه المصنف عند تفسير تلك الآية. والقراءة ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٤٥ عن يحيى وإبراهيم وأبي حيوه.

(٣) عند تفسير الآية (٢٥٠) من سورة البقرة.

(٤) أخرجه الطبري ١٠/٣٧١.

(٥) المحرر الوجيز ٢/٤٤١.

وتضمّن قولَ الملائكة إغراء فرعون بموسى وقومه، وتحريضه على قتلهم أو تعذيبهم حتى لا يكون لهم خروج عن دين فرعون، ويُعنى بقومه مَنْ أتبعه من بني إسرائيل، فيكون الاستفهام على هذا استفهام إنكارٍ وتعجبٍ.

وقيل: هو استخبارٌ، والغرضُ به أن يعلموا ما في قلب فرعون من موسى ومَنْ آمَنَ به.

قال مقاتل: والإفسادُ هو خوفُ أن يقتلوا أبناء القبطِ ويستحيوا نساءهم على سبيل المُقاصّةِ منهم، كما فعلوا هم بيني إسرائيل.

وقيل: الإفساد: دعاؤهم الناسَ إلى مخالفة فرعون وترك عبادته.

وقرأ الجمهور: «ويذرك» بالياء وفتح الراء عطفاً على «ليفسدوا»، أي: للإفساد ولتركك وترك آلهتك، وكأنَّ الترك هو لذلك^(١)، وبدؤوا أولاً بالعلّة العامّة وهي الإفساد، ثم أتبعوه بالخاصة ليدلّوا على أنّ ذلك الترك من فرعون لموسى وقومه هو أيضاً يؤوّل إلى شيء يختصُّ بفرعون، فدحوا بذلك زنديّةً تغيظه على موسى وقومه ليكون ذلك أبقى عليهم؛ إذ هم الأشرافُ، وبترك موسى وقومه بمصر يذهب ملكهم وشرفهم.

ويجوز أن يكون النصب على جواب الاستفهام، والمعنى: أنى يكون الجمع بين تركك موسى وقومه للإفساد وبين تركهم إياك وعبادة آلهتك، أي: إنّ هذا ممّا لا يمكن وقوعه.

وقرأ نعيم بن مسيرة والحسن بخلاف عنه: «ويذرك» بالرفع عطفاً على «أُنذرك»^(٢) بمعنى: أُنذره ويذرك؟ أي: أتُظَلِّقُ له ذلك؟ أو على الاستئناف، أو على الحال على تقدير: وهو يذرك.

وقرأ الأشهب العقيلي والحسن بخلافٍ عنه: «ويذرك» بالجزم^(٣) عطفاً على

(١) أي: إذا تركهم ولم يمنعهم وكان ذلك مؤدياً إلى ما دَعَوْه فساداً، وإلى تركه وترك آلهته، فكانه تركهم لذلك الكشاف ١٠٤/٢.

(٢) المحتسب ٢٥٦/١، والمحجر الوجيز ٣٦٧/٢، وهي في الكشاف ١٠٤/٢ دون نسبة.

(٣) القراءات الشاذة ص ٤٥، والمحتسب ٢٥٦/١، والمحجر الوجيز ٤٤١/٢، والكشاف ١٠٤/٢.

التوهم، كأنه تَوَهَّمَ النطق: يُفسدوا، جزماً على جواب الاستفهام، كما قال: ﴿فَأَصْدَقَ وَأَكْنَ مِنَّ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠] ^(١)، أو على التخفيف من «ويذرك».

وقرأ أنس بن مالك: «ونذرك» بالنون ورَفَعَ الرءاء ^(٢)، توَعَدوه بتركه وترك آلهته، أو على معنى الإخبار، أي: إنَّ الأمر يُؤوَلُ إلى هذا.

وقرأ أبيّ وعبد الله: «في الأرض وقد تركوك أن يعبدوك وآلهتك»، وقرأ الأعمش: «وقد تَرَكَكَ وآلهتك» ^(٣).

وقرأ الجمهور: «وآلهتك» على الجمع، والظاهر أن فرعون كان له آلهة يعبدها، وقال سليمان التيمي: بلغني أنه كان يعبد البقر، وقيل: كان يعبد حجراً يعلّقه في صدره كياقوتة أو نحوها ^(٤).

وقيل: الإضافة هي على معنى أنه شرَعَ لهم عبادة آلهة من بقرٍ وأصنامٍ وغير

(١) أي: كأنه قيل: أصدق وأكن، وعلى هذا أعربها الخليل كما نقل عنه سيبويه في الكتاب ٣/ ١٠٠-١٠١، قال: لمَّا كان الفعل الذي قبله قد يكون جزماً ولا فاء فيه، تكلموا بالثاني وكانهم جزموا قبله، فعلى هذا توهموا هذا. وشبَّهها بقول زهير:

بدا لي أني لستُ مُدْرِكُ ما مضى ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائياً

قال: فإنما جرَّوا هذا (أي: سابق) لأن الأول (أي: مدرِك) قد يدخله الباء، فجاؤوا بالثاني وكانهم قد أثبتوا في الأول الباء.

وقال الزركشي في البرهان ٤/ ١١٢ عند كلامه على وجوه تخريج الجزم في «وأكن»: والتحقيق قول سيبويه: هو على توهم أن الفاء لم ينطق بها، واعلم أن بعضهم قد شنع القول بهذا في القرآن على النحويين وقال: كيف يجوز التوهم في القرآن؟! وهذا جهل منه بمرادهم؛ فإنه ليس المراد بالتوهم الغلط، بل تنزيل الموجود منه منزلة المعدوم - كالفاء في قوله تعالى: «فأصدق» - ليبنى على ذلك ما يقصد من الإعراب.

(٢) كما في المحرر الوجيز ٢/ ٤٤١، وقيدها الزمخشري في الكشاف ٢/ ١٠٤ بنصب الرءاء، وهي في القراءات الشاذة ص ٤٥ دون تقييد برفع أو نصب.

(٣) القراءتان في المحرر الوجيز ٢/ ٤٤١.

(٤) كلا القولين مروياً عن سليمان التيمي، كما في تفسير ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٨، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ١٥. والكلام من المحرر الوجيز ٢/ ٤٤١. والقول الأول أخرجه الطبري عن ابن عباس، والثاني أخرجه عن الحسن. تفسير الطبري ١٠/ ٣١٧.

ذلك، وجَعَلَ نَفْسَهُ الإلهَ الأعلى، فقولهُ على هذا: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الأعلى﴾ [النازعات: ٢٤] إنما هو بمناسِبَةٍ بينه وبين سواه من المعبودات^(١).

قيل: كانوا قَبَطًا يعبدون الكواكب، ويزعمون أنها تستجيبُ دعاءَ مَنْ دعاها، وفرعونُ كان يدَّعي أن الشمس استجابت له وملَّكته عليهم.

وقرأ ابنُ مسعودٍ وعليٌّ وابنُ عباسٍ وأنسٌ وجماعةٌ غيرهم: «والهتك»^(٢)، وفَسَّرُوا ذلك بأمرين:

أحدهما: أن المعنى: وعبادتك، فيكون إذ ذاك مصدرًا؛ قال ابن عباس: كان فرعون يُعبدُ ولا يَعْبُدُ^(٣).

والثاني: أن المعنى: ومعبودك، وهي الشمسُ التي كان يعبدها، والشمسُ تسمى: إلهةً، علَّمَا عليها ممنوعةً الصَّرف.

﴿قَالَ سَنَقِيلُ أبنَاءَهُمْ وَنَسْتَعِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾^(٤) وإنما لم يعاجلُ موسى وقومه بالقتال لأنه كان مُلئاً من موسى رعباً، والمعنى أنه قال: سنُعِيدُ عليهم ما كُنَّا فعلنا بهم قبلُ من قتل أبنائهم؛ لِيَقِلَّ رَهْطُهُ الَّذِينَ يَقَعُ الإفساد بواسطتهم، والفوقيةُ هنا بالمنزلة والتمكُّن في الدنيا، «وقاهرون» يقتضي تحقيرهم، أي: قاهرون لهم فهم^(٤) أقلُّ من أن نهتمَّ بهم^(٥)، فنحن على ما كُنَّا عليه من الغلبة، أو إنَّ غلبة موسى لا أثر لها في ملكنا واستيلائنا، ولثلاثاً يتوهم العامةُ أنه المولودُ الذي تحدَّث المنجِّمون والكهنةُ بذهاب ملكنا على يده، فيثبُّتهم ذلك عن طاعتنا، ويدَّعُوهم إلى اتِّباعه وأنه منتظرٌ بعدُ.

وشدَّد «سنقتل» و«يقتلون» الكوفيون والعربيان وخففهما نافعٌ، وخفف ابن كثير «سنقتل» وشدَّد «ويقتلون»^(٦).

(١) المحرر الوجيز ٤٤١/٢.

(٢) القراءات الشاذة ص ٤٥، والمحتسب ٢٥٦/١، والمحرر الوجيز ٤٤١/٢.

(٣) أخرجه الطبري ٣٦٨-٣٦٩، وأخرج عنه أيضاً في الموضع نفسه أنه قال: «ويذكر وإلاهتك» قال: يترك عبادتك.

(٤) في (١د) والمطبوع: قهراً.

(٥) في (يه): نهتم لهم، وفي (زا): يهتم بهم.

(٦) السبعة ص ٢٩١-٢٩٢، والتيسير ص ١١٢-١١٣.

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾ لَمَّا تَوَعَّدَهُمْ فِرْعَوْنُ جَزَعُوا وَتَضَجَّرُوا، فَسَكَّنَهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَمَرَهُمْ بِالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ وَبِالصَّبْرِ، وَسَلَّاهُمْ وَوَعَدَهُمُ النَّصْرَ، وَذَكَرَهُمْ مَا وَعَدَ اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ إِهْلَاكِ الْقَبْطِ وَتَوْرِيثِهِمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ أَي: أَرْضَ مِصْرَ، وَ«أَل» فِيهِ لِلْعَهْدِ، وَهِيَ الْأَرْضُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا.

وقيل: «الأرض» أرض الدنيا، فهي على العموم.

وقيل: المراد: أرض الجنة؛ لقوله: ﴿وَأُورِثْنَا الْأَرْضَ نَبَوًّا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ [الزمر: ٧٤].

وتعدى «استعينوا» هنا بالباء، وفي ﴿وَأِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بنفسه، وجاء: «اللهم إِنَّا نَسْتَعِينُكَ»^(١).

﴿وَالْمَقْبَلَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ قيل: النصرُ وَالظَّفَرُ. وقيل: الدارُ الْآخِرَةُ. وقيل: السعادةُ وَالشهادة. وقيل: الجنة.

وقال الزمخشري: الخاتمةُ المحمودَةُ لِلْمُتَّقِينَ مِنْهُمْ وَمِنَ الْقَبْطِ، وَإِنَّ الْمَشِيئَةَ مَتَنَاوَلَةٌ لَهُمْ^(٢). انتهى.

وقرأت فرقة: «يُورِثُهَا» بفتح الراء^(٣).

وقرأ الحسن: «يُورِثُهَا» بتشديد الراء على المبالغة، ورُويت عن حفص^(٤).

وقرأ ابن مسعود وأبي: و«العاقبة» بالنصب عطفًا على «إِنَّ الْأَرْضَ»^(٥).

وفي وَعَدِ مُوسَى تَبْشِيرًا لِقَوْمِهِ بِالنَّصْرِ وَحُسْنِ الْخَاتِمَةِ، وَنَتِيجَةُ طَلْبِ الْإِعَانَةِ

(١) قطعة من قنوت عمر وعلي وأبي بن كعب رضي الله عنهم، أخرج ذلك عنهم عبد الرزاق (٤٩٦٨) و(٤٩٦٩) و(٤٩٧٠) و(٤٩٧٨).

(٢) الكشاف ١٠٥/٢.

(٣) المحرر الوجيز ٤٤٢/٢، وجاء في القراءات الشاذة ص ٤٥: «يُورِثُهَا مِنْ تَشَاءُ»: ابن أبي ليلي.

(٤) القراءات الشاذة ص ٤٥، والمحرر ٤٤٢/٢.

(٥) ينظر التعليق السابق.

توريتُ الأرض لهم، ونتيجةُ الصبر العاقبةُ المحمودَةُ والنصرُ على مَنْ عاداهم،
فلذلك كان الأمرُ بشيئين ينتج عنهما شيثان.

قال الزمخشريُّ: فإن قلت: لِمَ أُخليت هذه الجملةُ عن الواو وأدخلت على
الذي قبلها؟ قلتُ: هي جملةٌ مبتدأةٌ مستأنفةٌ، وأمَّا: «وقال المَلَأُ» فمعطوفةٌ على
ما سَبَقها من قوله: «قال المَلَأُ من قومِ فرعون»^(١). انتهى.

﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ أي: بابتلائنا بذبح أبنائنا
مخافةً ما كان يتوقَّع فرعونُ من هلاكِ مُلكه على يد المولود الذي يولدُ مَنًا، «من قَبْلِ
أن تأتينا»، قال الزمخشريُّ: من قَبْلِ مولد موسى إلى أن استُنْبِئ^(٢)، «ومن بعد
ما جئتنا»: إعادةُ ذلك عليهم، قاله ابن عباس^(٣)، وزاد الزمخشريُّ: وما كانوا
يُستعبدون به ويُمتهنون فيه من أنواع الخدم والمهن، ويُمسُون به من العذاب^(٤).
انتهى.

وقال ابن عطية: والذي من بعد مجيئه يَعْنُون به وعيدَ فرعون وسائر ما كان
خلال تلك المدة من الإخافة لهم^(٥).

وقال الحسن: بأخذِ الجزية منهم قبل بَعثِ موسى إليهم، وبعد بَعثه ما زاد على
ذلك.

وقال الكلبي: كانوا يَضْرِبون له اللَّبَنَ، ويعطيهم التبنَ، فلما جاء موسى غرَمهم
التبنَ، وكان النساءُ يَغْزِلْنَ له الكتانَ وَيَسْجِنَهُ.

وقال جُوَيْرِيْر: استسخرهم من قبل إتيان موسى في أول النهار إلى نصف النهار،
فلَمَّا جاء موسى استسخرهم النهار كله بلا طعامٍ ولا شرابٍ.

وقال علي بن عيسى: من قبلُ بالاستعباد وقتلِ الأولاد، ومن بعدُ بالتهديد
والإبعاد. ورُوي مثله عن عِكْرِمَةَ.

(١) الكشاف ١٠٥/٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) تفسير البغوي ١٩٠/٢.

(٤) الكشاف ١٠٥/٢.

(٥) المحرر الوجيز ٤٤٢/٢.

وقيل: من قبل أن تأتينا بعهد الله بالخلاص، ومن بعد ما جئتنا به، قالوه في معرض الشكوى من فرعون واستعانةً عليه بموسى^(١).

وقال ابن عباس والسدي: قالوا ذلك حين أتبعهم فرعون واضطرهم إلى البحر، فضاقت صدورهم ورأوا بحرًا أمامهم وعدوا كثيرًا وراءهم^(٢)، لما أسرى بهم موسى حتى هجموا على البحر، التفتوا فإذا هم برهج دواب فرعون، فقالوا هذه المقالة، وقالوا: هذا البحر أمامنا وهذا فرعون وراءنا قد رهقنا بمن معه^(٣). انتهى.

وهذا القول فيه بعد، وسيأق الآيات يدل على الترتيب، وقد جاء بعد هذه: «ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين».

قال ابن عطية: وهو كلام يجري مع المعهود من بني إسرائيل: من اضطرابهم على أنبيائهم، وقلة يقينهم وصبرهم على الدين^(٤). انتهى.

قيل: ولا يدل قولهم ذلك على كراهة مجيء موسى؛ لأن ذلك يؤدي إلى الكفر، وإنما قالوه لأنه كان وعدهم بزوال المضار، فظنوا أنها تزول على الفور، فقولهم ذلك استعطاف لا نفرة.

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾^(١٢٩) هذا رجاء من نبي الله موسى عليه السلام، ومثله من الأنبياء يقوي قلوب أتباعهم فيصبرون إلى وقوع متعلق الرجاء، ولا تنافي بين هذا الرجاء وبين قوله: «والعاقبة للمتقين» من حيث إن الرجاء غير مقطوع بحصول متعلقه، والإخبار بأن العاقبة للمتقين واقع لا محالة - لأن العاقبة إن كانت في الآخرة فظاهر جدًا عدم التنافي، وإن كانت في الدنيا فليس فيها تصريح بعاقبة هؤلاء القوم المخصوصين، فسلك موسى طريق الأدب مع الله، وساق الكلام مساق الرجاء.

(١) ذكر هذه الأقوال عدا قول عكرمة الماوردي في النكت والعيون ٢/٢٤٩-٢٥٠.

(٢) المحرر الوجيز ٢/٤٤٢.

(٣) من قوله: لما أسرى بهم موسى... إلى هنا هو لفظ خبر ابن عباس عند الطبري ٣٧٣/١٠.

(٤) المحرر الوجيز ٢/٤٤٢.

وقال التبريزي: يحتمل أن يكون قد أُوجِيَ بذلك إلى موسى «عسى» للتحقيق، أو لم يُوجَح فيكون على الترجي منه.

قال الزمخشري: تصریح بما رَمَزَ إليه من البشارة قبلُ، وكشفت عنه، وهو إهلاك فرعونَ واستخلافهم بعده في أرض مصر^(١).

وقال ابن عطية: واستعطافُ موسى لهم بقوله: «عسى ربُّكم أن يهلك عدوكم» ووَعْدُهُ لهم بالاستخلاف في الأرض، يدلُّ على أنه يستدعي نفوساً نافرةً، ويُقوِّي هذا الظنَّ في جهة بني إسرائيل سلوكتهم هذه السبيلَ في غير قصة^(٢).

و«الأرض» هنا: أرضُ مصر؛ قاله ابن عباس^(٣). وقد حَقَّقَ الله هذا الرجاءَ بوقوع متعلِّقه، فأغرقَ فرعونَ وملَّكهم مصرَ زمانَ داودَ وسليمان.

وقيل: أرضُ الشام، فقد فتحوا بيتَ المقدس مع يُوشَعَ وملَّكوا الشامَ زمانَ داودَ وسليمان.

ومعنى «فينظر كيف تعملون» أي: في استخلافكم من الإصلاح والإفساد، وهي جملةٌ تجري مجرى البعث والتحرير على طاعة الله تعالى، وفي الحديث: «إن الدنيا حلوةٌ خضرةٌ، وإنَّ الله مستخلفكم فيها فناظرٌ كيف تعملون»^(٤).

وقال الزمخشري: فيرى الكائنَ منكم من العملِ حَسَنِهِ وقبيحِهِ، وشكرَ النعمة وكفرانها، ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم^(٥). انتهى، وفيه تلويح الاعتزال.

ودخل عمرو بنُ عبيد - وهو أحدُ كبار المعتزلة وزُهادِهِم - على المنصور ثاني خلفاء بني العباس قبل الخلافة وعلى مائدته رغيفٌ أو رغيفان، فطلب زيادةً لعمرو

(١) الكشاف ١٠٥/٢.

(٢) المحرر الوجيز ٤٤٢/٢.

(٣) زاد المسير ٢٤٦/٣.

(٤) قطعة من حديث أخرجه مسلم (٢٧٤٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٥) الكشاف ١٠٥/٢.

فلم توجد، فقرأ عمرو هذه الآية، ثم دخل عليه بعدما استخلفت فذكر له ذلك، وقال: قد بقي: «فينظر كيف تعملون»^(١).

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقِصَ مِنَّ الشَّمْرِتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ الأخذ: التناول باليد، ومعناه هنا: الابتلاء في المدة التي كان أقام بينهم موسى يدعوهم إلى الله، ومعنى «بالسنين» بالمحوظ والجذوب، والسنة تطلق على الحول وتطلق على الجذب ضد الخضب، وبهذا المعنى تكون من الأسماء الغالبة كالنجم والذبران^(٢)، وقد اشتقوا منها بهذا المعنى فقالوا: أسنت القوم: إذا أجذبوا، ومنه قوله: رجال مكة مسنونون عجاف^(٣)

أي: مجذبون. وقال حاتم:

فإننا نهيئ المال من غير ضينة ولا يشتكيننا في السنين صريرها^(٤)
وفي «سنين» لغتان: شهماها إعرابها بالواو رفعا والياء جراً ونصباً، وقد تكلف النحاة علة لكونها جمعت هذا الجمع، والأخرى جعل الإعراب في النون والتزام الياء في الأحوال الثلاثة، نقلها أبو زيد والفرأ^(٥)، وقال الفرأ: هي في هذه اللغة

(١) المصدر السابق، وروى ابن الجوزي في المنتظم ٣٣٩/٧ نحو هذه القصة على أنها جرت بين عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي والمنصور.
(٢) النجم: الثريا، وأصله: نجم، لواحد النجوم، ثم أدخل عليه الألف واللام، فقالوا: النجم، لأي نجم كان؛ بين المتخاطبين فيه عهد، ثم غلب على الثريا لكثرة الاستعمال، وكذلك الدبران أصله مأخوذ من دبر: إذا تأخر، ثم غلب على نجم مخصوص، وسمي دبراً لأنه يذبر الثريا، وهو من منازل القمر، وزعموا أن الدبران جاء خاطباً للثريا وساق مهرها كواكب صغاراً معه تسمى: القلاص. ينظر شرح المفصل لابن يعيش ٤١/١-٤٢، واللسان (دبر).

(٣) صدره: عمرو الذي هشم الشريد لقومه، وينسب لعبد الله بن الزبعرى، وهو في ملحقات ديوانه ص ٥٣، ونسب أيضاً لمطروود بن كعب الخزاعي، كما في الممتق لابن حبيب ص ١٢، والاشتقاق ص ١٣. وعمرو هو هاشم بن عبد مناف، وهو أول من أطعم الشريد بمكة، وسمي هاشماً لهشمه الخبز بمكة لقومه. السيرة النبوية ١/١٣٦.

(٤) ديوان حاتم ص ٦٢.

(٥) في معاني القرآن ٢/٩٢.

مصروفة عند بني عامر وغير مصروفة عند تميم^(١). والكلام على ذلك أمعن في كتب النحو.

وكان هذا الجذب سبع سنين، قال ابن عباس وقتادة: أما السنون فكانت لباديتهم ومواشيهم، وأما نقص الثمرات فكان في أمصارهم^(٢). وهذه مسيرة الله في الأمم يبتليها بالنقم ليزدجروا ويتذكروا بذلك ما كانوا فيه من النعم، فإن الشدة تجلب الإنابة والخشية ورقة القلب، والرجوع إلى طلب لطف الله وإحسانه، وكذا فعل بقریش حين دعا عليهم رسول الله ﷺ: «اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف»^(٣)، وروي أنه ييس لهم كل شيء حتى نيل مصر، ونقصوا من الثمرات حتى كانت النخلة تحمل الثمرة الواحدة.

ومعنى «لعلهم يذكرون»: رجاء لتذكركم وتنبههم، على أن ذلك الابتلاء، إنما هو لإصرارهم على الكفر وتكذيبهم بآيات الله فيزدجروا.

﴿فَإِذَا جَاءَ تَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾^(٤) ابتلوا بالجذب ونقص الثمرات رجاء التذكركم فلم يقع المرجو، وصاروا إذا أخصبوا وصحوا قالوا: نحن أحقأ بذلك، وإذا أصابهم ما يسوؤهم تشاءموا بموسى وزعموا أن ذلك بسببه. واللام في «لنا» قيل: للاستحقاق، كما تقول: السرج للفرس.

وتشاورهم بموسى ومن معه معناه أنه: لولا كونهم فينا لم يصيبنا، كما قال الكفار للرسول عليه الصلاة والسلام: هذه من عندك، في قوله: ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ [النساء: ٧٨]، وأتى الشرط بـ«إذا» في مجيء الحسنة - وهي لما تُيقن وجوده - لأن إحسان الله هو المعهود الواسع العام لخلق به حيث إن إحسانه لخلق عام حتى في حال الابتلاء، وأتى الشرط بـ«إن» في إصابة السيئة - وهي للممكن - إبرازاً أن إصابة السيئة مما قد يقع وقد لا يقع، وجهة رحمة الله أوسع.

- (١) إعراب القرآن للنحاس ١٤٥/٢، وفيه: وحكى الفراء عن بني عامر أنهم يقولون: أقتم عنده سنيناً يا هذا، مصروقاً، قال: وبنو تميم يقولون: مضت له سنين يا هذا.
- (٢) أخرجه عن قتادة الطبري ٣٧٥/١٠، وذكره عن ابن عباس الزمخشري ١٠٥/٢.
- (٣) أخرجه البخاري (٨٠٤)، ومسلم (٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الزمخشري: فإن قلت: كيف قيل: «فإذا جاءتهم الحسنة» بـ«إذا» وتعريف الحسنة، «وإن تُصِبْهم سيئة» بـ«إن» وتنكير السيئة؟ قلت: لأنَّ جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرتِه وأتساعه، وأمَّا السيئة فلا تقع إلا في التُّدرة، ولا يقع إلا يسيرًا منها، ومنه قولُ بعضهم: وقد عَدَدْتَ أيامَ البلاءِ فهَلَّا عَدَدْتَ أيامَ الرِّخاءِ^(١). انتهى.

وقرأ عيسى بنُ عمر وطلحةُ بنُ مصرفٍ: «تَطَيَّرُوا» بالتاء وتخفيف الطاء فعلاً ماضياً^(٢)، وهو جوابُ «وإن تُصِبْهم»، وهذا عند سيويه مخصوصٌ بالشعر، أعني: أن يكون فعلُ الشرط مضارعاً وفعلُ الجزاء ماضي اللفظ، نحو قول الشاعر:

مَنْ يَكِدْنِي بِسَيِّئِ كَنْتُ مِنْهُ كَالشَّجَا بَيْنَ حَلْقِهِ وَالْوَرِيدِ^(٣)

وبعضُ النحويين يجوّزه في الكلام. وما رُوي من أن مجاهدًا قرأ: «تشاءموا»^(٤) مكان «يطيِّروا» فينبغي أن يُحمل ذلك على التفسير لا على أنه قرآن؛ لمخالفته سوادَ المصحف.

﴿أَلَا إِنَّمَا طَئِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال ابن عباس: «طائرهم»: نصيبهم، أي: ما طار لهم في القدر ممّا هم لا قُوّه، وهو مأخوذٌ من زَجْرِ الطير، سُمِّي ما عند الله من القدر للإنسان طائرًا لما كان يَعْتَقِدُ أن كلَّ ما يصيبه إنما هو بحسب ما يراه في الطائر، فهي لفظةٌ مستعارةٌ، قاله ابن عطية^(٥).

وقال الزمخشري: أي: سببُ خيرهم وشرهم عند الله تعالى، وهو حُكْمُهُ ومشيئُهُ، والله تعالى هو الذي يشاء ما يُصيبهم من الحسنة والسيئة، وليس شؤمٌ أحدٍ ولا يُمنُّه بسببٍ فيه، كقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]، ويجوزُ أن يكونَ معناه: ألا إنما سببُ شؤمهم عند الله، وهو عملهم المكتوبُ عنده يُجْرَى

(١) الكشاف ١٠٦/٢، وفيه: ... فهل، بدل: فهلا.

(٢) المحرر الوجيز ٤٤٣/٢، وينظر القراءات الشاذة ص ٤٥، وقد وقع في مطبوعه: «تطيروا».

(٣) البيت لأبي زيد الطائي النصراني كما في الخزانة ٧٦/٩، وهو دون نسبة في المقتضب ٥٩/٢، والمقرب ٢٧٥/١.

(٤) المحرر الوجيز ٤٤٣/٢.

(٥) المصدر السابق، وأخرج الطبري ٣٧٧/١٠ عن ابن عباس أنه فسّر «طائرهم» بقوله: مصائبهم عند الله.

عليهم ما يسوءهم لأجله، ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم الله تعالى في قوله: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ الآية [غافر: ٤٦] ولا طائر أشأم من هذا^(١).

وقرأ الحسن: «ألا إنما ظيّرهم»^(٢).

وحكم بنفي العلم على^(٣) أكثرهم لأنّ القليل منهم علم، كمؤمن آل فرعون، وآسية امرأة فرعون، وقال ابن عطية: ويحتمل أن يكون الضمير في «طائرهم» الضمير^(٤) العالم، ويجيء تخصيص الأكثر على ظاهره، ويحتمل أن يريد: ولكنّ أكثرهم ليس قريباً أن يعلم لانغمارهم في الجهل، وعلى هذا فيهم قليل معدّ لأن يعلم لو وفقه الله. انتهى، وهما احتمالان بعيدان، وأبعد منه قوله: وإما أن يراد الجميع، وتجوّز في العبارة^(٥).

﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ الضمير في «وقالوا» عائذ على «آل فرعون»، لم يزد لهم الأخذ بالجدوب ونقص الثمرات، إلا طغياناً وتشدداً في كفرهم وتكذيبهم، ولم يكتفوا بنسبة ما يُصيبهم من السيئات إلى أن ذلك بسبب موسى ومن معه، حتى واجهوه بهذا القول الدالّ على أنه لو أتى بما أتى من الآيات فإنهم لا يؤمنون بها، وأتوا بـ«مهما» التي تقتضي العموم ثم فسروا بـ«آية» على سبيل الاستهزاء في تسميتهم ذلك آية، كما قالوا في قوله: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٧] وتسميتهم^(٦) لها بـ«آية» أي: على زعمك، ولذلك علّلوا الإتيان بقولهم: «لتسحرنا بها»، وبالغوا في انتفاء الإيمان بأن صدروا الجملة بـ«نحن»، وأدخلوا الباء في بـ«مؤمنين»، أي: إن إيماننا لك لا يكون أبداً.

(١) الكشف ١٠٦/٢.

(٢) القراءات الشاذة ص ٤٥، والمحزر الوجيز ٤٤٣/٢.

(٣) في (أ) و(١د) و(ع): عن، والمثبت من باقي النسخ، وكلاهما صواب، فـ«على» متعلقة بـ«حكم»، و«عن» تتعلق بـ«نفي».

(٤) في المحزر: لجميع.

(٥) المحزر الوجيز ٤١٣/٢.

(٦) في النسخ الخطية: وتسميه، والمثبت من النهر على هامش مطبوع البحر ٣٧٠/٤.

و«مهما» مرتفع بالابتداء، أو منتصب بإضمار فعلٍ يفسرُه فعلُ الشرط، فيكون من باب الاشتغال، أي: أيُّ شيءٍ تُحْضِرُ تَأْتِنَا بِهِ، والضمير في «به» عائِدٌ على «مهما»، وفي «بها» عائِدٌ أيضًا على معنى «مهما»؛ لأنَّ المراد به: أَيْةٌ آيةٌ، كما عاد على «ما» في قوله: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] وكما قال زهير:

ومهما تَكُنْ عند امرئٍ من خَلِيقَةٍ وإنَّ خالها تُخْفِي على الناسِ تُعَلِّمُ^(١)
فَأَنْتَ على المعنى.

قال الزمخشري: وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يُحرفُها مَنْ لا يدله في علم العربية فيضعها غير موضعها، وبحسب «مهما» بمعنى «متى ما»، ويقول: مهما جئتني أعطيتك، وهذا من وَضَعِهِ وليس من كلام واضح العربية في شيء، ثم يذهب فيفسر «مهما تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ» بمعنى الوقت، فيُلجِدُ في آيات الله تعالى وهو لا يشعر، وهذا وأمثاله مما يوجبُ الجثوَّ بين يدي الناظر في كتاب سيبويه^(٢).

انتهى.

وهذا الذي أنكره الزمخشريُّ من أنَّ «مهما» لا تأتي ظرفَ زمانٍ قد ذهب إليه ابن مالك، ذكره في «التسهيل»^(٣) وفي غيره من تصانيفه، إلا أنه لم يقصُر مدلولها على أنها ظرفُ زمانٍ، بل قال: وقد تردُّ «ما» و«مهما» ظرفي زمانٍ، وقال في أرجوزته الطويلة المسماة بـ: «الشافية الكافية»:

وقد أتت «مهما» و«ما» ظرفين في شواهدٍ مَنْ يَعْتَصِدُ بِهَا كُفِي

وقال في شرح هذا البيت: جميعُ النحويين يجعلون «ما» و«مهما» مثلَ «مَنْ» في لزوم التجرُّد عن الظرف، مع أنَّ استعمالهما ظرفين ثابتٌ في أشعار الفُصحاء من العرب^(٤). وأنشد أبياتاً عن العرب زعم فيها أنَّ «ما» و«مهما» ظرفا زمانٍ، وكفانا

(١) ديوان زهير ص ٣٢، والكشاف ١٠٧/٢، وكلام الزمخشري أوضح من كلام المصنف، حيث قال: والضميران في «به» و«بها» راجعان إلى «مهما»، إلا أن أحدهما ذكَّر على اللفظ، والثاني أنث على المعنى؛ لأنه في معنى الآية، ونحوه قول زهير...

(٢) الكشاف ١٠٧/٢.

(٣) ص ٢٣٦.

(٤) شرح الكافية الشافية ١٦٢٥/٣.

الرَدُّ عليه فيها ابنُه الشَّيْخُ بدرُ الدِّينِ محمدٌ^(١)، وقد تأوَّلنا نحن بعضَها، وذكَّرنا ذلك في كتاب «التكميل لشرح التسهيل» من تأليفنا، وكفاه ردًّا نقله عن جميع النحويين خلاف ما قاله، لكن مَنْ يعاني علماً يحتاج إلى مثوله بين يدي الشيوخ.

وأما مَنْ فسَّر «مهما» في الآية بأنها ظرفُ زمانٍ فهو كما قال الزمخشريُّ: مُلْحَدٌ في آيات الله.

وأما قولُ الزمخشريِّ: وهذا وأمثاله... إلى آخر كلامه، فهو يدلُّ على أنه جثا بين يدي الناظر في «كتاب» سيبويه، وذلك صحيحٌ؛ رَحَلَ من خوارزم في شَبِيبَتِهِ^(٢) إلى مكة شَرَّفَهَا اللهُ تعالى لقراءة «كتاب» سيبويه على رجلٍ من أصحابنا من أهل جزيرة الأندلس كان مجاوراً بمكة شَرَّفَهَا اللهُ، وهو الشَّيْخُ الإمامُ العَلَّامَةُ المشاورُ أبو بكرٍ عبدُ الله بنُ طلحةَ بنِ محمد بنِ عبد الله الأندلسيِّ^(٣)، من أهل يابرة من بلاد جزيرة الأندلس، فقرأ عليه الزمخشريُّ جميعَ «كتاب» سيبويه، وأخبره به قراءةً عن الإمام الحافظ أبي عليِّ الحسين بن محمد بن أحمد الغساني الجبَّاني^(٤)، قال: قرأته على أبي مروان عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن سراج القرطبي^(٥)، قال: قرأته على أبي القاسم بن الإفليلي^(٦)، عن أبي عبد الله

(١) ينظر رده على والده في شرح التسهيل ٣/٤٤٠-٤٤١، وهو ضمن القسم الذي أكمل به الشيخ بدر الدين شرح والده لكتابه التسهيل.

(٢) في (أ) والمطبوع: شببته، وهو تحريف، والمثبت من (ز) و(ع)، وسقطت من باقي النسخ.

(٣) نحويٌّ أصوليٌّ فقيهٌ، روى عن أبي الوليد الباجي، ردَّ على ابن حزم، وقرأ عليه الزمخشري أيضاً شرح رسالة ابن أبي زيد، توفي سنة (٥١٨هـ). البغية ٤٦/٢.

(٤) محدث الأندلس، صاحب كتاب: تقييد المهمل، حدث عن ابن عبد البر وأبي الوليد الباجي وغيرهما، ولم يرحل من الأندلس، وكان مقدِّماً في الآداب والشعر والنسب، توفي سنة (٤٩٨هـ). السير ١٩/١٤٨.

(٥) الأموي مولاهم، المحدث اللغوي، عكف على كتاب سيبويه ثمانية عشر عاماً لا يعرف سواه، عاش تسعة وثمانين عاماً، وتوفي سنة (٤٨٩هـ). السير ١٩/١٣٣، والبغية ٢/١١٠.

(٦) إبراهيم بن محمد بن زكريا، القرشي الزهري، من أحفاد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، المعروف بالإفليلي، من أهل قرطبة، ومن أئمة النحو واللغة، توفي سنة (٤٤١هـ). والإفليل قرية بالشام كان أصله منها. وفيات الأعيان ١/٥١.

محمد بن عاصم العاصمي^(١)، عن الرباحي^(٢) بسنده^(٣).

وللزمخشري قصيدٌ يمدحُ به سيبويه وكتابه، وهذا يدلُّ على أنه ناظرٌ في «كتاب» سيبويه، بخلاف ما كان يعتقدُ فيه بعضُ أصحابنا من أنه إنما نَظَرَ في نَتْفٍ من كلام أبي عليّ الفارسيّ وابن جنّي، وقد صنّف أبو الحجاج يوسفُ بنُ مغرورٍ^(٤) كتاباً في الردِّ على الزمخشري في كتاب «المفصل» والتبّيه على أغلاطه التي خالفَ فيها إمام الصناعة أبا بشرٍ عمرو بن عثمان سيبويه رَحِمَ اللهُ جميعَهم.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالذَّمَءَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكَرَبُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ قال الأخفش: الطوفان: جمعُ طوفانة عند البصريين، وهو عند الكوفيين مصدرٌ كالرُّجْحَانِ^(٥).

وحكى أبو زيد في مصدر طاف: طَوْفًا وطَوْافًا، ولم يَحِكْ طَوْفَانًا، وعلى تقدير كونه مصدرًا فلا يراُدُّ به هنا المصدر؛ قال ابن عباس: هو الماء المُعْرِقُ. وقال قتادة والضحاك وابن جُبَيْرِ وأبو مالكٍ ومقاتلٌ: هو المطرُ أُرْسِلَ عليهم دائماً الليل

(١) الأندلسي من أهل قرطبة، نحوي مشهور وإمام في العربية، توفي سنة (٣٨٢هـ). البغية ١٢٣/١.

(٢) محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدي الأندلسي النحوي، أصله من جَيَّان، كان إماماً في اللغة لا يقصر عن أكابر أصحاب المبرد، ففيها شاعراً مشهوراً، أخذ عن ابن الأعرابي والنحاس وابن ولّاد، توفي سنة (٣٥٢هـ). البغية ٢٦٢/١.

(٣) قال الرباحي: حدثني به أبو القاسم عبد الله بن محمد بن الوليد بن ولاد التميمي، عن أبيه، عن محمد بن يزيد المبرد، عن أبي عثمان المازني وعن أبي عمر الجرمي، كلاهما عن أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، عن سيبويه.

قال الرباحي: وحدثني به أيضاً أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس، عن أبي إسحاق الزجاج، عن أبي العباس المبرد بسنده المتقدم. ينظر فهرسة ما رواه ابن خبير الإشبيلي عن شيوخه ص ٣٠٦.

(٤) نحوي أديب جليل، أخذ العربية عن أبي إسحاق بن ملكون والسهيلي وروى عنهما، وله: شرح الإيضاح للفارسي، والرد على الزمخشري في مفصله، وغير ذلك، توفي بمُرْسِيَة في حدود سنة (٦٢٥هـ). البغية ٣٦٢/٢.

(٥) ينظر معاني القرآن للأخفش ٥٣١/٢، وتفسير الطبري ٣٨١/١٠، وقوله: عند البصريين... إلخ، من كلام الطبري وليس من كلام الأخفش.

والنهارَ ثمانيةَ أيام^(١). واختاره الفراء وابنُ قتيبة^(٢).

وقيل: ذلك مع ظلمةٍ شديدةٍ لا يرون شمسًا ولا قمرًا، ولا يَقْدِرُ أحدٌ أن يَخْرُجَ من داره.

وقيل: أمْطَرُوا حتى كادوا يهلكونَ وبيوتُ القِبْطِ وبنو إسرائيلَ مشتبكةً، فامتَلأت بيوتُ القبطِ ماءً حتى قاموا فيه إلى تراقيهم، فَمَنْ جالسُ غرق، ولم يدخل بيوتَ بني إسرائيلَ قطرةً، وفاض الماء على وجه أرضهم وركدَ، فمَنعهم من الحرث والبناء والتصرف، ودام عليهم سبعةَ أيام^(٣).

وقيل: طَمَّ فيضُ النيلِ عليهم حتى ملأ الأرضَ سهلًا وجبلاً.

وقال ابن عطية^(٤): هو عامٌّ في كلِّ شيءٍ يَطُوف، إلا أنَّ استعمال العرب له أكثرُ في الماء والمطر الشديد، ومنه قولُ الشاعر:

عَـيَّرَ الجِدَّةَ من عِرْفَانِه خِرْقُ الرِّيحِ وطُوفَانِ المَطَرِ^(٥)

وقال أبو النجم:

وَمَدَّ طُوفَانٌ مَبِيدٌ مَدَدَا شَهْرًا شَابِيبَ وشَهْرًا بَرَدَا^(٦)

وقال مجاهدٌ وعطاءٌ وهبٌ وابن كثير: هو هنا الموتُ الجارفُ. وروته عائشةُ

(١) زاد المسير ٢٤٨/٣، وأخرج أقوالهم - دون قوله: ثمانية أيام - الطبري ٣٧٩/١٠ و٣٨٦ فما بعدها.

(٢) زاد المسير ٢٤٨/٣، وقول الفراء في معاني القرآن ٣٩٢/١، وقول ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص ١٧١.

(٣) الكشاف ١٠٧/٢، وذكره القرطبي ٣٠٩/٩ بنحوه عن السدي.

(٤) في المحرر الوجيز ٤٤٣/٢-٤٤٤.

(٥) البيت لحُسَيْلِ بنِ عُرْقُطَةَ كما في نوادر أبي زيد ص ٧٧ ومطبوع الطبري ٥٣/١٣ (تحقيق محمود شاكر)، ووقع في نسخ الطبري: الحسن بن عرفطة، قال الشيخ محمود شاكر: وهو خطأ. وذكره دون نسبة الأخفش في معاني القرآن ٥٣١/٢، وابن جني في المنصف ٢٢٨/٢، وجاء عند الأخفش: من آياتها، بدل: من عرفانه. قال أبو زيد: الجِرْقُ: القطع من الريح، وطوفان المطر: كثرت، وروى الأصمعي: حُرْقُ.

(٦) نقله ابن عطية عن الطبري ٣٨٢/١٠، وفيهما: خبث، بدل: مبيد. والبيت ليس في ديوان أبي النجم.

عن الرسول ﷺ^(١)، ولو صَحَّ وَجَبَ المَصِيرُ إليه .

ونُقل عن مجاهدٍ وَوَهَبٍ أنه الطاعونُ بلغة اليمَن^(٢) .

وقال أبو قلابَةَ: هو الجَدري، وهو أولُ عذابٍ وقع فيهم فبقي في الأرض^(٣) .

وقيل: هو عذابٌ نزل من السماء فطاف بهم .

وروي عن ابن عباس أنه مُعَمَّى عُنِي به: شيء أطفاه الله بهم^(٤) .

فقالوا لموسى: ادْعُ لنا ربك يكشف عَنَّا ونحن نؤمنُ بك، فدعا فَرُفِعَ عنهم فما آمنوا، فنبت لهم في تلك السنة من الكَلأ والزرع ما لم يُعْهَدْ مثله، فأقاموا شهرًا فبعث الله تعالى عليهم الجراد فأكلت عامة زرعهم وثمارهم، ثم أكلت كلَّ شيءٍ حتى الأبوابَ وسقوفَ البيوت والثياب، ولم يدخل بيوت بني إسرائيلَ منها شيء، ففزعوا إلى موسى ووَعَدوه التوبةَ، فكَشِفَ عنهم بعد سبعة أيام، وخرج موسى عليه السلام إلى الفضاء فأشار بعصاه نحو المَشْرِقِ والمغرب، فرجع الجرادُ إلى النواحي التي جثنَ منها، فقالوا: ما نحن بتاركي ديننا، فأقاموا شهرًا وسلطَ الله عليهم القُمَّل^(٥)، قال ابن عباس ومجاهدٌ وقتادةٌ وعطاءٌ: هو الدَّبِّي، هو صغارُ الجراد قبل أن تَنْبُتَ له أجنحةٌ ولا يطير^(٦) .

(١) زاد المسير ٣/٢٤٩، وأخرجه عنهم الطبري ١٠/٢٨٠-٢٨١، وابن كثير هو عبد الله بن كثير. وحديث عائشة رضي الله عنها قال عنه ابن كثير عند تفسير هذه الآية: حديث غريب. قال الشيخ أحمد شاكر في حاشية الطبري ١٣/٥١: بل هو ضعيف؛ لضعف المنهال بن خليفة (أحد رجال الإسناد).

(٢) تفسير البغوي ٢/١٩١، وزاد المسير ٢/٢٤٩، وأخرجه عن مجاهد الطبري ١٠/٣٧٩ بلفظ: «الطوفان»: الماء والطاعون على كل حال.

(٣) الكشاف ٢/١٠٧، وأبو قلابَةَ هو عبد الله بن زيد الجَزَمي.

(٤) المحرر الوجيز ٢/٤٤٤، وأخرجه الطبري ١٠/٣٨١ بلفظ: أمر من أمر الله، الطوفان، ثم قرأ: ﴿نَطَأَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ﴾ [القلم: ١٩].

(٥) ينظر تفسير الطبري ١٠/٣٨٦ وما بعدها، والكشاف ٢/١٠٧، واللفظ له، وقد لخص فيه ما رواه الطبري وغيره من أخبار في هذه القصة.

(٦) تفسير الطبري ١٠/٣٨٣-٣٨٤، وزاد المسير ٣/٢٤٩.

وقال ابنُ جُبَيْرٍ عن ابنِ عباسٍ: هو السوسُ الذي يَقَعُ في الحنطة^(١).

وقال الحسنُ وابنُ جُبَيْرٍ: دوابُّ سودِّ صغارٌ.

وقال حبيب بنُ أبي ثابتٍ: هو الجِعْلان.

وقال أبو عبيدة: هو الحَمنان، وهو ضَرَبٌ من القِرْدان.

وقال عطاءُ الخُراساني وزيد بن أسلم: هو القَمْلُ المعروف، وهو لغةٌ فيه.

ويؤيده قراءةُ الحسن بفتح القاف وسكون الميم.

وقيل: هو البراغيثُ، حكاه ابنُ زيد^(٢).

ورُوي أن موسى مشى إلى كَثيبٍ أهيلَ فضربه بعصاه فانتشر كلُّه فَمَلًا بمصر، فأكل ما أبقاها^(٣) الجرادُ ولَحَسَ الأرضَ، وكان يدخل بين جلد القِبْطِيِّ فيمصُه^(٤)، ويمتلئُ الطعامُ قَمَلًا، ويطحنُ أحدهم عشرةَ أجربةٍ فلا يردُّ منها إلا يسيرًا، وسعى في أبشارهم وشعورهم وأهدابِ عيونهم وحواجبهم، ولزمت جلودهم، فضجُّوا وفرعوا إلى موسى عليه السلام، فرُفِعَ عنهم، فقالوا: قد تحقَّقنا الآن أنك ساحرٌ، وعزَّةُ فرعون لا نصدِّقك أبدًا، فأرسل الله عليهم بعد شهرٍ الضفادعَ، فمَلأت آبيتهم وأطعمتهم ومضاجعهم، ورمت بأنفسها في القدور وهي تغلي، وفي التنانير وهي تفورُ، وإذا تكلم أحدهم وثبت إلى فيه - قال ابنُ جُبَيْرٍ: وكان أحدهم يجلس في الضفادع إلى ذقنه^(٥) - فقالوا لموسى: ارحمنا هذه المرة ونحن نتوبُ التوبةَ النصوحَ

(١) زاد المسير ٢٤٩/٣، وأخرجه الطبري ٣٨٣/١٠ بلفظ: هو السوس الذي يخرج من الحنطة.

(٢) تنظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ٣٨٤-٣٨٥/١٠ و٣٩٧، وزاد المسير ٢٤٩/٣، وقول أبي عبيدة سلف عند شرح المفردات، وقراءة الحسن في القراءات الشاذة ص ٤٥، والمحور الوجيز ٤٤٤/٢.

(٣) في (ب) و(د) و(ز) و(ه): ألقاه، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في الكشاف ١٠٧/٢، والكلام منه.

(٤) في (أ) و(د) و(ع): وقمصه، والمثبت من باقي النسخ والكشاف، وفيه: وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيمصه.

(٥) قطعة من خبر طويل عن سعيد بن جبير أخرجه الطبري ٣٨٨/١٠.

ولا نعود، فأخذ عليهم العهدَ فكُشِفَ عنهم فنقضوا العهد، فأرسل الله عليهم الدّم - قال الجمهور: صار ماؤهم دماً، حتى إنَّ الإسرائيليَّ ليضعُ الماء في القبطيِّ فيصيرُ في فيه دماً - وعطش فرعونُ حتى أشفى على الهلاك فكان يمصُّ الأشجار الرُّطبةَ فإذا مضغها صار ماؤها الطيبُ ملحاً أجاجاً، وقال سعيد بن المسيب: سال عليهم النيلُ^(١) دماً.

وقال زيد بن أسلم: الدّم هو الرُّعافُ سلَّطه الله عليهم^(٢).

ومعنى تفصيل الآيات: تبيينها وإزالة إشكاليها، والتفصيلُ في الأجرام هو التفريقُ، وفي المعاني يراؤ به أنه فُرِّقَ بينها فاستبانَت وامتاز بعضها من بعض، فلا يُشكَلُ على العاقل أنها من آيات الله التي لا يقدرُ عليها غيره، وأنها عبرةٌ لهم ونقمةٌ على كفرهم.

وقال ابن قتيبة: سماها مفضلاتٍ لأن بين الآية والآية فصلاً من الزمان^(٣).

قيل: كانت الآيةُ تمكثُ من السبت إلى السبت، ثم يَبْقُون عقيبَ رفعها شهراً في عافية - وقيل: ثمانية أيام - ثم تأتي الآيةُ الأخرى، وقال وهبٌ: كان بين كلِّ آيتين أربعين يوماً^(٤).

وقال نوفّ البكاليُّ: مكثت موسى عليه السلام في آل فرعون بعد إيمان السحرة عشرين سنةً يُريهم الآيات^(٥).

وحكمة التفصيل بالزمان أنه تُمْتَحِنُ فيه أحوالهم: أيْفُون بما عاهدوا، أم ينكثون فتقوم عليهم الحجة؟ وانتصب «آيات مفضلات» على الحال.

والذي دلّت عليه الآياتُ أنه أرسل عليهم ما ذكر فيها، وأمّا كيفية الإرسال،

(١) الكشاف ١٠٧/٢-١٠٨، وهذا ملخص مما رواه الطبري ٣٨٦/١٠-٣٩٧ في هذه القصة عن ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم.

(٢) أخرجه الطبري ٣٩٧/١٠.

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٧١، وزاد المسير ٢٥١/٣.

(٤) زاد المسير ٢٥١/٣.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ١٥٤٩/٥، وأبو نعيم في الحلية ٥٠/٦.

ومكث ما أرسل عليهم من الأزمان والهيئات، فمرجعه إلى النقل عن الأخبار الإسرائيلية، إذ لم يثبت من ذلك في الحديث النبوي شيء.

ومع إرسال حُمس^(١) الآيات استكبروا عن الإيمان وعن قبول أمر الله تعالى، وكانوا قوماً مجرمين «إخباراً منه تعالى عنهم بإجرائهم على الله وعلى عباده.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٢) الظاهر أن «الرجز» هنا هو ما كان أرسل عليهم من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، فإن كان أريد الظاهر كان سؤالهم موسى بعد وقوع جميعها لا بعد وقوع نوع منها، ويحتمل أن يكون المعنى: ولما وقع عليهم نوع من الرجز، فيكون سؤالهم قد تخلل بين نوع ونوع.

ومعنى «وقع عليهم»: نزل عليهم وثبت.

وقال قوم: «الرجز»: الطاعون؛ نزل بهم مات منهم في ليلة سبعون ألف قبطني.

وفي قولهم: «ادع لنا ربك» وإضافة الرب إلى موسى عدم إقراره بأنه ربهم، حيث لم يقولوا: ادع لنا ربنا. ومعنى «بما عهدت عندك»: بما اختصك به فنبأك، أو: بما وصاك أن تدعو به ليُجيبك كما أجابك في الآيات، أو: بما استودعك من العلم. والظاهر تعلق «بما عهدت» ب«ادع لنا ربك» ومتعلق الدعاء محذوف تقديره: ادع لنا ربك بما عهدت عندك في كشف هذا الرجز، «ولئن كشفت» جواب قسم محذوف في موضع الحال من «قالوا»، أي: قالوا ذلك مُقسِّمين: «لئن كشفت»، أو لقسم محذوف معطوف، أي: وأقسموا لئن كشفت.

وجوز الزمخشري وابن عطية وغيرهما أن تكون الباء في «بما عهدت عندك» باء القسم^(٢)، أي: قالوا: ادع لنا ربك في كشف الرجز مُقسِّمين بما عهدت عندك لئن كشفت، أو: وأقسموا بما عهدت عندك لئن كشفت، والمعنى: لئن كشفت بدعائك.

(١) في (أ) و(د) و(ع) والمطبوع: جنس، هو تصحيف.

(٢) الكشف ١٠٩/٢، والمحزر الوجيز ٤٤٥/٢، وأجاز ذلك أيضاً أبو البقاء في الإملاء

وفي قولهم: «لنؤمننَّ لك» دلالة على أنه طلب منهم الإيمان كما أنه طلب منهم إرسال بني إسرائيل، وقدموا الإيمان لأنه المقصود الأعظم الناشئ منه الطواعية، وفي إسناد الكشف إلى موسى حيدة عن إسناده إلى الله تعالى؛ لعدم إقرارهم بذلك.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَلِّغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ (١٣٥) في الكلام حذف دل على المعنى، وهو: فدعا موسى فكشفت عنهم الرجز، وأسند تعالى الكشف إليه لأنه هو الكاشف حقيقة، فلما كان من قولهم أسندوه إلى موسى، وهو إسناد مجازي، ولما كان إخباراً من الله أسنده تعالى إليه لأنه إسناد حقيقي.

ولما كان «الرجز» من جملة أخرى غير مقولة لهم حسن إظهاره دون ضميره، وكان جائزاً أن يكون التركيب في غير القرآن: فلما كشفناه عنهم.

ومعنى «إلى أجل هم بالغوه» إلى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة، فيعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الإمهال وكشف العذاب إلى حلوله؛ قاله الزمخشري^(١).

وقال ابن عطية^(٢): يريد به غاية كل واحد منهم بما يخضه من الهلاك والموت، هذا اللازم من اللفظ، كما تقول: أخرت كذا إلى وقت كذا، وأنت لا تريد وقتاً بعينه، وقال يحيى بن سلام: الأجل هاهنا: الغرق. قال^(٣): وإنما قال هذا القول لأنه رأى جمهور هذه الطائفة قد اتفق أن هلكت غرقاً، فاعتقد أن الإشارة هاهنا إنما هي إلى الغرق، وهذا ليس بلازم لأنه لا بد أنه مات منهم قبل الغرق عالم، وهم ممن^(٤) أخر وكشف العذاب عنهم إلى أجل بلغه^(٥). انتهى.

(١) في الكشف ١٠٩/٢.

(٢) في المحرر ٤٤٥/٢.

(٣) أي: ابن عطية.

(٤) في (أ): ومنهم ممن، وفي (د) و(ع) والمطبوع: ومنهم من، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في المحرر.

(٥) زاد في المحرر: ودخل في هذه الآية، فأين الغرق من هؤلاء؟ وأين هو ممن بقي بمصر ولم يفرق؟

وفي «التحرير»^(١): «إلى أجل» إلى انقضاء مدّة إمهالهم، وهي المدّة المضروبة لإيمانهم. وقيل: الغرق. وقيل: الموت.

وإذا فسّر الأجل بالموت أو بالغرق فلا يصحّ كشف العذاب إلى ذلك الوقت، أي: وقت حصول الموت أو الغرق؛ لأنه قد تخلّل بين الكشف والغرق أو الموت زمانٌ، وهو زمانُ النكث، فينبغي أن يكون التقدير على هذا: إلى قُربِ أجلِهم بالغوه، أمّا إذا كان الأجل هو المدّة المضروبة لإيمانهم وإرسالهم بني إسرائيل فلا يحتاج إلى حذفٍ مضافٍ.

و«إلى أجل» قالوا: متعلق ب«كشفنا»، ولا يمكنُ حملُه على التعلُّق به، لأنّ ما دخلت عليه «لَمَّا» ترتّب جوابُه على ابتداء وقوعه، والغايةُ تُنافي التعلُّق على ابتداء الوقوع، فلا بدّ من تعقُّل الابتداء والاستمرار حتى تتحقّق الغاية، ولذلك لا تصحّ الغاية في الفعل غير^(٢) المتطاوُل، لا يقال: لَمَّا قلتُ زيدًا إلى يوم الخميس جرى كذا، ولا: لَمَّا وثبْتُ إلى يوم الجمعة اتَّفقتُ كذا.

وجعل بعضهم «إلى أجل» من تمام الرّجز، أي: الرّجزُ كائنًا إلى أجلٍ، والمعنى أنّ العذاب كان مؤجّلًا، ويقوّي هذا التّأويلَ كونُ جواب «لَمَّا» جاء ب«إذا» الفجائية، أي: فلمّا كشفنا عنهم العذاب المقرّرَ عليهم إلى أجلٍ فاجؤوا بالنكث، وعلى معنى تغيّية الكشف بالأجل المبلوغ لا تتأتّى المفاجأة إلا على تأويل الكشف بالاستمرار المغيّا، فتكون المفاجأة بالنكث إذ ذاك ممكنةً.

وقال الزمخشري: «إذا هم ينكثون» جوابُ «لَمَّا» يعني: فلمّا كشفنا عنهم فاجؤوا النكثَ وبأدروه ولم يؤخروه، ولكنّ لَمَّا كُشف عنهم نكثوا^(٣). انتهى.
ولا يمكنُ التغيّية مع ظاهرِ هذا التقدير^(٤).

- (١) هو: التحرير والتحرير لأقوال أئمة التفسير، لابن النقيب شيخ المؤلف، وقد أشار المصنف في المقدمة إلى أنه من مصادره في هذا الكتاب.
(٢) تحرفت في (أ) و(د) و(ع) والمطبوع إلى: عن.
(٣) الكشاف ١/١٠٩.
(٤) يعني: فلا بد من تأويل الكشف بالاستمرار - كما تقدم - حتى يصح ذلك. الدر المصون ٥/٤٣٦.

و«هم بالغوه» جملة في موضع الصفة لـ«أجل»، وهي أفخم من الوصف بالمفرد؛ لتكرّر الضمير^(١)، فليس في حُسن التركيب كالمفرد لو قيل في غير القرآن: إلى أجلٍ بالغيه.

ومجيءُ «إذا» الفجائية جواباً لـ«لَمَّا» ممَّا يدلُّ على أن «لَمَّا» حرفٌ وجوبٍ لوجوب كما يقول سيبويه^(٢)، لا ظرفٌ كما زعم بعضهم؛ لافتقاره إلى عاملٍ فيه، والكلام تامٌّ لا يحتمل إضماراً، ولا يعملُ ما بعد «إذا» الفجائية فيما قبلها. وقرأ أبو هاشم وأبو حَيوة «ينكثون» بكسر الكاف^(٣).

﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾^(٤)
أي: أحلّلنا بهم النقمة، وهي ضدُّ النعمة، فإن كان الانتقامُ هو الإغراقُ فتكون الفاءُ تفسيريةً، وذلك على رأي مَنْ أثبت هذا المعنى للفاء، وإلّا كان المعنى: فأردنا الانتقامَ منهم، والباءُ في «بأنهم» سببية. والآياتُ هي المعجزاتُ التي ظهرت على يد موسى عليه السلام.

والظاهرُ عَوْدُ الضميرِ في «عنها» إلى الآيات، أي: غفلوا عمّا تضمّنته الآياتُ من الهدى والنجاة، وما فكّروا فيها، وتلك الغفلةُ هي سببُ التكذيب.

وقيل: يعود الضميرُ على النقمة الدالِّ عليها «فانتقمنا»، أي: كانوا عن النقمة وحلولها بهم غافلين.

والغفلةُ في القول الأولِ عُنِي بها الإعراضُ عن الشيء؛ لأن الغفلة عنه والتكذيب لا يجتمعان من حيث إنّ الغفلة تستدعي عَدَمَ الشعور بالشيء، والتكذيبُ به يستدعي معرفته، ولأنه لو أُريد حقيقةُ الغفلة لكانوا معذورين لأنّ تلك ليست لاختيارِ العبد.

(١) يعني: الوصف بالجملة هنا أبلغ من الوصف بالمفرد؛ لأن فيها تكرّر الضمير المؤذن بالتفخيم. ينظر الدر المصون ٤٣٦/٥.

(٢) ينظر الكتاب ٢٣٤/٤.

(٣) المحرر الوجيز ٤٤٦/٢ عن أبي البرهسم وأبي حيوه، وعزاها لأبي البرهسم أيضاً الصّعاني في الشوارد في اللغة ص ١٥١، ولعل «أبو هاشم» محرف عن «أبو البرهسم»، وقد سلف شبيه بهذا قريباً عند ذكر قراءة: «وما تنقم» بفتح القاف، وهي الآية (١٢٦) من هذه السورة.

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمِغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾
 لَمَّا قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض»
 كَانَ كَمَا تَرَجَّى مُوسَى، فَأَغْرَقَ أَعْدَاءَهُمْ فِي الْيَمِّ وَاسْتَخْلَفَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي
 الْأَرْضِ، وَالَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ هُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ؛ كَانَ فِرْعَوْنُ يُسْتَعْبِدُهُمْ
 وَيَسْتَخْدِمُهُمْ، وَالِاسْتِضْعَافُ: طَلْبُ الضَّعْفِ^(١) بِالْقَهْرِ، وَكَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ حَتَّى قِيلَ:
 اسْتَضَعَفَهُ، أَي: وَجَدَهُ ضَعِيفًا.

و«مشرق الأرض ومغربها» قالت فرقة: هي الأرض كلها؛ قال ابن عطية:
 ذَلِكَ [إِمَّا] عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى مَلِكُهُمْ بِلَادًا كَثِيرَةً، وَإِمَّا عَلَى الْحَقِيقَةِ فَإِنَّهُ
 مَلِكُ ذَرِيَّتِهِمْ وَهُوَ سَلِيمَانُ بْنُ دَاوُدَ^(٢).

وقال الحسن أيضًا: «مشرق الأرض»: الشام، و«مغربها»: ديار مصر^(٣)،
 مَلِكُهُمْ اللَّهُ إِيَّاهَا بِإِهْلَاكِ الْفِرَاعِنَةِ وَالْعِمَالِقَةِ، وَقَالَ الزَّمْخَشَرِيُّ، قَالَ: وَتَصَرَّفُوا فِيهَا
 كَيْفَ شَاءُوا فِي أَطْرَافِهَا وَنَوَاحِيهَا الشَّرْقِيَّةِ وَالغَرْبِيَّةِ^(٤).

وقال الحسن أيضًا وقادة وغيرهما: هي أرض الشام^(٥).

وفي كتاب النقاش عن الحسن: أرض مصر^(٦).

والبركة فيها بالماء والشجر، قاله ابن عباس^(٧)، وَذَيْلُهُ غَيْرُهُ فَقَالَ: بِالْخُضْبِ
 وَالْأَنْهَارِ، وَكَثْرَةِ الْأَشْجَارِ، وَطَيْبِ الثَّمَارِ.

وقيل: البركة بإقدام الأنبياء وكثرة مقامهم بها، وَدَفْنِهِمْ فِيهَا، وَهَذَا يَتَخَرَّجُ عَلَى
 مَنْ قَالَ: أَرْضُ الشَّامِ.

وقيل: «باركنا»: جعلنا الخير فيها دائمًا ثابتًا، وَهَذَا يُشِيرُ إِلَى أَنَّهَا مِصْرُ.

(١) في (أ) و(١د) و(ع) والمطبوع: الضعيف، وهو تحريف.

(٢) المحرر الوجيز ٤٤٦/٢، وما بين حاصرتين منه.

(٣) النكت والعيون ٢٥٤/٢.

(٤) الكشاف ١٠٩/٢.

(٥) أخرجه عنهما الطبري ٤٠٤/١٠-٤٠٥.

(٦) المحرر الوجيز ٤٤٦/٢.

(٧) زاد المسير ٢٥٣/٣.

وقال الليث: هي مصر، بارك الله فيها بما يحدث عن نيلها من الخيرات وكثرة الحبوب والثمرات^(١).

وعن عمر رضي الله عنه: أن نيل مصر سيد الأنهار، في حديث طويل^(٢).

وروي أنه كانت الجنات بحافتي هذا النيل من أوله إلى آخره في البرين جميعاً ما بين أسوان إلى رشيد، وكانت الأشجار متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء، وقال أبو بصرة الغفاري: مصر خزائن الأرض كلها، ألا ترى إلى قول يوسف عليه السلام: ﴿أَجْمَلِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ [يوسف: ٥٥]^(٣).

ويروي أن عيسى عليه السلام أقام بها اثنتي عشرة سنة، وذلك أن الله أوحى إلى مريم أن الحقي بمصر وأرضها^(٤). وذكر أنها الربوة التي قال تعالى: ﴿وَأَوْثَقْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠].

وقال ابن عمر: البركات عشر، ففي مصر تسع وفي الأرض كلها واحدة.

وانتصاب «مشارك» على أنه مفعول ثانٍ لـ «أورثنا»، و«التي باركنا» نعت لـ «مشارك الأرض ومغاربها»، وقول الفراء: إن انتصاب «مشارك» والمعطوف عليها على الظرفية، والعاملُ فيهما هو «يُسْتَضْعَفُونَ»، و«التي باركنا» هو المفعول الثاني، أي: الأرض التي باركنا فيها^(٥)، تكلفتُ وخروجُ عن الظاهر بغير دليل، ومن أجاز أن تكون «التي» نعتاً لـ «الأرض» فقوله ضعيفٌ، للفصل بالعطف بين المنعوت ونعته. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ أي: مَضَتْ واستمرت، من قولهم: تمَّ على الأمر: إذا مضى عليه.

(١) أخرجه أبو الشيخ بلفظ: هي مصر، وهي مباركة في كتاب الله. الدر المنثور ١١٣/٣.

(٢) أخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر ص ٢٦٣-٢٦٤، والنحاس في معاني القرآن ٨١/٥، كلاهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، ولم نقف عليه عن عمر رضي الله عنه.

(٣) عزاه السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٣٨٩ لتاريخ ابن يونس، وهو المسمى: العقيد في أخبار تاريخ الصعيد، لعبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصديقي. ينظر كشف الظنون ١١٥٩/٢.

(٤) ينظر ما سلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٩].

(٥) معاني القرآن للفراء ٣٩٧/١، وينظر تفسير الطبري ٤٠٥/١٠، والمححر الوجيز ٤٤٦/٢.

قال مجاهد: المعنى: ما سبق لهم في علمه وكلامه في الأزل من النجاة من عدوهم والظهور عليه^(١).

وقال المهدي وتبعه الزمخشري: الكلمة قوله تعالى: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٥-٦]^(٢).

وقيل: هي قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ﴾ الآية [الأعراف: ١٢٩].

وقيل: الكلمة: النعمة.

و«الحسنى» تأنيثُ الأحسن، وهي صفةٌ للكلمة، وكانت الحسنى لأنها وعدٌ بمحبوب، قاله الكرمانى.

والمعنى: على من بقي من مؤمنى بنى إسرائيل «بما صبروا» أي: بصبرهم.

وقرأ الحسن: «كلمات» على الجمع، ورُويت عن عاصم وأبي عمرو^(٣)، قال الزمخشري: ونظيره: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ [النجم: ١٨]^(٤). انتهى، يعني: نظيرُ وصفِ الجمعِ بالمفرد المؤنث، ولا يتعيَّن ما قاله من أن «الكبرى» نعت لـ«آياتِ رَبِّهِ»، إذ يُحتمل أن يكون مفعولاً لقوله: «رأى»، أي: الآية الكبرى، فيكون في الأصل نعتاً لمفرد مؤنث لا لجمع، وهو أبلغ في الوصف.

﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ قَرْعُونَ وَقَوْمَهُ، وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [١٢٧] أي: خربنا قصورهم وأبنيتهم، والتدميرُ: الإهلاكُ وإخرابُ الأبنية.

وقيل: ما كان يصنعُ من التدبير في أمر موسى عليه السلام وإخماد كلمته.

وقيل: المراد إهلاكُ أهلِ القصور والمواضع المنيعة، وإذا هلك الساكنُ هلك المسكونُ.

و«ما كانوا يعرشون»، أي: يرفعون من الأبنية المشيدة كصرح هامان وغيره.

(١) المحرر الوجيز ٤٤٦/٢، وأخرجه بنحوه الطبري ٤٠٦/١٠.

(٢) الكشاف ١٠٩/٢، والمحرر الوجيز ٤٤٦/٢ عن المهدي.

(٣) القراءات الشاذة ص ٤٥، والكشاف ١١٠/٢ عن عاصم، والمحرر الوجيز ٤٤٧/٢ عن

أبي عمرو.

(٤) الكشاف ١١٠/٢.

وقال الحسن: المراد عرشُ الكروم^(١)، ومنه: ﴿جَنَّتٍ مَّعْرُوشَتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١].
 وقرأ ابنُ عامر وأبو بكر بضمِّ الراء، وباقي السبعة والحسن ومجاهدٌ وأبو رجاء
 بكسر الراء هنا وفي «النحل»^(٢)، وهي لغةُ الحجاز، وقال اليزيدي: هي أفصح^(٣).
 وقرأ ابنُ أبي عبلة: «يعرّشون» بضمِّ الياء وفتح العين وتشديد الراء^(٤).
 وانتزع الحسنُ من هذه الآية أنه ينبغي أن لا يُخْرَجَ على ملوكِ السوء،
 وإنما ينبغي أن يُضَبَّرَ عليهم، فإنَّ الله يدمِّرهم. ورُوي عنه وعن غيره: إذا قابلَ
 الناسُ البلاءَ بمثله وکلَّهم الله إليه، وإذا قابلوه بالصبر وانتظارِ الفرجِ أتى الله
 بالفرجِ^(٥).

قال الزمخشري: وبلغني أنه قرأ بعضُ الناس: «يغرِّسون» من غرَس الأشجار،
 وما أحسبه إلا تصحيفاً منه، وهذا آخرُ ما اقتصَّ الله تعالى من نبا فرعونَ والقبطِ،
 وتكذيبهم بآياتِ الله وظلمهم ومعارضتهم، ثم أتبعه اقتصاصَ نبا بني إسرائيل
 وما أحدثوه بعد إنقاذهم من مملكة فرعون واستعباده، ومعاينتهم الآياتِ العظام،
 ومجاورتهم البحرَ: من عبادة البقر، وطلبِ رؤية الله جهرةً، وغير ذلك من أنواع
 الكفر والمعاصي، ليُعْلَمَ حالُ الإنسان، وأنه كما وُصف: ظَلُومٌ كَفَّارٌ جَهُولٌ كَنُودٌ،
 إلا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبا: ١٣] وليُسَلِّيَ رسولُ الله ﷺ
 مما رأى من بني إسرائيل بالمدينة^(٦).

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ لَمَّا بَيَّنَّ أَنْوَاعَ نِعَمِهِ تَعَالَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ
 بِإِهْلَاكِ عَدُوِّهِمْ أَتْبَعَ بِالنِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ: مِنْ إِرَاءَتِهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ الْعَظِيمَةَ، وَقَطَعَهُمُ الْبَحْرَ
 مَعَ السَّلَامَةِ، وَالْبَحْرُ بَحْرُ الْقُلُزْمِ، وَأَخْطَأَ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ نَيْلُ مِصْرَ، وَمَعْنَى «جَاوَزْنَا»:

(١) المحرر الوجيز ٤٤٧/٢، وتفسير القرطبي ٣١٦/٩.

(٢) تنظر القراءتان عن ذكر من القراء السبعة في السبعة ص ٢٩٢، والتيسير ص ١١٣. أما الحسن
 ومجاهد وأبو رجاء فقد ذكرهم ابن عطية مع من قرأ بضم الراء.

(٣) الكشاف ١١٠/٢.

(٤) المحرر الوجيز ٤٤٧/٢.

(٥) المصدر السابق.

(٦) الكشاف ١١٠/٢.

قطعنا بهم البحر، يقال: جاوزَ الوادي: إذا قَطَعَهُ، والباء للتعديّة، يقال: جاوزَ الوادي: إذا قَطَعَهُ، وجاوز بغيره البحر: عَبَّرَ به، فكأنه قال: وجُزْنَا ببني إسرائيل، أي: أَجْزَنَاهُمْ البحرَ، و«فَاعَلَ» بمعنى «فَعَلَ» المجرّد؛ يقال: جاوزَ وجاز بمعنى واحد.

وقرأ الحسن وإبراهيم وأبو رجاء ويعقوب «وجوزنا»^(١)، وهو ممّا جاء فيه «فَعَلَ» بمعنى «فَعَلَ» المجرّد، نحو: قَدَّرَ وَقَدَّرَ، وليس التضعيفُ للتعديّة.

رُوي أنه عَبَّرَ بهم موسى عليه السلام يومَ عاشوراء بعدما أهلك الله فرعونَ وقومَه، فصاموه شكراً لله، وأعطى موسى التوراةَ يوم النحر، فبيّنَ الأمرين أحدَ عَشَرَ شهراً^(٢).

﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَبْكُونَ عَلَىٰ أَصْنَابٍ لَهُمْ﴾ قال قتادة وأبو عمران الجوني: هم من لَحْمٍ وَجُدَامٍ^(٣)، كانوا يسكنون الريف.

وقيل: كانوا نزولاً بالرقّة^(٤) - رقة مصر - وهي قريةٌ بريف مصر تُعرف بساحل البحر يُتوصل منها إلى الفيوم.

وقيل: هم الكنعانيون الذين أمر موسى بقتالهم^(٥).

ومعنى «فأتوا»: فمروا، يقال: أتت عليه سنونٌ، ومعنى «يعكفون» يقيمون ويواظبون على عبادة أصنام.

وقرأ الأخوان وأبو عمرو في رواية عبد الوارث بكسر الكاف^(٦)، وباقي السبعة بضمّها، وهما فصيحتان.

(١) القراءات الشاذة ص ٤٥.

(٢) المحرر الوجيز ٤٤٧/٢ نقلًا عن النقاش.

(٣) المصدر السابق، وأخرجه عن قتادة الطبري ٤٠٩/١٠-٤١٠، وعن أبي عمران الجوني ابن أبي حاتم ١٥٥٣/٥، وتحرف «عمران» في النسخ إلى: «عمرو».

(٤) تفسير البغوي ١٩٤/٢، وزاد المسير ٢٥٤/٣، وتفسير القرطبي ٣١٧/٩.

(٥) تفسير الطبري ٤١٠/١٠، والكشاف ١١٠/٢.

(٦) السبعة ص ٢٩٢، والتيسير ص ١١٣، ولم يذكرها الداني عن أبي عمرو، والمشهور عنه

القراءة بضم الكاف كباقي السبعة.

والأصنام، قيل: بقرٌ حقيقةً. وقال ابن جريج: كانت تماثيل بقرٍ من حجارة وعيدان ونحوه وذلك كان أول فتنة العجل^(١).

﴿قَالُوا يَمْوَسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمُ ٱللَّهُ﴾ الظاهرُ أن طلب مثل هذا كفرٌ وارتدادٌ وشقاقٌ وعنادٌ، جرّوا في ذلك على عادتهم في تعنتهم على أنبيائهم وطلبهم ما لا ينبغي، وقد تقدّم من كلامهم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] وغير ذلك ممّا هو كفرٌ.

وقال ابن عطية: الظاهرُ أنهم استحسِنوا ما رأوا من آلهة أولئك القوم، فأرادوا أن يكون ذلك في شرع موسى، وفي جملة ما يتقرَّب به إلى الله تعالى، وإلا فبعيدٌ أن يقولوا لموسى: اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا نُفْرِدُهُ بِالْعِبَادَةِ^(٢). انتهى.

وفي الحديث: مرّوا في غزوة حنينٍ على دوحٍ سِدْرَةٍ خضراءٍ عظيمةٍ، فقيل: يا رسول الله، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، وكانت ذاتُ أَنْوَاطٍ سِرْحَةً لبعض المشركين يعلّقون بها أسلحتهم، ولها يومٌ يجتمعون إليها، فأراد قائلُ ذلك أن يشرّع الرسولُ ذلك في الإسلام، ورأى الرسولُ عليه السلام ذلك ذريعةً إلى عبادة تلك السِّرْحَةِ فأنكره وقال: «الله أكبر! قلتم والله كما قال بنو إسرائيل: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، لتبعنَّ سننَ مَنْ كان قبلكم» الحديث^(٣).

وقال أبو عبد الله الرازي: من المستحيل أن يقول العاقل لموسى: اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا خَالِقًا مَدْبِرًا؛ لأن الذي يجعله موسى لا يمكن أن يجعله خالقًا للعالم ومدبّرًا، فالأقربُ أنهم طلبوا أن يعين لهم تماثيلَ وصورًا يتقرَّبون بعبادتها إلى الله تعالى، وقد حكى تعالى عن عبّاد الأوثان قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَىٰ

(١) أخرجه الطبري ٤٠٩/١٠.

(٢) المحرر الوجيز ٤٤٧/٢-٤٤٨.

(٣) أخرجه بنحوه أحمد (٢١٨٩٧)، والترمذي (٢١٨٠) من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه. قال الترمذي: حسن صحيح. ولفظ المصنف منقول من المحرر الوجيز ٤٤٨/٢. السِّرْحَةُ: الشجرة العظيمة. النهاية (سرح). والدوح: جمع دوحه، وهي الشجرة العظيمة. والسدرة: مفرد السدر، وهو شجر التّيق. القاموس (دوح) و(سدر).

اللَّهُ زُلْفَىٰ ﴿﴾ [الزمر: ٣] وأجمع كلُّ الأنبياء عليهم السلام على أنَّ عبادة غير الله كفرٌ، سواءً اعتقد فيه كونه إلهًا للعالم، أو أنَّ عبادته تقرب إلى الله^(١). انتهى.

ويظهرُ أن ذلك لم يصدُر من جميعهم، فإنه كان فيهم السبعون المختارون ومن لا يصدُر منه هذا السؤالُ الباطلُ، لكنه نَسَبَ ذلك إلى بني إسرائيلَ لَمَّا وقع من بعضهم على عادة العرب في ذلك.

و«ما» في «كما» قال الزمخشري: كAFFة للكاف، ولذلك وقعت الجملة بعدها^(٢).

وقال غيره: موصولةٌ حرفيةٌ، أي: كما ثبت لهم آلهةٌ، فتكون قد حُذِفَ صلُّتها، على حدِّ ما قال ابن مالك في أنه إذا حُذِفَت صلَّةُ «ما» فلا بدُّ من إبقاء معمولها، كقولهم: لا أكلمك ما أن في السماء نجماً، أي: ما ثبت أن في السماء نجماً^(٣)، ويكون «آلهةٌ» فاعلاً بـ«ثبت» المحذوفة.

وقيل: موصولةٌ اسميةٌ، و«لهم» صلُّتها، والضميرُ العائدُ عليها مستكنٌّ في المجرور، والتقدير: كالذي لهم، و«آلهةٌ» بدلٌ من ذلك الضمير المستكنِّ.

﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ ﴿١٢٨﴾ تعجَّب موسى عليه السلام من قولهم على إثر ما رأوا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة، ووصفهم بالجهل المطلق وأكَّده بـ«إنَّ»؛ لأنه لا جهلَ أعظم من هذه المقالة ولا أشنع، وأتى بلفظ «تجهلون» ولم يقل: جهلتُم، إشعاراً بأنَّ ذلك منهم كالطَّبْع والغريزة لا ينتقلون عنه في ماضٍ ولا مستقبل.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ وَنَطَلُّ مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ﴾ ﴿١٢٩﴾ الإشارة بـ«هؤلاء» إلى العاكفين على عبادة الأصنام، ومعنى «متَّبِعُونَ»: مُهْلِكٌ مدمرٌ مكسرٌ، وأصله الكسر، وقال الكلبي: مُبْطَلٌ. وقال أبو اليسع: مُضَلَّلٌ^(٤).

(١) تفسير الرازي ١٤/٢٢٣.

(٢) الكشاف ٢/١١٠.

(٣) التسهيل ص ٣٨، وشرحه لابن مالك ١/٢٥٨.

(٤) القولان في النكت والعيون ٢/٢٥٥، وفيه: ضلال، بدل: مُضَلَّلٌ.

وقال السدي وابن زيد: مدمر رديء سيئ العاقبة^(١).

و«ما هم فيه» يعم جميع أحوالهم، وبُظِلُّ عملهم هو اضمحلاله بحيث لا يُنتفع به وإن كان مقصودًا به التقربُ إلى الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

قال الزمخشري^(٢): وفي إيقاع «هؤلاء» اسمًا لـ«إن» وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرًا لها واسمٌ لعبدة الأصنام^(٣) بأنهم هم المعروضون للتبَّار، وأنه لا يعدوهم البتة، وأنه لهم ضربةٌ لازم^(٤)، ليحذرهم عاقبة ما طلبوا، ويبغض لهم ما أحبوا. انتهى.

ولا يتعين ما قاله من أنه قدّم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرًا لـ«إن»؛ لأنَّ الأحسنَ في إعراب مثل هذا أن يكون خبر «إن»: «متبَّر»، وما بعده مرفوعٌ على أنه مفعولٌ لم يُسمِّ فاعله، وكذلك «ما كانوا» هو فاعلٌ بقوله: «وباطل»، فيكون إذ ذاك قد أُخبر عن اسم «إن» بمفردٍ لا جملة، وهو نظير: إنَّ زيدًا مضروبٌ غلامه، فالأحسنُ في الإعراب أن يكون «غلامه» مرفوعًا على أنه مفعولٌ لم يُسمِّ فاعله و«مضروبٌ» خبر «إن»، والوجهُ الآخرُ - وهو أن يكون مبتدأ و«مضروبٌ» خبره - جائزٌ، وهو مرجوح^(٥).

﴿قَالَ أَعْيَرَ اللَّهُ أَنْبِيَاءَكُمْ إِلَهِهَا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٤٠﴾ ما أحسنَ ما خاطبهم موسى عليه السلام لقومه! بدأهم أولاً بنسبتهم إلى الجهل، ثم ثانيًا أخبرهم بأنَّ عبَاد الأصنام ليسوا على شيء، بل مألٌّ أمرهم إلى الهلاك وبطلانِ

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٤٨، ولفظه: مهلك مدمر رديء العاقبة، وينظر تفسير الطبري ١٠/٤١٢.

(٢) في الكشاف ٢/١١٠.

(٣) في (أ) و(د) و(ع) والمطبوع: واسم لعباده، كما سقطت منها كلمة «الأصنام»، وجاء في مطبوع الكشاف: وسم، بدل: واسم.

(٤) أي: لازم وثابت. وجاء في الكشاف: لازب، وهما بمعنى. ينظر القاموس (لذب) و(لزم).

(٥) قال السمين في الدر ٥/٤٤٤: «وهو كما قال؛ لأن الأصل في الأخبار أن تكون مفردة، فما أمن فيها ذلك لا يُعدل عنه». لكنه عاد فدافع عن الزمخشري بقوله: «وقد يكون هذا عنده أرجح من جهة ما ذكره من المعنى، وإذا دار الأمر بين مرجح لفظي ومرجح معنوي فاعتبار المعنوي أولى، وما أظن حَمَلَ الزمخشري على ذلك إلا ما ذكرت».

العمل، وثالثاً أنكّر وتعجّب أن يقع هو عليه السلام في أن يبغى لهم غير الله إلهاً، أي: أغيرَ المستحقّ للعبادة والألوهية أطلبُ لكم معبوداً، وهو الذي شرّفكم واختصّكم بالنعم التي لم يُعطيها من سلف من الأمم لا غيره، فكيف أبغى لكم إلهاً غيره؟!

ومعنى «على العالمين»: على عالمي زمانهم، أو بكثرة الأنبياء فيهم.

قال ابن القشيري: بإهلاك عدوهم، وبما خصّهم من الآيات^(١).

وانتصب «غير» مفعولاً لـ «أبغىكم»، أي: أبغى لكم غير الله، و«إلهاً» تمييزٌ عن «غير» أو حالٌ، أو على الحال^(٢) و«إلهاً» المفعول، والتقدير: أبغى لكم إلهاً غير الله، فكان «غير» صفةً فلماً تقدّم انتصب حالاً.

وقال ابن عطية: و«غير» منصوبةٌ بفعلٍ مضمرٍ، هذا هو الظاهر، ويحتمل أن ينتصب على الحال^(٣). انتهى.

ولا يظهرُ نصبه بفعلٍ مضمرٍ؛ لأن «أبغى» مفرغٌ له أو لقوله: «إلهاً»، فإن تخيلَ أنه منصوبٌ بـ «أبغى» مُضمرةٌ يفسرها هذا الظاهرُ فلا يصحُّ؛ لأنَّ الجملة المفسرة لا رابط فيها لا من ضميرٍ ولا من مُلابسٍ يربطها بـ «غير»، فلو كان التركيب: أغير الله أبغىكموه، لصحَّ.

ويحتمل «وهو فضلكم» أن يكون حالاً وأن يكون مستأنفاً.

﴿وَإِذْ أُنجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٤١﴾ قرأ الجمهور: «أنجيناكم»، وفرقةٌ: «نجيناكم» مشدداً، وابنُ عامرٍ: «أنجاكم»^(٤). فعلى «أنجاكم» يكون جارياً على قوله: «وهو فضلكم» خاطبَ بها موسى قومه، وفي قراءة النون خاطبهم الله

(١) لم أقف عليه في لطائف الإشارات، وذكره القرطبي ٣١٨/٩ ولم ينسبه.

(٢) يعني: أو انتصب «غير» على الحال.

(٣) المحرر الوجيز ٤٤٨/٢.

(٤) الأولى والأخيرة في التيسير ص ١١٣، وقراءة «نجيناكم» في المحرر الوجيز ٤٤٨/٢، وهي هنا قراءة شاذة.

تعالى بذلك، وقال الطبري: الخطابُ لمن كان على عهد الرسول ﷺ تقريراً لهم بما فعل أوائلهم وبما جاؤوا به^(١)، وتقدّم تفسيرُ نظيرِ هذه الآية في أوائل «البقرة»^(٢).

وقرأ نافع: «يقتلون» من قَتَلَ، والجمهورُ من قَتَلَ مشدداً^(٣).

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ رُوِيَ أَنَّ موسى عليه السلام وَعَدَّ بني إسرائيلَ وهو بمصر إن أهلك الله عدوهم أتاهم بكتابٍ من عند الله فيه بيانٌ ما يأتون وما يذرون، فلما هلك فرعونُ سأل موسى رَبَّهُ تعالى الكتابَ فأمره بصوم ثلاثين يوماً، وهو شهرُ ذي القعدة، فلما أتمَّ الثلاثين أنكر خُلوْفَ فيه فتسوّك، فقالت الملائكة: كُنَّا نَشْمُ مِنْ فَيْكِ رَائِحَةَ الْمَسْكِ فَأَفْسَدْتَهُ بِالسَّوَاكِ^(٤).

وقيل: أوحى الله إليه: أما عَلِمْتَ أن خُلوْفَ فَمِ الصائمِ أطيبُ عند الله من ريح المسك، فأمره أن يزيد عليه عشرة أيام من ذي الحجة لذلك^(٥).

وقيل: أمره الله بأن يصوم ثلاثين يوماً وأن يعمل فيها بما يقربُه من الله تعالى، ثم أنزلت عليه التوراةُ في العشر وكلم فيها، وأجمل ذكرُ الأربعين في «البقرة» وفصل هنا^(٦).

وقال الكلبي: لما قطع موسى البحر ببني إسرائيلَ وغرق فرعونُ، قالت بنو إسرائيلَ لموسى: اتتنا بكتابٍ من ربنا كما وعدتنا وزعمت أنك تأتينا به إلى شهرٍ، فاختر موسى من قومه سبعين رجلاً لينطلقوا معه، فلما تجهّزوا قال الله تعالى

(١) تفسير الطبري ٤١٣/١٠، والمحرم الوجيز ٤٤٩/٢، والكلام منه.

(٢) الآية (٤٩) منها.

(٣) أنيسر ص ١١٣.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣٧٢/٢، وتفسير أبي الليث ٥١٧/١، والكشاف ١١١/٢، والكلام منه.

(٥) الكشاف ١١١/٢، وهذه قطعة من حديث طويل جداً أخرجه النسائي في الكبرى (١١٢٦٣)، وأبو يعلى (٢٦١٨)، وأخرج هذه القطعة منه ابن أبي حاتم ١٥٥٦/٥.

(٦) الكشاف ١١١/٢.

لموسى: أخبر قومك أنك لن تأتيهم أربعين ليلةً، وذلك حين أتممت بعشرٍ، فلَمَّا خرج موسى بالسبعين أمرهم أن ينتظروه أسفلَ الجبلِ، وصعد موسى الجبلَ وكلمه الله أربعين يوماً وأربعين ليلةً، وكتب له الألواح، ثم إنَّ بني إسرائيل عدُّوا عشرين ليلةً وعشرين يوماً، فقالوا: قد أخلفنا موسى الوعدَ، وجعل لهم السامريُّ العجلَ فعبدوه^(١).

وقيل: زيدت العشرُ بعد الشهر للمناجاة.

وقيل: التفت في طريقه فزيدها.

وقيل: زيدت عقوبة لقومه على عبادة العجل بعده.

وقيل: أعلم موسى بمغيبه ثلاثين ليلةً، فلَمَّا زاده العشرَ في مغيبه ولم يعلموا بذلك وجست نفوسهم للزيادة على ما أخبرهم، فقال السامري: هلك موسى وليس براجع، وأضلَّهم بالعجل فاتَّبِعوه؛ قاله ابن جريج^(٢).

وفائدة التفصيل؛ قالوا: إنَّ الثلاثين للتهيؤ للمناجاة، والعشرُ لإنزال التوراة وتكليمه.

وقال أبو مسلم: بادر إلى ميقات ربِّه قبل قومه؛ لقوله: ﴿وَمَا أَصْلَك﴾ الآية [طه: ٨٣]، فجائز أن يكون أتى الطورَ عند تمام الثلاثين فلَمَّا أعلم بخبر قومه مع السامريُّ رجع إلى قومه قبل تمام مدة الوعد، ثم عاد إلى الميقات في عشرٍ آخر^(٣).

وقيل: لا يمتنع أن يكون وَعْدَان: أوَّل حضره موسى، وثانٍ حضره المختارون ليسمعوا كلام الله، فاختلف الوعد لاختلاف الحاضرين^(٤).

والثلاثون هي شهر ذي القعدة والعشر من ذي الحجة، قاله ابن عباس ومسروق ومجاهدٌ، وتقدَّم الخلاف في قراءة «ووعدنا»^(٥).

(١) تفسير ابن أبي زمنين ١٤٠/٢.

(٢) المحرر الوجيز ٤٤٩/٢، وأخرجه بنحوه مطولاً الطبري ٤١٦/١٠-٤١٧.

(٣) تفسير الرازي ٢٢٦/١٤.

(٤) المصدر السابق.

(٥) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البقرة: ٥١].

وقالوا: اَنْتَصَبَ «ثلاثين» على أنه مفعولٌ ثانٍ على حَذْفِ مضافٍ، فقدَّره أبو البقاء: إتيانَ ثلاثين، أو: تمامَ ثلاثين^(١).

وقال ابن عطية: «وثلاثين» نصبٌ على تقدير: أجلناه أو مناجاة ثلاثين، وليست منتصبَةً على الظرف لأن المواعدة لم تقع في الثلاثين^(٢).

والضمير في «وأتمناها» عائذٌ على المواعدة المفهومة من «واعدنا».

وقال الحَوْفي: الهاء والألف نصبٌ بـ«أتمنا»، وهما راجعتان إلى «ثلاثين». انتهى، ولا يظهر؛ لأنَّ الثلاثين لم تكن ناقصةً فَتَمَّ بعشرٍ.

وحذف مميِّزُ «عشر»، أي: بعشرٍ ليالٍ؛ لدلالة ما قبله عليه.

وفي مصحف أبيٍّ «وتَمَّمناها» مشدِّداً.

والميقات: ما وَقَّتْ له من الوقت وضربَه له، وجاء بلفظ «ربه» ولم يأت على «واعدنا» - فكان يكون التركيب: فتمَّ ميقاتنا - لأن لفظ «ربه» دالٌّ على أنه مُضِلُّهُ وناظرٌ في أمره، ومالكه والمتصرفُ فيه.

قيل: والفرقُ بين الميقات والوقت: أنَّ الميقات ما قدَّر فيه عملٌ من الأعمال، والوقت وقتُ الشيء.

وانتصب «أربعين» على الحال، قاله الزمخشري وابن عطية^(٣)، وقدَّر الزمخشري الحال فيه فقال: أي: تم بالغًا هذا العدد.

فعلى هذا لا يكون الحالُ «أربعين» بل الحالُ هذا المحذوفُ، فيُنافي قوله: و«أربعين ليلة» نصبٌ على الحال^(٤).

وقال ابن عطية أيضًا: ويصح أن يكون أربعين ظرفًا من حيث هي عددُ أزمنة^(٥).

(١) الإملاء ٢٨٤/١.

(٢) المحرر الوجيز ٤٥٠/٢، وليس في مطبوع: أو مناجاة.

(٣) الكشاف ١١١/٢، والمحرر الوجيز ٤٤٩/٢.

(٤) الكشاف ١١١/٢. وينظر اعتراض السمين في الدر ٤٤١/٥ على المصنف، ومناقشة ذلك

في روح المعاني ٣٣٠/٩.

(٥) المحرر الوجيز ٤٤٩/٢.

وقيل: «أربعين» مفعولٌ به بـ«تم» لأنَّ معناه: بَلَغَ.

والذي يظهر أنه تمييزٌ منقولٌ^(١) من الفاعل، وأصله: فتمَّ أربعونَ ميقاتِ ربِّه، أي: كملت، ثم أسند التمامُ لـ«مِقات» وانتصب «أربعون» على التمييز^(٢).

والذي يظهر أنَّ هذه الجملة تأكيدٌ وإيضاح، وقيل: فائدتها إزالةُ توهم تلك العشرِ من الثلاثين؛ لأنه يُحتمَلُ إتمامها بعشرٍ من الثلاثين.

وقيل: إزالةُ توهم أن تكونَ عشرَ ساعات، أي: أتمناها بعشرِ ساعات.

﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ هَئِذَا أَنَا خَلَفْتَنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٣)
وقرئ شاذًا: «هارون» بالضم على النداء^(٣)، أي: يا هارون.

أمره حين أراد المضيَّ للمناجاة والمغيبَ فيها أن يكون خليفته في قومه، وأن يُصلِحَ في نفسه، أو ما يجبُ أن يُصلِحَ من أمر قومه، ونهاه أن يتَّبِعَ سبيلَ مَنْ أفسدَ، وفي النهي دليلٌ على وجود المفسدين، ولذلك نهاه عن اتِّباع سبيلهم.

وأمره إياه بالإصلاح ونهيه عن اتِّباع سبيل المفسدين هو على سبيل التأكيد، لا لتوهم أنه يقع منه خلافُ الإصلاح واتِّباع تلك السبيل؛ لأنَّ مَنْصِبَ النبوة منزلةٌ عن ذلك.

ومعنى «اخلفني»: استبدَّ بالأمر وذلك في حياته إذ راح إلى مناجاة ربِّه، وليس المعنى: إنك تكون خليفتي بعد موتي، ألا ترى أن هارون مات قبل موسى عليهما السلام.

وليس في قول الرسول ﷺ لعليٍّ: «أنت مني كهارون من موسى»^(٤) دليلٌ على

(١) تحرفت في (أ) و(د) و(ع) إلى: مفعول، وجاء في المطبوع: محول.

(٢) وتعقبه السمين بأن هذا الذي قاله يُشكِّلُ بما ذكره هو (أي: المصنف) في الرد على الحوفي، وينظر كلامه بتمامه في الدر المصون ٤٤٨/٥.

(٣) الكشاف ١١١/٢.

(٤) أخرجه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤) من حديث سعد بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه، ولفظه: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى...» وفي رواية لمسلم: «أنت مني بمنزلة...».

أنه خليفته بعد موته، إذ لم يكن هارون خليفة بعد موت موسى، وإنما استخلف الرسول عليًا على أهل بيته إذ سافر الرسول عليه السلام في بعض مغازيه كما استخلف ابن أم مكتوم على المدينة^(١)، فلم يكن في ذلك دليلًا على أنه يكون خليفة بعد موت الرسول.

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ أي: للوقت الذي ضرب به له، أي: لتمام الأربعين، كما تقول: أتيتُه لعشْرِ حَلْوَنٍ من الشهر، ومعنى اللام الاختصاصُ. والجمهورُ على أنه وحده حُصَّ بالتكليم إذ جاء للميقات، وقال القاضي^(٢): سمع هو والسبعون كلامَ الله.

قال ابن عطية: خَلَقَ له إدراكًا سمع به الكلامَ القائم بالذات، القديم الذي هو صفة ذات، وقال ابن عباس وابن جبير: أدنى الله تعالى موسى حتى سمع صريف الأقلام في اللوح^(٣).

وقال الزمخشري: «وكلمه ربُّه» من غير واسطة كما يكلم الملك، وتكليمه أن يخلق الكلامَ منطوقًا به في بعض الأجرام كما خلقه مخطوطًا في اللوح، ورُوي أن موسى كان يسمع الكلام في كلِّ جهة، وعن ابن عباس: كلمه أربعين يومًا وأربعين ليلةً، وكتب له الألواح. وقيل: إنما كلمه في أول الأربعين^(٤). انتهى.

وقال وهب: كلمه في ألف مقام، وعلى إثر كلِّ مقامٍ يرى نورٌ على وجهه ثلاثة أيام، ولم يقرب النساءُ مذ كلمه الله^(٥). انتهى.

وقد أوردوا هنا الخلافَ الذي في كلام الله، وهو مذكورٌ ودلائلُ المختلفين في كتب أصول الدين.

(١) أخرجه أحمد (١٢٣٤٤)، وأبو داود (٢٩٣١)، وابن حبان (٢١٣٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) هو عبد الجبار المعتزلي، وكلامه في تفسير الرازي ٢٢٨/١٤.

(٣) المحرر الوجيز ٢/٤٥٠.

(٤) الكشاف ١١١-١١٢.

(٥) المحرر الوجيز ٢/٤٥٠، وأخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٣٧٧)، وابن حبان في الثقات ٥١/٩، وأبو نعيم في الحلية ٥٠/٤.

و«كلمه» معطوف على «جاء»، وقيل: حال، وعدل عن قوله: وكلمناه، إلى قوله: «وكلمه ربّه»، للمعنى الذي عدل إلى قوله: «فتم ميقات ربّه»، «فلما تجلّى ربّه».

﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنتَظِرُ إِلَيْكَ﴾ قال السدّي وأبو بكر الهذلي: لما كلمه وخصّه بهذه المرتبة طمّحت همّته إلى رتبة الرؤية، وتشوّف إلى ذلك، فسأل ربّه أن يُريه نفسه^(١).

وقال الزجاج شوّقه الكلامُ فعِيلَ صبره، فحمله على سؤال الرؤية^(٢).

وقال الربيع: لم يُعهد إليه في الرؤية، فظنّ أنّ السؤال في هذا الوقت جائز^(٣).

وقال السدّي: غار الشيطان في الأرض، فخرج بين يديه فقال: إنما يكلمك شيطاناً، فسأل الرؤية^(٤).

ولو لم تنجز الرؤية ما سألها، قال ابن عطية: ورؤية الله عند الأشعرية وأهل السنة جائزة عقلاً؛ لأنه من حيث هو موجودٌ تصحُّ رؤيته، وقررت الشريعة رؤية الله في الآخرة ومنعت من ذلك في الدنيا بظواهرِ الشرع، فموسى عليه السلام لم يسأل مُحالاً وإنما سأل جائزاً، وقوله: ﴿قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ الآية ليس بجوابٍ من سأل مُحالاً، وقد قال تعالى لنوح عليه السلام: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطَاكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦] فلو سأل موسى مُحالاً لكان في الجواب زجرٌ ما وتبيين^(٥).

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٤٥٠، وأخرجه عنهما بنحوه الطبري ١٠/ ٤١٩. وأبو بكر الهذلي اسمه سُلمى بن عبد الله بن سُلمى، وقيل: اسمه روح. روى عن الحسن البصري وابن سيرين والشعبي وعكرمة وقتادة وغيرهم، وعنه: ابن جريج - وهو من أقرانه - ووكيع وابن عيينة وغيرهم، وهو أخباري متروك الحديث، توفي سنة (١٦٧هـ). التهذيب ٤/ ٤٩٨.

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وينظر معاني القرآن للزجاج ٢/ ٣٧٣.

(٣) ذكر نحوه الماوردي في النكت والعيون ٢/ ٢٥٧ عن الربيع والحسن والسدي.

(٤) تفسير البغوي ٢/ ١٩٦، وفيه: غاص، بدل: غار.

(٥) المحرر الوجيز ٢/ ٤٥٠، وتحرف قوله: تبيين، في (١د) إلى: وتيس، وفي المطبوع:

وقال الكرمانى وغيره: فى الكلام محذوف تقديره: لن ترانى فى الدنيا. وقيل: لن تَقْدِرَ أن ترانى. وقيل: لن ترانى بسؤالك. وقيل: لن ترانى ولكن سترانى حين أتجلى للجبل.

وقال الزمخشري^(١): فإن قلت: كيف طلب موسى عليه السلام ذلك وهو من أعلم الناس بالله تعالى وصفاته، وما يجوزُ عليه وما لا يجوز، وبتعالیه عن الصفة^(٢) التي هي إدراك بعض الحواس، وذلك إنما يصح فيما كان فى جهة، وما ليس بجسم ولا عرض فمحال أن يكون فى جهة، ومنع المُجْبِرَة إحالته فى العقول غير لازم؛ لأنه ليس بأول مكابرتهم وارتكابهم، وكيف يكون طالبه وقد قال حين أخذتهم الرجفة - أي: الذين^(٣) قالوا: ﴿أَرَأَيْتُمْ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣] -: ﴿أَتُرِيدُونَ بِمَا كَفَرَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ إلى قوله: ﴿تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥] فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء وضللاً؟ قلت^(٤): ما كان طلبه الرؤية إلا ليُبَكِّت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضللاً وتبرأ من فعلهم، وليُلَقِّمَهُم الحَجَرَ، وذلك أنهم حين طلبوا الرؤية أنكروا عليهم وأعلمهم الخطأ، ونبَّههم على الحق، فلجَّوا وتمادوا فى لجاجهم، وقالوا: لا بدَّ ولن نؤمن لك حتى نراه، فأراد أن يسمعوا النص^(٥) من عند الله باستحالة ذلك، وهو قوله: «لن ترانى» ليتيقنوا ولينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة، فلذلك قال: «ربَّ أرني أنظر إليك». فإن قلت: فهلاً قال: أرهم ينظرون إليك؟ قلت: لأن الله سبحانه إنما كلَّم موسى وهم يسمعون، فلما سمعوا كلام ربِّ العزَّة أرادوا أن يرى موسى ذاته فيُبصروه معه - كما أسمع كلامه فسمعوه معه - إرادة مبنية على قياس فاسد، فلذلك قال موسى: «أرني أنظر إليك» ولأنه إذا

(١) فى الكشاف ١١٢/٢.

(٢) كذا فى النسخ، والذي فى الكشاف: عن الرؤية.

(٣) فى (أ) و(ع): للذين، وكلمة «أي» من (د) وليست فى باقى النسخ والكشاف، لكن جاء فى الكشاف: أخذت، بدل: أخذتهم.

(٤) القائل الزمخشري.

(٥) فى النسخ عدا (د): النطق، والمثبت من (د) والمطبوع، وهو الموافق لما فى مطبوع الكشاف.

زُجِرَ^(١) عَمَّا طَلَبَ وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ فِي^(٢) نَبْوَتِهِ وَاخْتِصَاصِهِ وَزُلْفَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ، وَقِيلَ لَهُ: لَنْ يَكُونَ ذَلِكَ، كَانَ غَيْرُهُ أَوْلَى بِالْإِنْكَارِ، وَلَأَنَّ الرَّسُولَ إِمَامُ أُمَّتِهِ، فَكَانَ مَا يَخَاطَبُ بِهِ أَوْ يَخَاطَبُ^(٣) رَاجِعًا إِلَيْهِمْ، وَقَوْلُهُ: «أَنْظِرْ إِلَيْكَ» وَمَا فِيهِ مِنْ مَعْنَى الْمَقَابَلَةِ الَّتِي هِيَ مُحَضَّرٌ^(٤) التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ تَرْجُمَةٌ عَنْ مُقْتَرِحِهِمْ، وَحِكَايَةٌ لِقَوْلِهِمْ، وَجَلَّ صَاحِبُ الْجَمَلِ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهَ مَنْظُورًا إِلَيْهِ مَقَابَلًا بِحَاسَّةِ النَّظَرِ^(٥)، فَكَيْفَ بَمَنْ هُوَ أَعْرَقُ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ مِنْ وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ وَعَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ وَالنَّظَامِ وَأَبِي الْهُدَيْلِ وَالشَّيْخِينَ^(٦) وَجَمِيعِ الْمُتَكَلِّمِينَ؟ وَثَانِي مَفْعُولِي «أَرْنِي» مَحذُوفٌ، أَي: أَرْنِي نَفْسَكَ، [أَي]^(٧) اجْعَلْنِي مَتَمَكِّنًا مِنْ رُؤْيَيْكَ بِأَنْ تَتَجَلَّى لِي فَأَنْظِرَ إِلَيْكَ. انْتَهَى.

﴿قَالَ لَنْ تَرِنِّي﴾ قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ: نَصَّرَ عَلَى مَنَعِهِ الرَّؤْيِيَّةَ فِي الدُّنْيَا، وَ«لَنْ» تَنْفِي الْمُسْتَقْبَلِ، فَلَوْ بَقِينَا عَلَى هَذَا النَّفْيِ بِمَجْرَدِهِ لَتَضَمَّنَ أَنَّ مُوسَى لَا يَرَاهُ أَبَدًا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَلَكِنْ وَرَدَ مِنْ جِهَةِ أُخْرَى الْحَدِيثُ الْمَتَوَاتِرُ أَنَّ أَهْلَ الْإِيمَانِ يَرَوْنَ اللَّهَ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أُخْرَى بِرُؤْيَيْهِ^(٨).

وقال الزمخشري: فإن قلت: ما معنى «لن»؟ قلت: تأكيد النفي الذي تعطيه «لا»، وذلك أن «لا» تنفي المستقبل، تقول: لا أفعل غدًا، فإذا أكذت نفيها قلت: لن أفعل غدًا، والمعنى: إن فعله يُنافي حالي، كقوله تعالى: ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ

(١) في النسخ عدا (١د): ازدجر، والمثبت منها ومن المطبوع، وهو الموافق لما في مطبوع الكشاف.

(٢) في (١د) والمطبوع: مع، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في مطبوع الكشاف.

(٣) قوله: أو يخاطب، من (١د) والمطبوع: وفي الكشاف: أو ما يخاطب.

(٤) في النسخ عدا (١د): محط، والمثبت منها ومن المطبوع، وهو الموافق لما في مطبوع الكشاف.

(٥) في النسخ عدا (١د): البصر، والمثبت منها ومن المطبوع، وهو الموافق لما في مطبوع الكشاف.

(٦) هما أبو علي الجبائي وابنه أبو هاشم، وهما من رؤوس المعتزلة. وينظر الكشاف ١/٤٥٢.

(٧) زيادة يقتضيها السياق مستفادة من سياق الكلام في الكشاف ٢/١١٢.

(٨) المحرر الوجيز ٢/٤٥٠. وحديث رؤية الله تعالى يوم القيامة أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣) عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

أَجْتَمَعُوا لَهُمْ ﴿[الحج: ٧٣]، وقوله: ﴿لَا تُذِرْكُهُ الْآبَصُرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] نفسي للرؤية فيما يُستقبل، و«لن تراني» تأكيد وبيان.

فإن قلت: كيف قال: «لن تراني»، ولم يقل: لن تنظر إليّ، لقوله: «أنظر إليك»؟ قلت: لما قال: «أرني» بمعنى: اجعلني متمكناً من الرؤية التي هي الإدراك، علم أنّ الطلبة هي الرؤية لا النظر الذي لا إدراك معه، فقيل: «لن تراني» ولم يقل: لن تنظر إليّ^(١).

﴿وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِّي﴾ قال مجاهد وغيره: ولكن سأجعل للجبل الذي هو أقوى منك وأشد، فإن استقر وأطاق الصبر لهييتي فسيمكنك أنت رؤيتي؛ قال ابن عطية: فعلى هذا إنما جعل الله له الجبل مثلاً، وقالت فرقة: إنما المعنى: سأبدئ لك على الجبل فإن استقر لعظمتي فسوف تراني^(٢). انتهى.

وتعليق الرؤية على تقدير الاستقرار مؤذن بعدمها إن لم يستقر، ونبه بذلك على أنّ الجبل مع شدته وصلابته إذا لم يستقر فالآدمي مع ضعف بنيته أولى بأن لا يستقر، وهذا تسكين لقلب موسى وتخفيف عنه من ثقل أعباء المنع.

وقال الزمخشري^(٣): فإن قلت: كيف اتصل الاستدراك في قوله تعالى: «ولكن انظر إلى الجبل» بما قبله؟ قلت: اتصل به على معنى: إن النظر إليّ محال فلا تظلمه، ولكن عليك بنظر آخر وهو أن تنظر إلى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لأجلهم كيف أفعال به، وكيف أجعله دكاً بسبب طلبك للرؤية، لتستعظم ما أقدمت عليه بما أريك من عظيم أثره، كأنه عزّ وعلا حَقَّق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد إليه في قوله تعالى: ﴿وَنَحَرُّ لَاجِبَالٍ هَذَا ﴿٦٥﴾ أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلِذَلِكَ﴾ [مريم: ٩٠-٩١] فإن استقر مكانه كما كان مستقراً ثابتاً ذاهباً في جهاته «فسوف تراني» تعريض لوجود الرؤية لوجود ما لا يكون^(٤) من استقرار الجبل مكانه

(١) الكشاف ١١٢/٢ و١١٣.

(٢) المحرر الوجيز ٤٥٠/٢.

(٣) في الكشاف ١١٣/٢-١١٤.

(٤) كذا وقعت العبارة في النسخ، والصواب: تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون، كما في الكشاف، ولكن تحرفت في مطبوعه: بوجود، إلى: موجود.

حين يدُّكَّه دُكًّا ويسوِّيه بالأرض، وهذا كلامٌ مُدْمَجٌ بعضُه في بعض، واردٌ على أسلوبٍ عجيبٍ ونظمٍ^(١) بديع، ألا ترى كيف تخلَّص من النظر إلى النظر بكلمة الاستدراك، ثم كيف بنى الوعيد^(٢) بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية، أعني قوله: «فإن استقرَّ مكانه فسوف تراني». انتهى.

وهو على طريقة المعتزلة في نفي رؤية الله تعالى، ولهم في ذلك أقاويلُ أربعةٌ: أحدها: ما رواوا عن الحسن وغيره أن موسى ما عَرَفَ أنَّ الرؤية غيرُ جائزة، وهو عارفٌ برَّبِّه وبعُدِّله وتوحيده، فلم يَبْعُدْ أن يكون العلمُ بامتناع الرؤية وجوازها موقوفًا على السماع.

ورُدَّ ذلك بأنه يلزمُ أن تكون معرفته بالله أقلَّ درجةً من معرفة أراذل المعتزلة، وذلك باطلٌ بالإجماع.

الثاني: قال الجبائي وابنه أبو هاشم: سأل الرؤيةَ على لسان قومه فقد كانوا مُكثِرِينَ للمسألة عنها، لا لنفسه، فلمَّا مُنِعَ منها ظهر أن لا سبيلَ إليها. ورُدَّ بأنه لو كان كذلك لقال: أرهم ينظروا إليك، ولقيل: لن تروني، وأيضًا لو كان محالًا لمنعهم عنه كما منعهم عن جعلِ الآلهة لهم بقوله: «إنكم قومٌ تجهلون».

وقال الكعبي: سأله الآيات الباهرة التي عندها تزولُ الخواطرُ والوساوسُ عن معرفته، كما نقول في معرفة أهل الآخرة.

ورُدَّ ذلك بأنه يقتضي حذفَ مضافٍ، وسياقُ الكلام يَأْبَى ذلك، وقد أراه من الآيات ما لا غايةَ بعدها كالعصا وغيرها.

وقال الأصم: المقصودُ أن يُذَكَّرَ من الدلائل السمعية ما يدُّ على امتناع الرؤية، حتى يتأكَّدَ الدليلُ العقليُّ بالدليلِ السمعيِّ^(٣).

(١) في الكشاف: ونمط.

(٢) في (١د) والمطبوع: نئي بالوعيد.

(٣) تنظر هذه التأويلات مع الردود عليها في تفسير الرازي ٢٢٩/١٤-٢٣١.

و«أل» في «الجبل» للعهد، وهو أعظم جبل بمدين يقال له: إدرين، قال ابن عباس: تناولت الجبال للتجلى، وتواضع إدرين فتجلى له^(١).



﴿فَلَمَّا بَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَمْوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَىٰ فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنهَا سَأُورِيكَ دَارَ الْفَلْسَفِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُفْلَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَيْلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَيْلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَأَخَذَ قَوْمَ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سَقَطَ مِنَ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَيْفًا قَالَ يَنْتَهِمُ خَلْقَتُونِي مِنْ بَدَائِعِ أَعْمَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَالْقَى الْأَلْوَابِ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابِ وَفِي سُخْرِيهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِنِّي لَأَتَّبِعُكَ بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنِّي إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٥٧/٣، وفيه: زبير، بدل: إدرين.

وَرَحِمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَأَكْتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدَّنَا
إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ
يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾

المفردات التجلي: الظهور.

الدَّكُّ: مصدرٌ دَكَكْتُ الشيءَ فَتَّكْتُهُ وسحقته، مصدرٌ في معنى المفعول، والدَّكُّ
والدَّقُّ بمعنى واحدٍ، وقال ابن عُرَيزٍ^(١): «دَكَّا»: مستويًا مع الأرض.

الخُرُورُ: السُّقُوطُ.

أفاق: ثاب إليه حسه وعقله.

اللُّوْحُ معروفٌ، وهو يعدُّ للكتابة وغيرها، وأصله: اللَّمْعُ؛ تَلَمَعُ وتَلَوَّحُ فيه
الأشياء المكتوبة.

الحُلِيِّ معروفٌ، وهو ما يَتَزَيَّنُ به النساءُ من فضةٍ وذهبٍ وجوهرٍ وغير ذلك من
الحجر النفيس.

الخُورَارُ: صوت البقر.

الأسف: الحزن، يقال: أسِفَ يَأْسِفُ.

الجرُّ: الجذب.

الإشْماءُ: السرور بما ينال الشخص من المكروه.

السُّكُوتُ والسُّكَاتُ: الصَّمْتُ.

* * *

(١) محمد بن عُرَيزٍ، أبو بكر السجستاني المفسر، عاش إلى حدود سنة (٣٣٠هـ). السير ٢١٦/١٥.
وقد وقع في اسم: عُرَيزٍ، خلاف بين العلماء ذكره الذهبي، وأن بعضهم ضبطه بزايين،
وبعضهم بزاء وراء، وقد رجح الأول ابن حجر في تبصير المنتبه ٩٤٨/٣-٩٥٠، خلافاً
للذهبي فإنه رجح الثاني. وكلام ابن عُرَيزٍ في كتابه نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن
ص ٢٢٧.

التفسير

﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ ترتب على التجلي

أمران:

أحدهما: تفتت الجبل وتفرق أجزائه.

والثاني: خروص موسى مغشياً عليه؛ قاله ابن زيد وجماعة المفسرين^(١).وقال السدي: ميتاً^(٢). ويبيده لفظه «أفاق».والتجلي بمعنى الظهور الجسماني مستحيل على الله تعالى، قال ابن عباس وقوم: لما وقع نوره عليه تدكدك^(٣).وقال المبرد: المعنى: ظهر للجبل من ملكوت الله ما تدكدك به^(٤).

وقيل: ظهر جزء من العرش للجبل فتصدع من هيئته.

وقيل: ظهر أمره تعالى^(٥).

وقيل: تجلى لأهل الجبل، يريد موسى والسبعين الذين معه.

وقال الضحاك: أظهر الله من نور الحجب مثل منخر الثور^(٦).وقال عبد الله بن سلام وكعب الأحمري: ما تجلى من عظمة الله للجبل إلا مثل سَمِّ الخياط^(٧).وقال الزمخشري: فلما ظهر له اقتداره وتصدي له أمره وإرادته^(٨). انتهى.

(١) أخرجه الطبري ١٠/٤٢٧-٤٢٨ عن ابن عباس وابن زيد.

(٢) لم أقف عليه عن السدي، وأخرجه الطبري ١٠/٤٢٨ عن قتادة وابن جريج.

(٣) ذكره الثعلبي ٣/٦٧، والبغوي ٢/١٩٧ بلفظ: ظهر نور ربه للجبل، جبل زبير.

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٢/٢٥٨ دون نسبة، وذكر عن المبرد نحوه الثعلبي

٣/٦٧، فقال: «وقال المبرد: معناه: فلما تجلى ربه آية للجبل، جعله فعلاً متعدياً

كالتخلص والتبدل والتوعد».

(٥) النكت والعيون ٢/٢٥٨، وعزه الثعلبي ٣/٦٧ لقطرب.

(٦) تفسير الثعلبي ٣/٦٧، وتفسير البغوي ٢/١٩٧.

(٧) المصدران السابقان.

(٨) الكشاف ٢/١١٤.

وقال المتأولون المتكلمون كالقاضي أبي بكر بن الطيّب وغيره: إن الله خلق للجبل حياةً وحسًا وإدراكًا يرى به، ثم تجلّى له - أي: ظهر وبدا - فاندكّ الجبلُ لشدة المَطْلِعِ، فلمّا رأى موسى ما بالجبل صعق. وهذا المعنى مروى عن ابن عباس^(١).

والظاهر نسبةُ التجلّي إليه تعالى على ما يليقُ به من غير انتقالٍ ولا وصفٍ يدل على الجسميّة.

وقال ابن عباس: صار ترابًا^(٢).

وقال مقاتل: قطعًا متفرقة^(٣).

وقيل: صار ستة أجبلٍ: ثلاثة بالمدينة: أحدُ وِرقانُ ورَضوى، وثلاثة بمكة: ثورٌ وثبيرٌ وجرأء، رواه أنس عن رسول الله ﷺ^(٤).

وقيل: ذهب أعلاه وبقي أكثره.

وقيل: صار غبارًا تذرّوه الرياح.

وقال سفيان: روي أنه ساخ في الأرض وأفضى إلى البحر الذي تحت الأرضين. قال ابن الكلبي: فهو يهوي فيه إلى يوم القيامة^(٥).

وقرأ الجمهور: «دكًا»، أي: مذكوكًا، أو: ذا دكّ، وقرأ حمزة والكسائي: «دكّاء» على وزن حمراء^(٦)، والدكّاء: الناقة التي لا سنام لها، والمعنى: جعله أرضًا دكّاء تشبّهًا بالناقة الدكّاء.

(١) المحرر الوجيز ٤٥١/٢.

(٢) أخرجه الطبري ٤٢٧/١٠.

(٣) النكت والعيون ٢٥٨/٢.

(٤) أخرجه ابن حبان في المجروحين ٢١١/١، وابن الجوزي في الموضوعات (٢٥). قال ابن حبان: موضوع لا أصل له.

(٥) ذكر هذه الأقوال ابن عطية في المحرر ٤٥١/٢، وقول سفيان أخرجه الطبري ٤٢٨/١٠ بنحوه.

(٦) السبعة ص ٢٩٣، والتيسير ص ١١٣.

وقال الربيع بن خثيم: ابسط يدك دكاءً، أي: مُدّها مستوية^(١).
وقال الزمخشري: والدكاء اسمٌ للراية الناشزة من الأرض، كالدَّكَّة^(٢). انتهى،
وهذا يناسب قول مَنْ قال: إنه لم يذهب بجملته، وإنما ذهب أعلاه وبقي أكثره.
وقرأ يحيى بن وثاب: «دُكًا»^(٣)، أي: قطعًا، جمع دكاءً، نحو غُرِّ جمع غَرَّاء.
وانتصب على أنه مفعولٌ ثانٍ لـ«جَعَلَهُ»، وَيَضْعُفُ قولُ الأخفش: إنَّ نَصْبَهُ من
باب: قعدتُ جُلوسًا^(٤).

و«صَعِقًا» حالٌ مقارنةً، ويقال: صَعَقَهُ فَصَعِقَ، وهو من الأفعال التي تعدتُ
بالحركة، نحو: شَرَّ اللهُ عَيْنَهُ فَشَرَّتْ.

والظاهرُ أنَّ موسى والجبَل لم يُطيقا رؤيةَ الله تعالى حين تجلَّى، فلذلك اندكَّ
الجبَلُ وَصَعِقَ موسى عليه السلام، وَحَكَّى عِيَاضُ بن موسى^(٥) عن القاضي
أبي بكر بن الطَّيِّب أنَّ موسى عليه السلام رأى الله فلذلك خَرَّ صَعِقًا، وأنَّ الجبل
رأى ربَّه فصار دُكًا بِإِدْرَاكِ خَلَقَهُ اللهُ له.

وذكر أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ عن كعبٍ قال: إنَّ الله تعالى قَسَمَ كَلَامَهُ ورؤيته بين
محمدٍ وموسى صلى الله عليهما وسلم، فكَلَّمَ موسى مرتين، ورآه محمدٌ ﷺ
مرتين^(٦).

وذكر المفسِّرون من رؤيته ملائكةَ السماوات السبع وحملةَ العرش وهيئاتهم
وأعدادهم ما اللهُ أعلمُ بصحته^(٧).

(١) الكشاف ١١٤/٢-١١٥، وفيه: وعن الشعبي: وقال لي الربيع بن خثيم: ابسط...

(٢) الكشاف ١١٤/٢.

(٣) القراءات الشاذة ص ٤٥، والكشاف ١١٥/٢.

(٤) معاني القرآن للأخفش ٥٣١/٢ بنحوه.

(٥) في الشفا ٣٨٥/١.

(٦) مصنف ابن أبي شيبَةَ (٣٢٤٩٨)، وأخرجه الترمذي (٣٢٧٨) في قصة جرت بين ابن
عباس ؓ وكعب.

(٧) ينظر ما أخرجه الطبري ٤٢٠-٤٢٧/١٠ عن ابن إسحاق، وما ذكره الثعلبي ٦٥-٦٧ عن
وهب.

﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ أَي: من مسألة الرؤية في الدنيا؛ قاله مجاهد^(١). أو: من سؤالها قبل الاستئذان. أو: عن صغائري؛ حكاها الكرمانبي.

أو قال ذلك على سبيل الإنابة إلى الله تعالى والرجوع إليه عند ظهور الآيات، على ما جرت به عادة المؤمن عند رؤية العظام، وليس توبةً عن شيء معين، أشار إليه ابن عطية^(٢).

وقال الزمخشري^(٣): «قال سبحانك» أنزهك عما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها «تبت إليك» من طلب الرؤية. فإن قلت: فإن كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فممّ تاب؟ قلت: من إجرائه تلك المقالة العظيمة - وإن كان لغرض صحيح - على لسانه من غير إذن فيه من الله تعالى، فانظر إلى إعظام الله تعالى أمر الرؤية في هذه الآية، وكيف أرجف الجبل بطالبيها وجعله دكاً، وكيف أصعقهم، ولم يُخلّ كلمه من نفيان ذلك مبالغة في إعظام الأمر، وكيف سبّح ربه ملتجئاً إليه، وتاب من إجراء تلك الكلمة على لسانه، وقال: «أنا أول المؤمنين». ثم تعجّب من المتسمّين بالإسلام، المتسمّين بأهل السنّة والجماعة، كيف اتّخذوا هذه العظيمة مذهباً! ولا يغرنك تسرّهم بالبلكفة^(٤)، فإنه من منصوبات أشياخهم، والقول ما قال بعض العدلية^(٥) فيهم:

لجماعة سمّوا هواهم سنّةً وجماعة حُمّر لعمري مؤكفّه
قد شبّهوه بخلقه وتخوفوا شنع الوري فتستروا بالبلكفّه^(٥)

وهو تفسير على طريقة المعتزلة، وسب لأهل السنّة والجماعة على عادته، وقد نظّم بعض علماء السنة على وزن هذين البيتين وبحرهما؛ أنشدنا الأستاذ العلامة

(١) أخرجه الطبري ٤٣٤/١٠.

(٢) في المحرر الوجيز ٤٥٢/٢.

(٣) البلكفة: نحت كالبسلة، أي: القائلين بأن الرؤية بلا كيف. حاشية الشهاب على اليبضاوي ٢١٦/٤.

(٤) العدلية من أسماء المعتزلة، وينظر في سبب التسمية منهاج السنة النبوية ١٤١/٣، وفيض القدير ٤١٥/١.

(٥) الكشف ١١٥-١١٦/٢.

أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بَعْرُنَاطَة إجازةً إن لم يكن سماعاً، ونقلته من خطه، قال: أنشدنا القاضي الأديب العالم أبو الخطاب محمد بن أحمد بن خليل السكوني بقراءتي عليه، عن أخيه القاضي أبي بكر^(١) من نظمه:

شَبَّهْتَ جَهْلًا صَدْرَ أمةِ أحمد وذوي البصائرِ بالحميرِ المُؤكِّفِ
وزَعَمْتَ أنْ قد شَبَّهوا معبودَهُم وتخوَّفوا فتستَّروا بالبلِّكفِ
ورَمَيْتَهُم عن نبعِ سَوَيْتِهَا رَمَى الوليدِ غدا يمزُقُ مُضَحَفَهُ
وَجَبَّ الخَسَارُ عليك فانظُرْ مُنْصِفاً في آيةِ الأعرافِ فهي المُنْصِفِ
أترى الكلِيمَ أتى بجهلٍ ما أتى وأتى شيوخُك ما أتوا عن مَعْرِفِهِ
وبآيةِ الأعرافِ وَنِكَ خُذِلْتُمْ فوَقَعْتُمْ دون المراقبي المُزْلِفِ
لو صحَّ في الإسلامِ عقدُك لم تَقُلْ بالْمذهبِ المهجورِ من نفي الصِّفِ
إن الوجوهِ إليه ناظرةٌ بذا جاء الكتابُ فقلْتُمْ هذا السِّفِ
فالنَّفْيُ مختصٌّ بدارِ بعدها لك لا أبا لك موعداً لن تُخْلِفِ

وأنشدنا قاضي القضاة أبو القاسم عبد الرحمن ابن قاضي القضاة أبي محمد بن عبد الوهاب بن خلف العَلَامِي^(٢) بالقاهرة لنفسه:

قالوا يُريد ولا يكونُ مرادُه عَدَلُوا ولكن عن طريقِ المَعْرِفِ

﴿وَأَنَا أَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: من قومي بني إسرائيل^(٣).

وقيل: من أهل زمانه إن كان الكفرُ قد طَبَّقَ الآفاق^(٤).

(١) يحيى بن أحمد السكوني، كان عالماً بأصول الفقه والكلام، خطيباً مفوهاً، له حظ من النظم والنثر، شرح مستصفي الغزالي، وقيد على تفسير الزمخشري كتاباً سماه: الحسنات والسيئات، أبدى فيه مستظرف غرائب البيانية وطرقه الاعتزالية، توفي سنة (٦٢٧هـ). نيل الابتهاج بتطريز الديباج للتنبكي على هامش الديباج المذهب ص ٣٥٥.

(٢) وكان فقيهاً نحوياً أديباً، جرت له محنة مع الملك الأشرف، ثم نجاه الله منها، توفي سنة (٦٩٥هـ). طبقات الشافعية الكبرى ١٧٢/٨.

(٣) أخرجه عنهما الطبري ٤٣٥/١٠.

(٤) المحرر الوجيز ٤٥٢/٢.

وقال أبو العالية: بأنك لا تُرى في الدنيا^(١).

وقال الزمخشري: بأنك لست بمرئي ولا مُدرِك بشيء من الحواس^(٢).

وقال أيضًا: بعظمتك وجلالك، وأن شيئًا لا يقوم لبطشك وبأسك^(٣). انتهى.

وتفسيره الأول على طريقة المعتزلة، وقد ذكر متكلمو أهل السنة دلائل على رؤية الله تعالى في الآخرة سمعية وعقلية يوقف عليها وعلى حجج الخصوم في كتب أصول الدين.

﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْنَكَ وَكُن مِمَّنِ الشَّاكِرِينَ﴾^(٤) لما طلب موسى عليه السلام الرؤية ومُنِعَهَا عَدَدَ عليه تعالى وجوه نعمه العظيمة عليه، وأمره أن يشتغل بِشُكْرِهَا، وهذه تسليئة منه تعالى له، والاصطفاء تقدم شرحه^(٥)، و«على الناس» لفظ عام ومعناه الخصوص، أي: على أهل زمانك، أو يبقى على عمومهم، يعني: في مجموع الدرجتين: الرسالة والكلام؛ قاله ابن عطية^(٥). وينبغي أن يُحمل ذلك على وقوع الكلام في الأرض، إذ ثبت أن آدم نبيٌّ مكلَّم^(٦)، وتوَوَّل على أن ذلك في الجنة، ورسولنا محمد ﷺ يَظْهَرُ من حيث الإسراء أنه كلَّمه الله تعالى.

ويدلُّ قوله: «وبكلامي» على أنه سمع الكلام من الله لا من غيره؛ لأن الملائكة تنزل على الرسل بكلام الله.

وقدّم «برسالاتي» على «بكلامي» لأن الرسالة أسبق في الزمان، أو لأنه انتقل من شريف إلى أشرف.

(١) أخرجه الطبري ٤٣٣/١٠.

(٢) الكشاف ١١٥/٢.

(٣) الكشاف ١١٦/٢.

(٤) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ [البقرة: ١٣٠].

(٥) في المحرر ٤٥٢/٢.

(٦) يشير إلى ما أخرجه أحمد (٢١٥٤٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وفيه أن النبي ﷺ سئل عن آدم. فقال: «نبيٌّ مكلَّم»، وإسناده ضعيف، وقد سلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وينظر المحرر الوجيز ٤٥٢/٢.

وقرأ الجِرْمِيَان: «برسالتِي» على الإفراد^(١)، وهو مرادٌ به المصدر، أي: بإرسالي، أو يكون على حذفٍ مضافٍ، أي: بتبليغ رسالتي؛ لأنَّ مدلول الرسالة غيرُ مدلول المصدر.

وقرأ باقي السبعة بالجمع؛ لأن الذي أُرسِل به ضروبٌ وأنواع.

وقرأ الجمهور: «وبكلامي»، فاحتمل أن يكون مصدرًا، أي: وبتكليمي، أو يكون على حذفٍ مضافٍ، أي: وبسماع كلامي.

وقرأ أبو رجاء: «برسالتِي وبكَلِمِي» جمع كلمة، أي: وبسماع كلمي.

وقرأ الأعمش: «برسالاتِي وبكَلِمِي»، وحكى عنه المهدوي: «وتكليمي» على وزن: تفعيلي^(٢).

وأمره تعالى بأن يأخذَ ما آتاه من النبوة لأنَّ في الأمر بالأخذ مزيدَ تأكيدٍ وحصولَ أجرٍ بالامثال، والمعنى: خُذْ ما آتيتك باجتهدٍ في تبليغه وجدِّ في النفع به، وكن من الشاكرين على ما آتيناك، وفي ذلك إشارةٌ إلى القَنع والرِّضا بما أعطى الله، والشكرُ عليه.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ قيل: إن موسى عليه السلام صَعَقَ يومَ الجمعة يومَ عرفة وأفاق فيه، وأُعطِيَ التوراةَ يومَ النحر^(٣).

وظاهرُ قوله: «وكتبتنا» نسبةُ الكتابةِ إليه:

فقيل: كتب بيده وأهلُ السماءِ يسمعون صريرَ القلم في اللوح^(٤).

وقيل: أظْهَرَهَا وَخَلَقَهَا فِي الْأَلْوَابِ.

وقيل: أمر القلم أن يخطَّ لموسى في الألواح. وقيل: كتبها جبريلُ عليه السلام

(١) السبعة ص ٢٩٣، والتيسير ص ١١٣.

(٢) ذكر هذه القراءات ابن عطية في المحرر ٤٥٢/٢، ووقعت قراءة أبي رجاء في مطبوعه: «برسالتِي وبكَلِمَتِي».

(٣) ذكره بنحوه الماوردي في النكت والعيون ٢٥٩/٢ عن ابن عباس، والبغوي ١٩٨/٢ عن الكلبي، والقرطبي ٣٢٥/٩ عن قتادة والكلبي.

(٤) أخرجه الطبري ٤٥٦/١٠ عن سعيد بن جبير.

بالقلم الذي كتب به الذكر، واستمدَّ من نهر النور^(١). ففي هذين القولين أسند ذلك إلى نفسه إسنادَ تشریفٍ؛ إذ ذاك صادرٌ عن أمره.

وقيل: معنى «كتبنا»: فرضنا، كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]^(٢).

والضمير في «له» عائذٌ على موسى، والألواحُ جمعُ قِلَّةٍ، و«أل» فيها لتعريفِ الماهيةِ فإن كان هو الذي قطعها وشقَّقها^(٣)، فتكونُ «أل» فيها للعهد، وقال ابن عطية: عوضٌ من الضمير الذي يقدرُ وصلتهُ بين الألواحِ وموسى عليه السلام، تقديره: في ألواحِه، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٤١] أي: مأواه^(٤). انتهى.

وكونُ «أل» عوضًا من الضمير ليس مذهبَ البصريين، ولا يتعيَّن أن يكون عوضًا من الضمير، وليس ذلك كقوله: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ لأن الجملة خبرٌ عن «مَن»، فاحتاجت الجملةُ إلى رابط، فقال الكوفيون: «أل» عوضٌ من الضمير، كأنه قيل: مأواه، وقال البصريون: الرابطُ محذوفٌ، أي: هي المأوى له.

وظاهر «الألواح» الجمع:

فقيل: كانت سبعةً، وروي ذلك عن ابن عباس.

وقيل: ثمانية، ذكره الكرمانى.

وقيل: تسعةً، قاله مقاتل.

وقيل: عشرة، قاله وهب بن منبه.

وقيل: اثنان وروي عن ابن عباس أيضًا، واختاره الفراء^(٥)، وهذا ضعيفٌ؛

(١) ذكر هذا القول الرازي في تفسيره ٢٣٦/١٤ عن ابن جريج، ثم قال: واعلم أنه ليس في لفظ الآية ما يدل على كيفية تلك الألواح، وعلى كيفية تلك الكتابة، فإن ثبت ذلك التفصيل بدليل منفصل قوي وجب القول به، وإلا وجب السكوت عنه.

(٢) النكت والعيون ٣٥٩/٢.

(٣) كما نقل البغوي ١٦٦/٢ عن وهب بن منبه، وسيرد قريباً.

(٤) المحرر الوجيز ٤٥٢/٢.

(٥) ذكر هذه الأقوال عدا قول الكرمانى ابنُ الجوزي في زاد المسير ٢٥٨/٣.

لأن الدلالة بالجمع على اثنين قياساً له شرطٌ مذكورٌ في النحو، وهو مفقودٌ هنا.
وقال الربيع بن أنس: نزلت التوراة وهي وقرٌ سبعين بهيماً يُقرأ الجزء منها في سنة، ولم يقرأها سوى أربعة نفر: موسى ويوشع وعزير وعيسى^(١).

وقد اختلفوا من أي شيء هي، فعن ابن عباس وأبي العالية: من زبرجد، وعن ابن جبير: من ياقوت أحمر، وعن ابن عباس أيضاً ومجاهد: من زمرد أخضر، وعن أبي العالية أيضاً: من برد، وعن مقاتل: من زمرّد وياقوت، وعن الحسن: من خشب طولها عشرة أذرع، وعن وهب: من صخرة صماء أمر بقطعها ولانت له، فقطعها بيده وشققها بأصابعه^(٢).

وقيل: من نور، حكاه الكرماني، والمعنى: من كل شيء محتاج إليه في شريعتهم.

﴿مَوْعِظَةً﴾ لللازديجار والاعتبار ﴿وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من التكاليف: الحلال والحرام، والأمر والنهي، والقصص والعقائد، والإخبار بالمغيبات.
وقال ابن جبير ومجاهد: «لكل شيء» بما أمروا به ونهوا عنه. وقال السدي: الحلال والحرام^(٣).

وقال مقاتل: كان مكتوباً في الألواح: إني أنا الله الرحمن الرحيم، لا تُشركوا بي شيئاً، ولا تقطعوا السبل، ولا تحلفوا باسمي كاذبين، فإن من حلف باسمي كاذباً فلا أزكيه، ولا تقتلوا، ولا تزنوا، ولا تعفوا الوالدين^(٤).

والظاهر أن مفعول «كتبنا»: «موعظة»، أي: كتبنا فيها موعظة من كل شيء وتفصيلاً لكل شيء، قاله الحوفي، قال: نصب «موعظة» بـ«كتبنا»، و«تفصيلاً» عطفٌ على «موعظة لكل شيء» متعلقٌ بـ«تفصيلاً». انتهى.

(١) تفسير الطبري ٤٥٥/١٠، وتفسير الثعلبي ٧٢/٣، والكشاف ١١٦/٢، وتفسير البغوي ١٩٩/٢، وتفسير القرطبي ٣٢٨/٩. وعندهم جميعاً: وهي سبعون وقر بعير.

(٢) تنظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ٤٥٦/١٠-٤٥٧، والنكت والعيون ٢/٢٦٠، وتفسير البغوي ١٩٩/٢، وزاد المسير ٢٥٨/٣.

(٣) أخرج القولين الطبري ١٣٧/١٠-١٣٨.

(٤) تفسير الثعلبي ٧٢/٣، والكشاف ١١٦/٢.

وقال الزمخشري: «من كل شيء» في محلّ النصب مفعول «كتبنا»، و«موعظةً وتفصيلاً» بدلٌ منه، والمعنى: كتبنا له كل شيء كان بنو إسرائيل يحتاجون إليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الأحكام^(١). انتهى.

ويُحتملُ عندي وجهٌ ثالثٌ، وهو أن يكون مفعولُ «كتبنا» موضعَ المجرور، كما تقول: أكلتُ من الرغيف، و«من» للتبويض، أي: كتبنا له أشياء من كل شيء، وانتصب «موعظةً وتفصيلاً» على المفعول من أجله، أي: كتبنا له تلك الأشياء للتعاظ والتفصيل لأحكامهم^(٢).

﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ بَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُزِيكُمُ دَارَ الْفَلْسِقِينَ﴾^(١٤٣) أي: فقلنا: خذها، عطفًا على «كتبنا»، ويجوز أن يكون «فخذها» بدلًا من قوله: «فخذ ما آتيتك»، والضمير في «فخذها» عائِدٌ على «ما» على معنى «ما» لا على لفظها، وأمّا إذا كان على إضمارٍ: فقلنا، فيكون عائِدًا على «الألواح»، أي: الألواح^(٣)، أو على «كل شيء» لأنه في معنى الأشياء، أو على التوراة، أو على الرسائل، وهذه احتمالاتٌ مقولةٌ أظهرها الأول.

ومعنى «بقوّة»، قال ابن عباس: بجِدٍّ واجتهادٍ فَعَلَّ أُولِي الْعَزْمِ.

وقال أبو العالية والربيع بن أنس: بطاعة.

وقال جُوَيْرِب: بشكرٍ.

وقال ابن عيسى: بعزيمة وقوة قلب؛ لأنه إذا أخذها بضعف النية أداه إلى الفتور^(٤)، وهذا القولُ راجعٌ لقول ابن عباس.

(١) الكشاف ١١٦/٢.

(٢) في (ب) و(د) (٣) و(يه): للأحكام. وينظر روح المعاني ٣٥٨/٩، فقد استبعد الألوسي أن تكون «موعظة» مفعولاً من أجله، قال: لأن الظاهر عطف «تفصيلاً» على «موعظة» وظاهرٌ أنه لا معنى لقولك: كتبنا له من كل شيء تفصيلاً لكل شيء.

(٣) قوله: أي الألواح، متعلق بقوله بدايةً: أي: فقلنا خذها، وسبب هذا الانقطاع في السياق أن المصنف استدرك على هامش (زا) من قوله: عطفًا على «كتبنا»، إلى قوله: عائِدًا على الألواح، والنسخ الأخرى نقلت عنها فجاء الكلام فيها ضمن المتن.

(٤) تنظر هذه الأقوال مفرقة في تفسير الطبري ٤٣٩/١٠-٤٤٠، والنكت والعيون ٢/٢٦٠، والكشاف ١١٦/٢-١١٧، وتفسير البغوي ٢/٢٠٠، وزاد المسير ٣/٢٥٩.

وقال ابن عباس: أمر موسى أن يأخذ بأشدَّ ممَّا أمر به قومه^(١).

وقوله: «بأحسنها» ظاهره أنه أفعلُ التفضيل، وفيها الحَسَنُ والأحْسَنُ، كالقصاص والعفو والانتصار والصبر.

وقيل: أحسنُها: الفرائضُ والنوافلُ، وحسنُها: المباحُ.

وقيل: أحسنُها: الناسخُ، وحسنُها: المنسوخ. ولا يتصور أن يكون المنسوخُ حسنًا إلا باعتبار ما كان عليه قبلَ النسخ، أمَّا بعد النسخ فلا يُوصَفُ بأنه حسنٌ؛ لأنه ليس مشروعًا.

وقيل: الأحسنُ المأمورُ به دون المنهِي عنه؛ قال الزمخشري: على قوله: الصيفُ أحرُّ من الشتاء^(٢). انتهى، وذلك على تخيُّل أن في الشتاء حرًّا، ويمكن الاشتراكُ فيهما في الحُسْنِ بالنسبة إلى الملاءُ وشهوات النفس، فيكونُ المأمورُ به أحسنَ من حيث الامتثالُ وترتَّبُ الثوابُ عليه، ويكونُ المنهِي عنه حسنًا باعتبار الملاءُ والشهوة، فيكونُ بينهما قَدْرٌ مشتركٌ في الحُسْنِ وإن اختلفَ متعلِّقُه.

وقيل: أحسنُها هو أشبه ما تحتمله الكلمة^(٣) من المعاني إذا كان لها احتمالات، فتحمَل على أولاها بالحقِّ وأقربها إليه.

وقيل: «أحسن» هنا ليست أفعلُ التفضيل، بل المعنى: بحسنها، كما قال:

بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ^(٤)

أي: عزيزةٌ طويلةٌ؛ قاله قطربُ وابنُ الأنباري^(٥)، فعلى هذا أمرُوا بأن يأخذوا بحسنها، وهو ما يترتَّبُ عليه الثوابُ، دون المناهي التي يترتَّبُ على فعلها العقابُ.

وقيل: «أحسن» هنا صلةٌ، والمعنى: يأخذوا بها، وهذا ضعيفٌ؛ لأن الأسماء لا تزداد.

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٥٢.

(٢) الكشاف ٢/١١٧.

(٣) قوله: الكلمة، ليس في (ب) و(د) و(يه).

(٤) صدره: إن الذي سَمَكَ السماءَ بنى لنا، والبيت للفرزدق، وهو في ديوانه ٢/١٥٥.

(٥) زاد المسير ٣/٢٥٩.

وأنجزم «ياخذوا» على جواب الأمر، وينبغي تأويل «وأمر قومك» لأنه لا يلزم من أمر قومه بأخذ أحسنها أن يأخذوا بأحسنها، فلا ينتظم منه شرط وجزاء^(١).

و«بأحسنها» متعلق بـ«ياخذوا»، وذلك على إعمال الثاني؛ لأن «بأحسنها» مقتضى لقوله: «وأمر» ولقوله: «ياخذوا».

ويحتمل أن يكون قوله: «ياخذوا» مجزوماً على إضمار لام الأمر، أي: ليأخذوا؛ لأن معنى «وأمر قومك»: قل لقومك، وذلك على مذهب الكسائي.

ومفعول «ياخذوا» محذوف لفهم المعنى، أي: يأخذوا أنفسهم بأحسنها، ويحتمل أن تكون الباء زائدة، أي: يأخذوا أحسنها، كقوله:

لَا يَـقْرَأْنَ بِـالْشُّـوْرِ^(٢)

والوجه الأول أحسن.

وانظر إلى اختلاف متعلق الأمرين: أمر موسى بأخذ جميعها، فقيل: «فخذها بقوة» وأكد الأخذ بقوله: «بقوة»، وأمروا هم أن يأخذوا بأحسنها ولم يؤكد ليُعْلَم أن رتبة النبوة أشق في التكليف من رتبة التابع، ولذلك فرض على رسول الله ﷺ قيام الليل وغير ذلك من التكاليف المختصة به.

والإرادة هنا من رؤية العين ولذلك تعدت إلى اثنين، و«دار الفاسقين» مصر، قاله عليّ وقتادة ومقاتل وعطية العوفي^(٣)، والفاسقون فرعون وقومه، قال

(١) يعني: أن شرط الجزم انحلال الجملتين إلى شرط وجزاء، وهذا لا يستقيم هنا دون تأويل، لأننا إذا قلنا: إن تأمر قومك يأخذوا بأحسنها، لا يستقيم المعنى بدليل عصيان بعضهم له في ذلك، فلا بد من تأويل، نحو: إن تأمرهم ويوفقههم الله تعالى يأخذوا. ينظر الدر المصون ٤٥٣/٥، وروح المعاني ٣٦٢/٩.

(٢) قطعة من بيت سلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَأْتُوا بِضَبْرِ رَبِّكَ﴾ [البقرة: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِبَيْتِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وتامه:

هن الحرائر لا ربات أحمره سود المحاجر لا يقرآن بالسور

(٣) المحرر الوجيز ٤٥٣/٢، وزاد المسير ٢٦٠/٣.

الزمخشري: كيف أَفْقَرْتُ منهم ودمروا لِفِسْقِهِمْ، لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكّلُ بكم مثل نكالهم^(١). انتهى.

وقيل: المعنى: سأريكم مصارع الكفار، وذلك أنه لما أُغْرِقَ فرعون وقومه أُوْحِيَ إلى البحر أن اقْدِفْ أجسادهم إلى الساحل، ففعل فنظر إليهم بنو إسرائيل فأراهم مصارع الفاسقين^(٢).

وقال الكلبي: ما مرّوا عليه إذا سافروا من مصارع عادٍ وثمود والقرون الذين أهلّكوا.

وقال قتادة أيضاً: الشام، والمرادُ العمالقة الذين أمر موسى بقتالهم.

وقال مجاهد والحسن: «دار الفاسقين» جهنم، والمراد الكفرة بموسى وغيره^(٣).

وقال ابن زيد: «سأريكم» من رؤية القلب، أي: سأعلمكم سير الأولين وما حلّ بهم من النكال^(٤).

وقيل: «دار الفاسقين» أي: ما دار إليه أمرهم، وهذا لا يُدْرِك إلا بالأخبار التي يَحْدُثُ عنها العلمُ، وهذا قريبٌ من قول ابن زيد.

قال ابن عطية: ولو كان من رؤية القلب لتعدى بالهمزة إلى ثلاثة مفعولين، ولو قال قائلٌ: المفعول الثالث يتضمّنه المعنى فهو مقدّر، أي: مدمرة، أو: خربة، أو: مسعرة - على قولٍ من قال: إنها جهنم - قيل له: لا يجوزُ حذفُ هذا المفعول، ولا الاقتصارُ دونه؛ لأنها داخلةٌ على الابتداء والخبر، ولو جوّزَ لكان على قبح في اللسان لا يليقُ بكتاب الله تعالى^(٥). انتهى.

(١) الكشاف ١١٧/٢.

(٢) تفسير الثعلبي ٧٣/٣، وتفسير القرطبي ٣٣٠/٩. وروي نحو هذا المعنى عن سفيان الثوري، فقد أخرج عنه ابن أبي حاتم ١٥٦٦/٥ قوله: «دار الفاسقين»: هلاك الفاسقين.

(٣) تنظر هذه الأقوال في المحرر الوجيز ٤٥٣/٢، وزاد المسير ٢٦٠/٣، وتفسير الرازي ٢٣٨/١٤، وقول مجاهد والحسن أخرجه الطبري ٤٤١/١٠، وابن أبي حاتم ١٥٦٦/٥.

(٤) ذكره الثعلبي ٧٣/٣ بلفظ: يعني سنن الأولين.

(٥) المحرر الوجيز ٤٥٣/٢.

وحذف المفعول الثالث في باب «أَعْلَمَ» لدلالة المعنى عليه جائزٌ، فيجوزُ في جواب: هل أعلمتَ زيدًا عمرًا منطلقًا: أعلمتَ زيدًا عمرًا، ويُحذفُ «منطلقًا» لدلالة الكلام السابق عليه.

وأما تعليقه: لأنها داخلةٌ على الابتداء والخبر، لا يدلُّ على المنع؛ لأن خبر المبتدأ يجوزُ حذفُه اختصارًا، والثاني والثالثُ في باب «أَعْلَمَ» يجوزُ حذفُ كلِّ واحدٍ منهما اختصارًا. وفي قوله: لأنها - أي: «سأريكم» - داخلةٌ على المبتدأ والخبر، فيه تجوُّزٌ، ويعني أنها قبل النقل بالهمزة كانت داخلةً على المبتدأ والخبر.

وقرأ الحسن: «سأوريكم» بواوٍ ساكنةٍ بعد الهمزة^(١) على ما يقتضيه رسمُ المصحف، ووجهت هذه القراءةُ بوجهين:

أحدهما: ما ذكره أبو الفتح، وهو أنه أشبع الضمة ومطلها^(٢) فنشأ عنها الواوُ، قال: ويُحسِّنُ احتمالَ الواو في هذا الموضع أنه موضعٌ وعيدٌ وإغلاظٌ فمكَّن الصوتُ فيه^(٣). انتهى، فيكون كقوله:

..... أدنو فأنظور^(٤)

أي: فأنظر، وهذا التوجيهُ ضعيفٌ، لأن الإشباعَ بابه ضرورةُ الشعر.

والثاني: ما ذكره الزمخشريُّ، قال: وقرأ الحسن: «سأوريكم» وهي لغةٌ فاشيةٌ بالحجاز، يقال: أوري كذا، وأوريتُه، فوجهُه أن يكون من: أوريته^(٥) الرُّند، كأنَّ المعنى: بيَّنه لي وأرزه لأستبيته. انتهى، وهي أيضًا في لغة أهل الأندلس، كأنهم تلقَّوها من لغة الحجاز وبقيت في لسانهم إلى الآن، وينبغي أن يُنظر في تحقُّق هذه اللغة: أهي في لغة الحجاز أم لا؟

(١) القراءات الشاذة ص ٤٥-٤٦، والمحتسب ٢٥٨/١، والمحزر الوجيز ٤٥٣/٢، والكشاف ١١٧/٢.

(٢) في (١د) والمطبوع: ومطها.

(٣) المحتسب ٢٥٨/١، والمحزر الوجيز ٤٥٣/٢، وعنه نقل المصنف.

(٤) قطعة من بيت لإبراهيم بن هرمة وهو في ديوانه ص ٢٣٩ وتامه:

وأُنسي حيثما يُشري الهوى بصري من حيثما سلكوا أدنو فأنظورُ

(٥) في (١د) والمطبوع ومطبع الكشاف: أوريثُ.

وقرأ ابن عباس وقسامة بن زهير: «سأورثكم»^(١)، قال الزمخشري: وهي قراءة حسنة يصححها قوله تعالى: ﴿وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَعْفُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]^(٢).

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ لَمَّا ذَكَرَ «سَأُورِثُكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ» ذَكَرَ مَا يَفْعَلُ بِهِمْ تَعَالَى مِنْ صَرْفِهِ إِيَّاهُمْ عَنْ آيَاتِهِ لِفَسْقِهِمْ وَخُرُوجِهِمْ عَنْ طَوْرِهِمْ إِلَى وَصْفٍ لَيْسَ لَهُمْ، ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى مِنْ أَحْوَالِهِمْ مَا اسْتَحَقُّوا بِهِ اسْمَ الْفَسْقِ.

قال ابن جبير^(٣): سأصريفهم عن الاعتبار والاستدلال بالدلائل. والآيات على هذا: المعجزات وبدائع المخلوقات.

وقال قتادة: سأصدهم عن الإعراض والطعن والتحريف والتبديل والتغيير^(٤). فالآيات: القرآن، فإنه مختص بصونه عن ذلك.

وقال سفيان بن عيينة: سأمنعهم من تدبرها ونظرها النظر الصحيح المؤدي إلى الحق^(٥).

وقال الزجاج: أجعل جزاءهم الإضلال عن الاهتداء بآياتي^(٦). والآيات على هذا: التوراة أو الإنجيل، أو الكتب المنزلة.

وقيل: سأصريفهم عن دفع الانتقام^(٧)، أي: إذا أصابتهم عقوبة لم يدفعها عنهم، فالآيات على هذا: ما حلَّ بهم من المثلات التي صاروا بها مثلة وعبرة.

(١) القراءات الشاذة ص ٤٦. وقسامة بن زهير: المازني التميمي البصري، روى عن أبي موسى الأشعري وأبي هريرة رضي الله عنهما. تهذيب التهذيب ٣/٤٤٠.

(٢) الكشاف ٢/١١٧.

(٣) كذا في النسخ، ولعله محرف عن: ابن جريج، وقد أخرجه عن ابن جريج الطبري ١٠/٤٤٣، وذكره عنه الثعلبي ٣/٧٣. ولم أقف عليه عن ابن جبير.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) أخرجه الطبري ١٠/٤٤٣ بلفظ: سأنزعه عنهم فهم القرآن. والثعلبي ٣/٧٣ بلفظ: أحرهم فهم القرآن.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٢/٣٧٦.

(٧) النكت والعيون ٢/٢٦١، وفيه: ... عن دفع الانتقام عنهم.

وعلى هذه الأقوال يكون «الذين يتكبرون» عام^(١)، أي: كلٌّ مَنْ قام به هذا الوصف.

وقيل: هذا من تمام خطاب موسى، والآيات هي التسع التي أُعطيها، والمتكبرون هم فرعون وقومه؛ صَرَفَ اللهُ قلوبهم عن الاعتبار بها بما انهمكوا فيه من لذات الدنيا.

وأخذ الزمخشريُّ بعضَ أقوال المفسرين فقال: «سأُصْرِفُ عن آياتي» بِالطَّبْعِ على قلوب المتكبرين وخذلانهم، فلا يَفْكَرُونَ فيها ولا يعتبرون بها غفلةً وأنهماكاً فيما يشغلهم عنها من شهواتهم، وفيه إنذارُ المخاطبين من عاقبة الذين يُصْرِفُونَ عن الآيات لتكبرهم وكفرهم بها؛ لئلا يكونوا مثَلهم فَيُسَلِّكَ بهم سبيلهم^(٢). انتهى.

و«الذين يتكبرون»؛ قيل: عن الإيمان؛ قال ابنُ عطية: هم الكفرة، والمعنى في هذه الآية: سأجعلُ الصَّرْفَ عن الآيات عقوبةً للمتكبرين على تكبرهم^(٣). انتهى.

وقيل: هم الذين يحتقرون الناس ويرون لهم الفضلَ عليهم^(٤)، وفي الحديث الصحيح «إنما الكبرُ أن تَسْفَهَ الحقَّ وتَعْمِصَ الناسَ»^(٥) ويتعلَّقُ «بغير الحق» بـ«يتكبرون» أي: بما ليس بحقٍّ وما هم عليه من دينهم، وقد يكون التكبرُ بالحقِّ كتكبرِ المُحِقِّ على المُبْطِل، لقوله تعالى: ﴿أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] ويجوزُ أن يكون في موضع الحال فيتعلَّقُ بمحذوف، أي: مُلْتَبِسِينَ بغير الحق، والمعنى: غيرَ مستحقِّين^(٦)؛ لأنَّ التكبرَ بالحقِّ لله وحده؛ لأنه هو الذي له القدرةُ والفضلُ الذي ليس لأحد.

(١) كذا في النسخ، والجماد: عامًا.

(٢) الكشاف ١١٧/٢.

(٣) المحرر الوجيز ٤٥٤/٢.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٧٩/٣، وزاد المسير ٢٦١/٣.

(٥) قطعة من حديث أخرجه أحمد (٦٥٨٣)، والطبراني في الأوسط (٩٠٨٨) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه. وأخرجه مسلم (٩١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «... الكبر بَطَرُ الحقِّ وَعَمَطُ الناسِ». وَالْعَمَطُ مثلُ الْعَمَصِ، وهو: الاستهانة والاستحقار. النهاية (غمط).

(٦) في الكشاف ١١٧/٢ (والكلام منه: غير محققين).

﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآءَآيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ صَرَّفَهُمْ هَذَا الْوَصْفُ الذَّمِيمُ وَهُوَ التَّكْبِيرُ عَنِ الْإِيمَانِ حَتَّى لَوْ عُرِضَتْ عَلَيْهِمْ كُلُّ آيَةٍ لَمْ يَرَوْهَا آيَةً فَيُؤْمِنُوا بِهَا، وَهَذَا حَتْمٌ مِنْهُ تَعَالَى عَلَى الطَّائِفَةِ الَّتِي قَدَّرَ أَنْ لَا يُؤْمِنُوا.

وقرأ مالك بن دينار: «وإن يروا» بضم الياء^(١).

﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَّا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ أَرَاهُمَ اللَّهُ السَّبِيلِينَ فَرَأَوْهُمَا؛ فَأَثَرُوا الْغَيَّ عَلَى الرُّشْدِ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَأَسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧].

وقرأ الأخوان: «الرُّشْد»، وباقي السبعة: «الرُّشْد»^(٢)، وعن ابن عامرٍ في روايةٍ إِبْتِغَاءَ الشَّيْنِ ضَمَّةَ الرَّاءِ^(٣)، وأبو عبد الرحمن: «الرُّشَاد»^(٤)، وهي مَصَادِرُ ك: السُّقْمِ وَالسَّقَامِ.

وقال أبو عمرو بن العلاء: الرُّشْدُ: الصَّلَاحُ فِي النِّظَرِ، وَبِفَتْحِهِمَا: الدِّينُ^(٥).

وقرأ ابن أبي عبيدة: «لَا يَتَّخِذُوهَا» و«يَتَّخِذُوهَا»^(٦) عَلَى تَأْنِيثِ السَّبِيلِ، وَالسَّبِيلُ تَذَكُّرٌ وَتَوْثُثٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

وَلَمَّا نَفَى عَنْهُمْ الْإِيمَانَ وَهُوَ مِنْ أَفْعَالِ الْقَلْبِ، اسْتَعَارَ لِلرُّشْدِ وَالْغَيِّ سَبِيلَيْنِ، فَذَكَرَ أَنَّهُمْ تَارَكُوا سَبِيلَ الرُّشْدِ سَالِكُوا سَبِيلَ الْغَيِّ؛ لِيُطَابِقَ الْإِعْتِقَادَ الْقَلْبِيَّ الْفِعْلَ الْجِسْمَانِيَّ، وَهُوَ سَلُوكُ سَبِيلِ الْغَيِّ، وَنَاسَبَ تَقْدِيمَ جُمْلَةِ الشَّرْطِ الْمَتَضَمِّنَةِ سَبِيلَ الرُّشْدِ عَلَى مَقَابِلَتِهَا لِأَنَّهَا قَبْلُهَا: «وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآءَآيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا»، فَذَكَرَ مُؤَجَّبَ الْإِيمَانِ - وَهُوَ الْآيَاتُ - وَتَرْتَّبَ نَقِيضَهُ عَلَيْهِ، وَأَتْبَعَ ذَلِكَ بِمَوْجِبِ الرُّشْدِ وَتَرْتَّبَ نَقِيضَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَاءَتْ الْجُمْلَةُ بَعْدَهَا مَصْرُوحَةً بِسَلُوكِهِمْ سَبِيلَ الْغَيِّ وَمُؤَكَّدَةً لِمَفْهُومِ

(١) المحرر الوجيز ٤٥٤/٢، والكشاف ١١٧/٢.

(٢) السبعة ص ٢٩٣، والتيسير ص ١١٣.

(٣) المحرر الوجيز ٤٥٤/٢.

(٤) تفسير الثعلبي ٧٣/٣، وهي في القراءات الشاذة ص ٤٦ عن علي رضي الله عنه.

(٥) تفسير الطبري ٤٤٥/١٠، والمحرر الوجيز ٤٥٤/٢.

(٦) أي: في الموضعين، والقراءة في المحرر الوجيز ٤٥٤/٢.

الجملة الشرطية قبلها؛ لأنه يلزم من ترك سبيل الرشد سلوك سبيل الغي؛ لأنهما إما هدى أو ضلال، فهما تقيضان: إذا اتتقى أحدهما ثبت الآخر.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ (١٤١) أي: ذلك الصرف عن الآيات هو بسبب تكذيبهم بها، وغفلتهم عن النظر فيها والتفكير في دلالتها، والمعنى أنهم استمرّ تكذيبهم وصار لهم ذلك ديدناً حتى صارت تلك الآيات لا تخطر لهم بال، فحصلت الغفلة عنها والنسيان لها، حتى كانوا لا يذكرونها ولا شيئاً منها.

والظاهر أن الصّرف سببه التكذيب والغفلة من جميعهم، ويحتمل أن الصرف سببه التكذيب، ويكون قوله: «وكانوا عنها غافلين» استئناف إخبار منه تعالى عنهم، أي: من شأنهم أنهم كانوا غافلين عن الآيات وتدبرها فأورثتهم الغفلة التكذيب بها.

والظاهر أن «ذلك» مبتدأ، وخبره «بأنهم»، أي: ذلك الصرف كائن بأنهم كذبوا، وجوزوا أن يكون منصوباً، فقدّره ابن عطية: فعلنا ذلك^(١)، وقدّره الزمخشري: صرّفهم الله ذلك الصرف بعينه^(٢).

وفي قوله تعالى: «سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق» إشعاراً بأن الصرف سببه هذا التكبر، وفي قوله: «ذلك بأنهم كذبوا» إعلام بأن ذلك الصرف سببه التكذيب، والجمع بينهما: أن التكبر سبب أول نشأ عنه التكذيب، فصحّ نسبة الصّرف إلى السبب الأول وإلى ما تسبّب عنه.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٤٧) ذكر تعالى ما يؤول إليه في الآخرة أمر المكذبين، فذكر أنه يحبط أعمالهم، أي: لا يعبأ بها، وأصل الحبط: أن يكون فيما تقدّم صلاحه، فاستعمل الحبوط هنا إذ كانت أعمالهم في معتقداتهم جارية على طريق صالح، فكان الحبط

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٥٤، قال السمين في الدرر ٥/٤٥٨: فجعله مفعولاً به.

(٢) الكشاف ٢/١١٧، قال السمين: فجعله مصدرأ. اهـ. وقوله: بعينه، جاء بدلاً منه في الكشاف بسببه، وهو الصواب، ينظر تفسير البيضاوي (على هامش حاشية الشهاب) ٤/٢١٨، وتفسير أبي السعود ٣/٢٧٢، وروح المعاني ٩/٣٦٩، والتقدير عندهم: سأصرفهم ذلك الصرف بسبب تكذيبهم بآياتنا وغفلتهم عنها.

فيها بحسب معتقداتهم؛ إذا المكذَّبُ بالآيات قد يكون له عملٌ فيه إحسانٌ للناس، وصفحٌ وعتقٌ عمَّن جَنَى عليه، وكلُّ ذلك لا يُجَارَى عليه في الآخرة، فشمِلَ حبْطُ الأعمالِ مَنْ له عملٌ برٌّ وَمَنْ عملُهُ من أول مرةٍ فاسدٌ. ونَبَّهَ بِ«اللقاء الآخرة» على محلِّ افتضاحهم وجزائهم، وتهديداً لهم ووعيداً بها، وبأنها كائنةٌ لا محالةً.

وإضافةُ «اللقاء» إلى «الآخرة» إضافةُ المصدر إلى المفعول، أي: ولقائهم الآخرةً.

قال الزمخشري: ويجوز أن يكون من إضافة المصدر إلى المفعول به، أي: ولقائهم الآخرةً ومشاهدتهم أحوالها، ومن إضافة المصدر إلى الظرف بمعنى: ولقاء ما وَعَدَ اللهُ تعالى في الآخرة^(١). انتهى.

ولا يُجيز جِلَّةُ النحويين الإضافةَ إلى الظرف؛ لأن الظرف هو على تقدير «في»، والإضافةُ عندهم إنما هي على تقدير اللام أو تقدير «من»، على ما بيَّن في علم النحو، فإن أُتسِعَ في العاملِ جاز أن يَنْصَبَ الظرفَ نَصْبَ المفعول به، وجاز إذ ذاك أن يضاف مصدرُهُ إلى ذلك الظرفِ المَتَّسِعِ في عامله. وأجاز بعضُ النحويين أن تكون الإضافة على تقدير «في» كما يُفهمه ظاهرُ كلامِ الزمخشري، وهو مذهبُ مردودٍ في علم النحو.

و«هل يُجزون» استفهامٌ بمعنى التقرير، أي: يَسْتَوْجِبُونَ بسوءِ فِعْلِهِمُ العقوبةَ، قاله ابنُ عطية^(٢).

والظاهرُ أنه استفهامٌ بمعنى النفي، ولذلك دخلت «إلا»، والاستفهامُ الذي هو بمعنى التقرير هو موجبٌ من حيث المعنى فيبَعُدُ دخولُ «إلا»، أو لعله لا يجوز.

﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُمْ خُورًا﴾ إن كان الاتِّخَاذُ بمعنى اتِّخَاذِهِمُ إِلَهًا مَعْبُودًا فَصَحَّ نَسْبُهُ إِلَى الْقَوْمِ، وَذَكَرَ أَنَّهُمْ كُلُّهُمْ عِبَادُهُ غَيْرَ هَارُونَ، وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي﴾ [الأعراف: ١٥١]، وقيل: إنما عبده قومٌ منهم لا جميعهم؛ لقوله: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٥٩].

(١) الكشاف ١١٧/٢.

(٢) المحرر الوجيز ٤٥٤/٢.

وإن كان بمعنى العمل، كقوله: ﴿كَشَلِ الْعَنْكَبُوتِ أَخَذَتْ بَيْتًا﴾ [العنكبوت: ٤١] أي: عملت وصنعت، فالمتخذ إنما هو السامري واسمه موسى بن ظفر من قرية تسمى سامرة، ونُسب ذلك إلى قوم موسى مجازًا، كما قالوا: بنو تميم قتلوا فلانًا، وإنما قُتل واحد منهم، ولكنهم راضين بذلك.

ومعنى «من بعده»، أي: من بعد مُضِيهِ للمناجاة. و«من حُلِيهِم» متعلق بـ«اتخذ»، وبها يتعلّق «من بعده» وإن كانا حرفي جرٍّ بلفظ واحد، وجاز ذلك لاختلاف مدلوليهما؛ لأن «من» الأولى لا ابتداء الغاية، والثانية للتبعيض، وأجاز أبو البقاء^(١) أن يكون «من حُلِيهِم» في موضع الحال - فيتعلّق بمحذوفٍ - لأنه لو تأخر لكان صفةً، أي: عجلًا كائنًا من حُلِيهِم.

وقرأ الأخوان: «من حُلِيهِم» بكسر الحاء إتياعًا لحركة اللام، كما قالوا عِصِي، وهي قراءة أصحاب عبد الله ويحيى بن وثاب وطلحة والأعمش. وقرأ باقي السبعة والحسن وأبو جعفر وشيبة بضم الحاء، وهو جمع حَلِي، نحو: تُذِي وتُذِي، ووزنه فُعول اجتمعت ياءً وواوٌ وسُبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياءً وأدغمت في الياء وكُسرت ما قبلها لتصحّ الياء. وقرأ يعقوب: «من حُلِيهِم» بفتح الحاء وسكون اللام^(٢)، وهو مفردٌ يراد به الجنس، أو اسمُ جنسٍ مفردُه حَلِيَة: ك: تمر وتمرّة.

وإضافة الحَلِيّ إليهم إمّا لكونهم مَلَكوه ممّا كان على قوم فرعون حين غرقوا ولَفَظَهم البحرُ فكان كالغنيمة، ولذلك أمر هارونُ بجمعه حتى ينظر موسى إذا رجع في أمره، أو مَلَكوه إذ كان من أموالهم التي اغتصبها القبطُ بالجزية التي كانوا وضعوها عليهم، فتحيل بنو إسرائيل على استرجاعها إليهم بالعارية، وإمّا لكونهم لم يَمَلَكوه لكنْ تصرّفتْ أيديهم فيه بالعارية فصحت الإضافة إليهم لأنها تكون بأدنى ملابسةٍ.

روى يحيى بنُ سلام عن الحسن أنهم استعاروا الحَلِيّ من القبطِ لعرسٍ، وقيل:

(١) في الإملاء ١/٢٨٥.

(٢) ذكر هذه القراءات ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٤٥٥، وقراءة من ذكر من السبعة في السبعة ص ٢٩٤، والتيسير ص ١١٣، ومن ذكر من العشرة - وهما أبو جعفر ويعقوب - في النشر ٢/٢٧٢.

ليوم زينة^(١)، ولَمَّا هلك فرعونُ وقومُه بقي الحلبيّ معهم، وكان حرامًا عليهم، فأخذ بنو إسرائيل في بيعه وتمحيقه، فقال السامريُّ لهارون: إنه عاريةٌ وليس لنا، فأمر هارونُ منادياً بردَّ العاريةَ ليرى فيها موسى رأيه إذا جاء، فجمعه وأودَّعه هارونُ عند السامريِّ، وكان صائغًا فصاغ لهم صورةً عجلٍ من الحلبيّ.

وقيل: مَنْعَهُم من ردِّ العاريةِ خوْفُهُم أن يَطَّلِعَ القبطُ على سُرَاهُم؛ إذ كان تعالى أمر موسى أن يَسْرِيَّ بِهِمْ^(٢).

والعجلُ ولدُ البقرةِ القريبُ الولادة، ومعنى: «جسدًا»: جثةٌ جمادًا، وقيل: بدنا بلا رأس ذهبًا مُصمَّمًا. وقيل: صنعه مجوَّفًا.

قال الزمخشري: «جسدًا»: بدنا ذا لحم ودم كسائر الأجساد، قال الحسن: إن السامريَّ قبض قبضةً من ترابٍ من أثرِ فرسِ جبريلَ عليه السلام يومَ قَطَعَ البحر، فقتله في العجلِ فكان عجلاً له خوار^(٣). انتهى، وهذا ضعيفٌ، أعني كونه لحمًا ودمًا؛ لأنَّ الآثارَ وردت بأنَّ موسى برَّده بالمبارِدِ وألقاه في البحر^(٤)، ولا يُبرِّدُ اللحم، بل كان يُقتل ويقطع.

وقال ابن الأنباري: ذكِرَ الجسدُ دلالةً على عدم الروح فيه. انتهى.

وظاهرُ قوله: «له خوار» يدلُّ على أنه فيه روح؛ لأنه لا يخورُ إلا ما فيه روح.

وقيل: لَمَّا صنعه أجوفَ تَحْيَلٍ لتصويته بأن جعل في جوفه أنابيبَ على شكلٍ مخصوص، وجَعَلَه في مهبِّ الرياح، فتدخلُ في تلك الأنابيب فيظهرُ صوتٌ يشبهُ الخوار.

وقيل: جعل تحته مَنْ يَنْفُخُ فيه من حيث لا يشعر به، فَيُسْمَعُ صوتٌ من جوفه كالخوار.

(١) وبهذه الرواية أورده ابن عطية في المحرر ٤٥٥/٢ عن الحسن.

(٢) ينظر ما ورد من هذه القصص في تفسير الطبري ٦٦٩/١ وما بعدها.

(٣) الكشف ١١٨/٢.

(٤) المحرر الوجيز ٤٥٥/٢.

وقال الكرمانى: جَعَلَ في بطن العجل بيتًا يُفْتَحُ وَيُغْلَقُ، فإذا أراد أن يَخُورَ أَدْخَلَهُ غلامًا يَخُورُ بعلامةٍ بينهما إذا أراد.

وقيل: يحتمل أن يكون الله اختاره ليفتن بني إسرائيل.

وخواؤه؛ قيل: مرة واحدة ولم يثن؛ رواه أبو صالح عن ابن عباس^(١).

وقيل: مرارًا، فإذا خار سجدوا، وإذا سكت رفعوا رؤوسهم، وقاله ابن عباس^(٢) وأكثر المفسرين. وقرأ عليّ وأبو السَّمال وفرقة: «جُورًا» بالميم والهمز^(٣) من جار: إذا صاح بشدة صوت.

وانتصب «جسدًا»؛ قال الزمخشري: على البدل^(٤). وقال الحوفي: على النعت. وأجازهما أبو البقاء، وأن يكون عطف بيان^(٥).

وإنما قال: «جسدًا» لأنه يمكن أن يتخذ مخطوطًا أو مرقومًا في حائط أو حجر أو غير ذلك كالتماثيل المصوّرة بالرّم والخط والدهان والنقش، فبيّن تعالى أنه ذو جسد.

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ إن كان «اتَّخَذَ» معناه: عَمِلَ وصَنَعَ، فلا بدّ من تقديرٍ محذوفٍ يترتب عليه هذا الإنكار، وهو فَعَبَدُوهُ وجعلوه إلهًا لهم، وإن كان المحذوف «إلهًا»، أي: اتَّخَذُوا عَجَلًا جسدًا له خوارًا إلهًا، فلا يحتاج إلى حذف جملة.

وهذا استفهام إنكار، حيث عبدوا جمادًا أو حيوانًا عاجزًا عليه آثارُ الصنعة لا يمكن أن يتكلّم ولا يهدي، وقد ركّز في العقول أن من كان بهذه المثابة استحال

(١) زاد المسير ٢٦٢/٣، وأخرجه ابن أبي حاتم ١٥٦٨/٥ من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ١٥٦٨/٥ من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٢٦٢/٣.

(٣) القراءات الشاذة ص ٤٦ عن أبي السمال، والكشاف ١١٨/٢ عن عليّ.

(٤) الكشاف ١١٨/٢.

(٥) الإملاء ٢٨٥/١.

أن يكون إلهاً، وهذا نوعٌ من أنواع البلاغة يسمّى الاحتجاج النظري، وبعضهم يسمّيه: المذهب الكلامي^(١).

والظاهر أن «يروا» بمعنى: يعلموا، وسلّب تعالى عنه هذين الوصفين دون باقي أوصاف الإلهية لأنّ انتفاء التكليم يستلزم انتفاء العلم، وانتفاء الهداية إلى سبيل يستلزم انتفاء القدرة، وانتفاء هذين الوصفين وهما العلم والقدرة يستلزمان انتفاء باقي الأوصاف، فلذلك خصّ هذان الوصفان بانتفائهما.

﴿اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ أي: أقدموا على ما أقدموا عليه من هذا الأمر الشنيع وكانوا واضعين الشيء في غير موضعه، أي: من شأنهم الظلم، فليسوا مبتكرين وضع الشيء في غير موضعه، وليس عبادة العجل بأول ما أحدثوا من المنكر.

قال ابن عطية: ويحتمل أن تكون الواو واو حال^(٢). انتهى، يعني في «وكانوا»، والوجه الأول أبلغ في الذم، وهو الإخبار عن وصفهم بالظلم وأنّ شأنهم ذلك، فلا يتقيد ظلمهم بهذه الفعلة الفاضحة.

﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدَّ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ذكر بعض النحويين أن قول العرب: سقط في يده، فعل لا يتصرف، فلا يستعمل منه مضارع ولا اسم فاعل ولا مفعول، وكان أصله متصرفاً؛ تقول: سقط الشيء: إذا وقع من علو، فهو في الأصل متصرف لازم.

وقال الجرجاني: سقط في يده، ممّا دثر استعماله مثل ما دثر استعمال قوله تعالى: ﴿فَضْرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ﴾ [الكهف: ١١] قال ابن عطية^(٣): وفي هذا الكلام ضعف، والسقاط في كلام العرب: كثرة الخطأ والندم عليه، ومنه قول ابن أبي كاهل:

(١) سمي بهذا لأنه يُسلّك فيه مذهب أهل الكلام في استدلالهم على إبطال حجج خصومهم، وينظر شرح هذا النوع من البلاغة وأقوال العلماء فيه في معجم المصطلحات البلاغية ص ٣٦ وما بعدها.

(٢) المحرر الوجيز ٤٥٥/٢.

(٣) في المحرر الوجيز ٤٥٦/٢، وما قبله منه.

كيف يرجون سقاطي بعدما بَقَعَ الرأس مشيبٌ وصلَعٌ^(١) وحَكَى^(٢) عن أبي مروان بن سراج^(٣) أحد أئمة اللغة بالأندلس أنه كان يقول: قولُ العرب: سَقَطَ في يده، ممَّا أعياني معناه.

وقال أبو عبيدة: يقال لمن ندم على أمرٍ وعجز عنه: سَقَطَ في يده^(٤).

وقال الزجاج: معناه: سَقَطَ الندمُ في أيديهم، أي: في قلوبهم وأنفسهم، كما يقال: حَصَلَ في أيديهم مكروهٌ - وإن كان محالاً أن يكون في اليد - تشبيهاً لما يحصلُ في القلب والنفس بما يحصلُ في اليد ويُرَى بالعين^(٥).

وقال ابن عطية: العربُ تقول لمن كان ساعياً لوجهه أو طالباً غايةً، فعَرَضَ له ما صدَّه عن وجهه ووقَّفه موقفَ العجز، وتيقَّن أنه عاجز: سقط في يد فلانٍ، وقد يَعْرِضُ له الندمُ وقد لا يَعْرِضُ، قال: والوجه الذي يَصِلُ بين هذه الألفاظ وبين المعنى الذي ذكرناه هو أنَّ السعيَّ أو الصَّرفَ أو الدفاعَ سَقَطَ في يد المشار إليه فصار في يده لا يُجاوزها، ولا يكون له في الخارج أثر^(٦).

وقال الزمخشري: لما اشتدَّ ندمُهم وحسرتُهم على عبادة العجل؛ لأنَّ من شأن من اشتدَّ ندمُه وحسرتُه أن يعضَّ يده غمًّا فتصير يده مسقوطةً فيها؛ لأنَّ فاه قد وقع

(١) البيت في العين ١٤٥/٢ و٧٣/٥، وأساس البلاغة (سقط) و(لفع)، والتاج (لفع)، وهو في هذه المصادر وكذا في المحرر برواية: لَفَعَ الرأس، وهو في مقاييس اللغة ٨٦/٣، واللسان والتاج (سقط) برواية: جَلَّلَ الرأس، وورد في العقد لابن عبد ربه ٣٦/٥ برواية: شمل الرأس. ولم نقف على رواية المصنف. وابن أبي كاهل هو سويد.

(٢) أي: ابن عطية في الموضوع السابق.

(٣) واسمه: عبد الملك بن سراج، وسلفت ترجمته عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتَانَا بِهِ مِنْ آيَةٍ﴾ [الأعراف: ١٣٢].

(٤) مجاز القرآن ٢٢٨/٢، والمحرر الوجيز ٤٥٥/٢.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣٧٨/٢، والكشاف ١١٨/٢، وعنه نقل المصنف، وقد قال الزجاج هذا الكلام في شرح قراءة: «سَقَطَ في أيديهم» بالبناء للفاعل، وكذا فعل الزمخشري، وسترده القراءة قريباً، وسيعيد المصنف عندها قول الزجاج مختصراً، ولعل ذكره هنا لأنه يصلح أن يكون تأويلاً لقراءة المبني للمجهول.

(٦) المحرر الوجيز ٤٥٥/٢-٤٥٦.

فيها، و«سُقَط» مسندٌ إلى ما في أيديهم، وهو من باب الكناية^(١). انتهى، والصوابُ «وسُقَط» مسندٌ إلى «في أيديهم»^(٢).

وحكى الواحدي^(٣) عن بعضهم أنه مأخوذٌ من السَّقِيط، وهو ما يُغشى الأرضَ بالغدوات شبهُ الثلج، يقال منه: سَقَطَت الأرضُ، كما يقال من الثلج: ثُلِجَت الأرضُ وثُلِجْنَا، أي: أصابنا الثلجُ، ومعنى سَقَطَ في يده: وقع في يده، والسَّقِيطُ والسَّقَطُ يذوبُ بأدنى حرارة^(٤) ولا يبقى، ومَن وقع في يده السَّقِيطُ لم يَحْضُلْ منه على شيءٍ، فصار مثلاً لكلِّ مَن خَسِرَ في عاقبته ولم يَحْضُلْ من بغيته على طائلٍ، وكانت الندامةُ آخرَ أمره.

وقيل: من عادة النادم أن يطأطئ رأسه، ويضع ذقنه على يده معتمداً عليها، ويصير على هيئة لو نُرِعت يده لسقط على وجهه، فكأنَّ اليدَ مسقوطةً فيها، ومعنى «في»: على، أي: سَقَطَ على يده، ومعنى «في أيديهم»: على أيديهم، كقوله: ﴿وَأَصْلَبْنَاكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] انتهى.

وكان متعلق «سُقَط» قوله: «في أيديهم»، لأن اليد هي الآلة التي يُؤخذ بها ويُضبط، و«سُقَط» مبنئٌ للمفعول، والذي أوقع موضعَ الفاعل هو الجارُّ والمجرور، كما تقول: جُلِسَ في الدار، و: ضَحِكَ من زيد.

وقيل: «سُقَط» يتضمَّن مفعولاً، هو هاهنا المصدرُ الذي هو: الإسقاط، كما يقال: ذهب بزيد. انتهى.

(١) الكشاف ١١٨/٢، وفيه وسقط مسند إلى في أيديهم، دون كلمة «ما»، وينظر التعليق الذي بعده.

(٢) كذا ذكر المصنف رحمه الله، وهذا الذي صوّبه هو عينه الذي ورد في الكشاف - كما نبهت عليه في التعليق السابق - وهو الذي نقله المصنف نفسه عن الزمخشري في النهر على هامش مطبوع البحر ٣٩٣/٤.

(٣) كما في تفسير الرازي ٨/١٥، ولعله قاله في كتابه: البسيط، فهو ليس في الوسيط ولا في الوجيز.

(٤) في تفسير الرازي: ... وقع في يده السَّقِيط، والسَّقِيطُ يذوب... وهو الأنسب ببيان الكلام، وقوله: وقع في يده، من (ز)، وسقط من باقي النسخ.

وصوابه: وهو هنا ضميرُ المصدر الذي هو السقوط؛ لأن «سَقَطَ» ليس مصدره الإسقاط، وليس نفسُ المصدر هو المفعول الذي لم يُسمَّ فاعله، بل هو ضميره.

وقرأت فرقةً منهم ابنُ السَّمَيْفَعِ: «سَقَطَ في أيديهم» مبنياً للفاعل^(١)؛ قال الزمخشري: أي: وقع العَضُّ فيها^(٢). وقال الزجاج: سَقَطَ الندمُ في أيديهم^(٣).

قال ابنُ عطية: ويحتمل أن الخسران والخيبة سَقَطَ في أيديهم^(٤).

وقرأ ابنُ أبي عبلَةَ: «أسقط في أيديهم» رباعياً مبنياً للمفعول^(٥).

«ورأوا»، أي: علموا أنهم قد ضلُّوا، قال القاضي^(٦): يجب أن يكون المؤخر مقدماً؛ لأن الندم والتحسر إنما يقعان بعد المعرفة، فكأنه تعالى قال: ولَمَّا رَأَوْا أنهم قد ضلُّوا وسَقَطَ في أيديهم لَمَّا نالهم من عظيم الحسرة. انتهى.

ولا يُحتاج إلى هذا التقدير، بل يمكنُ تقدُّمُ الندم على تبيُّن الضلال؛ لأنَّ الإنسان إذا شكَّ في العمل الذي أفدَمَ عليه: أهو صوابٌ أم خطأ؟ حَصَلَ له الندمُ، ثم بعدُ يتكاملُ النظرُ والفِكرُ فيَعْلَمُ أنَّ ذلك خطأ.

«قالوا لئن لم يَرْحَمْنَا رَبُّنَا» انقطاعُ إلى الله تعالى واعترافٌ بعظيم ما أقدموا عليه، وهذا كما قال آدمٌ وحواء: ﴿وَإِنْ لَرَّ تَعَفَّرْنَا وَوَرَّحَمْنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] ولَمَّا كان هذا الذنبُ - وهو اتخاذُ غيرِ الله إلهاً - أعظمَ الذنوب بدووا بالرحمة التي وسعت كلَّ شيءٍ، ومن نتائجها غفرانُ الذنب، وأمَّا في قصة آدم فإنه جرت محاورَةٌ بينه تعالى وبينهما وعتابٌ على ما صدر منهما من أكل ثمر الشجرة بعد نهيه تعالى إياهما عن قُربانها، فضلاً عن أكل ثمرها، فبادراً إلى الغُفران وأتبعاه بالرحمة، إذ عُفِرَانُ ما وقع العتابُ عليه آكُذ ما يُطَلَّبُ أولاً.

(١) القراءات الشاذة ص ٤٦، والكشاف ١١٨/٢، وهي دون نسبة في معاني القرآن للزجاج ٣٧٨/٢، والمحور الوجيز ٤٥٥/٢.

(٢) الكشاف ١١٨/٢.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣٧٨/٢، والكشاف ١١٨/٢.

(٤) المحور الوجيز ٤٥٦/٢.

(٥) المحور الوجيز ٤٥٥/٢.

(٦) هو عبد الجبار المعتزلي، وكلامه في تفسير الرازي ٩-٨/١٥.

وقرأ الأخوان والشعبيّ وابنُ وثابٍ والجحدريّ وابنُ مُصَرِّفٍ والأعمشُ وأيوبُ بالخطاب في «ترحمنا» و«تغفر» ونداء «رَبَّنَا»، وقرأ باقي السبعة ومجاهدٌ والحسنُ والأعرجُ وأبو جعفر وشَيْبَةُ بْنُ نَصَّاحٍ وغيرُهُم: «يَرْحَمُنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرُ لَنَا» بالياء فيهما وَرَفَعَ «رَبَّنَا»^(١). وفي مصحف أبيّ: «قالوا رَبَّنَا لئن لم ترحمنا وتغفر لنا»^(٢) بتقديم المنادى وهو «رَبَّنَا».

ويحتملُ أن يكون القولان صَدْرًا منهم جميعهم على التعاقب، أو هذا من طائفةٍ وهذا من طائفةٍ، فَمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الخوفُ وَقَوِيَ عَلَى المواجهة خَاطِبٌ مستقيلاً من ذنبه العظيم، وَمَنْ غَابَ عَلَيْهِ الحياءُ أخرج كلامه مُخْرَجَ المستحي من الخطاب فأسندَ الفعلَ إلى الغائب.

وفي قولهم: «رَبَّنَا» استعطافٌ حسنٌ؛ إذ الربُّ هو المالك الناظرُ في أمر عبده، والمصلحُ منهم ما فَسَدَ.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعْجَلْتُمُ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ أي: رجع من المناجاة؛ يُرَوَى أَنَّهُ لَمَّا قَرَّبَ مِنْ مَحَلَّةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَمِعَ أَصْوَاتِهِمْ، فَقَالَ: هَذِهِ أَصْوَاتُ قَوْمِ لَاهِينَ، فَلَمَّا تَحَقَّقَ عُكُوفَهُمْ عَلَى عِبَادَةِ الْعَجَلِ دَاخَلَهُ الْغَضَبُ وَالْأَسْفُ، وَأَلْقَى الْأَلْوَاخَ^(٣).

وقال الطبري: أخبره تعالى قبل رجوعه أنهم قد فُتِنُوا بِالْعَجَلِ، فَلِذَلِكَ رَجَعَ وَهُوَ غَاضِبٌ^(٤). ويدلُّ على هذا القول قولُه: ﴿فَإِنَّا قَدِ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ الآية [طه: ٨٥].

و«غضبان» من صفات المبالغة، والغضب: غليان القلب بسبب حصول ما يُؤلِم، وذكروا أنه عليه السلام كان من أسرع الناس غضبًا، وكان سريع الفَيْئَةِ، قال ابن

(١) ينظر السبعة ص ٢٩٤، والتيسير ص ١١٣، والنشر ٢/٢٧٢، والمحرم الوجيز ٢/٤٤٦، والكلام منه.

(٢) المحرم الوجيز ٢/٤٥٦.

(٣) المحرم الوجيز ٢/٤٥٦، وأخرجه بنحوه الطبري ١٠/٤٥١-٤٥٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) تفسير الطبري ١٠/٤٤٩، والمحرم الوجيز ٢/٤٥٦.

القاسم: سمعت مالكا يقول: كان إذا غضب طلع الدخان من قطنسوته، ورفَع شعْرُ بدنه جُبَّتِه^(١).

و«أَيْسَفًا» من أَيْسَفَ فهو أَيْسَفٌ، كما تقول: فَرِقَ فهو فَرِيقٌ، يدلُّ على ثبوت الوصف، ولو ذُهِبَ به مذهبَ الزمان لكان على فاعِلٍ، فيقال: أَيْسَفٌ.

والأَيْسَفُ: الحزِينُ، قاله ابن عباس والحسن والسُّدي^(٢)، أو: الجَزَعُ، قاله مجاهد^(٣). أو: المْتَلَهْفُ. أو: الشَّدِيدُ العَظْبِ؛ قاله الزمخشري^(٤) وابن عطية، قال: وأكثر ما يكون بمعنى الحزين^(٥). أو المَغْضَبُ؛ قاله ابن قتيبة^(٦). أو: النادم؛ قاله القتيبي أيضًا^(٧). أو متقاربان؛ قاله الواحدي^(٨)، قال: فإذا أتاك ما تكره ممَّن دونك غضبت، أو ممن فوقك حَزِنْتَ، فأغضبه عبادتُهم العجل وأحزَنَه فتنةُ الله إياهم، وكان قد أخبره بذلك بقوله: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾.

وتقدَّم الكلام على «بئسما» في أوائل «البقرة»^(٩).

والخطابُ إمَّا للسامريِّ وعُبادِ العجل، أي: بئسما قمتم مقامي حيث عبدتم العجلَ مكانَ عبادةِ الله تعالى، وإمَّا لوجوه بني إسرائيل هارونَ والمؤمنين، أي: حيث لم تكفوا من عبَدَ غيرَ الله.

و«خَلَفْتُمُونِي» يدلُّ على البَعْدِيَّةِ في الزمان، والمعنى هنا: من بعد ما رأيتم مني

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٢/٧٨٢-٧٨٣، وهذا من الإسرائيليات.

(٢) أخرجه عنهم الطبري ١٠/٤٥٠، وذكره عنهم ابن الجوزي في زاد المسير ٣/٢٦٣.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/١٥٦٩، وذكره ابن الجوزي ٣/٢٦٣.

(٤) في الكشاف ٢/١١٨.

(٥) في (ب) و(٣د) و(زا) و(يه): الحزن، وعبارة المحرر ٢/٤٤٦: والأسف قد يكون بمعنى الغضب الشديد، وأكثر ما يكون بمعنى الحزن.

(٦) تفسير غريب القرآن ص ١٧٣ و٢٨١، ولفظه: شديد الغضب. وكذا نقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٣/٢٦٣.

(٧) نقله عنه الماوردي في النكت والعيون ٢/٢٦٣.

(٨) كما في تفسير الرازي ١٥/١٠، ولعله في كتابه: البسيط. وقوله: متقاربان، يعني تفسير الأيسف بالحزين وتفسيره بالشديد الغضب.

(٩) عند تفسير قوله: ﴿بئسما أشترزأ بوء أنفسهم﴾ [البقرة: ٩٠].

توحيدَ الله تعالى ونفيَ الشركاء عنه وإخلاصَ العبادة له، أو: من بعدما كنتُ أحملُ بني إسرائيل على التوحيد وأكفَّهُم عمَّا طمحت إليه أبصارُهُم من عبادة البقر، ومن حقِّ الحَلْفِ أن يسير بسيرة المستخلف ولا يخالفه، ويقال: خَلَفَهُ بخيرٍ أو شرًّا: إذا فَعَلَهُ بَمَنْ^(١) تَرَكَ مِنْ بَعْدِهِ.

و«أَعَجَلْتُمْ» استفهامٌ إنكارٍ، قال الزمخشري: يقال: عَجَلَ عن الأمر: إذا تركه غير تامٍّ، ونقيضه: تَمَّ عليه، وأَعَجَلَهُ عنه غيره، وَيُضْمَنُ معنى سَبَقَ فَيُعَدَّى تعديته، فيقال: عَجَلْتُ الأمر، والمعنى: أَعَجَلْتُمْ عن أمر ربِّكم، وهو انتظارُ موسى حافِظِينَ لعهدِهِ وما وصَّاكم به، فبنيتُم الأمر على أنَّ الميعاد قد بلغ آخِرَهُ ولم أرجع إليكم، فحدَّثتُم أنفسكم بموتي، فغيَّرتُم كما غيَّرت الأمم بعد أنبيائهم، ورُوي أنَّ السامريَّ قال لهم حين أخرج إليه العجل: هذا إلهكم وإله موسى، إنَّ موسى لن يرجع وإنه قد مات^(٢). انتهى.

وقال ابن عطية: معناه: أسابقتُم قضاء ربِّكم واستعجلتُم إتياني قبلَ الوقت الذي قدَّرته^(٣). انتهى.

وقال يعقوب: يقال عجلتُ الشيء: سَبَقْتُهُ، وأَعَجَلْتُ الرجل: استعجلتُهُ، أي: حَمَلْتُهُ على العَجَلَة^(٤). انتهى.

وقيل: معناه: أَعَجَلْتُمْ ميعادَ ربِّكم أربعين ليلةً.

وقيل: أَعَجَلْتُمْ سَخَطَ ربِّكم.

وقيل: أَعَجَلْتُمْ بعبادة العجل.

وقيل: العجلة: التقدُّمُ بالشيء في غير وقته - قيل: وهي مذمومةٌ. وَيُضْعِفُهُ قولُهُ: ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤] - والسرعةُ المبادرةُ بالشيء في وقته، وهي محمودة.

(١) في (أ) و(د) و(ع) والمطبوع: عن، وهو تحريف، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في المحرر الوجيز ٤٥٧/٢، وعنه نقل المصنف هذه العبارة.

(٢) الكشاف ١١٩/٢.

(٣) المحرر الوجيز ٤٥٧/٢.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ١٥١/٢. ويعقوب هو ابن السكيت.

﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ أي: ألواح التوراة، وكان حاملاً لها فوضعها بالأرض غضباً على ما فعله قومُه من عبادة العجل، وحميةً لدين الله، وكان كما تقدّم شديد الغضب، وقالوا: كان هارونُ أليَنَ منه خُلُقًا ولذلك كان أحبَّ إلى بني إسرائيل منه^(١).

وقيل: ألقاها دهشًا لما دهمه من أمرهم.

وعن ابن عباس: أن موسى عليه السلام لما ألقاها تكسّرت فرفع أكثرها الذي فيه تفصيل كل شيء، وبقي الذي في نسختها الهدى والرحمة، وهو الذي أخذ بعد ذلك^(٢).

وروي أنها رُفِعَ ستُّ أسباعها وبقي سُبُعٌ، قاله جماعة من المفسرين^(٣).

وقال أبو الفرج بن الجوزي: لا يصحُّ أنه رماها رمي كاسير^(٤). انتهى.

والظاهر أنه ألقاها من يديه لأنهما كانتا مشغولتين بها وأراد إمساك أخيه وجره، ولا يتأتى ذلك إلا بفراغ يديه لجره، وفي قوله: «ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح» دليلٌ على أنها لم تتكسر، ودليلٌ على أنه لم يُرفع منها شيء.

والظاهر أنه أخذ برأسه، أي: أمسك رأسه جاره إليه، وقيل: بشعر رأسه. وقيل: بذوائبه ولحيته. وقيل: بلحيته. وقيل: بأذنه.

وقيل: لم يأخذ حقيقةً وإنما كان ذلك إشارةً، فخشي هارونُ أن يتوهم الناظرُ إليهما أنه لغضب، فلذلك نهاه ورغب إليه^(٥).

(١) الكشاف ١١٩/٢.

(٢) المحرر الوجيز ٤٥٧/٢، وأخرجه بنحوه الطبري في التاريخ ٤٢٧/١.

(٣) تفسير الطبري ٤٥٥/١٠، والنكت والعيون ٢٦٣/٢، وتفسير الثعلبي ٧٥/٣، والكشاف ٢/١١٩، وتفسير البغوي ٢٠٢/٢، وأخرجه الطبري في التاريخ ٤٢٧/١ من طريق صدقة بن يسار عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنه، لكنه أخرج في التفسير ٤٥٦/١٠، وابن أبي حاتم ١٥٧٠/٥ من طريق ابن جريج عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: قال: ألقى موسى الألواح فتكسّرت، فرفعت إلا سدسها.

(٤) تليس إبليس ص ٢٥١ بنحوه.

(٥) المحرر الوجيز ٤٥٧/٢، وفيه بدل كلمة: إشارة، كلمة: ليساره، ولعلها محرفة عنها.

والظاهر أن سبب هذا الأخذ هو غضبه على أخيه، وكيف عبدوا العجل وهو قد استخلفه فيهم، وأمره بالإصلاح وأن لا يتبع سبيل من أفسد، وكيف لم يكفهم ولم يزرهم عن ذلك، ويدل على هذا الظاهر قوله: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ [الأعراف: ١٥٤] وقوله: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٤].

قال الزمخشري: أي: بشعر رأسه، «يجرّه إليه» بذؤابته، وذلك لشدة ما ورد عليه من الأمر الذي استفزه وذهب بفظنته، وظنًا بأخيه أنه فرط في الكف^(١).

وقيل: ذلك الأخذ والجرُّ كان لئسّر إليه نزول الألواح عليه في مناجاته، وأراد أن يخفيها عن بني إسرائيل، فنهاه هارون لئلا يشتبه سِراره على بني إسرائيل بإذلاله.

وقيل: ضمّه ليعلّم ما لديه، فكره ذلك هارون لئلا يظنوا إهانتَه، ويبن له أخوه أنهم استضعفوه.

وقيل: كان ذلك على سبيل الإكرام لا على سبيل الإهانة، كما تفعل العرب من قبض الرجل على لحية أخيه^(٢).

﴿قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٥٠﴾ ناداه نداء استعطاف وترقّي، وكان شقيقه، وهي عادة العرب تتلفظ وتتحنن بذكر الأمّ، كما قال:

يا ابن أمي ويا شقيق نفسي^(٣)

وقال آخر:

يا ابن أمي فدتك نفسي ومالي^(٤)

(١) الكشاف ١١٩/٢.

(٢) ذكر هذه الأقوال القرطبي ٣٤٠/٩-٣٤١.

(٣) وعجزه: أنت خليتي لدهرٍ شديد، والبيت لأبي زبيد الطائي، كما في الكتاب ٢/٢١٣، وهو دون نسبة في المقتضب ٤/٢٥٠، وزاد المسير ٣/٢٦٥.

(٤) وعجزه: كنت ركني ومفرّعي وجمالي، والبيت للسيد الحميري من قصيدة في رثاء أخيه، كما في العقد لابن عبد ربه ٢/٤٠٧.

وأيضًا فكانت أمُّهما مؤمنةً، قالوا: وكان أبوه مقطوعًا عن القرابة بالكفر، كما قال تعالى لنوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: ٤٦].

وأيضًا فلمَّا كان حقُّها أعظمَ لمقاساتها الشدائدَ في حمله وتربيته والشفقةِ عليه ذكَّره بحقِّها.

وقرأ الحرميَّان وأبو عمرو وحفص: «ابنَ أمِّ» بفتح الميم^(١). فقال الكوفيون: أصله: يا ابنَ أمِّه، فحذفت الألفُ تخفيفًا كما حُذفت في: يا غلامَ، وأصله: يا غلاما، وسقطت هاءُ السكِّتِ لأنه دَزَجٌ، فعلى هذا الاسمُ مُعَرَّبٌ إذ الألفُ منقلبةٌ عن ياءِ المتكلمِ، فهو مضافٌ إليه «ابن».

وقال سيبويه: هما اسمان بُنيا على الفتح كاسم واحدٍ ك: خمسة عشر ونحوه^(٢). فعلى قوله ليس مضافًا إليه «ابن»، والحركةُ حركةٌ بناءً.

وقرأ باقي السبعة بكسر الميم، فقياسُ قول الكوفيين أنه مُعَرَّبٌ، وحُذفت ياءُ المتكلمِ، واجتزئُ بالكسرة عنها كما اجتزؤوا بالفتحة عن الألف المنقلبة عن ياء المتكلم.

وقال سيبويه^(٣): هو مبنيٌّ أُضيف إلى ياء المتكلمِ^(٤)، كما قالوا: يا أحدَ عَشْرٍ^(٥) أقبلوا، وحُذفت الياءُ واجتزئُ بالكسرة عنها كما اجتزؤوا في: يا قوم، ولو كانا باقين على الإضافة لم يَجُزْ حذفُ الياءِ؛ لأن الاسمَ ليس بمنادى ولكنه مضافٌ إليه المنادى، فلا يجوزُ حذفُ الياءِ منه.

وقرئ بإثبات ياءِ الإضافة^(٦).

وأجودُ اللُّغات الاجتزاءُ بالكسرة عن ياءِ الإضافة، ثم قلبُ الياءِ ألفًا والكسرةُ

(١) السبعة ص ٢٩٥، والتيسير ص ١١٣.

(٢) ينظر الكتاب ٢/٢١٤ و ٢٧٥.

(٣) ينظر الكتاب ٢/٢٠٩-٢١٤.

(٤) أي: هما بمنزلة اسم مرگبٍ أُضيف كلُّه لياء المتكلم. ينظر الدر المصون ٥/٤٦٧.

(٥) وأصله: يا أحدَ عَشْرِي، ثم حذفت الياءُ واجتزئُ عنها بالكسرة. الدر المصون ٥/٤٦٧.

(٦) الكشاف ٢/١١٩، وذكر ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٤٦ عن عيسى بن عمر أنه

حكى: «يا ابنَ أمِّي» بفتح الياء.

قبلها فتحة، ثم حذف الياء وفتح الميم، ثم إثبات الياء مفتوحة أو ساكنة، وهذه اللغات جائزة في: ابنة أُمِّي، وفي: ابن عمي، وابنة عمي.

وقرى: «يا ابنَ أُمِّي» بإثبات الياء^(١)، و«ابنَ إِمِّ» بكسر الهمزة والميم^(٢).

ومعمولُ القول: المنادى، والجملةُ بعده المقصودُ بها تخفيفُ ما أدرك موسى من الغضب، والاستعدادُ له بأنه لم يُقَصِّر في كَفِّهم بالوَعظ والإنذار وما بَلَغته طاقته، ولكنهم استَضَعَفوه فلم يلتفتوا إلى وَعْظِهِ، بل قاربوا أن يقتلوه، ودلَّ هذا على أنه بِالْع في الإنكار عليهم حتى همُّوا بقتله، ومعنى «استَضَعَفُونِي»: وَجَدُونِي، فهي لمعنى^(٣) إِفْءاء الشيء بمعنى ما صِيغَ منه، أي: اعتَقَدُونِي ضعيفًا، وتقدَّم ذلك في قوله: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا﴾ [الأعراف: ٧٥].

ولمَّا أبدى له ما كان منهم من الاستضعاف له ومقارَبة قتلِهِم إياه، سأله تَرَكَ ما يَسْرُهُم بِفِعْلِهِ فقال: «فلا تُسَمِّتْ بي الأعداء» أي: لا تَسْرُهُم بما تفعلُ بي فأكونَ ملومًا منهم ومنك، وقال الشاعر:

والموتُ دونَ شِماتِ الأعداء^(٤)

وقرأ ابن مُحَيِّصِينَ: «تَسَمِّتْ» بفتح التاء وكسر الميم ونصبِ «الأعداء»^(٥)، ومجاهدٌ كذلك إلا أنه فَتَح الميم^(٦). و«سَمِّتْ» متعديةٌ كأشَمَّتْ، وخرَجَ أبو الفتح قراءةً مجاهدٍ على أن تكون لازمةً، والمعنى: فلا تَسَمِّتْ أنت يا رب، وجاز هذا كما قال: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] ونحو ذلك، ثم عاد إلى المراد فأضمر فعلاً نَصَبَ به «الأعداء» كقراءة الجماعة^(٧). انتهى.

(١) ينظر التعليق السابق.

(٢) القراءات الشاذة ص ٤٧، والكشاف ١١٩/٢.

(٣) في (أ): معنى، وفي المطبوع: بمعنى، وسقطت من (١د).

(٤) وصدرة: سَمِّتَ بي الأعداء حين هَجَرْتَنِي، وسلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحِيزْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

(٥) المحرر الوجيز ٤٥٨/٢، وهي في القراءات الشاذة ص ٤٦ عن مجاهد وحميد بن قيس.

(٦) المحتسب ٢٥٩/١، والمحرر الوجيز ٤٥٧/٢.

(٧) المصدران السابقان.

وهذا خروج عن الظاهر وتكلف في الإعراب، وقد روي تعدي «شمت» لغة فلا يتكلف أنها لازمة مع نصب «الأعداء»، وأيضا قوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ إنما ذلك على سبيل المقابلة لقولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤] فقال: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾، وكقوله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠] ولا يجوز ذلك ابتداء من غير مقابلة.

وعن مجاهد: «فلا تَشَمَّتْ» بفتح التاء والميم ورفع «الأعداء»^(١)، وعن حميد بن قيس كذلك إلا أنه كسر الميم^(٢)، جَعَلَاهُ فَعَلًا، لازماً فارتفع به «الأعداء»، فظاهره أنه نهى الأعداء عن الشماتة به، وهو من باب: لا أَرَيْتَكَ هنا، والمراد نهيه أخاه، أي: لا تُجَلِّ بِي مَكْرُوهًا فَيُشَمَّتُوا بِي.

وبدأ أولاً بسؤال أخيه أن لا يُشَمَّتَ به الأعداء؛ لأن ما يوجبُ الشماتة هو فعلٌ مكروهٌ ظاهرٌ لهم فيشمتوا به، فبدأ بالأؤكد ثم سأله أن لا يجعله ولا يعتقدَه واحداً من الظالمين، إذ جعله معهم واعتقاده من جملتهم هو فعلٌ قلبيٌ وليس ظاهراً لبني إسرائيل، أو يكون المعنى: ولا تجعلني في مؤجدتك عليّ قريناً لهم مصاحباً لهم.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخْتِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٣) لما اعتذر إليه أخوه استغفر لنفسه وله، قالوا: واستغفاره لنفسه بسبب فعلته مع أخيه وعجلته في إلقاء الألواح، واستغفاره لأخيه من فعلته في الصبر لبني إسرائيل. قالوا: ويمكن أن يكون الاستغفار ممّا لا يعلمه، والله أعلم.

وقال الزمخشري^(٣): لما اعتذر إليه أخوه وذكر شماتة الأعداء قال: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخْتِي» لي ولأختي ليُرْضِيَ أَخَاهُ، وَيُظْهِرَ لِأَهْلِ الشَّمَاتَةِ رِضَاهَ عَنهُ، فَلَا تَتَمَّ لَهُمْ شِمَاتَتُهُمْ، وَاسْتَغْفَرَ لِنَفْسِهِ مِمَّا فَرَطَ مِنْهُ إِلَى أَخِيهِ، وَلِأَخِيهِ أَنْ عَسَى فَرَطَ فِي حِينِ^(٤) الْخِلَافَةِ، وَطَلَبَ أَنْ لَا يَتَفَرَّقَا عَنْ رَحْمَتِهِ، وَلَا تَزَالَ مُتَضَمِّنَةً لِهَمَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. انتهى.

(١) المحتسب ٢٥٩/١، والمححر الوجيز ٤٥٧/٢، وهي في القراءات الشاذة ص ٤٦ عن مالك بن دينار.

(٢) المححر الوجيز ٤٥٧/٢.

(٣) في الكشاف ١١٩/٢.

(٤) في الكشاف: في حُسْنِ.

وقوله: ولأخيه أن عسى فرط، إن كانت «أن» بفتح الهمزة فتكون المخففة من الثقيلة، ويُقربُ معناه، وإن كانت بكسر الهمزة فتكون للشرط، ولا يصحُّ إذ ذاك دخولها على «عسى» لأن أدوات الشرط لا تدخلُ على الفعل الجامد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ (١٥٢) الظاهرُ أنه من كلام الله تعالى إخبارًا عمَّا ينالُ عبَادَ العِجَلِ، ومخاطبةً لموسى بما ينالهم.

وقيل: هو من بقية كلام موسى إلى قوله: «في الحياة الدنيا»، وصدَّقه الله تعالى بقوله: «وكذلك نجزي المفتريين».

والأول هو الظاهر؛ لقوله: «وكذلك نجزي المفتريين» في نسقٍ واحدٍ مع الكلام قبله.

والمعنى: اتَّخَذُوهُ إِلهَا؛ لقوله: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾ [طه: ٨٨]، قيل: والغضبُ في الآخرة والذلةُ في الدنيا. وهم فرقةٌ من اليهود أُشربوا حَبَّ العِجَلِ فلم يتوبوا.

وقيل: هم مَنْ مات منهم قبل رجوع موسى من الميقات.

وقال أبو العالية وتبعه الزمخشريُّ: هو^(١) ما أمروا به مِنْ قَتْلِ أَنْفُسِهِمْ، وقال الزمخشريُّ: والذلةُ خروجُهم من ديارهم؛ لأن ذلَّ العُربةُ مَثَلٌ مضروبٌ^(٢). انتهى، وينبغي أن يقول: استمرارُ انقطاعهم عن ديارهم؛ لأنَّ خروجَه كان سَبَقَ على عبادة العجل.

وقال عطيةُ العوفيُّ: هو في قَتْلِ بني قُرَيْظَةَ وإجلاء بني النَّضِيرِ لأنهم تولَّوا متَّخِذِي العِجَلِ^(٣).

وقيل: ما نال أولادهم على عهد رسول الله ﷺ من السبي والجلَاء والجزية وغيرها.

(١) أي: الغضب.

(٢) الكشاف ١١٩/٢-١٢٠. وقول أبي العالية ذكره الثعلبي ٧٥/٣، والبغوي ٢/٢٠٢.

(٣) تفسير الثعلبي ٧٥/٣-٧٦، وتفسير البغوي ٢/٢٠٢، وزاد المسير ٣/٢٦٦.

وَجَمَعَ هَذِينَ الْقَوْلِينَ الزَّمخَشَرِيُّ فَقَالَ: هُوَ مَا نَالَ أَبْنَاءَهُمْ وَهُمْ بَنُو قُرَيْظَةَ وَالنُّضِيرُ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْقَتْلِ وَالْجَلَاءِ، وَمِنَ الدُّلَّةِ بِضَرْبِ الْجَزْيَةِ^(١). انتهى.

وَالغَضَبُ إِنْ أُخِذَ بِمَعْنَى الْإِرَادَةِ فَهُوَ صِفَةٌ ذَاتٍ، أَوْ بِمَعْنَى الْعُقُوبَةِ فَهُوَ صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ.

وَالظَّاهِرُ أَنَّ قَوْلَهُ: «فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: «سَيُنَالُهُمْ»، «وَكذَلِكَ» أَي: مِثْلَ ذَلِكَ التَّيْلِ مِنَ الْغَضَبِ وَالدُّلَّةِ نَجْزِي مَنْ افْتَرَى الْكُذْبَ عَلَى اللَّهِ، وَأَيُّ افْتِرَاءٍ أَعْظَمُ مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾.

وَالْمُفْتَرِينَ «عَامٌّ فِي كُلِّ مُفْتَرٍ، وَقَالَ أَبُو قِلَابَةَ وَمَالِكٌ وَسَفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: كُلُّ صَاحِبِ بَدْعَةٍ أَوْ فِرْيَةٍ ذَلِيلٌ، وَاسْتَدَلُّوا عَلَى ذَلِكَ بِالآيَةِ^(٢)».

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٢﴾﴾
«السَّيِّئَاتِ» مِنْ^(٣) الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي وَغَيْرِهَا، «ثُمَّ تَابُوا» أَي: رَجَعُوا إِلَى اللَّهِ، «مِنْ بَعْدِهَا» أَي: مِنْ بَعْدِ عَمَلِ السَّيِّئَاتِ، «وَآمَنُوا» أَي: دَامُوا عَلَى إِيْمَانِهِمْ وَأَخْلَصُوا فِيهِ، أَوْ تَكُونُ الْوَاوُ لَا تَرْتَبُ، أَوْ تَكُونُ الْوَاوُ حَالِيَّةً، أَي: وَقَدْ آمَنُوا، «إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا»، أَي: مِنْ بَعْدِ عَمَلِ السَّيِّئَاتِ، هَذَا هُوَ الظَّاهِرُ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ فِي «مِنْ بَعْدِهَا» عَائِدًا عَلَى التَّوْبَةِ، أَي: إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِ تَوْبَتِهِمْ، فَيَعُودُ عَلَى الْمَصْدَرِ الْمَفْهُومِ مِنْ قَوْلِهِ: «ثُمَّ تَابُوا»، وَهَذَا عِنْدِي أَوْلَى؛ لِأَنَّكَ إِذَا جَعَلْتَ الضَّمِيرَ عَائِدًا عَلَى «السَّيِّئَاتِ» احْتَجَجْتَ إِلَى حَذْفِ مِضَافٍ وَحَذْفِ مَعْطُوفٍ، إِذْ يَصِيرُ التَّقْدِيرُ: مِنْ بَعْدِ عَمَلِ السَّيِّئَاتِ وَالتَّوْبَةِ مِنْهَا.

وَخَبَرَ «الَّذِينَ» قَوْلُهُ: «إِنَّ رَبَّكَ» وَمَا بَعْدَهُ، وَالرَّابِطُ مَحْذُوفٌ، أَي: لَغَفُورٌ رَحِيمٌ لَهُمْ.

(١) الكشاف ١٢٠/٢.

(٢) المحرر الوجيز ٤٥٨/٢ عن أبي قلابة وسفيان، وأخرجه عنهما الطبري ٤٦٤/١٠ - ٤٦٥، وذكره عن مالك ابن الجوزي في زاد المسير ٢٦٦/٣، والرازي ١٣/١٥، والقرطبي ٣٤٥/٩.

(٣) في (١د) والمطبوع: هي.

قال الزمخشري^(١): لغفورٌ: لستورٌ عليهم مَحَاءٌ لَمَا كَانَ مِنْهُمْ^(٢)، «رحيمٌ» منعمٌ عليهم بالجنة، وهذا حُكْمٌ عامٌّ يدخل تحته مَتَّخِذُو الْعَجَلِ وَمَنْ عَدَّاهُمْ، عَظُمَ جُنَايَتُهُمْ أَوْلَا ثُمَّ أَرْدَفَهَا بِعَظَمِ رَحْمَتِهِ؛ لِيُعْلَمَ أَنَّ الذَّنُوبَ وَإِنْ جَلَّتْ وَإِنْ عَظُمَتْ فَإِنَّ عَفْوَهُ تَعَالَى وَكَرَمَهُ أَعْظَمُ وَأَجَلُّ، وَلَكِنْ لَا بَدَّ مِنْ حِفْظِ الشَّرِيطَةِ، وَهِيَ وَجُوبُ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، وَمَا وَرَاءَهُ طَمَعٌ فَارِعٌ وَأَشْعَبِيَّةٌ بَارِدَةٌ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا حَازِمٌ، وَهَذَا عَلَى طَرِيقَةِ الْإِعْتِزَالِ.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي سُخْرِيهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَهْتَبُونَ﴾^(١٥٤) سكوتٌ غضبه كان - والله أعلم - بسبب اعتذار أخيه، وكونه لم يقصّر في نهى بني إسرائيل عن عبادة العجل، ووعد الله إياه بالانتقام منهم.

وسكوتُ الغضب استعارةٌ؛ شَبَّهَ خَمُودَ الْغَضَبِ بِانْقِطَاعِ كَلَامِ الْمُتَكَلِّمِ، وَهُوَ سَكُوتُهُ، قَالَ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ: تَقُولُ الْعَرَبُ: سَالَ الْوَادِي يَوْمِينَ ثُمَّ سَكَتَ^(٣).

وقال الزجاج: مصدر «سَكَتَ الْغَضَبُ»: سَكَتٌ، ومصدر «سَكَتَ الرَّجُلُ»: سُكُوتٌ، وهذا يقتضي أنه فَعَلٌ عَلَى جِدَّةٍ وَلَيْسَ مِنْ سَكُوتِ النَّاسِ، وَقِيلَ: هُوَ مِنْ بَابِ الْقَلْبِ، أَي: وَلَمَّا سَكَتَ مُوسَى عَنِ الْغَضَبِ، نَحْوُ: أَدَخَلْتُ فَمِي فِي الْحَجَرِ، وَأَدَخَلْتُ الْقَلَنْسُوَّةَ فِي رَأْسِي^(٤). انتهى.

ولا ينبغي هذا؛ لأنه من القلب، وهو لم يقع إلا في قليلٍ من الكلام، والصحيحُ أنه لا ينقاس.

وقال الزمخشري: هذا مَثَلٌ، كَأَنَّ الْغَضَبَ كَانَ يُغْرِيهِ عَلَى مَا فَعَلَ، وَيَقُولُ لَهُ: قَلْ لِقَوْمِكَ كَذَا، وَأَلْقِ الْأَلْوَابَ، وَخُذْ بِرَأْسِ أَخِيكَ إِلَيْكَ، فَتَرَكَ النَّطْقَ بِذَلِكَ وَتَرَكَ

(١) في الكشاف ١٢٠/٢.

(٢) في النسخ عدا (١د): لما كان عليهم منه، والمثبت من (١د) والمطبوع، وهو الموافق لما في الكشاف.

(٣) المحرر الوجيز ٤٥٩/٢، وكلمة «يومين» سقطت من (أ) و(ب) و(ع) والمطبوع.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣٧٩/٢ بنحوه، والكلام من المحرر الوجيز ٤٥٩/٢. وقوله: وهذا يقتضي أنه فعل على حدة وليس من سكوت الناس، هو من كلام ابن عطية، وليس من كلام الزجاج.

الإغراء، ولم يَسْتَحْسِنْ هذه الكلمة ولم يَسْتَفْصِحْهَا كُلُّ ذِي طَبْعٍ سَلِيمٍ وَذَوْقٍ صَحِيحٍ إِلَّا لَذَلِكَ، ولأنه من قَبِيلِ شُعْبِ الْبَلَاغَةِ، وإلَّا فما لقراءة معاويةَ بن قُرَّةَ: «ولمَّا سَكَنَ عن موسى الغضبُ» لا تجدُ النفسُ عندها شيئًا من تلك الهزَّةِ وطرفًا من تلك الروعة^(١).

وقرئ: «أُسْكِتَ» رباعيًا مبنياً للمفعول^(٢)، وكذا هو في مصحف حفصة^(٣)، والمُتَوَبُّ عنهُ اللهُ، أو أخوه باعتذاره إليه أو تنصُّله، أي: أَسْكَتَ اللهُ أو هَارُونَ. وفي مصحف عبد الله: «ولمَّا صبر»، وفي مصحف أبي: «ولمَّا انشَقَّ»^(٤).

والمعنى: ولمَّا ظَفِيءَ غَضَبُهُ أَخَذَ الْوَاخَ التُّورَةَ التي كان ألقاها من يده، رُوي عن ابن عباس أنه ألقاها فتكسَّرت، فصام أربعين يومًا فرَدَّتْ إليه في لوحين ولم يفقد منها شيئًا^(٥).

«وفي نسختها» أي: فيما نُسخَ من الألواح المكسَّرة^(٦)، أو: فيما نُسخَ فيها، أو: فيما بقي منها بعد المرفوع وهو سُبعها، والأظْهَرُ أَنَّ المعنى: وفيما نُقِلَ وَحَوْلَ منها.

واللامُ في «لربهم» مقويَّةٌ لوصل الفعل إلى مفعوله المتقدِّم، وقال الكوفيون: هي زائدة. وقال الأخفش: هي لامُ المفعول له، أي: لأجلِ رَبِّهم يرهبون لا رياء ولا سمعةً. وقال المبرِّد: هي متعلِّقةٌ بمصدرٍ، المعنى: الذين هم رهبتهم لربهم^(٧).

(١) الكشاف ١٢٠/٢، وقراءة معاوية بن قرة في القراءات الشاذة ص ٤٦.

(٢) القراءات الشاذة ص ٤٦، والكشاف ١٢٠/٢.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٤٥٩/٢، ووقع في مطبوعه: وفي مصحف حفصة: «ولما سكت». اهـ. ولعلها من الرباعي المضعف المبني للمجهول - أي: «سكَّت»، وهي قراءة ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٤٦ - أو هي مصحفة عن «أسكت».

(٤) القراءتان في المحرر الوجيز ٤٥٩/٢، ووقع في مطبوعه: اشتق، بدل: انشق.

(٥) تفسير الثعلبي ٧٦/٣، وتفسير البغوي ٢٠٣/٢، وتفسير الرازي ١٥/١٥.

(٦) أي: فيما نسخ منها ونُقل إلى الألواح الجديدة، والنسخ: نقل ما في كتاب إلى كتاب آخر، ويقال للأصل الذي كُتبت منه: نسخة، وللفرع: نسخة. تفسير القرطبي ٣٤٦/٩.

(٧) ذكر هذه الأقوال النحاس في إعراب القرآن ١٥٤/٢، والقرطبي ٣٤٧/٩، وقول الأخفش في معاني القرآن له ٥٣٥/٢.

وهذا على طريقة البصريين لا يتمشى؛ لأن فيه حذف المصدر وإبقاء معموله، وهو لا يجوز عندهم إلا في الشعر، وأيضاً فهذا التقدير يُخرج الكلام عن الفصاحة.

﴿وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا﴾ «اختار»: افتعل، من الخير، وهو التخير والانتقاء، و«اختار» من الأفعال التي تعدت إلى اثنين: أحدهما بنفسه، والآخر بوساطة حرف الجرّ، وهي مقصورة على السماع، وهي: اختار، واستغفر، وأمر، وسمّى، وكفى، ودعا، وزوج، وصدق^(١)، ثم يُحذف حرف الجرّ ويتعدى إليه الفعل فتقول: اخترت زيدا من الرجال، واخترت زيدا الرجال، قال الشاعر:

اخترتكَ الناسَ إذ رثت خلائقهم واعتلّ من كان يُرجى عنده السؤل^(٢)

أي: اخترتكَ من الناس.

و«سبعين» هو المفعول الأول، و«قومه» هو الثاني، وتقديره: من قومه. ومن أعرب «قومه» مفعولاً أول و«سبعين» بدلاً منه بدل بعض من كل وحذف الضمير، أي: سبعين رجلاً منهم، احتاج إلى تقدير مفعول ثانٍ، وهو المختار منه، فأعربه فيه بعد وتكلف حذف في رابط البدل وفي المختار منه.

واختلفوا في هذا الميقات: أهو ميقات المناجاة ونزول التوراة، أو غيره؟

فقال نوفّ البكاليّ، ورواه أبو صالح عن ابن عباس: هو الأول^(٣)، بيّن فيه بعض ما جرى من أحواله، وأنه اختار من كل سبط ستة رجال فكانوا اثنين وسبعين، فقال: ليتخلف اثنان فإنما أمرت بسبعين، فتشاحوا فقال: من قعد فله أجر من حضر، فقعد كالب بن يوقنا ويوشع بن نون، واستصحب السبعين بعد أن أمرهم أن يصوموا ويتطهروا ويظهروا ثيابهم، ثم خرج بهم إلى طور سيناء لميقات ربّه، وكان أمره ربّه أن يأتيه في سبعين من بني إسرائيل، فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله، ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم:

(١) تنظر شواهد هذه الأفعال في الدر المصون ٥/٤٧٤، وزاد السمين: «حدّث، وأنبا، ونبأ، وأخبر، وخبر» إذا لم تضمّن معنى: أعلم.

(٢) البيت للراعي النميري، وهو في ديوانه ص ١٩٤، وتفسير الطبري ١٠/٤٧٣.

(٣) زاد المسير ٣/٢٦٨، وما بعده نقله المصنف عن الكشاف ٢/١٢١، وروى بعضه الطبري ١٠/٤٦٨ عن ابن إسحاق، والبعض الآخر الثعلبي ٣/٧٨ عن الكلبي.

ادنوا، فذَنُوا حتى إذا دخلوا في الغمام وَقَعُوا سُجَّدًا، فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه: افْعَلْ، ولا تَفْعَلْ. ثم انكشف الغمام فأقبلوا إليه فطلبوا الرؤية، فوعظهم وزجرهم وأنكر عليهم، فقالوا: ﴿يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، قال الزمخشري: فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] يريد أن يسمعوا الردَّ والإنكارَ من جهته، فأجيب بـ ﴿لَنْ تَرِنُنِي﴾، وَرَجَفَ الجبلُ بهم وَصَعِقُوا^(١). انتهى.

وقيل: هو ميقَاتٌ آخَرُ غيرُ ميقَاتِ المناجاة ونزولِ التوراة، فقال وهب بن منبه: قال بنو إسرائيل لموسى: إن طائفة تزعم أن الله لا يكلمك، فخذُ مِنَّا مَنْ يذهب معك ليسمعوا كلامه فيؤمنوا، فأوحى الله تعالى إليه أن يختار سبعين من خيارهم، ثم ارتقى بهم الجبلَ أنت وهارونُ واستخلف يوشع، ففعل^(٢)، فلمَّا سمعوا كلامه سألوا موسى أن يُريهم الله جهرةً فأخذتهم الرجفة.

وقال السُّدِّي: هو ميقَاتٌ وَقَّته الله تعالى لموسى ليلقاه في ناسٍ من بني إسرائيل ليعتدروا إليه من عبادة العجل^(٣).

وقال ابن عباس فيما روى عنه علي بن [أبي] طلحة: هو ميقَاتٌ وَقَّته الله لموسى وأمره أن يختار من قومه سبعين رجلاً ليدعوا ربهم، فدَعَوْا فقالوا: اللهم أعطنا ما لم تُعْطِ أَحَدًا قَبْلَنَا ولا أَحَدًا بَعْدَنَا، فَكَّرِهَ اللهُ ذلك فأخذتهم الرجفة^(٤).

وعن عليٍّ رضي الله عنه فيما روى ابنُ أبي شيبَةَ^(٥): أن موسى وهارون وابناه شَبْرٌ وشَبِيرٌ انطلقوا حتى انتهوا إلى جبلٍ فيه سريرٌ، فقام^(٦) عليه هارون فقبض روحه، فرجع

(١) الكشاف ١٢١/٢.

(٢) تفسير الثعلبي ٧٧/٣، وزاد المسير ٣٦٨/٣.

(٣) أخرجه الطبري ٤٦٨/١٠، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣٦٨/٣.

(٤) تفسير الطبري ٤٦٩/١٠، وزاد المسير ٣٦٨/٣، وعنه نقل المصنف، وما بين حاصرتين منهما.

(٥) في المصنف (٣٢٥٠٢)، وأخرجه أيضاً الطبري ٤٧٠/١٠، وابن أبي حاتم ١٥٧٣/٥، والضياء في المختارة (٦٨٦)، ونقله المصنف عن القرطبي ٣٤٨/٩، وهو من طريق عمارة بن عبد السلولي عن علي رضي الله عنه.

(٦) كذا في النسخ وبعض نسخ القرطبي كما ذكر في حاشيته، والذي في المصادر: فنام.

موسى إلى قومه فقالوا: أنت قتلته، حسدتنا على خُلُقهِ ولينهِ، فقال: كيف أقتله ومعى ابناه؟! قال: فاختاروا مَنْ شئتم، فأختيرَ سبعون، فانتهوا إليه فقالوا: مَنْ قتلك يا هارون؟ قال: ما قتلني أحدٌ، ولكن الله توفّاني. قالوا: يا موسى ما نعصي^(١) بعدُ، فأخذتهم الرجفةُ فجعلوا يتردّدون يمينًا وشمالًا^(٢). انتهى.

ولفظ «لميقاتنا» في هذا القولِ الذي رُوِيَ عن عليٍّ؛ لأنه يقتضي أنه كان عن توقيتٍ من الله تعالى، وقال ابن السائب: كان موسى لا يأتي ربّه إلا بإذنٍ منه^(٣).

والذي يظهر أنّ هذا الميقاتَ غيرُ ميقاتِ موسى الذي قيل فيه: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ لظاهر تغاييرِ القصتين وما جرى فيهما؛ إذ في تلك أن موسى كلّمه الله، وسأله الرؤية، وأحاله في الرؤية على تجلّيه للجبل وثبوته، فلم يثبت وصار دكًا وصعقَ موسى، وفي هذه اختيرَ السبعون لميقاتِ الله، وأخذتهم الرجفةُ ولم تأخذ موسى، وللفضل الكثير الذي بين أجزاء الكلام لو كانت قصةً واحدة.

﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِنِّي﴾ سببُ الرجفةِ مختلفٌ فيه، وهو مرّتبٌ على تفسير الميقات، فهل الرجفةُ عقوبةٌ على سكوتهم وإغضائهم على عبادة العجل، أو عقوبةٌ على سؤالهم الرؤية، أو عقوبةٌ لتشطّطهم في الدعاء المذكور، أو سببه سماعُ كلام هارون وهو ميتٌ؟ أقوال.

وقال السّدي: عقوبةٌ على عبادة هؤلاء السبعين بأنفسهم^(٤) العجل، وخفي ذلك عن موسى في وقت الاختيار حتى أعلمه الله.

(١) عند ابن أبي شيبة والقرطبي: ما تُعصى.

(٢) كذا في النسخ ونسخ القرطبي، وعند ابن أبي شيبة والضياء: فجعل يتردد يمينًا...، وعند الطبري: فجعل موسى يرجع يمينًا...، وهذا الخبر أورده ابن كثير عند تفسير هذه الآية وقال: «هذا أثر غريب جدًا وعمارة بن عبد هذا لا أعرفه، وقد رواه شعبة، عن أبي إسحاق، عن رجل من بني سلول، عن علي». قلت: وهذه الرواية أخرجها الطبري ٤٧١/١٠، وروى نحو هذا الخبر الطبري ١٩٤/١٩ من طريق سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن علي عليه السلام، وقوى إسناده الحافظ في الفتح ٥٣٤/٨، لكن ليس فيه كلام هارون بعد الموت.

(٣) زاد المسير ٢٦٨/٣.

(٤) في (أ) و(ب) و(ع) والمطبوع: باختيارهم، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في المحرر الوجيز ٤٥٩/٢، وعنه نقل المصنف.

وأخذ الرجفة يحتملُ أن نشأ عنه الموتُ، ويحتملُ أن نشأ عنه العَشي، وهما قولان.

قال السدي: قال موسى: كيف أرجعُ إلى بني إسرائيل وقد أهلكت خيارهم، فماذا أقول، وكيف يأمنوني على أحدٍ؟ فأحياهم الله^(١).

وقيل: أخذتهم الرعدة حتى كادت تبيّنُ مفاصلهم وتنتقضُ ظهورهم، وخاف موسى الموت، فعند ذلك بكى ودعا فكُشف عنهم^(٢).

قال الزمخشري: وهذا تمنُّ منه للإهلاك قبل أن يرى ما رأى من تبعه طلب الرؤية، كما يقول النادم على الأمر إذا رأى سوء المعبية: لو شاء الله لأهلكني قبل هذا^(٣). انتهى، فمعنى قوله: من قبل، أي: من قبل^(٤) سؤال الرؤية، وهذا بناء من الزمخشري على أن هذا الميقات هو ميقات المناجاة وطلب الرؤية، وقد ذكرنا أن الأظهر خلافه.

وقال ابن عطية^(٥): لَمَّا رأى موسى ذلك أسِفَ عليهم، وعلم أن أمر بني إسرائيل سيتشعب إن لم يأت بالقوم، فجعل يستعطف ربّه، أي ربّ^(٦) لو شئت أهلكتهم قبل هذه الحال وإياي لكان أخفّ عليّ، وهذا وقت هلاكهم فيه مفسدة عليّ مؤذلي. انتهى.

ومفعول «شئت» محذوف تقديره: لو شئت إهلاكننا، وجواب «لو»: «أهلكتهم»، وأتى دون لام وهو فصيح، لكنه باللام أكثر كما قال: ﴿لَوْ شِئْتَ لَنَحَذَتْ﴾ [الكهف: ٧٧]، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ﴾ [يونس: ٩٩] ولا تحفظه^(٧) جاء بغير

(١) قطعة من خبر طويل أخرجه الطبري ١/٦٩٥، وهو بلفظ المصنف في تفسير الرازي ١٥/١٨.

(٢) تفسير البغوي ٢/٢٠٣، وتفسير الرازي ١٥/١٨، وعنه نقل المصنف، وعزاه البغوي لوهب.

(٣) الكشاف ٢/١٢١.

(٤) قوله: أي من قبل، ساقط من (أ) و(ب) و(د) و(ع)، وقوله: أي، من (ز) وسقط من باقي النسخ، وعبارة الكشاف ليس فيها كلمة «من».

(٥) في المحرر الوجيز ٢/٤٦٠.

(٦) في (د) والمطبوع: أن يا رب، وفي باقي النسخ: أي يا رب، والمثبت من المحرر.

(٧) في (أ) و(د) و(ع): ولا يصح، وفي المطبوع: ولا يحفظ.

لام في القرآن إلا هذا، وقوله: ﴿أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٠٠] ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ [الواقعة: ٧٠].

والمحذوف في «من قبل»، أي: من قبل الاختيار وأخذ الرجفة، وذلك زمان إغضائهم على عبادة العجل، أو عبادتهم هم إياه، وقوله: «وياي»، أي: وقت قتلي القبطي، فأنت قد سترت وغفرت حينئذ، فكيف الآن إذ رجوعي دونهم فساد لبني إسرائيل؟ قال أكثره ابن عطية^(١).

وَعُطِفَ «وياي» على الضمير المنصوب في «أهلكتهم»، وَعَظُفُ الضمير مِمَّا يوجبُ فضلَه، وبدأ بضميرهم لأنهم الذين أخذتهم الرجفة فماتوا أو أُغْمِيَ عليهم، ولم يَمِتْ هو ولا أُغْمِيَ عليه، ولم يَكْتَفِ بقوله: «أهلكتهم من قبل» حتى أشرك نفسه فيهم - وإن كان لم يَشْرِكْهم في مقتضى الإهلاك - تسليمًا منه لمشيئة الله تعالى وقدرته، وأنه لو شاء إهلاك العاصي والطائع لم يَمْنَعْ من ذلك مانعٌ.

﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ قيل: هذا استفهامٌ على سبيل الإدلاء بالحجة في صيغة استعطافٍ وتذللٍ، والضمير المنصوب في «أتهلكنا» له وللسبعين، و«بما فعل السفهاء» فيه الخلاف مرتبًا على سبب أخذ الرجفة: مِنْ طَلَبِ الرُّؤْيَا، أو عبادة العجل، أو قولهم: قتلت هارون، أو تشططهم في الدعاء، أو عبادتهم بأنفسهم العجل.

وقيل: الضمير في «أتهلكنا» له ولبني إسرائيل، و«بما فعل^(٢) السفهاء»، أي: بالتفرق والكفر والعصيان يكون هلاكهم.

وقال الزمخشري: يعني نفسه وإياهم؛ لأنه إنما طلب الرؤية زجرًا للسفهاء، وهم طلبوها سفهاً وجهلاً^(٣).

والذي يظهر^(٤) أنه استفهامٌ استعلام: أيقع إهلاك المختارين وهم خير بني

(١) في المحرر ٢/٤٦٠.

(٢) في (أ) و(ز) و(يه): فعله.

(٣) الكشاف ٢/١٢١.

(٤) بعدها في (د) والمطبوع: لي.

إسرائيل بما فَعَلَ غيرُهُم؟ إذ من الجائز في العقل ذلك، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأَنْفَال: ٢٥]. وقوله عليه السلام وقد قيل له: أنهلكُ وفيما الصالحون؟ قال: «نعم، إذا كَثُرَ الْحَبْتُ»^(١).

وكما ورد أن قومًا يُخَسَفُ بهم، قيل: وفيهم الصالحون؟ فقيل: «يبعثون على نياتهم»^(٢)؛ أو كلامًا هذا معناه.

وروي عن عليٍّ أنهم أُخِيُوا وجُعِلُوا أنبياءَ كلِّهم^(٣).


﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ أي: إن فتنتهم إلا فتنتك، والضمير في «هي» يفسره سياق الكلام، أي: أنت هو الذي فتنتهم، قالت فرقة: لَمَّا أَعْلَمَهُ اللهُ أَنَّ السَّبْعِينَ عَبْدُوا الْعَجَلَ تَعَجَّبَ وَقَالَ: «إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ».


وقيل: لَمَّا أَعْلَمَ موسى بعبادة بني إسرائيل العجلَ وبصفته قال: يا رب، ومَن أَخَارَهُ؟ قال: أنا، قال موسى: فأنت أضللتهم إن هي إلا فتنتك.


قال ابنُ عطية^(٤): ويحتملُ أن يشير به إلى قولهم: ﴿أَرَأَى اللهُ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣] إذ كانت فتنَةً من الله أوجبت الرِّجْفَةَ، وفي هذه الآية ردُّ على المعتزلة.

وقال الزمخشري: أي: محنتك وبلاؤك حين كلمتني وسمعتُ كلامك، فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالًا فاسدًا حتى افتتنوا وضلُّوا، «تُضِلُّ بِهَا» الجاهلين غير الثابتين في معرفتك، «وتهدي» العالمين الثابتين بالقول الثابت، وجعل ذلك إضلالًا من الله تعالى وهدى منه لأن محنته إنما كانت سببًا لأن ضلُّوا واهتدوا فكانه أضلَّهُم بها وهداهم، على الاتِّسَاعِ في الكلام^(٥). انتهى.

وهو على طريقة المعتزلة في نفيهم الإضلالَ عن الله تعالى.

﴿أَنْتَ وَلِيْنَا﴾ أي: القائمُ بأمرنا ﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾  سأل

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠) من حديث زينب بنت جحش .

(٢) أخرجه البخاري (٢١١٨)، ومسلم (٢٨٨٤) من حديث عائشة .

(٣) المحرر الوجيز ٢/٤٦٠.

(٤) في المحرر الوجيز ٢/٤٦٠، وما قبله منه.

(٥) الكشاف ٢/١٢١.

الغفرانَ له ولهم والرحمةَ لَمَّا كان قد انْدَرَجَ قومُه في قوله: «أنتِ ولينا»، وفي سؤال المغفرة والرحمة له ولهم - وكان قومُه أصحابَ ذنوبٍ - أَكَّدَ استعطافَ رَبِّه تعالى في غفران تلك الذنوب، فأكَّـدَ ذلك ونَبَّهَ بقوله: «وأنتِ خيرُ الغافرين»، ولمَّا كان هو وأخوه هارونُ عليهما السلام من المعصومينَ من الذنوب، فحين سأل المغفرةَ له ولأخيه وسأل الرَّحمةَ لم يوكِّد المغفرةَ، بل قال: «وأنتِ أرحمُ الراحمين» فنبَّه على أنه تعالى أرحمُ الراحمين، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

وكان تعالى خيرَ الغافرين لأن غيره يتجاوزُ عن الذنب طلبًا للثناء أو الثواب، أو دفعًا للصفة الخسيسة عن القلب وهي صفةُ الحقد، والباري سبحانه وتعالى منزَّهٌ عن أن يكون عُفْرَانُهُ لشيءٍ من ذلك.

﴿وَأَكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الْأُنْتِهَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُنَا إِلَيْكَ﴾ أي: وأثبت لنا عافية^(١) وحياةً طيبةً، أو عملاً صالحاً يَسْتَعْقِبُ ثناءً حسنًا، و«في الآخرة»: الجنة والرؤية والثواب على حسنة الدنيا. والأجودُ حملُ الحسنة على ما يَحْسُنُ من نعمةٍ وطاعةٍ وغير ذلك، وحسنةُ الآخرةِ الجنةُ لا حسنةٌ دونها.

و«إنا هُدُنَا» تعليلٌ لطالب الغفران والرحمة وكَتَبِ الحسنة، أي: تبنا إليك؛ قاله ابنُ عباس ومجاهدٌ وابنُ جُبَيْرٍ وأبو العالية وقتادة والضحاك والسدي^(٢)، من: هاد يهود.

وقال ابن بحر: تَقَرَّرْنَا بالتوبة^(٣).

وقيل: ملنا، ومنه:

قد عَلِمْتُ سلمى وجاراتها أَنِّي مِن الله لها هَائِدٌ^(٤)
أي: مائل.

(١) في (١د) والمطبوع: عاقبة، وهو تصحيف، وينظر الكشاف ١٢١/٢.

(٢) تفسير الطبري ٤٧٩/١٠-٤٨٢.

(٣) النكت والعيون ٢٦٧/٢.

(٤) أورده الثعلبي في التفسير ١٠٧/١-١٠٨ عند تفسير قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ [البقرة: ٦٢]، وأورده أيضاً عند تفسير هذه الآية ٧٩/٣، وعزاه في الموضع الأول لامرئ القيس، وليس في ديوانه، وجاء عنده في الموضعين: من الناس، بدل من الله.

وقرأ زيد بن علي وأبو وَجْزَةَ: «هَذَا» بكسر الهاء^(١) من هَادٍ يَهِيدُ: إِذَا حَرَكَ، أَي: حَرَكْنَا أَنْفُسَنَا وَجَدَّبْنَاهَا لَطَاعَتِكَ، فَيَكُونُ الضَّمِيرُ فَاعِلًا، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، أَي: حُرَكْنَا إِلَيْكَ وَأُمِلْنَا، وَالضَّمُّ فِي «هَذَا» يَحْتَمِلُهُمَا.

وَتَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ كَوْنَهُ تَعَالَى هُوَ رَبُّهُمْ وَوَلِيُّهُمْ، وَأَنَّهُمْ تَائِبُونَ عِبِيدٌ لَهُ خَاضِعُونَ، فَانَسَبَ عِزُّ الرَّبُّوبِيَّةِ أَنْ يُسْتَعْظَفَ لِلْعَبِيدِ التَّائِبِينَ الْخَاضِعِينَ بِسُؤَالِ الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالكَتْبِ.

﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ الظاهر أنه استئناف إخبار عن عذابه ورحمته، ويندرج في قوله: «أصيب به من أشاء» أصحاب الرجفة.

وقيل: العذاب هنا هو الرجفة، و«من أشاء» أصحابها.

والمعنى أنه لا اعتراض عليه، أي: من أشاء عذابه. وقيل: من أشاء أن لا أعفو عنه. وقيل: من أشاء من خلقي كما أصبت به قومك. وقيل: من أشاء من الكفار.

وقيل: المشيئة راجعة إلى التعجيل والإمهال، لا إلى الترك والإهمال.

وقال الزمخشري: «من أشاء»: مَنْ وَجَبَ عَلَيَّ فِي الْحِكْمَةِ تَعْدِيْبُهُ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْعَفْوِ عَنْهُ مَسَاعٌ لِكَوْنِهِ مَفْسُدَةً^(٢). انتهى، وهو على طريقة المعتزلة.

وقال ابن عباس: أصيب به من أشاء على الذنب اليسير.

وقال أيضًا: وسعت كل شيء من ذنوب المؤمنين^(٣).

وقال أبو روق: هي التعاطف بين الخلائق^(٤).

(١) القراءات الشاذة ص ٤٦، والمحتسب ١/٢٦٠، والكشاف ٢/١٢٢، والمحرر الوجيز ٢/٤٦٠، عن أبي وجزة.

(٢) الكشاف ٢/١٢٢.

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٢/٢٦٧ بلفظ: وسعت المؤمنين بي من أمة محمد. ولم أقف على القول الذي قبله.

(٤) تفسير الثعلبي ٣/٨٠ بنحوه.

وقال ابن زيد: هي التوبة على العموم^(١).

وقال الحسن: هي في الدنيا بالرزق عامة، وفي الآخرة بالمؤمنين خاصة^(٢).

وقال الزمخشري: وأما رحمتي فمن حالها وصفتها أنها واسعة تبلغ كل شيء، ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاصٍ إلا هو متقلّب في نعمتي^(٣). انتهى، وهو بسط قول الحسن: هي في الدنيا بالرزق عامة.

وقرأ زيد بن علي والحسن وطاوس وعمرو بن فائد: «من أساء» من الإساءة^(٤).

قال أبو عمرو الداني: لا تصح هذه القراءة عن الحسن وطاوس، وعمرو بن فائد رجل سوء، وقرأ بها سفيان بن عيينة مرةً واستحسنها، فقام إليه عبد الرحمن المقرئ وصاح به وأسمعه، فقال سفيان: لم أدر ولم أظن لما يقول أهل البدع^(٥).

وللمعتزلة تعلّق بهذه القراءة من جهة إنفاذ الوعيد، ومن جهة خلق المرء أفعاله وإن أساء لا فعل فيه الله تعالى، والانفصال عن هذا كالانفصال عن سائر الظواهر^(٦).

(١) النكت والعيون ٢/٢٦٧، وزاد المسير ٣/٢٧١، ولفظه فيهما: الرحمة: التوبة، فهي على العموم. فقلوه: على العموم، ليس من كلام ابن زيد، وكذا أخرجه دون هذه الكلمة الطبري ٤٨٦/١٠.

(٢) تفسير الطبري ١/٤٨٦، وتفسير ابن أبي حاتم ٥/١٥٧٨، وتفسير أبي الليث ١/٥٧٣، وتفسير الثعلبي ٣/٧٩، والنكت والعيون ٢/٢٦٧، وتفسير البغوي ٢/٢٠٤، وزاد المسير ٣/٢٧١، جميعهم ذكره عن الحسن وقتادة بلفظ: وسعت في الدنيا البر والفاجر، وهي يوم القيامة للمتقين خاصة. وما ذكره المصنف من أنها الرزق في الدنيا عامة هو شرح لهذا القول، حيث قال ابن الجوزي إثر الخبر: فعلى هذا: معنى الرحمة في الدنيا للكافر أنه يُرزق ويُدفع عنه.

(٣) الكشاف ٢/١٢٢.

(٤) القراءات الشاذة ص ٤٦، والمحاسب ١/٢٦١، والمحزر الوجيز ٢/٤٦١، والكشاف ٢/١٢٢.

(٥) المحزر الوجيز ٢/٤٦١، وتحرف في مطبوعه: المقرئ، إلى: المقرئ، ولعل الصواب في الاسم: أبو عبد الرحمن، وهو عبد الله بن يزيد المقرئ، من أقران سفيان بن عيينة، توفي سنة (٢١٣هـ)، وتوفي سفيان سنة (١٩٨هـ)، وكلاهما من رجال التهذيب.

(٦) المحزر الوجيز ٢/٤٦١، وجاء فيه بدل قوله: والانفصال عن هذا...، قوله: وهذان التعلّقان فيهما احتمال انفصل عنه كما انفصل عن سائر الظواهر.

﴿فَسَاكُتِبَهَا لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ أي: أفضيها وأقدرها، والضمير عائد على الرحمة لأنها أقرب مذكور، ويحتمل عندي أن يعود على «حسنة» في قوله: «واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة»، أي: فسأكتب الحسنة.

وقال ابن عباس ونوف البكالي وقتادة وابن جريج، والمعنى متقارب: لما سمع إبليس: «ورحمتي وسعت كل شيء» تطاول لها إبليس، فلما سمع: «فَسَاكُتِبَهَا لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ» يش وبقيت اليهود والنصارى، فلما تمادت الصفة تبين أن المراد أمة محمد ﷺ، ويش النصارى واليهود من الآية^(١).

وقال أهل التفسير: عرَضَ الله هذه الخلال على قوم موسى فلم يتحملوها، ولما انطلق وفد بني إسرائيل إلى الميقات قيل لهم: حُطَّتْ لَكُمْ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا إِلَّا عِنْدَ مَرْحَاضٍ أَوْ قَبْرِ أَوْ حَمَامٍ، وَجُعِلَتِ السَّكِينَةُ فِي قُلُوبِهِمْ، فَقَالُوا: لَا نَسْتَطِيعُ، فَاجْعَلِ السَّكِينَةَ فِي التَّابُوتِ، وَالصَّلَاةَ فِي الْكَنِيسَةِ، وَلَا نَقْرَأُ التَّوْرَةَ إِلَّا نَظْرًا، وَلَا نَصَلِّي إِلَّا فِي الْكَنِيسَةِ، فقال الله تعالى: ﴿فَسَاكُتِبَهَا لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ من أمة محمد ﷺ^(٢).

وقال نوف البكالي: إن موسى عليه السلام قال: يا رب، جعلت وفادتي لأمة محمد؟ قال نوف: فاحمدوا الله الذي جعل وفادة بني إسرائيل لكم^(٣).

ومعنى «يتقون»، قال ابن عباس وفرقة: الشرك. وقالت فرقة: المعاصي^(٤). فمن قال: الشرك لا غير، خرج إلى قول المرجئة، ويرد عليه من الآية شرط

(١) ينظر قولهم في تفسير الطبري ٤٨٣/١٠-٤٨٥، والمحرم الوجيز ٤٦١/٢، وتفسير البغوي ٢٠٤/٢، وزاد المسير ٢٧٢/٣، ولفظه من المحرم، وقوله: فلما تمادت الصفة، يعني به قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾.

(٢) أخرجه الطبري بنحوه ٤٨٩/١٠-٤٩٠ عن نوف البكالي، وقولهم: ولا نقرأ التوراة إلا نظراً، قاله رداً على ما قيل لهم: وأجعلكم تقرأون التوراة عن ظهر قلوبكم، كما جاء في الخبر.

(٣) المحرم الوجيز ٤٦١/٢، وأخرجه بنحوه الطبري ٤٩٠/١٠.

(٤) أخرجهما الطبري ٤٨٧/١٠، والثاني فيه عن قتادة، وذكرهما ابن عطية في المحرم الوجيز ٤٦١/٢ دون نسبة.

الأعمال بقوله: «ويؤتون الزكاة»، وَمَنْ قَالَ: المعاصي ولا بدَّ، خرج إلى قول المعتزلة، قال ابن عطية^(١): والصواب أن تكون اللفظة عامة، ولكن لا نقول: لا بدَّ من اتِّقاء المعاصي، بل نقول: مُواقِعُ المعاصي في المشيئة، ومعنى «يتقون»: يجعلون بينهم وبين المتَّقَى حجابًا ووقايةً، فذكر تعالى الرتبة العالية ليتسابق السامعون إليها. انتهى.

و«يؤتون الزكاة» الظاهر أنها زكاة المال، وبه قال ابن عباس^(٢)، ورُوي عنه: ويؤتون الأعمال التي يزكُّون بها أنفسهم^(٣). وقال الحسن: تزكية الأعمال بالإخلاص^(٤). انتهى.

ولمَّا كانت التكاليف ترجعُ إلى قسمين: تروكٍ وأفعالٍ، والأفعالُ قسمان: راجعةٌ إلى المال، وراجعةٌ إلى نفس الإنسان، وهذا قسمان: عِلْمٌ وعملٌ، فالعلمُ: المعرفةُ، والعملُ: إقرارٌ باللسان وعملٌ بالأركان، فأشار بالاتِّقاء إلى التروك؛ وبالفعل الراجع إلى المال بالزكاة، وأشار إلى ما بقي بقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١٥٦) وهذه شبيهةٌ بقوله: ﴿هُدًى لِّلْمُنْقِنِ﴾^(٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ الآية [البقرة: ٢-٣].

وفهمَ المفسِّرون من قوله: «الذين يتقون» إلى آخر الأوصاف أن المتَّصِّفين بذلك هم أمةُ الرسول ﷺ، ويحتمل أن يكون من باب التغاير بين المعطوف والمعطوف عليه، فيكون قوله: «لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزكاة» لمن فَعَلَ ذلك قبل بعثة الرسول، ويكون قوله: «والذين هم بآياتنا يؤمنون» مَنْ فَعَلَ ذلك بعد البعثة، وفَسَّرَ الآيات هنا بأنها القرآن، وهو الكتابُ المُعْجِزُ.



(١) في المحرر الوجيز ٤٦١/٢، وما قبله منه.

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٢٦٧/٢، وقال: هذا قول الجمهور. اهـ. ولم أقف عليه عن ابن عباس.

(٣) المحرر الوجيز ٤٦١/٢، وأخرجه بنحوه الطبري ٤٨٧/١٠-٤٨٨.

(٤) ينظر النكت والعيون ٢٦٧/٢.

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ
 وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
 الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ قَالُوا بَشِيرًا وَنَذِيرًا
 وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ
 إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي
 وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ
 لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمَنْ قَوْمَ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ
 اثْنَيْ عَشَرَ نَبِطًا أُمَّةً وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ آبَ صَرْبٍ
 يَعْصَاكَ الْعَجْرُ فَأَنْجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ
 وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ
 وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ
 الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَفِيزَ لَكُمْ
 خَطِيئَتِكُمْ سَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ
 فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ
 الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَابُهُمْ حِثَابُهُمْ
 يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا سَبِئَتُهُمْ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ بَلَّوْهُمْ بِمَا كَانُوا
 يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْبُدُونَ قَوْمًا لَمْ يَغْزَوْاكُمْ لَمْ يَأْتِيَهُمْ مِنْكُمْ
 قَوْلًا مَعْرُوفًا قَالَ رَبُّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ
 عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابٍ بَیِّنٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَا عَنْ مَا هُوَ
 عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّتْ رِبِّكَ لِيَعْلَمَنَ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْفِتْنَةِ
 مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَعْنَاكُمْ
 فِي الْأَرْضِ أُمَّةً مِنْهُمْ الْمُضِلِّينَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ
 لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَقُولُونَ
 سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَىٰ اللَّهِ
 إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَاللَّذَّارُ الْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ
 يُنْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

المفردات

التَّعْزِيرُ؛ قال يونسُ بنُ حَبِيبٍ: التعزيرُ هو الشاءُ والمدحُ.

الانبجاس: العرق؛ قال أبو عمرو بن العلاء: انْبَجَسَتْ: عَرِقَتْ، وانفَجَرَتْ: سالت^(١). وقال الواحدي: الانبجاس: الانفجار، يقال: بَجَسَ وانبجس^(٢).

الحوث معروف، يجمع في القلَّة على: أخواتٍ، وفي الكثرة على: حيطانٍ، وهو قياسٌ مطَّرِدٌ في فعلٍ واويّ العين، نحو: عُوِدَ وأعوادٍ وعِيدانٍ.

* * *

التفسير

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَإِن تِلْكَ إِلَّا نَجِيلٌ يُأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ هذا من بقية خطابه تعالى لموسى عليه السلام، وفيه تبشيرٌ ببعثه محمدٍ ﷺ، وذكرٌ لصفاته، وإعلامٌ له أيضاً أنه يُنزَلُ كتاباً يسمَّى: الإنجيل.

ومعنى الاتِّباع: الاقتداء به فيما جاء به اعتقاداً وقولاً وفعلًا.

وجمع هنا بين الرسالة والنبوة لأنَّ الرسالة في بني آدم^(٣) أعظمُ شرفاً من النبوة، أو لأنها بالنسبة إلى الآدميِّ والمَلَكِ أعمُّ، فبدئ به.

و«الأمِّيُّ»: الذي هو على صفة أمة العرب «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَّا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسِبُ»^(٤)، فأكثرُ العرب لا يَكْتُبُ ولا يقرأ؛ قاله الزَّجَّاجُ^(٥). وكونه أمِّيًّا من جملة المُعْجِزِ.

(١) تفسير الثعلبي ٨٤/٣، وتفسير البغوي ٧٧/١.

(٢) الوسيط للواحدي ٤١٩/٢، وتفسير الرازي ٣٣/١٥.

(٣) في (أ) و(د) و(ع): في بني إسرائيل.

(٤) أخرجه البخاري (١٩١٣)، ومسلم (١٠٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) تفسير الرازي ٢٣/١٥، وعنه نقل المصنف، والذي في معاني القرآن للزجاج ٣٨١/٢، واللسان (أمم) نقلاً عنه: الأمي هو على خلقة الأمة لم يتعلَّم الكتاب، فهو على جِليته. ونقله عنه أبو الليث في تفسيره ٥٧٤/١ بلفظ: الأمي الذي هو على خلقة أمه لم يتعلَّم الكتابة... فإن كان لفظ أبي الليث صحيحاً فهو مختلف عما نقله الرازي، يدل على ذلك أن السمين في الدر ٤٧٨/٥ ذكر في معنى «الأمي» الوجهين: أي: النسبة إلى أمة العرب، أو النسبة إلى الأم، كأن الذي لا يقرأ ولا يكتب على حالة ولادته من أمه. وينظر معاني

وقيل: نسبة إلى أم القرى، وهي مكة^(١).

رُوي عن يعقوب وغيره أنه قرأ «الأمي» بفتح الهمزة^(٢)، وخرج على أنه من تغيير النَّسَب، والأصل الضَّم، كما قيل في النَّسَب إلى أُمِّيَّة: أموي بالفتح، أو على أنه نَسَب إلى المصدر من «أم»، ومعناه: المقصود، أي: لأنَّ هذا النبيَّ مَقْصِدٌ للناس وموضعُ أم؛ وقال أبو الفضل الرازي: وذلك مكة، فهو منسوبٌ إليها، لكنها دُكرت إرادةً للحَرَم أو الموضع.

ومعنى «يجدون»، أي: يجدون وَضْفَهُ وَنَعْتَهُ، قال التبريزي: في التوراة. أي: سأقيم لهم نبياً من إخوتهم مثلك، وأجعلُ كلامي في فيه، ويقول لهم كلُّ ما أوصيته. وفيها: وأمَّا النبيُّ فقد باركتُ عليه جداً جداً، وسأدخِرُه لامةٍ عظيمة. وفي الإنجيل: يعطيكم فارقليطاً آخرَ يعطيكم معلِّم^(٣) الدهر كله. وقال المسيح: أنا أذهبُ وسيأتيكم الفارقليط، روحُ الحق الذي لا يتكلَّم من قِبَل نفسه، ويمدحني ويشهدُ لي^(٤).

ويحتمل أن يكون «يأمرهم بالمعروف» إلى آخره متعلقاً بـ«يجدون»، فيكون في موضع الحال على سبيل التجوُّز، فيكون حالاً مقدَّرةً. ويحتمل أن يكون من وَضَفِ النبيِّ، كأنه قيل: الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر وكذا وكذا.

وقال أبو علي^(٥): «يأمرهم» تفسيرٌ لما كُتب من ذكره، كقوله: ﴿خَلَقَهُ مِنْ

= القرآن للزجاج ١٥٩/١ عند قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ﴾ [البقرة: ٧٨] وتهذيب اللغة ٦٣٦/١٥ نقلاً عنه، وفيهما: معنى الأمي في اللغة: المنسوب إلى ما عليه جبلته أمه، أي: لا يكتب، فهو في أنه لا يكتب على ما دل عليه.

(١) تفسير أبي الليث ٥٧٤/١، والمححر الوجيز ٤٦٢/٢.

(٢) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٤٦ عن اليماني.

(٣) في (٣د): معكم، وجاء في النكت والعيون ٢٦٨/٢ (والكلام منه): فارقليطاً آخر يكون معكم.

(٤) النكت والعيون ٢٦٨/٢، وينظر الكتاب المقدس، إنجيل يوحنا ص ٣٣٧-٣٣٨، وقد استخدمت فيه كلمة: المؤيد، ولكن أشير في الحاشية إلى أنها في الأصل اليوناني: الباراقليط.

(٥) في الإغفال ٢٨٣-٢٨٤، ونقله المصنف عنه بواسطة ابن عطية في المححر ٤٦٣/٢.

﴿ثُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩] ^(١) ولا يجوزُ أن يكونَ حَالًا من الضمير في «يجدونهُ»؛ لأنَّ الضمير للذَّكر والاسم، والاسمُ والذَّكرُ لا يأمران.

وقال ابن عباس وعطاء: «يأمرهم بالمعروف» أي: بخلع الأنداد، ومكارم الأخلاق، وصلة الأرحام. وقال مقاتل: الإيمان. وقيل: الحق ^(٢).

وقال الزجاج: كلُّ ما عُرفَ بالشرع ^(٣).

و«المنكر» قال ابن عباس: عبادة الأوثان وقطع الأرحام. وقال مقاتل: الشرك. وقيل: الباطل ^(٤).

وقيل: الفساد ومساوي الأخلاق.

وقيل: القولُ في صفات الله بغير علم، والكفرُ بما أنزل، وقطع الرِّجَم، والعقوق.

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ تقدَّم ذِكْرُ الخلاف في «الطيبات» في قوله: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ﴾ [البقرة: ٥٧] أهى الحلال، أو المستلذُّ؟ وكلاهما قيل هنا.

وقال الزمخشري ^(٥): ما حُرِّمَ عليهم من الأشياء الطيبة كالشحوم وغيرها، أو ما طاب في الشريعة واللحم ^(٦)، ممَّا ذُكِرَ اسمُ الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه من السُّنْحَت. انتهى.

وقيل: ما كانت العرب تحرِّمه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام.

واستبعد أبو عبد الله الرازي ^(٧) قولَ مَنْ قال: إِنَّهَا المحلَّلَات، لتقديره: وَيُحِلُّ

(١) في الإغفال والمحذر: «كما أن قوله: ﴿خَلَقَهُ مِنْ ثُرَابٍ﴾ تفسير للمثل»، يعني: في قوله:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾. ينظر الدر المصون ٤٨٠/٥.

(٢) زاد المسير ٢٧٢/٣، وقول عطاء لم يذكره ابن الجوزي، وذكره الثعلبي ٨٢/٣.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) زاد المسير ٢٧٢/٣.

(٥) في الكشاف ١٢٢/٢.

(٦) كذا في النسخ، وجاء في مطبوع الكشاف: والحكم، وهو الأشبه.

(٧) في تفسيره ٢٤/١٥.

لهم المحللات، قال: وهذا محض التكذيب^(١)، ولخروج الكلام عن الفائدة؛ لأننا لا ندري ما أجل لنا وكم هو؟ قال: بل الواجب أن يراد: المُسْتَطَابَة بحسب الطبع؛ لأن تناولها يفيد اللذة، والأصل في المنافع الجِلُّ، فدلَّت الآية على أن كلَّ ما تستطيعه النفس ويستلذُّه الطبع حلالٌ إلا ما خرج بدليلٍ منفصل.

﴿وَيَحْرِمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ «الخبائث»؛ قيل: المحرّمات. وقيل: ما تستخيه العرب كالعقرب والحية والحشرات. وقيل: الدّم والميئة ولحم الخنزير.

وعن ابن عباس: ما في سورة المائدة إلى قوله: ﴿ذَلِكُمْ فُسُوقٌ﴾ [الآية: ٣]^(٢).

﴿وَيَصْعُقُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ قرأ طلحة: «ويُذْهِبُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ»^(٣)، وتقدّم تفسير الإصر في آخر سورة البقرة، وفسّره هنا قتادة وابن جبير ومجاهد والضحاك والحسن وغيرهم بالثقل^(٤).

وقرأ ابن عامر: «أصارهم» جمع إصر^(٥)، وقرئ: «أصرهم» بفتح الهمزة وبضمّها^(٦). فَمَنْ جَمَعَ فَبَاغْتَابَ مَتَعَلِّقَاتِ الْإِصْرِ إِذْ هِيَ كَثِيرَةٌ، وَمَنْ وَحَدَّ فَلَأَنَّهُ اسْمٌ جَنَسٌ.

و«الأغلال» مثلٌ لما كلّفوا من الأمور الصعبة، كقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب، وإحراق الغنائم، والقصاص حتماً من القاتل عمداً كان أو خطأ، وترك الاشتغال يوم السبت، وتحريم العروق في اللحم.

(١) كذا في النسخ، والذي في تفسير الرازي: وهو محض التكرير، وهو الأشبه.

(٢) تفسير الرازي ٢٤/١٥، وأخرجه بنحوه الطبري ٤٩٣/١٠.

(٣) المحرر الوجيز ٤٦٣/٢.

(٤) كذا ذكر، والصواب أن من فسره بالثقل هم قتادة وابن جبير ومجاهد، أما الضحاك والحسن وكذلك ابن عباس فقد فسروه بالعهد. ينظر تفسير الطبري ٤٩٣-٤٩٦، والمحرر الوجيز ٤٦٣/٢، وتفسير القرطبي ٣٥٦/٩. والمقصود بالثقل التشديد الذي كان عليهم في دينهم، وما كلّفوا به من الأمور الصعبة.

(٥) السبعة ص ٢٩٥، والتيسير ص ١١٣.

(٦) ذكرها مقيّدة بفتح الهمزة ابن عطية في المحرر ٤٦٤/٢، وكذا ضبطت في القراءات الشاذة ص ٤٦.

وعن عطاء: أن بني إسرائيل كانوا إذا قاموا إلى الصلاة لبسوا المُسوح، وغلُّوا أيديهم إلى أعناقهم وربما ثقب الرجلُ ترقوته وجعلَ فيها طرفَ السلسلة وأوثقها إلى السارية يحبسُ نفسه على العبادة^(١).

وروي أن موسى عليه السلام رأى يومَ السبت رجلاً يحملُ قصبًا فضربَ عنقه^(٢). وهذا المثلُ كما قالوا: جَعَلْتُ هذا طَوْقًا في عُنُقِكَ، وقالوا: طَوْقُهَا طَوْقُ الحمامة^(٣). وقال الهذلي^(٤):

وليس كعهد الدار يا أم مالكٍ ولكن أحاطت بالرقاب السلاسلُ
وصار الفتى كالكهل ليس بقابلٍ سوى العذلِ شيئًا واستراح العواذلُ
وليس ثمَّ سلاسلُ، وإنما أراد أن الإسلام ألزمه أمورًا لم يكن ملتزمًا لها قبل ذلك، وكما قال: «الإيمانُ قيْدُ الفتك»^(٥).

وقال ابن زيد: «الأغلال» يريدُ في قوله: ﴿عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤] فَمَنْ آمَنَ زالت عنه الدعوةُ وتغليُّها^(٦).

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [١٥٧] و«عزروه»: أثنوا عليه ومدَّحوه، قال الزمخشري: مَنْعُوهُ حَتَّى لَا يَقْوَى عَلَيْهِ عَدُوٌّ^(٧).

(١) الكشاف ١٢٢/٢.

(٢) أخرجه الطبري ٥٢٩/١٠ من قول أبي مالك أو سعيد بن جبيرة.

(٣) يشير إلى بيت عبد الله بن جحش رضي الله عنه من قصيدة يخاطب بها أبا سفيان، كما في سيرة ابن هشام ٥٠٠/١، والبيت هو:

أذهب بها أذهب بها طَوْقُهَا طَوْقُ الْحَمَامَةِ

(٤) هو أبو خراش، والبيتان في ديوان الهذليين ١٥٠/٢، والمحمر الوجيز ٤٦٤/٢.

(٥) أخرجه أحمد (١٤٢٦) من حديث الزبير رضي الله عنه، و(١٦٨٣٢) من حديث معاوية رضي الله عنه. والفتك: أن يأتي الرجل صاحبه وهو غارٌّ غافل، فيشد عليه فيقتله. النهاية (فتك).

(٦) المحمر الوجيز ٤٦٤/٢، وأخرجه بنحوه الطبري ٤٩٦/١٠-٤٩٧.

(٧) الكشاف ١٢٢/٢.

وقرأ الجحدريُّ وقاتدُ وسليمان التيميُّ وعيسى بالتخفيف^(١). وقرأ جعفر بن محمد: «وعزَّزوه» بزايين^(٢).

و«النور»: القرآن؛ قاله قتادة.

وقال ابن عطية: هو كنايةٌ عن جملة الشرع^(٣).

قيل: و«مع» بمعنى: عليه، أي: الذي أنزل عليه.

وقيل: هو على حذفٍ مضافٍ، أي: أنزل مع نبوته؛ لأنَّ استنباءه كان مصحوبًا بالقرآن مشفوعًا به.

وعلى هذين القولين يكون العاملُ في الظرف «أنزل».

ويجوز عندي أن يكون «معه» ظرفًا في موضع الحال، فالعاملُ فيه محذوفٌ تقديره: أنزل كائنًا معه، وهي حالٌ مقدَّرة، كقولهم: مررتُ برجلٍ معه صقرٌ صائدًا به غدًا، فحالة الإنزال لم يكن معه لكنه صار معه بعدُ، كما أن الصيد لم يكن^(٤) وقتَ المرور.

وقال الزمخشري: ويجوز أن يعلَّق بـ«اتبعوا»، أي: وأتبعوا القرآنَ المنزلَ مع أتباع النبي ﷺ والعمل بسنته وبما أمر به ونهى، أو: وأتبعوا القرآنَ كما أتبعه مُصاحِبِينَ له في أتباعه^(٥).

وفي قوله: «فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ» إلى آخره، إشارةٌ إلى مَنْ آمَنَ من أعقاب^(٦) بني إسرائيلَ بالرسول، كعبد الله بن سَلام وغيره من أهل الكتابين.

(١) القراءات الشاذة ص ٤٦، والمحتسب ١/٢٦١، والمحزر الوجيز ٢/٤٦٤، والكلام منه.

(٢) لم أقف عليها، وهي مروية عند قوله تعالى: ﴿وَعَزَّزُوهُ وَنَوَّيَّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩] فقد ذكر ابن عطية في المحزر الوجيز ٥/١٢٩ عن محمد بن السميع اليماني وابن عباس أنهما قرأا: «وتعزَّزوه».

(٣) المحزر الوجيز ٢/٤٦٤.

(٤) في (٣د): لم يكن معه.

(٥) المصدر السابق.

(٦) في (د١) والمطبوع: أعيان، وهو تصحيف، وسقطت من (ب) و(٣د) و(يه)، والمثبت من

(أ) و(زا) و(ع).

﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ صِفَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَخْبَرَ أَنَّ مَنْ أَدْرَكَهُ وَأَمَّنَ بِهِ أَفْلَحَ، أَمَرَ تَعَالَى نَبِيَّهُ بِإِشْهَارِ دَعْوَتِهِ وَرِسَالَتِهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَالدَّعَاءِ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتِّبَاعِهِ.

وَدَعْوَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَّةٌ لِلْإِنْسِ وَالْجِنِّ؛ قَالَ الْحَسَنُ (١)، وَتَقْتَضِيهِ الْأَحَادِيثُ (٢).

و«الذي» فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى الْمَدْحِ أَوْ رَفْعٍ، وَأَجَازَ الزَّمْخَشَرِيُّ أَنَّ يَكُونُ مَجْرُورًا صِفَةً لـ«الله»، قَالَ: وَإِنْ حِيلَ بَيْنَ الصِّفَةِ وَالْمَوْصُوفِ بِقَوْلِهِ: «إِلَيْكُمْ» (٣).

وَقَالَ أَبُو الْبَقَاءِ: وَيَبْتَعُدُ أَنْ يَكُونَ صِفَةً لـ«الله» أَوْ بَدَلًا مِنْهُ لَمَّا فِيهِ مِنَ الْفَصْلِ بَيْنَهُمَا بِ«إِلَيْكُمْ» وَبِالْحَالِ (٤).

و«إِلَيْكُمْ» مُتَعَلِّقٌ بِ«رَسُولٍ»، وَ«جَمِيعًا» حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ «إِلَيْكُمْ».

وَهَذَا الْوَصْفُ يَقْتَضِي الْإِذْعَانَ وَالْإِنْقِيَادَ لِمَنْ أَرْسَلَهُ إِذْ لَهُ الْمُلْكُ، فَهُوَ الْمَتَصَرِّفُ بِمَا يَرِيدُ، وَفِي حَصْرِ الْإِلَهِيَّةِ لَهُ نَفْيُ الشَّرْكَهَ لِأَنَّ مَنْ كَانَ لَهُ مَلِكٌ هَذَا الْعَالَمَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَشْرَكَهُ أَحَدٌ، فَهُوَ الْمَخْتَصُّ بِالْأَلُوْهِيَّةِ. وَذَكَرَ الْإِحْيَاءُ وَالْإِمَامَاتَةَ إِذْ هُمَا وَصْفَانِ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِمَا إِلَّا اللهُ، وَهُمَا إِشَارَةٌ إِلَى الْإِبْجَادِ لِكُلِّ شَيْءٍ يَرِيدُهُ وَالْإِعْدَامِ.

وَالْأَحْسَنُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ جَمَلًا مُسْتَقَلَّةً مِنْ حَيْثُ الْإِعْرَابُ، وَإِنْ كَانَتْ مُتَعَلِّقًا بَعْضُهَا بِبَعْضٍ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى.

وَقَالَ الزَّمْخَشَرِيُّ: «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» بَدَلٌ مِنَ الصِّلَةِ الَّتِي هِيَ «لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»، وَكَذَلِكَ «يُحْيِي وَيُمِيتُ»، وَفِي «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» بَيَانٌ لِلْجُمْلَةِ قَبْلَهَا؛ لِأَنَّ

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٦٤.

(٢) ينظر حديث جابر رضي الله عنه عند البخاري (٣٣٥)، وفيه: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي...»، فذكر منها: «وبعثت إلى الناس عامة»، وأخرجه مسلم (٥٢١) بلفظ: «وبعثت إلى كل أحمر وأسود»، وأخرج مسلم أيضا (٥٢٣) من حديث أبي هريرة: «فصلت على الأنبياء بس... وأرسلت إلى الخلق كافة...».

(٣) الكشاف ٢/١٢٣.

(٤) الإملاء ١/٢٨٧.

مَنْ مَلَكَ الْعَالَمَ كَانَ هُوَ الْإِلَهَ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَفِي «يُحْيِي وَيُمِيتُ» بَيَانٌ لِاِخْتِصَاصِهِ بِالْإِلَهِيَّةِ لِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ غَيْرُهُ^(١). انْتَهَى.

وإبدالُ الجمل من الجمل غير المشتركة في عاملٍ لا نعرُفه.

وقال الحَوْفِي: «يُحْيِي وَيُمِيتُ» فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ؛ لِأَنَّ «لَا إِلَهَ» فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِالْإِبْتِدَاءِ، وَ«إِلَا هُوَ» بَدَلٌ عَلَى الْمَوْضِعِ، قَالَ: وَالْجُمْلَةُ أَيْضًا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنْ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى. انْتَهَى، يَعْنِي: مِنْ ضَمِيرِ اسْمِ اللَّهِ، وَهَذَا إِعْرَابٌ مُتَكَلِّفٌ.

﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ، وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ﴿١٥٨﴾ لَمَّا ذَكَرَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ أَمْرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَبِهِ، وَعَدَلَ عَنْ ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ إِلَى الظَّاهِرِ - وَهُوَ الْإِلْتِفَاتُ - لَمَّا فِي ذَلِكَ مِنَ الْبَلَاغَةِ بِأَنَّهُ هُوَ النَّبِيُّ السَّابِقُ ذَكَرَهُ فِي قَوْلِهِ: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ» وَأَنَّهُ هُوَ الْمَأْمُورُ بِاتِّبَاعِهِ الْمَوْجُودُ بِالْأَوْصَافِ السَّابِقَةِ.

والظَّاهِرُ أَنَّ «كَلِمَاتِهِ» هِيَ الْكُتُبُ الْإِلَهِيَّةُ الَّتِي أَنْزَلَتْ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَ وَعَلَيْهِ، وَلَمَّا كَانَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ هُوَ الْأَصْلُ يَتَفَرَّغُ عَنْهُ الْإِيمَانُ بِالرَّسُولِ وَالنَّبِيِّ بِدَأْءِ بِهِ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِالْإِيمَانِ بِالرَّسُولِ، ثُمَّ أَتْبَعَ بِالْإِشَارَةِ إِلَى الْمُعْجَزِ الدَّالِّ عَلَى نُبُوَّتِهِ، وَهُوَ كَوْنُهُ أَمِيًّا وَظَهَرَ عَنْهُ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ فِي ذَاتِهِ مَا ظَهَرَ مِنَ الْقُرْآنِ الْجَامِعِ لِعُلُومِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، مَعَ نَشَأَتِهِ فِي بَلَدٍ عَارٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، لَمْ يَقْرَأْ كِتَابًا وَلَمْ يَخْطُ، وَلَمْ يَصْحَبْ عَالِمًا، وَلَا غَابَ عَنْ مَكَّةَ غَيْبَةً تَقْتَضِي تَعَلُّمًا.

وقيل: «وكلماته»: المعجزات التي ظهرت من خارج ذاته، مثل انشقاق القمر^(٢)، ونبع الماء من بين أصابعه^(٣)، وهي تسمى بكلمات الله لما كانت أمورًا خارقة غريبة، كما سمي عيسى عليه السلام - لما كان حدوثه أمرًا غريبًا خارقًا - كلمةً.

(١) الكشاف ١٢٣/٢.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٣٦) و(٣٦٣٧) و(٣٦٣٨)، ومسلم (٢٨٠٠) و(٢٨٠٢) و(٢٨٠٣) من

حديث ابن مسعود وأنس وابن عباس رضي الله عنهم.

(٣) أخرجه البخاري (١٦٦)، ومسلم (٢٢٧٩) من حديث أنس رضي الله عنه، وأخرجه البخاري

(٣٥٧٦) من حديث جابر رضي الله عنه.

وقرأ مجاهد وعيسى: «وكلمته»^(١)، وحَّد وأراد به الجمع، نحو: «أصدق كلمة قالتها العربُ قولُ لبيد»^(٢)، وقد يقولون للقصيدة: كلمة، وكلمة فلان.

وقال مجاهدٌ والسُّدِّيُّ: المرادُ بـ«كلماته» و«كلمته»، أي: بعيسى^(٣)، لقوله: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْفَنَاءَ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النساء: ١٧١].

وقيل: كلمة «كن» التي تكوَّن بها عيسى وسائر الموجودات.

وقرأ الأعمش: «الذي يؤمن بالله وآياته» بدل «كلماته»^(٤).

ولمَّا أمرُوا بالإيمان بالله ورسوله - وذلك هو الاعتقادُ - أمرُوا بالتَّبَاعِ له فيما جاء به، وهو لفظٌ يدخل تحته جميعُ التزاماتِ الشريعةِ، وعلَّق رجاءُ الهداية بالتَّبَاعِ.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [١٥٩] ﴿لَمَّا أَمَرَ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَمَرَ بِالْتَّبَاعِ، ذَكَرَ أَنَّ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ مَنْ وَقَّفَ لِلْهُدَايَةِ وَعَدَلَ وَلَمْ يَجُزْ، وَلَا تَكُونَ لَهُ هِدَايَةٌ إِلَّا بِالتَّبَاعِ شَرِيعَةَ مُوسَىٰ قَبْلَ مَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَبِالتَّبَاعِ شَرِيعَةَ رَسُولِ اللَّهِ بَعْدَ مَبْعَثِهِ، فَهَذَا إِخْبَارٌ عَمَّنْ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ، فَكَأَنَّ الْمَعْنَى: إِنَّهُمْ كُلَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا ضَلَّالًا بَلْ كَانَ مِنْهُمْ مَهْتَدُونَ.

قال السائب^(٥): هم قومٌ من أهل الكتاب آمنوا بنبيِّنا ﷺ، كعبد الله بن سلام وأصحابه.

وقال قوم: هم أمةٌ من بني إسرائيلَ تمسَّكوا بشرع موسى قبل نَسْخِهِ، ولم يبدلوا ولم يقتلوا الأنبياء.

(١) القراءات الشاذة ص ٤٦، والمححر الوجيز ٤٦٥/٢.

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٤١)، ومسلم (٢٢٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل».

(٣) تفسير الطبري ١٠/٥٠٠، والمححر الوجيز ٤٦٤/٢، وعنه نقل المصنف.

(٤) المححر الوجيز ٤٦٥/٢.

(٥) كذا في النسخ، ولعل الصواب: ابن السائب، فقد ذكر نحو هذا القول الماوردي في النكت والعيون ٢/٢٧٠ عن الكلبي محمد بن السائب.

وقال الزمخشري: هم المؤمنون التائبون من بني إسرائيل، لما ذكّر الذين تزلزلوا منهم ذكّر أمة مؤمنين تائبين يَهْدُونَ النَّاسَ بِكَلِمَةِ الْحَقِّ، وَيَدُلُّونَهُمْ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ، وَيُرْشِدُونَهُمْ، وَبِالْحَقِّ يَغْدِلُونَ بَيْنَهُمْ فِي الْحُكْمِ وَلَا يَجُورُونَ، أَوْ أَرَادَ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ مَمَّنْ أَدْرَكَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَمَّنْ بِهِ مِنْ أَعْقَابِهِمْ^(١). انتهى.

وقال ابن عطية: يحتمل أن يريد به الجماعة التي آمنت بمحمد ﷺ على جهة الاستجلاب لإيمان جميعهم، ويحتمل أن يريد به وصف المؤمنين التائبين من بني إسرائيل، وَمَنْ اهْتَدَى وَاتَّقَى وَعَدَلَ^(٢). انتهى.

وما روي عن ابن عباس والسدي وابن جريج أنهم قومٌ اغتربوا من بني إسرائيل، ودخلوا سرّياً مشوا فيه سنةً ونصفاً تحت الأرض، حتى خرجوا وراء الصين، فهم هناك يقيمون الشرع^(٣)، في حكايات طويلة ذكرها الزمخشري^(٤) وصاحب «التحرير والتحرير» يوقّف عليها هناك = لعلّه لا يصحّ.

وفي قوله: «ومن قوم موسى» إشارة إلى التقليل، وأنّ معظمهم لا يَهْدِي بِالْحَقِّ وَلَا يَغْدِلُ بِهِ، وَهُمْ إِلَى الْآنَ كَذَلِكَ، دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ مِنَ النَّصَارَى عَالَمٌ لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَأَمَّا الْيَهُودُ فَقَلِيلٌ مِمَّنْ آمَنَ مِنْهُمْ.

﴿وَقَطَعْنَهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِطًا﴾ أي: وقطعنا قوم موسى، ومعناه: فرّقناهم وميّزناهم، وفي ذلك رجوعٌ أمر كل سبطٍ إلى رئيسه؛ لِيَخْفَ أَمْرُهُمْ عَلَى مُوسَى، وَلَثَلَا يَتَحَاسَدُوا فَيَقَعَ الْهَرْجُ، وَلِهَذَا فَجَّرَ لَهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ عَيْنًا لثَلَا يَتَنَازَعُوا وَيَقْتُلُوا عَلَى الْمَاءِ، وَلِهَذَا جَعَلَ لِكُلِّ سَبْطٍ نَقِيًّا لِيَرْجِعَ بِأَمْرِهِمْ إِلَيْهِ، وَتَقَدَّمَ تَفْسِيرُ الْأَسْبَاطِ.

قرأ أبان بن تغلب عن عاصم بتخفيف الطاء، وابن وثاب والأعمش وطلحة بن سليمان: «عَشِيرَةٌ» بكسر الشين، وعنهم الفتح أيضاً، وأبو حيوة وطلحة بن مصرف

(١) الكشاف ١٢٣/٢.

(٢) الكلام بنحوه مع تقديم وتأخير في المحرر الوجيز ٤٦٥/٢.

(٣) المحرر الوجيز ٤٦٥/٢، أخرجه الطبري ١٠/٥٠١-٥٠٢ عن ابن جريج، وقد روى ابن جريج بعضه عن ابن عباس، فهو منقطع، وذكر ابن كثير عند تفسير هذه الآية أنه خبر عجيب.

(٤) في الكشاف ١٢٣/٢-١٢٤.

بالكسر وهي لغة تميم^(١)، والجمهور بالإسكان وهي لغة الحجاز.

و«اثنتي عشرة» حال، وأجاز أبو البقاء أن يكون «قَطَعْنَا» بمعنى: صَيَّرْنَا، وأن ينتصب «اثنتي عشرة» على أنه مفعول ثانٍ ل«قَطَعْنَا»^(٢)، ولم يَعُدَّ النحويون «قَطَعْنَا» في باب ظننتُ، وجزم به الحوفي فقال: «اثنتي عشرة» مفعولٌ ل«قَطَعْنَا» أي: جعلنا اثنتي عشرة.

وتمييز «اثنتي عشرة» محذوفٌ لفَهْم المعنى، تقديره: اثنتي عشرة فرقةً، و«أسباطًا» بدلٌ من «اثنتي عشرة»، و«أُمَّمًا» قال أبو البقاء: نعت ل«أسباطًا» أو بدلٌ بعد بدلٍ، ولا يجوزُ أن يكون «أسباطًا» تمييزًا؛ لأنه جمعٌ^(٣)، وتميُّزُ هذا النوع لا يكون إلا مفردًا.

وذهب الزمخشريُّ إلى أن «أسباطًا» تميُّزٌ، قال: فإن قلت: مميُّزٌ ما عدا العشرة مفردٌ، فما وجهُ مجيئه مجموعًا، وهلا قيل: اثنتي عشر سبطًا؟ قلت: لو قيل ذلك لم يكن تحقيقًا؛ لأنَّ المراد: وقَطَعْنَاهم اثنتي عشرة قبيلةً، وكلُّ قبيلةٍ أسباطٌ لا سِبْطٌ، فَوَضَعَ «أسباطًا» موضعَ قبيلة، ونظيره:

بين رماحي مالِكٍ ونَهْشَلٍ^(٤)

و«أُمَّمًا» بدلٌ من «اثنتي عشرة» بمعنى: وقَطَعْنَاهم أُمَّمًا؛ لأنَّ كلَّ أسباطٍ كانت أمةً عظيمةً وجماعةً كثيفةً العدد، وكلُّ واحدةٍ تُؤمُّ خلافَ ما تُؤمُّه الأخرى لا تكادُ تأتلفُ^(٥). انتهى.

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٦٥، والقراءة بتخفيف الطاء ذكرها أيضاً ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٤٦ عن أبي حيوة.

(٢) الإملاء ١/٢٨٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الرجز لأبي النجم العجلي، وهو في ديوانه ص ١٧٥-١٧٦، والأغاني ١٠/١٥١، وقبله: تَبَقَّلْتُ من أول التَّبَقُّل، ومعنى تَبَقَّلْتُ: رعت البقل. يفتخر بأن الموضع الذي جاءت بنو عجل ترعى فيه إبلها، كان الجميع قد تحاموا الرعي فيه بسبب ما جرى بين بني مالك ونهشل من الحروب، أما قومه فلعرَّهم رعو ذلك الموضع ولم يخافوا هذين الحيين، ذكره صاحب الأغاني.

(٥) الكشاف ٢/١٢٤.

وما ذهب إليه من أن كلَّ قبيلة أسباطٍ خلاف ما ذكر الناسُ، ذكروا أنَّ الأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب، وقالوا: الأسباط جمعُ سبطٍ وهم الفرَقُ، والأسباط من ولد إسحاق بمنزلة القبائل من ولد إسماعيل، ويكون على زَعْمِهِ قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ إِلَّا إِذْ هَمَّ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾ [البقرة: ١٣٦] معناه: والقبيلة.

وقوله: ونظيره:

بين رماحي مالكٍ ونهشلي

ليس نظيره؛ لأن هذا من تثنية الجمع، وهو لا يجوزُ إلا في الضرورة، وكأنه يشير إلى أنه لو لم يُلحظ في الجمع كونه أريد به نوعٌ من الرماح لم يصحَّ تثنيته، كذلك هنا لُحظ بالأسباط وإن كان جمعاً معنى القبيلة، فمُيِّزٌ به كما يميِّزُ بالمفرد.

وقال الحَوَفي: يجوز أن يكون على الحذف، والتقدير: اثنتي عشرة فرقةً، ويكون «أسباطاً» نعتاً لـ«فرقة»، ثم حُذف الموصوفُ وأقيمت الصفةُ مقامه، و«أمماً» نعتٌ لـ«أسباط»، وأنث العددُ وهو واقعٌ على الأسباط - وهو مذكّر - لأنه بمعنى فرقةٍ أو أُمَّة، كما قال:

ثلاثةٌ أنفسٍ

يعني رجالاً، و:

عَشْرُ أَبْطُنٍ^(٢)

بالنظر إلى القبيلة. انتهى.

(١) قطعة من بيت للحطيئة، كما في الكتاب ٣/٥٦٥، والخصائص ٢/٤١٢، والإنصاف ٢/٧٧١، والخزانة ٧/٣٦٧، وتمامه:

ثلاثة أنفسٍ وثلاث ذودٍ لقد جار الزمان على عيالي

(٢) قطعة من بيت ورد دون نسبة في الجمل للخليل ص ٢٧١، والكتاب ٣/٥٦٥، والمقتضب

٢/١٤٨، والأصول في النحو ٣/٤٧٧، والخصائص ٢/٤١٧، والإنصاف ٢/٧٦٩، وقال

العيني في المقاصد ٤/٤٨٤: قائله رجل من بني كلاب يسمى النواح. وتمامه:

وإن كلاباً هذه عشرُ أبطنٍ وأنت بريءٌ من قبائلها العشر

ونظيرٌ وصف التمييز المفرد بالجمع مراعاةً للمعنى قول الشاعر:
فيها اثنتان وأربعون حلوبةً سودًا كخافية الغراب الأشحم^(١)
ولم يقل: سوداء.

وقيل: جعل كل واحدٍ من اثنتي عشرة أسباطًا، كما تقول: لزيد دراهمٌ ولفلانٍ دراهمٌ ولعمرو دراهمٌ، فهذه عشرون دراهم.

وقيل: التقدير: وقطعناهم فرقا اثنتي عشرة، فلا يحتاج إلى تمييز.
وقال البغوي^(٢): في الكلام تأخيرٌ وتقديمٌ، تقديره: وقطعناهم أسباطًا أمّا اثنتي عشرة.

وهذه كلها تقاديرٌ متكلفةٌ، والأجرى على قواعد العربية القول الذي بدأنا به.
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰةَ وَالسَّلَوىٰ كُلُّوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٣) تقدم تفسيرٌ نظيرٌ هذه الجملة في «البقرة»^(٤). و«انبجست» إن كان معناه ما قال أبو عمرو بن العلاء^(٥)؛ فقيل: كان يظهرُ على كلِّ موضعٍ من الحجر يضربه موسى مثلُ ثدي المرأة فيغرقُ أولاً ثم يسيل، وإن كان مُرادًا لـ«انفجرت» فلا فرق.

وقال الزمخشري^(٥) هنا: الأناسُ اسمُ جمعٍ غير تكسير، نحو: رُخَالٍ وثنَاءٍ وثنوَامٍ^(٦)، وأخواتٍ لها، ويجوزُ أن يقال: إنَّ الأصلَ الكسرُ والتكسيرُ، والضمُّ

(١) البيت لعنترة، وهو في ديوانه ص ١٧.

(٢) في التفسير ٢/٢٠٧، وسبقه إليه الثعلبي ٣/٨٤.

(٣) الآية (٥٧) والآية (٦٠).

(٤) سلف عند شرح المفردات.

(٥) في الكشاف ٢/١٢٤.

(٦) ثوام واحد، توأم، وهو المولود مع أخيه، ورُخَال واحد، رِخْل أو رِخْلَة، وهي أنثى ولد الضأن. حاشية الشهاب على البيضاوي ١/٣٠٢. أما ثناء فهي جمع ثني، للشاة تلد في

بدلٌ من الكسر، كما أبدلت في نحو: سُكَّارِي وُعُجَّارِي من الفتحة. انتهى.

ولا يجوز ما قال لوجهين:

أحدهما: أنه لم يُنطق بـ: إناس بكسر الهمزة فيكون جمعُ تكسيرٍ حتى تكون الضمةُ بدلاً من الكسرة، بخلافِ سُكَّارِي وُعُجَّارِي فإن القياسَ فيه: فعالي، بفتح فاء الكلمة، وهو مسموعٌ فيها.

والثاني: أن سُكَّارِي وُعُجَّارِي وُعُجَّالِي - وما ورد من نحوها - ليست الضمةُ فيه بدلاً من الفتحة، بل نصَّ سيبويه في «كتابه» على أنه جمعُ تكسيرٍ أصْلٌ، كما أن فعالي جمعُ تكسيرٍ أصْلٌ، وإن كان لا يتقاسُ الضمُّ كما يتقاسُ الفتح، قال سيبويه في حدِّ تكسير الصفات: وقد يكسرون بعضَ هذا على فعالي، وذلك قولُ بعضهم: سُكَّارِي وُعُجَّالِي^(١).

وقال سيبويه في الأبنية أيضاً: ويكون فعالي في الاسم، نحو: حُبَّارِي وَسُمَّانِي وُلُبَّادِي، ولا يكون وصفاً إلا أن يكسَرَ عليه الواحدُ للجمع، نحو: عُجَّالِي وَسُكَّارِي وكُسالِي^(٢).

فهذان نصَّان من سيبويه على أنه جمعُ تكسيرٍ، وإذا كان جمعُ تكسيرٍ أصلاً لم يسُغ أن يُدعى أن أصله فعالي، وأنه أبدلت الحركةُ فيه.

وذهب المبرِّد إلى أنه اسمُ جمع - أعني فعالي بضم الفاء - وليس بجمع تكسيرٍ، فالزمخشري لم يذهب إلى ما ذهب إليه سيبويه ولا إلى ما ذهب إليه المبرِّد؛ لأنه عند المبرِّد اسمُ جمعٍ، فالضمةُ في فائه أصلٌ ليست بدلاً من الفتحة، بل أحدث قولاً ثالثاً.

وقرأ عيسى الهمداني: «من طيبات ما رزقكم» موخَّداً للضمير^(٣).

= السنة مرتين. وتحرفت في مطبوع الكشاف إلى: تناء، بالتاء. ينظر اللسان (عرق)، والمزهر للسيوطي ٧٢/٢.

(١) الكتاب ٦٤٥/٣.

(٢) الكتاب ٢٥٤/٤.

(٣) المحرر الوجيز ٤٦٦/٢.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ
وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَفَعْنَا لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ سَأَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٦﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا
مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا
يَظْلِمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ تقدمت هذه القصة وتفسيرها في البقرة، وكان هذه مختصرة من
تلك، إذ هناك^(١): «وإذ قلنا ادخلوا» وهنا: «وإذ قيل لهم اسكنوا»، وهناك: «رغداً»
وسقط هنا، وهناك: «وسنزيد»، وهنا «سنزيد»، وهناك: «فأنزلنا على الذين ظلموا»
وهنا: «فأرسلنا عليهم».

وبينهما تغيُّرٌ في بعض الألفاظ لا تناقض فيه، فقوله: «وإذ قيل لهم» وهناك:
«وإذ قلنا»، فهنا حُدِفَ الفاعلُ للعلم به وهو الله تعالى، وهناك: «ادخلوا» وهنا:
«اسكنوا»، والسكنى ضرورةٌ تتعقَّبُ الدخولَ، فأمرُوا هناك بمبدأ الشيءِ وهنا
بما تسبَّبَ عن الدخول.

وهناك: «فكلوا» بالفاء وهنا بالواو، فجاءت الواو على أحد احتمالاتها من
كون ما بعدها وقع بعد ما قبلها.

وقيل: الدخول حالةٌ مُنْقَضِيَةٌ فَحَسُنَ ذِكْرُ فاءِ التعقيبِ بعده، والسكنى حالةٌ
مستمرةٌ فَحَسُنَ الأمرُ بالأكلِ معه لا عقيبهِ، فَحَسُنَتِ الواوُ الجامعةُ للأمرين في
الزمن الواحد وهو أحدُ محاملها، ويزعم بعضُ النحويين أنه أولى محاملها
وأكثر.

وقيل: ثبت «رغداً» بعد الأمر بالدخول لأنها حالةٌ قدومٍ فالأكلُ فيها الذُّ وأتمُّ،
وهم إليه أحوجُّ، بخلافِ السُّكنى فإنها حالةٌ استقرارٍ واطمئنانٍ، فليس الأكلُ فيها
الذُّ، ولا هم إليه أحوجُّ.

وأما التقديم والتأخير في «وقولوا» و«ادخلوا»، فقال الزمخشري: سواءً قدِّموا
الحِطَّةَ على دخولِ البابِ وأخروها فهم جامعون في الإيجادِ بينهما^(٢). انتهى.

(١) في (أ) و(د) و(ع): إلا أن هناك، بدل: إذ هناك.

(٢) الكشاف ١٢٥/٢، وفيه: أو أخروها.

وقوله: سواءً قَدَمُوا.. وأخروها، تركيبٌ غيرُ عربيٍّ، وإصلاحُه: سواءً أقدموا أم أخروها^(١)، كما قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾ [إبراهيم: ٢١].

ويمكن أن يقال: ناسبَ تقديمُ الأمرِ بدخولِ البابِ سجّداً وتركيبُ «ادخلوا هذه القرية» لأنه فعلٌ دالٌّ على الخضوعِ والدُّلة، و«حِطَّة» قولٌ والفعلُ أقوى في إظهار الخضوعِ من القول، فناسبَ أن يُذكرَ مع مبدأ الشيء وهو الدخول، ولأنَّ قبله: «ادخلوا» فناسبَ الأمرُ بالدخولِ للقريةِ الأمرُ بدخولِ بابها على هيئة الخضوع، ولأنَّ دخولَ القرية لا يمكنُ إلاً بدخولِ بابها، فصار بابُ القرية كأنه بدلٌ من القرية أُعيد معه العاملُ، بخلافِ الأمرِ بالسُّكنى.

وأما «سنزید» هنا فقال الزمخشري: مَوْعِدٌ بشيئين بالغفران والزيادة، وطرح الواو لا يُخلُّ بذلك؛ لأنه استئنافٌ مرتَّبٌ على تقديرِ القائل: وماذا بعد الغفران؟ فقبل له: «سنزید المحسنين»، وزيادةُ «منهم» بيانٌ، و«أرسلنا» و«أنزلنا» و«يظلمون» و«يفسقون»، من وإدٍ واحد^(٢).

وقرأ الحسن: «حِطَّةً» بالنصب على المصدر^(٣)، أي: حُطَّ ذنوبنا حِطَّةً، ويجوز أن يتصب ب«قولوا» على حذفٍ، التقدير: وقولوا قولاً حِطَّةً، أي: ذا حِطَّةٍ، فحذف «ذا» وصار «حِطَّة» وصفاً للمصدر المحذوف، كما تقول: قلتَ حسناً، وقلتَ حقاً، أي: قولاً حسناً، و: قولاً حقاً.

وقرأ الكوفيون وابنُ كثيرٍ والحسن والأعمش: «تَغْفِرُ» بالنون «لكم خطيئاتكم» جمع سلامة، إلا أن الحسن خَفَّفَ الهمزة وأدغم الياءَ فيها.

وقرأ أبو عمرو: «تَغْفِرُ» بالنون «لكم خطاياكم» على وزن قضاياكم.

وقرأ نافعٌ ومحبوبٌ عن أبي عمرو: «تُغْفِرُ» بالتاء مبنياً للمفعول «لكم خَطِيئَاتِكُمْ» جمع سلامة.

(١) يعني أن الزمخشري أتى بلفظ «سواء» مع «أو» دون «أم»، ولم يأت بهمزة التسوية بعد «سواء»، لكن ذكر السمين في الدر ٤٩٠/٥ أن ذلك جائز، وإن كان الكثير ما ذكره المصنف، وقال السمين: والرُّدُّ بمثلِ هذا غيرُ طائِلٍ.

(٢) الكشاف ١٢٥/٢.

(٣) المحتسب ٢٦٤/١، والمحزر الوجيز ٢٦٦/٢.

وقرأ ابنُ عامر «تَغْفَرُ» بتاءٍ مضمومةٍ مبنياً للمفعول «لكم خَطِيئَتُكُمْ» على التوحيد مهموزاً^(١).

وقرأ ابنُ هُرْمُزٍ: «تُعْفَرُ» بتاءٍ كناقعٍ «خطاياكم» كأبي عمرو، وعنه: «يُغْفَرُ» بياءٍ مضمومة، ورُويت عن عاصم، ورُوِي عن ابنِ هُرْمُزٍ: «تَغْفِرُ»^(٢) بتاءٍ مفتوحةٍ على معنى أن الحطة، تَغْفِرُ إذ هي سببُ الغفران.

قال ابن عطية: وبَدَّلَ: غيَّر اللفظ دون أن يذهب بجميعة، وأبدل: إذا ذهب به وجاء بلفظ آخر^(٣). انتهى.

وهذه التفرقة ليست بشيء، وقد جاء في القرآن بَدَّلَ وأبَدَلَ بمعنى واحد؛ فَرِي: ﴿فَارِدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً﴾ [الكهف: ٨١]، ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا﴾ [التحریم: ٥]، ﴿عَسَى رَبَّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا﴾ [القلم: ٣٢] بالتخفيف والتشديد^(٤)، والمعنى واحدٌ، وهو إذهابُ الشيءِ والإتيانُ بغيره بدلاً منه.

ثم التشديدُ قد جاء حيث يذهبُ الشيءُ كُلُّهُ، قال تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يَدِدُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠]، ﴿وَيَدُلُّنَهُمْ بِجَنَّتَيْنِ﴾ [سبأ: ١٦]، ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ [الأعراف: ٩٥] وعلى هذا كلامُ العرب نثرها ونظُمها.

﴿وَسَأَلْنَهُمْ عَنِ الْغَزِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ جِثَاتُهُمْ يَوْمَ سُبْحَتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [١١٢] الضمير في «واسألهم» عائذٌ على من بحضرة الرسول ﷺ من اليهود، ودُكِرَ أَنَّ بعض اليهود المعارضين للرسول ﷺ قالوا له: لم يكن من بني إسرائيل عصيانٌ ولا معاندةٌ لما أمرُوا به. فنزلت هذه الآية موبِّخة لهم^(٥)، ومقرَّرةً

(١) ذكر هذه القراءات ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٦٧/٢، وقراءة من دُكِرَ من السبعة في السبعة ص ٢٩٥-٢٩٦، والتيسير ص ١١٤.

(٢) من قوله: بتاء كناقع، إلى هنا ساقط من (د) والمطبوع، وهذه القراءة الأخيرة ذكرها ابن عطية في المحرر ٤٦٧/٢.

(٣) المحرر الوجيز ٢٦٧/٢.

(٤) قرأ في هذه المواضع بالتشديد من السبعة نافع وأبو عمرو، والباقون بالتخفيف. وسيرد كلٌّ في موضعه.

(٥) المحرر الوجيز ٤٦٧/٢.

كذبهم، ومُعَلِّمَةٌ ما جرى على أسلافهم من الإهلاك والمسح، وكانت اليهود تكتم هذه القصة، فهي ممَّا لا يُعَلِّمُ إلا بكتابٍ أو وحي، فإذا أَعَلَّمَهُم بها مَنْ لم يقرأ كتابهم عَلِّمَ أنه من جهة الوحي^(١).

وقوله: «عن القرية» فيه حذف، أي: عن أهل القرية، والقرية: أَيْلَةٌ، قاله ابن مسعود، وأبو صالح عن ابن عباس، والحسن وابن جبير وقتادة والسدي وعكرمة وعبد الله بن كثير والثوري^(٢).

أو: مَدِينٌ، رواه عكرمة عن ابن عباس. أو: ساحل مدين، ورُوي عن قتادة^(٣)، وقال: هي مَقْنَا، بالقاف ساكنة^(٤).

وقال ابن زيد: هي مقناة ساحل مدين، ويقال لها: مَعْنَى بالعين مفتوحة ونونٍ مشددة^(٥).

أو: طبرية، قاله الزهري^(٦).

أو: أريحا. أو: بيت المقدس، وهو بعيدٌ لقوله: «حاضرة البحر». أو: قرية بالشام لم تسمَّ بعينها، ورُوي عن الحسن.

ومعنى «حاضرة البحر»: بَقْرُبِ البحر مَبْنِيَّةٌ بشاطئه، ويحتمل أن يريد معنى الحضارة^(٧) على جهة التعظيم لها، أي: هي الحاضرة في قرى البحر، فالتقدير: حاضرة قرى البحر، أي: يَخْضُرُ أهلُ قرى البحر إليها لبيعهم وشرائهم وحاجتهم.

(١) الكشاف ١٢٥/٢.

(٢) المحرر الوجيز ٤٦٧/٢، وزاد المسير ٢٧٦/٣، وأخرجه الطبري ٥٠٧/١٠ من طريق عكرمة، ومن طريق علي بن أبي طلحة، كلاهما يرويه عن ابن عباس، وأخرجه أيضاً عن السدي وعبد الله بن كثير ومجاهد.

(٣) أخرج القولين الطبري ٥٠٨/١٠ و٥٠٩، والكلام من زاد المسير ٢٧٦/٣.

(٤) المحرر الوجيز ٤٦٧/٢.

(٥) المحرر الوجيز ٤٦٧/٢، ووقع في مطبوعه: ... معنى بالعين مفتوحة...، وأخرج الطبري ٥٠٨/١٠، وابن أبي حاتم ١٥٩٧/٥-١٥٩٨ عن ابن زيد قال: هي قرية يقال لها: مَقْنَا، بين مدين وعَيْنُونِي.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ١٥٩٧/٥.

(٧) تحرفت في المطبوع إلى: الحاضرة.

«إِذْ يَعْتَدُونَ فِي السَّبْتِ» أَي: يُجَاوِزُونَ أَمْرَ اللَّهِ فِي الْعَمَلِ يَوْمَ السَّبْتِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْهُ تَعَالَى النَّهْيُ عَنِ الْعَمَلِ فِيهِ وَالِاسْتِغَالِ بِصَيْدٍ أَوْ غَيْرِهِ، إِلَّا أَنَّهُ فِي هَذِهِ النَّازِلَةِ كَانَ عَصِيَانُهُمْ.

وَقَرَأَ: «يُعْتَدُونَ» مِنَ الْإِعْدَادِ، وَكَانُوا يُعْتَدُونَ آلَاتِ الصَّيْدِ يَوْمَ السَّبْتِ، وَهُمْ مَأْمُورُونَ بِأَنْ لَا يَشْتَغَلُوا فِيهِ بِغَيْرِ الْعِبَادَةِ^(١).

وَقَرَأَ شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ وَأَبُو نَهْيَلِكٍ «يَعْتَدُونَ» بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَتَشْدِيدِ الدَّالِ، وَأَصْلُهُ: يَعْتَدُونَ، فَأُدْغِمَتِ التَّاءُ فِي الدَّالِ^(٢)، كَقِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ: «لَا تَعْتَدُوا فِي السَّبْتِ»^(٣).

و«إِذْ» ظَرْفٌ، وَالْعَامِلُ فِيهِ؛ قَالَ الْحَوْفِيُّ: «إِذْ» مُتَعَلِّقَةٌ بِ«سَلَّمَهُمْ». انْتَهَى.

وَلَا يَتَصَوَّرُ؛ لِأَنَّ «إِذْ» ظَرْفٌ لِمَا مَضَى وَ«سَلَّمَهُمْ» مُسْتَقْبَلٌ، وَلَوْ كَانَ ظَرْفًا مُسْتَقْبَلًا لَمْ يَصِحَّ الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ الْعَادِينَ وَهُمْ أَهْلُ الْقَرْيَةِ مَفْقُودُونَ، فَلَا يُمْكِنُ سَوْأَلُهُمْ، وَالْمَسْؤُولُ غَيْرُ أَهْلِ الْقَرْيَةِ الْعَادِينَ.

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: «إِذْ يَعْتَدُونَ» بَدَلٌ مِنْ «الْقَرْيَةِ»، وَالْمَرَادُ بِالْقَرْيَةِ أَهْلِهَا، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَسَلَّمَهُمْ عَنِ أَهْلِ الْقَرْيَةِ وَقَتَّ عِدْوَانَهُمْ فِي السَّبْتِ، وَهُوَ مِنْ بَدَلِ الْإِشْتِمَالِ^(٤). انْتَهَى.

وَهَذَا لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّ «إِذْ» مِنَ الظَّرُوفِ الَّتِي لَا تَتَصَرَّفُ، وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا حَرْفُ جَرٍّ، وَجَعَلَهَا بَدَلًا يَجُوزُ دَخُولَ «عَنْ» عَلَيْهَا؛ لِأَنَّ الْبَدَلَ هُوَ عَلَى نِيَّةِ تَكَرَّرِ الْعَامِلِ، وَلَوْ أُدْخِلْتَ «عَنْ» عَلَيْهَا لَمْ يَجُزْ، وَإِنَّمَا تُصَرَّفُ فِيهَا بِأَنْ أُضِيفَ إِلَيْهَا بَعْضُ الظَّرُوفِ الزَّمَانِيَةِ نَحْو: يَوْمَ إِذْ كَانَ كَذَا، وَأَمَّا قَوْلُ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهَا يُتَصَرَّفُ فِيهَا بِأَنْ تَكُونَ مَفْعُولَةً بِأَذْكَرَ، فَهُوَ قَوْلُ مَنْ عَجَزَ عَنِ تَأْوِيلِهَا عَلَى مَا يَنْبَغِي لَهَا مِنْ إِبْقَانِهَا ظَرْفًا.

(١) الكشاف ١٢٥/٢.

(٢) المحتسب ٢٦٤/١، والمحمر الوجيز ٤٦٧/٢، والكشاف ١٥٥/٢، وضبطت في مطبوع القراءات الشاذة ص ٤٦ بكسر العين، وهو خطأ.

(٣) هي قراءة ورش، وسلفت عند تفسير الآية (١٥٤) من سورة النساء.

(٤) الكشاف ١٢٥/٢.

وقال أبو البقاء: «عن القرية»، أي: عن خبر القرية، وهذا المحذوف هو الناصب للظرف الذي هو «إذ يعدون»، وقيل: هو ظرف لـ«حاضرة»، وجوز ذلك أنها كانت موجودة في ذلك الوقت ثم خربت^(١). انتهى.

والظاهر أن قوله: «في السبت» و«يوم سبتهم» المراد به اليوم، ومعنى اعتدوا فيه، أي: بعصيانهم وخلافهم كما قدمنا. وقال الزمخشري: «السبت» مصدر سَبَتَ اليهود: إذا عَظَمَت سَبَّتْهَا بترك الصيد والاشتغال بالتعبُد، فمعناه: يَعْدُونَ في تعظيم هذا اليوم، وكذلك قوله تعالى: «يَوْمَ سَبْتِهِمْ»: يومَ تعظيمهم، ويدلُّ عليه قوله: «ويومَ لا يَسْتُونَ»^(٢).

«وإذ تأتيهم» العاملُ في «إذ» «يَعْدُونَ»، أي: إذ عَدُوا في السبت إذ أتتهم؛ لأن «إذ» ظرفٌ لَمَّا مضى يَصْرِفُ المضارعَ للمُضِيِّ، وقال الزمخشري: ويجوزُ أن يكون بدلاً بعد بدل^(٣). انتهى، يعني بدلاً من «القرية» بعد بدل «إذ يعدون»، وقد ذكرنا أن ذلك لا يجوز.

وأضاف السبت إليهم لأنهم مخصوصون بأحكام فيه.

وقرأ عمر بن عبد العزيز: «حيثأنهم يومَ إسباتهم»^(٤)، قال أبو الفضل الرازي في كتاب «اللوامح» وقد ذَكَرَ هذه القراءة عن عمر بن عبد العزيز: وهو مصدرٌ من أَسَبَتَ الرجلُ: إذا دخل في السبت.

وقرأ عيسى بنُ عُمر وعاصمٌ بخلاف: «لا يَسْبُونَ» بضم كسرة الباء قراءة الجمهور^(٥)، وقرأ عليٌّ والحسنُ وعاصمٌ بخلاف: «يُسْبُونَ» بضم ياء المضارعة^(٦)، من أَسَبَتَ: دخل في السبت.

(١) الإملاء ٢٨٧/١.

(٢) الكشاف ١٢٥/٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) القراءات الشاذة ص ٤٧، والمحرو الوجيز ٤٦٨/٢، والكشاف ١٢٥/٢.

(٥) في (١د) والمطبوع: في قراءة الجمهور، والقراءة المذكورة في المحرو الوجيز ٤٦٨/٢، والمشهور عن عاصم: «يُسْبُونَ» بكسر الباء كقراءة الجمهور.

(٦) القراءات الشاذة ص ٤٧، والمحرو الوجيز ٤٦٨/٢، والكشاف ١٢٥/٢.

قال الزمخشري: وعن الحسن: «لا يُسَبِّتُونَ» بضم الياء على البناء للمفعول، أي: لا يُدَارُ عليهم السبُّ، ولا يؤمرون بأن يَسْبِتُوا^(١).

والعامل في «يوم» قوله: «لا تأتيهم»، وفيه دليلٌ على أن ما بعد «لا» للنفي يعمل فيما قبلها، وفيه ثلاثة مذاهب: الجوازُ مطلقاً، والمنعُ مطلقاً، والتفصيلُ بين أن يكون «لا» جوابَ قسمٍ فيمتنع، أو غير ذلك فيجوز، وهو الصحيح.

«كذلك» أي: مثل ذلك البلاءِ بأمر الحوت نبلوهم، أي: بلوناهم وامتحنَّاهم، وقيل: «كذلك» متعلقٌ بما قبله، أي: ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك، أي: لا تأتيهم إتياناً مثل ذلك الإتيان، وهو أن تأتي شُرْعاً ظاهرة كثيرة، بل يأتي ما أتى منها وهو قليلٌ، فعلى القول الأول في «كذلك» ينتفي إتيانُ الحوت مطلقاً كما روي في القصص أنه كان يغيبُ بجملته، وعلى القول الثاني كان يغيبُ أكثره ولا يبقى منه إلا القليلُ الذي يُتَعَبُ بصيده، قاله قتادة^(٢).

وهذا الإتيانُ من الحوت قد يكون بإرسالٍ من الله كإرسال السحاب، أو بوحى إلهام كما أوحى إلى النحل، أو بإشعارٍ في ذلك اليوم على نحو ما يُشعرُ الله الدوابَّ يومَ الجمعة بأمر الساعة حسبما جاء: «وما من دابةٍ إلا وهي مُصيخةٌ يومَ الجمعة حتى تَظُلُعَ الشمسُ فرقاً من الساعة»^(٣)، ويحتمل أن يكون ذلك من الحوت شعوراً بالسلامة.

ومعنى «شُرْعاً»: مقبلةٌ إليهم مصطفةً، كما تقول: أشرعتُ الرمحَ نحوه، أي: أقبلتُ به إليه.

وقال الزمخشري^(٤): «شُرْعاً»: ظاهرةً على وجه الماء، وعن الحسن تشرعُ على

(١) الكشاف ١٢٥/٢.

(٢) المحرر الوجيز ٤٦٧/٢.

(٣) قطعة من حديث طويل أخرجه مالك في الموطأ ١/١٠٨، وأحمد (١٠٣٠٣)، وأبو داود (١٠٤٦)، والنسائي في المجتبى ٣/١١٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه، وعندهم: شفقاً، بدل: فرقاً.

(٤) في الكشاف ١٠/١٢٥-١٢٦.

أبوإبهم كأنها الكباشُ السَّمْنُ^(١)، يقال: شَرَعَ علينا فلان: إذا دنا منا وأشرف علينا، وشرَعْتُ على فلانٍ في بيته فرأيتُه يفعل كذا.

وقال رواية القصص: يَفْرُبُ حتى يُمكن أخذُه باليد، فساءهم ذلك وتطرَّقوا إلى المعصية بأن حفروا حفراً يخرج إليها ماء البحر على أخذودٍ، فإذا جاء الحوثُ يوم السبت وحصل في الحفرة ألقوا في الأخذود حجراً فمنعوه الخروجَ إلى البحر، فإذا كان الأحدُ أخذوه، فكان هذا أولَ التطريق^(٢).

وقال ابن رومان^(٣): كانوا يأخذ الرجلُ منهم خيطاً ويضعُ فيه وَهَقَةً^(٤)، وألقاها في ذنَب الحوت، وفي الطرف الآخر من الخيط وَتَدٌ مضرُوبٌ، وتَرَكَه كذلك إلى أن يأخذَه في الأحد، ثم تطرَّق الناسُ حين رأوا مَنْ يصنع هذا لا يُبتَلَى، حتى كثرَ صيدُ الحوت ومُشِيَ به في الأسواق، وأُعلِنَ الفسقةُ بصيده، وقالوا: ذهب حرمَةُ السبت.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةَ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾﴾ أي: جماعةٌ من أهل القرية من صلحائهم الذين جربوا الوعظَ فيهم فلم يروِه يُجدي، والظاهرُ أنَّ القائلَ غيرَ المَقُول لهم «لم تعظون قوماً»، فيكون ثلاث فرق: فرقةٌ اعتدوا، وفرقةٌ وَعَظَّتْ وَنَهَتْ، وفرقةٌ اعتزلت ولم تنه ولم تَعْتَدِ، وهذه الطائفةُ هي^(٥) القائلةُ للواعظة: «لم تعظون».

وروي أنهم كانوا فرقتين: فرقةٌ عَصَتْ، وفرقةٌ نَهَتْ وَوَعَظَّتْ، وأنَّ جماعةً من العاصية قالت للواعظة على سبيل الاستهزاء: لم تعظون قوماً قد علمتم أن الله مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ.

(١) في الكشاف: الكباش البيض، وكلاهما مروِيٌّ، فقد أخرج الطبري ١/٥١٥ عن ابن عباس رضي الله عنهما: ... كانت تأتيهم يوم السبت شرعاً بيضاً سماناً...

(٢) المحرر الوجيز ٢/٤٦٧، وفيه: ... أول التطريق. وهو الأنسب بالسياق.

(٣) كما في المحرر الوجيز ٢/٤٦٧، والكلام منه، وأخرجه بنحوه مطولاً الطبري ١٠/٥١٩.

(٤) في القاموس (وهق): الوَهَقُ محرَكة ويسكُن: الحبل يرمى في أنشوطه، فتؤخذ به الدابة... وجاء في المحرر: ويصنع فيه وهقة...

(٥) في (د) والمطبوع: غير، وهو خطأ.

قال ابن عطية: والقول الأول أصوب، ويؤيده الضمائر في قوله: «معدرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون» فهذه المخاطبة تقتضي مخاطباً^(١). انتهى، ويعني أنه لو كانت العاصية هي القائلة لقالت الواعظة: معدرة إلى ربهم ولعلمهم، أو بالخطاب: معدرة إلى ربكم ولعلمكم تتقون.

ومعنى «مهلكهم»: مُخْتَرِمُهُمْ ومَطَهَّرُ الأَرْضِ منهم، أو: معدَّبُهُمْ عذاباً شديداً لتماديهم في العصيان، ويحتمل أن يكون العذاب في الدنيا، ويحتمل أن يكون في الآخرة، وإن كانوا ثلاث فرقٍ فالقائلة إنما قالت ذلك حيث علموا أن الوعظ لا ينفع فيهم لكثرة تكرره عليهم وعدم قبولهم له.

ويحتمل أن يكونوا فرقتين: عاصيةً وطائفةً، وأن الطائفة قال بعضهم لبعض لِمَا رَأَوْا أَنَّ العاصية لا يُجدي فيها الوعظ ولا يؤثر شيئاً: «لم تعظون».

وقرأ الجمهور: «معدرة» بالرفع، أي: موعظتنا إقامة عذرٍ إلى الله، ولئلا تُنسب في النهي عن المنكر إلى بعض التفريط، ولطمعنا في أن يتقوا المعاصي.

وقرأ زيد بن عليّ، وعاصمٌ في بعض ما روي عنه، وعيسى بن عمر، وطلحة بن مُصَرِّفٍ: «معدرة» بالنصب^(٢)، أي: وَعَظْنَاهم معدرةً، قال سيبويه: لو قال رجلٌ لرجلٍ: معدرةً إلى الله وإليك من كذا، لَنَصَبَ^(٣). انتهى.

وهنا يختار سيبويه الرفع، قال: لأنهم لم يريدوا أن يعتذروا اعتذاراً مستأنفاً من أمرٍ لِيُؤْمَرُوا عليه، ولكنهم قيل لهم: «لم تعظون» قالوا: موعظتنا معدرة^(٤).

وقال أبو البقاء: مَنْ نَصَبَ فعلى المفعول له، أي: وَعَظْنَا للمعدرة، وقيل: هو مصدرٌ، أي: نعتذر معدرة^(٥). وقالهما الزمخشري^(٦).

(١) المحرر الوجيز ٤٦٨/٢، وفيه: تَقْتَضِي مخاطباً ومخاطباً ومكثياً عنه.

(٢) المحرر الوجيز ٤٦٩/٢، وهي رواية حفص عن عاصم كما في السبعة ص ٢٩٦، والتيسير ص ١١٤.

(٣) الكتاب ٣٢٠/١، والمحرر ٤٦٩/٢، ولفظ الكتاب: ... من كذا وكذا يريد اعتذاراً لَنَصَبَ. ففيه زيادة: يريد اعتذاراً، وعلى هذه العبارة مدار كلام سيبويه السابق واللاحق.

(٤) الكتاب ٣٢٠/١، وما بين حاصرتين منه.

(٥) الإملاء ٢٨٧/١.

(٦) في الكشاف ١٢٦/٢.

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَيْسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ الضمير في «نساوا» للمنهيين أي: تركوا ما ذكّرهم به الصالحون، وجعل الترك نسياناً مبالغاً إذ أقوى أحوال الترك أن ينسى المتروك.

و«ما» موصولة بمعنى الذي، قال ابن عطية: ويحتمل أن يراد به الذكّر نفسه، ويحتمل أن يراد به ما كان في الذكّر^(١). انتهى، ولا يظهر لي هذان الاحتمالان.

و«السوء» عامٌّ في المعاصي، وبحسب القصص يختصّ هنا بصيد الحوت.

و«الذين ظلموا» هم العاصون، نَبّه على العلة في أخذهم وهي الظلم.

قال مجاهد: «بئس»: شديد مُوجع^(٢). وقال الأخفش: مُهلك^(٣).

وقرأ أهل المدينة نافعٌ وأبو جعفر وشيبةٌ وغيرهما: «بئس» على وزن جيد، وابن عامرٍ كذلك إلا أنه همزٌ كد: بئر^(٤)، ووجهها على أنه فعلٌ سمّي به كما جاء: «أنهاكم عن قيلٍ وقيلٍ»^(٥).

ويحتمل أن يكون وُضع وصفاً على وزن «فعلٍ» كحلفٍ، فلا يكون أصله فعلاً.

وخرّجه الكسائيُّ على وجهٍ آخر، وهو أن الأصل: بئس، فخفف الهمزة فالتقت ياءان، فحذفت إحداهما وكُسِر أوله، كما يقال: رغيِف وشهيد^(٦).

وخرّجه غيره^(٧) على أن يكون على وزن فعِلٍ، فكُسِر أوله إتباعاً ثم حذفت

(١) المحرر الوجيز ٤٦٩/٢.

(٢) أخرجه الطبري ٥٢٨/١٠ بلفظ: أليم شديد.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) تنظر القراءتان في السبعة ص ٢٩٦، والتيسير ص ١١٤، والنشر ٢/٢٧٢.

(٥) قطعة من حديث أخرجه مسلم (١٧١٥)، وابن حبان (٤٥٦٠) - واللفظ له - عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه بنحوه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٥٩٣): (١٤) كتاب الأفضية، من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وقوله: «قيل وقال» فيهما قولان: الأول أنهما فعلان أحدهما مبني للمجهول والآخر للمعلوم، والقول الثاني أنهما اسمان مجروران متونان. ينظر شرح مسلم للنووي ١١/١٢، والمحرر الوجيز ٤٦٩/٢.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ١٥٩/٢، ومعاني القرآن له ٩٥/٣، وتفسير القرطبي ٣٦٧/٩.

(٧) هو المبرد كما في إعراب القرآن للنحاس ١٥٩/٢، وأورده دون نسبة القرطبي ٣٦٧/٦.

الكسرة - كما قالوا: فخذ - ثم خففوا الهمزة.

وقرأ الحسن: «بئس» بهمز وبغير همز^(١)، وعن نافع وأبي بكرٍ مثله إلا أنه بغير همزٍ عن نافع^(٢)، كما تقول: بيس الرجل، وضعفها أبو حاتم^(٣): وقال: لا وجه لها، قال: لأنه لا يقال: مررت برجل بيس، حتى يقال: بيس الرجل، أو بيس رجلاً.

قال النحاس: هذا مردودٌ من كلام أبي حاتم، حكى النحويون: إن فعلت كذا وكذا فيها ونعمت، يريدون: ونعمت الخصلة، والتقدير: بيس العذاب^(٤).

وقرئ: «بئس» على وزن شَهْد، حكاها يعقوب القارئ^(٥)، وعزاها أبو الفضل الرازي إلى عيسى بن عمر وزيد بن عليّ.

وقرأ جويّة بن عائذ ونصر بن عاصم في رواية: «بأس» على وزن ضَرَبَ فعلاً ماضياً^(٦).

وعن الأعمش ومالك بن دينار «بأس»^(٧) أصله بأس^(٨) فسكن الهمزة، جعله فعلاً لا يتصرف.

(١) المحرر الوجيز ٤٦٩/٢، والتي بغير همزٍ وردت في القراءات الشاذة ص ٤٧، والتي بالهمز ذكرها النحاس في إعراب القرآن ١٥٨/٢.

(٢) وهي خلاف المشهور عنهما.

(٣) أي: بالوجهين: الهمز وعدمه، كما في الدر المصون ٤٩٩/٥، وكلام أبي حاتم في إعراب القرآن للنحاس ١٥٩/٢، وتفسير القرطبي ٣٦٨/٩. وكلام أبي حاتم هو في تضعيف القراءة بالوجهين كما ذكر السمين.

(٤) إعراب القرآن ١٥٩/٢، وتفسير القرطبي ١٦٨/٩ وفيهما: بعذاب بئس العذاب.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١٥٨/٢، وتفسير القرطبي ٣٦٨/٩، وهي باء مفتوحة وهمزة مكسورة وسين مفتوحة، كما قيّدت في المصدرين المذكورين.

(٦) ذكرها عنهما ابن جني في المحتسب ٦٥/١، لكن بسكون الهمزة، أي: «بأس»، وسيوردها المصنف - أي: بسكون الهمزة - بعد هذه القراءة، قال ابن جني: هي تخفيف بئس، كقولك في سَيْمٍ: سَأَمٌ، وفي عَلِمَ: عَلَمٌ. اهـ. وقد ضبطت في (زا): «بأس» بفتح العين، وكذا: ضَرَبَ.

(٧) المحتسب ٢٦٥/١، والدر المصون ٤٩٧/٢.

(٨) كذا في النسخ، ولعل الصواب: بئس، كما في الدر المصون والمحتسب، وينظر التعليق قبل السابق.

وقرأت فرقة: «بَيْسَ» بفتح الباء والياء والسين.

وحكى الزهراوي عن ابن كثير وأهل مكة «بئس» بكسر الباء والهمز همزاً خفيفاً، ولم يبين هل الهمزة مكسورة أو ساكنة؟

وقرأت فرقة: «باسٍ» بفتح الباء وسكون الألف.

وقرأ خارجة عن نافع وطلحة «بَيْسٍ» على وزن كَيْلٍ لفظاً، وكأن أصله فَيْعِلٌ مهموزاً، إلا أنه خَفَّفَ الهمزة بإبدالها ياءً وأدغم ثم حَذَفَ^(١) ك: مَيْتٍ.

وقرأ نصرٌ في رواية مالك بن دينارٍ عنه: «بأسٍ» على وزن جَبَلٍ، وأبو عبد الرحمن وابن مصرفٍ: «بئسٍ» على وزن كَيْدٍ وَحَدِيرٍ، وقال عبيد الله بن قيس الرقيّات:

لِيتَنِي أَلْقَى رُقِيَّةً فِي خَلْوَةٍ مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ^(٢)

وقرأ ابن عباس، وأبو بكرٍ عن عاصم، والأعمش: «بئأسٍ» على وزن صَبِغِمٍ، وقال امرؤ القيس بن عباس الكندي:

كِلَاهِمَا كَانَ رَئِيساً بِيَأْسَا يَضْرِبُ فِي يَوْمِ الْهَبَاجِ الْقَوْنَسَا^(٣)

وقرأ عيسى بن عمر والأعمش بخلافٍ عنه: «بئيسٍ» على وزن صَيْقِلٍ - اسم امرأة - بكسر الهمزة وبكسر القاف، وهما شاذان لأنه بناءٌ مختصٌّ بالمعتلِّ كسَيْدٍ ومَيْتٍ.

وقرأ نصر بن عاصم في رواية: «بئسٍ» على وزن مَيْتٍ، وخرَّج على أنه من البؤس ولا أصل له في الهمز، وخرَّج أيضاً على أنه خَفَّفَ الهمزة بإبدالها ياءً ثم أدغم. وعنه أيضاً: «بئسٍ» بقلب الياء همزةً وإدغامها في الهمزة، ورُوِيَتْ هذه عن الأعمش.

(١) في (د): خفف، والمعنى واحد.

(٢) تفسير الطبري ٥٢٧/١٠، وتفسير الثعلبي ٨٧/٣، والمحور الوجيز ٤٦٩/٢، والكلام منه، وهو في الديوان ص ١٦٠ برواية: يس.

(٣) تفسير الثعلبي ٨٧/٣، والمحور الوجيز ٤٦٩/٢، وأورده الطبري ٥٢٦/١٠ برواية: بئيسا، شاهداً على القراءة التي سترد بعد هذه.

وقرأ فرقة: «بأس» بفتح الثلاثة والهمزة مشددة^(١).

وقرأ باقي السبعة، ونافع في رواية أبي قرة، وعاصم في رواية حفص، وأبو عبد الرحمن ومجاهد والأعرج، والأعمش في رواية، وأهل الحجاز: «بئيس» على وزن رئيس^(٢)، وخرج على أنه وصف على وزن فَعِيلٍ للمبالغة من بائس على وزن فاعلٍ، وهي قراءة أبي رجاء عن علي^(٣)، أو على أنه مصدرٌ وُصف به كالتكثير والعذير. وقال أبو الإصبع^(٤) العَدواني:

حَنَقاً عَلِيٌّ وَلَا أَرَى لِي مِنْهُمَا شِراً بئيساً^(٥)

وقرأ أهل مكة كذلك إلا أنهم كسروا الباء^(٦)، وهي لغة تميم في فَعِيلٍ حلقيّ العين يُكْسِرُونَ أوله، وسواءً أكان اسماً أم صفةً.

وقرأ الحسن والأعمش فيما زعم عِضْمَةُ: «بئيس» على وزن طَرِيمٍ وحذيم^(٧).

فهذه اثنتان وعشرون قراءةً، وضبطها بالتلخيص أنها قُرِئَتْ ثلاثيةً اللفظ ورباعيةً، فالثلاثي اسماً: بئس، وبئس، وبئس وبأس وبئس وبئس، وفعلاً:

(١) ذكر هذه القراءات جميعاً ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٤٦٩-٤٧٠، وكلها شاذةٌ عدا قراءة أبي بكر عن عاصم: «بئس» فهي أحد وجهين عن أبي بكر، والوجه الآخر كقراءة باقي السبعة التي سترد لاحقاً، أي: «بئس». ينظر السبعة ص ٢٩٦، والتيسير ص ١١٤.

(٢) المحرر الوجيز ٢/٤٦٩، وهي عن ابن كثير وأبي عمرو وحزمة والكسائي وحفص، وأبي بكر في رواية (وهو الوجه الثاني عنه) في السبعة ص ٢٩٦، والتيسير ص ١١٤.

(٣) ذكرها عن أبي رجاء ابن جني في المحتسب ١/٢٦٥، وابن عطية في المحرر ٢/٤٧٠.

(٤) كذا ذكر المصنف، ومثله في الدر المصون ٥/٤٩٧، والذي في المصادر: ذو الإصبع، سمي بذلك لأن حيةً نهشت إصبعه أو لأنه كانت له إصبع زائدة، وهو شاعر جاهلي معمر مختلف في اسمه. ينظر الشعر والشعراء ٢/٧٠٨، والأغاني ٣/٨٩، والخزانة ٥/٢٨٤.

(٥) مجاز القرآن ١/٢٣١، وتفسير الطبري ١٠/٥٢٧، والأغاني ٣/١٠٢، وتفسير الثعلبي ٣/٨٧، والمحرر الوجيز ٢/٤٦٩، وزاد المسير ٣/٢٧٨، وروايته في المصادر عدا المحرر: لي فيهم أثراً بئيساً، وفيها أيضاً: ترى، بدل: أرى. ورواية المصنف توافق ما في المحرر.

(٦) المحرر الوجيز ٢/٤٦٩.

(٧) الطَّرِيم: العسل، والسحاب الكثيف. والحذيم: القاطع. ينظر القاموس (طرم) و(حذم). والقراءة في المحرر الوجيز ٢/٤٧٠ نقلاً عن أبي حاتم السجستاني، وقال ابن عطية: وضعفها أبو حاتم.

بَيْسٍ وَبَيْسٍ وَبَيْسٍ وَبَأْسٍ وَبَأْسٍ وَبَيْسٍ، والرابعة اسمًا: بَيَّاسٍ وَبَيْتِسٍ وَبَيْسٍ وَبَيْسٍ وَبَيْسٍ وَبَيْتِسٍ وَبَيْتِسٍ وَبَائِسٍ، وفعلاً: بَأْسٍ.

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ ﴿١٦٦﴾ أي: اسْتَعَصَوْا، والعتوُّ: الاستعصاء والتأبّي في الشيء، وباقي الآية تقدّم تفسيره في «البقرة»^(١).

والظاهر أنّ العذابَ والمسخَ والهلاكَ إنما وقع بالمعتدين في السبت، والأمةُ القائلةُ: «لم تعظون قوماً» هم من فريق الناهين الناجين، وإنما سألوا إخوانهم عن علّةِ وعظّهم وهم لا يجدي فيهم شيئاً البتّة إذ الله مهلكهم أو معذبهم فيصير الوعظُ إذ ذاك كالعَبَثِ، كوَعِظِ المَكَّاسِينِ فإنهم يَسْخَرُونَ مِمَّنْ يَعِظُهُمْ، وكَثُرَ ما يُوَدِّي إلى تنكيل^(٢) الواعظ.

وعلى قولٍ مَنْ زعم أنّ الأمة القائلة: «لم تعظون» هم من العصاة، قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء، أي: تزعمون أنّ الله مهلكهم أو معذبهم، تكون هذه الأمة من الهالكين الممسوخين.

والظاهر من قوله: «فلما عتوا» أنهم أولاً أخذوا بالعذاب حين نسوا ما ذكروا به، ثم لما عتوا مسخوا، وقيل: «فلما عتوا» تكريرٌ لقوله: «فلما نسوا»، والعذابُ البئيس هو المسخ.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْبَيْعَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ ﴿١٦٧﴾ لما ذكر تعالى قبح أفعالهم واستعصاءهم، أخبر تعالى أنه حكّم عليهم بالذلّ والصغار إلى يوم القيامة.

«تأذّن»: أعلم، من الأذان وهو الإعلام، قاله الحسن وابن قتيبة^(٣)، واختاره الزجاج وأبو عليّ^(٤).

(١) الآية (٦٥) منها.

(٢) في النسخ عدا (١د): يودي بتنكيل، والمثبت من (١د) والمطوع.

(٣) زاد المسير ٢٧٩/٣، وقول الحسن ذكره أيضاً الماوردي في النكت والعيون ٢٧٣/٢، وقول ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص ١٧٤.

(٤) قول الزجاج في معاني القرآن ٣٨٧/٢، أما قول أبي علي فلم نقف عليه، وسيرد عنه غيره قريباً.

وقال عطاء: «تَأَذَّن»: حَتَمٌ^(١).

وقال قطرب: وَعَدٌ^(٢).

وقال أبو عبيدة^(٣): أَخْبَرَ. وهو راجع لمعنى أَعْلَمَ.

وقال مجاهد: أَمَرَ، وعنه: قال^(٤).

وقيل: أَقْسَمَ، وَرُوي عن الزَّجَّاجِ^(٥).

قال الزمخشري: «تَأَذَّن»: عَزَمَ رَبُّكَ، وهو تَفَعَّلٌ من الإيذان وهو الإعلام؛ لأن العازم على الأمر يحدثُ به نفسه ويؤذنها بفعله، وأَجْرِي مُجْرَى فعل القسم ك: عَلِمَ الله، وشَهِدَ الله، ولذلك أُجِيبَ بما يُجاب به القسم، وهو قوله: «ليبعثن»، والمعنى: وإذ حَتَمَ رَبُّكَ وكتب على نفسه^(٦).

وقال ابن عطية: بنية «تَأَذَّن» هي التي تقتضي التَكْسِبَ من أَدَنَ، أي: عَلِمَ وَمَكَّنَ، فإذا كان مُسْنَدًا إلى غير الله لِحَقِّه معنى التَكْسِبِ الذي يَلْحَقُ المُحَدِّثِينَ، وإلى الله كان بمعنى عَلِمَ، صفة لا مكتسبة بل قائمة بالذات، فالمعنى: وإذ عَلِمَ الله ليعبثن، وتقتضي قوة الكلام أن ذلك العلم منه مقترن بإنفاذ وإمضاء، كما تقول في أمرٍ قد عزمت عليه غاية العزم: عَلِمَ اللهُ لأبعثن كذا، نحا إليه أبو علي الفارسي، وقال الطبري وغيره: تَأَذَّنَ معناه: أَعْلَمَ. وهو قَلْبٌ من جهة التصريف؛ إذ نسبة «تَأَذَّن» إلى الفاعل غير نسبة أَعْلَمَ، وبين ذلك فَرْقٌ من التعدي وغيره^(٧). انتهى، وفيه بعض اختصار.

وقال أبو سليمان الدمشقي: أي: أَعْلَمَ أنبياء بني إسرائيل^(٨).

(١) تفسير الثعلبي ٨٨/٣، وزاد المسير ٢٧٩/٣.

(٢) المصدران السابقان.

(٣) كذا في النسخ، والذي في تفسير الثعلبي ٨٨/٣: أبو عبيد.

(٤) أخرج القولين الطبري ١٠/٥٣٠.

(٥) في معاني القرآن ٢/٣٨٧، ولفظه: تَأَلَّى، وهو بمعنى أقسم.

(٦) الكشاف ٢/١٢٧.

(٧) المحرر الوجيز ٢/٤٧١، وقول الطبري في تفسيره ١٠/٥٢٩.

(٨) زاد المسير ٢٧٩/٣.

«لَيَبْعَثَنَّ»: لَيُرْسِلَنَّ وِلْيَسْلُطَنَّ، كقولهِ: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾ [الإسراء: ٥].
والضمير في «عليهم» عائذٌ على اليهود، قاله الجمهور أو عليهم وعلى
النصارى، قاله مجاهد^(١).

وقيل: نسل الممسوخين والذين بقوا منهم.

وقيل: اليهود الذين كانوا في زمان الرسول ودعاهم إلى شريعته.

وقيل: يهود خيبر وقريظة والنضير. وعلى هذا ترتب الخلاف فيمن يسومهم:

فقيل: بختنصر ومن أذلهم بعده إلى يوم القيامة.

وقيل المجوس، كانت اليهود تؤدّي الجزية إليهم إلى أن بعث الله محمداً ﷺ
فضربها عليهم، ولا تزال مضروبةً عليهم إلى آخر الدهر.

وقيل: العرب، كانوا يجبّون الخراج من اليهود؛ قاله ابن جبير.

وقال السدي: بعث الله عليهم العرب يأخذون منهم الجزية ويقتلونهم.

وقال ابن عباس: المبعوث عليهم محمداً ﷺ وأمه^(٢).

ولم يجب الخراج نبيّ قطّ إلا موسى، جبّاه ثلاث عشرة سنة ثم أمسك
للنبيّ ﷺ^(٣).

و«سوء العذاب»: الجزية، أو: الجزية والمسكنة، وكلاهما عن ابن عباس^(٤).

أو: القتال حتى يسلموا أو يؤدّوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

وقيل: الإخراج والإبعاد عن الوطن، وذلك على قول من قال: إن الضمير في

«عليهم» عائذٌ على أهل خيبر وقريظة والنضير.

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرج هذه الأقوال الطبري ١٠/٥٣٠-٥٣٢، وذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ٣/٢٧٩،
وقول سعيد بن جبّير جاء عند الطبري بلفظ: هم أهل الكتاب بعث الله عليهم العرب
يجبّونهم. والكلام الذي سيرد لاحقاً هو قطعة من هذا الخبر كما في المصدرين المذكورين.

(٣) قوله: للنبي، كذا في النسخ، والذي في زاد المسير: إلى النبي، وعند الطبري: وإلا النبي -
عطفاً على «إلا موسى» - وكلاهما أوضح من عبارة المصنف.

(٤) تفسير الطبري ١٠/٥٣٠-٥٣١، وزاد المسير ٣/٢٧٩.

وهذه الآية تدلُّ على أن لا دولة لليهود ولا عزَّ، وأنَّ الذلَّ والصَّغارَ فيهم لا يفارقُهم، ولمَّا كان خبيرًا في زمانِ الرسول عليه السلام وشاهدنا الأمرَ كذلك، كان خبيرًا عن مُغيَّبٍ صدقًا، فكان مُعجِزًا.

وأما ما جاء في أتباع الدجال أنهم هم اليهود^(١)، فتسمية بما كانوا عليه؛ إذ هم في ذلك الوقت دانوا بالهيئة الدجال، فلا تعارض بين هذا الخبر - إن صحَّ - والآية. وفي كتاب ابن عطية: ولقد حدثت أنَّ طائفةً من الروم أملكث في صُفْعها فباعت اليهودَ المجاورةَ لهم وتملَّكُوهم^(٢).

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ إخبارٌ يتضمَّن سرعةَ إيقاعِ العذابِ بهم.

﴿وإِنَّهُ لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٦﴾ تَرْجِيَةٌ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ، ووعدٌ لمن تاب وأصلح.

﴿وَقَطَّعْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ الَّذِينَ صَلَّحُوا وَوَيْتَهُمْ ذَلِكَ﴾ أي: فرقًا متباينين في أقطار الأرض، فقلَّ أرضٌ لا يكون فيها منهم شرذمة، وهذا حالهم، وهم في كلِّ مكانٍ تحت الصَّغارِ والذَّلَّةِ سواءً أكان أهلُ تلك الأرض مسلمين أم كفارًا.

و«أُمَّمًا» حالٌ، وقال الحوفيُّ: مفعولٌ ثانٍ، وتقدَّم قوله هذا في: ﴿وَقَطَّعْنَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ [الآية: ١٦].

و«الصالِحون»: مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بَعِيسَى وَمُحَمَّدٌ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، أو: مَنْ آمَنَ بِالْمَدِينَةِ. ومنهم منحطون عن الصالحين وهم الكفرة، و«ذلك» إشارةٌ إلى الصلاح، أي: ومنهم قومٌ دون أهل الصلاح؛ لأنه لا يعتدُّ التقسيم إلا على هذا التقدير من حذفٍ مضافٍ، أو يكون «ذلك» المعنيُّ به: أولئك، فكأنه قال: ومنهم قومٌ دون أولئك، وقد ذكَّر النَّحْوِيُّونَ أن اسم الإشارة المفردة قد يُستعمل للمثنى والمجموع،

(١) ينظر حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه عند أحمد (١٤٩٥٤)، وحديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه عند أحمد أيضاً (١٧٩٠٠)، وحديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عند ابن ماجه (٤٠٧٧)، وحديث ابن عمر رضي الله عنه عند أحمد (٥٣٥٣)، وفي جميعها إشارة إلى أتباع اليهود للدجال، وحديث جابر قال عنه محققو المسند: إسناده على شرط مسلم.

(٢) المحرر الوجيز ٤٧١/٢.

فيكون «ذلك» بمعنى «أولئك» على هذه اللغة وَيَعْتَدِلُ التقسيم.

و«الصالحون» و«دون ذلك» ألفاظٌ محتملة، فإن أُريدَ بالصَّلاحَ الإيمانُ ف«دون ذلك» يرادُ به الكفار، وإن أُريدَ بالصَّلاحَ العبادةُ والخيرُ وتوابعُ الإيمانِ كان «دون ذلك» في مؤمنين لم يَبْلُغُوا رتبةَ الصَّلاحِ الذي لأولئك.

والظاهرُ الاحتمالُ الأوَّلُ - لقوله: «لعلهم يرجعون» إذ ظاهرُ: «وبلوناهم» أنهم القومُ الذين هم دون أولئك - وهو مَنْ ثبت على اليهودية وخرج من الإيمان.

و«دون ذلك» ظرفُ أصله للمكان، ثم يُستعمل للانحطاط في المرتبة.

وقال ابن عطية: فإن أُريدَ بالصَّلاحَ الإيمانُ ف«دون» بمعنى «غير» يراد بها الكفرة^(١). انتهى.

فإن أراد أن «دون» تُرادفُ غيرًا فهذا ليس بصحيح، وإن أراد أنه يلزمُ ممن كان دون شيءٍ أن يكون غيرًا فصحيح.

و«دون» ظرفٌ في موضع رفعٍ نعتٍ لمنعوتٍ محذوفٍ، ويجوزُ في التفصيلِ بـ«من» حذفُ الموصوفِ وإقامةُ صفته مُقامه نحو هذا، ومنه قولهم: مِنَّا ظَعَنَ وَمِنَّا أَقَامَ.

﴿وَيَكُونُهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ أي: بالصحة والرخاء والسَّعة، والسيئاتِ مقابلاتها.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلى الطاعة، ويتوبون عن المعصية.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ أي: حَدَثَ من بعد المذكورين خَلْفٌ، قال الزجاج: يقال للقرن الذي يجيء بعد القرن: خَلْفٌ^(٢).

وقال الفراء: الخَلْفُ: القرنُ، والخَلْفُ مَنْ اسْتَخْلَفْتَهُ^(٣).

(١) المصدر السابق.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣٨٨/٢.

(٣) معاني القرآن للفراء ٣٩٩/١.

وقال ثعلب: الناسُ كلُّهم يقولون: «خَلَفْتُ صِدْقِي» للصالح، و«خَلَفْتُ سَوْءِي» للطالح، ومنه قولُ الشاعر:

ذهبَ الذين يُعاشُ في أكنافهم وبقيتُ في خَلْفِ كجِلْدِ الأَجْرِبِ^(١)
والمَثَلُ: سَكَتَ أَلْفًا ونطقَ خَلْفًا^(٢)، أي: سَكَتَ طويلاً ثم تكَلَّمَ بكلامٍ فاسدٍ.

وعن الفراء: الخَلْفُ يُدْهَبُ به إلى الذمِّ، والخَلْفُ صالحٌ^(٣)، وقال الشاعر:
خَلَفْتُ خَلْفًا ولم تَدْعُ خَلْفًا ليتَ بهم كان لا بك التَّلْفَا^(٤)
وقد يكون في الرديء: خَلَفَ، وعليه قوله:

أَلَا ذَلِكَ الخَلْفُ الأَعْوُرُ^(٥)

وفي الصالح: خَلَفَ، وعلى هذا بيتُ حسان:
لنا القَدْمُ الأولى عليهم وخَلَفْنَا لأولنا في طاعة الله تابعٌ^(٦)
وقال ابن السكيت: يقال: هذا خَلَفُ صِدْقِي، وهذا خَلْفُ سَوْءِي، ويجوز:
هؤلاء خَلَفُ صِدْقِي وهؤلاء خَلَفُ سَوْءِي، واحدهُ وجَمْعُهُ سَوْءٌ، وقال الشاعر:

إِنَّا وَجَدْنَا خَلْفًا بئس الخَلْفُ

عبدًا إذا ما ناء بالجِملِ وَقَفَ^(٧)

- (١) البيت للبيد، وهو في ديوانه ص ١٥٣، وأورده مع قول ثعلب الرازي ٤٣/١٥.
- (٢) الأمثال لأبي عبيد ص ٥٥، وجمهرة الأمثال ٥٠٩/١، ومجمع الأمثال ٣٣٠/١.
- (٣) معاني القرآن للفراء ١٧٠/٢، وفيه: ... والخلف: الصالح.
- (٤) البيت في درة الغواص ص ٢١٥، والنكت والعيون ٢٧٤/٢، والدر المصون ٥٠٣/٥. ووقع في (١د) و(١ز): خُلِفْتُ، والمثبت من باقي النسخ والمصادر، وهو الصواب.
- (٥) وصدرة: تزوّجَت داودَ مختارةً، والبيت أورده صاحب الأغاني ٣٥٨/٣ لموسى بن يسار المعروف بموسى شهورات، يخاطب فاطمة بنت عبد الملك، وكانت قد تزوجت بعد عمر بن عبد العزيز بدادود بن سليمان بن مروان، وكان قبيح الوجه.
- (٦) ديوان حسان ص ٣١٠.
- (٧) أنشده الرياشي لأعرابي يذم رجلاً اتخذ وليمة. ينظر الكامل ١٣١١/٣، والصحاح والأساس واللسان: (خَضَفَ)، وجاء عندهم جميعاً بدل «وقف»: خَضَفَ، أي: ضَرَطَ،

انتهى، وقد جَمَعَ في الرديء بين اللغتين في هذا البيت^(١).

وقال النَّضْرُ بنُ شَمَيْلٍ: التحريك والإسكانُ معاً في القَرْنِ الرديء، وأمَّا الصالح فبالتحريك لا غير^(٢). وأكثرُ أهل اللغة على هذا إلا الفراءُ وأبا عبيدة، فإنهما أجازا الإسكان في الصالح^(٣).

والخَلْفُ إمَّا مصدرُ «خَلَفَ» ولذلك لا يُثَنَّى ولا يُجْمَع ولا يؤنَّث وإن ثُنِّي وُجِمِعَ وأنَّث ما قبله، وإمَّا جمعُ خَالِفٍ ك: راكب وركب، و: شارب وشرب، قاله ابن الأنباري^(٤). وليس بشيء؛ لجريانه على المفرد، واسمُ الجمع لا يجري على المفرد.

قال ابن عباسٍ وابنُ زيد هنا: هم اليهود^(٥).

قال الزمخشري: وهم الذين كانوا في زمان رسول الله ﷺ، «وَرِثُوا الكتاب»: التوراة، بقيت في أيديهم بعد سَلَفِهِمْ يقرؤونها ويَقِفُونَ على ما فيها من الأوامر والنواهي والتحريم والتحليل ولا يعملون بها^(٦).

وقال الطبري: هم أبناء اليهود^(٧).

وعن مجاهد: أنهم النصارى. وعنه: أنهم هؤلاء الأمة^(٨).

= وهو برواية المصنف في تفسير القرطبي ٣٧١/٩. وكلام ابن السكيت دون الرجز في إصلاح المنطق ص ١٤.

(١) لم يتوجه لي هذا الجمع في رواية المصنف، وهي الموافقة للمصادر، لكن أورده السمين في الدر ٥٠٣/٥ برواية إنا وجدنا خَلْفَنَا...، فعلى هذه الرواية يستقيم كلام المصنف، يدل على هذا قول السمين إثرها: «فاستعمل الساكن والمتحرك في الرديء». لكن لم أقف على هذه الرواية عند غير السمين.

(٢) تفسير البغوي ٢/٢١٠، وقوله: القرن، تحرف في المطبوع إلى القرآن.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/١٧٠، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٢٣٢.

(٤) زاد المسير ٣/٢٨٠-٢٨١.

(٥) المصدر السابق.

(٦) الكشاف ٢/١٢٧-١٢٨.

(٧) تفسير الطبري ١٠/٥٣٥ بنحوه.

(٨) القولان في زاد المسير ٣/٢٨٠، والأول أخرجه الطبري ١٠/٥٣٥.

وقرأ الحسن: «وَرثُوا» بضم الواو وتشديد الراء^(١).

وعلى الأقوال يتخرَّج «الكتاب»: أهو التوراة، أو الإنجيل، أو القرآن؟

و«عَرَضَ هذا الأدنى» هو ما يأخذونه من الرُّشا والمكاسِبِ الخبيثة، والعَرَضُ ما يَعْرضُ ولا يَبْتُئُ، وفي قوله: «عَرَضَ هذا الأدنى» تخسيسٌ لما يأخذونه وتحقيرٌ له، وأنهم مع عِلْمِهِم بما في كتابهم من الوعيد على المعاصي يُقَدِّمون لأجل العامَّة على تبديل الكتاب وتحريفه، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتُوا بِهِ، ثُمَّ قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٧٩].

و«الأدنى» من الدُّنُو وهو القُرْبُ؛ لأنَّ ذلك قريبٌ منقُصٌ زائلٌ، قال الزمخشريُّ: وإمَّا من دنوِّ الحال وسقوطها وقلَّتْها^(٢).

ويقولون سَيُغْفَرُ لنا» قَطَعَ على الله بغفران معاصيهم، أي: لا يواخِذنا الله بذلك، والمناسبُ إذ ورثوا الكتاب أن يَعمَلوا بما فيه، وأنه إن قُضِيَ عليهم بالمعصية أن لا يَجْزِموا بالمغفرة وهم مصرُّون على ارتكابها، و«لنا» في موضع المفعول الذي لم يسمَّ فاعله، وقيل: ضميرُ مصدر «يأخذون»^(٣)، أي: سيُغْفَرُ هو - أي: الأخذ - لنا.

﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ الظاهرُ أنَّ هذا استئنافٌ إخبارٌ عنهم بأنهم أكثروا في المعاصي، أي: وإن أمكنتهم الرُّشا والمكاسِبُ الخبيثة لم يتوقَّفوا عن أخذها ثانيةً ودائمًا، فهم مصرُّون على المعاصي غيرُ مكترئين بالوعيد كما جاء: «والفاجرُ من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله»^(٤) والعَرَضُ بفتح الراء: متاع الدنيا؛ قاله أبو عبيدة^(٥)، يقال: «إنَّ الدنيا عَرَضٌ حاضرٌ يأخذ منها البرُّ

(١) القراءات الشاذة ص ٤٧، والمحرر الوجيز ٢/٤٧٢.

(٢) الكشاف ٢/١٢٨.

(٣) أي: المفعول الذي لم يسم فاعله هو ضمير مصدر «يأخذون».

(٤) أخرجه أحمد (١٧١٢٣)، والترمذي (٢٤٥٩) وحسنه، وابن ماجه (٤٢٦٠) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه، وأوله: «الكيسُ من دانَ نفسه...»، وفي إسناده أبو بكر بن أبي مريم، قال عنه الحافظ في التقريب: ضعيف، وكان قد سُرِق بيته فاختلط.

(٥) مجاز القرآن ١/٢٥٠.

والفاجر»^(١). والعَرَضُ بسكون الراء: الدراهم والدنانيرُ التي هي رؤوسُ الأموال وقيَمُ المُتَلَفَاتِ.

قال السُّدِّي: كانوا يُعَيِّرُونَ القاضي فإذا وُلِّي المعيرَ اَزْتَشَى^(٢).

وقيل: كانوا لو أتاهم من الحَنْتَمِ^(٣) الأَجْرُ^(٤) رشوةً أخذوها ونَقَضُوا بالرشوة الثانية ما قَضَوْا بالرشوة الأولى. وقال الشاعر:

إذا ما صُبَّ في القنديلِ زيتٌ تحوَّلت القضيةُ للمُقنِديلِ^(٥)
وقال آخر:

لم يَفْتَحِ الناسُ أبوابًا ولا عَرَفُوا أجدى وأنجحَ في الحاجاتِ من طَبِقِ
إذا تعمَّمَ بالمنديلِ في طبقِ لم يَخْشَ نَبْوةَ بؤابٍ ولا عَلَقِ^(٦)

ولهذه الأُمَّة من هذه الآية نصيبٌ وافرٌ، قال رسول الله ﷺ: «لَتَسْلُكُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ»^(٧)، وَمَنْ اخْتَبَرَ حَالَ عِلْمَائِهَا قُضَايَها^(٨) وَمُفْتِيَّها شاهِدًا بِالْعِيَانِ ما أَخْبَرَ به الصادق.

(١) قطعة من حديث أخرجه الطبراني في الكبير (٧١٥٨) عن شداد بن أوس رضي الله عنه، وفي إسناده أبو مهدي سعيد بن سنان، قال الذهبي في الميزان ١٣٧/٢ وقد أورد له جملة أحاديث منها هذا الحديث: ولأبي مهدي أحاديث كثيرة منها هذا الحديث، وهو بين الضعف.

(٢) أخرجه بنحوه الطبري ٥٣٨/١٠.

(٣) في (١د) والمطبوع: الخصم، وهو تحريف. والحنتم: الجرة، وقيل: الجرار الخضر، وقيل: جرازٌ كانت تعمل من طين وشعر ودم. فتح الباري ١٣٤/١. وفي اللسان (حنتم): الحنتم جرار خضر تضرب إلى الحمرة.

(٤) قوله: الأجر، من (١د) و(ع)، وجاء في باقي النسخ والمطبوع: الأجر. والآجر: طبيخ الطين. اللسان (أجر).

(٥) أورده الراغب في محاضرات الأدباء ٢٠٨/١ من قول أحد القضاة.

(٦) البيتان في عيون الأخبار ١٢٣/٣، والمثل السائر ٣٣٥/١، وبغية الطلب ١٧٩٤/٤، وقد عزاها مؤلفه لأبي العتاهية عن أبيه، والرواية في هذه المصادر:

ما من صديقٍ وإن تَمَّت صداقته يوماً بأنجحَ في الحاجاتِ من طَبِقِ

إذا تَلَسَّم بالمنديلِ منطلقًا لم يَخْشَ نَبْوةَ بؤابٍ ولا عَلَقِ

(٧) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ولفظه: «لَتَبْعُنَّ سَنَنَ...».

(٨) في (أ) و(١د) و(ع) والمطبوع: وقضاتها.

وقال الزمخشري: الواو للحال - يعني في «وإن يأتهم» - أي: يرجون المغفرة وهم مصرّون عائدون إلى مثل قولهم غير تائبين، وغفران الذنوب لا يصح إلا بالتوبة، والمُصِرُّ لا غفران له^(١). انتهى.

وحَمَلَه على جعل الواو للحال لا للعطف مذهب الاعتزال، والظاهر ما قدّمناه، ولا يُرَدُّ عليه بأن جملة الشرط لا تقع حالاً؛ لأن ذلك جائز.

﴿الَّذِي يُؤْخَذُ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ هذا توبيخٌ وتقريرٌ وتقريرٌ لما تضمنه الكتاب من أخذ الميثاق: أنهم لا يكذبون على الله. قال ابن زيد: كان يأتهم المحقق برشوة فيخرجون له كتاب الله ويحكمون له به، فإذا جاء المبتطل أخذوا منه الرشوة وأخرجوا كتابهم الذي كتبه بأيديهم وحكموا له^(٢).

وأضيف الميثاق إلى «الكتاب» لأنه ذُكر فيه: «أن لا يقولوا على الله إلا الحق»، و: «أن لا يقولوا على الله إلا الحق» قال بعضهم: هو قولهم: «سيعفّر لنا». ولا يتعين ذلك، بل هو أعم من هذا القول وغيره، فيندرج فيه الجزم بالغفران وغيره.

و«أن لا يقولوا» في موضع رفع على البدل من «ميثاق الكتاب»، وقال الزمخشري^(٣): هو عطف بيان لـ«ميثاق الكتاب»، ومعناه: الميثاق المذكور في الكتاب، وفيه أن إثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب، وافتراء على الله تعالى، وتقوُّل ما ليس بحق عليه، وإن فسّر «ميثاق الكتاب» بما تقدّم ذكره كان «أن لا يقولوا» مفعولاً له، ومعناه: لئلا يقولوا، ويجوز أن تكون مفسرة «ولا يقولوا» نهياً، كأنه قيل: ألم يقل لهم: لا تقولوا على الله إلا الحق.

وقال أيضاً قبل ذلك: «ميثاق الكتاب» يعني قوله في التوراة: مَنْ ارْتَكَبَ ذَنْبًا عَظِيمًا فَإِنَّهُ لَا يُغْفَرُ لَهُ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ، «ودرسوا ما فيه» أي: ما في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب، والذي عليه هوى المُجْبِرِ^(٤) هو مذهب اليهود بعينه

(١) الكشاف ١٢٨/٢.

(٢) تفسير الطبري ٥٣٦/١٠، وتفسير القرطبي ٣٧٣/٩، والكلام منه.

(٣) في الكشاف ١٢٨/٢.

(٤) في الكشاف: والذي عليه المجبر.

كما ترى، وقال مالك بن دينار رحمه الله: يأتي على الناس زمانٌ إن قَصَرُوا عَمَّا أُمِرُوا به قالوا: سَيُغْفَرُ لَنَا؛ لم^(١) نُشْرِكْ بالله تعالى شيئًا، كلُّ أمرهم على الطمع، خيارهم فيه^(٢) المُدَاهَنَةُ، فهؤلاء من هذه الأُمَّة أشباهُ الذين ذكَّروهم الله تعالى، وتلا الآية. انتهى، وهو على طريقة المعتزلة.

وقوله: «إلا الحقَّ» دليلٌ على أنهم كانوا يقولون الباطلَ على تناوُلهم عَرَضَ الدنيا.

و«دَرَسُوا» معطوفٌ على قوله: «ألم يؤخِّدْ»، وفي ذلك أعظمُ توبيخٍ وتقريع، وهو أنهم كرَّروا على ما في الكتاب، وعَرَفُوا ما فيه المعرفةَ التامةَ من الوعيدِ على قول الباطل والافتراءِ على الله، وهذا العطفُ على التقرير؛ لأنَّ معناه: قد أُخِذَ عليهم ميثاقُ الكتابِ ودَرَسُوا ما فيه، كقوله: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ﴾ [الشعراء: ١٨] معناه: قد رَبَّيْنَاكَ وَلَبِثْتَ.

وقال الطبريُّ وغيره: هو معطوفٌ على قوله: «ورثوا الكتاب»^(٣). وفيه بُعْدٌ.

وقيل: هو على إضمارٍ «قد»، أي: وقد دَرَسُوا ما فيه.

وكونه معطوفًا على التقرير هو الظاهر؛ لأنَّ فيه معنى إقامةِ الحُجَّةِ عليهم في أخذِ ميثاقِ الكتاب، بكونهم حَفِظُوا لَفْظَهُ وكرَّروه وما نَسُوهُ وفهموا معناه، وهم مع ذلك لا يقولون إلا الباطل.

وقرأ الجَحْدَرِيُّ: «أَنْ لَا تَقُولُوا» بناءً الخطاب، وقرأ عليٌّ والسُّلَمِيُّ: «وَأَدَارَسُوا»^(٤) وأصله: وتَدَارَسُوا، كقوله: ﴿فَأَدَّرْتُمُ﴾ [البقرة: ٧٢] أي: تَدَارَأْتُمْ، وقد مرَّ تقريره في العربية. وهذه القراءةُ توضحُ أنَّ معنى «ودَرَسُوا ما فيه» هو التكرارُ لقراءته والوقوفُ عليه، وأنَّ تأويلَ مَنْ تَأَوَّلَ «ودَرَسُوا ما فيه» أن معناه: ومَحَّوهُ بترك العمل والفهم له، من قولهم: دَرَسَتِ الرِّيحُ الأَثَارَ: إذا محَّتها^(٥)، فيه بُعْدٌ، ولو

(١) في (أ) و(١د) و(ع) والمطبوع: لن. وجاء في الكشاف: لأنَّا لم.

(٢) في الكشاف: فيهم.

(٣) تفسير الطبري ١٠/٥٤٠، والمحرر الوجيز ٢/٤٧٣، والكلام منه.

(٤) القراءتان في القراءات الشاذة ص ٤٧، والمحرر الوجيز ٢/٤٧٢-٤٧٣.

(٥) ذكره القرطبي ٩/٣٧٣ عن بعض العلماء.

كان كما قيل لقيط: رَبْعٌ مدروسٌ، و: حَظٌّ مدروسٌ، وإنما قالوا: ربْعٌ دارِسٌ، و: حَظٌّ دارِسٌ، بمعنى: دائر.

﴿وَالَّذَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٦٩) أي: ولثواب دار الآخرة خيرٌ من تلك الرشوة الخبيثة الخسيسة المُعَقِّبَةِ خزي الدنيا والآخرة، ومعنى «يتقون»: [يتقون] محارم الله تعالى.

وقرأ أبو عمرو وأهل مكة: «يعقلون» بالياء^(١) جرياً على الغيبة في الضمائر السابقة، وقرأ الجمهورُ بالخطاب على طريق الالتفات إليهم، وعلى طريق خطاب هذه الأمة، كأنه قيل: أفلا تعقلون حال هؤلاء وما هم عليه من سوء العمل، وتتعجبون من تماديهم^(٢) على ذلك.

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصَلِّينَ﴾ (١٧٠) الظاهرُ أنَّ «الكتاب» هو السابقُ ذُكِرْهُ فِي «ورثوا الكتاب»، فيجيءُ الخلافُ فيه كالخلاف في ذلك، وهو مبنيٌّ على المراد بقوله: «خَلَّفَ وَرِثُوا».

وقيل: «الكتاب» هنا للجنس، أي: الكتب الإلهية.

والتمسُّكُ بالكتاب يستلزمُ إقامة الصلاة، لكنها أُفِرِدَتْ بِالذِّكْرِ تعظيماً لشأنها لأنها عمادُ الدِّينِ: «بين العبد وبين الشُّرك، تركُ الصلاة»^(٣).

وقرأ عمر وأبو العالية وأبو بكرٍ عن عاصم: «يُمَسِّكُونَ» من أَمَسَكَ^(٤)، والجمهورُ: «يُمَسِّكُونَ» مشدداً من مَسَّكَ، وهما لغتان جَمَعَ بينهما كعب بنُ زهير فقال:

فما تُمَسِّكُ بالعهد الذي زعمت إلا كما تُمَسِّكُ الماء الغرابيل^(٥)

(١) السبعة ص ٢٥٦، والتيسير ص ١٠٢ عن أبي عمرو وابن كثير وحمزة والكسائي وشعبة، وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء.

(٢) في (أ) و(د) و(ع): عادتهم، وفي المطبوع: تجارثهم.

(٣) أخرجه أحمد (١٤٩٧٩)، ومسلم (٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) المحرر الوجيز ٤٧٣/٢، وهي عن أبي بكر في السبعة ص ٢٩٦، والتيسير ص ١١٤.

(٥) ديوان كعب ص ٨٥. وقوله: تمسك، قال ابن هشام في شرح قصيدة بانث سعاد ص ٣٥:

وَأَمْسَكَ مَتَعْدُ؛ قال: ﴿وَيُتْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ﴾ [الحج: ٦٥] فالمفعول هنا محذوف، أي: يُتْسِكُونَ أعمالهم، أي: يَضْبِطُونَهَا، والباءُ على هذا تحتملُ الحالِيَّةَ والآلَةَ.

وَمَسَّكَ مَشَدَّدٌ بمعنى تَمَسَّكَ، والباءُ معها للآلَةِ، وفَعَّلَ تأتي بمعنى تَفَعَّلَ، نَصَّ عليه التصريفيون.

وقرأ عبد الله والأعمش: «اسْتَمْسَكُوا»، وفي حرف أبي: «تَمَسَّكُوا»^(١).

والظاهرُ أَنَّ قوله: «والذين» استثناءٌ إخباري؛ لَمَّا ذَكَرَ حَالَ مَنْ لَمْ يَسْتَمْسِكْ بالكتاب ذَكَرَ حَالَ مَنْ اسْتَمْسَكَ بِهِ، فيكون «والذين» على هذا مرفوعاً بالابتداء، وخبره الجملة بعده، كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠] إِذَا جَعَلْنَا الرابِطَ هو في «مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا»، وهو العمومُ، كذلك هذا يكونُ الرابِطُ هو العمومُ في «المصلحين».

وقال الحوفيُّ وأبو البقاء: الرابِطُ محذوفٌ تقديره: أجر الصالحين منهم^(٢).

وأجاز الحوفيُّ أيضاً أن يكون الخبر محذوفاً، و«إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ المصلحين» اعتراضٌ، والتقدير: مأجورون، أو: نَأْجُرْهُمْ. انتهى، ولا ضرورةً إلى ادِّعَاءِ الحذف.

وأجاز أبو البقاء أن يكون الرابِطُ هو «المصلحين»، وَضَعَهُ موضع المضمَر، أي: لَا نُضِيعُ أَجْرَهُمْ^(٣). انتهى، وهذا على مذهب الأَخْفَشِ، حيث أجاز الرَبِطَ بالظاهر إذا كان هو المبتدأ، فأجاز: زيدٌ قام أبو عمرو، إذا كان أبو عمرو كنيةً زيد، كأنه قال: زيدٌ قام، أي: هو.

= إما بضم التاء وكسر السين المشددة، مضارع مَسَّكَ بالتشديد، وإما بفتحها مضارع تَمَسَّكَ، والأصل: تتمسك، فحذفت إحدى التاءين، يقال: مَسَّكَ بالشئ وتمسَّكَ وأمسك واستَمَسَّكَ، بمعنى.

(١) القراءتان في تفسير الثعلبي ٩٠/٣، والكشاف ١٢٨/٢-١٢٩، والمحرر الوجيز ٤٧٣/٢، وقراءة أبي عندهم جميعاً: «مَسَّكُوا».

(٢) الإملاء ٢٨٨/١.

(٣) المصدر السابق.

وأجاز الزمخشري أن يكون «والذين» في موضع جر عطفًا على «الذين يتقون»^(١)، ولم يذكر ابن عطية غيره^(٢). والاستئناف هو الظاهر كما قلنا.



﴿وَإِذْ نَفَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أَقْبَمْتُمُوهُم بِأَن تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٢﴾ وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٣﴾ وَأَقْل عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَارِفِينَ ﴿١٧٤﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرِكهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٥﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسِهِمْ كَانُوا بِظُلْمٍ ﴿١٧٦﴾ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضِلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿١٧٧﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغٰفِلُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّن حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨١﴾ وَأُمَلِي لَهُمْ إِيَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٢﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا يَصَٰحِبُهُمْ مِن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَن عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيْهِمْ هَيِّئِمْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٤﴾ يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ نُفِّلَتْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنَّا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِن أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٥﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٦﴾

(١) الكشاف ١٢٨/٢.

(٢) المحرر الوجيز ٤٧٣/٢.

المفردات

التَّقُّ: الجذبُ بشدة، وفَسْرُهُ بعضهم بغايته وهو القلْعُ، وتقول العرب: نتقتُ الزبدةَ من فم القربة، والناثِقُ: الرَّجِمُ التي تَقْلَعُ الولدَ من الرَّجُلِ، وقال النابغة:
 لم يُحْرَمُوا حُسْنَ الغِذاءِ وأُمِّهم طَفَحَتْ عليك بناتقِ مذكّارٍ^(١)
 وفي الحديث: «عليكم بزواج الأبيكار، فإنهنَّ أنتقُ أرحامًا، وأطيبُ أفواها، وأرْضَى باليسير»^(٢).

الانسلاخ: التعرّي من الشيء حتى لا يعلّقَ به منه شيء، ومنه: انسلخت الحيّة من جلدها.

الكلب حيوانٌ معروفٌ، ويجمع في القلّة على أكلبٍ، وفي الكثرة على كِلَابٍ، وشدّوا في هذا الجمع فجمعوه بالألف والتاء، فقالوا: كِلاباتٌ. وتقدّمت هذه المادّة في ﴿مَكَلِّينَ﴾ [المائدة: ٤] وكرّرناها لزيادة فائدة.

لَهَتْ الكلبُ يَلْهَتْ بفتح الهاءين ماضيًا ومضارعًا، والمصدر: لَهْتًا ولَهْتًا بالضم^(٣): أخرج لسانه، وهي حالة له في التعب والراحة والعطش والرّي، بخلاف غيره من الحيوان فإنه لا يلهتُ إلا من إعياءٍ أو عطشٍ.

لَحَدَ وألحد لغتان، قيل: بمعنَى واحدٍ وهو العدولُ عن الحقِّ والإدخالُ فيه ما ليس منه، قاله ابن السكّيت^(٤). وقال غيره: العدولُ عن الاستقامة. والرباعيُّ أشهرُ في الاستعمال من الثلاثي، وقال الشاعر:

ليس الأميرُ بالشَّحيحِ المُلْحِدِ^(٥)

(١) ديوان النابغة ص ٦١. قوله: طفحت عليك بناتق، أي: هي نفسها ناتق، وطفحت فلانة بالأولاد، أي: فاضت وأكثرت. أساس البلاغة (طفح).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٨٦١) من طريق عبد الرحمن بن سالم بن عتبة بن عويم بن ساعدة، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ. وهو حديث ضعيف لاضطراب إسناده، وجهالة عبد الرحمن بن سالم، كما ذكر الحافظ في الإصابة ٦/٣٧٨-٣٧٩.

(٣) وذكره أيضاً السمين في الدر ٥/٥١٧، ولم أقف عليه في المعاجم، ولعله: لهاثًا بالضم. ينظر إصلاح المنطق ص ٢١٣، والصحاح واللسان والقاموس (لهث).

(٤) كما في تفسير البغوي ٢/٢١٧.

(٥) الرجز دون نسبة في الكتاب ٢/٣٧١، وقبلة: قَدْنِي من نصر الخُبَيْبِي قَدِي، وقائله حميدٌ

ومنه: لَحَدُّ القبر، وهو الميلُ إلى أحدِ شِقَيْهِ^(١)، ومن كلامهم: ما فَعَلَ الواحدُ؟ قالوا: لَحَدَهُ اللَّاحِدُ^(٢).

وقيل: ألحد بمعنى: مالَ وانحرف، ولَحَدَ بمعنى: رَكَنَ وانضوى، قاله الكسائي^(٣).

مَتْنٌ مِثْلُ: اشْتَدَّ وَقْوِي.

«أَيان» ظرفُ زمانٍ مَبْنِيٌّ لا يَتَصَرَّفُ، وأكثرُ استعماله في الاستفهام، ويليه الاسمُ مرفوعاً بالابتداء، والفعلُ المضارع لا الماضي، بخلاف «متى» فإنهما يليانه، قال تعالى: ﴿أَيَّانَ يَبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢١]، و﴿أَيَّانَ مَرَسَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧، والنازعات: ٤٢]. وقال الشاعر:

أَيَّانَ تَقْضِي حَاجَتِي أَيَّانَا أَمَا نَرَى لِفِعْلِهَا إِيَّانَا^(٤)
وَتُسْتَعْمَلُ فِي الْجِزَاءِ فَتَجْزِمُ الْمِضَارِعِينَ، وذلك قليل فيها، ولم يَحْفَظْهُ سيبويه لكن حَفَظَهُ أَصْحَابُهُ^(٥)، وأنشدوا:

إِذَا النِّعْجَةُ الْأُذْنَاءُ كَانَتْ بِقَفْرَةٍ فَأَيَّانَ مَا يَعْدِلُ بِهَا الرَّئِمُ تَنْزِلِ^(٦)

= الأرقط، كما في الإنصاف ١/١٣١، والخزانة ٥/٣٩٣، وجاء في المصادر: ليس الإمام...

(١) أي: يمال بحفره إلى جانبه، بخلاف الضريح فإنه يُحْفَرُ في وسطه. الدر المصون ٥/٥٢٢.
(٢) ورد هذا في رسالة مشهورة كتبها الأديب الشاعر الحسين بن علي بن محمد المعروف بابن قُمِّ الزَّيْبِيدِي اليماني إلى أبي حمير الصليحي اليماني بعد انفصاله عنه. ينظر معجم الأدباء ١٣٦/١٠.

(٣) كما في المحرر الوجيز ٢/٤٨١.

(٤) مجاز القرآن ١/٢٣٤، وتفسير الطبري ١٠/٦٠٦، وتفسير الشلبي ٣/١٠١، والنكت والعيون ٢/٢٨٤، والمحرر الوجيز ٢/٤٨٤، وتفسير القرطبي ٩/٤٠٥، واللسان (أبن)، وفيه: إِيَّانَ كل شيء: وقته وحينه الذي يكون فيه. وجاء في المصادر عدا المحرر: لَنُجْحِهَا، بدل: لِفِعْلِهَا.

(٥) في (١د) والمطبوع: غيره، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في الارتشاف ٤/١٨٦٥، ولم نقف على كلام سيبويه في كتابه.

(٦) البيت لأمية بن أبي عائذ، وهو في شرح أشعار الهذليين للسكري ٢/٥٢٦، ودِيوان الهذليين ٢/١٩٤. قوله: الأذناء، أي: عظمة الأذنين طويلتهما، ووقع بدلا منها في (أ) و(١د).

وقال غيره:

أَيَّانَ نُؤْمِنُكَ تَأْمَنُ غَيْرِنَا وَإِذَا لَمْ تُدْرِكِ الْأَمْنَ مِنَّا لَمْ تَزَلْ حَذِرًا^(١)
وَكَسْرُ فَتْحَةِ هَمْزِهَا لَغَةٌ سَلِيمٌ، وَهِيَ عِنْدِي حَرْفٌ بَسِيطٌ لَا مَرْكَبٌ، وَجَامِدٌ
لَا مُشْتَقٌّ.

وذكر صاحب كتاب «اللوامح» أن «أَيَّان» في الأصل كان «أي أوان» فلما كثر
دَوْرُهُ حُذِفَتِ الْهَمْزَةُ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ وَلَا عَوَظٍ، وَقُلِبَتِ الْوَاوُ يَاءً فَاجْتَمَعَتِ ثَلَاثُ
يَاءَاتٍ، فَحَذَفَتْ إِحْدَاهَا فَصَارَتْ عَلَى مَا رَأَيْتَ. انتهى.

وزعم أبو الفتح^(٢) أنه فَعْلَانٌ وَفِعْلَانٌ مُشْتَقٌّ مِنْ «أَي»، وَمَعْنَاهُ: أَيَّ وَقْتٍ،
وَ«أَيٌّ» فَعْلٌ مِنْ: أَوَيْتُ إِلَيْهِ، لِأَنَّ الْبَعْضَ أَوْ إِلَى الْكُلِّ مُتَسَانِدٌ إِلَيْهِ، وَامْتَنَعَ أَنْ يَكُونَ
فَعَالًا وَفِعَالًا مِنْ «أَيْن»؛ لِأَنَّ «أَيَّان» ظَرْفُ زَمَانٍ «وَأَيْن» ظَرْفُ مَكَانٍ، فَأَوْجَبَ ذَلِكَ
أَنْ يَكُونَ مِنْ لَفْظِ «أَي»؛ لِزِيَادَةِ النُّونِ، وَلِأَنَّ «أَيَّان» اسْتِفْهَامٌ كَمَا أَنَّ أَيًّا كَذَلِكَ.

وَالأَصْلُ عَدْمُ التَّرْكِيبِ، وَفِي أَسْمَاءِ الاسْتِفْهَامِ وَالشَّرْطِ الْجُمُودُ كَمَتَى
وَحَيْثَمَا وَأَنْتَى وَإِذَا.

رَسَا يَرَسُو: بُتَّتْ.

الْحَفْيِيُّ: الْمُسْتَقْصِي لِلشَّيْءِ الْمُهْتَبِلِ^(٣) بِهِ الْمَعْتَنِي، وَفَلَانٌ حَفْيِيٌّ بِي: بَارٌّ مُعْتَنٍ،
وَقَالَ الشَّاعِرُ:

فَلَمَّا التَّقِينَا بَيْنَ السِّيفِ بَيْنَنَا لَسَائِلَةَ عَنَا حَفْيِي سَوَالُهَا^(٤)

= (و)ع: الأدماء، وفي المطبوع: العجفاء، وفي شرح أشعار الهذليين: العيناء. وقوله:
الرئم: هو الظبي الخالص البياض، ووقع بدلًا منها في المطبوع: الريح، وفي ديوان
الهذليين: الدهر.

(١) شرح التسهيل لابن مالك ٤٤٣/٣ (القسم الذي أكمله ابنه)، وشرح الألفية لابن عقيل ٣٦٦/٢.

(٢) في المحتسب ٢٦٨/١ بنحوه.

(٣) في (أ) و(د) و(ع) والمطبوع: المحتفل. والاهتبال: الاغتنام. الصحاح (هبل).

(٤) البيت لأنيف بن زبَّان النبهاني من طيء كما في الحماسة بشرح التبريزي ٨٩/١، وجاء اسمه

في شرح المرزوقي ١٦٩/١: أنيف بن حكم، وفي منتهى الطلب ٧١/٧: أنيف بن حكيم،

ولم نقف له على ترجمة. وأورده دون نسبة ابن عطية في المحرر ٤٨٥/٢.

وقال آخر^(١):

سؤال حَفِيٍّ^(٢) عن أخيه كأنه بذُكْرته وَسنانٌ أو متوايِسُنُ
والإحفاء: الاستقصاء، ومنه: إحفاء الشارب. والحافي، أي: حَفَيْتُ قَدَمَهُ
للاستقصاء في السَّير، والحَفَّارَةُ: البرُّ واللُّطف.

* * *

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ أي: جَذَبْنَا الْجَبَلَ بِشَدَّةٍ،
و«فوقهم» حالٌ مقدَّرةٌ - فالعاملُ فيها محذوفٌ تقديره: كائنا فوقهم - إذ^(٣) حالة التثنية
لم تقارنِ الفوقية، لكنه صار فوقهم.

وقال الحَوْفِيُّ وأبو البقاء: «فوقهم» ظرفٌ ل«نتقنا»^(٤). ولا يمكنُ ذلك إلا إن
ضُمَّن «نتقنا» معنى فَعَلَ يمكنُ أن يعمل في «فوقهم»، أي: رفعنا بالنتق الجبلَ
فوقهم، فيكون كقوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ [النساء: ١٥٤].

والجملة من قوله: «كأنه ظلة» في موضع الحال، والمعنى: كأنه عليهم ظلةٌ.

والظَلَّةُ: ما أظَلَّ من سقيفةٍ أو سحابٍ، وينبغي أن يُحمل التشبيهُ على أنه بظَلَّةٍ
مخصوصةٍ؛ لأنه إذا كان كلُّ ما أظَلَّ يسمَّى ظلةً فالجبلُ فوقهم صار ظلةً، وإذا صار
ظلةً فكيف يشبهُ بظَلَّةٍ، فالمعنى والله أعلم: كأنه حالة ارتفاعه عليهم ظلةٌ من

(١) هو المعطلُّ الهذلي كما في ديوان الهذليين ٣/٤٠-٤٥، ومالك بن خالد كما في شرح
أشعار الهذليين للسكري ١/٤٤٤-٤٥٠، وفيه: ويقال: إنها للمعطل، هكذا قال أبو نصر.
وذكر البيت دون نسبة الطبري ١٠/٦١٥، وابن عطية ٢/٤٨٥.

(٢) كذا عند الطبري وابن عطية، والذي في الديوان وشرح أشعار الهذليين: سؤال الغني، وهو
الأنسب بمعنى البيت، لأن معناه كما شرحه السكري: يسأل سؤال المستغني عن أخيه
ليست له إليه حاجة، وقوله: أو متواسن، أي: مُدخِلٌ نفسه في الوَسْن من النعاس، أي:
مفعل ذلك عمداً ولا يبالي، أي: يسأل سؤال رجل قد استغنى عن أخيه فهو يتذكره. اهـ.
وهذا المعنى هو عكس المعنى المذكور في شرح الحفي.

(٣) في (١د) والمطبوع: إذ كانت.

(٤) الإملاء ١/٢٨٨.

الغمام، وهي الظلَّة التي ليست تحتها عمَدٌ، بل إمساكُها بالقدرة الإلهية وإن كانت أجرامًا، بخلافِ الظلَّة الأرضية فإنها لا تكون إلا على عمِدٍ، فلمَّا كانت هذه الظلَّة الأرضية فوقهم بلا عمِدٍ شُبِّهت بظلَّة الغمام التي ليست بعمِدٍ^(١).

وقيل: اعتاد البشرُ هذه الأجرامَ الأرضيةَ ظللاً إذا^(٢) كانت على عمِدٍ، فلمَّا كان الجبلُ مرتفعًا على غيرِ عمِدٍ قيل: «كأنه ظلَّة»، أي: كأنه على عمِدٍ.

وقرئ: «ظُلَّة» بالطاء، من أَظَلَّ عليه: إذا أشرف^(٣).

و«ظنُّوا» هنا باقيةٌ على بابها من ترجيح أحد الجائزين، وقال المفسِّرون: معناه: أيقنوا^(٤). وقال الزمخشري: علموا^(٥). وليس كذلك بل هو غلبةُ ظنٍّ مع بقاء الرجاء، إلا إن قيَّد ذلك بقيد أن لا يقبلوا^(٦) التوراة، فإنه يكون بمعنى الإيقان.

وتقدَّم ذكرُ سبب رفع الجبل فوقهم في تفسير قوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ و﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ في «البقرة»^(٧)، فأغنى عن إعادته. وقد كرَّره المفسِّرون هنا: الزمخشريُّ وابنُ عطية^(٨) وغيرُهما، وذكر الزمخشريُّ هنا عند ذكر السبب أنه: لَمَّا نَسَرَ موسى عليه السلام الألواحَ وفيها كتابُ الله تعالى، لم يَبَقْ جبلٌ ولا شجرٌ

(١) في النسخ والمطبوع عدا (١د): بظلة الغمام التي ليست بلا عمِد، والمثبت من (١د)، وهو الصواب. وجاء في (١ز) بين كلمة «الغمام» وكلمة «التي»: لاشتراكهما في كونهما بلا عمِد، لكن ضرب عليها.

(٢) في المطبوع: إذ، وسقطت الجملة من (١د)، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في المحرر الوجيز ٤٧٤/٢، والكلام منه.

(٣) الكشاف ١٢٩/٢.

(٤) ذكره عن المفسِّرين ابن عطية ٤٧٤/٢، وتعقبه بما سيذكره المصنَّف قريباً بعد كلام الزمخشري.

(٥) الكشاف ١٢٩/٢.

(٦) في (أ) و(١د) و(ع) والمطبوع: يعقلوا، وهو تحريف، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في المحرر ٤٧٤/٢، والكلام منه.

(٧) الآية: (٦٣).

(٨) ينظر الكشاف ١٢٩/٢، والمحرر الوجيز ٤٧٣/٢-٤٧٤.

ولا حجرٌ إلا اهتزَّ، فلذلك لا ترى يهودياً يقرأ التوراة إلا اهتزَّ وأنغص لها رأسه^(١). انتهى.

وقد سرت هذه النزعة إلى أولاد المسلمين فيما رأيتُ بديارِ مصرَ، تراهم في المكتب إذا قرؤوا القرآن يهتزون ويحركون رؤوسهم، وأمّا في بلادنا بالأندلس والغرب فلو^(٢) تحرك صغيرٌ عند قراءة القرآن أدبه مؤدّب المكتب، وقال له: لا تتحرك فتشبه اليهود في الدراسة.

﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٧١﴾ قرأ الأعمش: «واذكروا» بالتشديد من الأذكار. وقرأ ابن مسعود: «وتذكروا»^(٣). وقرئ: «وتذكروا» بالتشديد بمعنى: وتذكروا^(٤)، وتقدم تفسير هذه الجملة في «البقرة».

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۗ رُوِيَ فِي الْحَدِيثِ مِنْ طَرَفٍ: أَخَذَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ ذُرِّيَّتَهُ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ بِأَنَّهُمْ وَأَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، فَأَقْرَأُوا بِذَلِكَ وَالتَّزَمُوهُ^(٥).

واختلفوا في كيفية الإخراج، وهيئة المُخْرَجِ والمكان والزمان، وتقريباً هذه الأشياء محلّها ذلك الحديث والكلام عليه، وظاهرُ هذه الآية يناهض ظاهرَ ذلك الحديث، ولا تلتئم ألفاظه مع لفظ الآية^(٦)، وقد رام الجمع بين الآية والحديث جماعة بما هو متكلفٌ في التأويل.

(١) ينظر الكشاف ١٢٩/٢، والمحزر الوجيز ٤٧٤/٢.

(٢) في (ب) و(د) و(ز) و(ي): بلادنا بلاد الأندلس فلو.

(٣) الكشاف ١٢٩/٢.

(٤) قوله: «وتذكروا» بالتشديد بمعنى: وتذكروا. كذا وقع في النسخ، ولعل هناك تصحيف في الفعل الأول أو في الثاني، فقد جاء في الكشاف ١٢٩/٢، وروح المعاني ٤٤٧/٩: وقرئ: «واذكروا» بمعنى: وتذكروا. وفي الدر المصون ٥١٠-٥١١: وقرئ: «وتذكروا» بتشديد الذال والكاف، والأصل: ولتذكروا، فأدغمت التاء في الذال وحذفت لام الجر.

(٥) ينظر ما جاء من روايات بهذا المعنى في تفسير الطبري ٥٤٧/١٠-٥٦٢، والمحزر الوجيز ٤٧٤/٢، وتفسير القرطبي ٣٧٥-٣٧٨.

(٦) لعله يريد بهذه المناقاة وعدم الالتئام بين الآية وبين الأحاديث التي جاءت في تفسيرها: أن ألفاظ الآية تقتضي أن الأخذ إنما كان من بني آدم من ظهورهم، وليس لأدم ذكر فيها،

وأحسن ما تُكَلِّمُ به على هذه الآية ما فسَّره به الزمخشريُّ؛ قال: من باب التمثيل والتخييل، ومعنى ذلك أنه تعالى نَصَبَ لهم الأدلَّةَ على ربوبيته ووحدانيته، وشهدتْ بها عقولُهم وبصائرُهم التي رَغَّبها فيهم وجَعَلها مميِّزةً بين الضلالة والهدى، فكانه سبحانه أشهدهم على أنفسهم وقرَّهم وقال: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ، وكانهم قالوا: بلى أنت ربُّنا شهَدنا على أنفسنا وأقرنا لوحيدانيتك، وبابُ التمثيل واسعٌ في كلام الله تعالى ورسوله ﷺ، وفي كلام العرب، ونظيره قولُ الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] ﴿قَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آتِنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] وقوله:

إذ قالت الأنساعُ للبطنِ الحقِّ^(١)

قالت له ريح الصِّبا قرقارٍ^(٢)

ومعلومٌ أنه لا قولٌ ثمَّ وإنما هو تمثيلٌ وتصويرٌ للمعنى، «وأن تقولوا» مفعولٌ له، أي: فعلنا ذلك من نَصَبِ الأدلةِ الشاهدةِ على صحتها العقولُ كراهةً أن تقولوا يومَ القيامة: إِنَّا كُنَّا عن هذا غافلين لم نُنَبِّهْ عليه، أو كراهةً أن تقولوا إنما أشرك أبائنا من قبلُ وكنَّا ذريةً من بعدهم فافتدينا بهم، لأنَّ نَصَبَ الأدلةِ على التوحيد وما نُبِّهوا عليه قائمٌ معهم، فلا عذرَ لهم في الإعراض عنه، والإقبال على التقليد والافتداء بالآباء، كما لا عذرَ لآبائهم في الشرك وأدلةِ التوحيد منصوبةٌ لهم.

فإن قلت: بنو آدم وذريَّاتهم من هم؟

قلت: عَنَى ببني آدمَ أسلافَ اليهود الذين أشركوا بالله تعالى، حيث قالوا:

= بينما جاءت الأحاديث في تفسيرها أن أخذ الذرية كان من ظهر آدم عليه السلام، كما ذكر ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٤٧٤-٤٧٥، وكلام المصنف إلى آخر هذه الفقرة مختصر منه، وينظر تفسير الرازي ١٥/٤٦ وما بعدها، وروح المعاني ٩/٤٥٤ وما بعدها.

(١) وبعده: قَدَمًا فَاصَّتْ كَالْفَنِيْقِ الْمُحْتَقِ، وسلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَصَّتْ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

(٢) الرجز لأبي النجم العجلي، وهو في ديوانه ص ٢٠٣، والكتاب ٣/٢٧٦، والخزانة ٦/٣٠٧. قوله: قرقار، هو اسم فعل أمر من قرقر مبنياً على الكسر، وَصَفَ سحاباً هبت له ريح الصبا فألقته وهيجت رعد، فكانها قالت له: قَرُقِرْ بالرعد يا سحاب، أي: صَوِّتْ.

﴿عُرِّبَ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] وبذرِّيَاتِهِم الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ من أخلافهم المقتدين بآبائهم، والدليل على أنها في المشركين وأولادهم قوله تعالى: «أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل»، والدليل على أنها في اليهود الآيات التي عطف عليها هي والتي عطف عليها وهي على نمطها وأسلوبها، وذلك قوله: «واسألهم عن القرية» «وإذ قالت أمة منهم» «وإذ تأذّن ربك» «وإذ نتقنا الجبل فوقهم» «واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا»^(١). انتهى كلامُ الرمخشري، وهو بسطُ كلام مَنْ تقدّمه.

قال ابن عطية^(٢): قال قومٌ: الآيةُ مشيرةٌ إلى هذا التناسل^(٣) الذي في الدنيا، و«أَخَذَ» بمعنى: أَوْجَدَ، وَأَنَّ الإِشْهَادَ مِنْ^(٤) عند بلوغ المكلّف، وهو قد أُعْطِيَ الفهمَ ونُصِبَ له هذه الصنعة الدالة على الصانع، ونحا لهذا الزجاج^(٥)، وهو معنى تَحْتَمِلُهُ الألفاظ، انتهى.

والقولُ بظاهر الحديث يَطرُقُ إلى القول بالتناسخ^(٦)، فيجبُ تأويلُه.

(١) الكشاف ١٢٩/٢-١٣٠.

(٢) في المحرر الوجيز ٤٧٥/٢.

(٣) في النسخ والمطبوع: التأويل، وهو تحريف، والمثبت من المحرر.

(٤) في المحرر: هو، بدل: من.

(٥) ينظر معاني القرآن له ٣٩٠/٢.

(٦) هذه شبهة ذكرها المعتزلة الذين ينكرون أخذ الميثاق القاليّ المشار إليه في الأخبار، من أن الله تعالى أخذ من ظهر آدم ذريته وأخذ عليهم العهد فأقروا، كما سلف في بداية تفسير هذه الآية، وقالوا: إن أولئك الذر إن لم يكونوا عقلاء لم يكن أخذ الميثاق منهم، وإن كانوا عقلاء وجب أن يتذكروا تلك الحالة في هذا العالم، ولا يجوز للعاقل أن ينسى مثل هذه الواقعة العظيمة نسياناً كلياً، وبهذا الدليل يبطل التناسخ، قالوا: فإذا جَوّزتم النسيان فجوّزوا أن يقال: إنا قبل هذا البدن كنا في أبدان أخرى على سبيل التناسخ، وإن كنا لا نتذكر الآن أحوال تلك الأبدان.

وأجاب الإمام الرازي بالفرق بين الأمرين، وذلك أنا إذا كنا في أبدان أخرى وبقينا فيها سنين امتنع في مجرى العادة نسيانها، وأما أخذ الميثاق فإنما حصل بأسرع زمان، فلم يَبْغُذ حصول النسيان فيه.

ويتلخص من كلام المصنف وغيره من المفسرين في هذه الآية قولان: الأول هو الميثاق القاليّ الوارد في الأخبار، والثاني ما نقله المصنف عن الرمخشري، وأورده ابن عطية عن

ومفعولٌ أَخَذَ: «ذُرِّيَّاتِهِمْ»، قاله الحَوَفي، ويحتمل في قراءة الجميع أن يكون مفعولٌ «أَخَذَ» محذوفًا لفَهْم المعنى، و«ذُرِّيَّاتِهِمْ» بدلٌ من ضمير «ظهورهم» كما أن «من ظهورهم» بدلٌ من قوله: «بني آدم»، والمفعولُ المحذوفُ هو الميثاق، كما قال: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ١٥٤] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٨٣] وتقدير الكلام: «وإذ أخذ ربُّك» من ظهور ذُرِّيَّاتِ بني آدم ميثاقَ التوحيد وإفراجه بالعبادة، واستعار أن يكون أَخَذَ الميثاقَ من الظهر، كأنَّ الميثاقَ لصعوبته وللارتباط به والوقوفِ عنده شيءٌ ثقيلٌ يُحمل على الظهر، وهذا من تمثيل المعنى بالجِرم، «وأشهدهم على أنفسهم» بما نَصَبَ لهم من الأدلة قائلًا: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بلى».

وقرأ العريبان ونافع: «ذُرِّيَّاتِهِمْ» بالجمع، وتقدّم إعرابه، وقرأ باقي السبعة: «ذُرِّيَّتِهِمْ» مفردًا بفتح التاء^(١)، ويتعيّن أن يكون مفعولًا بـ«أَخَذَ»، وهو على حذف مضافٍ، أي: ميثاقَ ذُرِّيَّاتِهِمْ، وإنما كان أَخَذَ الميثاقَ من ذرية بني آدم لأنَّ بني آدم لصلبه لم يكن فيهم مشركٌ، وإنما حدث الإشراك في ذريتهم.

﴿شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (١٧١) أي: قال الله: شهدنا عليكم. أو قال الله والملائكة؛ قاله السُّدي^(٢). أو قالت الملائكة. أو شَهِدَ بعضهم على بعضٍ. أقوال. ومعنى «عن هذا»: عن هذا الميثاق والإقرار بالربوبية.

﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ المعنى أن الكفرة لو لم يُؤخذ عليهم عهدٌ، ولا جاءهم رسولٌ مذكّرٌ بما تضمَّنه العهدُ من توحيد الله وعبادته، لكانت لهم حجّتان: إحداهما: كُنَّا غافلين، والأخرى: كُنَّا أتباعًا

= قوم كما سلف، وأشار إلى أن الزجاج نحا إليه، وقال النيسابوري: وهذا القول الثاني غير منافٍ للقول الأول، ولا هو مطعون في نفسه. وذكر ابن عطية أنه معنى تحتمله الألفاظ، لكن يردُّ عليه ما جاء في الأخبار الواردة في تفسير الآية. ينظر المحرر الوجيز ٤٧٥/٢، وتفسير الرازي ٤٧/١٥ و٥٠-٥١، وغرائب القرآن للنيسابوري ٨١/٩-٨٢، وروح المعاني ٤٦٤-٤٦٥/٩.

(١) السبعة ص ٢٩٧-٢٩٨، والتيسير ص ١١٤.

(٢) أخرجه الطبري مطولاً ٥٦١/١٠، ومختصراً ٥٦٣/١٠-٥٦٤.

لأسلافنا، فكيف نُهْلِكُ والذنبُ إنما هو لمن طرَّقَ لنا وأضلَّنَا؟ فوعدت الشهادة لتتقطع عنهم الحججُ.

وقرأ أبو عمرو: «أن يقولوا» بالياء على الغيبة، وباقي السبعة بالتاء على الخطاب^(١).

﴿أَفَنهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُظِلُّونَ﴾ (١٧١) هذا من تمام القول الثاني، أي: كانوا السبب في شركنا؛ لتأسيسهم الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنَّة لنا، والمعنى: أنه تعالى أزال عنهم الاحتجاج بتركيب العقول فيهم وتذكيرهم ببعثة الرسل إليهم، فقطع بذلك أعدارهم.

﴿وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ﴾ أي: مثل هذا التفصيل الذي فصَّلنا فيه الآيات السابقة نفصلُ الآيات اللاحقة، فالكلُّ على نمطٍ واحدٍ في التفصيل والتوضيح لأدلة التوحيد وبراهينه ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١٧٢) عن شركهم وعبادة غير الله إلى توحيدهِ وعبادته بذلك التفصيل والتوضيح. وقرأت فرقة: «يفصل» بالياء^(٢)، أي: يفصلُ هو، أي: الله تعالى.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِيَةِ﴾ (١٧٥) أي: واتلُ على من كان حاضراً من كفار اليهود وغيرهم، ولما كان تعالى قد ذكر أخذ الميثاق على توحيدهِ تعالى وتقرير ربوبيته، وذكر إقرارهم بذلك وإشهادهم على أنفسهم، ذكر حال من آمن به ثم بعد ذلك كفر، كحال اليهود كانوا مقرين منتظرين بعثة رسول الله ﷺ لما أطلعوا عليه من كتب الله المنزلة وتبشيرها به وذكر صفاته، فلما بُعث كفروا به، فذكروا أنَّ ما صدر منهم هي طريقة لأسلافهم أتبعوها.

واختلف المفسرون في هذا الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها:

فقال عكرمة: هو كلُّ من أنسلخ من الحق بعد أن أُعطيهِ من اليهود والنصارى والحنفاء^(٣).

(١) السبعة ص ٢٩٨، والتيسير ص ١١٤.

(٢) المحرر الوجيز ٤٧٦/٢.

(٣) زاد المسير ٢٨٨/٣، وأخرجه بنحو ابن أبي حاتم ١٦١٨/٥، وروي عنه خلافه، فقد أخرج الطبري ٥٦٩/١٠ عن عكرمة قال: هو بلعام. وفي رواية: هو بلعم.

وقال عبادة بن الصّامت: هم قريشٌ أتتهم أوامرُ الله ونواهيه والمعجزاتُ فانسلخوا من الآيات ولم يقبلوها^(١).

فعلى هذين القولين يكون «الذي» مفردًا أريد به الجمع.

وقال الجمهور: هو شخصٌ معيّن؛ فقيل: هو بلعم. وقيل: هو بلعمام. وهو رجلٌ من الكنعانيين أوتي بعضَ كتب الله. وقيل: كان يعلم اسمَ الله الأعظم.

واختلف في اسم أبيه، فقال ابن مسعود: هو أبْرَه^(٢). وقال ابن عباس باعوراء^(٣). وقال مجاهد والسدي: باعرويه^(٤).

رُوي أنّ قومه طلبوا إليه أن يدعُوَ على موسى ومَن معه، فأبى وقال: كيف أدعو على مَن معه الملائكة؟ فألحُوا عليه حتى فعل^(٥).

وقد طوّل المفسرون في قصته وذكروا ما الله أعلم به.

وقيل: هو رجلٌ من علماء بني إسرائيل. قال ابن مسعود: بعثه موسى عليه السلام نحو مدين داعيًا إلى الله وإلى شريعته، وعلمه من آيات الله ما يدعو به، فكان مُجاب الدعوة، فلمّا فارق دينَ موسى سلخ الله منه الآيات^(٦).

وقيل: اسمه ناعم، كان في زمن موسى، وكان بحيث اسم بلد كان إذا نظر^(٧) رأى العرش، وكان في مجلسه اثنا عشر ألفَ محبرة للمتعلّمين يكتبون عنه، وهو أولٌ مَن صنّف كتابًا أنّه ليس للعالم صانعٌ.

(١) تفسير الثعلبي ٩٦/٣، وتفسير القرطبي ٣٨٥/٩.

(٢) تفسير الثعلبي ٦٣/٣، وأسباب النزول للواحد ص ٢٢٣، وأخرجه الطبري ٥٦٧/١٠-٥٦٨ بلفظ: ابن أبر، وفي رواية: ابن أبر، بضم الباء.

(٣) أسباب النزول للواحد ص ٢٢٣، وتفسير البغوي ٢/٢١٣، وأخرجه الطبري ٥٦٧/١٠ بلفظ: باعرا، و٥٧٣/١٠ بلفظ: باعر. وأخرجه ابن أبي حاتم ١٦١٧/٥ بلفظ: باعورة.

(٤) لم أقف عليه، وأخرج الطبري عن مجاهد قال: بلعام بن باعر.

(٥) الكشاف ٢/١٣٠، وأخرجه مطولاً الطبري ٥٧٩/١٠-٥٨١ عن سالم أبي النصر قوله، وأخرج نحوه ٥٧٥/١٠ عن ابن عباس موقوفاً.

(٦) المحرر الوجيز ٢/٤٧٦ بنحوه. وأخرجه ابن أبي حاتم ١٦١٨/٥ عن مالك بن دينار.

(٧) كذا وقعت العبارة في النسخ، والذي في تفسير القرطبي ٣٨٣/٩ (والكلام منه): وكان بحيث إذا نظر...، ولم أقف على الخبر عند غيره.

وقيل: هو رجلٌ من بني إسرائيل أُعطي ثلاثَ دعواتٍ مستجابةٍ يدعو بها في مصالح العباد، جعلها كلها لامرأته، وكانت قبيحةً، فسألته فدعا الله فجعلها جميلةً ففَرِكْتَهُ، فدعا الله عليها فصارت كلبَةً نَبَاحَةً، وكان له منها بنونٌ فتَضَرَّعُوا إليه فدعا الله فصارت إلى حالتها الأولى^(١).

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وابنُ المسيَّب وزيد بنُ أسلمَ وأبو رُوَيْقٍ: هو أمية بنُ أبي الصلتِ الثقفي، قرأ الكتبَ وعلم أنه سُبَيْعُ نَبِيِّ من العرب، ورجا أن يكون إياه، وكان يَنْظُمُ الشعرَ في الحِجَمِ والأمثال، فلَمَّا بُعِثَ الرَّسُولُ ﷺ حَسَدَهُ، ووفد على بعض الملوك، ورُوي أنه جاء يريد الإسلام، فوصل إلى بدر بعد الوقعة بيومٍ أو نحوهِ، فقال: مَنْ قَتَلَ هَؤُلَاءِ؟ فقيل: محمد. فقال: لا حاجة لي بدينٍ مَنْ قَتَلَ هَؤُلَاءِ. فارتدَّ ورجع، وقال: الآن حَلَّتْ لي الخمرُ، وكان قد حَرَّمَ الخمرَ على نفسه، فلحق بقومٍ من ملوك حمير فنادمهم حتى مات، وقَدِمَتْ أخته فارعةٌ على رسول الله ﷺ واستنشدَها من شعره، فأنشدته عدَّةَ قصائد، فقال ﷺ: «أمن شعره وكفر قلبه»، وهو الذي قال فيه تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَأَنسَخَ مِنْهَا﴾^(٢).

وقال سعيد بن المسيب أيضًا: هو أبو عامر بن النعمان بن صيفي^(٣) الراهب، سمَّاه رسولُ الله ﷺ: الفاسق، وكان ترهَّب في الجاهلية ولبس المُسْوَح، وهو الذي

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ١٦١٧/٥ من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأورده الواحدي في أسباب النزول ص ٢٢٣-٢٢٤ عن عكرمة. وقوله: ففَرِكْتَهُ، أي: أبغضته، ووقع بدلا منها في (١د) والمطبوع: فمالت إلى غيره. وسقطت من (أ) و(ع).

(٢) تنظر القصة في عرائس المجالس للشعبي ص ٢٤١-٢٤٢، وتفسير الثعلبي ٩٥/٣-٩٦، والمححر الوجيز ٤٧٧/٢، وتفسير القرطبي ٣٨٤/٩. والحديث المرفوع أخرجه باللفظ المذكور ابن عبد البر في التمهيد ٧/٤، وأخرج مسلم (٢٢٥٥) من حديث الشريد بن سويد أن النبي ﷺ قال: «فلقد كاد يُسَلَمُ من شعره».

(٣) كذا في تفسير الثعلبي ٩٦/٣، وعرائس المجالس ص ٢٤٢، ومجمع البيان ٩ (تمة)/٦٥، وقد ذكر أهل السير في اسمه أنه أبو عامر عبد عمرو - ويقال: عمرو - بن صيفي بن النعمان، وهو والد الصحابي حنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة. ينظر سيرة ابن هشام ٥٨٤-٥٨٥، وطبقات ابن خياط ص ٢٣٦، والاستيعاب ٩٢/٣، وسير أعلام النبلاء ٣/٣٢١، والإصابة ٢/٢٨٩.

بَنَى لَهُ الْمَنَافِقُونَ مَسْجِدَ الضَّرَارِ، جرت بينه وبين النبي ﷺ محاورَةٌ فقال أبو عامر: أَمَاتَ اللَّهُ الْكَاذِبَ مَنًّا طَرِيدًا وَحِيدًا، وَأرسل إلى المنافقين أن استعدُّوا بالقوة والسلاح، ثم أتى قيصرَ واستجاشه لِيُخْرِجَ الرَّسُولَ ﷺ وَأَصْحَابَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَمَاتَ بِالشَّامِ طَرِيدًا شَرِيدًا وَحِيدًا.

وقيل غيرُ هذا، والأوَّلَى في مثل هذا إذا ورد عن المفسرين أن تُحْمَلُ أَقَاوِيلُهُمْ عَلَى التَّمْثِيلِ لَا عَلَى الْحَصْرِ فِي مَعْيِنٍ، فَإِنَّهُ يُوَدِّي إِلَى الْاضْطِرَابِ وَالتَّنَاقُضِ.

والخلافُ في «آياتنا»^(١) مترتبٌ على مَنْ عُنِيَ بِ«الَّذِي آتَيْنَاهُ»: أذْكَ اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمِ، أَوْ الْآيَاتُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، أَوْ حَجْجُ التَّوْحِيدِ، أَوْ مِنْ آيَاتِ مُوسَى، أَوْ الْعِلْمُ بِمَجِيءِ الرَّسُولِ؟

والانسلاخُ من الآياتِ مبالغَةٌ في التبرِّي منها والبعدِ، أي: لَمْ يَعْمَلْ بِمَا اقْتَضَتْهُ نَعْمَتُنَا عَلَيْهِ مِنْ إِيْتَانِهِ آيَاتِنَا، جُعِلَ كَأَنَّهُ كَانَ مُلْتَبِسًا بِهَا كَالثُوبِ فَانْسَلَخَ مِنْهَا، وَهَذَا مِنْ إِجْرَاءِ الْمَعْنَى مُجْرَى الْجَزْمِ. وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ مِنَ الْمَقْلُوبِ، أَي: انْسَلَخَتْ الْآيَاتُ مِنْهُ لَا ضَرُورَةَ تَدْعُو إِلَيْهِ.

وقال سفيان: إِنَّ الرَّجُلَ لِيُذْنِبُ ذَنْبًا فَيَنْسَى بَابًا مِنَ الْعِلْمِ^(٢).

وقرأ الجمهور: «فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ» مِنْ أَتْبَعَ رِبَاعِيًّا، أَي: لَحِقَهُ وَصَارَ مَعَهُ، وَهِيَ مِبَالِغَةٌ فِي حَقِّهِ إِذْ جُعِلَ كَأَنَّهُ هُوَ إِمَامٌ لِلشَّيْطَانِ يَتَّبِعُهُ، وَكَذَلِكَ ﴿فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَائِبٌ﴾ [الصافات: ١٠] أَي: عَدَا وَرَاءَهُ. قَالَ الْقُتَيْبِيُّ: تَبِعَهُ مِنْ خَلْفِهِ، وَأَتْبَعَهُ: أَدْرَكَهُ وَلَحِقَهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ [الشعراء: ٦٠] أَي: أَدْرَكُوهُمْ^(٣).

فعلى هذا يكون متعدِّيًا إلى واحدٍ، وقد يكون «أَتْبَعَ» متعدِّيًا إلى اثنين، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعْنَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ بِإِيمَانٍ﴾^(٤) [الطور: ٢١] فيقدَّرُ هذا: فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ خَطْوَاتِهِ،

(١) في النسخ والمطبوع عدا (١د): آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا، والمثبت من (١د).

(٢) لم أفق عليه عن سفيان، وورد قطعة من حديث مرفوع أورده الديلمي في الفردوس ٣٨٣/١ عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) ينظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٧٤ و ٣١٧.

(٤) هذه قراءة أبي عمرو كما في السبعة ص ٦١٢، والتيسير ص ٢٠٣.

أي: جَعَلَهُ الشَّيْطَانُ يَتَّبِعُ خطواته، فتكون الهمزة فيه للتعدّي؛ إذ أصله: تبع هو خطوات الشيطان.

وقرأ طلحةٌ بخلافٍ، والحسنُ فيما روى عنه هارون: «فَاتَّبَعَهُ» مشدِّداً^(١) بمعنى تَبِعَهُ. قال صاحب كتاب «اللوامح»: بينهما فُرْقٌ، وهو أن «تَبِعَهُ»: إذا مشى في أثره، وأتبعه: إذا وازاه مشياً، فأما «فَاتَّبَعَهُ» بقطع الهمزة فمما يتعدّى إلى مفعولين؛ لأنه منقولٌ من «تَبِعَهُ»، وقد حُذِفَ في العامَّة أحدُ المفعولين.

وقيل: «فَاتَّبَعَهُ» بمعنى: اسْتَتَبَعَهُ، أي: جَعَلَهُ له تابِعًا فصار له مطيعًا سامعًا.

وقيل: معناه: تبعه شياطين^(٢) الإنس أهل الكفر والضلال.

«فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ» يحتمل أن تكونَ «كَانَ» باقيةً للدلالة على مضمون الجملة واقعًا في الزمان الماضي، ويحتمل أن تكون بمعنى «صار»، أي: صار من الضالين الكافرين.

قال مقاتل: من الضالين.

وقال الزجاج: من الهالكين الفاسدين^(٣).

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ أي: ولو أردنا أن نشرفه ونرفع قدره بما آتينا من الآيات لفعلنا «ولكنه أخلد إلى الأرض»، أي: تَرَامَى إلى شهوات الدنيا ورَغِبَ فيها وأتبع ما هو ناشئ عن الهوى.

وجاء الاستدراك هنا تنبيهاً على السبب الذي لأجله لم يُرْفَع ولم يُشْرَف كما فُعلَ بغيره ممن أوتي الهدى فأثره وأتبعه.

و«أَخْلَدَ» معناه: رمى بنفسه إلى الأرض، أي: إلى ما فيها من الملاذِّ والشهوات، قال معناه ابن عباسٍ ومجاهدٌ والسديُّ^(٤).

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٧٧.

(٢) في (٣) و(يه): وشياطين.

(٣) القولان في زاد المسير ٣/٢٨٩، وقول الزجاج في معاني القرآن له ٢/٣٩١.

(٤) أخرج أفوالهم الطبري ١٠/٥٨٤.

ويحتمل أن يريد بقوله: «أخلد إلى الأرض»، أي: مال إلى السَّفالة^(١) والرذالة، كما يقال: فلانٌ في الحضيض، عبارة عن انحطاطِ قَدْرِهِ بانسلاخه من الآيات، قال معناه الكرمانِيُّ.

قال أبو روق: غلب على عقله هواهُ فاخترت دنياه على آخرته^(٢).

وقال قوم معنى «لرفعناه بها»: لأخذناه، كما تقول: رُفِعَ الظالم: إذا هلك، والضمير في «بها» عائذٌ على المعصية في الانسلاخ، وابتدئٌ وصفٌ حاله بقوله: «ولكنه أخلد»^(٣).

وقال ابنُ أبي نجيح «لرفعناه»: لتوفيناها قبل أن يقع في المعصية ورفعناه عنها^(٤). والضمير للآيات، ثم ابتدئ وصف حاله.

والتفسير الأول هو الأظهر وهو مروى عن ابن عباس وجماعة^(٥)، ولم يذكر الزمخشريُّ غيره^(٦)، وهو الذي يقتضيه الاستدراك؛ لأنه على قول الإهلاك بالمعصية أو التوفي قبل الوقوع فيها لا يتضح معنى الاستدراك.

والضمير في «لرفعناه» في هذه الأقوال عائذٌ على الذي أوتي الآيات وإن اختلفوا في الضمير في «بها» على ما يعود.

وقال قوم: الضمير في «لرفعناه» عائذٌ على الكفر المفهوم ممّا سبق، وفي «بها» عائذٌ على الآيات، أي: ولو شئنا لرفعنا الكفرَ بالآيات، وهذا المعنى رُوي عن مجاهد^(٧)، وفيه بعدٌ وتكلفٌ.

قال الزمخشري: فإن قلت: كيف علّق رَفْعُهُ بمشيئة الله تعالى ولم يعلّق بفعله الذي يستحقُّ به الرفع؟ قلت: المعنى: ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها

(١) من (ب) و(د) و(٣) و(يه): السفاهة.

(٢) ذكره الثعلبي ٩٧/٣ مختصراً بلفظ: اختار الدنيا على الآخرة.

(٣) المحرر الوجيز ٤٧٨/٢، وزاد: فهي عبارة عن إمهاله وإملاء الله له.

(٤) المصدر السابق، وما بعده هو من كلام ابن عطية في شرحه لهذا القول.

(٥) المصدر السابق.

(٦) الكشاف ١٣٠/٢.

(٧) تفسير الطبري ٥٨٢/١٠-٥٨٣.

لرفعناه بها، وذلك أن مشيئة الله تعالى رفعه تابعةً للزومه الآيات، فذكر المشيئة والمراد ما هي تابعة له ومسببة عنه، كأنه قيل: ولو لزمها لرفعناه بها، ألا ترى إلى قوله: «ولكنه أخذ إلى الأرض» فاستدرك المشيئة بإخلاده الذي هو فعله، فوجب أن يكون «ولو شئنا» في معنى ما هو فعله، ولو كان الكلام على ظاهره لوجب أن يقال: ولو شئنا لرفعناه ولكننا لم نشأ^(١). انتهى، وهو على طريقة الاعتزال.

﴿فَشَلُّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ﴾ أي: فصفته إن تحمّل عليه الحكمة لم يحملها، وإن تركته لم يحملها، كصفة الكلب: إن كان مطروداً لهث، وإن كان رابضاً لهث، قاله ابن عباس^(٢).

وقيل: شبه المتهالك على الدنيا في قلقه واضطرابه على تحصيلها، ولزومه ذلك، بالكلب في حالته هذه التي هي ملازمة له حالة تهيجه وتركه، وهي كونه لا يزال لاهثاً، وهي أخس أحواله وأرذلها، كما أن هذا المتهالك على الدنيا لا يزال تبعاً قلقاً في تحصيلها.

قال الحسن: هو مثل المنافق لا يُنيب إلى الحق دُعي أو لم يُدع، أُعطي أو لم يُعط، كالكلب يلهث طرداً وتركاً^(٣). انتهى.

وفي كتاب «الحيوان»: دلت الآية على أن الكلب أخس الحيوان وأذله؛ لضرب المثل في الخسة به في أخس أحواله، ولو كان في جنس الحيوان ما هو أخس من الكلب ما ضرب المثل إلا به^(٤).

قال ابن عطية: وقال الجمهور: إنما شبه في أنه كان ضالاً قبل أن يؤتى الآيات ثم أوتيتها [فكان] أيضاً ضالاً لم تنفعه، فهو كالكلب في أنه لا يفارق اللهث في حال حمل المشقة عليه أو تركه دون حمل عليه^(٥).

(١) الكشاف ٢/١٣٠-١٣١.

(٢) أخرجه الطبري ١٠/٥٨٧، وفيه بدل «وإن تركته لم يحملها»: وإن ترك لم يهتد لخير.

(٣) تفسير الثعلبي ٣/٩٨، وفيه بدل: «أعطي أو لم يُعط»: وعط أو لم يُعط.

(٤) لم أقف عليه بهذا السياق، وينظر كتاب الحيوان ٤/٣٨.

(٥) المحرر الوجيز ٢/٤٧٨، وما بين حاصرتين منه.

وقال السدّي وغيره: هذا الرجلُ خرج لسانه على صدره وجعلَ يلهثُ كما يلهثُ الكلبُ^(١).

وقال الزمخشري^(٢): وكان حقُّ الكلام أن يقال: ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض فحفظناه ووضعنا منزلته، فوق قوله: «فمثلُه كمثل الكلب» موضع^(٣) فحفظناه أبلغَ حظًّا؛ لأن تمثيله بالكلب في أحسن أحواله وأدلّها في معنى ذلك. انتهى.

وفي قوله: وكان حقُّ الكلام... إلى آخره، سوء أدبٍ على كلام الله تعالى، وأما قولُ: فوق قوله: «فمثلُه»... إلى آخره، فليس واقعًا موقع ما ذكر، لكن قوله: «ولكنه أخلد إلى الأرض» وقع موقع: فحفظناه، إلا أنه تعالى لمَّا ذكر الإحسان إليه أسند ذلك إلى ذاته الشريفة فقال: «آتيناه آياتنا» «ولو شئنا لرفعناه بها»، ولمَّا ذكر ما هو في حقِّ الشخص إساءةً أسنده إليه فقال: «فأنسلخ منها»، وقال: «ولكنه أخلد إلى الأرض»، والله تعالى في الحقيقة هو الذي سلخه من الآيات وأخلده إلى الأرض، فجاء على حدِّ قوله: ﴿فَأَرَادْتُ أَنْ أُعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] وقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا﴾ [الكهف: ٨٢] في نسبة ما كان حسنًا إلى الله ونسبة ما كان بخلافه إلى الشخص.

وهذه الجملة الشرطية في موضع الحال، أي: لاهثًا في الحاليتين؛ قاله الزمخشريُّ وأبو البقاء^(٤).

وقال بعضُ شراح كتاب «المصباح»^(٥): وأمَّا الشرطية فلا تكاد تقع بتمامها موضع الحال، فلا يقال: جاءني زيدٌ إن يسألُ يُعط، على الحال، بل لو أريد ذلك لجعلت الجملة الشرطية خبرًا عن ضمير ما أريد الحالُ عنه، نحو: جاء زيدٌ وهو إن

(١) أخرجه بنحوه الطبري ٥٨٨/١٠.

(٢) في الكشاف ١٣١/٢.

(٣) في (١د) والمطبوع: موقع. وجاء في الكشاف: فوضع قوله: فمثلُه... موضع.

(٤) الكشاف ١٣١/٢، والإملاء ٢٨٩/١.

(٥) لعله: المصباح في النحو، لناصر الدين المطرزي النحوي المتوفى سنة (٦١٠هـ)، وعليه

شروح كثيرة. ينظر كشف الظنون ١٧٠٨/٢.

يسأل يُعْطَ، فيكون الواقعُ موقعَ الحال هو الجملة الاسمية لا الشرطية، نعم قد أوقعوا الجُمْلَ المصدَّرة بحرف الشرط موقعَ الحال ولكن بعد ما أخرجوها عن حقيقة الشرط، وتلك الجملة لم تَحُلْ من أن يُعْطَفَ عليها ما يناقِضُها أو لم يعطف؛ والأولُ تركُ الواو مستمرٌّ فيه، نحو: أَيْتُكَ إِنْ أَتَيْتَنِي وَإِنْ لَمْ تَأْتِنِي، إذ لا يَحْفَى أَنْ النقيضين من الشرطين في مِثْلِ هذا الموضع لا يبقيان على معنى الشرط، بل يتحوَّلان إلى معنى التسوية، كالأستفهامين المتناقضين في قوله: ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة: ٦، ويس: ١٠]، وأمَّا الثاني: فلا بدَّ فيه من الواو، نحو: أَيْتُكَ وَإِنْ لَمْ تَأْتِنِي، ولو ترك الواو لالتبس بالشرط حقيقةً. انتهى.

فقوله: «إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَتْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَتْ» من قبيل الأول؛ لأنَّ الحملَ عليه والتركَ نقيضان.

﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: ذلك الوصفُ وصفُ الذين كذَّبوا بآياتنا، صفتهم كصفة الكلب لاهثًا في الحالين، فكما شبَّه وصفُ المؤتى الآياتِ المنسلخِ منها بالكلب في أحسنِّ حالاته، كذلك شبَّه به المكذَّبون بالآيات حتى أُوتوها وجاءتهم واضحاتٍ تقتضي التصديقَ بها، فقابلوها بالتكذيب وأنسلخوا منها.

واحتمل «ذلك» أن يكون إشارةً لمثلِ المنسلخِ، وأن يكون إشارةً لوصف الكلب.

واحتمل أن تكونَ أداةُ التشبيه محذوفةً من «ذلك»، أي: صفةُ ذلك صفةُ الذين كذَّبوا، واحتمل أن تكونَ محذوفةً من «مثلِ القوم»، أي: ذلك الوصفُ - وصفُ المنسلخِ أو وصفُ الكلب - كمثالِ الذين كذَّبوا، ويكون أبلغُ في ذمِّ المكذِّبين حيث جعلوا أصلًا وشبَّه بهم.

قال ابن عطية: أي: هذا المثلُّ يا محمدُ مثلُ هؤلاء القوم الذين كانوا ضالِّين قبل أن تأتيهم بالهدى والرسالة، ثم جنتهم بذلك فبقوا على ضلالهم ولم ينتفعوا بذلك، فمَثَلُهم كمَثَلِ الكلب^(١).

(١) المحرر الوجيز ٤٧٨/٢.

وقال الزمخشري^(١): «كذبوا بآياتنا» من اليهود بعد ما قرؤوا نَعَتْ^(٢) رسول الله ﷺ في التوراة، وَذَكَرَ الْقُرْآنَ الْمَعْجِزَ وما فيه، وبَشَرُوا النَّاسَ باقتراب مَبْعَثِهِ، وكانوا يَسْتَفْتِحُونَ به .

وقال ابن عباس: يريد كفار مكة؛ لأنهم كانوا يتمنون هادياً يهديهم، وداعياً يَدْعُوهم إلى طاعة الله، ثم جاءهم مَنْ لا يُشْكُ في صدقه وديانته^(٣) ونُبِوتِهِ فكذَّبُوهُ، فَحَصَلَ التَّمثِيلُ بينهم وبين الكلب الذي إن تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أو تَرَكَهُ يَلْهَثُ؛ لأنهم لم يَهْتَدُوا لَمَّا تُرِكُوا ولم يَهْتَدُوا لَمَّا جَاءَهُم الرَسُولُ، فَبَقُوا على الضلال في كُلِّ الأحوال، مِثْلَ الكلب الذي يلهث على كُلِّ حالٍ. انتهى .

وَتَلَخَّصَ: أهؤلاء القومُ المكذِّبون بالآيات عامٌّ، أم خاصٌّ باليهود، أم بكفار مكة؛ أقوالٌ ثلاثة، والأظهر العموم .

﴿فَأَقْصِبْ قَلْبُكَ لِقَصَصِ الَّذِينَ يَنْفَكِرُونَ﴾^(٤) أي: فاسرُدْ أخبارَ القرون الماضية كخبر بلعام، أو مَنْ فُسرَّ به المنسلخُ؛ إذ هو من القَصَصِ الذي لا يَعْلَمُهُ إِلَّا مَنْ دَرَسَ الكِتَابَ، إذ هو من خَفِيِّ أخبارهم، ففي إخبارِكَ بذلك أعظمُ معجِزٍ، لعلهم يتفكِّرون فيما جرى على المكذِّبين فيكون ذلك عِبْرَةً لهم وراِدَعًا عن التَّكْذِيبِ، وأن يكونوا أخبارًا شنيعةً تُقْصُّ كما قُصَّ خبرُ ذلك المنسلخِ .

﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ «ساء» بمعنى: بشس، وتقدَّم لنا أن أصلها التَّعْدِي، تقول: ساءني الشيءُ يَسُوئُنِي، ثم لَمَّا اسْتَعْمِلت استعمال «بشس» بُنيت على «فَعْلٌ»، وَجَرَتْ عليها أحكامُ «بشس»^(٤)، و«مَثَلًا» تَمييزٌ لِلْمُضَمَّرِ الْمُسْتَكِنِّ في «ساء» فاعلاً، وهو مفسَّرٌ بهذا التَّمييزِ، وهو من الضمائر التي يفسَّرُها ما بعدها، ولا يثنى

(١) في الكشاف ١٣١/٢ .

(٢) في (أ) و(د) و(ع) والمطبوع: بعثته، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في الكشاف .

(٣) في (د): وأمانته، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في تفسير الرازي ٥٧/١٥، والكلام منه .

(٤) ينظر ما سلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ سَوَاءَ اللَّذَابِ﴾ [البقرة: ٤٩]، وقوله: ﴿فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٨]، وقوله: ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَرَبُّونَ﴾ [الأنعام: ٣١] .

ولا يُجْمَعُ، هذا^(١) مذهب البصريين، وعن الكوفيين خلافٌ مذكورٌ في النحو.
ولا بدُّ أن يكون المخصوصُ بالذمِّ من جنس التمييز، فاحتيج إلى تقديرٍ حذفٍ:
إمَّا في التمييز، أي: ساء أصحابُ مَثَلِ القومِ، وإمَّا في المخصوص، أي: ساء
مَثَلًا مَثَلُ القومِ.

وهذه الجملة تأكيدٌ للجملة السابقة.

وقال أبو عبد الله الرازي: ظاهره يقتضي أن يكون ذلك المَثَلُ موصوفًا بالسوء،
وذلك غيرُ جائزٍ؛ لأنَّ هذا المَثَلُ ذكره الله تعالى فكيف يكون موصوفًا بالسوء؟
فوجب أن يكون الموصوفُ بالسوء ما أفاده المَثَلُ من تكذيبهم بآيات الله وإعراضهم
عنها، حتى صاروا في التمثيل بذلك بمنزلة الكلب اللاهث^(٢). انتهى.

وليس كما ذكر، ليس هنا ضَرْبُ مَثَلٍ، والمَثَلُ لفظٌ مشتركٌ بين الوصف وبين
ما يُضْرَبُ مَثَلًا، والمراد هنا الوصفُ، فمعنى «فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكلبِ»، أي: وَضْفُهُ
وصفُ الكلبِ، وليس هذا من ضَرْبِ المَثَلِ، بل^(٣) كما قال: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي
أَسْتَوَقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧] أي: صِفَتُهُمْ كصِفَةِ الذي اسْتَوَقَدَ، وكقوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ
الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: ٣٥] أي: صِفَتُهَا، وإذا تَقَرَّرَ هذا فقوله: «ساء مَثَلًا»
معناه: بش وَضْفًا، فليس من ضَرْبِ المَثَلِ في شيءٍ.

وقرأ الحسن وعيسى بن عمر والأعمش: «ساء مَثَلُ» بالرفع «القوم»
بالخفض^(٤)، واختلَفَ على الجحدريِّ فقيل: كقراءة الأعمش، وقيل: بكسر الميم
وسكونِ التاء وضمِّ اللام مضافًا إلى «القوم»^(٥).

والأحسنُ في قراءة رفع المَثَلِ أن يُكْتَفَى به ويُجْعَلَ من باب التعجب، نحو:
لَقَضُوا الرجلُ، أي: ما أسوأ مَثَلِ القومِ.

(١) في (١د) والمطبوع: على.

(٢) تفسير الرازي ٥٨/١٥.

(٣) كلمة: بل، من (١د) والمطبوع، وليست في باقي النسخ.

(٤) القراءات الشاذة ص ٤٧ عن الجحدري والأعمش.

(٥) المحرر الوجيز ٤٧٩/٢.

ويجوز أن يكون كـ«بئس» على حذف التمييز على مذهب مَنْ يُجيزه، التقدير: ساء مثلاً^(١) مَثَلُ القوم^(٢)، أو على أن يكون المخصوصُ «الذين كذَّبوا» على حذف مضاف، أي: بئس مَثَلُ القوم مَثَلُ الذين كذَّبوا، فيكون «الذين» مرفوعاً إذا قام مقام «مَثَلُ» المحذوف^(٣)، لا مجروراً صفةً لـ«القوم» على تقدير حذف التمييز.

﴿وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾^(١٧٧) يحتملُ أن يكون معطوفاً على الصلة، ويحتملُ أن يكون استئناف إخبارٍ عنهم بأنهم كانوا يظلمون أنفسهم، والزمخشري^(٤) على طريقته في أن تقديم المفعول يدلُّ على الحصر، فقَدَّرَه: وما ظلموا إلا أنفسهم بالتكذيب، قال: وتقديم المفعول به للاختصاص^(٥)، كأنه قيل: وخصُّوا أنفسهم بالظلم لم يتعدَّ^(٦) إلى غيرها.

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِيٌّ وَمَنْ يُضِلِّلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١٧٨) لَمَّا تقدَّم ذكرُ المهتدين والضالِّين أخبر تعالى أنه هو المتصرفُ فيهم بما شاء من هدايةٍ وضلالٍ، وتقرَّرَ من مذهب أهل السنة أنه تعالى هو خالق الهداية والضلال في العبد، وللمعتزلة في هذا ونظائره تأويلاتٌ:

قال الجبائيُّ، وهو اختيارُ القاضي^(٧): مَنْ يَهْدِ اللهُ إلى الجنة والثواب في الآخرة فهو المهتدي في الدنيا، السالك طريقَ الرشد فيما كُلِّفَ فبيِّنَ أنه لا يهدي إلى الثواب في الآخرة إلا مَنْ هذا وَصَفُهُ، وَمَنْ يُضِلُّهُ عن طريق الجنة فأولئك هم الخاسرون.

(١) كلمة: مثلاً من (أ) و(زا) و(ع).

(٢) وقوله: «مَثَلُ القوم» على هذا الوجه هو المخصوص بالذم، ولم يذكر السمين هذا الوجه في نقله لكلام المصنف.

(٣) وقوله: «مَثَلُ القوم» على هذا الوجه هو الفاعل، وقد وهم السمين رحمه الله فنقل عن المصنف أنه قدَّرَ تمييزاً في هذا الوجه، وليس كما ذكر. ينظر الدر المصون ٥١٨/٥. وقد نقل الألويسي في روح المعاني ٤٨٤/٩ كلام السمين، ولم ننبه على الوهم ثمة، فليستدرك من هنا.

(٤) في الكشف ١٣١/٢.

(٥) في مطبوع الكشف: للاختصاص.

(٦) في مطبوع الكشف: يتعدها.

(٧) هو القاضي عبد الجبار المعتزلي، والكلام من تفسير الرازي ٥٨/١٥.

وقال بعضهم: في الكلام حذف، أي: مَنْ يَهْدِ اللهُ فَيَقْبَلُ وَيَهْتَدِي بِهِدَاهِ فَهُوَ الْمُهْتَدِي، وَمَنْ يُضِلُّ بِأَنْ لَمْ يَقْبَلْ فَهُوَ الْخَاسِرُ.

وقال بعضهم: المراد: مَنْ وَصَفَهُ اللهُ بِأَنَّهُ مُهْتَدٍ فَهُوَ الْمُهْتَدِي؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مَدْحٌ، وَمَدْحُ اللهِ لَا يَحْضُلُ إِلَّا فِي حَقِّ مَنْ كَانَ مَوْصُوفًا بِذَلِكَ، «وَمَنْ يُضِلُّ»، أي: وَمَنْ يَصِفُهُ بِكَوْنِهِ ضَالًّا فَهُوَ الْخَاسِرُ.

وقال بعضهم: مَنْ آتَيْنَاهُ الْأَطْفَاءَ وَزِيَادَةَ الْهَدْيِ فَهُوَ الْمُهْتَدِي، وَمَنْ يُضِلُّ عَنْ ذَلِكَ لَمَّا تَقَدَّمَ مِنْهُ بِسُوءِ اخْتِيَارِهِ فَأَخْرَجَ لِهَذَا السَّبَبِ تِلْكَ الْأَطْفَاءَ مِنْ أَنْ تَوَثَّرَ فِيهِ، فَهُوَ الْخَاسِرُ.

وهذه التأويلات كلها متكلمة بعيدة، وظاهر الآية يردُّ على القدرية والمعتزلة.
و«فَهُوَ الْمُهْتَدِي» حَمَلٌ عَلَى لَفْظِ «مَنْ»، و«فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» حَمَلٌ عَلَى مَعْنَى «مَنْ»، وَحَسَنُهُ كَوْنُهُ فَاصِلَةً رَأْسَ آيَةٍ.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ هذا إخبارٌ منه تعالى بأنه خَلَقَ لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الصَّنْفَيْنِ.

ومناسبة هذا لما قبله: أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ أَنَّهُ هُوَ الْهَادِي وَهُوَ الْمُضِلُّ أَعْقَبَهُ بِذِكْرِ مَنْ خُلِقَ لِلْخُسْرَانِ وَاللِنَارِ، وَذَكَرَ مِنْ أَوْصَافِهِمْ مَا ذَكَرَ، وَفِي ضِمْنِهِ وَعِيدُ الْكُفَّارِ، وَالْمَعْنَى: لِعَذَابِ جَهَنَّمَ، وَاللَّامُ لِلصِّيْرُورَةِ عَلَى قَوْلِ مَنْ أَثْبَتَ لَهَا هَذَا الْمَعْنَى، أَوْ لَمَّا كَانَ مَأْلُهُمْ إِلَيْهَا جُعِلَ ذَلِكَ سَبَبًا عَلَى جِهَةِ الْمَجَازِ، وَقَدْ رَدَّ ابْنُ عَطِيَّةٍ قَوْلَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهَا لِلصِّيْرُورَةِ؛ فَقَالَ: وَلَيْسَ هَذَا بِصَحِيحٍ، وَاللَّامُ الْعَاقِبَةُ إِنَّمَا يُتَّصَرُّ إِذَا كَانَ فِعْلُ الْفَاعِلِ لَمْ يَقْصِدْ بِهِ مَا يَصِيرُ الْأَمْرُ إِلَيْهِ، وَأَمَّا هُنَا فَالْفِعْلُ قَصْدٌ بِهِ مَا يَصِيرُ الْأَمْرُ إِلَيْهِ مِنْ سُكْنَاهُمْ بِجَهَنَّمَ^(١). انتهى.

وإنما ذَهَبَ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهَا لَامُ الْعَاقِبَةِ وَالصِّيْرُورَةِ لِأَنَّهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فإثبات كونها للعلّة ينافي قوله: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وأنشدوا دليلاً على إثبات معنى الصيرورة للام قول الشاعر:

(١) المحرر الوجيز ٤٧٩/٢. وجاء في (١د) والمطبوع: لجهنم، وفي المحرر: جهنم.

أَلَا كُلُّ مُولودٍ فَلِلموتِ يُؤلَدُ ولستُ أرى حياً لحياً يُخلَدُ^(١)
وقول الآخر:

فَلِلموتِ تَعذُو الوالداتُ سِخالها كما لخراب الدَّهرِ تُبْنى المساكنُ^(٢)
ودعوى القلبِ فيه، وأنَّ تقديره: ولقد ذرأنا جهنَّمَ لكثيرٍ، غيرُ سديدٍ لأنَّ القلبَ لا يكون إلا في الشعر على الصحيح.

ولفظه «كثير» لا تُشعرُ بالأكثر، ولكن ثبت في الحديث أنَّ بعث النار أكثر؛ لقول الله لآدم: «أُخْرِجْ بعث النار من ذرِّيتك» فأخْرِجَ من كلِّ ألفٍ تسعةً وتسعين وتسع مئة^(٣). وهؤلاء المخلوقون لجهنم هم الذين طَبَعَ اللهُ على قلوبهم فلا يتأتَّى منهم إيمانُ البتَّة، وتفسير ابنِ جُبَيْرٍ أنهم أولادُ الزنا^(٤) ليس بجيِّدٍ.

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ لَمَّا كانوا لا يتدبَّرون شيئاً من الآيات، ولا ينظرون إليها نظراً اعتبارياً، ولا يسمعونها سماعاً تفكيرياً، جعلوا كأنهم فَقَدُوا الفِقهَ بالقلوب، والإبصارَ بالعيون، والسماعَ بالأذان، وليس المرادُ نفي هذه الإدراكاتِ عن هذه الحواسِّ، وإنما المرادُ نفي الانتفاع بها فيما طلب منهم من الإيمان، وقال مسكينُ الدارميُّ:

أعمى إذا ما جارتني خَرَجَتْ حتى يوارى جارتني السُّنَرُ
وأصمُّ عن ما كان بينهما عَمْدًا وما بالسمِّع لي وَقُرُ^(٥)
وفسَّرَ مجاهدٌ هذا فقال: لا يفقهون بها شيئاً من أمور الآخرة، ولا يُبصرون بها الهدى، ولا يسمعون بها الحقَّ^(٦). انتهى.

(١) ذكره ابن الجوزي في بستان الواعظين ص ١٤٣.

(٢) البيت لسابق البربري كما في العقد الفريد ٦٩/٢، وفقه اللغة للشعالبي ص ٣٢٤، وشرح شواهد المغني للبغدادي ٢٩٦/٤، وهو دون نسبة في زاد المسير ٥٦/٤، وتفسير القرطبي ٢٣٥/١٦، وشرح التسهيل لابن مالك ١٨/٣، ومغني اللبيب ص ٢٨٢. وجاء في بعض المصادر الدور، بدل: الدهر.

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الطبري ٥٩١/١٠.

(٥) سلف البيتان عند تفسير قوله تعالى: ﴿صُمُّ بِكُمُ عَمًى﴾ [البقرة: ١٨].

(٦) أخرجه الطبري ٥٩٤/١٠.

وفي قوله: «لهم قلوب لا يفقهون بها» دليل على أن القلب آلة للفقه والعلم كما أن العين آلة للإبصار، والأذن آلة للسمع.

وقال الزمخشري^(١): وجعلهم لإغراقهم في الكفر وشدّة شكائهم فيه وأنه لا يتأتى منهم إلا أفعال أهل النار مخلوقين للنار؛ دلالة على توغّلهم في الموجبات، وتمكّنهم فيما يؤهلهم لدخول النار، ومنه كتاب عمر إلى خالد بن الوليد: بلغني أن أهل الشام اتخذوا لك دلوًا عجنًا بخرم، وإني لأظنكم آل المغيرة ذرء النار^(٢). ويقال لمن كان عريقًا في بعض الأمور: ما خلقت فلان إلا لكذا، والمراد وصف حالهم^(٣) في عظم ما أقدموا عليه في تكذيب رسول الله ﷺ مع علمهم أنه النبي الموعود، وأنهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الإيمان يتأتى منهم، كأنهم خلّقوا للنار. انتهى، وهو تكثير في الشرح.

﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ في عدم الفقه في العواقب، والنظر للاعتبار، والسماع للتفكر، ولا يهتمون بغير الأكل والشرب.

﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ قال الزمخشري: بل هم أضلّ سبيلًا من الأنعام عن الفقه والاعتبار والتدبر، وقيل: الأنعام تُبصرُ منافعتها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره، وهؤلاء أكثرهم يعلم أنه معاند فيُقدّم على النار^(٤).

وقال ابن عطية: حَكَم عليهم بأنهم أضلّ لأنّ الأنعام رُكِب في بنيتها وخلقها أن لا تفكر في شيء، وهؤلاء هم مُعدّون للفهم، وقد خلقت لهم قُوى يصرّفونها، وأعطوا طُرُقًا من النظر، فهم بغفلتهم وإعراضهم يُلحِقون أنفسهم بالأنعام، فهم أضلّ على هذا^(٥). انتهى.

وقيل: هم أضلّ لأنهم يعصون، والأنعام لا تعصي.

(١) في الكشاف ١٣١/٢-١٣٢.

(٢) رواه أبو عبيد في غريب الحديث ٣/٣٢٨، والدلوك: ما يُدلك به البدن عند الاغتسال من طيب أو غيره. التاج (ذلك).

(٣) في (د) والمطبوع: أحوالهم، وفي الكشاف: حال اليهود.

(٤) الكشاف ١٣٢/٢.

(٥) المحرر الوجيز ٢/٤٨٠.

وقيل: الأنعام تعرف ربها وتسبح له، والكفار لا يعرفونه ولا يدعونهم، وروي: كل شيء أطوع لله من ابن آدم^(١).

وقال أبو عبد الرازي^(٢): الإنسان وسائر الحيوان متشارك في قوى الطبيعة الغذائية والنامية والمولدة^(٣)، وفي منافع الحواس الخمس الظاهرة والباطنة، وفي أحوال التخيل والتفكير والتذكر، وإنما حصل الامتياز بين الإنسان وغيره بالقوة العقلية والفكرية التي تهديه إلى معرفة الحق لذاته، والخير لأجل العمل به، فلما أعرض الكفار عن أغراض^(٤) أحوال العقل والفكر ومعرفة الحق والعمل بالخير، كانوا كالأنعام، ثم قال: «بل هم أضل» لأن الحيوانات لا قدرة لها على تحصيل الفضائل، والإنسان أُعطي القدرة على تحصيلها، ومن أعرض عن اكتساب الفضائل العظيمة مع القدرة على تحصيلها كان أحسن حالاً ممن لم يكتسبها مع العجز، فهذا قال تعالى: «بل هم أضل». انتهى.

وقيل: الأنعام تفر إلى أربابها ومن يقوم بمصالحها، والكافر يهرب عن ربه الذي أنعمه عليه لا تحصى.

وقيل: الأنعام تضل إذا لم يكن معها مرشد، وقلما تضل إذا كان معها، وهؤلاء قد جاءتهم الرسل وأنزلت عليهم الكتب وهم يزدادون في الضلال. انتهى.

وأقول: هذا الإضراب ليس على جهة الإبطال للخبر السابق من تشبيههم بالأنعام، ولا يجوز أن تكون جهة المبالغة في الضلال هي جهة التشبيه؛ لأنه يؤدي إلى كذب أحد الخبرين، وذلك مستحيل في حق الله تعالى، وكلام من تقدم من المفسرين يدل على أنه تعالى شبههم بالأنعام فيما ذكروا، وأنهم أضل من الأنعام فيما وقع التشبيه فيه، وهو لا يجوز لما ذكرناه، فالمعول عليه أن جهة التشبيه مخالفة لجهة المبالغة في الضلال، وأن هذا الإضراب ليس على سبيل الإبطال

(١) تفسير الثعلبي ٩٩/٣.

(٢) تفسير الرازي ٦٤/١٥.

(٣) في النسخ عدا (١د): والمتولدة، والمثبت من (١د) والمطبوع، وهو الموافق لما في تفسير الرازي.

(٤) في مطبوع الرازي: عن اعتبار.

لمدلول الجملة السابقة، «بل هم أضلُّ» إضرابٌ دالٌّ على الانتقال من إخبارٍ إلى إخبارٍ، فالجملة الأولى شبههم بالأنعام في انتفاء منافع الإدراكات المؤدّية إلى امتثالٍ ما جاءت به الرسلُ، والجملة الثانية أثبت (١) لهم المبالغة في ضلال طريقهم التي يسلكونها، فالموصوفُ بالمبالغة في الضلال طريقهم، وحُذف التمييزُ، وتقديره: بل هم أضلُّ طريقًا منهم، ويبيّن هذا قوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ أي: في انتفاء السمع للتدبُّر والعقل، ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، أي: بل سبيلهم أضلُّ، فالمحكوم عليه أولاً غيرُ المحكوم عليه آخراً، والمحكومُ به أيضاً مختلف.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاقِلُونَ﴾ (١٧٦) هذه الجملة بيّن تعالى بها سبب كونهم أضلُّ من الأنعام، وهو الغفلة، وقال عطاء: عمّا أعدَّ الله لأولياته من الثواب ولأعدائه من العقاب (٢).

﴿رَبِّهِ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠) قال مقاتل: دعا رجلُ الله تعالى في صلاته، ومرة دعا الرحمن، فقال أبو جهل: أليس يزعمُ محمدٌ وأصحابه أنهم يعبدون ربًّا واحداً، فما بال هذا يدعو اثنين؟! فنزلت (٣).

ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما ذكر أنه ذرأٌ كثيراً من الجنِّ والإنس للنار ذكر نوعاً منهم وهم الذين يُلْحِدُونَ في أسمائه، وهم أشدُّ الكفار عتياً أبو جهل وأضرابه.

وأيضاً لما نبّه على أن دخول جهنم هو للغفلة عن ذكر الله، والمخلصُ من العذاب هو ذكُرُ الله، أمر بذكر الله بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا، والقلبُ إذا غفل عن ذكر الله وأقبلَ على الدنيا وشهواتها وقع في الحرص، وانتقل من رغبةٍ إلى رغبةٍ، ومن طلبٍ إلى طلبٍ، ومن ظلمةٍ إلى ظلمةٍ، وقد وجدنا ذلك بالذوق حتى

(١) في (د) والمطبوع: أثبتت.

(٢) تفسير الرازي ٦٥/٢.

(٣) تفسير الثعلبي ٩٩/٣، وزاد المسير ٢٩٢/٣.

إِنَّ أَحَدَهُمْ لِيَصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ كُلَّهَا قِضَاءً فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، فَإِذَا انْفَتَحَ عَلَى قَلْبِهِ بَابُ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَخَلَّصَ مِنْ آفَاتِ الْغَفْلَةِ، وَامْتَثَلَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ، وَاجْتَنَّبَ مَا نَهَى عَنْهُ.

قال الزمخشري: التي هي أحسنُ الأسماء؛ لأنها تدلُّ على معانٍ حَسَنَةٍ من تَعْمِيدٍ وَتَقْدِيسٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ^(١). انتهى.

ف«الحسنى» هنا تَأْنِيثُ الْأَحْسَنِ، وَوُصِفَ الْجَمْعُ الَّذِي لَا يَعْقِلُ بِمَا يُوصَفُ بِهِ الْوَاحِدَةُ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَيْ فِيهَا مَنَارِبٌ أُخْرَى﴾ [طه: ١٨] وهو فصيحٌ، ولو جاء على المطابقة للجمع لكان التركيبُ: الْحُسْنُ، على وزن الأخر، كقوله: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤] لِأَنَّ جَمْعَ مَا لَا يَعْقِلُ يُخْبِرُ عَنْهُ وَيُوصَفُ بِجَمْعِ الْمُؤَنَّثَاتِ وَإِنْ كَانَ الْمَفْرُودُ مَذْكَرًا.

وقيل: «الحسنى» مصدرٌ وُصِفَ بِهِ.

قال ابن عطية: والأسماء هاهنا بمعنى التسميات إجماعاً من المتأولين، لا يمكنُ غيرُهُ^(٢). انتهى.

ولا تحرير فيما قال؛ لأنَّ التسمية مصدرٌ، والمرادُ هنا: الألفاظُ التي تُطْلَقُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وهي الأوصافُ الدالَّةُ على تَغَايُرِ الصِّفَاتِ لَا تَغَايُرِ الْمَوْصُوفِ، كما تقول: جاء زيدٌ الفقيهُ الشجاعُ الكريمُ، وكونُ الاسمِ الَّذِي أَمَرَ تَعَالَى أَنْ يُدْعَى بِهِ حَسَنًا هُوَ مَا قَرَّرَهُ الشَّرْعُ وَنَصَّ عَلَيْهِ فِي إِطْلَاقِهِ عَلَى اللَّهِ، وَمَعْنَى «فَادَعُوهُ بِهَا»، أَي: نَادُوهُ بِهَا، كَقَوْلِكَ: يَا اللَّهُ، يَا رَحْمَنُ، يَا رَحِيمُ، يَا مَالِكُ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وقال الزمخشري: فسَمَّوهُ بِتِلْكَ الْأَسْمَاءِ^(٣) جَعَلَهُ مِنْ بَابِ: دَعَوْتُ ابْنِي عَبْدَ اللَّهِ، أَي: سَمَّيْتَهُ بِهَذَا الْأِسْمِ.

واختلَفَ فِي الْأِسْمِ الَّذِي يَقْتَضِي مَدْحًا خَالِصًا وَلَا تَعَلُّقًا بِهِ شِبْهَةً وَلَا اشْتِرَاكًا إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ مَنْصُوصًا: هَلْ يُطْلَقُ وَيَسْمَى اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، فَنَصَّ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ

(١) الكشاف ١٣٢/٢، وفيه: ... من تَعْمِيدٍ وَتَقْدِيسٍ ...

(٢) المحرر الوجيز ٤٨٠/٢.

(٣) الكشاف ١٣٢/٢.

الباقلائي على الجواز، ونصَّ أبو الحسن الأشعريُّ على المنع، وبه قال الفقهاء والجمهور، وهو الصواب^(١).

واختلف أيضاً في الأفعال التي في القرآن كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠] هل يُطلق عليه منه تعالى اسم فاعِلٍ مقيَّدٍ بمتعلقه، فيقال: الله مستهزئٌ بالكافرين وماكرٌ بالذين يمكرون، فجوز ذلك فرقة، ومنعت منه فرقة، وهو الصواب، وأمَّا إطلاقُ اسم الفاعل بغيرِ قَيْدِهِ فالإجماعُ على منعه^(٢).

وروى الترمذي في «جامعه»^(٣) من حديث أبي هريرة النصَّ على تسعة وتسعين اسماً مسرودةً اسماً اسماً؛ قال ابنُ عطية^(٤): وفي بعضها شذوذاً، وذلك الحديث ليس بالمتواتر - وإن كان قد قال فيه أبو عيسى: هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقةٌ عند أهل الحديث^(٥) - وإنما المتواترُ منه قولُ النبي ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِثَّةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» ومعنى «أحصاها»: عدّها وحفظها، وتضمَّن ذلك الإيمانَ بها، والتعظيمَ لها، والرغبة فيها، والعبرة في معانيها، وهذا حديثُ البخاري^(٦). انتهى، وتسميةُ هذا الحديث متواتراً ليس على اصطلاح الناس^(٧) في المتواتر، وإنما هو خبرٌ آحاد^(٨).

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٨٠، وينظر شرح المواقف للجرجاني ٨/٢١٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) برقم (٣٥٠٧).

(٤) في المحرر ٢/٤٨١.

(٥) سنن الترمذي، إثر الحديث المذكور، وقوله: وإن كان قد قال فيه أبو عيسى، إلى هذا الموضع ليس في المحرر الوجيز، لكن ذكره القرطبي ٩/٣٩١ ضمن كلام ابن عطية، وسياق المصنف مطابق لما في القرطبي.

(٦) أخرجه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) في (د) والمطبوع: المحدثين.

(٨) ينظر فتح الباري ١١/٢١٤-٢١٥، وقد نفى ابن حجر أيضاً كونَ هذا الحديث متواتراً بعد أن

نقل كلام ابن عطية في تواتره، ثم قال: بل غاية أمره أن يكون مشهوراً.

وفي بعض دعاء رسول الله ﷺ: «يا حَنَّانُ يا مَنَّانُ» ولم يَرِدَا في «جامع» الترمذي^(١).

وقد صنَّف العلماء في شرح أسماء الله الحسنى، كأبي حامد الغزالي^(٢)، وأبي الحَكَم بن بَرَّجَان^(٣)، وأبي عبد الله الرازي^(٤)، وأبي بكر بن العربي^(٥)، وغيرهم.

قال الزمخشري: ويجوز أن يراد: والله الأوصافُ الحسنى، وهي الوصفُ بالعدل والخير والإحسان، وانتفاء شَبَه الخَلْقِ، فصَفُوهُ بها ودَرَوُا الذين يُلْجِدُونَ في صفاته، فيصِفونَه بمشيئة القَبائِحِ، وخالقِ الفحشاء والمنكرِ، وبما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها^(٦).

(١) المحرر الوجيز ٤٨١/٢، والحديث المذكور أخرجه أحمد (١٣٤١١) عن أنس رضي الله عنه، وإسناده ضعيف جداً كما قال محققو المسند، وأخرجه الطبراني في الأوسط (٤١٥٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وإسناده حسن كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/١٦٠.

(٢) واسمه: المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، وهو مطبوع.

(٣) واسمه: شرح الأسماء الحسنى، قال حاجي خليفة في كشف الظنون ١٠٧١/٢: وهو كتاب كبير جمع فيه من أسماء الله تعالى ما زاد على المئة والثلاثين كلها مشهورة مروية... إلى آخر كلامه. وابن بَرَّجَان: هو عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال اللخمي المغربي الإفريقي، ثم الأندلسي الإشبيلي، شيخ الصوفية، توفي سنة (٥٣٦هـ). السير ٧٢/٢٠.

(٤) واسمه: لوامع البينات في تفسير الأسماء والصفات، وذكره الرازي في تفسيره ٦٦/١٥، وهو مطبوع.

(٥) واسمه: الأمد الأقصى، وقد أشار إليه في مواضع كثيرة من كتاب «أحكام القرآن» منها عند شرح هذه الآية ٨٠٣/٢.

(٦) الكشاف ١٣٢/٢. والعجب من المصنف كيف أورد هذا الكلام وذهل عن الرد عليه بشيء، وهو الذي ردَّ عليه فيما هو أقل من هذا بكثير، ففي هذا الكلام جرأة على أهل السنة، واتهام لهم بأنهم يلحدون في صفات الله، وانتصارٌ لمذهب المعتزلة القائلين بأن الله تنزَّه عن خلق الفحشاء، ويكفي ردًّا عليه ما جاء في المناظرة بين الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني والقاضي عبد الجبار المعتزلي؛ قال القاضي في ابتداء جلوسه للمناظرة: سبحان من تنزَّه عن الفحشاء. فقال الأستاذ: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء. فقال القاضي: أفتيشاء ربنا أن يُعصى؟! فقال الأستاذ: أيعصى ربنا قهراً؟! فقال عبد الجبار: أفرأيت إن منعني الهدى وقضى عليَّ بالردي، أحسن إليَّ أم أساء؟ فقال الأستاذ: إن كان منعك ما هو لك

وقيل: معنى قوله: «وذروا الذين يلحدون في أسمائه»: اتركوهم ولا تحاجوهم ولا تعرّضوا لهم؛ قاله ابن زيد، فتكون الآية على هذا منسوخة بالقتال^(١).

وقيل: معناه الوعيد، كقوله: ﴿ذَرِّفِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِداً﴾ [المدثر: ١١]، وقوله: ﴿ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَسْتَمْتَعُوا﴾ [الحجر: ٣].

وقال الزمخشري: واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الأسماء الحسنى، وذلك أن يُسموه بما لا يجوز عليه، كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم: يا أبا المكارم، يا أبيض الوجه، يا سنحي، أو أن يأبوا تسميته ببعض أسمائه الحسنى، نحو أن يقولوا: يا الله، ولا يقولوا: يا رحمن^(٢).

وقيل: معنى الإلحاد في أسمائه: تسميتهم أو ثنائهم اللات نظراً إلى اسم الله تعالى، والعزى نظراً إلى العزيز؛ قاله مجاهد. ويسمّون الله أباً، وأوثانهم أرباباً، ونحو هذا.

وقال ابن عباس: معنى «يلحدون»: يكذبون.

وقال قتادة: يُشركون^(٣).

وقال الخطابي^(٤): الغلط في أسمائه والزيغ عنها إلحاداً.

وقرأ حمزة: «يلحدون» بفتح الياء والحاء، وكذا في «النحل» [الآية: ١٠٣] و«السجدة» [الآية: ٤٠]^(٥)، وهي قراءة ابن وثاب والأعمش وطلحة وعيسى^(٦)، وقرأ باقي السبعة بضم الياء وكسر الحاء فيهنّ.

= فقد أساء، وإن منعك ما هو له فيختص برحمته من يشاء. فانقطع عبد الجبار. طبقات الشافعية الكبرى ٢٦١/٤. أما مسألة رؤية الله في الآخرة فقد سلف الكلام عليها عند قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ارِنِّي أَنْظُرَ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

(١) تفسير الطبري ٥٩٩/١٠، والمحزر الوجيز ٤٨١/٢، والكلام منه.

(٢) الكشف ١٣٢/٢.

(٣) أخرج الأقوال الثلاثة عن مجاهد وابن عباس وقاتة الطبري ٥٩٧/١٠-٥٩٨.

(٤) كما في زاد المسير ٢٩٣/٣.

(٥) السبعة ص ٢٩٨، والتيسير ص ١١٤ و١٣٨، ويعني بالسجدة سورة فصلت.

(٦) المحزر الوجيز ٤٨١/٢.

و«سَيُجْزَوْنَ» وعيدٌ شديدٌ، وأندرج تحت قوله: «ما كانوا يعملون» الإلحادُ في أسمائه، وسائر أفعالهم القبيحة.

﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ ﴿١٨١﴾ لَمَّا ذَكَرَ مَنْ ذَرَأَ لِلنَّارِ ذَكَرَ مقابَلهم، وفي لفظة «وممن» دلالةٌ على التبويض، وأنَّ الْمُعْظَمَ من المخلوقين ليسوا هداةً إلى الحقِّ ولا عادِلينَ به.

قيل: هم العلماء والدُّعاة إلى الدِّين.

وقيل: هم مؤمنو أهل الكتاب؛ قاله ابن الكلبي^(١).

وروى قتادة وابن جريج^(٢).

وقيل: هم المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان^(٣).

وقال ابن عباس: هم أمة محمد ﷺ^(٤) وعليه أكثرُ المفسرين، ورُوي في ذلك أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا قرأها قال: «هذه لكم، وقد أعطي القومُ بين أيديكم مثلها، ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ الآية [الأعراف: ١٥٩]»^(٥)، وعنه ﷺ: «إنَّ من أمتي قوماً على الحقِّ حتى ينزل عيسى ابنُ مريم»^(٦).

(١) الكشاف ١٣٣/٢.

(٢) كذا وقع، ولم يذكر المصنف قولهما، ويجب أن تكون العبارة: وروى قتادة وابن جريج عن النبي ﷺ أنهم هذه الأمة. أخرج ذلك عنهما الطبري ٦٠٠/١٠، وذكره عنهما الماوردي في النكت والعيون ٢٨٣/٢، وابن الجوزي في زاد المسير ٢٩٤/٣، وسيرد لفظ خبر قتادة قريباً. ووقع في (أ) و(د) و(ع) والمطبوع: وروى عن قتادة وابن جريج.

(٣) تفسير البغوي ٢١٨/٢، وزاد المسير ٢٩٤/٣ عن ابن عباس ؓ، وينظر التعليق الذي بعده.

(٤) هو مثل الذي قبله، فقد جاء لفظ الخبر عند البغوي: قال عطاء عن ابن عباس: يريد أمة محمد ﷺ وهم المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان.

(٥) أخرجه الطبري ٦٠٠/١٠ عن قتادة مرسلًا، وقد سلفت الإشارة إليه قريباً.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ١٦٢٣/٥ عن الربيع بن أنس مرسلًا، وله شاهد من حديث عمران بن حصين عند أحمد (١٩٨٥١). وفي الباب عن المغيرة بن شعبة عند البخاري (٣٦٤٠)، ومسلم (١٩٢١)، وعن معاوية عند البخاري (٧١)، ومسلم ١٥٢٤/٣ (١٠٣٧): (١٧٤).

والظاهر أنَّ هذه الجملة أخبر فيها أنَّ ممن خَلَقَ أمةً موصوفون بكذا، فلا يدلُّ على تعيينٍ لا في أشخاصٍ ولا في أزمانٍ، وصَلَحَتْ لكلِّ هادٍ بالحقِّ من هذه الأمة وغيرهم، وفي زمان الرسول وغيره، كما أنَّ مقابلها في قوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] لا يدلُّ على تعيين أشخاصٍ ولا زمانٍ، وإنما هذا تقسيمٌ للمخلوق للنار والمخلوق للجنة، ولذلك قيل: إنَّ في الكلام محذوفًا تقديره: وممَّن خلقنا للجنة، يدلُّ عليه إثباتُ مقابله في قوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾.

وقال الجبائي: هذه الآية تدلُّ على أنَّ لا يخلو زمانُ البتة ممن يقومُ بالحق ويعملُ به ويهدي إليه، وأنهم لا يجتمعون في شيءٍ من الأزمنة على الباطل^(١). انتهى.

والآية لا تدلُّ على ما زعم الجبائي، وما قاله مخالفتٌ لما روي من أنه «لا تقومُ الساعةُ إلَّا على شرار الخلق»^(٢)، «ولا تقومُ الساعةُ حتى لا يقال في الأرض: الله»^(٣)، و: لا تقوم الساعةُ حتى يُسرى على كتاب الله فلا يبقى منه حرفٌ^(٤). أو كما قيل^(٥).

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْدِ بِهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال الخليل بن أحمد: سنطوي أعمارهم في اغترارٍ منهم.

وقال أبو عبيدة: الاستدراج أن تدرج إلى الشيء في خفية قليلاً قليلاً ولا تهجم عليه، وأصله من الدرجة، وذلك أنَّ الراقِي والنازل يرقى وينزلُ مرقاةً مرقاةً، ومنه درج الكتاب: طواه شيئاً بعد شيءٍ، ودرج القوم: ماتوا بعضهم في أثر بعض.

وقال ابن قتيبة: هو أن يُذيقهم من بأسه قليلاً قليلاً من حيث لا يعلمون، ولا يباغتهم^(٦) به، ولا يجاهرهم.

(١) تفسير الرازي ٧٢/١٥.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤٩) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.(٣) أخرجه مسلم (١٤٨) من حديث أنس رضي الله عنه.(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩)، والحاكم ٤/٤٧٣ و٥٤٥ من حديث حذيفة رضي الله عنه، وقال:

صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٥) في (دا) والمطبوع: قال.

(٦) في النسخ: يتابعهم، وهو خطأ، والمثبت من المصادر على ما يأتي.

وقال الأزهري: سنأخذهم قليلاً قليلاً من حيث لا يحتسبون، وذلك أن الله تعالى يفتح باباً من النعمة يُعْتَبِطُونَ به وَيَرَكِّنُونَ إليه، ثم يأخذهم على غرَّتْهم أغفل ما يكونون^(١). انتهى.

ومنه: دَرَجَ الصَّبِيُّ: إذا قَارَبَ بين خُطاه، والمعنى: سَنَسْتَرِفُهُمْ^(٢) شيئاً بعد شيءٍ ودرجةً بعد درجةٍ بالنعم عليهم والإمهال لهم، حتى يَغْتَرُوا ويظنُّوا أنهم لا ينالهم عقابٌ.

وقال الجبائي: سنستدرجهم إلى العقوبات حتى يقعوا فيها من حيث لا يعلمون، استدراجاً لهم إلى ذلك، فيجوز أن يكون هذا العذاب في الدنيا كالقتل، ويجوز أن يكون عذاب الآخرة^(٣).

وقال الزمخشري: ومعنى «سنستدرجهم»: سَنَسْتَدْنِيهِمْ قليلاً قليلاً إلى ما يُهْلِكُهُمْ ويضاعف عقابهم، «من حيث لا يعلمون» ما يراد بهم، وذلك أن يُؤَاتِرَ الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغيِّ، فكلما جَدَّدَ عليهم نعمةً ازدادوا بطراً وجَدَّدُوا معصيةً، فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادُّفِ النعم ظانين أن مواترة النعم أثرة من الله وتقريب، وإنما هي خذلانٌ منه وتبعيدٌ، فهو استدراجُ الله نعوذ بالله تعالى منه^(٤).

«من حيث لا يعملون»؛ قيل: بالاستدراج. وقيل: بالهلاك.

وقرأ النخعي وابنُ وثاب: «سَيَسْتَدْرِجُهُمْ» بالياء^(٥)، فاحتمل أن يكون من باب الالتفات واحتمل أن يكون الفاعلُ ضمير التوكيدِ المفهوم من «كذَّبوا»، أي: سيستدرجهم هو، أي: التوكيد.

وقال الأعشى في الاستدراج:

(١) ذكر هذه الأقوال ابن الجوزي في زاد المسير ٣/٢٩٤-٢٩٥، وعنه نقل المصنف، وينظر قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ١/٢٣٣، وقول ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ص ١٢٦، وتفسير غريب القرآن ص ٤٨١، وقول الأزهري في تهذيب اللغة ١٠/٦٤٧.

(٢) كذا في النسخ، والذي في المحرر الوجيز ٢/٤٨٢ (والكلام منه): سنسوقهم، وهو الأشبه.

(٣) تفسير الرازي ١٥/٧٤.

(٤) الكشاف ٢/١٣٣.

(٥) المحرر الوجيز ٢/٤٨٢، وهي في القراءات الشاذة ص ٤٧ عن بعضهم.

فَلَوْ كُنْتَ فِي جَبِّ ثَمَانِينَ قَامَةً وَرُقِيْتَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلْمٍ
لَيْسْتَ ذَرَجَتِكَ الْقَوْلُ حَتَّى تَهْرَهُ وَتَعْلَمَ أَنِّي عَنْكُمْ غَيْرُ مُفْحَمٍ^(١)

﴿وَأَمَّا لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ معطوف على «سنستدرجهم»، فهو داخل في الاستقبال، وهو خروج من ضمير التكلم بنون العظمة إلى ضمير تكلم المفرد، والمعنى: «أؤخره»^(٢) ملاءمة من الدهر، أي: مدة فيها طول، والملاوة بفتح الميم وضمها وكسرها. ومنه: ﴿وَأَهْجُرُنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦] أي: طويلاً، وسمى فعله ذلك بهم كيداً لأنه شبيهة بالكيد من حيث إنه في الظاهر إحسان وفي الحقيقة خذلان.

قال ابن عباس: يريد: إن مكري شديد^(٣).

وقيل: إن عذابي، وسماه كيداً لنزوله بالعباد من حيث لا يشعرون.

والمتين من كل شيء: القوي، يقال: متن متانة.

وهذا إخبار عن المكذبين عموماً، وقيل: نزلت في المستهزئين من قريش؛ قتلهم الله في ليلة واحدة^(٤) بعد أن أمهلهم مدة.

وقرأ عبد الحميد عن ابن عامر: «أن كيدي» بفتح الهمزة، على معنى: لأجل أن كيدي^(٥)، وقرأ الجمهور بكسرها على الاستئناف.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ حِنَّةٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ قال الحسن وقتادة: سبب نزولها أن رسول الله ﷺ صعد ليلاً على الصفا، فجعل يدعو قبائل قريش:

(١) ديوان الأعشى ص ١٧٣، والكشاف ٤٣١/٢، ورواية الديوان: وتعلم أني عنك لست بمُلجَم. قوله: تهره، قال في القاموس (هرر): هره يهره ويهره: كرهه، والمعنى: لئن خرقت الأرض أو طرت في الفضاء ليلبغتك قولي، وليرتكك تدرج في الأرض حتى تكره الكلام، وتعلم أني غير عاجز عن الانتقام. قاله شارح الديوان.

(٢) في (ب) و(د) و(ه): أؤخرهم.

(٣) تفسير البغوي ٢/٢١٨، وزاد المسير ٣/٢٩٥.

(٤) أي: يوم بدر، كما في روح المعاني ٩/٥٠٧، وهذا القول ذكره الثعلبي ٣/١٠١، والبغوي

٢/٢١٨، وابن الجوزي ٣/٢٩٤، وعزاه لمقاتل.

(٥) المحرر الوجيز ٢/٤٨٢.

يا بني فلان، يا بني فلان، يحذّرهم ويدعوهم إلى الله تعالى، فقال بعض الكفار حين أصبحوا: هذا مجنونٌ باتَّ يصوت حتى الصباح^(١)!

وكانوا يقولون: شاعرٌ مجنون، فنفى الله عز وجل ما قالوه^(٢)، ثم أخبر أنه محذّرٌ من عذاب الله، والآيةُ باعثةٌ لهم على التفكّر في أمر الرسول ﷺ وانتفاء الجِنَّة عنه. وهذا الاستفهامٌ قيل: معناه التوبيخ. وقيل: التحريضُ على التأمل.

والجِنَّةُ: الجنُّ، كما قال تعالى: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٦] والمعنى: من مسَّ جِنَّةً، أو: من تخبيط جِنَّةً، وقيل: هي هيئةٌ كالجلسة والرُّكبة أريدَ بها المصدرُ، أي: ما بصاحبهم من جنون.

والظاهر أنَّ «يتفكّروا» متعلّقٌ عن الجملة المنفيّة، وهي في موضع نصبٍ «يتفكّروا» بعد إسقاط حرف الجرِّ؛ لأنَّ التفكّر من أفعال القلوب فيجوزُ تعليقه، والمعنى: أولم يتأمّلوا ويتدبّروا في انتفاء هذا الوصفِ عن الرسول، فإنه مُتَنَفٍّ لا محالة، ولا يمكنُ لمن أمعنَ الفكر أن ينسبَ ذلك إليه^(٣).

وقيل: ثمَّ مضمّرٌ محذوفٌ، أي: فيعلّموا ما بصاحبهم من جِنَّةٍ؛ قاله الحوفي: وزعم أنَّ «تفكّر» لا يُعلّق؛ لأنه لا يَدْخُلُ على الجمل، قال: ودلَّ التفكّرُ على العلم.

وقال أصحابنا: إذا كان فعلُ القلب يتعدّى بحرف جرٍّ قدّرتِ الجملةُ في موضع نصبٍ^(٤) بعد إسقاط حرف الجرِّ، ومنهم من زعم أن يضمنَ الفعلُ الذي تعدّى بنفسه إلى واحدٍ أو بحرفِ جرٍّ إلى واحدٍ معنى ما يتعدّى إلى اثنين، فتكونُ الجملةُ في موضع المفعولين، فعلى هذين الوجهين لا حاجة إلى هذا المضمّر الذي قدّره الحوفي.

(١) زاد المسير ٣/٢٩٦، وأخرجه عن قتادة الطبري ١٠/٦٠٢.

(٢) في (١د) والمطبوع: عنه ما قالوه.

(٣) في النسخ: ولا يمكن لمن أنعم الفكر في نسبة ذلك إليه، والمثبت من النهر على هامش مطبوع البحر ٤/٤٣١.

(٤) في المطبوع: جر، وهو خطأ.

وقيل: تَمَّ الكلامُ على قوله: «يتفكَّروا» ثم استأنف إخبارًا بانتفاء الجنة وإثبات النذارة.

وقال أبو البقاء: في «ما» وجهان:

أحدهما: أنها نافية، وفي الكلام حذف تقديره: أولم يتفكَّروا في قولهم: به جنة. والثاني: أنها استفهام، أي: أولم يتفكَّروا أيُّ شيءٍ بصاحبهم^(١) من الجنون مع انتظام أقواله وأفعاله.

وقيل: هي بمعنى الذي، تقديره: أولم يتفكَّروا في ما بصاحبهم، وعلى هذا يكون الكلامُ حَرَجَ على رَعْمِهِمْ^(٢). انتهى، وهي تخريجاتٌ ضعيفةٌ ينبغي أن ينزَّه القرآنُ عنها، و«تفكَّر» مما ثبت في اللسان تعليقُه، فلا ينبغي أن يُعدَّلَ عنه.

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ لَمَّا حَضَّاهُمْ عَلَى التَّفَكُّرِ فِي حَالِ الرَّسُولِ، وَكَانَ مَفْرَعًا عَلَى تَقْرِيرِ دَلَائِلِ التَّوْحِيدِ، أَعْقَبَ بِمَا يَدُلُّ عَلَى التَّوْحِيدِ وَوُجُودِ الصَّانِعِ الْحَكِيمِ، وَ«الملكوت العظيم»، وَتَقَدَّمَ شَرْحُ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَكَذَلِكَ نُزِّيَ إِلْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٧٥]، وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى ذِكْرِ النَّظَرِ فِي الْمَلَكُوتِ بَلْ نَبَّهَ عَلَى أَنَّ كُلَّ فَرْدٍ فَرِيدٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ مَحَلٌّ لِلنَّظَرِ وَالِاعْتِبَارِ وَالِاسْتِدْلَالِ عَلَى الصَّانِعِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ^(٣)

﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ «وَأَنَّ» مَعْطُوفٌ عَلَى «مَا» فِي قَوْلِهِ: «وَمَا خَلَقَ»، وَبُخِوا عَلَى انْتِفَاءِ نَظَرِهِمْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهِيَ أَعْظَمُ الْمَصْنُوعَاتِ وَأَدْلُّهَا عَلَى عِظْمَةِ الصَّانِعِ، ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِ شَيْئًا عَامًّا وَهُوَ قَوْلُهُ: «وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ» فَانْدَرَجَ «السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» فِي «مَا خَلَقَ»، ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِ شَيْئًا يَخْصُّ أَنْفُسَهُمْ، وَهُوَ انْتِفَاءُ نَظَرِهِمْ وَتَفَكُّرِهِمْ فِي أَنَّ أَجَلَهُمْ قَدْ اقْتَرَبَ، فَيُؤَدِّرُهُمُ الْمَوْتُ عَلَى حَالَةِ الْغَفْلَةِ عَنِ النَّظَرِ فِي مَا ذَكَرَ، فَيُؤَوِّلُ أَمْرَهُمْ إِلَى الْخَسَارِ

(١) قوله: أي: مبتدأ، والخبر: بصاحبهم. الدر المصون ٥/٥٢٥.

(٢) الإملاء ١/٢٨٩.

(٣) سلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا يَا تَيْتَكُم مِّنِّي هُدًى﴾ [البقرة: ٣٨].

وعذاب النار، نبههم على الفكر في اقتراب الأجل لعلهم يبادرون إليه، وإلى طلب الحق وما يخلصهم من عذاب الله قبل مُغافضة^(١) الأجل.

و«أجلهم»: وقت موتهم، وقال الزمخشري: يجوز أن يراد باقتراب الأجل: اقتراب الساعة^(٢).

و«أن» هي المخففة من الثقيلة، واسمها محذوف ضمير الشأن، وخبرها «عسى» وما تعلقت به، وقد وقع خبراً لها الجملة غير الخبرية^(٣) في مثل هذه الآية، وفي مثل: ﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا﴾^(٤) [النور: ٩] ف«غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا» جملة دعاء، وهي غير خبرية، فلو كانت «أن» مشددة لم تقع «عسى» ولا جملة الدعاء خبراً لها، لا يجوز: علمت أن زيداً عسى أن يخرج، ولا: علمت أن زيداً لعنه الله، وأنت تريد الدعاء.

وأجاز أبو البقاء أن تكون «أن» هي المخففة من الثقيلة، وأن تكون مصدرية^(٥)، يعني أن تكون الموضوعة على حرفين، وهي الناصبة للفعل المضارع، وليس بشيء لأنهم نصّوا على أنها تُوصَلُ بفعلٍ متصرفٍ مطلقاً، يعنون ماضياً ومضارعاً وأمرًا، فسَرَطُوا فيه التصرف، و«عسى» فعلٌ جامدٌ فلا يجوز أن يكون صلةً لـ«أن».

و«عسى» هنا تامة، «وأن يكون» فاعلٌ بها، نحو قولك: عسى أن تقوم، واسم «يكون» قال الحوفي: «أجلهم»، «وقد اقترب» الخبر.

وقال الزمخشري وغيره: اسم «يكون» ضمير الشأن^(٦)، فيكون «قد اقترب أجلهم» في موضع نصبٍ في موضع خبرٍ «يكون»، «وأجلهم» فاعلٌ بـ«اقترب».

(١) تحرفت في (د) والمطبوع إلى: مقانصة. والمغافضة من غافضه: فاجاه، وأخذه على غيرة. القاموس (غفص).

(٢) الكشاف ١٣٣/٢.

(٣) في (ب) و(د) و(ه): الطليية، وهو خطأ.

(٤) وهي قراءة نافع من السبعة كما سيرد عند تفسير الآية.

(٥) الإملاء ٢٨٩/١.

(٦) الكشاف ١٣٣/٢.

وما أجازته الحوفي فيه خلافاً، فإذا قلت: كان يقومُ زيدٌ، فمن النحويين مَنْ زعم أن «زيداً» هو الاسمُ و«يقومُ» في موضع نصبٍ على الخبر، ومنهم مَنْ منع ذلك، ويجعلُ في «كان» ضميرَ الشأن، والجوازُ اختيارُ ابنِ مالك، والمنعُ اختيارُ ابنِ عصفور^(١)، وقد ذكرنا هذه المسألة مستوفاةً التقسيم والدلائل في شرحنا لكتاب «التسهيل»^(٢).

﴿بِأَيِّ حَدِيثٍ بَعَدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (١٨٥) معنى هذه الجملة وما قبلها توقيفهم وتوبيخهم على أنه لم يقع منهم نظيرٌ ولا تدبرٌ، في شيءٍ من ملكوت السماوات والأرض، ولا في مخلوقات الله تعالى، ولا في اقترابِ آجالهم، ثم قال: فبأيِّ حديثٍ أو أمرٍ يقعُ إيمانهم وتصديقهم إذ لم يقع بأميرٍ فيه نجاتهم ودخولهم الجنة، ونحوه قول الشاعر:

فَعَنَ أَيُّ نَفْسٍ بَعْدَ نَفْسِي أَقَاتِلُ^(٣)

والمعنى: إذا لم أقاتِلْ عن نفسي فكيف أقاتل عن غيرها؟ وكذلك: إذا لم يؤمنوا بهذا الحديث الذي هو الصدق المحض وفيه نجاتهم وخلاصهم فكيف يُصدّقون بحديثٍ غيره؟ والمعنى أنه ليس من طباعهم التصديق بما فيه خلاصهم.

والضمير في «بعده» للقرآن، أو للرسول، أي: بعد الرسول وقصته وأمره، أو للأجل إذ لا عمل بعد الموت، أقوالٌ ثلاثة.

قال الزمخشري: فإن قلت: بم يتعلّق قوله: «بأيِّ حديثٍ بعده يؤمنون»؟ قلت: بقوله: «عسى أن يكون قد اقتربَ أجلهم»، كأنه قيل: لعل أجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الإيمان^(٤) بالقرآن قبل الفوت، وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق، وبأيِّ

(١) ينظر شرح التسهيل لابن مالك ١/٣٧١، والمقرب لابن عصفور ١/٩٦.

(٢) التذيل والتكميل في شرح التسهيل ٤/١٨٣.

(٣) وصدرة: فجردت سيفي ثم قمت بنصله، والبيت لضرار بن الخطاب رضي الله عنه، وهو في سيرة ابن هشام ١/٤١٥، وطبقات فحول الشعراء ١/٢٥٢، والمححر الوجيز ٢/٤٨٣، والكلام منه. وجاء في هذه المصادر: وعن، بالواو.

(٤) في المطبوع ومطبوع الكشاف: إلى الإيمان، والمثبت من النسخ، وهو الموافق لما في المصادر التي نقلت عن الكشاف، ينظر تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب ٤/٢٤١، وروح المعاني ٩/٥١١. وكلاهما صواب، ينظر اللسان (بدر).

حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا^(١)؟

﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأَنَّ هَادِيَ لَهُ﴾ نَفَى نَفِيًّا عَامًّا أَنْ يَكُونَ هَادٍ لِمَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ، فَتَضَمَّنَ الْيَأْسَ مِنْ إِيْمَانِهِمْ وَالْمَقْتَّ لَهُمْ.

﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١٨١) قرأ الحسن وقتادة وأبو عبد الرحمن وأبو جعفر والأعرج وشيبة والحزميان وابن عامر: «ونذَرُهُم» بالنون ورفع الراء، وأبو عمرو وعاصم بالياء ورفع الراء^(٢)، وهو استثناء إخباري: قُطِعَ الفعل، أو أضمر قبله: ونحن^(٣)، فيكون جملة اسمية.

وقرأ ابن مصرف والأعمش والأخوان، وأبو عمرو فيما ذكر أبو حاتم بالياء والجزم^(٤)، وروى خارجة عن نافع بالنون والجزم^(٥)، وخرَجَ سكونُ الراء على وجهين:

أحدهما: أنه سَكَنَ لتوالي الحركات كقراءة: «وما يشعركم»^(٦) و«ينصركم»^(٧) فهو مرفوع.

والآخر: أنه مجزوم عطفاً على محل «فلا هادي له» فإنه في موضع جزم، فصار مثل قوله: «فهو خير لكم ونكفر» في قراءة من جَزَمَ راء «ونكفر»^(٨)، ومثل قول الشاعر:

(١) الكشاف ١٣٤/٢.

(٢) ينظر السبعة ص ٢٩٨، والتيسير ص ١١٥، والمحزر الوجيز ٤٨٣/٢، والنشر ٢٧٣/٢.

(٣) في (ب) و(د) و(ه): وأضمر... والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما قاله ابن عطية في المحزر ٤٨٣/٢، قال: وهذا على إضمار مبتدأ: ونحن نذرههم، أو على قطع الفعل واستثناء القول. اهـ. وتقدير «نحن» على قراءة النون، أما على قراءة الياء فيقدر: هو. ينظر الدر المصون ٥٢٨/٥.

(٤) قراءة الأخوين في السبعة ص ٩٩، والتيسير ص ١١٥، والكلام من المحزر الوجيز ٤٨٣/٢، وهي خلاف المشهور عن أبي عمرو.

(٥) المحزر الوجيز ٤٨٤/٢، وهي خلاف المشهور عن نافع.

(٦) الآية: (١٠٩) من سورة الأنعام، وقرأ بالجزم فيها أبو عمرو بخلف عن الدوري.

(٧) الآية: (١٦٠) من آل عمران، وقرأ بالجزم فيها أيضاً أبو عمرو بخلف عن الدوري.

(٨) الآية: (٢٧١) من البقرة، وقرأ بالجزم في «ونكفر» نافع وحزمة والكسائي.

أَنْتَى سَلَكْتَ فإِنَّنِي لَكَ كَاشِحٌ وَعَلَى انْتِقَاصِكَ فِي الْحَيَاةِ وَأَزْدَدٍ^(١)
 ﴿سَتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ إِيَّانَ مَرْسَهَا﴾ الضميرُ في «يسألونك» لقريش، قالوا:
 يا محمد، إنا قرابتك فأخيرنا بوقت الساعة^(٢).

وقال ابن عباس: الضمير لليهود؛ قال جبيل^(٣) بن أبي قشير وشمويل بن زيد:
 إن كنت نبياً فأخيرنا بوقت الساعة، فإننا نعرفها، فإن صدقت أمناً بك. فنزلت.

ومناسبتها لما قبلها: أنه لما ذكر التوحيد والنبوة والقضاء والقدر، أتبع ذلك
 بذكر المعاد، وأيضاً فلما تقدم قوله: «وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم»، وكان
 ذلك باعثاً على المبادرة إلى التوبة، أتى بالسؤال عن الساعة ليُعلم أن وقتها مكتومٌ
 عن الخلق، فيكون ذلك سبباً للمسارعة إلى التوبة.

و«الساعة»: القيامة، موثٌ من كان حينئذٍ حياً وبعثُ الجميع يقع عليه اسمُ
 الساعة واسمُ القيامة. و«الساعة» من الأسماء الغالبة كالنجم للشريا.

وقرأ الجمهور: «إيان» بفتح الهمزة، والسلمى بكسرها حيث وقعت، وتقدم
 أنها لغة قومه سليم^(٤)، و«مرساها» مصدرٌ، أي: متى إرساؤها: إثباتها وإقرارها،
 والرسو: ثبات الشيء الثقيل، ومنه: رسا الجبل، وأرسيتُ السفينة، والمرسى:
 المكان الذي ترسو فيه.

وقال الزمخشري: «مرساها»: إرساؤها، أو: وقتُ إرسائها، أي: إثباتها
 وإقرارها^(٥). انتهى.

(١) تهذيب اللغة ٦٥٣/١٥، والمحرم الوجيز ٤٨٤/٢، واللسان (أيا). ورواية التهذيب
 واللسان: أيًا فعلت فإنني...

(٢) أخرجه عبد الرزاق ٢٤٥/١، والطبري ٦٠٤/١٠ عن قتادة.

(٣) في (أ) و(د) و(٣د) و(ع): جسل، وهي غير واضحة في باقي النسخ، والمثبت من المصادر.
 ينظر سيرة ابن هشام ٥٦٩/١، وتفسير الطبري ٦٠٥/١٠، والمحرم الوجيز ٤٨٤/٢.

(٤) عند شرح مفردات الآية، وذكرها عنه في هذه الآية ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٤٨،
 وابن جنبي في المحتسب ٢٦٨/١، وابن عطية في المحرم ٤٨٤/٢، والزمخشري في

الكشاف ١٣٤/٢.

(٥) الكشاف ١٣٤/٢.

وتقديره: أو وقت إرسائها، ليس بجيد، لأن «أيان» اسم استفهام عن الوقت فلا يصح أن يكون خبراً عن الوقت إلا بمجاز؛ لأنه يكون التقدير: في أي وقت وقت إرسائها.

و«أيان مرساها» مبتدأ وخبر، وحكى ابن عطية عن المبرد أن «مرساها» مرتفع بإضمارِ فعل^(١)، ولا حاجة إلى هذا الإضمار.

و«أيان مرساها» جملة استفهامية في موضع البدل من «الساعة»، والبدل على نية تكرار العامل، وذلك العامل معلق عن العمل؛ لأن الجملة فيها استفهام، ولما علق الفعل وهو يتعدى ب«عن» صارت الجملة في موضع نصب على إسقاط حرف الجر، فهو يدل في الحقيقة على^(٢) موضع «عن الساعة»؛ لأن موضع المجرور نصب، ونظيره في البدل قولهم: عرفتُ زيداً أبو من هو، على أحسن المذاهب في تخريج هذه المسألة، أعني في^(٣) كون الجملة الاستفهامية تكون في موضع البدل.

﴿قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّئُهَا لَوْقَهَا إِلَّا هُوَ﴾ أي: الله استأثر بعلمها، ولما كان السؤال عن الساعة عموماً، ثم خصص بالسؤال عن وقتها، جاء الجواب عموماً عنها بقوله: «قل إنما علمها عند ربِّي»، ثم خصصت من حيث الوقت فقل: «لا يجليها لوقتها إلا هو».

وعلم الساعة من الخمس التي نص عليها من الغيب أنه لا يعلمها إلا الله، والمعنى: لا يظهرها ويكشفها لوقتها الذي قدر أن تكون فيه إلا هو، قالوا: وحكمة إخفائها أنهم يكونون دائماً على حذر، فإخفاؤها أذعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية، كما أخفى الأجل الخاص - وهو وقت الموت - لذلك.

وقال الزمخشري: «لا يجليها لوقتها إلا هو»، أي: لا تزال خفية، ولا يظهر أمرها ولا يكشف خفاء علمها إلا هو وحده إذا جاء بها في وقتها بغتة، لا يجليها

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٨٤.

(٢) كذا في النسخ، ولعل الأنسب بالسياق: من، كما في الدر المصون ٥/٥٢٦.

(٣) في (ز١): من.

بالخبر عنها قبل مجيئها أحدٌ من خلقه؛ لاستمرار الخفاء بها على^(١) غيره إلى وقت وقوعها^(٢). انتهى، وهو كلامٌ فيه تكثيرٌ وعُجْمَةٌ.

﴿ثُقُلْتَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال ابن جريج: معناه: ثُقُلْتَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْفِسَهَا؛ لِتَقْطُرَ السَّمَاوَاتُ، وَتَبْدُلَ الْأَرْضُ، وَنَسْفِ الْجِبَالَ.

وقال الحسن: ثُقُلْتَ لِهَيْبَتِهَا وَالْفَزَعِ مِنْهَا عَلَى أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

وقال السدّي: معنى «ثُقُلْتَ»: خَفِيَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَلَمْ يَعْلَمْ أَحَدٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَالْأَنْبِيَاءِ الْمُرْسَلِينَ مَتَى تَكُونُ، وَمَا خَفِيَ أَمْرُهُ ثُقُلَ عَلَى النَّفُوسِ^(٣). انتهى.

ويعبّر بالثقل عن الشدة والصعوبة، كما قال: ﴿وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا نَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٧]، أي: شديدًا صعبًا، وأصله أن يتعدّى، بـ«على»؛ تقول: ثُقُلَ عَلَيَّ هَذَا الْأَمْرُ، وقال الشاعر:

ثُقَيْلٌ عَلَى الْأَعْدَاءِ.....^(٤)

فإمّا أن يُدْعَى أَنْ «فِي» بمعنى «على»، كما قال بعضهم في قوله: ﴿وَأَصْلَيْنَاكُمْ فِي حُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أو يُضْمَنُ «ثُقُلْتَ» معنى فعلٍ يتعدّى بـ«في».

وقال الزمخشري^(٥): أي: كُلُّ مَنْ أَهْلَهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالثَّقَلَيْنِ أَهَمَّهُ شَأْنُ

(١) في (١ز): عن، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في مطبوع الكشاف.

(٢) الكشاف ١٣٤/٢.

(٣) تنظر هذه الأخبار في تفسير الطبري ٦٠٨/١٠-٦٠٩، والمحزر الوجيز ٤٨٤/٢.

(٤) قطعة من بيت أورده ابن الأنباري في الزاهر ٢٧٠/١، والقالي في أماليه ٣/٢ دون نسبة، وتماهه:

لَنَا جَانِبٌ مِنْهُ يَلِينُ وَجَانِبٌ ثَقِيلٌ عَلَى الْأَعْدَاءِ مَرْكَبُهُ صَعْبٌ

وأورده أبو تمام في الحماسة (بشرح التبريزي) ١٤٤/١ برواية:

لَنَا جَانِبٌ مِنْهُ دَمِيئٌ وَجَانِبٌ إِذَا رَامَهُ الْأَعْدَاءُ مَمْتَنِعٌ صَعْبٌ

قال التبريزي: قال أبو ريش: هو لأبي الشغب العبسي، وقال أبو عبيدة: للأقرع بن معاذ القشيري.

(٥) في الكشاف ١٣٤/٢.

الساعة، وودَّ أن يتجلى له عِلْمُهَا، وشقَّ عليه خفاؤها وثقلَ عليه، أو ثقلتَ فيها لأنَّ أهلها^(١) يتوقَّعونها ويخافون شدائدَها وأهوالها، ولأنَّ كلَّ شيءٍ لا يطيقها ولا يقوم لها، فهي ثقيلة فيهما.

﴿لَا تَأْتِيكَ إِلَّا بَغْتَةً﴾ أي: فجأةً على غفلةٍ منكم وعدم شعورٍ بمجيئها، وهذا خطابٌ عامٌّ لكلِّ الناس، وفي الحديث «إن الساعة لتهجم والرجلُ يُضلِّحُ حوضه، والرجلُ يسقي ماشيته، والرجلُ يسومُ سائمته، والرجلُ يخفضُ ميزانه ويرفعه»^(٢).

﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ قال ابن عباس والسديُّ ومجاهد: كأنك حفيٌّ بسؤالهم، أي: محبٌّ له^(٣).

وعن ابن عباسٍ أيضًا: كأنك يعجبك سؤالهم^(٤).

وعنه أيضًا: كأنك مجتهدٌ في السؤالِ مبالغٌ في الإقبالِ على ما تُسأل عنه^(٥).

وقال ابنُ قتيبة: كأنك طالبٌ عِلْمِهَا^(٦).

وقال مجاهدٌ أيضًا والضحاكُ وابن زيد: معناه: كأنك حفيٌّ بالسؤالِ عنها

(١) في النسخ عدا (١د): أَلْهَا، والمثبت من (١د) والمطبوع، وجاء في مطبوع الكشاف: أو ثقلت فيها لأن أهلها.

(٢) أخرجه الطبري ١٠/٦١٠ من طريق قتادة عن النبي ﷺ مرسلًا بلفظ: «إن الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح...»، وفيه: «والرجل يُقيم سلعته» بدل: «والرجل يسوم سائمته».

ويشهد لهذا الخير حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري (٦٥٠٦)، ومسلم (١٩٥٤).

(٣) الذي في المصادر عن الأئمة المذكورين: حفيٌّ بهم، صديق لهم، على تقدير التقديم في «عنها»، أي: يسألونك عنها كأنك حفيٌّ بهم. ينظر تفسير الطبري ١٠/٦١١-٦١٢، والنكت والعيون ٢/٢٨٥، وزاد المسير ٣/٢٩٨. وسيرد هذا الوجه في «عنها» قريباً عند الكلام عن الإعراب.

(٤) تفسير الطبري ١٠/٦١٤، وتفسير ابن أبي حاتم ٨/١٦٢٨، وزاد المسير ٣/٢٩٨.

(٥) ينظر المحرر الوجيز ٢/٤٨٤-٤٨٥، وفيه: وقرأ ابن عباس فيما ذكر أبو حاتم: «كأنك حفي بها» لأن «حفي» معناه: مهتبلٌ مجتهدٌ في السؤالِ مبالغٌ...، وسترده القراءة قريباً عن ابن مسعود.

(٦) تفسير غريب القرآن ص ١٧٥، ولفظه: أي: معنيٌّ بطلب علمها.

والاشتغال بها حتى حصلت عليها^(١)، أي: تحبُّه وتؤثره، أو بمعنى أنك تكره السؤال لأنها من علم الغيب الذي استأثر الله به ولم يؤته أحدًا^(٢).

وقال ابن عطية: أي: مُحْتَفٍ ومُهْتَبِلٍ^(٣).

وقال الزمخشري^(٤): كأنك عالمٌ بها، وحقيقته: كأنك بليغٌ في السؤال عنها؛ لأنَّ مَنْ بِالْعِ فِي السُّؤَالِ عَنِ الشَّيْءِ وَالتَّنْقِيرِ عَنْهُ اسْتَحْكَمَ عِلْمُهُ فِيهِ وَرَصَنَ، وهذا التركيبُ معناه المبالغة، ومنه إحقاء الشارب، واحتفاء البقل^(٥): استئصاله، وأحْفَى في المسألة: ألحَفَ، وَحَفَى بفلانٍ وَتَحَفَّى بِهِ: بالغ في البرِّ به. انتهى.

و«عنها» إما أن يتعلق ب«يسألونك»، أي: يسألونك عنها، وتكون صلة «حفي» محذوفة، والتقدير: كأنك حفيٌّ بها، أي: مُعْتَنٍ بِشَأْنِهَا حَتَّى عَلِمْتَ حَقِيقَتَهَا وَوَقَّتَ مَجِيئَهَا، أَوْ: كأنك حفيٌّ بهم، أي: مُعْتَنٍ بِأَمْرِهِمْ فَتَجِيئِهِمْ عَنْهَا، لِرِزْمِهِمْ أَنَّ عِلْمَهَا عِنْدَكَ، وَ«حَفِيٌّ» لَا يَتَعَدَّى بِ«عَنْ»، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مریم: ٤٧] فَعَدَّاهُ بِالْبَاءِ، وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ: لَا تُؤَصَّلُ الْحَفَاوَةُ بِ«عَنْ» كَمَا تُؤَصَّلُ بِالْبَاءِ.

وإمَّا أَنْ يَتَعَلَّقَ بِ«حَفِيٌّ» عَلَى جِهَةِ التَّضْمِينِ، لِأَنَّ مَنْ كَانَ حَفِيًّا بِشَيْءٍ أَدْرَكَهُ وَكَشَفَ عَنْهُ، فَالتَّقْدِيرُ: كَأَنَّكَ كَاشَفٌ بِحَفَاوَتِكَ عَنْهَا.

وإمَّا أَنْ تَكُونَ «عَنْ» بِمَعْنَى الْبَاءِ، كَمَا تَكُونَ الْبَاءُ بِمَعْنَى «عَنْ» فِي قَوْلِهِ:

فإن تسألونني بالنساء فإنني^(٦)

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٨٤، وفيه: ... حتى حصلت عِلْمَهَا، وهو الموافق لمعنى ما أخرجهُ الطبري عن الأئمة المذكورين ١٠/٦١٣-٦١٤.

(٢) ينظر الكشاف ٢/١٣٥.

(٣) المحرر الوجيز ٢/٤٨٤. ومهتبل: مغتتم، وتحرف في المطبوع إلى: محتفل. وجاء في مطبوع المحرر: متحفٌ، بدل: مُحْتَفٍ، وهما بمعنى.

(٤) في الكشاف ٢/١٣٤-١٣٥.

(٥) في النسخ والمطبوع. النعل، والمثبت من الكشاف، وهو الصواب. ينظر الفائق ١/٩٤، (حفاً)، والمغرب ١/٢١٥ (حفي)، واللسان والتاج (حفي). واحتفاء البقل: أخذه بأطراف الأصابع من وجه الأرض من قصره وقلته. تهذيب اللغة ٥/٢٦٠.

(٦) صدر بيت لعلمة بن عبدة، وهو في ديوانه (بشرح الأعلام) ص ٣٥، وعجزه: خبير بأدواء النساء طيب.

أي: عن النساء.

وقرأ عبد الله: «كأنك حفيٌّ بها» بالباء^(١) مكان «عن»، أي: عالمٌ بها بليغٌ في العلم بها.

﴿ثُمَّ لِنَسْأَلَنَّ عَنْهَا لَمَّا جَاءَتْ لَكُمُ الْمَوْتُ لِيَعْلَمَ اللَّهُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: علمٌ مجيئها في علم الله، وظرفيةٌ «عند» مجازيةٌ، كما تقول: النحوُّ عند سيبويه، أي: في علمه.

وتكريرُ السؤال والجواب على سبيل التوكيد، ولما جاء به من زيادةٍ قوله: «كأنك حفيٌّ عنها».

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال الطبري: لا يعلمون أن هذا الأمر لا يعلمه إلا الله، بل يظنُّ أكثرهم أنه ممَّا يعلمه البشر^(٢).

وقيل: لا يعلمون أن القيامة حقٌّ؛ لأن أكثر الخلق يُنكرون المَعَادَ، ويقولون: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ الآية [الأنعام: ٢٩].

وقيل: لا يعلمون أنني أخبرتك أن وقتها لا يعلمه إلا الله.

وقيل: لا يعلمون السبب الذي لأجله أخفيتُ معرفةً وقتها.

والأظهرُ قولُ الطبري.

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا سَاءَ اللَّهُ﴾ قال ابن عباس: قال أهلُ مكة: ألا يُخبرك ربُّك بالسعر الرخيص قبل أن يلغوَ فتشتري وتربح، وبالأرض التي تُجذبُ فترحلَ عنها إلى ما أخصبَ؟ فنزلت^(٣).

وقيل: لما رجع من غزوة المُضطَلِقِ جاءت ريحٌ في الطريق، فأخبرَ بموت رفاعة، وكان فيه غيظُ المنافقين، ثم قال: «انظروا أين ناقتي»، فقال عبد الله بنُ أبي: ألا تعجبون من هذا الرجل؛ يُخبر عن موت رجلٍ بالمدينة ولا يعرفُ أين

(١) القراءات الشاذة ص ٤٧، والكشاف ٢/١٣٥.

(٢) تفسير الطبري ١٠/٦١٥، والمححر الوجيز ٢/٤٨٥، والكلام منه.

(٣) تفسير البغوي ٢/٢٢٠، وزاد المسير ٣/٢٩٩، وذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٢٢٥:

عن الكلبي.

ناقته؟ فقال عليه السلام: «إن ناسًا من المنافقين قالوا كيت وكيت، وناقتي في الشَّعب قد تعلق زمامها بشجرة» فوجدوها على ما قال، فنزلت^(١).

ووجه مناسبتها لما قبلها ظاهرٌ جدًا، وهذا منه عليه السلام إظهارٌ للعبودية، وانتفاءً عمًا يختصُّ بالربوبية من القدرة وعلم الغيب، ومبالغةً في الاستسلام، فلا أملك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضرر فكيف أملك علم الغيب؟ كما قال في سورة يونس: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٨) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴿يونس: ٤٨-٤٩﴾.

وقدّم هنا النفع على الضرر لأنه تقدّم: «مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّلْ» فقدّم الهداية على الضلال، وبعده: «لَا سَتَكُنَّ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ» فناسب تقديم النفع، وقدّم الضرر في «يونس» على الأصل؛ لأنّ العبادة لله تكون خوفًا من عقابه أولاً ثم طمعًا في ثوابه، ولذلك قال: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦] فإذا تقدّم النفع فليسابقة لفظ تضمّنه.

وأيضًا ففي «يونس» موافقة ما قبله، ففيها: ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ [الآية: ١٨]، وفيها: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ﴾ [الآية: ١٢].

وفي «الأنعام»: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [الآية: ٧١] لأنه موصولٌ بقوله: ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا سَفِيْعٌ وَإِنْ تَمَدَّلْ كَلَّ عَدْلٍ لَا يُؤَخِّذُ مِنْهَا﴾ [الآية: ٧٠].

وفي «يونس»: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [الآية: ١٠٦] وتقدّمة: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: ١٠٣].

وفي «الأنبياء»: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا

(١) ذكره بهذا السياق الرازي في التفسير ٨٣/١٥، لكن أورده البغوي في التفسير ٣٥٠/٤ في سبب نزول سورة المنافقين، وفيه أن القائل رجل من المنافقين، وأنه آمن عندما ظهرت معجزة الناقة، وأن الميت هو رفاعة بن زيد بن التابوت، وكان من عظماء اليهود. وأخرجه مطولاً ابن شبة في أخبار المدينة ٣٤٩/١-٣٥٤ من طريق موسى بن عقبة عن الزهري، والبيهقي في الدلائل ٥٩/٤-٦٠ عن عروة وموسى بن عقبة، دون ذكر النزول.

يَضُرُّكُمْ ﴿ [الآية: ٦٦] وتقدّمه قولُ الكفار لإبراهيم في المحاجة: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ [الآية: ٦٥].

وفي «الفرقان»: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ [الآية: ٥٥] وتقدّمه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الآية: ٤٥] ونعم كثيرة.

وهذا النوع من لطائف القرآن العظيم وساطعِ براهينه.

والاستثناء متصل، أي: إلا ما شاء الله من تمكينني منه فإني أملكه، وذلك بمشيئة الله.

وقال ابن عطية: وهذا الاستثناء منقطع^(١). انتهى، ولا حاجة لدعوى الانقطاع مع إمكان الاتصال.

﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْتَرْتَ مِنِ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ أي: لكانت حالي على خلاف ما هي عليه: من استكثار الخير، واستغزار المنافع، واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسنني شيء منها.

وظاهرُ قوله: «ولو كنت أعلم الغيب» انتفاء العلم عن الغيب على جهة عموم الغيب كما روي عنه: «لا أعلم ما وراء هذا الجدار إلا أن يُعلمنيهِ رَبِّي»^(٢) بخلاف ما يذهب إليه هؤلاء الذين يدعون الكشف، وأنهم بتصفية نفوسهم يحصل لها اطلاع على المغيبات وإخباراً بالكوائن التي تحدث، وما أكثر ادعاء الناس لهذا الأمر، وخصوصاً في ديار مصر، حتى إنهم لينسبون ذلك إلى رجل متضمخ بالنجاسة يظل دهره لا يصلّي ولا يستنجي من نجاسته، ويكشف عورته للناس حين يبُول، وهو عارٍ من العلم والعمل الصالح.

وقد خصص قوم هذا العموم، فحكى مكي عن ابن عباس: لو كنت أعلم السنة المُجْدِبَةَ لأَعْدَدْتُ لها من المُخْصِبَةِ^(٣).

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٨٥.

(٢) لم أقف عليه، وسلف عند تفسير الآية (٥٠) من سورة الأنعام.

(٣) المحرر الوجيز ٢/٤٨٥، وذكره بنحوه النحاس في معاني القرآن ٢/٢٧٦، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/٣٠٠، وهو من رواية أبي صالح عن ابن عباس كما ذكر ابن الجوزي،

وقال قوم: أوقات النصر لتوخيئتها.

وقال مجاهد وابن جريج: لو كنت أعلم أجلي لاستكثرتُ من العمل الصالح^(١).

وقيل: ولو كنت أعلم وقت الساعة لأخبرتكم حتى تُوقنوا.

وقيل: ولو كنت أعلم الكتب المنزلة لاستكثرتُ من الوحي.

وقيل: ولو كنت أعلم ما يريد الله مني قبل أن يُعرفنيه لفعَلته.

وينبغي أن تُجعل هذه الأقوال وما أشبهها مُثلاً لا تخصيصاتٍ لعموم الغيب.

والظاهر أن قوله: «وما مسني السوء» معطوفٌ على قوله: «لاستكثرتُ من الخير» فهو من جواب «لو»، ويوضح ذلك أنه تقدّم قوله: «قل لا أملكُ لنفسي نفعا ولا ضرا» فقابلَ النفع بقوله: «لاستكثرتُ من الخير» وقابلَ الضرَّ بقوله: «وما مسني السوء»، ولأنَّ المترتبَ على تقدير علم الغيب كلاهما، وهما اجتلابُ النفع واجتنابُ الضرِّ.

ولم تضحَب [اللام]^(٢) «ما» النافية جوابَ «لو» لأنَّ الفصح أن لا تضحَبها، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ سَعَوْا مَا اسْتَجَابُوا لَكَ﴾ [فاطر: ١٤].

والظاهرُ عمومُ «الخير» وعدمُ تعيين «السوء»، وقيل: «السوء»: تكذيبهم له مع أنه كان يُدعى الأمين. وقيل: الجذب. وقيل: الموت. وقيل: الغلبةُ عند اللقاء. وقيل: الخسارةُ في التجارة. وقال ابن عباس: الفقر^(٣).

وينبغي أن تُجعلَ هذه الأقوال حَرَجتُ على سبيل التمثيل لا الحصر، فإنَّ الظاهر في «الغيب» و«الخير» و«السوء» عدمُ التعيين.

= وأخرج ابن أبي حاتم ١٦٢٩/٥ من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لعلمت إذا اشتريت شيئاً ما أربح فيه، فما أبيع شيئاً إلا ربحت فيه، ولا يصيبني الفقر.

(١) تفسير الطبري ٦١٦/١٠.

(٢) زيادة يقتضيها السياق، مستفادة من كلام السمين في الدر ٥٣٣/٥.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ١٦٢٩/٥.

وقيل: تَمَّ الكلامُ عند قوله: «لَا سَتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ» ثم أخبر أنه ما مسَّه السوء، وهو الجنونُ الذي رَمَوْه به، وقال مُؤرِّجُ السَّدُوسِيُّ: «السوء»: الجنونُ بلغة هذيل^(١).

وهذا القولُ فيه تفكيكٌ لنظم الكلام، واقتصارٌ على أن يكون جوابُ «لو» «لَا سَتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ» فقط، وتقديرُ حصول علم الغيب يترتب عليه الأمران لا أحدهما، فيكون إذ ذاك جوابًا قاصرًا.

﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٨٨﴾ لَمَّا نَفَى عَنِ نَفْسِهِ عِلْمَ الْغَيْبِ أَخْبَرَ بِمَا بُعِثَ بِهِ مِنَ النَّذَارَةِ وَمَتَعَلَّقُهَا الْمَخُوفَاتِ، وَالْبَشَارَةِ وَمَتَعَلَّقُهَا الْمَحْبُوبَاتِ، وَالظَّاهِرُ تَعَلَّقُهَا بِالْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّ مَنَفَعَتَهُمَا مَعًا وَجَذْوَاهُمَا لَا تَخْصُلُ إِلَّا لَهُمْ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذِيرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

وقيل: معنى «لقوم يؤمنون»: يُطَلَّبُ مِنْهُمْ الْإِيمَانُ وَيُدْعَوْنَ إِلَيْهِ، وَهَؤُلَاءِ النَّاسُ أَجْمَعُ.

وقيل: أخبر أنه نذيرٌ وتَمَّ الكلامُ، ومعناه أنه نذيرٌ للعالمِ كلِّهم، ثم أخبر أنه بشيرٌ للمؤمنين به، فهو وعدٌ لمن حصل له الإيمان.

وقيل: حُذِفَ مَتَعَلَقُ النَّذَارَةِ، وَدَلَّ عَلَى حُذْفِهِ إِثْبَاتُ مُقَابِلِهِ، وَالتَّقْدِيرُ: نَذِيرٌ لِلْكَافِرِينَ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ، كَمَا حُذِفَ الْمَعْطُوفُ فِي قَوْلِهِ: ﴿سَرِيلَ تَقِيكُمْ أَلْحَرَ﴾ [النحل: ٨١] أي: والبرد.

وبدأ بالندارة لأن السائلين عن الساعة كانوا كفارًا: إمَّا مشركو قريش، وإمَّا اليهود، فكان الاهتمامُ بذكر الوصف من قوله: «إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ» أَكْثَرُ وَأَوْلَى بالتقديم، والله تعالى أعلم.



﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَشَأْهَا
 حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَفْتَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبِّهَا لِيَنْزِلَ إِلَيْهَا صَالِحًا لَئَلَّكَ مِنْ
 الشَّكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾
 أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾
 وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْتَعِيبُكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَادِقُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾
 اللَّهُمَّ أَنْزِلْ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ
 يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ
 يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾
 وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَزَرْنَهُمْ يُنظِرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ
 بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِنَّا بِنَزْعِنَاكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ
 عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾
 وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْفِتْنِ ثُمَّ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِنَايَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ
 إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا
 قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا
 وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ
 رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَحْسِنُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾

صَمَتَ يَضْمُتُ - بضم الميم - صَمْتًا وضماتًا: سكت، وإِضْمِتُ: فلاةٌ معروفةٌ، المفردات
 وهي مسماةٌ بفعل الأمر قُطِعَتْ همزته، إذ ذاك قاعدةٌ في تسميةِ بفعلٍ فيه همزةٌ وصلٍ،
 وكُسرت الميم لأنَّ التغير يأنسُ بالتغير، ولئلا يدخلَ في وزنٍ ليس في الأسماء.
 البَطْشُ: الأخذُ بقوة، بَطَشَ يَبْطِشُ بضمِّ الطاء وكسرها.

التَّرْغُ: أدنى حركةٌ تكون، ومن الشيطان أدنى وسوسة، قاله الزجاج (١).

وقال ابن عطية: حركةٌ فيها فسادٌ، وقلما تُستعمل إلا في فعلِ الشيطان؛ لأنَّ
 حركاته مسرعةٌ مفسدةٌ (٢).

(١) في معاني القرآن ٢/٣٩٦.

(٢) المحرر الوجيز ٢/٤٨٥.

وقيل هو لغة: الإصابة تُعْرِضُ عند الغضب. وقال الفراء: نِعْرِمُ
والإغضاب^(١).

الإنصات، قال الفراء: هو السُّكوت للاستماع^(٢). يقال: نَصَتْ وَأَنْصَتْ
وَأَنْصَتَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وقد ورد الإنصاتُ متعدِّياً في شعر الكُمَيْتِ^(٣) قال:
أبوك الذي أجدى عليه بنصره فَأَنْصَتَ عَنِّي بعده كلَّ قائلٍ
قال^(٤): يريد: فَأَسْكَتَ عَنِّي^(٥).

الآصال: جمع أُصْلٍ، وهو العَشِيّ، كعُنُقٍ وأعناق، أو: جمعُ أُصَيْلٍ، كيمين
وأيمان، ولا حاجةٌ لدعوى أنه جمعُ جمعٍ كما ذهب إليه بعضهم؛ إذ ثبت أنَّ أُصْلاً
مفردٌ وإن كان يجوزُ جمعُ أُصَيْلٍ على أُصْلٍ فيكون جمعاً ككثيبٍ وكُثْبٍ، وممَّن
ذهب إلى أنَّ أصالاً جمعُ أُصْلٍ ومفردُ أُصْلٍ أُصَيْلٌ: الفراء^(٦). ويقال: جئناهم
مُؤَصِّلِينَ، أي: عند الأَصِيلِ.

* * *

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ مناسبة هذه
الآية لما قبلها أنه لما تقدّم سؤال الكفار عن الساعة ووقتها، وكان فيهم من لا يؤمن
بالبعث، ذكر ابتداء خلق الإنسان وإنشائه تنبيهاً على أن الإعادة ممكنة كما أن

التفسير

(١) لم أقف عليه، وقد فسر الفراء قوله تعالى: «ينزغنك» في معاني القرآن ١٨/٣ بقوله:
يصدنك عن أمرنا إياك.

(٢) لم أقف عليه عن الفراء، وقاله القاضي عياض في مشارق الأنوار ١٤/٢، والزمخشري في
الفاق ٤٣١/٣.

(٣) كذا ذكر، والذي في المصادر أنه للراعي النميري. ينظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٤٧/٢،
والاشتقاق لابن دريد ١١٠/١، ومنتهى الطلب ٢٧/٦، وهو في ديوانه ص ٢٠٩. وورد دون
نسبة في الزاهر لابن الأنباري ٧/٢، وتهذيب اللغة ١٥٥/١٢، واللسان والتاج (نصت).

(٤) في تهذيب اللغة واللسان والتاج القائل هو الأصمعي.

(٥) وهذه رواية الديوان والاشتقاق ومنتهى الطلب، وفي باقي المصادر مثل رواية المصنف،
وقال الأزهري: ويروى: كلُّ قائلٍ.

(٦) تفسير الرازي ١٠٩/١٥، ونقل النحاس في إعراب القرآن ١٧٣/٢ عن الفراء: أُصْلُ: جمع
أصيل، وقد يكون «أُصْلُ» واحداً.

الإنشاء كان ممكنًا، وإذا كان إبرازُه من العَدَمِ الصَّرْفِ إلى الوجود واقِعًا بالفعل فإِعَادَتُهُ أُخْرَى أن تكون واقِعَةً بالفعل.

وقيل: وجهُ المناسِبَةِ أنه لَمَّا بَيَّنَّ الذين يُلْحِدُونَ في أسمائه ويشْتَقُونَ منها أسماءَ لآلهتهم وأصنامهم، وأمر بالنظر والاستدلال المؤدِّي إلى تفرُّده بالإلهية والرُّبُوبية، بَيَّنَّ هنا أنَّ أصلَ الشرك من إبليس لآدم وزوجته حين تمنِّيَا الولدَ الصالحَ وأجاب اللهُ دعاءهما، فأدخل إبليسُ عليهما الشركَ بقوله: سَمِّيَاهُ عبدُ الحارث فإنه لا يموت. ففَعَلًا ذلك^(١).

وقال أبو عبد الله الرازي ما ملخَّصه: لَمَّا أَمَرَ بالنظر في الملكوت الدَّالَّ على التوحيد، وقَسَمَ خَلْقَهُ إلى مؤمن وكافرٍ، ونَفَى قدرةَ أحدٍ من خَلْقِهِ على نفع نفسه أو ضرِّها، رجع إلى تقرير التوحيد^(٢). انتهى.

والجمهورُ على أنَّ المراد بقوله: «من نفس واحدة» آدمٌ عليه السلام، فالخطابُ بـ«خلقكم» عامٌّ، والمعنى: إنكم تفرَّغْتُمْ من آدمٍ عليه السلام، وأنَّ معنى «وجعلَ منها زوجها» هي حواء، و«منها»: إمَّا من جسم آدم من ضلعٍ من أضلعه، وإمَّا أن يكون المعنى: من جنسها، كما قال تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ وقد مرَّ هذان القولان في أول «النساء» مشروحين بأكثر من هذا، ويكونُ الإخبارُ بعد هذه الجملة عن آدمٍ وحواء، ويأتي تفسيرُه إن شاء الله تعالى، وعلى هذا القولِ فسَّر

(١) ينظر ما ورد من أخبار في هذه القصة في تفسير الطبري ١٠/٦٢١-٦٢٨، وقال عنها ابن كثير عند تفسير هذه الآية: وهذه الآثار يظهر عليها - والله أعلم - أنها من آثار أهل الكتاب. اهـ. وقد روي فيها حديث مرفوع عن النبي ﷺ أخرجه أحمد (٢٠١١٧)، والترمذي (٣٠٧٧)، والطبري ١٠/٦٢٣ من طريق الحسن، عن سمرة بن جندب، عن النبي ﷺ، وأعله ابن كثير رحمه الله بعلل؛ منها: أنه روي موقوفًا من قول سمرة؛ أخرجه الطبري ١٠/٦٢٤، ومنها أن الحسن نفسه روي عنه بأسانيد صحيحة تفسيرُ الآية بغير هذا، قال: ولو كان الحديث عنده محفوظًا لَمَّا عَدَّلَ عنه هو ولا غيره، فهذا يدلُّ على أنه موقوف على الصحابي، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم. اهـ. وينظر أيضًا ما قاله محققو المسند في تضعيف هذا الحديث، وسيرد مزيد كلام على هذه القصة فيما سيأتي من تفسير الآية.

(٢) ورد الكلام بنحوه مختصرًا في تفسير الرازي ١٥/٨٥.

الزمخشريُّ الآية^(١)، وقد ردَّ هذا القولَ أبو عبد الله الرازيُّ وأفسدَه من وجوه:
 الأول: «فتعالى الله عمَّا يشركون» فدلَّ على أنَّ الذين أتوا بهذا الشرك جماعةً.
 الثاني: أنه قال بعده: «أَيْشُرِكُونَ ما لا يخلق شيئًا وهم يُخلِقُونَ»، وهذا ردُّ
 على مَنْ جعل الأصنام شركاء، ولم يَجْرِ لِإِبْلِيسَ في هذه الآية ذكرٌ.
 الثالث: لو كان المرادُ إبليسَ لقال: أيشركون مَنْ لا يخلق.
 ثم ذكر الرازي ثلاثة وجوه أُخَرَ من جهة النظر يُوقَفُ عليها من كتابه^(٢).

وقال الحسن وجماعة: الخطابُ لجميع الخلق، والمعنى في «هو الذي خلقكم
 من نفسٍ واحدة» من هيئةٍ واحدةٍ وشكلٍ واحدٍ، «وجَعَلَ منها زوجَها» أي: من
 جنسها، ثم ذكر حالَ الذَّكَرِ والأنثى من الخلق، ومعنى «جَعَلًا له شركاء» أي:
 صرَّفاه عن الفطرة إلى الشرك، كما جاء: «ما مِنْ مولودٍ إِلَّا يُؤَلَّدُ على الفطرة، فأبواه
 هما اللذان يُهوِّدانِه وينصِّرانه ويمجِّسانه»^(٣).

وقال القفال نحوَ هذا القول، قال: هو الذي خَلَقَ كلَّ واحدٍ منكم من نفسٍ
 واحدةٍ، وجَعَلَ من جنسها زوجَها، وذكر حال الزوج والزوجة، و«جَعَلًا» أي:
 الزوجُ والزوجةُ لله تعالى شركاء فيما آتاهما؛ لأنهما تارةً ينسبون ذلك الولدَ إلى
 الطبايع كما هو قولُ الطَّبائِعِيِّين، وتارةً إلى الكواكب كما هو قولُ المنجِّمِينَ، وتارةً
 إلى الأصنام والأوثان كما هو قولُ عَبَدَةِ الأصنام^(٤). انتهى، وعلى هذا لا يكونُ
 لآدمَ وحواءَ ذكرٌ في الآية.

وقيل: الخطابُ بـ«خَلَقَكُمْ» خاصٌّ، وهو لمشركي العرب، كانوا يقربون المولودَ
 للآلاتِ والعُزَّى والأصنام تبرُّكًا بهم في الابتداء، وينقطعون بأملهم إلى الله تعالى في
 ابتداء خلق الولدِ إلى انفصاله، ثم يُشْرِكُونَ، فحصلَ التعجُّبُ منهم.

(١) الكشاف ١٣٦/٢.

(٢) تفسير الرازي ٨٦/١٥.

(٣) معنى هذا القول أخرجَه عن الحسن الطبريُّ ٦٢٩/١٠، ولفظه في القرطبي ٤١١/٩ لكن دون نسبة. والحديث المرفوع أخرجَه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) وتفسير الرازي ٨٦/١٥-٨٧.

وقيل: الخطابُ خاصٌّ أيضًا، وهو لقريشِ المعاصرين للرسول ﷺ، و«نفسٍ واحدة» هو قصيٌّ، «منها» أي: من جنسها زوجةٌ عرييةٌ قُرشيَّةٌ «ليسكن إليها»، والصالح: الولدُ السويُّ، «جَعَلَا له شركاء» حيث سَمَّيا أولادهما الأربعة: عبد منافٍ، وعبد العزَّى، وعبد قصيٍّ، وعبد الدار، والضمير في «يشركون» لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك^(١). انتهى.

﴿لَيْسَكُنَّ إِيَّاهُ﴾ ليطمئنَّ ويميلَ ولا يَنفِرَ؛ لأنَّ الجنسَ إلى الجنسِ أميلُ، وبه أنسُ، وإذا كان «منها» على حقيقته فالسكونُ والمحبَّةُ أبلغُ، كما يسكنُ الإنسانُ إلى ولده ويحبُّه محبةً نَفْسِيَّةً أو أكثر لكونه بعضًا منه، وأنث في قوله: «منها» ذهابًا إلى لفظ النفس، ثم ذكَّر في قوله: «ليسكن» حملًا على معنى النفس؛ لبيِّن أن المراد بها الذكْرُ آدمُ أو غيره على اختلاف التأويلات، وكان الذكْرُ هو الذي يسكنُ إلى الأنثى ويتغشَّاهَا، فكان التذكيرُ أحسنَ طباقًا للمعنى.

﴿فَلَمَّا تَعَسَّلَهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ﴾ إن كان الخيرُ عن آدم فخلقُ حواءَ كان في الجنة، وأمَّا التغشِّي والحملُ فكان في الأرض، والتغشِّي والغشيانُ والإتيانُ كنايةٌ عن الجماع، ومعنى الخفَّة: أنها لم تُلَقَّ به من الكَرْبِ ما يَغْرِضُ لبعض الحبالى، ويحتملُ أن يكون «حَمَلًا» مصدرًا وأن يكون ما في البطن، والحملُ بفتح الحاء: ما كان في بطنٍ أو على رأسِ الشجرة، وبالكسر ما كان على ظهرٍ أو على رأسِ شجرة، وحكى يعقوب^(٢) في حمل النخلة الكسرَ، وحكى أبو سعيد^(٣) في حمل المرأة: حَمْلٌ وحَمْلٌ.

وقال ابن عطية: الحَمْلُ الخفيفُ هو المنى الذي تحمله المرأة في قرَجِها^(٤).

وقرأ حمَّاد بن سلمة عن ابن كثير: «حَمَلًا» بكسر الحاء^(٥).

(١) الكشاف ١٣٧/٢، وتفسير الرازي ٨٧/٥.

(٢) هو ابن السكيت، وذكر كلامه النحاس في إعراب القرآن ١٦٧/٢، وينظر إصلاح المنطق ص ٣.

(٣) الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، نحويُّ بغداد، قرأ القرآن على ابن مجاهد، وتصدر لإقراء القراءات واللغة، وجوَّد شرح كتاب سيبويه، وله: أَلْفَاثُ القِطْعِ والوَصْلِ، توفي سنة (٣٦٨هـ). السير ٣٤٧/١٦. وذكر كلامه القرطبي في التفسير ٤٠٨/٩-٤٠٩.

(٤) المحرر الوجيز ٤٨٦/٢.

(٥) المصدر السابق.

وقرأ الجمهور: «فَمَرَّتْ بِهِ»، قال الحسن: أي: استمرَّتْ بِهِ^(١). وقيل: هذا على القلب، أي: فَمَرَّ بِهَا، أي: استمرَّ بِهَا. وقال الزمخشري: فمضت إلى وقت ميلاده من غير إخداج^(٢) ولا إزلاق، وقيل: «حملت حملاً خفيفاً» يعني النطفة، «فَمَرَّتْ بِهِ»: فقامت به وقعدت فاستمرَّتْ بِهِ^(٣). انتهى.

وقرأ ابن عباس فيما ذكر النقَّاشُ وأبو العالية ويحيى بن يَعْمَرَ وأيوب: «فَمَرَّتْ بِهِ» خفيفة الراء من الجرِّيَّة^(٤)، أي: فَشَكَّتْ فيما أصابها: أهو حملٌ أم^(٥) مرضٌ؟ وقيل: معناه: استمرَّتْ بِهِ لكنهم كرهوا التضعيفَ فخففوه، نحو ﴿وَقَرْنَ﴾ [الأحزاب: ٣٣] فِيمَنْ فَتَحَ مِنَ الْقَرَارِ^(٦).

وقرأ عبد الله بن عمرو بن العاصي والجحدريُّ: «فَمَارَتْ بِهِ» بِالْفِ وتخفيف الراء^(٧)، أي: جاءت وذهبت وتصرَّفت به، كما تقول: مارت الريحُ مؤزراً، ووزنه: فَعَلَّ.

وقال الزمخشري: من الجرِّيَّة، كقوله تعالى: ﴿أَفْتَرُونَهُ﴾ و﴿أَفْتَرُونَهُ﴾^(٨) [النجم: ١٢] ومعناه ومعنى المخففة «فَمَرَّتْ»: وَقَعَ فِي نَفْسِهَا ظَنُّ الْحَمْلِ وَارْتَابَتْ بِهِ^(٩). ووزنه فاعل.

(١) أخرجه عبد الرزاق ٢٤٨/١، والطبري ٦١٨/١٠.

(٢) تصحفت في (أ) و(١د) و(ع) والمطبوع إلى: إخراج، والمثبت من باقي النسخ والكشاف، والإخداج: مجيء الولد ناقصاً وإن كان أيامه تامة. ينظر القاموس (خدج).

(٣) الكشاف ١٣٦/٢، وفيه: ... فقامت به وقعدت، وقرأ ابن عباس: «فاستمرت به».

(٤) القراءات الشاذة ص ٤٧، والمحتسب ٢٦٩/١، والمحزر الوجيز ٤٨٦/٢، وزاد المسير ٣٠١/٢.

(٥) في (أ) و(١د) و(١ز) و(ع) والمطبوع: أو.

(٦) هي قراءة عاصم ونافع من السبعة كما سيرد عند تفسير الآية.

(٧) القراءات الشاذة ص ٤٧-٤٨، والمحتسب ٢٧٠/١، والكشاف ١٣٦/٢، والمحزر الوجيز ٤٨٦/٢، وزاد المسير ٣٠١/٣.

(٨) هي قراءة حمزة والكسائي كما سيرد عند تفسير الآية، وقصد الزمخشري تشبيه القراءتين في سورة النجم بالقراءتين هنا، وهما: «مَرَّتْ» و«مَارَتْ».

(٩) الكشاف ١٣٦/٢.

وقرأ عبد الله: «فاستمررت بحمليها»^(١). وقرأ سعد بن أبي وقاص وابن عباس أيضاً والضحاك: «فاستمررت به»^(٢). وقرأ أبي بن كعب والجزمي^(٣): «فاستمارت به» والظاهر رجوعه إلى المرية، بُني منها استُفْعِلَ كما بُني منها فاعلٌ في قولك: ماريتُ.

﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّكْرِ كِتَابًا ﴿١٨٩﴾﴾ أي: دخلت في الثقل، كما تقول: أصبح وأمسى، أو: صارت ذات ثقلٍ، كما تقول: أثمر الرجلُ وألبن: إذا صار ذا ثمرٍ ولبنٍ.

وقال الزمخشري: أي: حان وقت ثقلها، كقوله: أقربت^(٤).

وقرئ: «أثقلت» على البناء للمفعول^(٥).

«رَبَّهُمَا» أي: مالك أمرهما، الذي هو الحقيقُ أن يُدعى، ومتعلقُ الدعاء محذوفٌ يدلُّ عليه جملةُ جواب القسم، أي: دَعَا اللَّهَ وَرَغِبَا إِلَيْهِ فِي أَنْ يُؤْتِيَهُمَا صَالِحًا، ثم أقسما على أنهما يكونان من الشاكرين إن آتاها صالِحًا؛ لأنَّ إيتاء الصالح نعمةٌ من الله على والديه، كما جاء في الحديث أن عملَ ابنِ آدمٍ ينقطعُ إلا من ثلاثٍ، فذكر الولدُ الصالحُ يدعو لوالديه^(٦)، فينبغي الشكرُ عليها إذ هي من أجلِّ النعم.

ومعنى «صَالِحًا»: مطيعًا لله تعالى، أي: ولدًا طائعًا، أو: ولدًا ذكراً؛ لأنَّ الذكورة من الصلاح والجودة. قال الحسن سميَّاه^(٧) غلامًا. وقال ابن عباس: بشرًا سويًّا سليمًا^(٨).

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٨٦.

(٢) القراءات الشاذة ص ٤٨، والمحتسب ١/٢٧٠، والكشاف ٤/١٣٦، والمحرر الوجيز ٢/٤٨٦، وزاد المسير ٣/٣٠١.

(٣) كذا في النسخ، والذي في زاد المسير ٣/٣٠١ (والكلام منه): والجوني. وهو أبو عمران عبد الملك بن حبيب البصري.

(٤) الكشاف ٢/١٣٦، وفيه: ... ثقل حملها كقولك: أقربت. وأقربت الحامل فهي مُقْرَب: دنا ولأدّها. اللسان (قرب).

(٥) القراءات الشاذة ص ٤٨ عن اليماني.

(٦) أخرجه مسلم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) كذا في النسخ، وفي المحرر الوجيز ٢/٤٨٦ (والكلام منه): معناه، وهو الصواب. والخبر بذلك عن الحسن أخرجه عبد الرزاق ١/٢٤٨، والطبري ١٠/٦٢٠، وابن أبي حاتم ٥/١٦٣٣.

(٨) المحرر الوجيز ٢/٤٨٦.

و«لنكوننَّ» جوابُ قسمٍ محذوفٍ، تقديره: وأقسما لئن آتيتنا، أو: مُقسمينَ لئن آتيتنا. وانتصابُ «صالحًا» على أنه مفعولٌ ثانٍ لـ«آتيتنا»، وفي «المُشكِل» لمكِّي أنه نعتٌ لمصدرٍ، أي: إيتاءٌ صالحًا^(١).

﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ مَن جَعَلَ الْآيَةَ فِي آدَمَ وَحَوَاءَ جَعَلَ الضمائر والأخبار لهما، وذكروا في ذلك محاوراتٍ جرت بين إبليس وآدمَ وحواءٍ لم تثبت في قرآنٍ ولا حديثٍ صحيحٍ فأطرحْتُ ذكرها.

وقال الزمخشري: والضميرُ في «آتيتنا» و«لنكوننَّ» لهما ولكلٌّ مَن تناسلَ مِن ذريتِهما، «فلما آتاهما» ما طلبا من الولد الصالح السويِّ «جَعَلَا له شركاء» أي: جَعَلَ أولادُهُما له شركاء، على حذف المضافِ وإقامة المضافِ إليه مقامه، وكذلك «فيما آتاهما» أي: أتى أولادُهُما، وقد دلَّ على ذلك بقوله تعالى: «فتعالى اللهُ عما يشركون» حيث جمع الضميرَ، وآدمُ وحواءُ بريثان من الشرك، ومعنى إشراكهم فيما آتاهم اللهُ: تسميةُ أولادِهِم بعبد العزَّى وعبدِ مَنافٍ وعبدِ شمسٍ، وما أشبه ذلك، مكانَ: عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم^(٢). انتهى.

وفي كلامه تفكيكٌ للكلام عن سياقه، وغيره ممَّن جَعَلَ الكلام لآدمَ وحواءَ جعل الشركَ تسميتهما الولدَ الثالثَ عبد الحارث؛ إذ كان قد مات لهما ولدان قبله كانا سميَّا كلَّ واحدٍ منهما عبد الله، فأشار عليهما إبليسُ في أن يسميَّا هذا الثالثَ عبد الحارث، فسميَّا به^(٣) حرصًا على حياته^(٤)، فالشركُ الذي جَعَلَا لِه هو في التسمية فقط، ويكونُ الضميرُ في «يشركون» عائداً على آدمَ وحواءَ وإبليس؛ لأنه مدبِّرٌ معهما تسميةَ الولد عبد الحارث.

وقيل: «جَعَلَا»، أي: جَعَلَ أحدهما يعني حواءَ، وأمَّا مَن جعل الخطابَ

(١) مشكل إعراب القرآن ١/٣٠٧.

(٢) الكشاف ٢/١٣٧.

(٣) قوله: فسميَّا به، من (١د) والمطبوع، وليس في باقي النسخ.

(٤) أخرج هذه القصة عن جمع الطبري ١٠/٦٢١-٦٢٨، وقد سلف الكلام على ما ورد فيها من أخبار في بداية تفسير الآية، ولعل هذه الأخبار هي المقصودة بما سلف قريباً من قول المصنف: لم تثبت في قرآنٍ ولا حديثٍ صحيحٍ.

للناس وليس المرادُ في الآية بالنفس وزوجها آدمَ وحواءَ، أو جعلَ الخطابَ لمشركي العرب، أو لقريش، على ما تقدّم ذكره، فيتسوّى الكلام اتّساقًا حسنًا من غير تكلفٍ تأويلٍ ولا تفكيكٍ.

وقال السدّي والطبري: تمّ خبرُ آدمَ وحواءَ في قوله: «فيما آتاهما»، وقوله: «فتعالى الله عمّا يشركون» كلامٌ منفصلٌ يراؤُ به مشركو العرب. قال ابن عطية^(١): وهذا تحكّمٌ لا يساعده اللفظ. انتهى.

والضميرُ في «له» عائِدٌ على الله، ومَنْ زَعَمَ أنه عائِدٌ على إبليس^(٢) فقوله بعيدٌ؛ لأنه لم يجز له ذكْرٌ، وكذا يبيّهُ قولُ مَنْ جعله عائِدًا على الولد الصالح، وفسّر الشركَ بالنصيب من الرزق في الدنيا، وكانا قبله يأكلان ويشربان وحدّهما، ثم استأنف فقال: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٣) يعني الكفار.

وقرأ ابن عباس وأبو جعفر وشيبة وعكرمة ومجاهدٌ وأبان بن تغلبٍ ونافعٌ وأبو بكرٍ عن عاصم: «شركًا» على المصدر^(٤)، وهو على حذف مضافٍ، أي: ذا شركٍ، ويمكن أن يكون أطلق الشركَ على الشرك، كقولك: زيدٌ عدلٌ. قال الزمخشري: أو أخذنا الله شركًا^(٥) في الولد. انتهى.

وقرأ الأخوان وابنٌ كثير وأبو عمرو «شركاء» على الجمع، ويبيّهُ توجيهُ الآية أنها في آدمَ وحواءَ على هذه القراءة، وتظهر باقي الأقوال عليها. وفي مصحف أبيي: «فلمّا آتاهما صالحًا أشركا فيه»^(٥).
وقرأ السلمي: «عمّا تُشركون» بالتاء التفاتًا من الغيبة للخطاب^(٦).

(١) في المحرر الوجيز ٤٨٧/٢، وما قبله منه، وكلام الطبري والسدي في تفسير الطبري ٦٣٠/١٠.

(٢) والمعنى عليه: جعلًا لإبليس شركاء في اسمه حيث سمّيًا ولدهما بعبد الحارث.

(٣) ينظر السبعة ص ٢٩٩، والتيسير ص ١١٥، والمحرر الوجيز ٤٨٧/٢، والنشر ٢٧٣/٢.

(٤) في (أ) و(د) و(و) و(ز) و(ع): إشراكًا، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في الكشاف ١٣٧/٢.

(٥) المحرر الوجيز ٤٨٧/٢.

(٦) المحرر الوجيز ٤٨٨/٢.

وكان الضميرُ بالواو انتقالاً من التثنية للجمع، وتقدّم توجيهُ ضمير الجمع على مَنْ يعود.

﴿أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (١٨٩) أي: أَيْشْرِكُونَ الأصنامَ وهي لا تُقَدِّرُ على خَلْقِ شيءٍ كما يَخْلُقُ اللهُ، «وهم يُخْلَقُونَ» أي: يَخْلُقُهُم اللهُ تعالى ويُوْجِدُهُم كما يُوْجِدُكُمْ، أو يكون معناه: وهم يُنْحَتُونَ وَيُصْنَعُونَ، فَعَبَدْتُهُمْ يَخْلُقُونَهُمْ وهم لا يقدرُونَ على اختلاق (١) شيءٍ، فهم أعجزُ من عَبَدْتَهُمْ. و«هم» عائِدٌ على معنى «ما»، وقد عاد الضمير في «يخلق» على لفظ «ما».

وعبّر عن الأصنام بقوله: «وهم» - كأنها تعقل - على اعتقاد الكفار فيها، وبحسب أسمائهم (٢).

وقيل: أتى بضميرٍ مَنْ يَعْقِلُ لَأَنَّ من جملة مَنْ عُبِدَ الشياطينُ والملائكةُ وبعضُ بني آدم، فغلبَ مَنْ يعقلُ، وكلُّ مخلوقٍ لله تعالى.

ويحتملُ أن يكون «وهم» عائداً على ما عاد عليه ضميرُ الفاعل في «أيشركون»، أي: وهؤلاء المشركون يُخْلَقُونَ، أي: كان يجبُ أن يعتبروا بأنهم مخلوقون فيَجْعَلُوا إلههم خالقهم لا مَنْ لا يخلقُ شيئاً. وقرأ السُّلميُّ: «أيشركون» بالتاء من فوق (٣)، فيظهرُ أن يكون «وهم» عائداً على «ما» على معناها.

وَمَنْ جَعَلَ ذَلِكَ فِي آدَمَ وَحَوَّاءَ قَالَ: إِنَّ إبليسَ جاء إلى آدمَ وقد مات له ولدٌ اسمه عبدُ الله، فقال: إن شئتَ أن يعيَشَ لك الولدُ فسّمه عبدَ شمسٍ، فسّمّاه كذلك، فإياه عنى بقوله: «أَيْشْرِكُونَ ما لا يَخْلُقُ شَيْئًا وهم يُخْلَقُونَ» عائِدٌ على آدمَ وحواءَ والابنِ المسمّى عبدَ شمسٍ (٤).

(١) في (١د) والمطبوع: خلق.

(٢) أي: بحسب تسميتهم إياها آلهة. ينظر الكشاف ١٣٧/٢، وروح المعاني ٥٣٩/٩.

(٣) القراءات الشاذة ص ٤٨، والمحرر الوجيز ٤٨٨/٢.

(٤) المحرر الوجيز ٤٨٨/٢، وأخرجه بنحوه ابن أبي حاتم ١٦٣٥/٥، وهذه الرواية تخالف غيرها من الروايات الواردة في القصة، والتي فيها أن الشيطان أوعز إليهما أن يسمياه بعبد الحارث، وقد تقدم الكلام عليها قريباً.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهَا نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرِفُونَ﴾ (١٩٦) أي: ولا تقدرُ الأصنامُ لمن يعبدُهم على نصرٍ ولا لأنفسهم إن حدث بهم حادثٌ، بل عبدتُهم هم الذين يدفون عنها ويحمونها، ومن لا يقدرُ على نصرٍ نفسه كيف يقدرُ على نصرٍ غيره.

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاةَ عَلَيْكُمْ أَدْعَوْتَهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَمِيمُونَ﴾ (١٩٧) الظاهرُ أن الخطاب للكفار؛ انتقلَ من الغيبة إلى الخطاب على سبيلِ الالتفاتِ والتوبيخِ على عبادةٍ غيرِ الله، ويدلُّ على أن الخطاب للكفار قوله: بعدُ: «إنَّ الذين تدعون من دون الله عبادٌ أمثالكم».

وضميرُ المفعول عائدٌ على ما عادت عليه هذه الضمائر قبلُ، وهي الأصنامُ، والمعنى: وإن تدعوا هذه الأصنامَ إلى ما هو هدى ورشادٌ أو إلى أن يهدوكم كما تطلبون من الله الهدى والخير، لا يتبعوكم على مُرادكم ولا يُجيبوكم، أي^(١): ليست فيهم هذه القابلية؛ لأنها جمادٌ لا تعقل، ثم أكَّد ذلك بقوله: «سواءٌ عليكم»، أي: دعاؤكم إياهم وسمتكم عنهم سيان، فكيف يُعبدُ من هذه حاله؟!

وقيل: الخطابُ للرسول والمؤمنين، وضميرُ النصب للكفار، أي: وإن تدعوا الكفارَ إلى الهدى لا يقبلوا منكم، فدعاؤكم وسمتكم سيان، أي: ليست فيهم قابليةٌ قبولٍ ولا هدى.

وقرأ الجمهور: «لا يتبعوكم» مشدداً هنا وفي «الشعراء»: ﴿يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوَنُ﴾ [الآية: ٢٢٤] من أتبع، ومعناها: لا يقتدوا بكم. وقرأ نافعٌ فيهما: «لا يتبعوكم» مخففاً من تبع^(٢)، ومعناه: لا يتبعوا آثاركم.

وعُظفت الجملة الاسمية على الفعلية لأنها في معنى الفعلية، والتقدير: أم صمتم. وقال ابن عطية: وفي قوله: «أدعوتهم أم أنتم» عطفُ الاسم على الفعل؛ إذ التقدير: أم صمتم، ومثُل هذا قولُ الشاعر:

سواءٌ عليك النفرُ أم بتَّ ليلةٌ بأهلِ القبابِ من نميرِ بنِ عامرٍ^(٣)

(١) في (به): إذ.

(٢) السبعة ص ٢٩٩، والتيسير ص ١١٥.

(٣) المحرر الوجيز ٢/٤٨٨، وذكر البيت أيضاً الفراء في معاني القرآن ١/٤٠١، والطبري

انتهى، وليس من عَظَفِ الاسم على الفعل، إنما هو من عَظَفِ الجملة الاسمية على الجملة الفعلية، وأمَّا البيئُ فليس من عَظَفِ الاسم على الفعل بل من عَظَفِ الجملة الفعلية على الاسم المقدر بالجملة الفعلية، إذ أصل التركيب: سواءً عليك أنْفَرْتَ^(١) أم بَتَّ ليلةً، فأوْقَع «النَّفْر»^(٢) موقع: أنْفَرْتَ، وكانت الجملة الثانية اسميةً لمراعاة رؤوس الآي، ولأنَّ الفعل يُشعر بالحدوث واسم الفاعل يُشعرُ بالثبوت والاستمرار، فكانوا إذا دَهَمهم أمرٌ مُعْضِلٌ فزِعوا إلى أصنامهم، وإذا لم يحدث بقُوا ساكتين، فقليل: لا فَرْقَ بين أن تُحْدِثُوا لهم دعاءً وبين أن تستمروا على صمتكم فتبقُوا على ما أنتم عليه من عادة صمتكم، وهي الحالة المستمرة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣) هذه الجملة على سبيل التوكيد لما قبلها في انتفاء كون هذه الأصنام قادرةً على شيءٍ من نفع أو ضررٍ، أي: الذين تدعونهم وتسمونهم آلهةً من دون الله^(٤) الذي أوجدها وأوجدكم هم عبادةً، وسمى الأصنام عبادةً وإن كانت جماداتٍ لأنهم كانوا يعتقدون فيها أنها تضرُّ وتنفع، فاقضى ذلك أن تكون عاقلةً. و«أمثالكم» قال الحسن: في كونها مملوكةً لله^(٥).

وقال التبريزي: في كونها مخلوقةً.

وقال مقاتل: المراد طائفةً من العرب من خُزاعة كانت تعبدُ الملائكة، فأعلمهم تعالى أنهم عبادةً أمثالهم لا آلهةً^(٥). انتهى، فعلى هذا جاء الإخبارُ إخباراً عن العقلاء.

= ٦٣٥/١٠. وقع في النسخ والمحرو ونسخ الطبري: الفقر؛ قال الأستاذ محمود شاكر في تحقيق الطبري ٣٢١/١٣: وهو خطأ محض، صوابه في المعاني. اهـ. ويعني معاني القرآن للفرّاء، والمثبت منه، وهو الموافق لما في مطبوع النهر على هامش البحر ٤٤١/٤.

(١) في النسخ: أفنقرت، وكذا في الموضوع الثاني، والمثبت من المطبوع ومطبوع النهر ٤٤١/٤.

(٢) في النسخ: الفقر، والمثبت من المطبوع ومطبوع النهر.

(٣) لفظ الجلالة من (١د) والمطبوع.

(٤) ذكر عنه الجصاص في أحكام القرآن ٣٧/٣، والقرطبي ٤١٥/٩ قوله في تفسير الآية: مخلوقة أمثالكم. وهو عين القول الذي سيذكره المصنف عن التبريزي.

(٥) المحرر الوجيز ٤٨٦/٢.

وقال الزمخشري^(١): «عبادٌ أمثالكم» استهزاءً بهم، أي: قُصارى أمرهم أن يكونوا أحياءً عُقلاءً، فإن ثبت ذلك فهم عبادٌ أمثالكم لا تفاضل بينكم، ثم أبطل أن يكونوا عبادًا أمثالكم^(٢) فقال: «ألهم أرجلٌ يمشون بها». انتهى.

وليس كما زعم؛ لأنه تعالى حَكَمَ على هؤلاء المدعوين من دون الله أنهم عِبَادٌ أمثالُ الداعين، فلا يقال في الخبر من الله: فإن ثبت ذلك؛ لأنه ثابت، ولا يصح أن يقال: ثم أبطل أن يكونوا عبادًا أمثالكم فقال: «ألهم أرجلٌ»؛ لأنَّ قوله: «ألهم أرجلٌ» ليس إبطالاً لقوله: «عبادٌ أمثالكم»؛ لأن المِثْلِيَّةَ ثابتةٌ: إمَّا في أنهم مخلوقون، أو في أنهم مملوكون مقهورون، وإنما ذلك تحقيرٌ لشأن الأصنام، وأنهم دونكم في انتفاء الآلات التي أُعدت للانتفاع بها مع ثبوت كونهم أمثالكم فيما ذكر، ولا يدلُّ إنكارُ هذه الآلات على انتفاء المِثْلِيَّةِ فيما ذكر، وأيضًا فالإبطال لا يُتصوَرُ بالنسبة إلى تعالى، لأنه يدلُّ على كذب أحد الخبرين، وذلك مستحيلٌ بالنسبة إلى الله تعالى، وقد بينا ذلك في قوله: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقرأ ابنُ جبير: «إن» خفيفةً، و«عبادًا أمثالكم» بنصب الدال واللام^(٣)، واتَّفَق المفسِّرون على تخريج هذه القراءة على أن «إن» هي النافيةُ أعملت عملَ «ما» الحجازية فرفعت الاسم ونصبت الخبر، ف«عبادًا أمثالكم» خبرٌ منصوبٌ^(٤)، قالوا: والمعنى بهذه القراءة تحقيرُ شأن الأصنام ونقْيُ مماثلتِهم للبشر، بل هم أقلُّ وأحقُّرُ إذ هي جماداتٌ لا تفهم ولا تعقلُ.

وإعمالُ «إن» إعمالَ «ما» الحجازية فيه خلافٌ؛ أجاز ذلك الكسائي^(٥) وأكثر الكوفيين، ومن البصريين ابنُ السراج^(٦) والفراسي وابنُ جنِّي^(٧)، ومَنع من إعماله

(١) في الكشاف ١٣٨/٢.

(٢) في الكشاف: أمثالهم، وهو الأشبه.

(٣) القراءات الشاذة ص ٤٨، والمحتسب ١/٢٧٠، والمحزر ٢/٤٨٩، والكشاف ٢/١٣٨.

(٤) ينظر معاني القرآن للنحاس ٣/١١٧، والكشاف ٢/١٣٨، والمحزر الوجيز ٢/٤٨٩، والإملاء للعكبري ١/٢٩٠-٢٩١.

(٥) كما في الأزهية ص ٤٦، وأمالى ابن الشجري ٣/١٤٤، ومغني اللبيب ص ٣٥.

(٦) في الأصول في النحو ١/٢٣٥-٢٣٦.

(٧) ذكره عنهما ابن مالك في شرح التسهيل ١/٣٩٣، وقول ابن جنى في المحتسب ١/٢٧٠.

الفراء^(١) وأكثرُ البصريين، واختلف النقلُ عن سيبويه^(٢) والمبرد^(٣)، والصحيحُ أنَّ

(١) كما في الأزهية ص ٤٦، وأمالى ابن الشجري ٣/١٤٤، ومغني اللبيب ص ٣٥.
 (٢) نُقل عنه المنع في المقتضب ٢/٣٦٢، والأصول في النحو ١/٢٣٥، والأزهية ص ٤٥،
 وأمالى ابن الشجري ٣/١٤٣، والمحزر الوجيز ٢/٤٨٩، والإملاء للعكبري ١/٢٩١،
 ومغني اللبيب ص ٣٥. ونقل جواز الإعمال عنه السهيلي كما ذكر المصنف في التذييل
 والتكميل ٤/٢٧٧، ونقل ذلك عن سيبويه أيضاً ابن مالك في شرح التسهيل ١/٣٩٣، وقد
 استنبطه من عبارة قالها سيبويه في الكتاب، قال ابن مالك: وأكثرُ النحويين يزعمون أن
 مذهب سيبويه في «إن» النافية الإهمال، وكلامه مشعر بأن مذهبه فيها الإعمال، وذلك أنه
 قال في باب «عدة ما يكون عليه الكلام» [الكتاب ٤/٢٢١]: «وأما «إن» مع «ما» في لغة
 أهل الحجاز فهي بمنزلة «ما» مع «إن» الثقيلة، تجعلها من حروف الابتداء، وتمنعها أن
 تكون من حروف ليس»، فُعُلم بهذه العبارة أن في الكلام حرفاً مناسبة لـ«ليس» من جملتها
 «ما»، ولا شيء من الحروف يصلح لمشاركة «ما» في هذه المناسبة إلا «إن» و«لا» فتعيّن
 كونهما مقصودين. اهـ. وتعقبه المصنف في التذييل ٤/٢٨٠ بأن القواعد الكليّة لا تؤخذ من
 مثل قوله: «وتمنعها أن تكون من حروف ليس». وينظر تمة كلامه ثمة. وجاء في الكتاب
 ٤/٢٢ أيضاً عبارة أخرى وقع الاختلاف في تأويلها، وهي قوله: «وتكون «إن» كـ«ما» في
 معنى ليس» وهذه العبارة جعلها الأستاذ أبو بكر بن طاهر كما في التذييل ٤/٢٨٠ نصّاً على
 أنّ «إن» كـ«ما» تعمل عمل «ليس»، وقال الأستاذ أبو علي: هذا الكلام ليس بنص على
 ذلك؛ لأنه يحتمل أن يريد أنّ «إن» تكون كـ«ما» في النفي. إلى آخر كلامه.

قلت: والظاهر أن الصواب مع من نقل عنه المنع؛ لأنه لم يرّد عنه تصريح بالجواز، وقد
 نقل المصنف في التذييل ٤/٢٧٧ عن ابن عصفور أن الذي يعطيه كلام سيبويه أنها لا تعمل،
 قال: لأنه لم يذكرها في نواسخ الابتداء والخبر. اهـ. والذين نقلوا عنه الجواز إنما اعتمدوا
 على احتمالات واستنباطات من كلامه قد رُدّ عليها كما تقدم، أضف إلى ذلك أن ممّن نقل
 عنه المنع أبو العباس المبرد، وكان أعلم الناس في زمانه بكتاب سيبويه، وقد أخذه عن
 تلامذة أبي الحسن الأخفش، وكان الأخفش تلميذ سيبويه، وكان كما ذكروا الطريق إلى
 كتاب سيبويه. ينظر مقدمة الكتاب للأستاذ عبد السلام هارون ١/١٥، وفهرسة أبي بكر ابن
 خير الإشبيلي ص ٣٠٥-٣٠٧.

(٣) نقل المصنف في التذييل والتكميل ٤/٢٧٧ القول بالمنع للمبرد عن السهيلي، لكن كلامه في
 المقتضب ٢/٣٦٢ صريح في جواز الإعمال، ونقله عنه ابن السراج في الأصول في النحو
 ١/٢٣٦، والهروي في الأزهية ص ٤٦، وابن الشجري في أماليه ٣/١٤٤، وابن عطية في
 المحزر ٢/٤٨٩، والعكبري في الإملاء ١/٢٩١، وابن مالك في شرح التسهيل ١/٣٩٣،
 وابن مكرم في المغني ص ٣٥. راجع لإطلاق المصنف للخلاف عند سيبويه وأبي العباس
 المبرد سببه عدم وقوفه على صريح كلام المبرد في مقتضبه.

إعمالها لغةً، ثبت ذلك في النشر والنظم، وقد ذكرنا ذلك مُشَبَّعًا في «شرح التسهيل»^(١).

وقال النحاس: هذه قراءة لا ينبغي أن يُقرأ بها لثلاث جهات:

إحداها: أنها مخالفةٌ للسَّواد.

الثانية: أنَّ سيبويه يختارُ الرفع في خبر «إن» إذا كانت بمعنى «ما» فيقول: إن زيدً منطلقً؛ لأنَّ عمل «ما» ضعيفٌ، و«إن» بمعناها فهي أضعفُ منها.

والثالثة: أنَّ الكسائيَّ رأى أنَّها في كلام العرب لا تكون بمعنى «ما» إلا أن يكون بعدها إيجابٌ^(٢). انتهى.

وكلامُ النحاس هذا هو الذي لا ينبغي؛ لأنها قراءةٌ مرويةٌ عن تابعيٍّ جليلٍ، ولها وجهٌ في العربية، وأمَّا ثلاثُ الجهاتِ التي ذكرها فلا يقدحُ شيءٌ منها في هذه القراءة:

أمَّا كونُها مخالفةً للسَّواد فهو خلافٌ يسيرٌ جدًا لا يضرُّ، ولعله كُتِبَ المنصوبُ على لغةٍ ربيعةٍ في الوقف على المنون المنصوبِ بغير ألفٍ، فلا تكونُ فيه مخالفةً للسَّواد.

وأمَّا ما حكى عن سيبويه فقد اختلف الفهمُ عن^(٣) كلام سيبويه في «إن».

وأمَّا ما حكاه عن الكسائيِّ فالنقلُ عن الكسائيِّ أنه حكى إعمالها وليس بعدها إيجابٌ.

والذي يظهرُ لي أنَّ هذا التخريجَ الذي خرَّجوه من أنَّ «إن» للنفي ليس بصحيحٌ؛ لأنَّ قراءة الجمهور تدلُّ على إثبات كونِ الأصنام عبادًا أمثالَ عابديها، وهذا التخريجُ يدلُّ على نفي ذلك، فيؤدِّي إلى عدم مطابقةِ أحدِ الخبرين الآخر^(٤)، وهو لا يجوزُ بالنسبة إلى الله تعالى.

(١) وهو التذييل والتكميل، والكلام فيه ٤/٢٧٧-٢٨١.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/١٦٨.

(٣) في (د) والمطبوع: في.

(٤) كلمة: الآخر، من (د) والمطبوع، وجاء في (أ): الجزأين، بدل: الخبرين.

وقد خَرَجَتْ هذه القراءة في «شرح التسهيل»^(١) على وجهٍ غير ما ذكروه، وهو أن «إن» هي المخففة من الثقيلة، وأعملها عمل المشددة، وقد ثبت أن «إن» المخففة يجوزُ إعمالها إعمال المشددة في غير المضمَر بالقراءة المتواترة: ﴿وإنَّ كلاً لَمَّا﴾^(٢) [هود: ١١١]، وينقل سيبويه عن العرب^(٣)، لكنه نصب في هذه القراءة خبرها كما نصبه عمر بن أبي ربيعة المخزومي في قوله:

إذا اسودَّ جُنْحُ الليلِ فلتأتِ ولتكنِ حُطَّاكٌ خِفَّاكٌ إنَّ حِرَّاسَنَا أُسْدًا^(٤)

وقد ذهب جماعة من النحاة إلى جواز نصب أخبار «إن» وأخواتها، واستدلوا على ذلك بشواهد ظاهرة الدلالة على صحة مذهبهم، وتأولها المخالفون^(٥)، فهذه القراءة الشاذة تخرُج على هذه اللغة، أو تُتأوَّل على تأويل المخالفين لأهل هذا المذهب، وهو أنهم تأولوا المنصوب على إضمار فعلٍ، كما قالوا في قوله:

يا ليت أيام الصِّبا رواجعاً^(٦)

إن تقديره: أقبلت رواجعاً، فكذلك تُؤوَّل هذه القراءة على إضمار فعلٍ تقديره: إن الذين تدعون من دون الله خلقناهم^(٧) عباداً أمثالكم، وتكون القراءةان قد توافقتا

(١) التذييل والتكميل ٤/٢٧٨.

(٢) هي قراءة نافع وابن كثير من السبعة، كما سيرد عند تفسير الآية.

(٣) الكتاب ٢/١٤٠.

(٤) البيت دون نسبة في شرح المقدمة الجزولية الكبير للشلوين ٢/٨٠٠، وشرح التسهيل لابن مالك ١/٤٢٦، ومغني اللبيب ص ٥٥.

(٥) ينظر تفصيل هذه المسألة في شرح المقدمة الجزولية ٢/٨٠٠-٨٠٦، وشرح التسهيل لابن مالك ١/٤٢٦، والتذييل والتكميل ٥/٢٦-٣٢، وشرح شواهد المغني للبغدادي ١/١٨٤، وذكر ابن سلام في طبقات فحول الشعراء ١/٧٨ أنها لغة روية وقومه، لكن قال المصنف في الارتشاف ٣/١٢٤٢: وكثر ذلك في خبر ليت، ولم يحفظ في خبر «إن» ولا خبر «لكن».

(٦) الرجز للعجاج كما في طبقات فحول الشعراء ١/٧٨، وهو دون نسبة في الكتاب ٢/١٤٢، والأصول في النحو ١/٢٤٨، وأسرار العربية ص ٢٥٩، وشرح المقدمة الجزولية ٢/٨٠٢، والتذييل والتكميل ٥/٢٨. وجعله البغدادي في الخزانة ١٠/٢٣٦ من أبيات سيبويه الخمسين التي لم يعرف قائلها، ولعله لم يقف عليه في طبقات فحول الشعراء.

(٧) في (١د) و(ع): تدعون، بدل: خلقناهم، وسقطت من (أ)، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في الدر المصون ٥/٥٤١.

على معنى واحد، وهو الإخبار أنهم عباد، ولا يكون تَنَافٍ بينهما وتخالُفٌ لا يجوز في حق الله تعالى .

وُفِرَى أيضاً «إِنْ» مخففة ونصب «عباداً» على أنه حالٌ من الضمير المحذوف العائد من الصلة على «الذين»، و«أمثالكم» بالرفع على الخبر^(١)، أي: إن الذين تدعونهم من دون الله في حال كونهم عباداً أمثالكم في الخلق أو في الملك، فلا يمكن أن يكونوا آلهة .

«فادعوهم» أي: فاختربروهم بدعائكم: هل تقع منهم إجابة أو لا تقع، والأمر بالاستجابة هو على سبيل التعجيز، أي: لا يمكن أن يجيبوا، كما قال: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكَ﴾ [فاطر: ١٤] ومعنى «إِنْ كنتم صادقين»: في دعوى إلهيتهم واستحقاق عبادتهم، كقول إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿لَمْ تَبْدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يُعْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢].

﴿الَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ يَهًا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ يَهًا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ يَهًا أَمْ لَهُمْ أَادَانٌ يَسْمَعُونَ يَهًا﴾ هذا استفهام إنكارٍ وتعجبٍ وتبيينٍ أنهم جمادٌ لا حراك لهم، وأنهم فاقدون لهذه الأعضاء ومنافعها التي خلقت لأجلها، فأنتم أفضل من هذه الأصنام إذ لكم هذا التصرف .

وهذا الاستفهام الذي معناه الإنكار قد يتوجه الإنكار فيه إلى انتفاء هذه الأعضاء وانتفاء منافعها، فيَسَلِّطُ النفي على المجموع كما فسّرناه؛ لأنّ تصويرهم هذه الأعضاء للأصنام ليست أعضاء حقيقة، وقد يتوجه النفي إلى الوصف، أي: وإن كانت لهم هذه الأعضاء مصورة فقد انتفت المنافع^(٢) التي للأعضاء، والمعنى: إنكم أفضل من الأصنام بهذه الأعضاء النافعة .

و«أم» هنا منقطعة، فتتقدّر بـ«بل» والهمزة وهو إضرابٌ على معنى الانتقال لا على معنى الإبطال، وإنما هو تقرير^(٣) على نفي كلٍّ واحدة من هذه الجمل .

(١) الإملاء للعكبري ٢٩١/١ .

(٢) في المطبوع: هذه المنافع، وسقطت الجملة من (ب) و(٣د) و(يه) .

(٣) تحرفت في (ب) والمطبوع إلى: تقدير .

وكان ترتيبُ هذه الجملي هكذا لأنه بُدئ بالأهم ثم أُتبع بما هو دونه إلى آخرها.

وقرأ الحسن والأعرج ونافع بكسر الطاء، وقرأ أبو جعفر وشيبة ونافع أيضا بضمها^(١).

وقال أبو عبد الله الرازي: تعلق بعض الأغمار بهذه الآية في إثبات هذه الأعضاء لله تعالى فقالوا: جعلَ عدمها للأصنام دليلاً على عدم إلهيتها، فلو لم تكن موجودة له تعالى لكان عدمها دليلاً على عدم الإلهية، وذلك باطل، فوجب القول بإثباتها له تعالى.

والجواب من وجهين:

أحدهما: أن المقصود من الآية بيان أن الإنسان أفضل وأكمل حالاً من الصنم؛ لأنه له رجلٌ ماشيةٌ ويدٌ باطشةٌ وعينٌ باصرةٌ وأذنٌ سامعةٌ، والصنم - وإن صوّرت له صورةً هذه الأعضاء - بخلاف الإنسان، فالإنسانُ أكملٌ وأفضلٌ، فلا يشتغل بعبادة الأخصّ الأذون.

والثاني: أن المقصود تقريرُ الحجّة التي ذكرها قبل، وهي: «ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون» يعني كيف تحسنُ عبادة من لا يقدر على النفع والضرر، ثم قرّر أن هذه الأصنام انتفت عنها هذه الأعضاء ومنافعها، فليست قادرة على نفع ولا ضرر، فامتنع كونها آلهة، أمّا الله تعالى فهو وإن كان متعالياً عن هذه الأعضاء، فهو موصوفٌ بكمال القدرة على النفع والضرر، وبكمال السمع والبصر^(٢). انتهى، وفيه بعضٌ تلخيص.

﴿قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ ﴿١٨٥﴾ لَمَّا أَنْكَرَ تَعَالَى عَلَيْهِمْ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ، وَحَقَّرَ شَأْنَهَا، وَأَظْهَرَ كَوْنَهَا جَمَادًا عَارِيَةً عَنْ شَيْءٍ مِنَ الْقُدْرَةِ، أَمَرَ تَعَالَى نَبِيَّهٖ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ ذَلِكَ، أَي: لَا مِبَالَةَ بِكُمْ وَلَا بِشُرَكَائِكُمْ فَاصْنَعُوا

(١) والمشهور عن نافع الكسر، وقراءة أبي جعفر في النشر ٢/٢٧٤، والكلام من المحرر الوجيز ٢/٤٨٩.

(٢) تفسير الرازي ١٥/٩٣.

ما تشاؤون، وهو أمرٌ تعجيز، أي: لا يمكنُ أن يقع منكم دعاءٌ لأصنامكم ولا كيدٌ لي، وكانوا قد خوَّفوه آلهتهم، ومعنى: «ادعوا شركاءكم»: استعينوا بهم على إيصال الضرِّ إليَّ «ثم كيدون» أي: امكروا بي ولا تؤخِّرون عمَّا تريدون من الضرِّ، وهذا كما قال قومُ هود: ﴿إِن نَقُولُ إِلَّا اعْتَرِكَ بِعَضِّ آلِهَتِنَا بِسُوءِ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَآشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ﴾ [هود: ٥٤-٥٥] وسمَّى الأصنامَ شركاءهم من حيث^(١) لهم نسبةٌ إليهم بتسميتهم إياهم آلهةً وشركاء الله تعالى.

وقرأ أبو عمرو وهشامٌ بخلافٍ عنه: «كيدوني» بإثبات الياء وصلًا ووقفًا، وقرأ باقي السبعة بحذف الياء اجترأ بالكسرة عنها^(٢).

﴿إِنَّ إِلَهِيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ لَمَّا أَحَالَهم على الاستنجد بالهتهم في ضرِّه، وأراهم أنَّ الله هو القادرُ على كلِّ شيءٍ، عقَّب ذلك بالاستناد^(٣) إلى الله تعالى والتوكُّلِ عليه، والإعلام أنه تعالى هو ناصرُه عليهم، وبيَّن جهةَ نصره عليهم بأن أوحى إليه كتابه وأعزَّه برسالته، ثم أنه تعالى يتولَّى الصالحين من عباده وينصرهم على أعدائهم ولا يخذلهم.

وقرأ الجمهور: «إِنَّ إِلَهِيَ اللَّهُ» بياءٍ مشدَّدة، وهي ياءٌ «فَعِيلٍ» أدغمت في لام الكلمة، وبياء المتكلم بعدها مفتوحة، وقرأ أبو عمرو في روايةٍ عنه بياءٍ واحدةٍ مشدَّدة مفتوحةٍ ورفع «الله»^(٤).

قال أبو علي: لا يخلو من أن تُدغم الياء التي هي لامُ الفعل في ياء الإضافة،

(١) في المطبوع: من حيث إن.

(٢) ينظر السبعة ص ٢٩٩، والتيسير ص ١١٥، والنشر ٢/٢٧٥، وفيها جميعاً أن إثبات الياء عن

أبي عمرو هو في الوصل خاصة، ولم يذكر عنه الداني في جامع البيان ٢/١٧١ سواها.

(٣) في (ب) و(د) و(٣د) و(زا) و(يه): بالإسناد، والمثبت من باقي النسخ والنهر على هامش مطبوع

البحر ٤/٤٤٦.

(٤) في (د) والمطبوع: الجلالة. وهذه القراءة أوردها ابن مجاهد في السبعة ص ٢٩٦، وذكرها

أبو عمرو الداني في جامع البيان ٢/١٦٨-١٧٠ ولم يذكرها في التيسير، وذكرها أيضاً ابن

خالويه في القراءات الشاذة ص ٤٨.

وهو لا يجوزُ لأنه ينفكُ الإدغام الأول، أو تُدعَم ياءُ فِعيلٍ في ياءِ الإضافة ويُحذف لامُ الفعل، فليس إلا هذا^(١). انتهى.

ويمكنُ تخريجُ هذه القراءة على وجهٍ آخر، وهو أن لا يكونَ «وليَّ» مضافاً إلى ياءِ متكلِّم بل هو اسمٌ نكرةٌ اسمٌ «إنَّ» والخبر «الله»، وحُذف من «وليَّ» التنوينُ لالتقاء الساكنين، كما حُذف من قوله: «قل هو الله أحدُ الله»^(٢)، وقوله:

ولا ذاكَرَ اللهُ إِلَّا قَلِيلاً^(٣)

والتقدير: إنَّ ولياً حقَّ وليُّ الله الذي نَزَلَ الكتاب، وجعلُ اسم «إنَّ» نكرةٌ والخبرُ معرفةٌ فصيحٌ في الكلام، قال:

وإنَّ حراماً أن أسبَّ مُجاشِعاً بآبائي الشَّمِّ الكرامِ الحَضارِمِ^(٤)
وهذا توجيهٌ لهذه القراءة سهلٌ.

واختلَفَ النقلُ عن الجَحْدَرِيِّ، فنقل عنه صاحبُ كتاب «اللوامح في شواذِّ القراءات»: «إنَّ وليَّ الله» بياءٍ مكسورةٍ مشدَّدة، وحُذفت ياءُ المتكلم لَمَّا سَكَنَتْ، التَّقَى ساكنان فحذفت، كما تقول: إنَّ صاحبي الرجلُ الذي تَعَلَّمَ.

ونَقَلَ عنه أبو عمرو الداني^(٥) «إنَّ وليَّ الله» ياءٍ واحدةٍ مشدَّدةٍ منصوبةٍ مضافةٍ إلى «الله»، وذكرها الأَخْفَشُ وأبو حاتمٍ غيرَ منسوبةٍ، وضعَّفها أبو حاتمٍ^(٦)، وخرَجَ

(١) الحجة ١١٧/٤، والمحمر الوجيز ٤٩٠/٢.

(٢) أي: بضم «أحد» دون تنوين حتى في الوصل، وهي قراءة نصر بن عاصم، ورواها هارون عن أبي عمرو. ينظر السبعة ص ٧٠١، والقراءات الشاذة ص ١٨٢.

(٣) وصدرة: فألفيته غير مُسْتَعْتَبٍ، والبيت لأبي لأسود الدؤلي، وهو في الكتاب ١/١٦٩، ومجالس ثعلب ١/١٢٣، والمقتضب ٢/٣١٣، والأصول في النحو ٣/٤٥٥، والخصائص ١/٣١١، وأمالي ابن الشجري ٢/١٦٤، والخزانة ١١/٣٧٤. وسلف في تفسير الآية (١٨١) من آل عمران.

(٤) البيت للفرزدق، وسلف بهذه الرواية عند تفسير الآية (٩٦) من سورة آل عمران، وهو في الديوان ٢/٣٠٠ برواية أخرى ليس فيها محل الشاهد.

(٥) كما في المحمر الوجيز ٢/٤٩٠، وذكرها أيضاً النحاس في إعراب القرآن ٢/١٦٩.

(٦) كما في المحمر الوجيز ٢/٤٩٠.

الأخفشُ وغيره هذه القراءة على أن يكون المرادُ جبريل^(١)؛ قال الأخفش: فيصيرُ «الذي نَزَلَ الكتاب» من صفة جبريل بدلالة: ﴿فَلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ [النحل: ١٠٢] وفي قراءة العامة من صفة الله تعالى. انتهى، يعني أن يكون خبرُ «إِنَّ» هو قوله: «الذي نَزَلَ الكتاب».

قال الأخفش: فأما «وهو يتولَّى الصالحين» فلا يكون إلا من الإخبار عن الله تعالى.

وتفسيرُ هذه القراءة: بأن المراد بها جبريلُ وإن اَحْتَمَلَهَا لَفْظُ الآيَةِ لا يَنَاسِبُ ما قبل هذه الآية ولا ما بعدها، ويحتملُ وجهين من الإعراب، ولا يكون المعنيُّ جبريلَ:

أحدهما: أن يكون «وليَّ الله» اسمُ «إِنَّ»، «والذي نَزَلَ الكتاب» هو الخبر، على تقدير حذف الضمير العائد على الموصول، والموصول هو النبي ﷺ، والتقدير: إِنَّ وليَّ الله الشخصُ الذي نَزَلَ الكتاب عليه، فحذف «عليه» وإن لم يكن فيه شرطُ جواز الحذف المَقْبَس، لكنه قد جاء نظيره في كلام العرب، قال الشاعر:

وإنَّ لساني شُهْدَةٌ يُشْتَفَى بِهَا وهو على مَنْ صَبَّه الله علقم^(٢)
التقدير: وهو على مَنْ صَبَّه الله عليه علقم، وقال الآخر:

فأصبح من أسماء قيسٍ كقابضٍ على الماء لا يذري بما هو قابض^(٣)
التقدير: بما هو قابضٌ عليه، وقال الآخر:

لعلَّ الذي أضعَدتني أن يرُدني إلى الأرض إن لم يقْدِرِ الخبرَ قادِرُه^(٤)
يريد: أضعَدتني به، وقال الآخر:

(١) معاني القرآن للنحاس ١١٧/٣.

(٢) البيت في الجمل للخليل ص ٢٦٧، وشرح التسهيل لابن مالك ٢٢٥/١، والخزانة ٢٦٦/٥، وسلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَبَكَ فِيهَا مِنْ كُلِّ صَائِغٍ﴾ [البقرة: ١٦٤].

(٣) البيت لقيس بن جرّوة الطائي، كما في نوادر أبي زيد ص ٦٢، والمستقصى للزمخشري ٢٠٩/٢، وفيهما: أصبح، دون الفاء، وهو برواية المصنف في ضرائر الشعر ص ١٧٥.

(٤) البيت للفرزدق، وهو في ديوانه ٢١٢/١، وشرح التسهيل لابن مالك ٢٢٥/١، وفيهما: الحين، بدل: الخير. والحين بفتح الحاء: الهلاك. القاموس (حين).

فَأَبْلَغُنْ خَالِدَ بْنَ نَضْلَةَ وَالْمَرَّةَ مَعْنِي بِلَوْمْ مَنْ يَشِئُ^(١)

يريد: يثق به، وقال الآخر:

وَمِنْ حَسَدٍ يَجُورُ عَلَيَّ قَوْمِي وَأَيُّ الدَّهْرِ ذُو لَمْ يَحْسُدُونِي^(٢)

يريد: لم يحسدوني فيه، وقال الآخر:

فَقُلْتُ لَهَا لَا وَالَّذِي حَجَّ حَاتِمٌ أَخُونُكَ عَهْدًا إِنَّنِي غَيْرُ خَوَّانٍ^(٣)

قالوا يريد: حج حاتم إليه.

فهذه نظائر من كلام العرب يمكن حمل هذه القراءة الشاذة عليها.

والوجه الثاني: أن يكون خبر «إن» محذوفاً لدلالة ما بعده عليه، التقدير: إن ولي الله الذي نزل الكتاب من هو صالح، أو: الصالح، وحذف لدلالة: «وهو يتولى الصالحين» عليه، وحذف خبر «إن» وأخواتها لفهم المعنى جائزاً، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِنْتَبُ غَزِيْرٌ﴾ الآية [فصلت: ٤١]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ الآية [الحج: ٢٥]، وسيأتي تقدير حذف الخبر فيهما إن شاء الله.

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمُ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَصُدُّونَ﴾^(١٨٧) أي: من دون الله، ويتعین عود الضمير في «من دونه» على الله، وبذلك يُضَعَّفُ مَنْ فَسَّرَ «الذي نزل الكتاب» بجبريل عليه السلام، وهذه الآية بيان لحال الأصنام، وعجزها عن نصره أنفسها فضلاً عن نصره غيرها.

وتقدم قوله: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ [الأعراف: ١٩٢]،

(١) شرح التسهيل ٢٢٥/١ برواية: فأبلغ الحارث بن نضلة...

(٢) البيت لحاتم في شرح التسهيل ٢٢٥/١، وليس في ديوانه.

(٣) البيت للعريان بن سهلة الجرمي كما في نوادر أبي زيد ص ٦٥، وروايته: فقال مجيباً والذي حج حاتم...، ومثله في الإفصاح للفارقي ص ٣٠٤، وهو في كتاب الشعر لأبي علي الفارسي ٣٩٤/٢، والخزانة ٥٦/٦ برواية: فقلت له، وجاء برواية المصنف في ضرائر الشعر لابن عصفور ص ١٧٥.

قال الواحدي^(١): «أعيد هذا المعنى لأنَّ الأول مذكورٌ على جهة التقرُّيع، وهذا مذكورٌ على جهة الفرق بين مَنْ تجوزُ له العبادةُ وبين مَنْ لا تجوزُ، كأنه قيل: الإلهُ المعبودُ يجب أن يكون يتولَّى^(٢) الصالحين، وهذه الأصنامُ ليست كذلك فلا تكون صالحةً للإلهية. انتهى.

ومعنى قوله: على جهة التقرُّيع، أنَّ قوله: «ولا يستطيعون» معطوفٌ على قوله: «ما لا يخلقُ شيئاً»، وهو في حيزِ الإنكارِ والتقرُّيعِ والتوبيخِ على إشراكهم مَنْ لا يمكنُ أن يُوجدَ شيئاً ولا يُنشئه، ولا ينصر نفسه فضلاً عن غيره، وهذه الآية كما ذُكر جاءت على جهة الفرقِ، ومندرجةٌ تحت الأمر بقوله: «قل ادعوا»، فهذه الجملُ مأمورٌ بقولها وخطابُ المشركين بها؛ إذ كانوا يخوفون الرسولَ عليه السلام بالهتهم، فأمر أن يخاطبهم بهذه الجملِ تحقيراً لهم ولأصنامهم، وإخباراً لهم بأنَّ وليَّه هو الله، فلا مبالاةَ بهم ولا بأصنامهم.

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [١٩٨] تناسقُ الضمائرُ يقتضي أنَّ الضميرَ المنصوبَ في «وإن تدعوهم» هو للأصنام، ونفى عنهم السماعَ لأنها جمادٌ لا تحسُّ، وأثبت لهم النظرَ على سبيل المجاز، بمعنى أنهم صوروهم ذوي أعين، فهم يشبهون مَنْ ينظرُ ومَنْ قلبٌ حدَّقته للنظر، ثم نفى عنهم الإبصارَ كقوله: ﴿يَتَأْتَى لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُعْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾ [مريم: ٤٢].

ومعنى «إليك»، أي: إليك أيها الداعي، وأُفردَ لأنه اقتطعَ قوله: «وتراهم ينظرون إليك» من جملة الشرط، واستأنفَ الإخبارَ عنهم بحالهم السيئ في انتفاء الإبصارِ كانتفاءِ السماعِ.

وقيل: المعنى في قوله: «ينظرون إليك» أي: يُحاذونك، من قولهم: المنازلُ تتناظرُ، إذا كانت متحاذيةً يقابلُ بعضها بعضاً^(٣).

(١) كما في تفسير الرازي ٩٥/١٥، ولعله في تفسيره: البسيط، فإنه لم يرد في الوسيط ولا في الوجيز.

(٢) في تفسير الرازي: أن يكون بحيث يتولى...

(٣) ذكره الطبري في التفسير ٦٣٨/١٠.

وذهب بعض المعتزلة إلى الاحتجاج بهذه الآية على أن العباد ينظرون إلى ربهم ولا يرونه، ولا حجة لهم في الآية؛ لأن النظر في الأصنام مجازٌ محضٌ^(١).

وجعل الضمير للأصنام اختاره الطبري^(٢)؛ قال: ومعنى الآية تبيين جمودها وصغر شأنها^(٣).

قال^(٤): وإنما تكرر القول في هذا وترددت الآيات فيه؛ لأن أمر الأصنام وتعظيمها كان متمكناً من نفوس العرب في ذلك الزمن، ومستولياً على عقولهم لطفاً^(٥) من الله تعالى بهم.

وقال مجاهدٌ والحسن والسدي: الضمير المنصوب في «تدعوهم» يعود على الكفار، ووصفهم بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون إذ لم يتحصل لهم عن الاستماع والنظر فائدة، ولا حلوا منه بطائل^(٦).

وهذا تأويلٌ حسنٌ، ويكون إثبات النظر حقيقة لا مجازاً، ويحسن هذا التأويل الآية بعد هذه؛ إذ في آخرها: ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٧) أي: الذين من شأنهم إن تدعوهم^(٧) لا يسمعون، وينظرون إليك ولا يبصرون^(٨)، فيكون قد نبه^(٩) على العلة

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٩٠.

(٢) تفسير الطبري ١٠/٦٣٧، والمحرر الوجيز ٢/٤٩٠.

(٣) هذا من قول ابن عطية، وليس من قول الطبري.

(٤) والقائل أيضاً هو ابن عطية.

(٥) كذا وقعت العبارة في النسخ، والذي في المحرر: ومستولياً على عقولها فأوعب القول في ذلك لطفاً...

(٦) المحرر الوجيز ٢/٤٩٠، والضمير في «تدعوهم» على هذا القول يعود أيضاً على الكفار كما هو ظاهر من الكلام، وينظر تفسير الطبري ١٠/٦٣٧-٦٣٨. وقوله: ولا حلوا منه بطائل، أي: ولا ظفروا بفائدة، قال الجوهري في الصحاح (حلا): وقولهم: لم يخل منه بطائل، أي: لم يستفد منه كبير فائدة، ولا يتكلم به إلا في الجحد. اهـ. وتحرف حلوا في المطبوع إلى: حصلوا.

(٧) في (أ) و(د) و(ع) والمطبوع: أن تدعوهم، وهو خطأ.

(٨) في (د) والمطبوع: وهم لا يبصرون.

(٩) في (د) والمطبوع: فتكون مرتبة، وفي (أ): فتكون مدنية، وفي (ع): فتكون مدلية. وكلها تحريف.

الموجبة لذلك وهي الجهل.

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (١٨٩) هذا خطاب لرسول الله ﷺ ويعم جميع أمته، وهي أمرٌ بجميع مكارم الأخلاق.

وقال عبد الله بن الزبير ومجاهدٌ وعروة والجمهور: أي: أقبل من الناس في أخلاقهم وأموالهم ومعاشرتهم بما أتى عفواً دون تكلفٍ ولا تحرجٍ^(١). والعفوَ ضدُّ الجهد، أي: لا تطلب منهم ما يشقُّ عليهم حتى لا ينفروا، وقد أمر بذلك رسولُ الله ﷺ بقوله: «يسروا ولا تعسروا»^(٢) وقال حاتم:

خُذِي الْعَفْوَ مَنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي وَلَا تَنْطَقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَعْضَبُ^(٣)
وقال آخر:

إِذَا مَا بُلِقَةَ جَاءَتْكَ عَفْوَاً فَخُذْهَا فَالْغِنَى مَرْعَى وَشَرْبُ
إِذَا اتَّفَقَ الْقَلِيلُ وَفِيهِ سِلْمٌ فَلَا تَرِدِ الْكَثِيرَ وَفِيهِ حَرْبُ^(٤)

وقال الشعبي: سأل الرسول ﷺ جبريلَ عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ فأخبره عن الله تعالى أنه يأمرُك أن تعفوَ عمن ظلمك، وتُعطيَ من حرمك، وتَصِلَ من قَطَعَكَ^(٥).

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٩٠-٤٩١، وأخرجه عنهم بنحوه الطبري ١٠/٦٣٩-٦٤١، وقول عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أخرجه البخاري (٤٦٤٣) و(٤٦٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩)، ومسلم (١٧٣٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) عزاه لحاتم الطائي ابن عطية في المحرر ٢/٤٩١، وهو في الأغاني ٢٠/٣٦٢ منسوب إلى أسماء بن خارجة الفزاري، وفي عيون الأخبار ٣/١١ إلى شريح بن الحارث القاضي، ونسب في عيون الأخبار ٤/٧٧ أيضاً إلى أبي الأسود الدؤلي، وقال صاحب الأغاني: وليس ذلك بصحيح. وهو في الكشاف ٢/١٣٨ دون نسبة.

(٤) البيتان من قصيدة لأبي الحسن البُضروي محمد بن محمد بن أحمد، كما في تاريخ بغداد ٤/٣٨٥.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/١٦٣٨، وهو مرسل كما قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية، وقال: وقد روي له شواهد من وجوه أخر. اهـ. قلت: وقوله: أن تعفو عمن ظلمك... إلخ، له شاهد من حديث عقبه بن عامر رضي الله عنه عند أحمد (١٧٤٥٢).

وقال ابن عباس والضحاك والسدي: هي في الأموال قبل فرض الزكاة، أمر أن يأخذ ما سهل من أموال الناس، أي: ما فضل وزاد، ثم فرضت الزكاة فنسخت هذه، وتؤخذ طوعاً وكرهاً^(١).

وقال مكي عن مجاهد: إن العفو هو الزكاة المفروضة^(٢).

وقال ابن زيد: الآية جميعها في مداراة الكفار وعدم مؤاخذتهم، ثم نسخ ذلك بالقتال^(٣). انتهى.

والذي يظهر القول الأول من أنه أمر بمكارم الأخلاق، وأن ذلك حكم مستمر في الناس ليس بمنسوخ، ويدل عليه حديث الحر بن قيس حين أدخل عيينة بن حصن على عمر، فكلم عمر كلاماً فيه غلظة، فأراد عمر أن يهّم به، فتلا الحر هذه الآية على عمر، فقررها ووقف عندها^(٤).

و«العرف» المعروف والجميل من الأفعال والأقوال، وقرأ عيسى بن عمر: «بالعرف» بضم الراء^(٥).

والأمر بالإعراض عن الجاهلين حصّ على التخلّق بالحلم والتنزّه عن منازعة السفهاء، وعلى الإغضاء على ما^(٦) يسوء، كقول من قال: إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله^(٧). وقول الآخر: «أن كان ابن عمّتك»^(٨). وكالذي جذب رداءه حتى حزّ في عنقه وقال: أعطني من مال الله^(٩).

(١) بنحوه في تفسير الطبري ٦٤١/١٠.

(٢) المحرر الوجيز ٤٩١/٢.

(٣) أخرجه مطولاً الطبري ٦٤٢/١٠.

(٤) أخرجه البخاري (٤٦٤٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) القراءات الشاذة ص ٤٨، والمحرر ٤٩١/٢.

(٦) في (د) والمطبوع: الإغضاء عما، وكلاهما بمعنى.

(٧) أخرجه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٨) أخرجه البخاري (٢٣٥٩، ٢٣٦٠)، ومسلم (٢٣٥٧) من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

(٩) أخرجه أحمد (١٢٥٤٨) - واللفظ له - والبخاري (٣١٤٩)، ومسلم (١٠٥٧) من حديث

أنس رضي الله عنه، ولفظه في الصحيحين: مُرّ لي من مال الله الذي عندك.

وخرَجَ البزَّارَ في «مسنده»^(١) من حديث جابر بن سُلَيْمٍ ما وصَّاه به الرسول ﷺ: «اتقِ الله ولا تُحَقِرَنَّ من المعروف شيئاً، وأن^(٢) تَلْقَى أخاك بوجهٍ مُنْبَسِطٍ، وأن تُفْرِعَ من فَضْلِ دَلْوِكَ في إناء المُسْتَسْقِي، وإن امرؤ سَبَّكَ بما لا يَعْلَمُ^(٣) منك فلا تَسِبَّهُ بما تَعْلَمُ فيه، فإنَّ الله جاعلٌ لك أجراً وعليه وِزْرًا، ولا تَسِبَّنَّ شيئاً مما خَوَّلَكَ الله».

وقال جعفر الصادق: أمر الله تعالى نبيه بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها^(٤).

﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٥) أي: يَنْخَسِنُكَ بأنْ يَحْمِلَكَ بوسوسته على ما لا يليق، فاطْلُبْ العيادةَ بالله منه وهي اللوذ والاستجارة.

قيل: لَمَّا نزلت ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ الآية قال رسول الله ﷺ: «كيف، والغضب؟»، فنزلت^(٥).

ومناسبتُها لما قبلها ظاهرة. وفاعِلُ «ينزغَنَّكَ» هو «نَزْعٌ»، على حد قولهم: جَدَّ جَدُّه، أو على إطلاق المصدر والمرادُ به: نازعٌ.

وختم بهاتين الصفتين لأن الاستعاذة تكون باللسان، ولا تُجدي إلا باستحضار معناها، فالمعنى: سمِعُ للأقوالِ عليمٌ بما في الضمائر.

قال ابن عطية: الآية وصية من الله تعالى لنبيه ﷺ تعمُّ أمته رجلاً رجلاً، ونَزْعُ الشيطان عامٌّ في الغضب وتحسين المعاصي واكتساب الغوائل وغير ذلك، وفي

(١) كما في تفسير القرطبي ١٦٨/٩-١٦٩، ولم أقف عليه في مطبوعه، وأخرجه أحمد (٢٠٦٣٢)، وأبو داود (٤٠٨٤)، والنسائي في الكبرى (٩٦١٦)، وابن حبان (٥٢٢).

(٢) في المصادر عدا أبي داود والقرطبي: ولو أن.

(٣) كذا نقل عن القرطبي، والذي في المصادر: بما يعلم، دون كلمة «لا»، وهو الصواب، وقد جاء في رواية الطيالسي في مسنده (١٢٠٨): «وإن امرؤ شتمك وعيرك بأمرٍ هو فيك».

(٤) تفسير الثعلبي ١٠٧/٣، والكشاف ١٣٨/٢-١٣٩، وتفسير البغوي ٢/٢٢٤، وتفسير القرطبي ٩/٤٢٠.

(٥) أخرجه الطبري ١٠/٦٤٦ عن ابن زيد، وهو مرسل.

مصنف الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ لِلْمَلَكِ لَمَّةً وَإِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً»^(١)، وبهذه الآية تعلق ابن القاسم في قوله: إن الاستعاذة عند القراءة: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم^(٢). انتهى.

واستنباط ذلك من الآية ضعيف؛ لأن قوله: «إنه سميعٌ عليم» جرى مجرى التعليل لطلب الاستجارة بالله، أي: لا تستعذُ بغيره فإنه هو السميع لما تقول، أو: السميع لما يقوله الكفار فيك حين يرومون إغصابك، العليم بقصدك في الاستعاذة، أو: العليم بما انطوت عليه ضمائرهم من الكيد لك، فهو ينصرك عليهم ويُجبرك منهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(٣)
التنزع من الشيطان أخف من مس الطائف من الشيطان؛ لأن التنزع: أدنى حركة، والمس: الإصابة، والطائف: ما يطوف به ويدور عليه، فهو أبلغ لا محالة، فحال المتقين تزيد في ذلك على حال الرسول.

وانظر لحسن هذا البيان، حيث جاء الكلام للرسول كان الشرط بلفظ «إن» المحتملة للوقوع ولعدمه، وحيث كان الكلام للمتقين كان المجيء «إذا» الموضوعية للتحقيق أو للترجيح، وعلى هذا فالتنزع يمكن أن يقع ويمكن أن لا يقع، والمس واقع لا محالة أو يرجح وقوعه، وهو إلصاق البشرية بالبشرة، وهو هنا استعارة.

وفي تلك الجملة أمر هو ﷺ بالاستعاذة، وهنا جاءت الجملة خبرية في ضمنها الشرط، وجاء الخبر «تذكروا» فدل على تمكن مس الطائف حتى حصل نسيان فتذكروا ما نسوه، والمعنى: تذكروا ما أمر به تعالى وما نهى عنه، وبنفس التذكير حصل إبصارهم وفاجأهم إبصار الحق والسداد، فاتبعوه وطرّدوا عنهم مس الشيطان^(٣) الطائف.

(١) سنن الترمذي (٢٩٨٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وجاء في مطبوعه: حسن غريب، وفي بعض نسخه: حسن صحيح غريب، كما ذكر الشيخ أحمد شاكر في حاشية الطبري ٥٧٢/٥. واللمة: الحظرة تقع في القلب. النهاية (لم).

(٢) المحرر الوجيز ٤٩١/٢.

(٣) كلمة: الشيطان، من (١د) والمطبوع، وليست في باقي النسخ.

و«اتقوا» قيل: عامَّةٌ في كلِّ ما يُتَّقَى. وقيل: الشرك والمعاصي. وقيل: عقاب الله.

وقرأ النحويان وابن كثير: «طَيْفٌ»^(١)، فاحتمل أن يكون مصدرًا من طاف يَطِيفُ طَيْفًا، أنشد أبو عبيدة:

أَتَى أَلَمَّ بَكَ الْخِيَالُ يَطِيفُ وَمَطَافُهُ لَكَ ذِكْرَةٌ وَشُغُوفٌ^(٢)

واحتمل أن يكون مخففًا من طَيْفٍ، كَمَيْتٍ من مَيْتٍ أو كَلَيْنٍ من لَيْنٍ؛ لأنَّ طَيْفًا المشدَّدَ يحتمل أن يكون من طاف يَطِيفُ، ويحتمل أن يكون من طاف يَطُوفُ^(٣).

وقرأ باقي السبعة: «طائفٌ» اسم فاعلٍ من طاف.

وقرأ ابن جبير: «طَيْفٌ» بالتشديد، وهو فَعِيلٌ^(٤).

وإلى أن الطَّيْفَ مصدرٌ مال الفارسي، جَعَلَ الطَّيْفَ كَالْحَظْرَةِ وَالطَّائِفَ كَالخَاظِرِ^(٥).

وقال الكسائي: الطيف: اللِّمَم، والطائف: ما طاف حول الإنسان؛ قال ابن عطية^(٦): وكيف هذا وقد قال الأعشى:

وَتُضْبِحُ عَنْ غِبِّ السُّرَى وَكَأَنَّهَا أَلَمَّ بِهَا مِنْ طَائِفِ الْجَنِّ أَوْلَقُ^(٧)

(١) السبعة ص ٣٠١، والتيسير ص ١١٥. والنحويان هما أبو عمرو والكسائي.

(٢) مجاز القرآن ١/٢٣٧، والبيت لكعب بن زهير، وهو في ديوانه ص ٥٨، وإصلاح المنطق ص ٢٩٠، والزاهر لابن الأنباري ١/٢٩٣، وتفسير الطبري ١٠/٦٤٨، ومقاييس اللغة ٣/٤٣٢، والكشاف ٢/١٣٦، والمححر الوجيز ٢/٤٩٢، واللسان (ذكر) و(شغف) و(طيف). قوله: وشغوف، كذا في النسخ والمححر الوجيز، وجاء في باقي المصادر: وشعوف، قال السيرافي في شرح أبيات إصلاح المنطق ص ٤٥١: الشُّعُوفُ مصدر شعفه الحب: إذا أحرق قلبه شَعْفًا، ويجوز أن يكون جمع شَعْفٍ.

(٣) يعني أن طَيْفًا إن كان من: طاف يطوف، فهو ك: مات يموت، وإن كان من: طاف يَطِيفُ، فهو ك: لان يلين.

(٤) وهي في القراءات الشاذة ص ٤٨، والمححر الوجيز ٢/٤٩٢.

(٥) الحجة ٤/١٢١، والمححر الوجيز ٢/٤٩٢، والكلام منه.

(٦) في المححر ٢/٤٩٢، وعنه نقل المصنف قول الكسائي.

(٧) البيت في ديوان الأعشى ص ٢٧١ برواية: وتصبح من غِبِّ السُّرَى وَكَأَنَّهَا. وسيأتي شرحه قريبًا للمصنف.

انتهى. ولا يُتَعَجَّبُ من تفسير الكسائي الطائف بأنه ما طاف حول الإنسان بهذا البيت؛ لأنه يصح فيه معنى ما قاله الكسائي؛ لأنه إن كان تعجُّبه وإنكاره من حيث خَصَّصَ الإنسان، فالذي قاله الأعشى تشبيهاً؛ لأنه قال: كأنها، وإن كان تعجُّبه من حيث فسَّرَ بأنه ما طاف حول الإنسان، فطائفُ الجنِّ يصحُّ أن يقال: طاف حول الإنسان، وشبهه هو الناقة في سرعتها ونشاطها وقَطْعِها الفياضَ عَجَلَةً بحالتها إذا ألمَّ بها أو لُقِيَ من طائفِ الجن.

وقال أبو زيد: طاف: أَقْبَلَ وَأَذْبَرَ، يطوفُ طَوْفًا وطَوْفًا، وأطاف: استدار القومَ وأتاهم من نواحيهم، وطاف الخيال: ألمَّ، يَطِيفُ طَيْفًا^(١).

وزعم السهيلي أنه لم يُقَلَّ اسم فاعل من: طاف الخيال، قال: لأنه تحيُّلٌ لا حقيقة، وأما ﴿طَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُرُّ تَائِبُونَ﴾ [القلم: ١٩] فلا يقال فيه: طيف؛ لأنه اسم فاعل حقيقة^(٢). انتهى. وقال حسان:

جَنِيَّةٌ أَرْقَنِي طَيْفُهَا تَذَهَبُ صُبْحًا وَتُرَى فِي الْمَنَامِ^(٣)
وقال ابن عباس: هما بمعنى التَّزَعُّجِ.

وقال السدي: الطيف: الجنون، والطائف: الغضب.

وقال أبو عمرو: هما بمعنى الوسوسة.

وقيل: هما بمعنى اللَّمَمِ والخيال.

وقيل: الطيف: التخيُّل، والطائف: الشيطان.

وقال مجاهد: الطيف: الغضب، ويُسمَّى الجنونُ والغضبُ والوسوسةُ طَيْفًا لأنه لَمَّةٌ من الشيطان.

وقال عبد الله بن الزبير والسدي: إذا زلُّوا تابوا.

(١) الحجة للفارسي ١٢٠/٤، وتفسير الرازي ٩٩/١٥، وفيهما: ... وأطاف إذا جعل يستدير بالقوم...

(٢) الروض الأنف ١١٧/٤، وتفسير القرطبي ٤٢٦/٩، وعنه نقل المصنف.

(٣) ديوان حسان ص ٤٣٦.

وقال مجاهد: إذا همُّوا بذنبِ ذكروا الله فتركوه.

وقال ابن جبير: إذا غَضِبَ كَظَمَ غِيْظَهُ.

وقال مقاتل: إذا أصابه نزغٌ تَذَكَّرَ وَعَرَفَ أنها معصيةٌ، نَزَعَ عنها مخافة الله

تعالى.

وقال أبو روق: ابتهلوا^(١).

وقال ابن بحر: عاذوا بذكر الله^(٢).

وقيل: تفكَّروا فأبصروا.

وهذه كلها أقوالٌ متقاربةٌ.

وَسَبَّ عَصَامُ بْنُ الْمُصْطَلِقِ الشَّامِيُّ الْحَسِينَ بْنَ عَلِيٍّ وَأَبَاهُ - ﷺ - سَبًّا مَبَالِغًا؛ إِذْ كَانَ مَبْغُضًا لِأَبِيهِ، فَقَالَ الْحَسِينُ بْنُ عَلِيٍّ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿حُذِّ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(١)، ثُمَّ قَالَ: خَفَّضَ عَلَيْكَ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكَ. وَدَعَا لَهُ، فِي حِكَايَةِ فِيهَا طَوَّلَ ظَهَرَ فِيهَا مِنْ مَكَارِمِ أَخْلَاقِهِ وَسَعَةِ صَدْرِهِ وَحَوَالَةِ الْأَشْيَاءِ عَلَى الْقَدْرِ مَا صَيَّرَ عَصَامًا أَشَدَّ النَّاسِ حُبًّا لَهُ وَلِأَبِيهِ، وَذَلِكَ بِاسْتِعْمَالِهِ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ وَأَخْذَهُ بِهَا^(٢).

و«مبصرون» هنا من البصيرة لا من البصر، وقرأ ابن الزبير: «من الشيطان تأملوا»، وفي مصحف أبيي «إذا طاف من الشيطان طائفٌ تأملوا فإذا هم مُبصرون»^(٤)، وينبغي أن يُحمل هذا وقراءة ابن الزبير على أن ذلك من باب

(١) ينظر تفسير الطبري ١٠/٦٤٨-٦٥٠، وتفسير ابن أبي حاتم ٥/١٦٤٠-١٦٤١، وتفسير الشعلي ٣/١٠٨، والنكت والعيون ٢/٢٨٩، وتفسير البغوي ٢/٢٢٥، وتفسير القرطبي ٩/٤٢٦، وقد اختلف النقل عن أبي عمرو، فنقل عنه الماوردي مثلما ذكر المصنف من أن المعنى واحد وهو الوسوسة، ونقل البغوي والشعلي عنه التفريق، وأن الطائف: ما يطوف حول الشيء، والطيْف: اللَّمَّةُ والوسوسة.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ذكر القصة كاملة القرطبي ٩/٤٢٦-٤٢٧.

(٤) القراءتان في المحرر الوجيز ٢/٤٩٢.

التفسير، لا أنه^(١) قرآن؛ لمخالفته سواد ما أجمع المسلمون عليه من ألفاظ القرآن.

﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾^(٢) الضميرُ في «إخوانهم» عائذُ على الجاهلين أو على ما دلَّ عليه قوله: «إنَّ الذين اتَّقوا»، وهم غيرُ المتقين؛ لأنَّ الشيء قد يدلُّ على مُقابله فيُضَمَّرُ ذلك المُقابلُ لدلالة مُقابله عليه. وعني بالإخوان على هذا التقدير: الشياطين، كأنه قيل: والشياطينُ الذين هم إخوانُ الجاهلين أو غير المتقين، يمدُّون الجاهلين أو غير المتقين في الغي، قالوا: وفي «يمدوونهم» ضميرُ الإخوان، فيكونُ الخبرُ جارياً على مَنْ هو له، والضميرُ المجرورُ والمنصوبُ للكفار، وهذا قولُ قتادة^(٣).

وقال ابن عطية: ويحتمل أن يعودوا جميعاً على الشياطين، ويكون المعنى: وإخوانُ الشياطين في الغيِّ بخلاف الإخوة في الله يمدُّون الشياطين، أي: بطاعتهم لهم وقبولهم منهم، ولا يترتبُ هذا التأويلُ على أن يتعلَّقَ «في الغي» بالإمداد؛ لأنَّ الإنس لا يُعوون الشياطين^(٤). انتهى.

ويمكن أن يتعلَّقَ «في الغيِّ» على هذا التأويلِ بقوله: «يمدُّونهم» على أن تكون «في» للسببية، أي: يمدُّونهم بسببِ غوايتهم، نحو: «دخلت امرأة النار في هرة»^(٥) أي: بسببِ هرة، ويحتمل أن يكون «في الغي» حالاً فيتعلَّقُ بمحذوف، أي: كائنين ومستقرين في الغيِّ، فيبقى «في الغيِّ» في موضعه ولا يكون متعلِّقاً بقوله: «إخوانهم»، وقد جوَّز ذلك ابن عطية^(٥)، وعندني في ذلك نظرٌ، فلو قلت: مُطعمُك زيدٌ لحمًا، تريد: مُطعمُك لحمًا زيدٌ، فتفصل بين المبتدأ ومعموله بالخبر، لكان في جوازه نظرٌ؛ لأنك فصلتَ بين العامل والمعمول بأجنبيٍّ لهما معاً وإن كان ليس أجنبيًّا لأحدهما الذي هو المبتدأ.

(١) في (أ) و(د) و(ع) والمطبوع: لا على أنه.

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/٢٤٥، وتفسير الطبري ١٠/٦٥٢، والمحزر الوجيز ٢/٤٩٢، والكلام منه.

(٣) المحزر الوجيز ٢/٤٩٣.

(٤) أخرجه البخاري (٣٣١٨)، ومسلم (٢٢٤٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) يعني جوَّز تعلَّقَ «في الغي» بقوله: «إخوانهم» المحزر الوجيز ٢/٤٩٢.

ويحتمل أن يختلف الضمير، فيكون في «إخوانهم» عائداً على الشياطين الدالّ عليهم الشيطان، أو على الشيطان نفسه باعتبار أنه يراد به الجنس، نحو قوله: ﴿أُولَئِكَ أَهْمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧] المعنى: الطواغيت، ويكون في «يמדؤنهم» عائداً على الكفار والواو في «يמדؤنهم» عائدةً على الشياطين، أي: وإخوان الشياطين يمدّهم الشياطين، ويكون الخبر جرى على غير من هو له، لأن الإمداد مسندٌ إلى الشياطين لا لإخوانهم، وهو نظيرُ قوله:

قومٌ إذا الخيلُ جالوا في كواثبها^(١)

وهذا الاحتمالُ هو قولُ الجمهور، وعليه فسّر الطبري^(٢).

وقال الزمخشري: هو أوجه؛ لأن «إخوانهم» في مقابلة «الذين اتقوا»^(٣).

وقرأ نافع: «يُمدؤنهم» مضارع أمدّ، وباقي السبعة: «يَمدؤنهم» من مدّ^(٤)، وتقدّم الكلام على ذلك في قوله: ﴿وَيَسُدُّهُمُ فِي ظُلُمَاتِهِمْ يَمْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥].

وقرأ الجحدري: «يُمدؤنهم» من مادّ على وزن فاعل^(٥).

(١) صدره: فوارسُ الخيل لا ميلٌ ولا قزمٌ، والبيت في الصحاح واللسان (قزم) والخزانة ٢٥٠/٥ منسوب لزياد بن منقذ، وهو من قصيدة في ذم صنعاء أوردها أبو تمام في الحماسة، وجاء في شرحها للمرزوقي ١٣٩٢/٣، وللتبريزي ١٨١/٣: وقال زياد بن حمل، ويقال: زياد بن منقذ. وهو دون نسبة في الخصائص ٢٢٧/٣، والكشاف ١٣٩/٢ ولم يذكر عجزه، والرواية في المصادر عدا الكشاف: وهم إذا الخيل... وقزمٌ بفتح القاف والزاي: رذال الناس وسفلتهم، يطلق على الواحد والجمع والذكر والأنثى، والكواثب جمع كاثبة، وهي في عرف الفرس، ما تقدم من قربوس السرج حيث يقع عليه يد الفارس، وقوله: جالوا، أي: وثبوا. قاله صاحب الخزانة. وقال ابن جني: إنما يجول الراكب في صهوة الفرس لا في كاثبته، لكنهما لما تجاورا جريا مجرى الجزء الواحد. اهـ. والرواية في الحماسة: حالوا، قال المرزوقي والتبريزي: يقال: حال في ظهر دابته إذا ركبها. ومحل الشاهد عود الضمير في «جالوا» إلى القوم لا إلى الخيل، كما ذكر صاحب الخزانة، وينظر مناقشة ذلك في شرح شواهد الكشاف ٥٢٥/٤.

(٢) في تفسيره ٦٥٠/١٠.

(٣) الكشاف ١٣٩/٢.

(٤) السبعة ص ٣٠١، والتيسير ص ١١٥.

(٥) القراءات الشاذة ص ٤٨، والمحتسب ٢٧١/١.

وقرأ الجمهور: «ثم لا يُقْصِرُونَ» من أَقْصَرَ، أي: كَفَّ، قال الشاعر:

لَعَمْرُكَ مَا قَلْبِي إِلَى أَهْلِهِ بِحُرِّ وَلَا مُقْصِرٍ يَوْمًا فَيَأْتِينِي بِقُرِّ^(١)
أي: ولا نازع عمًّا هو فيه.

وقرأ ابنُ أَبِي عَبَّالَةَ وَعَيْسَى بْنُ عَمْرِ: «ثم لا يُقْصِرُونَ» من «قَصَرَ»^(٢)، أي: ثم لا ينقصون من إمدادهم وغوايتهم.

وقد أَبْعَدَ الزَّجَّاجُ فِي دَعْوَاهُ أَنْ قَوْلَهُ: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾ الْآيَةُ مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الآية: ١٩٢]^(٣) وَلَا حَاجَةَ إِلَى تَكْلُفِ ذَلِكَ، بَلْ هَذَا كَلَامٌ مُتَنَاسِقٌ آخِذٌ بَعْضُهُ بِعَنْقِ بَعْضٍ؛ لَمَّا بَيَّنَّ حَالَ الْمُتَّقِينَ مَعَ الشَّيَاطِينِ بَيْنَ حَالِ غَيْرِ الْمُتَّقِينَ مَعَهُمْ، وَأَنَّ أَوْلَئِكَ بِنَفْسِ مَا يَمْسُهُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ مَاسٌّ أَفْلَعُوا عَلَى الْفُورِ، وَهَؤُلَاءِ فِي إِمْدَادِ فِي الْغَيِّ وَعَدَمِ نَزْوَعِ عَنْهُ.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ روي أَنَّ الْوَحْيَ كَانَ يَتَأَخَّرُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أحيانًا، فَكَانَ الْكُفَّارُ يَقُولُونَ: هَلَا اجْتَبَيْتَهَا. وَمَعْنَى اللَّفْظَةِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: تَخَيَّرْتَهَا وَاضْطَلَفَيْتَهَا.

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد وغيرهم: المراد: هلا اخترعتها واختلقتها من قبلك ومن عند نفسك^(٤). والمعنى: إن كلامك كله كذلك، على ما كانت قریش تدعيه، كما قالوا: ﴿مَا هَذَا إِلَّا إِنْكَ مُفْتَرِيٌّ﴾.

قال الفراء^(٥): تقول العرب: اجْتَبَيْتُ الْكَلَامَ وَاخْتَلَفْتُهُ وَارْتَجَلْتُهُ: إِذَا افْتَعَلْتَهُ مِنْ قَبْلِ نَفْسِكَ.

وقال الزمخشري: اجْتَبَيْتُ الشَّيْءَ بِمَعْنَى: جَبَّاهُ لِنَفْسِهِ، أَي: جَمَعَهُ، كَقَوْلِكَ:

(١) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ١٠٩.

(٢) القراءات الشاذة ص ٤٨، وضبطت فيه صاد المضارع بالكسر، لكن قيدها السمين في الدر ٥٥٠/٥ بضم الصاد.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣٩٧/٢.

(٤) المحرر الوجيز ٤٩٣/٢.

(٥) كما في تفسير الطبري ٦٥٧/١٠، وينظر معاني القرآن للفراء ٤٠٢/١.

اجْتَمَعَهُ، أَوْ: جُئِيَ إِلَيْهِ فَاجْتَبَاهُ، أَي: أَخَذَهُ، كَقَوْلِكَ: جَلَيْتُ إِلَيْهِ الْعُرُوسَ فَاجْتَلَاهَا، وَالْمَعْنَى: هَلَا اجْتَمَعَتْهَا افْتِعَالًا مِنْ عِنْدِ نَفْسِكَ^(١).

وقال ابن عباس أيضًا والضحاك: هَلَا تَلَقَّيْتَهَا^(٢).

وقال الزمخشري: هَلَا أَخَذْتَهَا مُنْزَلَةً عَلَيْكَ مَقْتَرِحَةً^(٣). انتهى.

وهذا القول منهم من نتائج الإمداد في الغي، كانوا يطلبون آيات معينة على سبيل التعمت، كقلب الصفا ذهبًا، وإحياء الموتى، وتفجير الأنهار، وكم جاءتهم من آية فكذبوا بها واقترحوا غيرها.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ يبين أنه ليس مجيء الآيات إليه إنما هو متبع ما أوحاه الله تعالى إليه، ولست بمفتعلها ولا مقترحها.

﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: هذا الموحى إلي الذي أنا أتبعه لا أبتدعه، وهو القرآن، «بصائر» أي: حجج وبيئات يُبَصِّرُ بِهَا وَتَتَضَّحُّ الْأَشْيَاءُ الْخَفِيَّاتُ، وهي جمع بصيرة، كقوله: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ أي: على أمرٍ جليٍّ منكشِفٍ، وأخبر عن المفرد بالجمع لاشتماله على سور وآيات.

وقيل: هو على حذف مضاف، أي: ذو بصائر.

﴿وَهُدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: دلالة إلى الرشد ورحمة في الدارين^(٤)، وفي الدُّنْيَا والدُّنْيَا، وَخَصَّ الْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَسْتَبْصِرُونَ، وَهُمْ الَّذِينَ يَنْتَفِعُونَ بِالْوَحْيِ يَتَّبِعُونَ مَا أَمَرَ بِهِ فِيهِ، وَيَجْتَنِبُونَ مَا يُنْهَوْنَ عَنْهُ فِيهِ، وَيُؤْمِنُونَ بِمَا تَضَمَّنَهُ.

وقال أبو عبد الله الرازي: أصل البصيرة: الإبصار، لَمَّا كَانَ الْقُرْآنُ سَبَبًا لِبَصَائِرِ الْعُقُولِ فِي دَلَالَةِ التَّوْحِيدِ وَالنَّبُوَّةِ وَالْمَعَادِ أَطْلُقَ عَلَيْهِ اسْمَ البصيرة تسميةً للسبب باسم المسبب، وَالنَّاسُ فِي مَعَارِفِ التَّوْحِيدِ وَالنَّبُوَّةِ وَالْمَعَادِ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٍ:

(١) الكشاف ١٣٩/٢.

(٢) المحرر الوجيز ٤٩٣/٢، وقول ابن عباس أخرجه الطبري ٦٥٦/١٠ بلفظ: لولا تقبلتها من الله. وقول الضحاك فيه بلفظ: لولا أخذتها أنت فجتت بها من السماء.

(٣) الكشاف ١٣٩/٢.

(٤) قوله: في الدارين، من (١د) والمطبوع.

أحدها: الذين بالغوا في هذه المعارف إلى حيث صاروا كالمشاهدين لها، وهم أصحاب عين اليقين، فالقرآن في حقهم بصائرٌ.

والثاني: الذين وصلوا إلى درجاتِ المستدلِّين، وهم أصحاب علم اليقين، فهو في حقهم هدى.

والثالث: من اعتقد ذلك الاعتقادَ الجزم وإن لم يبلغ مرتبةَ المستدلِّين، وهم عامة المؤمنين، فهو في حقهم رحمةٌ.

ولما كانت هذه الفرقُ الثلاث من المؤمنين قال: «لقوم يؤمنون»^(١). انتهى، وفيه تكميلٌ وبعضٌ تلخيصٌ.

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٢) لَمَّا ذَكَرَ أَنَّ الْقُرْآنَ بِصَائِرُ وَهْدَى وَرَحْمَةٌ أَمْرٌ بِاسْتِمَاعِهِ إِذَا شُرِعَ فِي قِرَاءَتِهِ، وَبِالْإِنْصَاتِ وَهُوَ السَّكُوتُ مَعَ الْإِصْغَاءِ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ مَا اشْتَمَلَ عَلَى هَذِهِ الْأَوْصَافِ مِنَ الْبَصَائِرِ وَالْهَدَى وَالرَّحْمَةَ حَرِّبَ أَنْ يُضْغَى إِلَيْهِ حَتَّى يَخْضَلَ مِنْهُ لِلْمَنْصِبِ هَذِهِ النَّتَائِجَ الْعَظِيمَةَ، وَيَنْتَفِعَ بِهَا فَيَسْتَبْرِئَ مِنَ الْعَمَى وَيَهْتَدِيَ مِنَ الضَّلَالِ، وَيُرْحَمَ بِهَا.

والظاهر استدعاء الاستماع والإنصات إذا أخذ في قراءة القرآن ومتى قرئ، وقال ابن مسعود وأبو هريرة وجابر وعطاء وابن المسيب والزهري وعبيد الله بن عمر^(٢): إنها في المشركين، كانوا إذا صلَّى الرسول ﷺ يقولون: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦] فنزلت جواباً لهم^(٣).

(١) تفسير الرازي ١٥/١٠١-١٠٢ بنحوه.

(٢) كذا في النسخ، والصواب: عبيد بن عمير. ينظر تفسير الطبري ١٠/٦٥٩، وتفسير الثعلبي ٣/١١٠، وتفسير ابن كثير عند هذه الآية، وجاء في تفسير القرطبي ٩/٤٣١: عبيد الله بن عمير، والصواب ما قدمناه. ينظر التهذيب ٣/٣٨.

(٣) هذا الخبر أورده الثعلبي ١٠/٦٥٩، وابن الجوزي ٣/٣١٢، والقرطبي ٦/٤٣١ عن سعيد بن المسيب وحده، لكن دون قوله: إنها في المشركين، والمروي عن الأئمة المذكورين أنها نزلت تأمر بالإنصات والاستماع للإمام أثناء الصلاة كما سيرد نحوه عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما. ينظر المصادر المذكورة في هذا التعليق والذي قبله، ويقارن كلام المصنف بكلام القرطبي.

وقال عطاءٌ أيضاً وابنُ جُبَيْرٍ ومجاهدٌ وعمرو بن دينار وزيد بنُ أسلم والقاسم بن مُخَيَّمرة ومسلم بنُ يسارٍ وشهرٌ بن حَوْشَبٍ وعبد الله بن المبارك: هي في الخطبة يوم الجمعة^(١). وضعَّف هذا القولُ بأنَّ ما يُقرأ في الخطبة من القرآن قليلٌ، وبأنَّ الآيةَ مكيَّةً والخطبةُ لم تكن إلا بعد الهجرة من مكة^(٢).

وقال ابن جُبَيْرٍ: إنها في الإنصات يومَ الأضحى، ويومَ الفِطْرِ، ويومَ الجمعة، وفيما يَجْهَرُ فيه الإمامُ من الصلاة^(٣).

وقال ابن مسعود أيضاً: كان يسلمُ بعضنا على بعضٍ في الصلاة ويكلمه في حاجته، فأمرنا بالسكوت في الصلاة بهذه الآية^(٤).

وقال ابن عباس: قرأ في الصلاة المكتوبة، وقرأ الصحابةُ رافعي أصواتهم فخلطوا عليه، فالآيةُ فيهم^(٥).

وقيل: هو أمرٌ بالاستماع والإنصات إذا أَدَّى الوحي.

وقال جماعة منهم الزجَّاج: ليس المراد الصلاة ولا غيرها، وإنما المرادُ بقوله: «فاستمعوا له وأنصتوا»: اعملوا بما فيه ولا تجاوزوه، كقولك: سمع الله دعاءك، أي: أجابك^(٦).

وقال الحسن: هي على عمومها، ففي أيِّ موضعٍ قرئ القرآنُ وجبَ على كلِّ حاضرٍ استماعُه والسكوت^(٧).

(١) تفسير الثعلبي ٣/١١٠، وتفسير القرطبي ٩/٤٣١، وأخرجه عن بعضهم الطبري ١٠/٦٦٤-٦٦٦.

(٢) تفسير القرطبي ٩/٤٣١، وقد نقل القرطبي الرد الأول عن ابن العربي، وهو في أحكام القرآن له ٢/٨١٧، ونقل الرد الثاني عن النقاش.

(٣) أخرجه الطبري ١٠/٦٦٦.

(٤) أخرجه بنحوه الطبري ١٠/٦٥٨، وأخرج نحوه أيضاً البخاري (٤٥٣٤)، ومسلم (٥٣٩) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه، وذلك في نزول قوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

(٥) أخرجه الطبري ١٠/٦٦٤.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٢/٣٩٨.

(٧) تفسير الرازي ١٥/١٠٢، وأخرجه الطبري ١٠/٦٦٦ بنحوه مختصراً بلفظ: في الصلاة المكتوبة وعند الذكر.

والخطابُ في قوله: «فاستمعوا» إن كان للكفار فترجى لهم الرحمةُ باستماعه والإصغاءِ إليه بأن يكون سبباً لإيمانهم، وإن كان للمؤمنين فرحمتهم هو ثوابهم على الاستماع والإنصات والعملِ بمقتضاه، وإن كان للجميع فرحمة كل منهم على ما يناسبه.

و«العل» باقية على بابها من توقع الترجي، وقيل: هي للتعليل بمعنى «كي».

﴿وَأَذْكُرُ رَبَّنَا فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ لَمَّا أَمَرَهُم تَعَالَى بِالِاسْتِمَاعِ وَالْإِنْصَاتِ إِذَا شُرِعَ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ارْتَقَى مِنْ أَمْرِهِمْ إِلَى أَمْرِ^(١) الرَّسُولِ ﷺ أَنْ يَذْكُرَ رَبَّهُ فِي نَفْسِهِ، أَيْ: بِحَيْثُ يَر_اقِبُهُ وَيَذْكُرُهُ فِي الْحَالَةِ الَّتِي لَا يَشْعُرُ بِهَا أَحَدٌ، وَهِيَ الْحَالَةُ الشَّرِيفَةُ الْعُلْيَا، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَذْكُرَهُ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ، أَيْ: يَذْكُرُهُ بِالْقَوْلِ الْخَفِيِّ الَّذِي يُشْعِرُ^(٢) بِالتَّذَلُّلِ وَالْخُشُوعِ مِنْ غَيْرِ صِيَاحٍ وَلَا تَصْوِيَتٍ شَدِيدٍ، كَمَا تُنَاجِي الْمُلُوكَ وَتُسْتَجَلِبُ مِنْهُمْ الرِّغَابُ، وَكَمَا قَالَ لِلصَّحَابَةِ وَقَدْ جَهَرُوا بِالِدَعَاءِ: «إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، ارْبُؤُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ»^(٣)، وَكَانَ كَلَامُ الصَّحَابَةِ ﷺ لِلرَّسُولِ ﷺ سِرَارًا، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتَّذِرُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ [الحجرات: ٢] لِأَنَّ فِي الْجَهْرِ عَدَمَ مِبَالَاةٍ بِالمَخَاطَبِ، وَظُهُورَ اسْتِعْلَاءٍ وَعَدَمَ تَذَلُّلٍ.

والذكرُ شاملٌ لكلِّ ذكْرٍ مِنْ تَهْلِيلٍ وَتَسْبِيحٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وانتصب «تضرُّعًا وخيفةً» على أنهما مفعولان من أجلهما لأنهما يتسببُ عنهما الذكْرُ، وهو التضرُّعُ في اتِّصَالِ الثَوَابِ وَالْخَوْفِ مِنَ الْعِقَابِ، وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَنْتَصِبَا عَلَى أَنْهُمَا مَصْدَرَانِ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَيْ: مَتَضَرُّعًا وَخَائِفًا، أَوْ: ذَا تَضَرُّعٍ وَخِيفَةٍ. وَقُرِئَ: «وَحُفِيَّةً»^(٤).

(١) في النسخ عدا (١د): ارتقى من أمره تعالى إلى أمر، والمثبت من (١د) والمطبوع.

(٢) في (ب) و(٣د) و(به): يشع، وهو تحريف، ووقع في (١د) والمطبوع: لا يشعر، وهو خطأ.

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ، وجاء

فيهما وفي غيرهما من المصادر: اربعوا، أي: ارفقوا. الفتح ١٣٥/٦.

(٤) تفسير الرازي ١٥/١٠٨.

والظاهرُ أن قوله: «واذكر» خطابٌ للرسول ﷺ، وقيل: خطابٌ لكلِّ ذاكِرٍ.
وقال ابن عطية: خطابٌ له ويعمُّ جميعَ أمته^(١).
والظاهرُ تعلقُ الذكرِ بالربِّ تعالى؛ لأنَّ استحضارَ الذاتِ المقدَّسةِ استحضارٌ
لجميعِ أوصافها.
وقيل: هو على حذفِ مضافٍ، أي: واذكرِ نِعَمَ ربِّك في نفسك باستدامةِ الفكرِ
حتى لا تنسى نِعَمَهُ الموجبةَ لدوامِ الشكرِ.
وفي لفظة «ربِّك» من التشريفِ بالخطابِ والإشعارِ بالإحسانِ الصادرِ من
المالكِ للمملوكِ ما لا خفاءَ فيه، ولم يأتِ التركيبُ: واذكرِ الله، ولا غيرهَ من
الأسماءِ.
وناسبَ أيضًا لفظُ الربِّ قوله: «تضرُّعًا وخفيةً» لأنَّ فيه التصريحَ بمقامِ
العبوديةِ.
والظاهرُ أنَّ قوله: «ودون الجهر من القول» حالةٌ مغايرةٌ لقوله: «في نفسك»
لعطفها عليها، والعطفُ يقتضي التغيُّرَ.
وقال ابنُ عطية: والجمهورُ على أنَّ الذكرَ لا يكونُ في النفسِ، ولا يراعى
إلا بحركة اللسانِ، قال: ويدلُّ عليه من هذه الآيةِ قوله تعالى: «ودون الجهر من
القول» فهذه مرتبةُ السرِّ والمخافةِ باللفظِ^(٢). انتهى.
ولا دلالةٌ في ذلك كما^(٣) زعم، بل الظاهرُ المغايرةُ بين الحالتينِ،
وأنهما ذُكرانِ: نفسانيٌّ ولسانيٌّ، ولذلك قال الزمخشري: ومتكلِّمًا كلامًا دون
الجهر؛ لأنَّ الإخفاءَ أدخلُ في الإخلاصِ وأقربُ إلى جنسِ التفكُّرِ^(٤). انتهى.
ولمَّا ذكرَ حالتي الذِّكرِ وسببهما وهما التضرُّعُ والخيفةُ ذكرَ أوقاتِ الذِّكرِ؛
فقيل: أراد خصوصيةَ الوقتينِ؛ لأنهم كانوا يصلُّون في وقتين قبل فرضِ الخمسِ.

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٩٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) في (١د) والمطبوع: لما.

(٤) الكشف ٢/١٤٠.

وقال قتادة: «الغدوُّ»: صلاة الصبح، و«الأصال»: صلاة العصر^(١).

وقيل: خصَّهما بالذكر لفضلهما.

وقيل: المعنى: جميع الأوقات، وعبرَ بالطرفين المُشعِرَيْن بالنهار والليل.

و«الغدوُّ»: قيل: جمعُ غُدْوَةٍ، فعلى هذا تَظْهَرُ المَقَابِلَةُ لاسم جنسٍ بجمع، ويكونُ المرادُ: بالغدوات والعشايا، وإن كان مصدرًا لـ«غدا» فالمرادُ: بأوقات الغدوِّ، حتى يقابَلَ زمانٌ مجموعٌ بزمانٍ مجموع.

وقرأ أبو مجلز لاجِحُ بنُ حُمَيْدِ السَّدُوسِيِّ البصري: «والإيصال»^(٢) جَعَلَهُ مصدرًا لقولهم: أَصَلْتُ، أي: دخلتُ في وقت الأصيل، فيكون قد قابَلَ مصدرًا بمصدرٍ، ويكون كـ«أَغَصَرَ» أي: دخل في العصر، وهو العشيُّ، «وأَعْتَمَ» أي: دخل في العتمة.

ولمَّا أمره بالذكر أكَّد ذلك بالنهي عن أن يكون من الغافلين، أي: استدم^(٣) الذكر ولا تغفلُ طرفةَ عين، ومعلومٌ أنه عليه السلام تستحيلُ عليه الغفلة لعصمته، فهو نهيٌّ له ﷺ والمرادُ أمته.

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾^(٤) هم الملائكة عليهم السلام، ومعنى العندية: الزُّلْفَى والقُرْبُ منه تعالى بالمكانة لا بالمكان، وذلك لتوقُّرهم على طاعته وابتغاء مرضاته.

ولمَّا أمر تعالى بالذكر ورغَّب في المواظبة عليه، ذكَّر من شأنهم ذلك، فأخبر عنهم بأخبارٍ ثلاثة:

الأوَّلُ نَفْيُ الاستكبار عن عبادته، وذلك هو أصل^(٤) إظهارِ العبودية، ونفْيُ

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٩٤، وأخرجه عبد الرزاق ١/٢٤٦، والطبري ١٠/٦٧٠-٦٧١، وفيه: العشي، بدل: العصر، وصلاة العشي هي صلاة العصر، وقيل: الظهر والعصر. تفسير البيضاوي ٣/٢٦٧.

(٢) القراءات الشاذة ص ٤٨.

(٣) في (أ) و(د) و(ع) والمطبوع: استلزم.

(٤) كلمة: أصل، ساقطة من (د) والمطبوع.

الاستكبار هو المُوجِبُ للطاعات كما أنَّ الاستكبار هو الموجِبُ للعصيان؛ لأنَّ المستكبر يرى لنفسه شفوفاً^(١) ومزياً، فيمنعه ذلك من الطاعة.

الثاني: إثبات التسيح منهم له تعالى، وهو التنزيه والتطهير عن جميع ما لا يليق بذاته المقدسة.

والثالث: السجود له.

قيل: وتقديم المجرور يُؤذَنُ بالاختصاص، أي: لا يسجدون إلا له، والذي يظهر أنه إنما قدّم المجرور ليقع الفعلُ فاصلةً، فأخره لذلك ليناسب ما قبله من رؤوس الآي.

ولمّا كانت العبادة ناشئة عن انتفاء الاستكبار، وكانت على قسمين: عبادة قلبية، وعبادة جسمانية، ذكرهما، فالقلبية: تنزيه الله تعالى عن كلِّ سوءٍ، والجسمانية: السجود، وهو الحال التي يكونُ العبد فيها أقرب إلى الله تعالى، وفي الحديث: «أَطَلَتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَبْتَظَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعٌ شَبْرٍ إِلَّا فِيهِ مَلَكٌ قَائِمٌ أَوْ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ»^(٢).

وقوله: «وله يسجدون» هو مكانُ سجدةٍ، فقيل: سجودُ التلاوة أربعُ سجديات: «الم تنزيل» و«حم تنزيل» و«النجم» و«العلق»^(٣).

وذكرَ عن ابن عباس أنها عشرٌ؛ أسقطَ آخرَ «الحج»، و«ص»، وثلاثاً في المفصل.

وروي عن مالك: إحدى عشرة؛ أسقطَ أخيرة^(٤) «الحج» وثلاث المفصل.

(١) أي: فضلاً وزيادة، من شَفَّ: إذا زاد. ينظر اللسان (شف).

(٢) قطعة من حديث أخرجه أحمد (٢١٥١٦)، والترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه. قال الترمذي: حديث حسن غريب. وله شاهد من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١١٣٤)، وإسناده قوي كما ذكر محققو المسند في حاشية الحديث الأول.

(٣) أورده القاضي عياض في إكمال المعلم بفوائد مسلم ٥٢٣/٢ عن عليّ وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم.

(٤) في (أ) و(د) والمطبوع: آخرة.

وعن ابن وهب: أربع عشرة؛ أسقط ثانية «الحج»، وهو قول أبي حنيفة والشافعي، لكن أبو حنيفة أسقط ثانية «الحج» وأثبت «ص»، وعكس الشافعي.

وعن ابن وهب أيضاً وابن حبيب: خمس عشرة آخرها خاتمة «العلق».

وعن بعض العلماء: ست عشرة، وزاد سجدة «الحجر»^(١).

والجمهور على أنه ليس بواجب، وقال أبو حنيفة: هو واجب.

ولا خلاف في أن شرطه شرط الصلاة من طهارة خبث وحديث، ونية، واستقبال، ووقت، إلا ما روى البخاري^(٢) عن ابن عمر، وابن المنذر عن الشعبي^(٣)، أنه يسجد على غير طهارة.

وذهب الشافعي وأحمد وإسحاق إلى أنه يكبر ويرفع اليدين، وعن مالك: يكبر لها في الخفض والرفع في الصلاة. وأما في غير الصلاة فاختلف عنه.

ويسلم عند الجمهور، وقال جماعة من السلف وإسحاق: لا يسلم^(٤).

ووقتها سائر الأوقات مطلقاً؛ لأنها صلاة بسبب، وهو قول الشافعي وجماعة، وقيل: ما لم يسفر ولم تصفر الشمس^(٥). وقيل: لا يسجد بعد الصبح ولا بعد

(١) تنظر هذه الأقوال في إكمال المعلم ٢/٥٢٢-٥٢٣، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب

مسلم لأبي العباس القرطبي ٢/١٩٤-١٩٥، وتفسير القرطبي ٩/١٣٦-١٣٧.

(٢) تعليقاً قبل الحديث (١٠٧١)، وصله ابن أبي شيبة (٤٣٥٤).

(٣) وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة (٤٣٥٧)، وتحرف «المنذر» في (١د) والمطبوع إلى: المنكدر.

والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في تفسير القرطبي ٩/٤٣٨، والكلام منه.

(٤) كذا وقع في النسخ، وهو عكس ما جاء في إكمال المعلم ٢/٥٢٤، والمفهم ٢/١٩٦-

١٩٧، وتفسير القرطبي ٩/٤٣٩، واللفظ عندهم: ولا سلام لها عند الجمهور، وذهب

جماعة من السلف وإسحاق إلى أنه يسلم. اهـ. والتحقيق أن القولين منصوبان للشافعي،

أصحهما عند العلماء من مذهبه اشتراط التسليم. وعن أحمد أيضاً روايتان. وينظر تفصيل

ذلك في المغني لابن قدامة ٢/٣٦٢-٣٦٣، والمجموع للنووي ٣/٥٦٢، والتبيان في آداب

حملة القرآن له ص ١٤٠، وينظر أيضاً مختصر اختلاف العلماء للجصاص ١/٢٤٢-٢٤٣.

(٥) أي: ما لم يسفر الصبح أو ما لم تصفر الشمس بعد العصر. ينظر المعلم بفوائد مسلم

للمازري ١/٢٨٢، وإكمال المعلم ٢/٥٢٣، والمفهم ٢/١٩٦، وتفسير القرطبي ٩/٤٣٩.

العصر. وقيل: الصحيح^(١) لا بعد العصر. وثلاثة الأقوال هذه في مذهب مالك. وفي «سنن» ابن ماجه عن ابن عباس أنه عليه الصلاة والسلام كان يقول في سجود التلاوة: «اللهم احطط عني بها وزراً، واكثب لي بها أجراً، واجعلها لي عندك ذخراً»^(٢).

ومشهور مذهب مالك أنه لا يسجد في الفريضة سراً كانت أو جهراً، ومذهب أبي حنيفة أنه واجب على السامع قصداً الاستماع أو لا^(٣).

والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.



تم الجزء العاشر من البحر المحيط، ويتلوه الجزء الحادي عشر
وأوله تفسير قوله تعالى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾

الآية الأولى من سورة الأنعام

(١) أي: ما لم يُسفر. ينظر المصادر المذكورة في التعليق السابق.

(٢) سنن ابن ماجه (١٠٥٣)، وأخرجه أيضاً الترمذي (٥٧٦) و(٣٤٢٢) وقال: غريب من حديث ابن عباس، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. اهـ. وفي إسناده حسن بن محمد بن عبيد الله، قال العقيلي في الضعفاء ١/٢٤٣: لا يتابع على حديثه. وقال غيره: فيه جهالة. الميزان ١/٤٧٥.

(٣) ينظر تفصيل هذه المسائل في مختصر اختلاف العلماء للجصاص ١/٢٣٨-٢٤٤، وإكمال المعلم ٢/٥٢٢-٥٢٤، والمفهم ٢/١٩٤-١٩٧، وتفسير القرطبي ٩/٤٣٦-٤٤٠.

فهرس الآيات

- ٥ سورة الأعراف
- مفردات الآيات (١-٢٨) من قوله تعالى: ﴿الْمَصَّ ①﴾ كَيْتَبُ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ
 ٥ فِي صَدْرِكَ حَرْجٌ مِّنْهُ ﴿٢٨﴾ إِلَى قوله تعالى: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ②﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿الْمَصَّ ①﴾ كَيْتَبُ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرْجٌ مِّنْهُ لِئِنْزِرَ بِهِ
 ٩ وَذِكْرًا لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٨﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿أَتَيْبُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا
 ١٣ تَذَكَّرُونَ ③﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأَسْنَانَا بَيْتًا أَوْ هُمْ قَابِلُونَ ④﴾ ...
- ١٨ تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَانَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ⑤﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْتَكَنَّ الَّذِينَ أَزْسِلُ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَكَنَّ الْمُرْسِلِينَ ⑥﴾ فَلَنَقْضَنَّ عَلَيْهِمْ
 ١٩ بَعْلًا وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ⑧﴾
 ٢٠ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَدِينَ قَلِيلًا مَّا
 ٢١ تَشْكُرُونَ ⑩﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ
 ٢٣ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ⑪﴾
- ٢٥ تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾

- ٢٧ تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ ﴿٦١﴾
- ٢٨ تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ فَأَهْطُ مِثْلًا بِمَا كُنْتُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِن الصَّغِيرِينَ﴾ ﴿٦٢﴾
- ٢٩ تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٦٥﴾ قَالَ فِيمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْدِرَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦٦﴾
- ٣٠ تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ ﴿٦٧﴾
- ٣٤ تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ أَخْرَجْنَا مِنْهَا مَذْمُومًا مَّذْمُومًا﴾
- ٣٨ تفسير قوله تعالى: ﴿لَمَّا نَبَعَكْ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٦٨﴾
- ٣٩ تفسير قوله تعالى: ﴿وَبَعَادُمْ أَتَىٰكَ أَنْتَ وَرَوْحُكَ الْجَنَّةَ فَكَلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٦٩﴾ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِیُدْخِلَهُمَا فِيهَا مَا وُورَىٰ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاءٍ تَهُمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَکَیْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْفَٰلِغِیْنِ ﴿٧٠﴾
- ٤٠ تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَیْنٌ الشَّصِیْبِ﴾ ﴿٧١﴾
- ٤٤ تفسير قوله تعالى: ﴿فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاءُهُمَا﴾
- ٤٥ تفسير قوله تعالى: ﴿وَطَافَا بِحُصْبَانِ عَلَیْهِمَا مِن وَرَی الْجَنَّةِ﴾
- ٤٦ تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِیْنٌ﴾ ﴿٧٢﴾
- ٤٧ تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّا تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَٰسِرِينَ﴾ ﴿٧٣﴾
- ٤٨ تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ ﴿٧٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٧٥﴾
- ٤٩ تفسير قوله تعالى: ﴿يَبْنَیْ عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِيَاسًا يُورَىٰ سَوَاءٌ وَرِثَاً وَلِيَاسُ الثَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِّنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ ﴿٧٦﴾
- ٥٠ تفسير قوله تعالى: ﴿يَبْنَیْ عَادَمَ لَا يَفْنَىٰكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَبْزِعُ عَنْهُمَا لِيَاسُهُمَا لِیُرِیَهُمَا سَوَاءَهُمَا﴾
- ٥٤ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرْتَكِبُ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا رَأْوَهُمْ﴾
- ٥٥

- ٥٧ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾
- ٥٨ تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِيشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾
- ٥٩ تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾
- مفردات الآيات (٢٩-٥٦) من قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِمَّنْ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾
- ٦٠ تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾
- ٦٢ تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾
- ٦٣ تفسير قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾
- ٦٤ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾
- ٦٦ تفسير قوله تعالى: ﴿يَبْنَئِي مَادِمَ خُدُودًا زَيْنَتَكَ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾
- ٦٧ تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾
- ٧٢ تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾
- ٧٣ تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ لَقُورٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلِّ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾
- ٧٥ تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَنْدِئُونَ ﴿٣٤﴾﴾
- ٧٨ تفسير قوله تعالى: ﴿يَبْنَئِي مَادِمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ مَا يَنْبَغِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾
- ٨٠ تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اتَّخَذَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَتْلَوْنَ نَصِيحَتَهُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾
- ٨١

- تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ بُرْسُنَا يُسْأَلُونَ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَيْنَا أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ ٨٢
- تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ ﴿٣٨﴾﴾ ٨٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَمَنَّا أُخْتِبَ فِيهَا رُءُوسًا وَإِن كَانُوا لَآئِمًا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ ٨٥
- تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُنَّ لِأَخْرَجُنَّهِنَّ فَمَا كَانَتْ لَكُنَّ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٤١﴾﴾ ٨٧
- تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴿٤٢﴾﴾ ٨٨
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴿٤٣﴾﴾ ٨٩
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ ٩١
- تفسير قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ بَهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٦﴾ ٩٢
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلِيٍّ يُجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ﴿٤٧﴾﴾ ٩٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَسْبُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴿٤٨﴾﴾ ٩٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿لَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا مِنَّا بِالْحَقِّ ﴿٤٩﴾﴾ ٩٥
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُودُونَ أَنْ تُكَلِّمَهُمُ الْجَنَّةَ أَوْ رُسُلَهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٠﴾﴾ ٩٦
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ ﴿٥١﴾﴾ ٩٧
- تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَادَىٰ مَوْدُودٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ ٩٨
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا جَبَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَابِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلِمًا سِيئَةً ﴿٥٤﴾﴾ ٩٩
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَنُخْبِرَنَّكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَهُ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٦﴾﴾ ١٠٣

- تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَدْنَىٰ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٨﴾ أَهْلُوا الَّذِينَ أَمْسَكْتُمْ لَآ يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٨٩﴾
- ١٠٦ تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَدْنَىٰ أَصْحَابِ النَّارِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنِ ادْخُلُوا عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٩٠﴾
- ١٠٨ تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ كَمَا نَسَوْنَا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِعَابِدِينَا يَجْحَدُونَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عَلَيْهِمْ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٢﴾
- ١١١ تفسير قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾
- ١١٢ تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا مِنَّا بِالْحَقِّ فَمَا نَهَلْنَا مِنْ شِعْمَةٍ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرْدُ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾
- ١١٣ تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٩٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾
- ١١٤ تفسير قوله تعالى: ﴿يُنشِئُ آيَاتِ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حِينًا﴾
- ١١٩ تفسير قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾
- ١٢٠ تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْإِخْتِرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٤﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾
- ١٢٢ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمَعْدِيَةَ ﴿٩٥﴾
- ١٢٤ تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾
- ١٢٦ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٦﴾
- ١٢٧
- مفردات الآيات (٥٧-٨٧) من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾
- ١٣٠ تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾
- ١٣٥ تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِيَلْجَأَ مَتِينًا﴾
- ١٣٨ تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾
- ١٤٠

- تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَبْحَثُ
 ١٤١ نَبَاتَهُ يَأْذِنُ رَبُّهُ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَبْحَثُ إِلَّا نَكَدًا﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ
 ١٤٤ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
 عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ
 ١٤٧ فِي ضَلَالَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأُصْحِحُّ لَكُمْ وَأَعْلَمُ
 مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْعِيبَتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا
 ١٤٩ وَلِتَلْكَؤُا رُحْمًا ﴿٦٣﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَجْنَبَتْهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
 ١٥١ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عِيبًا ﴿٦٤﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُودًا قَالَ يَبْقَرُوا عِبَادًا هُمُودًا قَالَ يَبْقَرُوا عِبَادًا هُمُودًا هُمُودًا
 ١٥٢ لَنُنْفِثَنَّ ﴿٦٥﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا
 ١٥٤ لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ يَبْقَرُوا لَيْسَ فِي سَفَاهَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾
 ١٥٥ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْعِيبَتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ
 ١٥٦ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَأَذْكُرُوا﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾
- ١٥٧
- تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأِنَّا
 ١٥٨ بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصَبٌ أَتَجِدَلُونَنِي فِي
 ١٥٩ أَسْمَاءٍ سَبَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ﴾

- تفسير قوله تعالى: ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧٦﴾ فَأَجْبِئْتُهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَايِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ ١٦٠
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ ١٦١
- تفسير قوله تعالى: ﴿فَدَّجَاهَ تَكْتُمُ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ١٦٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿هَٰذِهِ نَافَةٌ لَكُمْ آيَةٌ﴾ ١٦٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٨﴾ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَنِي عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَنْخَعُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٩﴾﴾ ١٦٦
- تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ ١٦٨
- تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٠﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنُمْ بِهِ كَفِرُونَ ﴿٨١﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ ١٦٩
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحُ آثِنَا بِمَا عَدَدْنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٢﴾﴾ ١٧١
- تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ ١٧٢
- تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِي رَبِّي وَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ ﴿٨٤﴾﴾ ١٧٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٥﴾﴾ ١٧٧
- تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴿٨٦﴾﴾ ١٨٠
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ١٨١
- تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْطِئُونَ ﴿٨٧﴾﴾ ١٨٢
- تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَجْبِئْتُهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٨﴾﴾ ١٨٣

- ١٨٤ تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَنِيبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾
- ١٨٥ تفسير قوله تعالى: ﴿وَالِإِن مَدِينَةٌ أَخَاهُمْ مُّشِيبًا قَالَ يَنْفَوْرُوا أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾
- ١٨٧ تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَحِينَةٌ مِنَ رَبِّكُمْ﴾
- ١٨٩ تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَذِقُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٩﴾
- ١٩٠ تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾
- ١٩٤ تفسير قوله تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا نَكَّرْنَاكُمْ﴾
- ١٩٥ تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَنِيبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩٥﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٩٥﴾
- مفردات الآيات (٨٨-١١٦) من قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ بِشَيْبٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾
- ١٩٦ تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ بِشَيْبٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَوْمِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾
- ١٩٨ تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ أُولُو كُنُوفٍ كَرِهِينَ ﴿٩٨﴾ قَدْ أَفْرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾
- ٢٠١ تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾
- ٢٠٢ تفسير قوله تعالى: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٩٩﴾
- ٢٠٤ تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شَيْبًا إِذْ كُنْتُمْ إِذَا لَخَيْرُونَ ﴿١٠٠﴾
- ٢٠٥ تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْتُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمًا ﴿١٠١﴾

- ٢٠٦ تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شَعْبًا كَأَن لَّمْ يَفْنَوْا فِيهَا﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شَعْبًا كَأَن لَّمْ يَفْنَوْا فِيهَا﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي وَصَحَّحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَامَسْتُمْ عَلَى قَوْمٍ كَثِيرِينَ ﴿٤٢﴾
- ٢٠٨ تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ
- تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَنَاتَهُنَّ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَنَحْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٤٦﴾
- ٢١٠ تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾
- ٢١٢ تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾
- ٢١٣ تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾
- ٢١٤ أَوْلَمَ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّو نَشَاءُ أَصْنَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ
- ٢١٥ تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَطَّبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾
- ٢١٨ تفسير قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْأَقْرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبِيَآءٍ﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَبُوا مِن قَبْلُ﴾
- ٢١٩ تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ
- ٢٢٢ تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَتَقِينَ﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ يَأْتِيَنَا إِلَىٰ رِجْعَتِهِمْ فَلَمَّآ هَلَكَ عَن قَوْمِهِ مَا كَانَ يُبَيِّنُ لَهُمْ مَا يَتْلُو عَلَيْهِمْ إِنَّمَا يَأْتِيَنَاهُم بِالْحَقِّ فَمَا كَانَ يَنْفَعُهُمْ وَإِن يَأْتِيَنَاهُم بِآيَاتِنَا لَا يَحْقِيقُوا آيَاتِنَا
- ٢٢٣ تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يُنْفِرُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَا أَقُولُ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
- ٢٢٤ تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾
- ٢٢٨ قَالَتِ قَوْمُ ثَمُودَ إِذَا هِيَ تُعْبَدُ تُذَمَّرُ
- ٢٣٠ تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ﴾
- ٢٣١ تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾

- ٢٣٢ تفسير قوله تعالى: ﴿رِيدُ أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِكَ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ ﴿١١٦﴾
- ٢٣٤ تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾
- ٢٣٦ تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ ﴿١١٧﴾ يَا تَوَكَّلْ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٧﴾
- ٢٣٧ تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ رِعْوَنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ ﴿١١٨﴾
- ٢٣٨ تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ﴿١١٩﴾ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْفَيْنِ ﴿١١٩﴾
- ٢٣٩ تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقُوا﴾
- ٢٤٠ تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَهْوَاهُمْ وَجَاءَهُمْ بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ ﴿١٢٠﴾
- مفردات الآيات (١١٧-١٤٢) من قوله تعالى: ﴿وَأَرْجِهْ إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقَى عَصَاكَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿١٢١﴾
- ٢٤١ تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَرْجِهْ إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقَى عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ ﴿١٢٢﴾
- ٢٤٣ تفسير قوله تعالى: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٢٣﴾ فَعَلُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاحِرِينَ ﴿١٢٣﴾
- ٢٤٥ تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ﴾ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا ءَأَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٤﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٤﴾
- ٢٤٦ تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمَنْتُ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَادَنَ لَكَ﴾
- ٢٤٧ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمْهُ فِي الْمَدِينَةِ لِخُرُوجِهَا مِنْهَا أَهْلُهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٢٥﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلْفٍ ثُمَّ لأَصْلِيَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٥﴾
- ٢٤٨ تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُقْلِبُونَ﴾ ﴿١٢٦﴾
- ٢٤٩ تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا نُنْفِئُ مِمَّا إِلَّا أَنْتَ ءَأَمَنَّا يَا بَنِي رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾
- ٢٥٠ تفسير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوْفِقًا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿١٢٧﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ فِي الْأَرْضِ وَهَلْ تَأْتِيكُمْ
- ٢٥١ تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَنْقِلُ أَيْدِيَهُمْ وَسَتَّخِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ ﴿١٢٨﴾
- ٢٥٤

- تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا
 ٢٥٥ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٧٨﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَوَيْلٌ لِّمَا جِئْتَنَا﴾ ٢٥٦
- تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ
 ٢٥٧ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٧٩﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالْسَيْسِ وَالنَّقِصِ مِنَ الشَّمْرَاتِ لَعَلَّهُمْ
 ٢٥٩ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٨٠﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبِهِمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ
 ٢٦٠ وَمَنْ مَعَهُ﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَلَيْتُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨١﴾﴾ ٢٦١
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتَانَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ ٢٦٢
- تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ
 ٢٦٥ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٨٣﴾﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ
 ٢٧٠ لَئِن كُشِفَتْ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٨٤﴾﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلِّغُوهُ إِذَا هُمْ
 ٢٧١ يَنْكُورُونَ ﴿١٨٥﴾﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا
 ٢٧٣ غَافِلِينَ ﴿١٨٦﴾﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَمُّونَ مَسَكِرَاتِ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَاتِهَا الَّتِي
 ٢٧٤ بَرَكْنَا فِيهَا﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَوَدَّعْتُمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ ٢٧٥
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَدَمَرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ
 ٢٧٦ ﴿١٨٧﴾﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ ٢٧٧
- تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِمُ الْيَمِينَ عَلَىٰ أَصْنَافٍ لَهُمْ﴾ ٢٧٨

- ٢٧٩ تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ﴾ ١٢٨ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَثَرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَيَطِلُّ مَّا كَانُوا
- ٢٨٠ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾
- ٢٨١ تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ أَعِدَّ اللَّهُ أَبْنِيَكُمْ إِلَيْهَا وَهُوَ فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ١٣٠ .
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَذِ أُنْحِيْتِكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ
- ٢٨٢ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَعْبِدُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ١٣١
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ قَتْمٍ مِيقَتُ رَبِّيهِ
- ٢٨٣ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ
- ٢٨٦ الْمُفْسِدِينَ﴾ ١٣٢
- ٢٨٧ تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾
- ٢٨٨ تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِيْ أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾
- ٢٩٠ تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ رَرْنِيْ﴾
- ٢٩١ تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ رَرْنِيْ﴾
- مفردات الآيات (١٤٣-١٥٦) من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَحَلَى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ
- دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَوْعًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَسَأَكَتِهَا لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُؤْتُونَ
- ٢٩٣ الرِّكَوَةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ ١٥٦
- ٢٩٥ تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَحَلَى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَوْعًا﴾
- ٢٩٨ تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُتُّ إِلَيْكَ﴾
- ٢٩٩ تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٥٧
- تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ يَمُوسَى إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا
- ٣٠٠ ءَاتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ١٥٨
- ٣٠١ تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾
- ٣٠٣ تفسير قوله تعالى: ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾

- تفسير قوله تعالى: ﴿فَخَذَهَا يَقْوَةَ وَأَمَرَ قَوْمَكَ يَاخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ٣٠٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ ٣٠٩
- تفسير قوله تعالى: ﴿وإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ ٣١١
- تفسير قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أُعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ ٣١٢
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمَ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ﴾ .. ٣١٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ ٣١٦
- تفسير قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَأَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ ٣١٧
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَيْفًا قَالَ يَشَتَّى خَلَقْتُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْمَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ ٣٢١
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَابِحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ ٣٢٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ ٣٢٥
- تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَتِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ ٣٢٨
- تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجَلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ ذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ ٣٢٩
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾ ٣٣٠
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابِحَ وَفِي سُخْرِيهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ ٣٣١
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾ ٣٣٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِثْنِي﴾ ٣٣٥

٣٣٧ تفسير قوله تعالى: ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْبِرْ

٣٣٨ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ حَرِيرُ الْعَفْرِينَ ﴿١٥٥﴾

٣٣٩ تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا بِاتِّك﴾

٣٤٠ تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ عِدَائِي أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشَاءِ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾

٣٤٢ تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَاكُتُهَا لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾

٣٤٣ تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِإِيمَانِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾

• مفردات الآيات (١٥٧-١٧٠) من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ

الْأُمِّيَّ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُسْكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا

٣٤٤ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُضْلِيحِينَ ﴿١٧٠﴾

تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ

٣٤٥ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾

٣٤٧ تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾

تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ

٣٤٨ عَلَيْهِنَّ﴾

تفسير قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ

٣٤٩ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَّخِذُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ

٣٥١ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾

تفسير قوله تعالى: ﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ

٣٥٢ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

٣٥٣ تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

٣٥٤ تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَابًا أُمَّةً﴾

تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَرْجَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاكَ

الْحَجَرَ فَأَلْبَجَسْتَ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْبًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ

- أَلْعَمَّ وَأُنزَلْنَا عَلَيْهِمُ النَّجْمَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٦﴾ ٣٥٧
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذ قِيلَ لَهُمُ اسْكُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّعْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٦﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِجْسًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٣٥٩
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَأَلْتَهُم عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَابَتُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٦﴾ ٣٦١
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ يَعْطُونَ قَوْمًا أَلَّهِ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مَعْدِيَهُم عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْدَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٦﴾ ٣٦٦
- تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ٣٦٨
- تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَا عَن مَّا نُهَا عَنْهُمْ فَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ فَرَدَّ خَلِيلٌ ﴿١٦٦﴾ وَإِذ تَأَذَّتْ رِبْكُ لِيَعْمَنَ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْفَيْصَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴿١٦٦﴾ ٣٧٢
- تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَعْنَا فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحِينَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ ﴿١٦٧﴾ ٣٧٥
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَبْلُغُهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا ﴿١٦٨﴾ ٣٧٦
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِّثْلَهُ يَأْخُذُوهُ ﴿١٦٨﴾ ٣٧٩
- تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُؤْخَذُ عَلَيْهِمُ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ﴿١٦٩﴾ ٣٨١
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّذَارِ الْأَخْرَجَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يَسْكُونُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ٣٨٣

- مفردات الآيات (١٧١-١٨٨) من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَفَخْنَا الْجِبَلَّ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٨٨﴾ ٣٨٥
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَفَخْنَا الْجِبَلَّ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَافِعٌ بِهِمْ﴾ ٣٨٩
- تفسير قوله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٣٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَيْنِ يَدَيْكَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ... ٣٩١
- تفسير قوله تعالى: ﴿شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ ﴿١٧٦﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ﴾ ٣٩٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَنهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُتَعَبُونَ﴾ ﴿١٧٦﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٧٦﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرَ مِنهَا فَآتَيْنَاهُ الشَّيْطَانَ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ ﴿١٧٥﴾ ٣٩٥
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ ٣٩٩
- تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرِكْهُ يَلْهَثْ﴾ ٤٠١
- تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ ٤٠٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَقْصِبْ قَصْبَ لَعْنَتِهِمْ يَتفَكَّرُونَ﴾ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ ٤٠٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَبِهْدِ اللَّهُ فَهِيَ الْفَاهِةُ وَمَن يُضِلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿١٧٨﴾ ٤٠٦
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ ٤٠٧
- تفسير قوله تعالى: ﴿هُم قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ ٤٠٨
- تفسير قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ ٤٠٩
- تفسير قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْفٰطِرُونَ﴾ ﴿١٧٦﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِقُونَ فِي أَسْمَائِهِمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ﴾ ﴿١٨٨﴾ ٤١١
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ ﴿١٨١﴾ ٤١٦

- ٤١٧ تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٦﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٧﴾ أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ حِنَّةٍ
 ٤١٩ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٨٨﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ
 ٤٢١ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ حَرْبٍ بَعَدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾
- ٤٢٣ تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾
- ٤٢٤ تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا ﴿١٨٧﴾
- ٤٢٥ تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهُا عِنْدَ رَبِّي لَا يُحِيطُ بِلَوْفِهَا إِلَّا هُوَ ﴿١٨٧﴾
- ٤٢٦ تفسير قوله تعالى: ﴿نُفِثَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
- ٤٢٧ تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بِنَهْيٍ يُسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ﴿١٨٧﴾
- ٤٢٨ تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهُا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ
 ٤٣٠ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴿١٨٧﴾
- ٤٣٢ تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴿١٨٧﴾
- ٤٣٤ تفسير قوله تعالى: ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾
- مفردات الآيات (١٨٩-٢٠٦) من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ
 وَوَحْدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴿١٨٩﴾ إِلَى قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ
 ٤٣٥ وَهُوَ يَسْجُدُ ﴿١٩٠﴾
- ٤٣٦ تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَحْدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴿١٨٩﴾
- ٤٣٩ تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَشَنَّهَا حَمَلًا حَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ ﴿١٩٠﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَتْكَ دَعَاكَ اللَّهُ رَبَّهُمَا لِيْنَ ءَاتِيَتَنَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّكِرِيْنَ
 ٤٤١ ﴿١٩١﴾
- ٤٤٢ تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ءَاتَتْهُمَا صَالِحًا جَمَلًا لَهُ شُرَكَاءُ فِيمَا ءَاتَتْهُمَا ﴿١٩١﴾
- ٤٤٣ تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٢﴾
- ٤٤٤ تفسير قوله تعالى: ﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩٢﴾

- تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لِمَ نَصَرْنَا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَصْرِوْنَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى
 ٤٤٥ هَلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاهُ عَلَيْكُمْ أَدْعُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صُمُوتُونَ ﴿١٩٨﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَتَّالِكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا
 ٤٤٦ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٩﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَزْجُلْ يَمَشُونَ بِهَا أَمْ لَمْ أُبَدِّ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آعِينٌ
 ٤٥١ يَصْرِوْنَ بِهَا أَمْ لَهُمْ مَا ذَاتُ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿٢٠٠﴾
- ٤٥٢
- تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَهِي اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿٢٠١﴾
- ٤٥٣
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسُهُمْ
 ٤٥٦ يَصْرِوْنَ ﴿٢٠٢﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ هَلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يُظْهِرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا
 ٤٥٧ يَصْرِوْنَ ﴿٢٠٣﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿٢٠٤﴾
- ٤٥٩
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا يَزْعُمَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ
 ٤٦١ عَلِيمٌ ﴿٢٠٥﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ
 ٤٦٢ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠٦﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْفِتْنَةِ لَا يُفْصِرُونَ ﴿٢٠٧﴾
- ٤٦٦
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾
- ٤٦٨
- تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا آتَيْتُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى
 ٤٦٩ وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٨﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٩﴾
- ٤٧٠
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ
 ٤٧٢ وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢١٠﴾
- تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَعِينُونَ وَأَلَّهُ
 ٤٧٤ يَسْجُدُونَ ﴿٢١١﴾